

الْبَيْدَانِيَّةُ وَالنَّهْائِيَّةُ

في التاريخ

للامام الحافظ المفسر للتورخ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الحادي عشر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ خلافة المستعين بالله ﴾

وهو أبو العباس أحمد بن محمد المعتصم . يبيع له بالخلافة يوم مات المنتصر ، بإيعه عموم الناس . ثم خرجت عليه شرقة من الأتراك يقولون : يامتزيا منصور . فالتف عليهم خلق ، وقام بنصر المستعين بجمهورية الجيش ، فاقْتَنَلُوا قتلا شديداً أياماً قتل منهم خلق من الفريقين ، وانتهت أما كن كثيرة من بغداد ، وجرت قن منقشرة كثيرة جداً ، ثم استقر الأمر للمستعين فمزل وولى وقطع ووصل ، وأمر ونهى أياماً ومدة غير طويلة . وفيها مات بنا الكبير في جمادى الآخرة منها ، فولى الخليفة مكانه ولده موسى بن بنا . وقد كانت له هم عالية وآثار سامية ، وغزوات في المشارق والمغرب متوالية وكان له من المتاع والضياع ما قيمته عشرة آلاف ألف دينار . وترك عشر جبات جوهر قيمتها ثلاثة آلاف ألف دينار ، وثلاث جبات سلاخها وورق

وفيها عدا أهل حمص على علمهم فأخرجوه من بين أظهرهم ، فأخذ منهم المستعين مائة رجل من سراتهم وأمر بهم سورم . وفيها حج بالناس محمد بن سليمان الزيلعي . وفيها توفي من الأعيان أحمد ابن صالح . والحسين بن علي الكراييسي . وعبد الجبار بن العلاء . وعبد الملك بن شبيب . وعيسى ابن حماد . ومحمد بن حميد الرازي . ومحمد بن زينور . ومحمد بن العلاء أبو كريپ . ومحمد بن يزيد أبو هشام الرافعي

﴿ وأبو حاتم السجستاني ﴾

واجمعة سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي أبو حاتم النحوي اللغوي صاحب المصنفات

الكثيرة وكان ياربها في اللغة : اشتغل فيها على أبي عبيد والأضيء ، وأكثر الزاوية عن أبي زيد الأنصاري . وأخذ عنه المبرد وابن دريد وغيرهما . وكان صالحاً كثير الصدقة والتلاوة ، كان يتصدق كل يوم بدينار وقرأ في كل أسبوع بمخمة ، وله شعر كثير منه قوله :

أبرزوا وجهه للنجيل * ولاموا من افتتن

لو أرادوا صيانتى * ستروا وجهه الحسن

كانت وفاته في الحرم ، وقيل في رجب من هذه السنة

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائتين)

في يوم الجمعة للنصف من رجب التقى جمع من المسلمين وخلق من الروم بالقرب من ملطية ، فاقتلوا قتلاً شديداً ، قتل من الفريقين خلق كثير ، وقتل أمير المسلمين عمر بن عبد الله بن الأقطع ، وقتل معه ألفا رجل من المسلمين ، وكذلك قتل غلب بن يحيى الأرمني ، وكان أميراً في طائفة من المسلمين أيضاً ، فأن الله وإنا إليه راجعون . وقد كان هذان الأميذان من أكبر أنصار الاسلام . ووقعت فتنة عظيمة ببغداد في أول يوم من صفر منها ، وذلك أن العامة كرهوا جماعة من الأمراء الذين قد تغلبوا على أمر الخلافة وقتلوا المتوكل واستضعفوا المنتصر والمستعين بعده ، فنهضوا إلى السجن فأخرجوا من كان فيه ، وجأوا إلى أحد الجسرين فقطعوه وضربوا الآخر بالنار ، وأجروا ونادوا بالنفير فاجتمع خلق كثير وجم غفير ، ونهبوا أماكن متعددة ، وذلك بالجانب الشرقي من بغداد . ثم جمع أهل اليسار أموالا كثيرة من أهل بغداد لتصرف إلى من ينهض إلى ثور المسلمين لقتال العدو عوضا عن من قتل من المسلمين هناك ، فأقبل الناس من نواحي الجبال وأهواز وفارس وغيرها لغزو الروم ، وذلك أن الخليفة والجيش لم ينهضوا إلى بلاد الروم وقتال أعداء الاسلام ، وقد ضعف جانب الخلافة واشتغلوا بالقيان والملاهي ، فعند ذلك غضبت العوام من ذلك وفضلوا ما ذكرنا . ولتسع بقين من ربيع الأول نهض عامة أهل سامرا إلى السجن فأخرجوا من فيه أيضاً كما فعل أهل بغداد وجاءهم قوم من الجيش يقال لهم الزرافة فهزمتهم العامة ، فعند ذلك ركب وصيف وبنا الصغير وعامة الأتراك فقتلوا من العامة خلقاً كثيراً ، وجرت فتن طويلة ثم سكنت . وفي منتصف ربيع الآخر وقعت فتنة بين الأتراك وذلك أن المستعين قد فوض أمر الخلافة والتصرف في أموال بيت المال إلى ثلاثة وهم أناس الترك ، وكان أحسن من عند الخليفة وهو بمنزلة الوزير ، وفي حجره العباس بن المستعين يريه ويملأ القروسية . وشاهدك الخادم ، وأم الخليفة . وكان لا يمنحها شيئاً تريد ، وكان لها كاتب يقال له سلمة بن سعيد النصراني . فأقبل أناس فأسرف في أخذ الأموال حتى لم يبق بيت المال شيئاً ، فعضب الأتراك من ذلك وغاروا منه فاجتمعوا

وركبوا عليه وأحاطوا بقصر الخلافة وهو عند المستعين ، ولم يكنه منه منهم ولا دفعهم عنه ، فأخذوه صاغراً قتلوه وأتهبوا أمواله وحواصله ودوره ، واستوزر الخليفة بعده أبا صالح عبد الله بن محمد ابن يزداد ، وولى بنا الصدير فلسطين ، وولى وصيفاً الأهواز ، وجرى خبط كثير وشتر كثير ، ووهن الخليفة وضعف . وتحركت المغاربة بسامرا في يوم الخميس لثلاث خلون من جمادى الآخرة ، فكاثروا يجمعون فيركبون ثم يتفرقون . وفي يوم الجمعة لحس بقين من جمادى الأولى ، وهو اليوم السادس عشر من تموز ، مطر أهل سامرا مطراً عظيماً برعد شديد ، وبرق متصل وغيم منعقد مطبق والمطر مستهل كثير من أول النهار إلى اصفرار الشمس ، وفي ذى الحجة أصاب أهل الرى زلزلة شديدة جداً ، وتبتمها رجفة هائلة تهلمت منها الدور ومات منها خلق كثير ، وخرج بقية أهلها إلى الصحراء . وفيها حج بالناس عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الامام وهو والى مكة . وفيها توفي من الأعيان أيوب بن محمد الوزان . والحسن بن الصلاح البزار صاحب كتاب السنن . ورجاء بن مرجا الحافظ . وعبد بن حميد صاحب التفسير الحافل . وعمر بن علي الفلاس

﴿ وعلى بن الجهم ﴾

ابن بدر بن مسعود بن أسد القرشي السامي من ولد سامة بن لؤى الخراساني ثم البغدادي ، أحد الشعراء المشهورين وأهل اليانة المعتبرين . وله ديوان شعر فيه أشعار حسنة ، وكان فيه تعامل على علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وكان له خصوصية بالتوكل ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان وأمر نأبيه بها أن يضربه مجرداً ففعل به ذلك ، ومن مستجاد شعره :

بلاء ليس يعدله بلاء • عداوة غير ذى حسب ودين

يبيحك منه عرضاً لم يصنه • ويرتفع منك في عرض مصون

قال ذلك في مروان بن حفصة حين هجاه فقال في هجائه له :

لمرك ما الجهم بن بدر بشاعر • وهذا على بعده يدعى الشعرا

ولكن أبى قد كان جاراً لأمه • فلما ادعى الأشعار أوهمنى أمرا

كان علي بن الجهم قد قدم الشام ثم عاد فأصدا العراق ، فلما جاوز حلب ثار عليه أناس من بني كلب قاتلهم فخرج جرحاً بليغاً فكان فيه حنفة ، فوجد في ثيابه رقعة مكتوب فيها :

يارحمنا اقريب بالبلد لنا • زح ماذا بنفسه صنما

فارق أحبابه فا انتفوا • بالعيش من بعده وما انتفما

كانت وفاته بهذا السبب في هذه السنة

﴿ ثم دخلت سنة خمسين ومائتين من الهجرة ﴾

فيها كان ظهور أبي الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، وأمه أم الحسين طاهرة بنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب . وذلك أنه أصابته فاقة شديدة فدخل سامرا فسال وصيفاً أن يجرى عليه رزقاً فأغلظ له القول . فرجع إلى أرض الكوفة فاجتمع عليه خلق من الأعراب ، وخرج إليه خلق من أهل الكوفة ، فنزل على الفلوجة وقد كثر الجمع معه ، فكتب محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق إلى عامله بالكوفة - وهو أبو أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان - يأمره بقتاله . ودخل يحيى ابن عمر قبل ذلك في طائفة من أصحابه إلى الكوفة فاحتوى على بيت مالها فلم يجد فيه سوى ألفي دينار وسبعين ألف درهم ، وظهر أمره بالكوفة وفتح السجنين وأطلق من فيها ، وأخرج نواب الخليفة منها وأخذ أموالهم واستحوذ عليها ، واستحكم أمره بها ، والتف عليه خلق من الزيدية وغيرهم ، ثم خرج من الكوفة إلى سوادها ثم كر راجعاً إليها ، فلقاه عبد الرحمن بن الخطاب الملقب وجه الفليس ، فقاتله قتالاً شديداً فانهزم وجه الفليس ودخل يحيى بن عمر الكوفة ودعا إلى الرضى من آل محمد ، وقوى أمره جداً ، وصار إليه جماعة كثيرة من أهل الكوفة ، وتولاه أهل بغداد من العامة وغيرهم عن ينسب إلى التشيع ، وأحبوه أكثر من كل من خرج قبله من أهل البيت ، وشرع في تحصيل السلاح وإعداد آلات الحرب وجمع الرجال . وقد هرب نائب الكوفة منها إلى طاهرها ، واجتمع إليه أعداد كثيرة من جهة الخليفة مع محمد بن عبد الله بن طاهر ، واستراحوا وجموا خيولهم ، فلما كان اليوم الثاني عشر من رجب أشار من أشار على يحيى بن عمر عن لا رأى له ، أن يركب ويناجز الحسين ابن إسماعيل ويكبس جيشه ، فركب في جيش كثير فيه خلق من الفرسان والمشاة أيضاً من عامة أهل الكوفة بنغير أسلحة ، فساروا إليهم فقتلوا قتالاً شديداً في ظلة آخر الليل ، فلما طلع الفجر إلا وقد انكشف أصحاب يحيى بن عمر ، وقد تقطر به فرسه ثم طعن في ظهره نحر أيضاً ، فآخوه وحزوا رأسه وحملوه إلى الأمير فبشوه إلى ابن طاهر فأرسله إلى الخليفة من البند مع رجل يقال له عمر بن الخطاب ، أخى عبد الرحمن بن الخطاب ، فنصب بإسارها ساعة من النهار ثم بث به إلى بغداد فنصب عند الجسر ، ولم يمكن نصبه من كثرة العامة فجعل في خزانة السلاح . ولما جرى برأس يحيى بن عمر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر دخل الناس يهنئونه بالفتح والظفر ، فدخل عليه أبو هاشم داود بن الميثم الجعفرى فقال له : أيها الأمير ! إنك لتهنى بقتل رجل لو كان رسول الله ﷺ حياً لعزى به ، فأرد عليه شيئاً ثم خرج أبو هاشم الجعفرى وهو يقول :

يا بني طاهر كلوه ويثاً • إن لحم النبي غير مرمى

إن وترا يكون طالبا لا * ٤ لوتر نجاحه بالحري

وكان الخليفة قد وجه أميراً إلى الحسين بن إسماعيل نائب الكوفة ، فلما قتل يحيى بن عمر دخلوا الكوفة فأراد ذلك الأمير أن يضع في أهلها السيف فتمه الحسين وأمن الأسود والأبيض ، وأطفا الله هذه الفتنة .

فلما كان رمضان من هذه السنة خرج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسين بن زيد ابن الحسن بن علي بن أبي طالب بناحية طبرستان ، وكان سبب خروجه أنه لما قتل يحيى بن عمر أقطع المستعين لمحمد بن عبد الله بن طاهر طائفة من أرض تلك الناحية ، فبعث كاتباً له يقال له جابر ابن هارون ، وكان نصرانياً ، ليقسم تلك الأراضي ، فلما انتهى إليهم كرهوا ذلك جداً وأرسلوا إلى الحسن بن زيد هذا فجاء إليهم فبايعوه والتف عليه جملة الديلم وجماعة الأمراء في تلك النواحي ، فركب فيهم ودخل آمل طبرستان وأخذها قهراً ، وجبى خراجها ، واستفحل أمره جداً ، ثم خرج منها طالباً لقتال سليمان بن عبد الله أمير تلك الناحية ، فالتقى هناك فكانت بينهما حروب ثم انهزم سليمان هزيمة منكرة ، وترك أهله وماله ولم يرجع دون جرجان . فدخل الحسن بن زيد سارية فأخذ ما فيها من الأموال والحواصل ، وسير أهل سليمان إليه مكربين على مراكب ، واجتمع لحسن بن زيد إمرة طبرستان بكاملها . ثم بعث إلى الرى فأخذها أيضاً وأخرج منها الطاهرية ، وصار إلى جند همدان ولما بلغ خبره المستعين - وكان مديبر ملكه يومئذ وصيف التركي - اغتم لذلك جداً واجتهد في بعث الجيوش والأمداد لقتال الحسن بن زيد هذا .

وفي يوم عرفة منها ظهر بالرى أحمد بن عيسى بن حسين الصغير بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، وإخريش بن موسى بن عبد الله بن موسى بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب فقبل بالناس يوم العيد أحمد بن عيسى هذا ودعا إلى الرضى من آل محمد ، فخار به محمد بن علي بن طاهر فهزمه أحمد بن عيسى هذا واستفحل أمره . وفيها وثب أهل حمص على عاملهم الفضل بن قارن فقتلوه في رجب ، فوجه المستعين إليهم موسى بن بشار الكبير فقتلوا بأرض الرستن فهزمهم وقتل جماعة من أهلها وأحرق أما كن كثيرة منها ، وأمر أشراف أهلها . وفيها وثبت الشاكرية والجندي أرض فارس على عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم فهرب منهم فأنهبوا داره وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن . وفيها غضب الخليفة على جعفر بن عبد الواحد ونفاه إلى البصرة . وفيها أسقطت مرتبة جماعة من الأمويين ^(١) في دار الخلافة . وفيها حج بالناس جعفر بن الفضل أمير مكة .

وفيها توفي من الأعيان أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح . والبرزى أحد القراء المشاهير .

(١) كنا . ولم نهتد إلى صوابه .

والخارث بن مسكين . وأبو حاتم السجستاني . وقد تقدم ذكره في التي قبلها . وغياذ بن يعقوب
الرواحي . وعمرو بن بحر الجاحظ صاحب الكلام والمصنفات . وكثير بن عبيد الحمصي . ونضر بن
علي الجهمي .

(ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين)

فيها اجتمع : أي المستمين وبنا الصغير . وصيف على قتل باغر التركي ، وكان من قواد الأمراء
الكبار الذين باثروا قتل المتوكل ، وقد اتسع إقطاعه وكثرت عماله ، قتل ونهبت دار كاتبه دليل بن
يعقوب النصراني ، ونهبت أمواله وحواصله ، وركب الخليفة في حراقة من سامرا إلى بغداد فاضطربت
الأمر بسبب خروجه ، وذلك في الحرم . قتل دار محمد بن عبد الله بن طاهر . وفيها وقعت فتنة شعاع
بين جند بغداد وجند سامرا ، ودعا أهل سامرا إلىبيعة المعتز ، واستقر أمر أهل بغداد على المستمين ،
وأخرج المعتز وأخوه المؤيد من السجن فباع أهل سامرا المعتز واستحوذ على حواصل بيت المال بها
فاذا بها خمسمائة ألف دينار ، وفي خزانة أم المستمين ألف ألف دينار ، وفي حواصل العباس بن
المستمين مائة ألف دينار ، واستفحل أمر المعتز بسامرا . وأمر المستمين لمحمد بن عبد الله بن طاهر
أن يحصن بغداد ويسلم في السورين والخندق ، وغرم على ذلك ثلثمائة ألف دينار وثلاثين ألف
دينار ، ووكل بكل باب أميرا يحفظه ، ونصب على السور خمسة مناجيق ، منها واحد كبير جدا ،
يقال له النضبان ، وست هراوات وأعدوا آلات الحرب والحصار والمد ، وقطعت القناطر من كل
ناحية لئلا يصل الجيش إليهم . وكتب المعتز إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يدعو إلى الدخول معه
في أمره ، ويذكره ما كان أخذه عليهم أبوه المتوكل من اليهود والمواثق ، من أنه ولي العهد بعده ،
فلم يلتفت إليه بل رد عليه واحتج بصحح بطول ذكرها . وكتب كل واحد من المستمين والمعتز إلى
موسى بن بشار الكبير وهو مقيم بأطراف الشام لحرب أهل حصن يدعو إلى نفسه ويحث إليه بألوية
يقدمها لمن اختار من أصحابه ، وكتب إليه المستمين يأمره بالمسير إليه إلى بغداد ويأمره أن يستنصب
في عمله ، فركب مسرعا فسار إلى سامرا فكان مع المعتز على المستمين . وكذلك حرب عبد الله بن بشار
الصغير من عند أبيه من بغداد إلى المعتز ، وكذلك غيره من الأمراء والأثراك . وعقد المعتز لأخيه
أبي أحمد بن المتوكل على حرب المستمين وجيزه جيشا قويا ، فسار في خمسة آلاف من الأثراك
وغيرهم نحو بغداد ، وصلى بكمرا يوم الجمعة ، ودعا لأخيه المعتز . ثم وصل إلى بغداد ليلة الأحد
لسبع خلون من صفر فاجتمعت الساكنة هناك ، وقد قال رجل يقال له بانفجاة كان في عسكر أبي
أحمد : — يا بني طاهر جنود الله • والموت بينها منشور

وجيوش أمامين أبو أحمد • لنعم المولى ونعم النصير

ثم جرت بينهما حروب طويلة وقصص موهلة جدا قد ذكرها ابن جرير مطولة ، ثم بحث المعتز

موسى بن ارشناس ثلاثة آلاف مدحاً لأخيه أبى أحمد فوصلوا ليلة بقيت من ربيع الأول فوقوا في الجانب الغربي عند باب قطر بل ، وأبو أحمد وأصحابه على باب الشامية ، والحرب مستعرة والقتال كثير جداً ، والقتل واقع . قال ابن جرير : وذكر أن المعتز كتب إلى أخيه أبى أحمد يلومه على التقصير في قتال أهل بغداد فكتب إليه أبو أحمد :

لأمر المنايا علينا طريق • وللهر فينا اتساع وضيق
وألمنا عبر للأتام • فيها البكور ومنها الطروق
ومنها هنات تشيب الوليد • ويخفل فيها الصديق الصديق
وسور عريض له خروء • هتوت العيون وبجر عميق
قتال مبيد وسيف عتيد • وخوف شديد وحسن وثيق
وطول صياح لداعي الصباح • سلاح السلاح فما يستفيق
فهذا طريق وهذا جريح • وهذا حريق وهذا خريق
وهذا قتيل وهذا تلليل • وآخر يشدخ المنجنيق
هناك اغتصاب وتم انتهاب • ودور خراب وكانت تروق
إذا ما حمونا إلى مسلك • وجدناه قد سدعنا الطريق
فبالله نبليح ما نرتجيه • وبالله ندفع ما لا نطيق

قال ابن جرير : هذا الشعر ينشد لى بن أمية في فتنة الخويع والمأمون ، وقد استمرت الفتنة والقتال ببغداد بين أبى أحمد أخى المعتز وبين محمد بن عبد الله بن طاهر نائب المستعين ، والبلد محصور وأهل في ضيق شديد جداً ، بقية شهور هذه السنة ، وقتل من الفريقين خلق كثير في وفات متعددت ، وأيام نحسات ، فتارة يظهر أصحاب أبى أحمد ويأخون بعض الأبواب فتحمل عليهم الطاهرة فيزيحونهم عنها ، ويقتلون منهم خلقاً ثم يترجعون إلى مواقعهم ويصبرونهم مصابة عظيمة . لكن أهل بغداد كلام إلى ضعف بسبب قلة الميرة والجلب إلى داخل البلد ، ثم شاع بين العامة أن محمد بن عبد الله بن طاهر يريد أن يخلع المستعين ويبيع للمعتز ، وذلك في أواخر السنة ، فتصل من ذلك واعتذر إلى الخليفة وإلى العامة : وحلف بالأيمان الغليظة فلم تبرأ ساحتهم من ذلك حتى البراءة عند العامة ، واجتمعت العامة والتروغاة إلى دار ابن طاهر والخليفة فأزل بها ، فسأوا أن يبرز لهم الخليفة ليروه ويسأوه عن ابن طاهر أهواض عنه أم لا . وما زالت الضجة والأصوات مرتفعة حتى يبرز لهم الخليفة من فوق المكان الذى هم فيه وعليه السواد ومن فوق البردة النبوية ويدهم القضيبي ، وقال لهم فيها خاطبهم به : أقسمت عليكم بحق صاحب هذه البردة والقضيبي لما رجعت إلى منازلكم

ورضيت عن ابن طاهر فانه غير منهم لدى . فسكت النغواء ورجعوا إلى منازلهم ، ثم اتقل الخليفة من دار ابن طاهر إلى دار رزق الخادم ، وذلك في أوائل ذى الحجة ، وصلى بهم العيد يوم الأضحية في الجزيرة التي بجده دار ابن طاهر ، وبرز الخليفة يومئذ للناس وبين يديه الحربة وعليه البردة ويده القضيبة وكان يوماً مشهوداً ينفد على ما بأهلها من الحصار والغلاء بالأسعار ، وقد اجتمع على الناس الخوف والجوع المترجمان لباس الطوع والخوف^(١) نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة . ولما فلقم الأمر واشتد الحال وضاق المجال وجاع العيال وجهد الرجال ، جعل ابن طاهر يظهر ما كان كتماناً في نفسه من خلع المستبين ، لجعل يمرض له في ذلك ولا يصرح ، ثم كاشفه به وأظهره له وناظره فيه وقال له : إن المصاحبة تقتضي أن تصالح عن الخلافة على مال تأخذه سلفاً وتمجيلاً ، وأن يكون لك من الخراج في كل عام ما تختاره وتحتاجه ، ولم يزل يقتل في القدرة والغارب حتى أجاب إلى ذلك وأثاب . فكتب فيها أشرطه المستبين في خلع نفسه من الخلافة كتاباً ، فلما كان يوم السبت لعشر بقين من ذى الحجة ركب عبد بن محمد بن طاهر إلى الرصافة وجع التضاة والفقهاء وأدخلهم على المستبين فوجاً فوجاً يشهدون عليه أنه قد صير أمره إلى عبد بن محمد بن طاهر ، وكذلك جماعة الحجاب والخدم ، ثم سلم منه جوهر الخلافة ، وأقام عند المستبين إلى هوى من الليل . وأصبح الناس يذكر أن ويتنوعون فيها يقولون من الأراجيف . وأما ابن طاهر فانه أرسل بالكتاب مع جماعة من الأمراء إلى المنز بسامرا ، فلما قدموا عليه بذلك أكرمهم وخلع عليهم وأجازهم فأنتى جوائزهم . وسيأتي ما كان من أمره أول السنة الفارسة .

وفيها كان ظهور رجل من أهل البيت أيضاً بأرض قزوین وزنجیان في ربيع الأول منها ، وهو الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويعرف بالكوكبي . وسيأتي ما كان من أمره هناك . وفيها خرج إسماعيل بن يوسف العلوي ، وهو ابن أخت موسى بن عبيد الله الحسنی ، وسيأتي ما كان من أمره أيضاً . وفيها خرج الكوفة أيضاً رجل من الطالبين وهو الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن حسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فوجه إليه المستبين مزاحم بن خاقان فقتلاه فزعم العلوي وقتل من أصحابه بشر كثير . ولما دخل مزاحم الكوفة حرق بها ألف دار ونهب أموال الذين خرجوا معه ، وباع بعض جواري الحسين بن محمد هذا ، وكانت مستقة .

وفيها ظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، بكه فهرب منه فأتىها جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى ، فأنهب منزله ومنزل أصحابه وقتل جماعة من الجند وغيرهم من أهل مكة ، وأخذ ما في الكعبة من الذهب والفضة والطيب وكسوة

(١) كذا ولعل فيه تحريفاً .

الكعبة ، وأخذ من الناس نحواً من مائتي ألف دينار ، ثم خرج إلى المدينة النبوية فهرب منه فألقها أيضاً على بن الحسين بن علي بن إسماعيل ، ثم رجع إسماعيل بن يوسف إلى مكة في رجب فحصر أهلها حتى هلكوا جوعاً وعطشاً فبيع الخبز ثلاث أواق بدرهم ، والقمح الرطل بأربعة ، وشربة الماء بثلاثة دراهم ، ولقي منه أهل مكة كل بلاء ، فترحل عنهم إلى جدة - بعد مقامه عليهم منبئة وخسين يوماً - فانهب أموال التجار هناك وأخذ المراكب وقطع الميرة عن أهل مكة ثم عاد إلى مكة لأجزاء الله خيراً عن المسلمين . فلما كان يوم عرفة لم يمكن الناس من الوقوف نهراً ولا ليلاً ، وقتل من الحجاج ألفاً ومائة ، وسلمهم أموالهم ولم يقف بمرقة طمئنة سواء ومن معه من الحرامية ، لانهب الله منهم صرفاً ولا عدلاً . وفيها وهن أمر الخلافة جداً . وفيها توفي من الأعيان إسحاق بن منصور الكوننج وحيد بن زنجويه . وعمر بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصي . وأبو البقي هشام بن عبد الملك البزني

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وخسين ومائتين ﴾

« ذكر خلافة المعتز بالله بن المتوكل على الله بعد خلع المستعين نفسه »

استهلت هذه السنة وقد استقرت الخلافة باسم أبي عبد الله محمد المعتز بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، وقيل إن اسم المعتز أحمد ، وقيل الزبير ، وهو الذي عول عليه ابن عساكر وترجمه في تاريخه . فلما خلع المستعين نفسه من الخلافة وبايع للمعتز دعا الخطباء يوم الجمعة رابع الحرم من هذه السنة يجوامع بغداد على المنابر للخليفة المعتز بالله ، وانتقل المستعين من الرصافة إلى قصر الحسن بن سهل هو وعياله وولده وجواريه ، ووكل بهم سعيد بن رجاء في جماعة معه ، وأخذ من المستعين البردة والقضيب والخاتم ، وبعث بذلك إلى المعتز ثم أرسل إليه المعتز يطلب منه خاتمين من جوهر ثمين عنده يقال لأحدهما برج وللآخر جبل . فأرسلهما . وطلب المستعين أن يسير إلى مكة فلم يمكن ، فطلب البصرة فقبل له لإنها وبيتة . فقال إن ترك الخلافة أو بأ منها . ثم أذن له في السير إلى واسط فخرج معه حرس يوصلونه إليها فحمن أربعمائة . واستوزر المعتز أحمد بن أبي إسرائيل وخلع عليه وألبسه ثياباً على رأسه . ولما تمهد أمر بغداد واستقرت البيعة للمعتز بها ودان له أهلها وقدمتها الميرة من كل جانب ، واتسع الناس في الأرزاق والأطمعة ، ركب أبو أحمد منها في يوم السبت لثنتي عشرة ليلة من الحرم إلى سامرا وشيخه ابن طاهر في وجوه الأمراء ، ففزع أبو أحمد حتى ابن طاهر خمس خلع وسيفاً ودهن الطريق إلى بغداد . وقد ذكر ابن جرير مدائح الشعراء في المعتز وتشفيهم بخلع المستعين ، فأكثر من ذلك جداً ، فن ذلك قول محمد بن مروان بن أبي الجنوب ابن مروان في مدح المعتز وخم المستعين كما جرت به عادة الشعراء :

إن الأمور إلى المعتز قد رجعت * والمستعين إلى حالته رجعا

وكان يعلم أن الملك ليس له • وأنه لك لكن خسة خدما
ومالك الملك مؤتبه وقازعه • آتاك ملكا ومنه الملك قد نرتا
إن اغلالة كانت لا تلائمه • كانت كذات حليل زوجتهما
ما كان أقبح عند الناس ييمته • وكان أحسن قول الناس قد خلما
ليت السفين إلى قاف دفن به • فضى الفداء للملاح به دفنا
كم ساس قبلك أمر الناس من ملك • لو كن حُمل ما حُملت ظُلما
أمسى بك الناس بعد الضيق في سمة • والله يحمل بعد الضيق متسما
والله يدفع عنك السوء من ملك • فانه بك عنا السوء قد دفنا

وكتب المعتز من ساريا إلى نائب بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر أن يسقط اسم وصيف وبنوا من
كان في ريمهما في الدواوين وعزم على قتلها، ثم استرضى عنهما فرضى عنهما. وفي رجب من هذه السنة
خلع المعتز أخاه إبراهيم الملقب بالمويد من ولاية العهد وحبسه، وأخاه أبا أحمد، بعدما ضرب المويد
أربعين مفرقة. ولما كان يوم الجمعة خطب بخلعه وأمره أن يكتب كتابا على نفسه بذلك، وكانت وفاته
بعد ذلك بخمسة عشر يوما، فقبل إنه أدرج في لحاف ممور وأمسك طرفه حتى مات غما، وقيل بل
ضرب بمجاجة من تلج حتى مات برداً وبعد ذلك أخرج من السجن ولا أثر به فأحضر القضاة
والأعيان فشهدوا على موته من غير سبب ولا أثر، ثم حمل على حمار ومعه كئنه إلى أمه فدفنته.

﴿ ذكر مقتل المستمين ﴾

في شوال منها كتب المعتز إلى نائبه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمره بتجهيز جيش نحو المستمين
فجهز أحمد بن طولون التركي فوافاه فأخرجه لست بقين من رمضان فقدم به القاطول لثلاث مضين
من شوال ثم قتل، فقبل ضرب حتى مات، وقيل بل غرق في دجيل، وقيل بل ضربت عنقه. وقد
ذكر ابن جرير أن المستمين سأل من سعيد بن صالح التركي حين أراد قتله أن يمهله حتى يصل
ركبتين، فأمله، فلما كان في السجدة الأخيرة قتله وهو ساجد، ودفن جثته في مكان صلاته،
وخفي أثره وحمل رأسه إلى المعتز فدخل به عليه وهو يلعب بالشرنج، فقبل هذا رأس الخلع.
قتل: ضوه حتى أفرغ من الحسنة. فلما فرغ نظر إليه وأمر بدفنه، ثم أمر سعيد بن صالح الذي
قتله بخمسين ألف درهم، وولاه موقعة البصرة. وفيها مات إسماعيل بن يوسف العلوي الذي قتل
بمكة: ما قبل كما تقدم من إخلاده في الحرم، فأهلكه الله في هذه السنة عاجلا ولم ينظره. وفيها مات
أحمد بن محمد المعتصم وهو المستمين بالله كما تقدم. وإسحاق بن بهلول، وزيد بن أيوب ومحمد
ابن بشار. وغندر. وموسى بن المنثري الزين. ويعقوب بن إبراهيم الدورقي.

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين ﴾

في رجب منها عقد المعتز لموسى بن بشار الكبير على جيش قريب من أربعة آلاف لينهبوا إلى قتال عبد العزيز بن أبي دلف بناحية همدان ، لأنه خرج عن الطاعة وهو في نحو من عشرين ألفاً بناحية همدان ، فهزموا عبد العزيز في أواخر هذه السنة هزيمة فظيمة ، ثم كانت بينهما وقعة أخرى في رمضان عند الكرج فهزم عبد العزيز أيضاً وقتل من أصحابه بشر كثير ، وأسروا ذراري كثيرة حتى أسروا أم عبد العزيز أيضاً ، وبعثوا إلى المعتز سبعين رجلاً من الرؤس وأعلاماً كثيرة ، وأخذ من عبد العزيز ما كان استحوذ عليه من البلاد . وفي رمضان منها خلع على بشار الشراي وألبسه التاج والوشاحين . وفي يوم عيد الفطر كانت وقعة هائلة عند مكان يقال له البوازيج ، وذلك أن رجلاً يقال له بندار الطبري في ثلاثمائة من أصحابه ، فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل من انطوارج نحو من خمسين ، وقتل من أصحاب بندار مائتان وقيل وخمسون رجلاً . وقتل بندار فيمن قتل رحمه الله . ثم صعد مساور إلى حلوان فقاتله أهلها وأعانهم حجاج أهل خراسان فقتل مساور منهم نحواً من أربعة مائة فبعضه الله . وقتل من جماعته كثيرون أيضاً . وثلاث بقين من شوال قتل وصيف التركي وأرادت العامة نهب داره في سامرا ودور أولاده فلم يمكنهم ذلك ، وجعل الخليفة ما كان إليه إلى بشار الشراي . وفي ليلة أربع عشرة من ذي القعدة من هذه السنة خسف القمر حتى غلب أكثره وغرق نوره ، وعند انتهاء خسوفه ملت محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق ببغداد . وكانت علته قروحاً في رأسه وحلقه فنبهته ، ولما أتى به ليصلى عليه اختلف أخوه عبيد الله وابنه طاهر وتنازعا الصلاة عليه حتى جذبت السيوف وتراعى الناس بالحجارة ، وصاحت الغوزاء بإطهاريا منصور : قال عبيد الله ليلى الشرقية ومعه القواد وأكابر الناس ، فدخل داره وصلى عليه ابنه وكان أبوه قد أوصى إليه . وحين بلغ المعتز ما وقع بشار بالخلع والولاية إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فأطلق عبيد الله لئلا يقدّم بالخلع خمسين ألف درهم . وفيها نفى المعتز أخاه أبا أحمد من سر من رأى إلى واسط ، ثم إلى البصرة . ثم رد إلى بغداد أيضاً . وفي يوم الاثنين منها سلخ ذي القعدة التقى موسى بن بشار الكبير والحسين بن أحمد الكوكبي الطالبي الذي خرج في سنة إحدى وخمسين عند قزوين فاقتتلا قتالاً شديداً ، ثم هزم الكوكبي وأخذ موسى قزوين وهرب الكوكبي إلى الديلم . وذكر ابن جرير عن بعض من حضر هذه الوقعة أن الكوكبي حين التقى أمر أصحابه أن يترسوا بالحجف . وكانت السهم لا تعمل فيهم . فأمر موسى بن بشار أصحابه عند ذلك أن يطرحوا ما معهم من النفط ثم حاولهم وأروم أنهم قد انهزموا منهم ، فقبضهم أصحاب الكوكبي ، فلما توسعوا الأرض التي فيها النفط أمر عند ذلك

بالتقاء النار فيه فجعل النفط يحرق أصحاب الكوكبي ففروا سراعا هارين ، وكر عليهم موسى وأصحابه
فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وهرب الكوكبي إلى الديلم ، وتسلم موسى قزوين . وفيها حج بالناس عبد الله
ابن محمد بن سليمان الزيني .

وفيها توفي من الأعيان أبو الأشعث . وأحمد بن سعيد الداربي . و

(سرى السقطي)

أحد كبار مشايخ الصوفية . تلميذ معروف الكرخي . حدث عن هشيم وأبي بكر بن عياش وعلى
ابن عراب ويحيى بن بيان وزيد بن هارون وغيرهم . وعنه ابن أخته الجنيد بن محمد . وأبو الحسن
الزوري ومحمد بن الفضل بن جابر السقطي وجماعة . وكانت له دكان يتجر فيها فترت به جارية قد انكسر
إتمام كان معها تشتري فيه شيئا لسلاتها ، فجعلت تبكي فأعطاها سرى شيئا تشتري بدله ، فنظر
مرووف إليه وما صنع بتلك الجارية فقال له : بنض الله إليك الدنيا فوجد الزهد من يومه . وقال
سرى : مررت في يوم عيد فاذا مرووف ومعه صغير شعث الحال قتلت : ما هذا ؟ فقال : هنا كان
واقفا عند صبيان يلعبون بالجووز وهو مفكر ، قتلت له : مالك لا تلعب كاي لمبوس ؟ فقال : أنا يتيم
ولا شيء مني أشتري به جووزاً ألعب به . فأخذته لأجمع له نوى يشتري به جووزاً يفرح به .
قتلت ألا أكسوه وأعطيه شيئا يشتري به جووزاً ؟ فقال أو فضل ؟ قتلت : نعم . فقال خذ أخفى الله
قلبك . قال سرى : فصبرت عندي الدنيا حتى لمسي أقل شيء . وكان عنده مرة لوز فساومه رجل
على الكر بثلاثة وستين دينارا ، ثم ذهب الرجل فاذا اللوز يساوي الكر تسعين دينارا فقال له :
إني أشتري منك الكر بتسعين دينارا . فقال له إني إنما ساومتك بثلاثة وستين دينارا وإني لا أبيع
إلا بذلك ، فقال الرجل : أنا أشتري منك بتسعين دينارا . فقال لا أبيعك هو إلا بما ساومتك عليه .
فقال له الرجل : إن من النصيح أن لا أشتري منك إلا بتسعين دينارا . وذهب فلم يشتري منه .
وجاءت امرأة يوما إلى سرى فقالت : إن ابني قد أخذته الحرس وإني أحب أن تبعث إلى صاحب
الشرطة لتلا يضرب ، فقام فصلى فطول الصلاة وجعلت المرأة تحرق في نفسها ، فلما انصرف من
الصلاة قالت المرأة : الله الله في ولدي . فقال لها : إني إنما كنت في حاجتك . فإرام مجلسه الذي صلى فيه
حتى جاءت امرأة إلى تلك المرأة فقالت لها : ابشري قد أطلق ولدا وهما هوى المنزل . فانصرفت
إليه . وقال سرى : أشتني أن أكل أكلة ليس لله فيها على تبة ، ولا لأحد على فيها منه . فإأجد
إني ذلك سبيلا . وفي رواية عنه أنه قال : إني لأشتني البقل من ثلاثين سنة فأقدر عليه . وقال :
أحترق سوقنا فقصصت المكان الذي فيه دكاني فتلقاني رجل فقال : ابشر فإن دكانك قد سلت .
فقلت : الحمد لله . ثم ذكرت ذلك للتحسين إذ حدث الله على سلامة دنياي وإني لم أواس الناس فيها

ثم فيه ، فأنا أستغفر الله منذ ثلاثين سنة . رواها الخطيب عنه . وقال : صليت وردى ذات ليلة ثم
مددت رجلى فى الحراب فتوديت : يا سرى هكذا تجالس الملوكة ؟ قال فضممت رجلى وقلت :
وعزتك لا مددت رجلى أبداً . وقال الجنيد : ما رأيت أعبد من سرى السقطى . أمت عليه ثمان
وتسعون سنة ما روى مضطجماً إلا فى علة الموت . وروى الخطيب عن أبى نعيم عن جعفر الخلالى
عن الجنيد قال : دخلت عليه أعوده فقلت : كيف تهيك ؟ قال :

كيف أشكو إلى طبيي ما بى * والذى أصابنى من طبيي
قال : فأخذت المروحة لأروح عليه فقال : كيف يجد روح المروحة من جوفه يمحرق من
داخل ؟ ثم أنشأ يقول :

القلب محترق والدمع مستبق * والكرب مجتمع والصبر مقترق
كيف القرار على من لا قرار له * بماجنه الهوى والشوق والقلق
يارب إن كان شئ لى به فرج * فامن على به مادام بى رفق

قال فقلت له : أوصنى ، قال : لا تصحب الأشرار ، ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأبرار الأخيار .
وقد ذكر الخطيب وفاته يوم الثلاثاء لست خلون من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين بعد أذان
الفجر ، ودفن بعد العصر بمقبرة الشويبرى ، وقبره ظاهر معروف ، وإلى جنبه قبر الجنيد .
وروى عن أبى عبيدة بن حروبة قال : رأيت سرياً فى المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال غفرلى
ولكل من شهد جنازتى . قلت : فأتى من حضر جنازتك وصلى عليك . قال : فأخرج درجاً فنظر فيه
فلم يرفه اسمى ، فقلت : بلى لقد حضرت فإذا اسمى فى الحاشية . وحكى ابن خلكان قولاً أن سرياً
توفى سنة إحدى وخمسين ، وقيل سنة ست وخمسين فله أعلم . قال ابن خلكان : وكان السرى ينشد
كثيراً :

ولما ادعيت الحب قالت كذبتى * فإلى أرى الأعضاء منك كواسيا
فلاحب حتى يلصق الجلد بالمشى * وتدخل حتى لا تحيب المناذيا

(ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين)

فيها أمر الخليفة المعتز بقتل بنا الشرايى ونصب رأسه بسامرا ثم ينفذ وحرقت جثته وأخذت
أمواله وحواصله . وفيها ولى الخليفة أحمد بن طولون الديار المصرية ، وهو باني الجامع المشهور بها .
وحج بالناس فيها على بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد . وتوفى فيها من الأعيان زياد بن
أيوب الحسينى . وعلى بن محمد بن موسى الرضى ، يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة
ببغداد . وصلى عليه أبو أحمد المتوكل فى الشارع المنسوب إلى أبى أحمد . ودفن بداره ببغداد .
ومحمد بن عبد الله المحرمى . وموهل بن إلهب .

﴿وأما أبو الحسن علي الهادي﴾

[فهو] ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب أحد الأئمة الاثني عشرية ، وهو والد الحسن ابن علي العسكري المنتظر عند الفرقة الضالة الجاهلة الكاذبة الخاطئة . وقد كان عابداً زاهداً قله المتوكل إلى سامرا فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر . ومات بها في هذه السنة . وقد ذكر للمتوكل أن بمنزله سلاحاً وكتباً كثيرة من الناس ، فبعث كبسة فوجدوه جالساً مستقبل القبلة وعليه مدرعة من صوف وهو على التراب ليس دونه حائل ، فأخذوه كذلك فحملوه إلى المتوكل وهو على شرابه ، فلما مثل بين يديه أجله وأعظمه وأجلسه إلى جانبه وناولوه الكأس الذي في يده فقال : يا أمير المؤمنين لم يدخل باطلي ولم يخاطب لي ودعي قط ، فاعفني منه . فأعفاه ثم قال له : أنشدني شعراً فأنتشه : -

باتوا على قلل الاجبال فحرسهم • غلب الرجال فأنهتهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن مقامهم • فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
نادى بهم صارخ من بعد ما قبروا • أين الأسرة والتبجان والحلل
أبن الوجوه التي كانت منعمة • من دونها تضرب الاستار والحلل
فأنفصح القبر عنهم حين سامهم • تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طام ما أكلوا دهرها وما لبسوا • فأصبحوا بمدلول الأكل قدأكلوا

قال : فبكي المتوكل حتى بل الثرى ، وبكى من حوله بمحضته ، وأمر برفع الشراب وأمر له بأربعة آلاف دينار ، وتخلل منه وده إلى منزله مكرماً رحمه الله .

﴿ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين﴾

فيها كانت وقعة بين مغلح وبين الحسن بن زيد الطالبي فهزمه مغلح ودخل آمل طبرستان وحرق منازل الحسن بن زيد ثم سار وراءه إلى الديلم . وفيها كانت محاربة شديدة بين يعقوب بن الليث وبين علي بن الحسين بن قريش بن شبل ، فبعث علي بن الحسين رجلاً من جهته يقال له طوق بن المغلس ، فصابره أكثر من شهر ثم ظفر يعقوب بطوق فأمره فأمره فاجابه ، ثم سار إلى علي ابن الحسين هنا فأمره وأخذ بلاده - وهي كرمان - فأضافها إلى ما بيده من مملكة خراسان سمجستان : ثم بعث يعقوب بن الليث بهدية سنية إلى المعتز : دواب وإزات ودياب فاخرة . وفيها ولي الخليفة سليمان بن عبد الله بن طاهر نيابة بغداد والسواد في ربيع الأول منها . وفيها أخذ صالح ابن وصيف أحمد بن إسرائيل كاتب المعتز والحسن بن محمد كاتب ببيعة أم المعتز وأبا نوح عيسى

ابن إبراهيم ، وكانوا قدما لواهل أكل بيت المال ، وكانوا دواوين وغيرهم ، فضر بهم وأخذ خطوطهم بأموال جزيلة يمولونها ، وذلك بشير رضى من المتزى الباطن واحتيط على أموالهم وحواصلهم وضياهم ونحو الكتاب الخوة وولى الخليفة عن قهر غيرهم .

وفى رجب منها ظهر عيسى بن جعفر وعلى بن زيد الحسنيين بالكوفة وقتل بها عبد الله بن محمد بن دواد بن عيسى واستفحل أمرهما .

﴿ موت الخليفة المتزى المتوكل ﴾

ولثلاث بقين من رجب من هذه السنة خلع الخليفة المتزى بالله ، ولليكتين مضتا من شعبان أظهر موته . وكان سبب خله أن الجند اجتمعوا فطلبوا منه أرزاقهم فلم يكن عنده ما يطعمهم ، فسأل من أن تقرضه مالا يدفعهم عنه به فلم تقطع . وأظهرت أنه لا شئ عندها ، فاجتمع الأتراك على خله فأرسلوا إليه ليخرج إليهم فاعتذر بأنه قد شرب دواء وأن عنده ضعفاً ، ولكن ليسخل إلى بعضكم . فنخل إليه بعض الأمراء فتناولوه بالدايايس يضربونه وجروا برجله وأخرجوه وعليه قميص محرق ملطخ بالدم ، فأقاموه في وسط دار الخلافة في حر شديد حتى جعل يراوح بين رجلية من شدة الحر ، وجعل بعضهم يلطمه وهو يبكي ويقول له الضارب اخذها والناس مجتمعون ثم أدخلوه حجرة مضيقاً عليه فيها . وما زالوا عليه بأنواع المذاب حتى خلع نفسه من الخلافة وولى بعده المهتدى بالله كما سبأني . ثم سلوه إلى من يسومه سوء المذاب بأنواع المثلثات ، ومنع من الطعام والشراب ثلاثة أيام حتى جعل يطلب شربة من ماء البئر فلم يسق ، ثم أدخلوه سراً فيه حصص جبر ففسده فيه فأصبح ميتاً ، فاستلوه من الحصص سليم الجسد وأشهدوا عليه جماعة من الأعيان أنه مات وليس به أثر ، وكان ذلك في اليوم الثاني من شعبان من هذه السنة ، وكان يوم السبت ، وصلى عليه المهتدى بالله ، ودفن مع أخيه المنتصر إلى جانب قصر الصوامع ، عن أربع وعشرين سنة . وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً وكان طويلاً جسيماً وسبياً أقوى الأنف مدور الوجه حسن الضحك أبيض أسود الشعر مجعده ، كثيف اللحية حسن العينين ضيق الحاجبين أحمر الوجه وقد أنفى عليه الامام أحمد في جودة فنهه وحسن فنهه وأدبه حين دخل عليه في حياة أبيه المتوكل ، كما قد سننا في ترجمة أحمد . وروى الخطيب عن علي بن حرب قال : دخلت على المتزى فأرأيت خليفة أحسن وجهاً منه ، فلما رأيته سجدت . فقال : يا شيخ تسجد لخير الله ؟ قلت : حدثنا أبو حاتم الضحاك بن محمد النبيل ثنا بكار بن عبد المزي بن أبي بكرة عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى ما يفرح به أو يشرب بما يسره سجد شكرًا لله عز وجل . وقال الزبير ابن بكار : سرت إلى المتزى وهو أمير فلما سمع بقدمي خرج مستعجلاً إلى فناء فأنشأ يقول : —

يموت الفتي من عثرة بلسانه • وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعرثته من فيه ترمى برأسه • وعرثته في الرجل تبرا على مهل
وذكر ابن عساكر أن المعتز لما حقق القرآن في حياة أبيه المتوكل اجتمع أبوه والأمراء لذلك
وكنذك الكبراء والرؤساء بسمر رأى ، واختلفوا لذلك أياماً عديدة ، وجرت أحوال عظيمة . ولما
جلس وهو صبي على المنبر وسلم على أبيه بالخلافة ، وخطب الناس نثرت الجواهر والذهب والديارم
على الخواص والعوام بدار الخلافة ، وكان قيمة ما نثر من الجواهر يساوي مائة ألف دينار ، وسملها
ذهباً ، وألف ألف درهم غير ما كان من خلع وأسمطة وأقشة مما يفوت الحصر ، وكان وقتاً مشهوداً
لم يكن سروراً بدار الخلافة أبهج منه ولا أحسن . وخلع الخليفة على أم ولده المعتز قبيصة خلعة
سنية ، وأعطاهما وأجرل لها المطاء ، وكنذك خلع على مؤدب ولده وهو محمد بن همران ، أعطاه من
الجواهر والذهب والفضة والقماش شيئاً كثيراً جداً والله سبحانه وتعالى أعلم .

(ذكر خلافة المهتدي بالله)

أبى محمد عبد الله محمد بن الواثق بن المعتصم بن هارون ، كانت يبعثه يوم الأربعاء ليلة بقيت من
رجب من هذه السنة بعد خلع المعتز نفسه بين يديه وإشهاده عليه بأنه عاجز عن القيام بها ، وأنه قد
رغب إلى من يقوم بأعبائها . وهو محمد بن الواثق بالله ، ثم مد يده فبايعه قبل الناس كلهم ، ثم بايعه
الخاصة ثم كانت بيعة العامة على المنبر ، وكتب على المعتز كتاباً أشهد فيه بالخلع والعجز والمبايعة
للمهتدي . وفي آخر رجب وقعت في بغداد فتنة هائلة ، وثبت فيها العامة على نائبها سليمان بن عبد الله
ابن طاهر ودعوا إلى بيعة أحمد بن المتوكل أخى المعتز ، وذلك لعدم علم أهل بغداد بما وقع بساخرها من
بيعة المهتدي ، وقتل من أهل بغداد وفرق منهم خلق كثير ، ثم لما بلغهم بيعة المهتدي سكنوا ،
وإنما بلغتهم في سابع شعبان . فاستقرت الأمور واستقر المهتدي في الخلافة . وفي رمضان من هذه
السنة ظهر عند قبيصة أم المعتز أموال عظيمة ، وجواهر نفيسة . كان من جملة ذلك ما يقارب ألفي ألف
دينار ، ومن الزمرد الذي لم ير مثله مقدار مكوك ، ومن الحب الكبير مكوك ، وكيلجة يا قوت أحر عمالم
بر مثله أيضاً . وقد كان الأمراء يطلبوا من ابنها المعتز خمسين ألف دينار تصرف في أرزاقهم وضمنوا له
أن يقتلوا صالح بن وصيف فلم يكن عنده من ذلك شيء ، فطلب من أمه قبيصة هذه قبضها الله فامتنت
أن تقرضه ذلك ، فأظهرت الفقر والشح : وأنه لا شيء عندها . ثم لما قتل ابنها وكان ما كان ، ظهر
عندها من الأموال ما ذكرنا . وكان عندها من الذهب والفضة والآنية شيء كثير ، وقد كان لها من
الثلاث في كل سنة ما يندل عشرة آلاف ألف دينار ، وقد كانت قبل ذلك مخفية عند صالح بن
وصيف عدو ولدها ، ثم تزوجت به وكانت تدعو عليه تقول : اللهم اخذ صالح بن وصيف كما هلك سري

وقتل ولدي ويهدد شعلي وأخذ مالى وغربنى عن بلدى وركب الفاحشة منى . ثم استقرت الخلافة باسم المهتدى بالله . وكانت بحمد الله خلافة صالحة . قال يوماً للأمرءاء : إني ليست لى أم لها من الغلات ما يقارم عشرة آلاف دينار ، ولست أريد إلا القوت فقط لا أريد فضلاً على ذلك إلا لاختوى ، فانهم مستهم الحاجة .

وفى يوم الخميس لثلاث بقين من رمضان أمر صالح بن وصيف بضرب أحمد بن إسرائيل الذى كان وزيراً ، وأبى نوح عيسى بن إبراهيم الذى كان نصرانياً فأظهر الاسلام ، وكان كاتب قبيلة ، فضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط بعد استخلاص أموالهما ثم طيف بهما على بقلبن منكسين فثما وهما كذلك ، ولم يكن ذلك من رضى المهتدى ولكنه ضيف لا يقدر على الإنكار على صالح بن وصيف فى هادئ الأمر . وفى رمضان فى هذه السنة وقعت فتنة ببغداد أيضاً بين محمد بن أوس ومن تبعه من الشاكزية والجنند وغيرهم ، وبين العملة والرعاع ، فاجتمع من العملة نحو من مائة ألف وكان بين الناس قتال بالنبال والرمح والسوط ، وقتل خلق كثير ثم انهزم محمد بن أوس وأصحابه فهبت العامة ما وجدوا من أمواله ، وهو ما يبادل ألفى أو نحو ذلك . ثم اتفق الحال على إخراج محمد بن أوس من بغداد إلى أين أراد . فخرج منها خائفاً طريداً ، وذلك لأنه لم يكن عند الناس مرضى السيرة بل كان جباراً عنيداً ، وشيطاناً مريداً ، وفاسقاً شديداً ، وأمر الخليفة بأن ينفى القيان والمغنون من سامرا ، وأمر بقتل السباع والتمور التى فى دار السلطان ، وقتل الكلاب الممدة قصيد أيضاً . وأمر بإبطال الملاهى ورد المظالم وأن يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وجلس للعمامة . وكانت ولايته فى الدنيا كلها من أرض الشام وغيرها مفرقة . ثم استدعى الخليفة موسى بن بقاء الكبير إلى قصرته لينتوى به على من عنده من الأتراك ولتجتمع كلمة الخلافة ، فاعتذر إليه من استدعائه بما هو فيه من الجهاد فى تلك البلاد .

✽ ذكر خارجى آخر ادعى أنه من أهل البيت بالبصرة ✽

فى النصف من شوال ظهر رجل بظاهر البصرة زعم أنه على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، ولم يكن صادقاً وإنما كان عسيفاً - يعنى أجبراً - من عبد القيس ، واسمه على بن محمد بن عبد الرحيم ، وأمه قرة بنت على بن رحيب من محمد بن حكيم من بنى أسد بن خزيمية ، وأصله من قرية من قرى الرى . قال ابن جرير . قال : وقد خرج أيضاً فى سنة تسع وأربعين ومائتين بالنجد بن فادعى أنه على بن محمد بن الفضل بن الحسين بن عبد الله بن عباس بن على بن أبى طالب ، فدعا الناس بهجر إلى طاعته فاتبه جماعة من أهل حجر ، ووقع بسببه قتال كثير وقتل كبار ، وحروب كثيرة ، ولما خرج خرجته هذه الثانية بظاهر البصرة التفت عليه

خلق من الزنج الذين كانوا يكسحون السبخ ، فمهر بهم حجلة قتول الفرياري ، وكان يزعم لبعض من معه أنه يحيى بن عمر أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة ، وكان يدعى أنه يحفظ سوراً من القرآن في ساعة واحدة جرى بها لسانه لا يحفظها غيره في مدة دهر طويل ، وهن سبعمائة والكهف وص وعم . وزعم أنه فكروماً وهو في البادية إلى أي بلد يسير فغولب من سبعمائة أن يقعد البصرة فتصدها ، فلما اقترب منها وجد أهلها مفترقين على شيعتين ، سعدية و بلالية ، فطمع أن ينضم إلى إحداهما فيستعين بها على الأخرى فلم يقدر على ذلك ، فارتحل إلى بغداد فأقام بها سنة وانتسب بها إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد ، وكان يزعم بها أنه يعلم ما في ضمائر أصحابه ، وأن الله يعلمه بذلك ، فنبهه على ذلك جبهة من الطعام ، وطائفة من الرعاع العوام . ثم عاد إلى أرض البصرة في رمضان فاجتمع معه بشر كثير ولكن لم يكن معهم عدد يقاثلون بها فأقام جيش من ناحية البصرة فقاتلوا جميعاً ، ولم يكن في جيش هذا الخارجي سوى ثلاثة أسياف ، وأولئك الجيش معهم عدد وعُدَد ولبوس ، ومع هذا هزم أصحاب هذا الخارجي ذلك الجيش ، وكانوا أربعة آلاف مقاتل ، ثم مضى نحو البصرة بمن معه فأهدى له رجل من أهل جبي فرساً فلم يجد لها سرجاً ولا جلاماً ، وإنما ألقي عليها حبلاً وركبها وسنف حنكها بليف ، ثم صادر رجلاً وتهدهد بالقتل فأخذ منه مائة وخمسين ديناراً وألف درهم ، وكان هذا أول مال نهبه من هذه البلاد ، وأخذ من آخر ثلاثة براذين ، ومن موضع آخر شيئاً من الأسلحة والأمتعة ، ثم سار في جيش قليل السلاح والخيول ، ثم جرت بينه وبين نائب البصرة وقعات متعددة ، بهزمهم فيها وكل ماله أمره وقوى وتزداد أصحابه ويعظم أمره ويكثر جيشه ، وهو مع ذلك لا يتعرض لأموال الناس ولا يؤذي أحداً ، وإنما يريد أخذ أموال السلطان . وقد انهزم أصحابه في بعض حروبه هزيمة عظيمة ثم تراجعوا إليه واجتمعوا حوله ، ثم كروا على أهل البصرة فهزموهم وقتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين ، وكان لا يؤذي بأسير إلا قتله ثم قوى أمره وخافه أهل البصرة ، وبثت الخليفة إليها مدداً ليقاثلوا هذا الخارجي وهو صاحب الزنج قبضة الله ، ثم أشار عليه بعض أصحابه أن يهجم بمن معه على البصرة فيستغلونها عنوة فهجن آراءهم وقال : بل نكون منها قريبا حتى يكونوا هم الذين يطلبوننا إليها ويحيطوننا عليها . وسأى ما كان من أمره وأمر أهل البصرة في السنة المستقبلية إن شاء الله . وفيها حج بالناس على بن الحسين بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن عباس .

وفيها توفي / ﴿ الجاحظ المتكلم المعتزلي ﴾

وإليه تنسب الفرقة الجاحظية لمحوط حفيبه ، ويقال له الحدق وكان شنيع المنظر سقى الخبير ردى الاعتقاد ، يلسب إلى البيع والضلالات ، وربما جازبه بمضمهر إلى الانحلال حتى قيل في المثل يابح من كفره الجاحظ . وكان بارعا فاضلا قد أتمن علوماً كثيرة وصنف كتباً جمعة تدل على قوة

ذهنه وجوده تصرفه . ومن أجل كُتبه كتاب الحيوان ، وكتاب البيان والتبيين . قال ابن خلكان :
وهما أحسن مصنفاته وقد أطال ترجمته بحكايات ذكرها عنه . وذكر أنه أصابه الفالج في آخر عمره ،
وحكى أنه قال : أنا من جاني الأيسر مفلوج لو قرض بالمقاريض ما علمت ، وجاني الأيمن منفرس
لومرت به فإبى لا ألتقي ، وفي حصاة ، وأشد ما على ست وتمعون سنة . وكان يفشد : -

أترجون أن تكون وأنت شيخ * كما قد كنت أيام الشباب

لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجلديد من الثياب

وفيهما توفي عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الهاربي ، وعبد الله بن هاشم الطوسي . وانطليفة
أبو عبد الله المغز بن المتوكل . ومحمد بن عبد الرحيم الملقب صاعقة .

(محمد بن كرام)

الذي تلسب إليه الفرقة الكرامية . وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول وأصحابه
وغيرهم وهو محمد بن كرام - بفتح الكاف وتشديد الزاء ، على وزن جلال - بن عراف بن حزامه بن
البراء ، أبو عبد الله السجستاني الماعبد ، يقال إنه من بني ثراب ، ومنهم من يقول محمد بن كرام
بكسر الكاف وتشديد الزاء وهو الذي سكن بيت المقدس إلى أن مات ، وجعل الآخر شيخاً من
أهل نيسابور . والصحيح الذي يظهر من كلام أبي عبد الله الحاكم وابن عساكر أنها واحد ، وقد
روى ابن كرام عن علي بن حمزة وعلي بن إسحاق الحنظلي السمرقندي ، مع منته التفسير عن محمد
ابن مروان عن الكلبي ، وإبراهيم بن يوسف الماكاني ، ومالك بن سليمان المروزي ، وأحمد بن
حرب ، وعتيق بن محمد الجسري ، وأحمد بن الأزهر النيسابوري ، وأحمد بن عبد الله الحوساري ،
ومحمد بن تميم القاري ، وكافا كذايين وضاعين - وغيرهم . وعنه محمد بن إسماعيل بن إسحاق
وأبو إسحاق بن سفيان وعبد الله بن محمد القويرطي ، وإبراهيم بن الحجاج النيسابوري . وذكر
الحاكم أنه حبس في حبس طاهر بن عبد الله فلما أطلقه ذهب إلى ثغور الشام ثم عاد إلى نيسابور
فحبسه محمد بن طاهر بن عبد الله وأطال حبسه وكان يتأهب لصلاة الجمعة ويأتي إلى السجن فيقول :
دعني أخرج إلى الجمعة ، فيمنعه السجن فيقول : اللهم إنك تعلم أن المنع من غيري . وقال غيره :
أقام ببيت المقدس أربع سنين ، وكان يجلس للوعظ عند العمود الذي عند مشهد عيسى عليه السلام
واجتمع عليه خلق كثير ثم تبين لهم أنه يقول : إن الأيمان قول بلا عمل فترك أهلها ونفاه متولياً
إلى غور زفر فمات بها ، وهمل إلى بيت المقدس . مات في صفر من هذه السنة . وقال الحاكم : توفي
بيت المقدس ليلاً ودفن بباب أرميا عند قبور الأنبياء عليهم السلام ، وله ببيت المقدس من
الأصحاب نحو من عشرين ألفاً والله أعلم .

﴿ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين﴾

في صبيحة يوم الاثنين الثاني عشر من المحرم قدم موسى بن بنا الكبير إلى سامرا فدخلها في جيش هائل قد عباه مينة وميسرة وقلبا وجناحين ، فأثروا دار الخلافة التي فيها المهتدي جالسا لكشف المظالم فاستأذنوا عليه فأبأ الأذن ساعة ، وتأخر عنهم فظنوا في أنفسهم أن الخليفة إنما طلبهم خديعة منه ليسلط عليهم صالح بن وصيف ، فدخلوا عليه هجما فجعلوا يرابطونهم بالتركي ثم عزموا فأقاموه من مجلسه وانهبوا ما كان فيه ، ثم أخذوه مهاجا إلى دار أخرى فجعل يقول لموسى بن بنا : مالك ويحك ؟ إني إنما أرسلت إليك لأتقوى بك على صالح بن وصيف . فقال له موسى : لا بأس عليك احلف لي أنك لا تريد بي خلاف ما أظهرت . خلف له المهتدي فطابت الأنفس وياومره بيعة ثانية مشافهة وأخذوا عليه اليهود والمواثيق أن لا يعالئ صالحا عليهم ، واصطلحوا على ذلك . ثم بشوا إلى صالح بن وصيف ليحضرهم للمناظرة في أمر المعتز ومن قتله صالح بن وصيف من الكتاب وغيرهم ، فوعدهم أن يأتيهم ، ثم اجتمع بمجماعة من الأمراء من أصحابه وأخذ يتأهب للجمع الجيوش عليهم ، ثم اخفى من ليكته لا يدري أحد أين ذهب في تلك الساعة ، فبعثوا المنادية تنادي عليه في أرجاء البلد وتهدوا من أخفاء فلم يزل محتفيا إلى آخر صفر على ما سذك ، ورد سليمان بن عبد الله بن طاهر إلى نيابة بغداد ، وسلم الوزير عبد الله بن محمد بن يزيد إلى الحسن بن محمد الذي كان أراد صالح بن وصيف قتله مع ذينك الرجلين ، فبقى في السجن حتى رجع إلى الوزارة .

ولما أبأ خبر صالح بن وصيف على موسى بن بنا وأصحابه قال بعضهم لبعض : اخلوا هذا الرجل - يعني الخليفة - فقال بعضهم : أهتلون رجلا صواما قواما لا يشرب الخمر ولا يأتي الفواحش ؟ والله إن هذا ليس كثيره من الخلفاء ولا تطاوعكم الناس عليه . وبلغ ذلك الخليفة فخرج إلى الناس وهو متقلد سيفاً يجلس على السرير واستدعى موسى بن بنا وأصحابه فقال : قد بلغتني ما عمالكم عليه من أمرى ، وإني والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنط وقد أوصيت أخى بولدى ، وهذا سبق ، والله لأضربن به ما استمسك قائمه يدي ، والله لئن سقط من شغرى شجرة ليهلكن بدنها منكم ، أو لينهبن بها أكثركم ، أما دين ؟ أما حياء ؟ أما تستحيون ؟ كم يكون هذا الاقدام على الخلفاء والحرارة على الله عز وجل وأنتم لا تبصرون ؟ سواء عندكم من قصد الابقاء عليكم والسيرة الصالحة فيكم ، ومن كان يدمو بأرطال الشراب المسكر فيشربها بين أظهركم وأنتم لا تتكرون ذلك ، ثم يستأثر بالأموال عنكم وعن الضعفاء ، هذا منزى فذهبوا فانظروا فيه وفي منازل إخوتى ومن يتصل بي هل ترون فيها من آلات الخلافة شيئا ، أو من فرشها أو غير ذلك ؟ وإني في بيوتنا ما في بيوت آحاد الناس ، ويقولون إني أعلم علم صالح بن وصيف ، وهل هو إلا واحد منكم ؟ فذهبوا فاعلموا

علمه فابلغوا شفاء نفوسكم فيه وأما أنا فليست أعلم علمه . قالوا : فحلف لنا على ذلك ، قال أما اليمين فاقبأ أبديها لكم ، ولكن أخرها لكم حتى تكون بحضرة الهاشميين والقضاة والمعلمين وأصحاب المراتب في غد إذا صليت صلاة الجمعة . قال : فكأنهم لا تواتوا ذلك قليلا . فلما كان يوم الأحد لثمان بقين من صفر ظفروا بصالح بن وصيف قاتل وجئ برأسه إلى المهدي بالله وقد اقتتل من صلاة المغرب ، فلم يزد على أن قال : واروه . ثم أخذ في تسيبته وذكره . ولما أصبح الصبح من يوم الاثنين رفع الرأس على رمح ونودي عليه في أرجاء البلد : هذا جزاء من قتل مولاه . وما زال الأمر مضطربا متغافرا وعظم الخطب حتى أنفضى إلى خلع الخليفة المهدي وقتله رحمه الله .

﴿ ذكر خلع المهدي بالله وولاية المعتد أحمد بن المتوكل على الله وإبراهيم من فضائل المهدي ﴾
لما بلغ موسى بن بنا أن مساور الشاري قد عاث بتلك الناحية فسادا ركب إليه في جيش كثيف ومعه مفلح وبايكبك التركي فاقتلوا هم ومساور الخارجي ولم يظفروا به بل هرب منهم وأهجرهم ، وكان قد فعل قبل مجيئهم الأفاعيل المنكرة فرجموا ولم يقدروا عليه . ثم إن الخليفة أراد أن يخالف بين كلمة الأتراك فكاتب إلى بايكبك أن يتسلم الجيش من موسى بن بنا ويكون هو الأمير على الناس وأن يقبل بهم إلى سامرا فلما وصل إليه الكتاب أقرأه موسى بن بنا فاشتد غضبه على المهدي واتفقا عليه وقصدا إليه إلى سامرا ، وترك ما كانا فيه . فلما بلغ المهدي ذلك استخدم من فوره جندا من المناربة والفرافعة والأشروسية والارزكشية والأتراك أيضا ، وركب في جيش كثيف فلما همموا به رجع موسى بن بنا إلى طريق خراسان وأظهر بايكبك السمع والطاعة ، فدخل في ثاني عشر رجب إلى الخليفة سامما مطعيا ، فلما أوقف بين يديه وحوله الأمراء والسادة من بني هاشم شاورهم في قتله فقال له صالح بن علي بن يعقوب بن أبي جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين لم يبلغ أحد من الخلفاء في الشجاعة ما بلغت ، وقد كان أبو مسلم الخراساني شرأ من هذا وأكثر جنداً ، ولما قتله المنصور سكنت الفتنة وخذ صوت أصحابه . فأمر عند ذلك بضرب عنق بايكبك ثم ألقى رأسه إلى الأتراك ، فلما رأوا ذلك أعظموه وأصبحوا من الهند مجتمعين على أخى بايكبك طغوتيا فخرج إليهم الخليفة فيمن معه فلما التقوا خامرت الأتراك الذين مع الخليفة إلى أصحابهم وصاروا إلماً واحداً على الخليفة ، فحمل الخليفة قتل منهم نحواً من أربعة آلاف ثم حملوا عليه فهزموه ومن معه فاهزم الخليفة ويده السيف صلنا وهو ينادى : يا أيها الناس انصروا خليفتم . فدخل دار أحمد بن جليل صاحب المعونة ، فوضع فيها سلاحه وليس البياض وأراد أن ينهب فيختفي ، فمأجه أحمد بن خاقان منها فأخذه قبل أن ينهب ، ورماء بسهم وطمع في خاصرته به وحمل على دابة وخلفه سالك وعليه قميص وسراويل حتى أدخلوه دار أحمد بن خاقان ، فجعل من هناك يصفونه ويترقون في وجهه ، وأخذ خطه بستائة ألف دينار ،

وسلوه إلى رجل فلم يزل يبا خصيئته ويلطوهما حتى مات رحمه الله . وذلك يوم الخميس لثني عشرة ليلة بقيت من رجب .

وكانت خلافته أقل من سنة بخمسة أيام ، وكان مولده في سنة تسع عشرة ، وقيل خمس عشرة ومائتين ، وكان أمير رقيقاً أحن حسن العجة يكنى أبا عبد الله . وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد ودفن بمقبرة المنتصر بن المتوكل . قال الخطيب : وكان من أحسن الخلفاء منجماً وأجودهم طريقة وأكثرهم ورعاً وعبادة وزهادة . قال : وروى حديثاً واحداً قال : حدثني علي بن هشام بن طراح عن محمد بن الحسن الفقيه عن ابن أبي ليلى - وهو داود بن علي - عن أبيه عن ابن عباس قال قال العباس : يا رسول الله مالنا في هذا الأمر ؟ قال : « في النبوة ولكم الخلافة ، بكم يفتح هذا الأمر وبكم يختم » وقال للعباس : « من أحبك فآلته شفاعتي ، ومن أبغضك فآلته شفاعتي » . وروى الخطيب أن رجلاً استعان المهدي على خصمه فحك بينهما بالعدل فأثأ الرجل يقول :

حكتموه قضى بينكم • أبلج مثل القمر الزاهر

لا يقبل الرشوة في حكمه • ولا يبالي غبن الخاسر

فقال له المهدي : أما أنت أيها الرجل فأحسن الله مقاتلتك ، ولست أغتر بما قلت . وأما أنا فاني ما جلست مجلسي هذا حتى قرأت (ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئاً) وإن كان منقال حبة من خرذل أثينا بها وكفى بنا حاسبين) قال : فبكي الناس حوله فارؤى أكثرها بكيا من ذلك اليوم . وقال بعضهم : سرد المهدي الصنوم من حين تولى إلى حين قتل رحمه الله . وكان يحب الاقتداء بما سلكه عمر بن عبد العزيز الأموي في خلافته من الورع والتقشف وكثرة العبادة وشدة الاحتياط ، ولوعاش ووجد ناصراً لساير سيرته ما أمكنه ، وكان من عزمه أن يبسط الأتراك الذين أهانوا الخلفاء وأذلهم ، وانهكوا منصب الخلافة . وقال أحمد بن سعيد الأموي : كنا جلوساً بمكة وعندى جماعة ونحن نبحث في النحو وأشعار العرب ، إذ وقف علينا رجل فظنه مجنوناً فأثأ يقول :

أما تستحيون الله يا معدن النحو • شغلتم بنا والناس في أعظم الشغل

إيمانكم أضفى قليلاً مجندلاً • وقد أصبح الاسلام مفترق الشمل

وأثم على الأشعار والنحو عكفا • تصيحون بالأصوات في أحسن السبل

قال فنظر وأرخنا ذلك اليوم فاذا المهدي بالله قد قتل في ذلك اليوم ، وهو يوم الاثنين لأربع

عشرة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين

(خلافة المتمد على الله)

وهو أحمد بن المتوكل على الله ويعرف بابن قتيان ، بويع بالخلافة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة

خلت من رجب في هذه السنة في دار الأمير يار جوخ وذلك قبل خلع المهندي بأيام ، ثم كانت بيعة العامة يوم الاثنين ثمان مضت من رجب ، قيل ولشرب بن يقين من رجب دخل موسى بن بشار ومفلح إلى سر من رأى فنزل موسى في داره وسكن وخمدت الفتنة هناك ، وأما صاحب الزنج المدعى أنه علوي فهو محاصر بالبصرة والجيش الخليفة في وجهه دوثها ، وهو في كل يوم يهزم وينقم أموالهم وما يفد إليهم في المراكب من الأطلعة وغيرها ، ثم استحوذ بعد ذلك على الابلّة وعبادان وغيرها من البلاد وخاف منه أهل البصرة خوفاً شديداً ، وكلال أمره في قوة وجيوشه في زيادة ، ولم يزل ذلك دأبه إلى انسلخ هذه السنة .

وفيها خرج رجل آخر في الكوفة يقال له علي بن زيد الطالبي ، وجاء جيش من جهة الخليفة فكسره الطالبي واستفحل أمره بالكوفة وقويت شوكته ، وغافق أمره . وفيها وثب محمد بن واصل النخعي على نائب الأهواز الحارث بن سبأ الشرايبي قتله واستحوذ على بلاد الأهواز . وفي رمضان منها قلب الحسن بن زيد الطالبي على بلاد الري فتوجه إليه موسى بن بشار في شوال ، وخرج الخليفة لتوديعه . وفيها كانت وقعة عظيمة على باب دمشق بين أمانجور نائب دمشق - ولم يكن معه إلا قريب من أربع مائة فارس - وبين ابن عيسى بن الشيخ ، وهو في قريب من عشرين ألفاً ، فهزمه أمانجور وجاءت ولاية من الخليفة لابن الشيخ على بلاد أرمينية على أن يترك أهل الشام ، فقبل ذلك وانصرف عنهم . وفيها حج بالناس محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور ، وكان في جملة من حج أبو أحمد بن المتوكل . فتعجل وعجل السير إلى سامرا فدخلها ليلة الأربعاء ثلاث بقيت من ذي الحجة من هذه السنة . وفيها توفي المهندي بالله الخليفة كما تقدم رحمه الله تعالى .

﴿ والزيير بن بكار ﴾

ابن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزيير بن العوام القرشي الزبيري قاضي مكة . قدم بغداد وحدث بها ، وله كتب أنساب قريش ، وكان من أهل العلم بذلك ، وكتابه في ذلك حافل جداً . وقد روى عنه ابن ماجه وغيره ، ووثقه الفاروقني والخطيب وأثنى عليه وعلى كتابه . وتوفي بمكة عن أربع وثلاثين سنة في ذي القعدة من هذه السنة .

﴿ محمد بن إسماعيل البخاري ﴾

صاحب الصحيح ، وقد ذكرناه ترجمة حافلة في أول شرحنا لصحيحه ، ولندكر هاهنا نبذة يسيرة من ذلك فنقول : هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بختية الجعفي . ولأم أبو عبد الله البخاري الجاني ، إمام أهل الحديث في زمانه ، والمقتدى به في أوائه ، والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه ، وكتابه الصحيح يستقي بقرائه النعم ، وأجمع العلماء على قبوله وحمته ما فيه ، وكذلك

سائر أهل الأبلام ، ولد البخارى رحمه الله فى ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ، ومات أبوه وهو صغير فشأ فى حجر أمه فآلمه الله حفظ الحديث وهو فى المكتب ، وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة حتى قيل إنه كان يحفظ وهو صبى سبعين ألف حديث سرداً ، وحج وعمره ثمانى عشرة سنة . فأقام بمكة يطلب بها الحديث ، ثم رحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث فى البلدان التى أمكنته الرحلة إليها ، وكتب عن أكثر من ألف شيخ . وروى عنه خلائق وأمم . وقد روى الخطيب البغدادى عن الفربرى أنه قال : سمع الصحيح من البخارى مئى نحو من سبعين ألفاً لم يبق منهم أحد غيرى . وقد روى البخارى من طريق الفربرى كما هى رواية الناس اليوم من طريقه ، وحاد بن شاكر وإبراهيم بن معقل وطاهر بن مخلد . وآخر من حدث عنه أبو طلحة منصور بن محمد بن على البردى النسفى وقد توفى النسفى هنا فى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة . ووثقه الأمير أبو نصر بن ماكولا . وعمن روى عن البخارى مسلم فى غير الصحيح ، وكان مسلم يتلمذه ويعظه ، وروى عنه الترمذى فى جامعه ، والنسائى فى سننه فى قول بعضهم . وقد دخل بغداد ثمان مرات ، وفى كل منها يجتمع بالامام أحمد فيحثه أحمد على المقام ببغداد ويومه على الأقامة بفراسان ، وقد كان البخارى يستيقظ فى الليلة الواحدة من نومه فيوقد السراج ويكتب القائمة ثم يخلطه ثم يعطى سراجيه ، ثم يقوم مرة أخرى وأخرى حتى كان يعدد منه ذلك قريباً من عشرين مرة . وقد كان أصيب بصره وهو صغير فرأت أمه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال يا هنه قد رد الله على ولدك بصره بكثرة دعائك ، أو قال بكثلك ، فأصبح وهو بصير . وقال البخارى : فكرت البارحة فإذا أنا قد كتبت لى مصنفات نحواً من مائتى ألف حديث مستنمة . وكان يحفظها كلها . ودخل مرة إلى معرقند فاجتمع بأربعمائة من علماء الحديث بها ، فركبوا أسانيد وأدخلوا إسناده الشام فى إسناده الرقاق ، وخطبوا الرجال فى الأسانيد وجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها ، ثم قرؤها على البخارى فرد كل حديث إلى إسناده ، وقوم تلك الأحاديث والأسانيد كلها ، وما تفتتوا عليه فيها ، ولم يقدروا أن يلقوا عليه سقطة فى إسناده ولا متن . وكذلك صنع فى بغداد . وقد ذكروا أنه كان ينظر فى الكتاب مرة واحدة فيحفظه من نظرة واحدة . والأخبار عنه فى ذلك كثيرة . وقد أثنى عليه علماء زمانه من شيوخه وأقرانه . فقال الامام أحمد : ما أخرجت خراسان مثله . وقال على بن المدينى : لم ير البخارى مثل نفسه . وقال إسحاق بن راهويه : لو كان فى زمن الحسن لاحتاج الناس إليه فى الحديث وعرفته وقبه . وقال أبو بكر بن أبى شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير : ما رأينا مثله . وقال على بن حجر : لا أعلم مثله . وقال محمود بن النضر بن سهل الشافى : دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها كلها جرى ذكر محمد بن إسماعيل

البخارى فضله على أنفسهم . وقال أبو العباس الدعوى : كتب أهل بغداد إلى البخارى :

المسلمون بخير ما حييت لهم * وليس بمذك خير حين تفتقد

وقال الفلاس : كل حديث لا يعرفه البخارى فليس بمحدث . وقال أبو نعيم أحمد بن حنبل : هو قتيبة هذه الأمة . وكذا قال يعقوب بن إبراهيم الدورقي . ومنهم من فضله في الفقه والحديث على الامام أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه . وقال قتيبة بن سعيد : رحل إلى من شرق الأرض وغربها خلق فما رحل إلى مثل محمد بن إسماعيل البخارى . وقال مرجى بن رجاء : فضل البخارى على العلماء كفضل الرجال على النساء - يعنى في زمانه - وأما قبل زمانه مثل قرب الصحابة والتابعين فلا . وقال هو آية من آيات الله تعالى على الأرض . وقال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الهارمى : محمد بن إسماعيل البخارى أفتنا وأعلمنا وأغوصنا وأكثرنا طلباً . وقال إسحاق بن راهويه : هو أبصر منى . وقال أبو حاتم الرازى : محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق . وقال عبد الله السجلى : رأيت أبا حاتم وأبازرعة يجلسان إليه يسمعان ما يقول ، ولم يكن مسلم يبلغه ، وكان أعلم من محمد بن يحيى الذهلى بكنا وكنا ، وكان حياً فاضلاً يحسن كل شئ . وقال غيره : رأيت محمد بن يحيى الذهلى يسأل البخارى عن الأسامى والكفى والملل ، وهو يمر فيه كالسهم ، كأنه يقرأ قل هو الله أحد . وقال أحمد بن حنبل : التماس : رأيت . مسلم بن الحجاج جاء إلى البخارى فقبل بين يديه وقال : دعنى أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين ، وسيد الحديثين ، وطبيب الحديث في مله ، ثم سأله عن حديث كنفارة المجلس فذكر له علته فلما فرغ قال مسلم لا ينفضك إلا لحمد ، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك . وقال الترمذى : لم أر بالعراق ولا في خراسان في معنى الملل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من البخارى ، وكنا يوماً عند عبد الله بن منير فقال لبخارى : جعلك الله زين هذه الأمة . قال الترمذى : فاستجيب له فيه . وقال ابن خزيمة : ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخارى ، ولو استصينا ثناء العلماء عليه في حفظه وإتقانه وعلمه وقبه وورعه وزهده وعبادته لطلعت علينا ، ونحن على عهد من أجل الحوادث والله سبحانه المستعان . وقد كان البخارى رحمه الله في غاية الحياء والشجاعة والسخاء والورع والزهد في الدنيا دار الفناء ، والرغبة في الآخرة دار البقاء . وقال البخارى : إني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد يطالبني أنى اغتبت . فذكر له التاريخ وما ذكر فيه من الجرح والتعديل وغير ذلك . فقال : ليس هنا من هذا ، قال النبی ﷺ : « إيدنوا له فلبس أخو الشجرة » . ونحن إنما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا . وقد كان رحمه الله يصل في كل ليلة ثلاث عشرة ركعة ، وكان يختم القرآن في كل ليلة من رمضان ختمة ، وكانت له جدة ومال جيبه ينفق منه سراً وجوراً ، وكان يكثر الصدقة بالليل والنهار ، وكان مستجاب الدعوة مسدد

الزمية شريف النفس ، بحث إليه بعض السلاطين ليأتيه حتى يسمع أولاده عليه فأرسل إليه : في بيته العلم والحلم يؤتى - يعنى إن كنتم تريدون ذلك فلهوا إلى - وأبى أن ينهب إليهم . والسلطان خالد ابن أحمد الذي نائب الظاهرية ببخارى ، فبقى في نفس الأمير من ذلك ، فاتفق أن جاء كتاب من محمد بن يحيى الذهلى بأن البخارى يقول لفظه بالتركان مخلوق - وكان قد وقع بين محمد بن يحيى الذهلى وبين البخارى في ذلك كلام وصنف البخارى في ذلك كتاب أفعال المباد - فأراد أن يصرف الناس عن السماع من البخارى ، وقد كان الناس يظلمونه جداً ، وحين رجع إليهم ثروا على رأسه الذهب والفضة يوم دخل بخارى عائداً إلى أهله ، وكان له مجلس يجلس فيه للاملاء بجامعها فلم يقبلوا من الأمير ، فأمر عند ذلك بنفيه من تلك البلاد ، ففرج منها ودعا على خالد بن أحمد فلم يمس شهر حتى أمر ابن طاهر بأن ينادى على خالد بن أحمد على أركان ، وزال ملكه وسجن في بغداد حتى مات ، ولم يبق أحد يساعده على ذلك إلا ابنى بيلاء شديد ، فترج البخارى من بلده إلى بلدة يقال لها خرتك على فرسخين من ممرقند ، فنزل عند أقارب له بها وجعل يدعو الله أن يقبضه إليه حين رأى الفتن في الدين ، لما جاء في الحديث : « وإذا أردت قوم فتنة فتوفنا إليك غير مقتولين » . ثم ائتمن مرضه على إثر ذلك . فكانت وفاته ليلة عيد الفطر - وكان ليلة السبت - عند صلاة الشاء ، وصلى عليه يوم العيد بعد الظهر من هذه السنة - أعني سنة ست وخمسين ومائتين - وكفن في ثلاثة أبواب بيض ليس فيها قبص ولا حمامة ، وفق ما أوصى به ، وحين ما دفن فاحت من قبره رائحة غالية أطيب من ريح المسك ثم دام ذلك أياماً ثم جعلت ترى سوارى بيض بمحذا قبره . وكان عمره يوم مات ثنتين وستين سنة . وقد ترك رحمه الله بعده علماً نافعاً لجميع المسلمين ، فله لم ينقطع بل هو موصول بما أسداه من الصالحات في الحياة ، وقد قال رسول الله ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، علم ينتفع به ، الحديث رواه مسلم وشرطه في صحيحه هذا أعز من شرط كل كتاب صنف في الصحيح ، لا يوازيه فيه غيره ، لا صحيح مسلم ولا غيره ، وما أحسن ما قال بعض الفضحاء من الشعراء :

- صحيح البخارى لو انصفوه • لما خط إلا بقاء الذهب
- هو الفرق بين الهندي والعمى • هو السدين الفنى والمطب
- أسانيد مثل فجوم السماء • أمام متون لها كالشهب
- ودان به العمم بعد العرب • حجاب من النار لا شك فيه • يميز بين الرضى والنضب
- وسر رقيق إلى المصطفى • ونص مبين لكشف الريب

فياعلما أجمع المالو * ن على فضل رتبته في الرتب
سبقت الأئمة فيما جمعت * وفزت على زعمهم بالقصب
فيت الضعيف من الناقلا * ين ومن كان منهم بالكنب
وأبرزت في حسن ترتيبه * وتبويه عجباً للعجب
فأعطاك مولاك ما تشتهي * وأجزل حظك فيما وهب

(ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين)

فيها ولي الخليفة المعتمد ليحوق بن الليث ببلغ وطخارستان وما يلي ذلك من كرمان وسجستان
والسند وغيرها . وفي صفر منها عقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن
وأضاف إليه في رمضان نيابة بغداد والسواد وواسط وكورحجة والبصرة والأهواز وفارس ، وأخذ له
أن يستليب في ذلك كله . وفيها توافق سعيد الحجاب وصاحب الزنج في أراضى البصرة فهزمه سعيد
الحجاب واستنقذ من يده خلقاً من النساء والقدية ، واسترجع منه أموالاً جزيلة ، وأهان الزنج غاية
الاهانة . ثم إن الزنج يبيتوا سعيداً وجيشه قتلوا منهم خلقاً كثيراً ويقال إن سعيد بن صالح قتل
أيضاً . ثم إن الزنج التفواهم ومنصور بن جعفر الخياط في جيش كثيف فهزمهم صاحب الزنج المدعى
أنه طالبي ، وهو كاذب . قال ابن جرير : وفيها غلظ بيغداد بموضع يقال له بركة زلزل برجل خنق قد
قتل خلقاً من النساء كلن يولف المرأة ثم يخنقها ويأخذ ما عليها ، فحمل إلى المعتمد فضرب بين يديه
بأنى سوط وأز بهامة ، فلم يمت حتى ضربه الجلادون على أنثيته بخشب الثعابين فأت ، ورد إلى
بغداد وصلب هناك ، ثم أحرقت جثته . وفي ليلة الرابع عشر من شوال من هذه السنة كشف القبر
وغلب أكثره . وفي صبيحة هذا اليوم دخل جيش الخبيث الزنجي إلى البصرة قهراً فقتل من أهلها
خلقاً وحرب فآلبها بنراج ومن معه ، وأحرقت الزنج جامع البصرة ودوراً كثيرة ، وانهبوا ثم نادى
فيهم إبراهيم بن المهلب أحد أصحاب الزنجي الخارجي : من أراد الأمان فليحضر . فاجتمع عنده خلق
كثير من أهل البصرة فرأى أنه قد أصاب فرصة فندبهم وأمر بقتلهم ، فلم يفلت منهم إلا الشاذ :
كانت الزنج تحيط بجماعة من أهل البصرة ثم يقول بعضهم لبعض : كيلوا - وهي الإشارة بينهم
إلى القتل - فيحملون عليهم بالسيف فلا يسمع إلا يقول أشهد أن لا إله إلا الله ، من أولئك المقتولين
وضجيجهم عند القتل - أى صراخ الزنج وضجيجهم - فأنافه وإنا إليه راجعون . وهكذا كانوا يفعلون
في كل محال البصرة في عدة أيام نجسات ، وهرب الناس منهم كل مهرب ، وحرقوا السكلاً من
الجليل إلى الجبل ، فكانت النار تحرق ما وجدت من شئ من إنسان أو بهيمة أو آثار أو غير ذلك ،
وأحرقوا المسجد الجامع [وقد قتل هؤلاء جماعة كثيرة من الأعيان والأدباء والفضلاء والمحدثين

والعلماء . فأتاه الله وإنا إليه راجعون^(١) . وكان هذا الخليفة قد أوقع في أهل فارس وقعة عظيمة ، ثم بلغه أن أهل البصرة قد جاءهم من الميرة شيء كثير وقد اتسموا بعد الضيق فغسدم على ذلك ، فروى ابن جرير عن من سمعه يقول : دعوت الله على أهل البصرة فغوطبت قتيل : إنما أهل البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها ، فإذا انكسر نصف الرغيف خربت البصرة فأولت الرغيف القسر وانكساره انكسافه ، وقد كان هذا شائعا في أصحابه حتى وقع الأمر طبق ما أخبر به . ولا شك أن هذا كان معه شيطان يخاطبه ، كما كان يأتي الشيطان مسيلة وغيره . قال : ولا وقع ما وقع من الزنج بأهل البصرة قال هذا الخليفة لمن معه : إني صبيحة ذلك دعوت الله على أهل البصرة فغرفت لي البصرة بين السماء والأرض ورأيت أهلها يقتلون ورأيت الملائكة تقاتل مع أصحابي وإني لمنصور على الناس والملائكة تقاتل معي ، وثبتت جيوشى ، ويؤيدونى في حروى . ولما صار إليه العلوية الذين كانوا بالبصرة انتسب هو حينئذ إلى يحيى بن زيد ، وهو كاذب في ذلك بالاجماع ، لأن يحيى بن زيد لم يعقب إلا بنتا ماتت وهى ترضع ، فقبح الله هذا القمين ما أ كذبه وأجره وأغدره .

وفى فيها فى مستهل ذى القعدة وجه الخليفة جيشا كثيفا مع الأمير محمد . المعروف بالمولد . لقتال صاحب الزنج ، فقبض فى طريقه على سعد بن أحمد الباهلى الذى كان قد تغلب على أرض البطائح وأخاف السبيل . وفى خالف محمد بن واصل الخليفة بأرض فارس وتغلب عليها . وفى وب رجل من الروم يقال له بسيل الصقلبي على ملك الروم ميخائيل بن قويل قتلته واستحوذ على مملكة الروم ، وقد كان لميخائيل فى الملك على الروم أربع وعشرون سنة . وحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق العباسى . وفى توفى من الأعيان :

(الحسن بن عرفة بن يزيد)

صاحب الجزء المشهور المروى ، وقد جاوز المائة بمئتين ، وقيل بسبع ، وكان له عشرة من الولد سهام بأسماء العشرة . وقد وثقه يحيى بن معين وغيره ، وكان يتردد إلى الامام أحمد بن حنبل ولدى سنة خمسين ومائة ، وتوفى فى هذه السنة عن مائة وسبع سنين :

وأبو سعيد الأشج . وبريد بن أنرم الطائى . والرواسى ذبيحما الزنج فى جملة من ذبحوا من أهل البصرة . وعلى بن خشرم . أحد مشايخ مسلم الذى يكثر عنهم الرواية . (والعباس بن الفرج) أبو الفضل الراشئ النحوى القنوى ، كان طالبا بأيام العرب والسير وكان كثير الاطلاع ثقة علما ، روى عن الأصمعى وأبى عبيدة وغيرهما ، وعنه إبراهيم الحزنى ، وأبو بكر بن أبى الدنيا وغيرهما . قتل بالبصرة فى هذه السنة ، قتل الزنج . ذكره ابن خلكان فى الوفيات وحكى عنه الاصمعى أنه قال :

(١) زيادة من نسخة أخرى بالأستانة ومن المصرية .

مر بنا أعرابي يقشد ابنه فقلنا له صفه لنا . قال : كأنه دنيئير . قلنا : لم نره ، فلم نلبث أن جاء يحملهُ على عنقه أسود كأنه سفل قبر . قلت : لو سألتنا عن هذا لأرشدناك ، إنه منذ اليوم يلعب ههنا مع الغلمان . ثم أنشد الأصحى :

نَمْ ضَجِيعُ الْفَتَى إِذَا بَرَدَ * اللَّيْلُ سَحَرًا وَقَرَفَ الْمَرَدُ
زَيْنُهَا اللَّهُ فِي الْفَوَادِ كَمَا * زَيْنُ فِي عَيْنِ وَالِدِ وَلَدِ

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين ﴾

في يوم الاثنين لعشرين من ربيع الأول عقد الخليفة لأخيه أبي أحمد على ديار مصر وقنسرين والمعاصم ، وجلس يوم الخميس في مستهل ربيع الآخر تغلق على أخيه وعلى مفلح وركبا نحو البصرة في جيش كثيف في عدد وعدد ، فاقتلوا هم والزنج قتالا شديداً قتل مفلح نصف من جنادي الأولى ، أصابه سهم بلا فصل في صدره فأصبح ميتاً ، وحلت جثته إلى سامرا فنفن بها . وفيها أسرى يحيى بن محمد البحراني أحد أمراء صاحب الزنج السكبار ، وحمل إلى سامرا فضرب بين يدي المعتمد مائتي سوط ثم قطعت يده ورجلاه من خلاف ، ثم أخذ بالسيف ثم ذبح ثم أحرق ، وكان الذين أسروه جيش أبي أحمد في وقعة هائلة مع الزنج قبحهم الله . ولما بلغ خبره صاحب الزنج أسف على ذلك ثم قال : لقد خوطبت فيه قبيل لي : قتله كان خيراً لك . لأنه كان شرها يخفى من المغام خياوها وقد كان صاحب الزنج يقول لأصحابه : لقد عرضت على النبوة نغفت أن لا أقوم بأعبائها فلم أقبها . وفي ربيع الآخر منها وصل سعيد بن أحمد الباهلي إلى باب الخليفة فضرب سبعة سوط حتى مات ثم صلب . وفيها قتل قاض وأربعة وعشرون رجلاً من أصحاب صاحب الزنج عند باب العامة بسامرا . وفيها رجع محمد بن واصل إلى طاعة السلطان وحمل خراج فارس وتمهت الأمور هناك . وفيها في أواخر رجب كان بين أبي أحمد وبين الزنج وقعة هائلة قتل منها خلق من الفريقين . ثم استوخم أبو أحمد منزله فانتقل إلى واسط فزفوا في أوائل شعبان ، فلما نزها وقتت هناك زلزلة شديدة وهدنة عظيمة ، تهست فيها بيوت ودور كثيرة ، ومات من الناس نحو من عشرين ألفاً . وفيها وقع في الناس وباء شديد وموت عريض ببغداد وسامرا وواسط وغيرها من البلاد ، وحصل للناس ببغداد داء يقال له القفاح . وفي يوم الخميس لسبع خلون من رمضان ، أخذ رجل من باب العامة بسامرا ذكر عنه أنه يسب السلف فضرب ألف سوط حتى مات . وفي يوم الجمعة فأمته توفي الأمير يار جوخ فصلى عليه آخر الخليفة أبو عيسى وحضره جعفر بن المعتمد على الله . وفيها كانت وقعة هائلة بين موسى بن بنا وبين أصحاب الحسين بن زيد بيلاد خراسان فهزمهم موسى هزيمة عظيمة . وفيها كانت وقعة بين مسرور البلخي وبين مساور الخارجي فكسره مسرور وأسر من أصحابه جماعة

كثيرة . وفيها حج بالناس الفضل بن إسحاق المتقدم ذكره . وفيها توفي من الأعيان أحمد بن بديل وأحمد بن حصن . وأحمد بن سنان القطنان . ومحمد بن يحيى القحلي . ويحيى بن معاذ الرازي .

(ثم دخلت سنة تسع وخسين ومائتين)

في يوم الجمعة لأربع بقين من ربيع الآخر رجع أبو أحمد بن المتوكل من واسط إلى سامرا وقد استخلف على حرب الزنج محمد الملقب بالمولد ، وكان شجاعاً شهياً . وفيها بعث الخليفة إلى نائب الكوفة جماعة من القواد قد نبهوه وأخذوا ما كان معه من المال فاذا هو أربون ألف دينار . وفيها تغلب رجل جمال يقال له شركب الجمال على مدينة مرو فأنهبها وقاوم أمره وأمر أتباعه هناك . ولثلاث عشرة بقيت من ذى القعدة توجه موسى بن بشار إلى حرب الزنج ، وخرج المتمدن لتوديعه وخلع عليه عند مفارقتها له ، وخرج عبد الرحمن بن مفلح إلى بلاد الأهواز نائباً عليها ، وليكون عوناً لموسى بن بشار على حرب صاحب الزنج الخليلي ، فهزم عبد الرحمن بن مفلح جيش الخليلي وقتل من الزنج خلقاً كثيراً وأسرى طائفة كبيرة منهم وأرعبهم رباعاً كثيراً بحيث لم يتجسروا على مواقفه مرة ثانية ، وقد حرّضهم الخليلي كل التحريض فلم ينجع ذلك فيهم ، ثم تواقع عبد الرحمن بن مفلح وعلى ابن أبيان المهلب وهو مقدم جيوش صاحب الزنج فجرت بينهما حروب يطول شرحها ، ثم كانت المأثرة على الزنج وقله الحمد . فرجع علي بن أبيان إلى الخليلي مغلوباً مقهوراً ، وبعث عبد الرحمن بالأسارى إلى سامرا فبادر إليهم العامة فقتلوا أكثرهم وسلبوه قبل أن يصلوا إلى الخليفة .

وفيها دافع ملك الروم لعمه الله إلى بلاد سوسيان ثم إلى ملطية فقاتله أهلها فهزموه وقتلوا بطريق البطارقة من أصحابه ، ورجع إلى بلاده خلساً وهو حسير . وفيها دخل يعقوب بن الليث إلى نيسابور وغنم بالخارجى الذى كان بهراة يتمتع الخلافة منذ ثلاثين سنة قتله وحل رأسه على رمح وطيف به في الآفاق . ومعه رقعة مكتوب فيها ذلك . وفيها حج بالناس إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن يعقوب بن سليمان بن إسحاق بن علي بن عبد الله بن عباس .

وفيها توفي من الأعيان إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق أبو إسحاق الجوزجاني خطيب دمشق وإمامها وعلماؤه المصنفات المشهورة المفيدة ، منها المترجم فيه علوم غزيرة وفوائده كثيرة .

(ثم دخلت سنة ستين ومائتين من الهجرة)

فيها وقع غلاء شديد ببلاد الاسلام كلها حتى أجلي أكثر أهل البلدان منها إلى غيرها ، ولم يبق بمكة أحد من الجوارين حتى ارتحلوا إلى المدينة وغيرها من البلاد ، وخرج نائب مكة منها . وبلغ كثر الشمر بينداده مائة وعشرين ديناراً ، واستمر ذلك شهوراً . وفيها قتل صاحب الزنج علي بن زيد صاحب الكوفة ، وفيها أخذ الروم من المسلمين حصن لؤلؤة . وفيها حج بالناس إبراهيم بن محمد بن إسماعيل المذكور قبلها .

وفيهما توفي من الأعيان الحسن بن محمد الزعفراني ، وعبد الرحمن بن شرف . ومالك بن طوق صاحب الرحبة التي تنسب إليه ، وهو مالك بن طوق ، ويقال للرحبة رحبة مالك بن طوق ، وحنين ابن إسحاق المبادي القتي عربي كتاب اقليدس وحرره بعد ثابت بن قرة . وعرب حنين أيضاً كتاب المجسطي وغير ذلك من كتب الطب من لغة اليونان إلى لغة العرب ، وكان المأمون شديد الاعتناء بذلك جداً ، وكذلك جعفر البرمكي قبله . وحنين مصنفات كثيرة في الطب ، وإليه تنسب مسائل حنين ، وكان يارطافه جداً ، توفي يوم الثلاثاء لست خلون من صفر من هذه السنة . قاله ابن خلكان .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين ﴾

فيها انصرف الحسن بن زيد من بلاد الديلم إلى طبرستان وأحرق مدينة شالوس لما لا ثم يعقوب بن الليث عليه . وفيها قتل مساور الخارجي يحيى بن حفص الذي كان على طريق خراسان في جهادى الآخرة فشنخص إليه مسرور البلخي ثم تبعه أبو أحمد بن المتوكل فهرب مساور فلم يلحق . وفيها كانت وقعة بين ابن واصل الذي تغلب على فارس وبين عبد الرحمن بن مفلح فكسره ابن واصل وأسرهم وقتل طاشنمر وأصطلم الجيش الذين كانوا معه فلم يفلت منهم إلا اليسير ، ثم صار ابن واصل إلى واسط يريد حرب موسى بن يفا فرجع موسى إلى نائب الخليفة وسأل أن يعفى من ولاية بلاد المشرق لما بها من القتل ، ففزل عنها وولاه الخليفة إلى أخيه أبي أحمد . وفيها سار أبو الساج إلى حرب الزنج فاقتلوا قتالا شديداً وغلبتهم الزنج ودخلوا الأهواز فقتلوا خلقاً من أهلها وأحرقوا منازل كثيرة ، ثم صرف أبو الساج عن نيابة الأهواز وخرجها الزنج وولى الخليفة ذلك إبراهيم بن سيبا . وفيها تجهز مسرور البلخي في جيش لقتال الزنج . وفيها ولى الخليفة نصر بن أحمد ابن أسد الساماني ما وراء نهر بلخ وكتب إليه بذلك في شهر رمضان . وفي شوال قصد يعقوب بن الليث حرب ابن واصل فالتقى في ذى القعدة فهزمه يعقوب وأخذ عسكره وأسر رجاله ومطافعة من حرمة وأخذ من أمواله ما قيمته أربعون ألف ألف درهم . وقتل من كان يمالئه وينصره من أهل تلك البلاد . وأصلح الله به تلك الناحية .

ولا تنقى عشرة ليلة خلت من شوال ولى المتتد على الله ولده جعفر المهد من بعده ومياه المفوض إلى الله وولاه المغرب وضم إليه موسى بن بغا ولاية إفريقية ومصر والشام والجزيرة والموصل وأرمينية وطريق خراسان وغير ذلك ، وجعل الأمر من بعد ولده لأبي أحمد المتوكل ولقبه الموفق بالله وولاه المشرق وضم إليه مسرور البلخي وولاه بغداد والسواد والكوفة وطريق مكة والمدينة واليمن ومكسر وكوردجلة الأهواز وفارس وأصبهان والكرخ والدينور والري وزنجبار والسند ، وكتب بذلك كتابات وقرئت بالآفاق ، وعاقب منها لهجة بالكعبة . وفيها حج بالناس الفضل بن إسحاق .

وفيهما توفي من الأعيان أحمد بن سليمان الرهاوى . وأحمد بن عبد الله العجلي . والحسن بن أبي الشوارب بمكة . ودواد بن سليمان الجعفرى . وشعيب بن أيوب . وعبد الله بن الواثق أخو المهتدى بالله . وأبو شعيب السوسى . وأبو يزيد البسطامى أحد أئمة الصوفية . وعلى بن إشكاب وأخوه أبو محمد ومسلم بن الحجاج صاحب الصحيح

(وهذا ذكر شئ من ترجمته على سبيل الاختصار)

هو مسلم أبو الحسين القشيرى النيسابورى أحد الأئمة من حفاظ الحديث صاحب الصحيح الذى هو تلو صحيح البخارى عند أكثر العلماء ، وذهبت المخاربة وأبو على النيسابورى من المشاركة إلى تفضيل صحيح مسلم على صحيح البخارى ، فان أرادوا تقديمه عليه فى كونه ليس فيه شئ من التعليقات إلا القليل ، وأنه يسوق الأحاديث بتمامها فى موضع واحد ولا يقطعها كتقطيع البخارى لها فى الأبواب فهذا القدر لا يوازى قوة أسانيد البخارى واختياره فى الصحيح لما ما أورده فى جامع معاصرة الراوى لشيوخه وسامعه منه وفى الجملة فان مسلماً لم يشترط فى كتابه الشرط الثانى كما هو مقرر فى علوم الحديث ، وقد بسطت ذلك فى أول شرح البخارى . والمقصود أن مسلماً دخل إلى المراق والحجاز والشام ومصر وجمع من جماعة كثيرين قد ذكرهم شيخنا الحافظ المزى فى تهذيبه مرتبين على حروف المعجم . وروى عنه جماعة كثيرون منهم الترمذى فى جلمه حديثاً واحداً وهو حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « احصوا أهلال شعبان لرمضان » . وصالح بن محمد حرره . وعبد الرحمن بن أبى حاتم . وابن خزيمة ، وابن صاعد ، وأبو حوالة الأسفراينى . وقال الخطيب : أخبرنى محمد بن أحمد بن يعقوب أخبرنا أحمد بن نعيم الضبي أخبرنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم سمعت أحمد بن سلمة يقول : رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج فى معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما . وأخبرنى ابن يعقوب أنا محمد بن نعيم سمعت الحسين بن محمد المامرسى يقول سمعت أبى يقول سمعت مسلماً بن الحجاج يقول : صنعت هذا المسند الصحيح من ثلثة ألف حديث مسموعة . وروى الخطيب قال : حدثنى أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن حلى السودرجائى . بأصبهان - سمعت محمد بن إسحاق بن منده سمعت أبا على الحسين بن على النيسابورى يقول : ما نعت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج فى علم الحديث . وقد ذكر مسلم عند إسحاق بن راهويه فقال بالمجعية ما معناه : أى رجل كان هذا ؟ وقال إسحاق بن منصور لمسلم : لن نعلم الخمر ما أبقاك الله للمسلمين . وقد أثنى عليه جماعة من العلماء من أهل الحديث وغيرهم . وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب الأخرم : قل ما يوثق البخارى ومسلماً ما ثبت فى الحديث . وروى الخطيب عن أبي هريرة ومحمد بن حمدان الحيرى قال : سألت أبا العباس أحمد بن سعيد بن عقدة الحافظ

عن البخارى ومسلم أنهما أعلم ؟ فقال : كان البخارى علماً ومسلماً علماً ، ففكرت ذلك عليه مراراً وهو
يرد على هذا الجواب ثم قال : يا أبا عمرو قد يقع للبخارى الغلط في أهل الشام ، وذلك أنه أخذ كتبهم
فنظر فيها فربما ذكر الواحد منهم بكنيته ويند كره في موضع آخر باسمه ويتوهم أنهما اثنان ، وأما مسلم
فقل ما يقع له الغلط لأنه كتب المقاطيع والمراسيل . قال الخطيب : إنما قلنا مسلم طريق البخارى
ونظر في علمه وحذا حدوه . ولما ورد البخارى نيسابور في آخر أمره لا زمه مسلم وأدام الاختلاف
إليه . وقد حدثني عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي قال سمعت أبا الحسن الدراقطى يقول :
لولا البخارى ما ذهب مسلم ولا جاء . قال الخطيب : وأخبرني أبو بكر المنكرى ثنا محمد بن عبد الله
الحافظ حدثني أبو نصر بن محمد الزرادي سمعت أبا حنيفة أحمد بن حمدان القصار سمعت مسلم بن الحجاج
وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخارى فقبل بين عيبيه وقال : دعني حتى أقبل برجليك يا أستاذ
الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علمه ، حدثك عبد بن سلام ثنا محمد بن يزيد الحراني
حدثنا ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في كفارة
الجلس فبا علمه ؟ قال البخارى : هذا حديث ملبس ولا أعلم في الدنيا في هذا الباب غير هذا
الحديث ، إلا أنه ملول ثنا به موسى بن إسماعيل ثنا وهيب عن سهيل عن عون بن عبد الله قوله
قال البخارى : وهذا أولى فإنه لا يعرف لموسى بن عقبة سماع من سهيل . قلت : وقد أفردت لهذا
الحديث جزءاً على حدة وأوردت فيه طرقه وألفاظه ومتنه وعمله . قال الخطيب : وقد كان مسلم يناضل
عن البخارى . ثم ذكر ما وقع بين البخارى ومحمد بن يحيى الذهلي في مسألة اللفظ بالقرآن في نيسابور ،
وكيف نودي على البخارى بسبب ذلك بنيسابور ، وأن الذهلي قال يوماً لأهل مجلسه وفيهم مسلم بن
الحجاج : ألا من كان يقول بقول البخارى في مسألة اللفظ بالقرآن فليعزل مجلسنا . فنهض مسلم
من فوره إلى منزله ، وجمع ما كان محمداً من الذهلي جميعه وأرسله إليه وترك الرواية عن الذهلي
بالسكينة فلم يرو عنه شيئاً لا في صحيحه ولا في غيره ، واستحكمت الوحشة بينهما . هذا ولم يترك
البخارى محمد بن يحيى الذهلي بل روى عنه في صحيحه وغيره وعنده رحمه الله .

وقد ذكر الخطيب سبب موت مسلم رحمه الله أنه عقد له مجلس لهذا كره فقتل يوماً عن حديث
فلم يعرفه فأنصرف إلى منزله فأوقد السراج وقال لأهله : لا يدخل أحد البية علي ، وقد أهديت له
سلة من تمر فهي عنده يأكل تمره ويكشف عن حديث ثم يأكل أخرى ويكشف عن آخر ، فلم يزل
ذلك دأبه حتى أصبح وقد أكل تلك السلة وهو لا يشعر ، فحصل له بسبب ذلك قتل ومرض من ذلك
حتى كانت وفاته عشية يوم الأحد ، ودفن يوم الاثنين لحس بقين من رجب سنة إحدى وستين
وما تين بنيسابور ، وكان مولده في السنة التي توفي فيها الشافعي ، وهي سنة أربع ومائتين ، فكان

عمره سبعا وخمسين سنة رحمه الله تعالى .

(أبو يزيد البسطامي)

اسمه طيفور بن عيسى بن علي ، أحد مشايخ الصوفية ، وكان جسده مجوسياً فأسلم ، وكان لأبي يزيد أخوات صالحات عابدات ، وهو أجلبهم ، قيل لأبي يزيد : بأي شيء وصلت إلى المعرفة ؟ قال يبطن جائع وبدن عار . وكان يقول : دعوت نفسي إلى طاعة الله فلم يجبني فتنها الماء منة ، وقال إذا رأيتم الرجل قد أعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغفروا به حتى تنظروا كيف يجذبه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود والوقوف عند الشريعة . قال ابن خلكان : وله مقامات ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة . توفي سنة إحدى وستين ومائتين . قلت : وقد حكى عنه شحطات ناقصات ، وقد تأولها كثير من الفقهاء والصوفية وحملوها على محامل بعيدة ، وقد قال بعضهم : إنه قال ذلك في حال الاضطلام والغبية . ومن العلماء من بدّعه وخطأه وجعل ذلك من أكبر البدع وأنما تدل على اعتقاد فاسد كامن في القلب ظهر في أوقاته والله أعلم .

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائتين)

فيها قدم يعقوب بن الليث في جحافل فدخل واسط فقرأ بفرج الخليفة المتمدن بنفسه من سارما لقتاله فتوسط بين بغداد واسط فانتدب له أبو أحمد الموفق بالله أخو الخليفة ، في جيش عظيم على يمينته موسى بن بنا ، وعلى يسارته مسرور البخاري ، فاقتتلوا في رجب من هذه السنة أياماً قتالاً عظيماً ، ثم كانت الغلبة على يعقوب وأصحابه ، وذلك يوم عيد الشعانين . قتل منهم خلق كثير وغنم منهم أبو أحمد شيئاً كثيراً من الذهب والفضة والمسك والقدواب . ويقال إنهم وجدوا في جيش يعقوب هذا رايات عليها صلبان . ثم انصرف المتمدن إلى المدائن ورد محمد بن طاهر إلى قباة بغداد وأمر له بخمسمائة ألف درهم . وفيها غلب يعقوب بن الليث على بلاد فارس وهرب ابن واصل منها . وفيها كانت حروب كثيرة بين صاحب الزنج وجيش الخليفة . وفيها ولي القضاء علي بن محمد بن أبي الشوارب . وفيها جمع القاضي إسماعيل بن إسحاق قضاء جانبي بغداد . وفيها حج بالناس الفضل بن إسحاق السبلي . قال ابن جرير : وفيها وقع بين الخياطيين والخرازين بمكة فاقتتلوا يوم التروية أو قبله بيوم . قتل منهم مائة عشر نفساً وخلف الناس أن يفتوهم الحج بسببهم ، ثم توادعوا إلى ما بعد الحج . وفيها توفي من الأعيان صالح بن علي بن يعقوب بن النصور في ربيع الآخر منها . وعمر بن شبة النخيري . ومحمد بن عاصم . ويعقوب بن شعبة صاحب المسند الحافل المشهور والله أعلم .

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائتين)

فيها جرت حروب كثيرة منتشرة في بلاد شتى فمن ذلك مقتلة عظيمة في الزنج لعنهم الله .

حصرهم في بعض المواقف بمضى الأمراء من جهة الخليفة قتل الموجودين عنده عن آخرهم . وفيها سلبت الصقالبة حصن لؤلؤة إلى طاغية الروم . وفيها تغلب أخو شركب الجبال على نيسابور وأخرج منها عاملها الحسين بن طاهر وأخذ من أهلها ثلث أموالهم مصادرة قبضه الله . وحجج بالناس فيها الفضل بن إسحاق العباسي .

وفيها توفي من الأعيان مساور بن عبد الحميد الشاربي الخارجي ، وقد كان من الأبطال والشجعان المشهورين ، والتف عليه خلق من الأعراب وغيرهم ، وطالت مدته حتى قصمه الله . ووزير الخلافة (عبيد الله بن يحيى بن خاقان) صدمه في الميدان خادم يقال له رشيق فسقط عن دابته على أم رأسه تفرج دماغه من أذنيه وأفنه قات بحد ثلاث ساعات ، وضلى عليه أبو أحمد الموفق بن المتوكل ، ومشى في جنازته ، وذلك يوم الجمعة لمشر خلون من ذى القعدة من هذه السنة ، واستوزر من الهند الحسن بن مخلد ، فلما قدم موسى بن بنو سامرا عزله واستوزر مكانه سليمان بن وهب ، وسلبت دار عبد الله بن يحيى بن خاقان إلى الأمير المروفي بكيطلغ . وفيها توفي أحمد بن الأزهر . والحسن بن أبي الربيع . ومعاوية بن صالح الأشعري .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين ﴾

في الحرم منها عسكر أبو أحمد وموسى بن بنو سامرا وأخرجوا منها البليتين مضنا من صفر ، وأخرج المعتمد لتوديهما ، وسارا إلى بغداد . فلما وصلا إلى بغداد توفي الأمير موسى بن بنو وحل إلى سامرا فدفن بها . وفيها ولي محمد بن المولد واسط الحاربة سليمان بن جامع فلقبها من جهة صاحب الزنج ، فهزمه ابن المولد بسد حروب طويلة . وفيها سار ابن الدبرائي إلى مدينة الدينور واجتمع عليه دلف بن عبد العزيز بن أبي دلف وابن عياض فهزماء ونهب أمواله ورجع مغلولاً . ولما توفي موسى بن بنو عزل الخليفة الوزير الذي كان من جهته وهو سليمان بن حرب وحبسه مفيداً وأمر بنهب دوره ودور أقرائه ورد الحسن بن مخلد إلى الوزارة ، فبلغ ذلك أبا أحمد وهو ببغداد فسار بمن معه إلى سامرا فتحصن منه أخوه المعتمد بجانبها الغربي ، فلما كان يوم التروية عبر جيش أبي أحمد إلى الجانب الذي فيه المعتمد فلم يكن بينهم قتال بل اصطدحوا على رد سليمان بن حرب إلى الوزارة وهرب الحسن بن مخلد فنهبت أمواله وحواصله واختفى أبو عيسى بن المتوكل ثم ظهر ، وهرب جماعة من الأمراء إلى الموصل خوفاً من أبي أحمد ، وفيها حج بالناس هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي الكوفي . وفيها توفي من الأعيان أحمد بن عبد الرحمن بن وهب . وإسماعيل بن يحيى المزني أحد رواة الحديث عن الشافعي من أهل مصر وقد ترجمناه في طبقات الشافعيين .

(وأبوزرعة)

عبيد الله بن عبد الكريم الرازي أحد الحفاظ المشهورين قيل إنه كان يحفظ سبعمائة ألف حديث وكان قتيها ورميا زاهداً عابداً متواضعاً خاشعاً أتى عليه أهل زمانه بالحفظ والهيأة ، وشهدوا له بالتقدم على أقرانه ، وكان في حال شبابه إذا اجتمع بأحمد بن حنبل يقتصر أحمد على الصلوات المكتوبات ولا يفعل المندوبات اكتفاء بما كرهه . توفي يوم الاثنين سلع ذي الحجة من هذه السنة ، وكان مولده سنة مائتين ، وقيل سنة تسعين ومائة ، وقد ذكرنا ترجمته مبسوطاً في التكميل .

ومحمد بن إسماعيل بن عليّة قاضي دمشق . وروى عن عبد الأعلى الصديقي المصري وهو ممن روى عن الشافعي . وقد ذكرناه في التكميل وفي الطبقات . وقبيصة أم المتز إحدى حظايا المتوكل على الله ، وقد جمعت من الجواهر والآلئ والقهب والمصاغ ما لم يهد لها مثلاً . ثم سلبت ذلك كله وقتل ولدها المتز لأجل فقالت الجند ، وشحت عليه بمخسرين ألف دينار تداري بها عنه . كانت وفاتها في ربيع الأول من هذه السنة .

(ثم دخلت سنة خمس وستين ومائتين)

فيها كانت وقعة بين ابن ليثوية عامل أبي أحمد وبين سليمان بن جامع فظفر بها ابن ليثوية بآبن جامع فأب صاحب الزنج ، قتل خلقاً من أصحابه وأسر منهم سبعة وأربعين أسيراً ، وحرق له مراكب كثيرة ، وغنم منهم أموالاً جزيلة . وفي الحرم من هذه السنة حاصر أحمد بن طولون نائب البطار المصرية مدينة إلفاكية وفيها سبا الطويل فأخذها منه وجاءته هدايا ملك الروم ، وفي جلستها أسارى من أسارى المسلمين ، ومع كل أسير مصحف ، منهم عبد الله بن رشيد بن كلوس الذي كان عامل الثغور فأجتمعت لأحمد بن طولون ملك الشام بكجالة مع البطار المصرية ، لأنه لما مات نائب دمشق أمان خور ركب ابن طولون من مصر فقتله ابن أمان خور إلى الرملة فأقره عليها ، وسار إلى دمشق فدخلها ثم إلى حمص فقتلها ثم إلى حلب فأخذها ثم ركب إلى إلفاكية فكان من أسره ما تقدم . وكان قد استخلف على مصر ابنه العباس فلما بلغه قدوم أبيه عليه من الشام أخذ ما كان في بيت المال من الخواصل وأوزره جماعة على ذلك ، ثم ساروا إلى برقة خارجاً عن طاعة أبيه ، فبعث إليه من أخنوخ ذليلاً حقيراً ، وردوه إلى مصر فحبسه وقتل جماعة من أصحابه .

وفيها خرج رجل يقال له القاسم بن مهة على دلف بن عبد العزيز بن أبي دلف السجلي فقتله واستحوذ على أصبهان فأتى أصحاب دلف له فقتلوا القاسم ورأسوا عليهم أحمد بن عبد العزيز . وفيها لحق محمد المولود يعقوب بن الليث فسار إليه في الحرم فأمر الخليفة بنهب حواصله وأمواله وأملأه . وفيها دخل صاحب الزنج إلى النعمانية فقتل وحرق ثم سار إلى جرجان فأنزعج الناس منه

ودخل أهل السواد إلى بغداد . وفيها ولي أبو أحمد عمرو بن الليث خراسان وقرس وأصبهان
 وضجستان وكرمان والسند ، ووجه إليها بفلك وباطلج والتحف . وفيها حاصرت الزنج تسترجق
 كلوا يأخذونها فوافهم تكيين البخارى فلم يضع ثياب سفره حتى تاجر الزنج قتل منهم خلقا وهرمهم
 هزيمة فظيمة جدا ، وهرب أميرهم على بن أبان المهلبى مخذولا : قال ابن جرير : وهذه وقعة باب كودك
 المشهورة ، ثم إن على بن أبان المهلبى أخذ في مكاتبة تكيين واستأثنت إليه وإلى صاحب الزنج فسارع
 تكيين في إجابته إلى ذلك فبلغ خبره مسرورا بالبحر فصار نحوه وأظهر له الأمان حتى أخذه فقيده
 وتفرق جيشه عنه ففرقة صارت إلى الزنج وفرقة إلى محمد بن عبيد الله الكردى ، وفرقة انضافت
 إلى مسرور بعيد إعطائه لإياف الأمان ، وولى مكانه على عماله أميراً آخر يقال له اغرتمش . وفيها
 خرج بالناس هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى العبلى .

وفيها توفى من الأعيان أحمد بن منصور الرمادى راوية عبد الرزاق وقد صحب الامام أحمد
 وكان يمد من الإبدال توفى عن ثلاث وستين سنة . وسعدان بن نصر . وعبد الله بن محمد الخزومى
 وعلى بن حرب الطائى الموصلى . وأبو حفص النيسابورى على بن مؤفق الزاهد . ومحمد بن سحنون
 قال ابن الأثير فى كماله : وفيها قتل أبو الفطل العباس بن الفرج الراشدى صاحب أبى عبيدة
 والأصبى قتلته الزنج بالبصرة .

﴿ يعقوب بن الليث الصغار ﴾

أحد الملوك العقلاء الأبطال . فتح بلاداً كثيرة من ذلك بلد الرجج التى كان فيها ملك صاحب
 الزنج وكان يحمل فى سرير من ذهب على رؤس اثني عشر رجلاً ، وكان له بيت فى رأس جبل عال
 سباه مكة ، فإزال حتى قتل وأخذ بلده واستسلم أهلها فأسلموا على يديه ، ولكن كز قد خرج عن
 طاعة الخليفة وقاتله أبو أحمد الموفق كما تقدم . ولما مات ولوا أخاه عمرو بن الليث ما كان يليه أخوه
 يعقوب مع شرطة بغداد وسامرا كما سيأتى .

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين ﴾

فى صفر منها قلب إستاكين على بلد الرى وأخرج علمها منها ثم مضى إلى قزو بن فصالحه
 أهلها فدخلها وأخذ منها أموالاً جزيلة ، ثم عاد إلى الرى فآلمه أهلها عن الدخول إليها فغهرم ودخلها
 [وفيها غارت سرية من الروم على ناحية ديار ريعة قتلوا وسبوا ومثلوا وأخذوا نحواً من مائتين
 وخمسين أسيراً ، فنفر إليهم أهل الصين وأهل الموصل فهربت منهم الروم ورجعوا إلى بلادهم ^(١)]
 وفيها ولي عمرو بن الليث شرطة بغداد وسامرا لعبيد الله بن طاهر ، وبعث إليه أبو أحمد بالخلعة

وخلع عليه عمرو بن أبيث أيضاً وأهدى إليه عمودين من ذهب ، وذلك مضافاً إلى ما كان يليه أخوه من البلدان . وفيها ساراً غرتمش إلى قتال علي بن أبيان المهلبى بستر فأخذ من كان في السجن من أصحاب علي بن أبيان المهلبى من الأمراء قتلهم عن آخرهم ، ثم سار إلى علي بن أبيان فقتل قتلاً شديداً في مرات عديدة ، كان آخرها لعل بن أبيان المهلبى ، قتل خلقاً كثيراً من أصحاب اغرتمش وأسر بعضهم قتلهم أيضاً ، وبث برؤسهم إلى صاحب الزنج فنصبت رؤسهم على باب مدينته قبيحة الله .

وفيها وثب أهل حمص على عاملهم عيسى الكرخى قتلوه في شوال منها ، وفيها دعا الحسن بن محمد ابن جعفر بن عبد الله بن حسين الأصغر الثقيل أهل طبرستان إلى نفسه وأظهر لهم أن الحسين بن زيد أسروا لم يبق من يقوم بهذا الأمر غيره ، فبايعوه . فلما بلغ ذلك الحسين بن زيد قصد قتاله فقتله ونهب أمواله وأموال من اتبعه وأحرق دورهم . وفيها وقعت فتنة بالمدينة وتواحيها بين الجعفرية والعلوية [وتغلب عليها رجل من أهل البيت من سلالة الحسن بن زيد الذى تغلب على طبرستان ، وجرت شرور كثيرة هناك بسبب قتل الجعفرية والعلوية] ^(١) يطول ذكرها . وفيها وثبت طائفة من الأعراب على كسوة الكعبة فأتتهبوا ، وسار بعضهم إلى صاحب الزنج [وأصاب الحبيص منهم شدة وبلاء شديد وأمور كريمة . وفيها أغارت الروم أيضاً على ديار ريعة . وفيها دخل أصحاب صاحب الزنج إلى رامهرمز فآفنتحوها بسد قتال طويل] ^(٢) وفيها دخل ابن أبى الساج مكة فقاتله الخزوى فقهروه ابن أبى الساج وحرق داره واستباح ماله ، وذلك يوم القروية في هذه السنة . ثم جعلت إمرة الحرميين إلى ابن أبى الساج من جهة الخليفة . وحج بالناس فيها هارون بن محمد المتقنم ذكره قبلها . وفيها عمل محمد بن عبد الرحمن الفاحل إلى بلاد المغرب - وهو خليفة بلاد الأندلس وبلاد المغرب - مراكب في نهر قرطبة . لينخل بها إلى البحر المحيط ولتسير الجيوش في أطرافه إلى بعض البلاد ليقاتلوه ، فلما دخلت المراكب البحر المحيط تكسرت وقطعت ولم ينبج من أهلها إلا اليسير بل غرق أكثرهم . وفيها التقى أسطول المسلمين وأسطول الروم ببلاد صقلية فقتلوا قتل من المسلمين خلق كثير فأنقذ الله وإنا إليه راجعون . وفيها حارب لؤلؤ غلام ابن طولون لموسى بن إمامش فكسره لؤلؤ وأسرته وبث به إلى مولاة أحمد بن طولون ، وهو إذ ذاك نائب الشام ومصر وإفريقية من جهة الخليفة ، ثم أقتل لؤلؤ هذا وطائفة من الروم قتل من الروم خلقاً كثيراً . قال ابن الأثير : وفيها اشتد الجبال وضائق الناس ذروماً بكثرة الهياج والفتن وتغلب القواد والأجناد على كثير من البلاد بسبب ضعف منصب الخلافة واشتغال أخيه أبى أحمد بقتال الزنج . وفيها اشتد الحر في شهرين الثاني جمادى ثم قوى به البرد حتى جعد الماء .

وفيها توفي من الأعيان إبراهيم بن رومة . وصالح بن الامام أحمد بن حنبل قاضي أصبهان .
ومحمد بن شعاع البلخي أحد عباد الجهمية . ومحمد بن عبد الملك الفقيقي
✽ ثم دخلت سنة ميسع وستين ومائتين ✽

فيها وجه أبو أحمد الموفق ولده أبا العباس في نحو من عشرة آلاف فارس وراجل في أحسن هيئة
وأكل فجعل لقتال الزنج ، فساروا نحوهم فكان بينهم وبينهم من القتال والتزال في أوقات متتدات
وقضت مشهورات ما يطول بسطه ، وقد استقصاه ابن جرير في تاريخه مبسوطاً مطولاً . وحاصل ذلك
أنه آل الحال أن استعوز أبو العباس بن الموفق على ما كان استولى عليه الزنج ببلاد واسط وأراضى
حجلة ، هذا وهو شاب حدث لا خبرة له بالحرب ، [ولكن سلمه الله وغنمه وأعلى كفته وسدد رميته
وأجاب دعوته وفتح على يديه وأسيخ نعمه عليه ، وهذا الشاب هو الذي ولي الخلافة] ^(١) بعد
حمه المعتمد كما سيأتي ، ثم ركب أبو أحمد الموفق ناصر دين الله في بغداد في صفر منها في جيوش كثيفة
فسفل واسط في ربيع الأول منها ، فثاقاه ابنه وأخبره عن الجيوش الذين معه ، وأنهم نصبوا
ونصبوا من أعباء الجهاد ، فطلع على الأمراء كلهم خلعة منية ، ثم سار بجميع الجيوش إلى صاحب
الزنج وهو بالمدينة التي أنشأها وسماها النيمية ، فقاتل الزنج دونها قتالاً شديداً فقهروهم ودخلها عنوة
وهزوا منها ، فبعث في آفهم جيشاً فلاحقهم إلى البطائح يقتلون ويأسرون ، وفتح أبو أحمد من النيمية
شيئاً كثيراً واستنقذ من النساء المسلمات خمسة آلاف امرأة ، وأمر بإرسالهن إلى أهاليهن بواسط ،
وأمر بهدم سور البلد وطم خندقها وجعلها بقلعة بعد ما كانت قسراً محجماً .

ثم سار الموفق إلى المدينة التي لصاحب الزنج التي يقال لها المنصورة وبها سليمان بن جامع ،
فحاصروها وقاتلوه دونها قتل خلق كثير من الفرقةين ، ورمى أبو العباس بن الموفق بهم أحمد بن
هندي أحد أمراء صاحب الزنج فأصابه في دماغه فقتله ، وكان من أكبر أمراء صاحب الزنج ، فشق
ذلك على الزنج جداً وأصبح الناس محاصرين مدينة الزنج يوم السبت لثلاث بقين من ربيع الآخر
والجيوش الموقية مرتبة أحسن ترتيب ، فتقدم الموفق فعلى أربع ركعات وابتدل إلى الله في الدعاء
واجتهد في حصارها فهزم الله مقاتلتها وانتهى إلى خندقها فإذا هو قد حصن غاية التحصين ، وإذا هم
قد جعلوا حول البلد خمسة خنادق وخمسة أسوار فجعل كلما جاوز سوراً قاتلوه دون الآخر فيقهروهم
ويعجزون إلى الذي يليه ، حتى انتهى إلى البلد فقتل منهم خلقاً كثيراً وهرب بقيتهم وأمر من لساء
الزنج من حلال سليمان بن جامع وفزوه لساء كثيرة وصبياناً ، واستنقذ من أيديهم النساء المسلمات
والصبيان من أهل البصرة والكوفة نحواً من عشرة آلاف نسمة فسيرهم إلى أهليهم ، جزاه الله خيراً .

ثم أمر بهدم فنادقها وأسوارها وردم خنادقها وأتھارها ، وأطام بها سبعة عشر يوماً ، وبث في آثار من
انهزم منهم ، فكان لا يأتون بأحد منهم إلا استأله إلى الحق يرق ولين وصفه ، فن أجابه أضافه إلى
بعض الأمراء - وكان مقصوده رجوعهم إلى الدين والحق - ومن لم يجبه قتله وجسه . ثم ركب إلى
الأهواز فأجلاهم عنها وطردهم منها وقتل خلقاً كثيراً من أشرفهم ، منهم أبو عيسى محمد بن إبراهيم
البصري وكان رئيساً فيهم مطاعاً ، وغنم شيئاً كثيراً من أموالهم ، وكتب الموفق إلى صاحب الزنج
قبحه الله كتاباً يدعو فيه إلى التوبة والرجوع عما ارتكبه من المآثم والمظالم والمحارم ودعوى النبوة
والرسالة وخراب البلدان واستحلال الفروج الحرام . ونبذ له الأمان إن هو رجع إلى الحق ، فلم يرد
عليه صاحب الزنج جواباً

﴿ ذكر مسير أبي أحمد الموفق إلى المدينة التي فيها صاحب الزنج وهي المختارة ليحاصرها ﴾

لما كتب أبو أحمد إلى صاحب الزنج يدعو إلى الحق فلم يجبه ، استهانه به ، ركب من فورده في
جيوش عظيمة قريب من خمسين ألف مقاتل ، فأصعد إلى المختارة مدينة صاحب الزنج ، فلما انتهى
إليها وجدها في غاية الاحكام ، وقد حوط عليها من آلات الحصار شيئاً كثيراً ، وقد التفت على
صاحب الزنج نحو من ثلثمائة ألف مقاتل بسيف ورمح وقلاع ، ومن يكثر سوادهم ، تقدم الموفق ولده
أبا العباس بين يديه فتقدم حتى وقف تحت قصر الملك فحاصره محاصرة شديدة ، وتعبج الزنج من
إقدامه وجراته ، ثم تراكت الزنج عليه من كل مكان فهزمهم وأثبت بهوداً أكبر أمراء صاحب الزنج
بالسهم والحجارة ثم خامر جماعة من أصحاب أمراء صاحب الزنج إلى الموفق فأكرمهم وأعظم خلداً سلبية
ثم رغب إلى ذلك جماعة كثير من فصاروا إلى الموفق ، ثم ركب أبو أحمد الموفق في يوم النصف من
شعبان ونادى في الناس كلهم بالأمان إلا صاحب الزنج فتحول خلق كثير من جيش صاحب الزنج
إلى الموفق ، وأبقت الموفق مدينة تجمه مدينة صاحب الزنج بها الموقبية ، وأمر بحمل الأمتعة
والتجارات إليها ، فاجتمع بها من أنواع الأشياء وصنوفها ما لم يجتمع في بلد قبلها ، وعظم شأنها
وامتلاأت من العايش والأرزاق وصنوف التجارات والسكان والحداب وغيرهم ، وإثما بناها ليستعين
بها على قتال صاحب الزنج ، ثم جرت بينهم حروب عظيمة ، وما زالت الحرب ناشبة حتى انسحلت
هذه السنة وهم محاصرون للخبث صاحب الزنج ، وقد تحول منهم خلق كثير فصاروا على صاحب
الزنج بمد ما كانوا معه ، وبلغ عدد من تحول قريباً من خمسين ألفاً من الأمراء الخواص والأجناد ،
والموفق وأصحابه في زيادة وقوة ونصر ونظر . وفيها حج بالناس هارون بن محمد الهاشمي

وفيها توفي من الأعيان إسماعيل بن سيديويه . وإسحاق بن إبراهيم بن شاذان . ويحيى بن نصر
الخلولائي . وعباس الترققي . ومحمد بن حماد بن بكر بن حماد أبو بكر المقرئ صاحب خلف بن هشام

البنار ببغداد في بيع الأول . ومحمد بن عزيز الأيل . ويحيى بن محمد بن يحيى التهلي حنكنا . ويونس
ابن حبيب راوى مسند أبي داود الطيالسي عنه .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائتين ﴾

في الحرم منها استأمن جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجاني . وكان من أكبر أصحاب الزنج وقتلهم
في أنفسهم . الموفق فأمته وفرح به وخلع عليه وأمره فركب في سمرة فوقف تجاه قصر الملك فنادى
في الناس وأعلمهم بكذب صاحب الزنج وفجوره ، وأنه في غرور هو ومن اتبعه ، فاستأمن بسبب ذلك
بشر كثير منهم ، وبرد قتال الزنج حنده ذلك إلى ربيع الآخر . فعند ذلك أمر الموفق أصحابه
بمحاصرة السور ، وأمرهم إذا دخلوه أن لا يدخلوا البلد حتى يأمرهم ، فقبضوا السور حتى انتلم ثم مجلوا
الدخول فدخلوا قاتلهم الزنج فبرزهم المسلمون وهدموا إلى وسط المدينة ، فجاءهم الزنج من كل
جانب وخرجت عليهم السكان من أماكن لا يهتمون لها ، قتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً واستلبوا
وفر الباقون فلامهم الموفق على مخالفته وعلى المعجلة ، وأجرى الأرزاق على ذرية من قتل منهم ،
فحسن ذلك عند الناس جداً ، وظفر أبو العباس بن الموفق بجماعة من الأعراب كانوا يجلبون الطعام
إلى الزنج قتلهم ، وظفر بهبهوذ بن عبد الله بن عبد الوهاب قتله ، وكان ذلك من أكبر الفتح عند
المسلمين ، وأعظم الرزايا عند الزنج . وبث عمرو بن الليث إلى أبي أحمد الموفق ثلثة ألف دينار
وخسين مناً من سك ، وخسين مناً من عسبر ، ومائتي من من عود ، وفضة بقيمة ألف وثيابه من
وشى وغلماناً كثيرة جداً . وفيها خرج ملك الروم المعروف بابن الصقليه فحاصر أهل ملطية فأعطاهم
أهل مرعش نفر الخبيث خلساً . وغزا الصائفة من ناحية الثغور على ابن طوبون قتل من الروم
سبعة عشر ألفاً . وحج بالناس فيها هارون المنتقم : وفيها قتل أحمد بن عبد الله الخجستاني .

وفيها توفي من الأعيان أحمد بن سيار . وأحمد بن شيان . وأحمد بن يونس الضبي . وعيسى
ابن أحمد البلخي ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري الفقيه المالكي . وقد محب الشافعي
وروى عنه

﴿ ثم دخلت سنة تسع وستين ومائتين ﴾

فيها اجتمع الموفق بالله في تخريب مدينة صاحب الزنج فخرّب منه شيئاً كثيراً ، وتمكن الجيوش
من العبور إلى البلد ، ولكن جاءه في أثناء هذه الحالة سهم في صدره من يد رجل رومي يقال له
قرطاس فكأن يقتله ، فاضطرب الحال لذلك وهو يتجملد ويحضر على القتال مع ذلك ، ثم أقام يبلده
الموقية أياماً يتداوى فاضطربت الأحوال وخف الناس من صاحب الزنج ، وأشاروا على الموفق
بالمسير إلى بغداد فلم يقبل قويت عنته ثم من الله عليه بالغاية في شعبان ، ففرح المسلمون بذلك
فرحاً شديداً ، فنهض مسرعاً إلى الحصار فوجد الخبيث قد رمى كثيراً مما كان الموفق قد خر به وهدمه

فأمر بتخريبه وما حوله وما قرب منه ، ثم لازم الحصار فما زال حتى فتح المدينة الغربية وخرّب قصور صاحب الزنج ودور أمرائه ، وأخذ من أموالهم شيئاً كثيراً عما لا يحسد ولا يوصف كثرة ، وأسر من نساء الزنج واستنقذ من نساء المسلمين وصبياتهم خلقاً كثيراً ، فأمر بردهم إلى أهاليهم مكرمين وقد تحول صاحب الزنج إلى الجانب الشرقي وعمل الجسر والتقاطر الحائلة بينه وبين وصول السمريات إليه ، فأمر الموفق بتخريبها وقطع الجسور ، واستمر الحصار باقى هذه السنة وما برح حتى تسلم الجانب الشرقي أيضاً واستحوذ على حواصله وأمواله ، وفر الخبيث هارباً غير آيب ، وخرج منها هارباً وترك حلائله وأولاده وحواصله ، فأخذها الموفق وشرح ذلك بطول جداً . وقد حرره ميسوفاً ابن جريبر ونصه ابن الأثير واختره ابن كثير والله أعلم وهو الموفق إلى الصواب وإلى المرجع والمآب . ولما رأى الخليفة المعتمد أن أخاه أبا أحمد قد استحوذ على أمور الخلافة وصار هو الحاكم الآخر انتهى ، وإلى تجلب التناقم وتفصل الأموال وانخراج ، وهو الذى يولى ويمزل ، كتب إلى أحمد بن طولون يشكو إليه ذلك ، فكتب إليه ابن طولون أن يتحول إلى عنده إلى مصر ووعده النصر والقيام معه ، فاستغنى غيبة أخيه الموفق وركب في جمادى الأولى ومعه جماعة من القواد وقد أُرصد له ابن طولون جيشاً بالارقة يتلقونه ، فلما اجتاز الخليفة بإسحاق بن كنداج نائب الموصل وطمة الجزيرة اعتقله عنده عن المسير إلى ابن طولون ، وقد أعيان الأمراء الذين معه ، وعائب الخليفة ولامه على هذا الصنع أشد اللوم ، ثم أُلزمه العود إلى سامرا ومن معه من الأمراء فرجوا إليها في غاية القتل والاهانة . ولما بلغ الموفق ذلك شكرو سعى إسحاق وولاه جميع أعمال أحمد بن طولون إلى أقصى بلاد إفريقية ، وكتب إلى أخيه أن يامن ابن طولون في راد العامة ، فلم يمكن المعتمد إلا إجابته إلى ذلك ، وهو كاره ، وكان ابن طولون قد قطع ذكر الموفق في الخطب وأسقط اسمه عن الطراوات .

وفيهما في ذى القعدة وقعت فتنة بمكة بين أصحاب الموفق وأصحاب ابن طولون ، قتل من أصحاب ابن طولون مائتان وهرب بقيتهم ، واستلبهم أصحاب الموفق شيئاً كثيراً . وفيها قطع الأعراب على الحجيج الطريق وأخذ منهم خمسة آلاف دينار بأحمالها

وفيهما توفي إبراهيم بن منفذ الكنتاني . وأحمد بن خلاد مولى المنتم - وكان من دعاة المعتزلة أخذ الكلام عن جعفر بن محمد المعتزلي - وسليمان بن حفص المعتزلي صاحب بشر المريسي ، وأبى الهذيل الدلاف . وعيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني نائب إرمينية وديار بكر . وأبو فروة يزيد بن محمد الزهاوى أحد الضعفاء .

(ثم دخلت سنة سبعين ومائتين من الهجرة)

فيها كان مقتل صاحب الزنج قبحه الله : وذلك أن الموفق لما فرغ من شأن مدينة صاحب الزنج

وهي المختارة واحتاز ما كان بها من الأموال وقتل من كان بها من الرجال ، وسعى من وجد فيها من النساء والأطفال ، وهرب صاحب الزنج عن حومة الحرب والجلاد ، وسار إلى بعض البلاد طريداً شريداً بشر حال ، عاد الموقف إلى مدينته الموقية مؤيداً منصوراً ، وقدم عليه لؤلؤة غلام أحد بن طولون متناً لسيده صيحماً مطيعاً للموقف ، وكان وروده عليه في ثالث المحرم من هذه السنة ، فأكرمه وعظمه وأعطاه وخلع عليه وأحسن إليه ، وبشبه طليعة بين يديه لقتال صاحب الزنج ، وركب الموقف في الجيوش الكشيقة الهائلة وراهه قصصوا الخبيث وقد تحصن ببلدة أخرى ، فلم يزل به محاصراً له حتى أخرجه منها ذليلاً ، واستحوذ على ما كان بها من الأموال والمغانم ، ثم بعث السرايا والجيوش وراه حاجب الزنج فأسروا عامة من كان معه من خاصته وجاعته ، منهم سليمان بن جامع فاستبشر الناس بأسره وكبروا الله وحمدوه فرحاً بالنصر والفتح ، وحمل الموقف بين معه حلة واحدة على أصحاب الخبيث فاستخرف فيهم القتل ، وما انجلى الحرب حتى جاء البشير بقتل صاحب الزنج في المعركة ، وأتى برأسه مع غلام لؤلؤة الطولوني ، فلما تحقق الموقف أنه رأسه بعد شهادة الأمراء الذين كانوا معه من أصحابه بذلك خرواً ساجداً لله ، ثم انكفأ راجعاً إلى الموقية ورأس الخبيث يحمل بين يديه ، وسليمان معه أسير ، فدخل البلد وهو كنفك ، وكان يوماً مشهوداً وفرح المسلمون بذلك في الغارب والمشارق ، ثم جرى بانكلاكى ولد صاحب الزنج وأبان بن علي المهلبى مسمر حربهم مأسورين ومعهم قريب من خمسة آلاف أسير ، قتم السرور وهرب قرطاس القى رعى الموقف بصدره بذلك السهم إلى راهمزم فأخذ ويث به إلى الموقف فقتله أبو العباس أحمد بن الموقف ، واستناب من بقى من أصحاب صاحب الزنج وأمنهم الموقف وفادى في الناس بالأمان ، وأن يرجع كل من كان أخرج من دياره بسبب الزنج إلى أوطانهم وبلدانهم ، ثم سار إلى بغداد وقدم ولده أبا العباس بين يديه ومعه رأس الخبيث يحمل ليراء الناس فدخلها لثقي عشرة ليلة بقيت من جادى الأولى من هذه السنة وكان يوماً مشهوداً ، وانتهت أيام صاحب الزنج المدعى الكذاب بقبه الله

وقد كان ظهوره في يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ، وكان هلاكه يوم السبت للثلاثين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين . وكانت دولته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام والله الحمد والمنة . وقد قيل في اهتضاء دولة الزنج وما كان من النصر عليهم أشعار كثيرة ، من ذلك قول يحيى بن محمد الأسلى :

أقول وقد جاء البشير بوقعة * أعزّت من الاسلام ما كان وإهيا
جزى الله خير الناس للناس بعد ما * أبيض حمام خير ما كان جازيا
تفرد إذ لم ينصر الله ناصر * بتجديد دين كان أصبح باليا

وتشديد ملك قد وهى بمد عزه * وأخذ بثارات تبير الاعداء
ورد عمارات ازيلت وأخرت * ليرجع في قد تخرم وافيا
وترجع أمصار أبيضت وأحرق * مراراً وقد أسست قواء عوافيا
ويشفي صدور المسلمين يوقه * تقر بها منا العميون البواكيا
ويتلى كتاب الله في كل مسجد * ويلقى دعاء الطالبين خاسيا
فأعرض عن أحبابه ونفسيه * وعن لذة الدنيا وأصبح غازيا

وفي هذه السنة أقبلت الروم في مائة ألف مقاتل فتزلوا قريبا من طرسوس فخرج إليهم المسلمون فيقتولهم قتلوا منهم في ليلة واحدة حتى الصباح نحواً من سبعين ألفاً والله الحمد . وقتل المقدم الذي عليهم وهو بطريق البطارقة ، وجرح أكثر الباقين ، وغنم المسلمون منهم غنيمة عظيمة ، من ذلك سبع صلبان من ذهب وفضة ، وصليبهم الأعظم وهو من ذهب صامت مكلل بالجوهر ، وأربع كرامى من ذهب ومائتى كرمى من فضة ، وآية كثيرة ، وعشرة آلاف علم من ديباج ، وغنموا حريراً كثيراً وأموالاً جزيلة ، وخسة عشر ألف دابة وسروجاً وسلاحاً وسيوفاً محلاة وغير ذلك والله الحمد .

وفيهما توفى من الأعيان : ﴿ أحمد بن طولون ﴾

أبو العباس أمير الفيل المصرى وبأى الجليل بها المنسوب إلى طولون ، وإنما بناه أحمد ابنه ، وقد ملك دمشق والعاصم والثغور مدة طويلة ، وقد كان أبوه طولون من الأتراك الذين أهداهم نوح بن أسد الساماني عامل بخارى إلى المأمون في سنة مائتين ، ويقال إلى الرشيد في سنة تسعين ومائة . ولد أحمد هذا في سنة أربع عشرة ومائتين ، ومات طولون أبوه في سنة ثلاثين ، وقيل في سنة أربعين ومائتين . وحكى ابن خلكان أنه لم يكن أباه وإنما بناه والله أعلم . وحكى ابن عساكر أنه من جارية تركية اسمها هاشم . ولشأ أحمد هذا في صيانة وعفاف ورياسة ودراسة للقرآن العظيم ، مع حسن الصوت به ، وكان يسيب على أولاد الترك ما يرتكبونه من المحرمات والمنكرات ، وكانت أمه جارية اسمها هاشم . وحكى ابن عساكر عن بعض مشايخ مصر أن طولون لم يكن أباه وإنما كان قد بناه لبنيانته وحسن صوته بالقرآن وظهور نجايته وصيانيته من صفوه ، وأن طولون اتفق له معه أن يشه مرة في حاجة ليأتيه بها من دار الإمارة فذهب فاذا حظية من حظايا طولون مع بعض الخدم وهما على فاحشة ، فأخذ حاجته التي أمره بها وكرّ راجعاً إليه سريعاً ، ولم يذكر له شيئاً مما رأى من الحظية والخادم ، فتروعت الحظية أن يكون أحمد قد أخبر طولون بما رأى ، فجاءت إلى طولون فقالت : إن أحمد جاءني الآن إلى المكان الفلاني وراودني عن نفسي وانصرفت إلى قصرها ، فوقع في نفسه صدقها فاستدعى أحمد

وكتب معه كتاباً وختمه إلى بعض الأمراء ولم يواجه أحد بشئ مما قالت الجارية ، وكان في الكتاب أن ساعة وصول حامل هذا الكتاب إليك تضرب عنقه وابتش برأسه سريعاً إلى . فذهب بالكتاب من عند طولون وهو لا يدري ما فيه ، فاجتاز بطريقه تلك الخطية فاستدعته إليها فقال : إني مشغول بهذا الكتاب لا وصله إلى بعض الأمراء . قالت : هلم فلي إليك حاجة . وأرادت أن تختفي في ذهن الملك طولون ما قالت له عنه فخبسته عندها ليكتب لها كتاباً ، ثم استوهبت من أحد الكتاب الذي أمره طولون أن يوصله إلى ذلك الأمير ، فدفعه إليها فأرسلت به ذلك الخادم الذي وجده معها على الفاحشة وظننت أن به جائزة تريد أن تنص بها الخادم المذكور فذهب بالكتاب إلى ذلك الأمير ، فلما قرأه أمر بضرب عنق ذلك الخادم وأرسل برأسه إلى الملك طولون . فتعجب الملك من ذلك وقال : أين أحد ؟ فطلب له فقال : ويحك أخبرني كيف صنعت منذ خرجت من عندي ؟ فأخبره بما جرى من الأمر . ولما سمعت تلك الخطية بأن رأس الخادم قد أتى به إلى طولون أسقط في يدها وتوهمت أن الملك قد تحقق الحال ، فقامت إليه تمنتز وتستغفر مما وقع منها مع الخادم ، واعترفت بالحق و برأت أحد مما نسبته إليه ، فغظي عند الملك طولون وأوصى له بالملك من بعده .

ثم ولي نيابة الديار المصرية للممتاز فدخلها يوم الأربعاء لسبع يقين من رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين ، فأحسن إلى أهلها وأتفق فيهم من بيت المال ومن الصدقات ، واستغل الديار المصرية في بعض السنين أربعة آلاف ألف دينار ، وبنى بها الجامع ، غرم عليه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ، وفرغ منه في سنة سبع وخمسين ، وقبل في سنة ست وستين ومائتين ، وكانت له مائة في كل يوم يحضرها الخالص والعام ، وكان يتصدق من خالص ماله في كل شهر بألف دينار . وقد قال له وكيله يوما : إنه تأتيك المرأة وعليها الأزار والبدلة ولها الهيئة الحسنة تسألني فأعطيها ؟ فقال : من مديته إليك فأعطه ، وكان من أحفظ الناس لقرآن ، ومن أطيبهم به صوتا . وقد حكى ابن خلكان عنه أنه قتل صبراً نحواً من ثمانية عشر ألف نفس ، فأله أعلم . وبنى المارستان غرم عليه ستين ألف دينار ، وعلى الميدان مائة وخمسين ألفاً ، وكانت له صدقات كثيرة جداً ، وإحسان زائد . ثم ملك دمشق بعد أمورها ما خور في سنة أربع وستين ومائتين ، فأحسن إلى أهلها أيضاً إحساناً بالنا ، واتفق أنه وقع بها حريق عند كنيسة مريم قهض بنفسه إليه ومعه أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الحافظ الدمشقي ، وكتابه أبو عبد الله أحمد بن محمد الواسطي ، فأمر كتبه أن يخرج من ماله سبعين ألف دينار تصرف إلى أهل الدور والأموال التي أحرقت . فصرف إليهم جميع قيمة ما ذكروه وبقي أربعة عشر ألف دينار فاضلة عن ذلك ، فأمر بها أن توزع عليهم على قدر حصصهم ، ثم أمر بمال عظيم يفرق على قراء دمشق وغوطتها ، فأقل ما حصل للفقير دينار . رحمه الله . ثم خرج إلى أنطاكية

فحاصر بها صاحبها سيما حتى قتله وأخذ البلد كما ذكرنا .

توفي بمصر في أوائل ذي القعدة من هذه السنة من علة أصابته من أكل لبن الجواميس كان يحبه فأصابه بسببه حرب فكلواه الأطباء وأمره أن يمحن منه فلم يقبل منهم ، فكان يأكل منه خفية فمات رحمه الله . وقد ترك من الأموال والأثاث والهدايا شيئاً كثيراً جداً ، من ذلك عشرة آلاف ألف دينار ، ومن الفضة شيئاً كثيراً ، وكان له ثلاثة وثلاثون ولداً ، منهم سبعة عشر ذكراً ، فقام بالأمر من بعده ولده خوارويه كما سيأتي ما كان من أمره . وكان له من العتقان سبعة آلاف مولى ، ومن البغال والخيول والجمال نحو سبعين ألف دابة ، وقيل أكثر من ذلك . قال ابن خلكان : وإنما تغلب على البلاد لاشتغال الموفق بن التوكل بحرب صاحب الزنج ، وقد كان الموفق نائب أخيه المعتمد .

وفيهما توفي أحمد بن عبد الكريم بن سهل الكاتب صاحب كتاب الخراج . قاله ابن خلكان . وأحمد بن عبد الله بن البرقي . وأسيد بن طهم الجمال . وبكار بن قتيبة المصري في ذي الحجة من هذه السنة (والحسن بن زيد العلوي)

صاحب طبرستان في رجب منها ، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام ، وطام من بعده بالأمر أخوه محمد بن زيد . وكان الحسن بن زيد هذا كريماً جواداً يعرف الفقه والفريية ، قال له مرة شاعر من الشعراء في جملة قصيدة مدحه بها : الله فرد وابن زيد فرد . فقال له : اسكت مد الله فاك ، ألا قلت : الله فرد وابن زيد عبد . ثم نزل من سريره وخرقه ساجداً وألصق خده بالتراب ولم يطم ذلك الشاعر شيئاً . وامتنحه بعضهم فقال في أول قصيدة :

لا تنقل بشرى ولكن بشريان * غرة القامعي ويوم المهرجان

فقال له الحسن : لو ابتدأت بالمصراع الثاني كان أحسن ، وأبعد لك أن تبندى شريك بحرف « لا » . فقال له الشاعر : ليس في الدنيا أجل من قول لا إله إلا الله . فقال : أصبت وأمره بجائزة سنية والحسن بن علي بن عفان العاصري .

(وداود بن علي)

الأصبهاني ثم البغدادي الفقيه الظاهري إمام أهل الظاهر ، روى عن أبي ثور وإبراهيم بن خالد وإسحاق بن راهويه وساجان بن حرب وعبد الله بن سلمة القنبي ومسدد بن سرمد ، وغير واحد روى عنه ابنه الفقيه أبو بكر بن داود ، وذكر يا بن يحيى الساجي . قال الخطيب : كان قتيلاً زاهداً وفي كتبه حديث كثير دال على غزارة علمه ، كانت وفاته ببغداد في هذه السنة ، وكان مولده في سنة مائتين ، وذكر أبو إسحاق السمرائي في طبقاته أن أصله من أصبهان وولد بالكوفة ، ونشأ ببغداد

وأنه أنهت إليه رئاسة العلم بها ، وكان يحضر مجلسه أربعمائة طيلسان أخضر ، وكان من المتعصبين للشافعي ، وصنف مناقبه . وقال غيره : كان حسن الصلاة كثير الخشوع فيها والتواضع . قال الأزدى ترك حديثه ولم يتابع الأزدى على ذلك ، ولكن روى عن الإمام أحمد أنه تكلم فيه بسبب كلامه في القرآن ، وأن لفظه به مخلوق كما نسب ذلك إلى الإمام البخارى رحمه الله . قلت : وقد كان من الفقهاء للشيورين ولكن حصر نفسه بنفيه للقياس الصحيح فضاق بذلك ذرعه في أما كن كثيرة من الفقه ، فلزمه القول بأشياء قطعية صار إليها بسبب اتباعه الظاهر المجرد من غير تفهم لمعنى النص . وقد اختلف الفقهاء القياسيون بعده في الاعتداد بخلافه هل ينعقد الاجماع بدونه مع خلافه أم لا ؟ على أقوال ليس هذا موضع بسطها .

وفيهما توفى الربيع بن سليمان المرادى صاحب الشافعى وقد ترجمناه في طبقات الشافعية . والقاضى بكار بن قتيبة الحاكم بالديار المصرية من سنة ست وأربعين ومائتين إلى أن توفى مسجوناً بمجس أحمد بن طولون لكونه لم يخضع الموفق في سنة سبعين ، وكان عالماً عابداً زاهداً كثير التلاوة والمحاسبة لنفسه ، وقد شغل منصب القضاء بعده بمصر ثلاث سنين .

(وابن قتيبة الدينورى)

وهو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى قاضيهما ، النحوى القفوى صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم حجة نافذة ، اشتغل ببغداد وممع بها الحديث على إسحاق بن راهويه ، وطبقته ، وأخذ اللغة عن أبى حاتم السجستاني وذويه ، وصنف وجمع وألف المؤلفات الكثيرة : منها كتاب المعارف ، وأدب السكاكيب الذى شرحه أبو محمد بن السيد البطليوسى ، وكتاب مشكل القرآن والحديث ، وغريب القرآن والحديث ، وعيون الأخبار ، وإصلاح الفاظ ، وكتاب الخليل ، وكتاب الأنوار ، وكتاب المسلسل والجواهرات ، وكتاب الميسر والقنداع ، وغير ذلك . كانت وفاته في هذه السنة ، وقيل في التى بعدها . وله في سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ولم يجاوز الستين . وروى عنه ولده أحمد جميع مصنفاته . وقد ولى قضاء مصر سنة إحدى وعشرين وثلثمائة . وتوفى بها بعد سنة رحمهما الله .

ومحمد بن إسحاق بن جعفر الصفار . ومحمد بن أسلم بن وارة . ومصعب بن أحمد أبو أحمد الصوفى كان من أقران الجنيد . وفيها توفى ملك الروم ابن المصقلية لمة الله . وفيها ابتدأ إسماعيل بن موسى ببناء مدينة لارود من بلاد الأندلس .

(ثم دخلت سنة مائتين وإحدى وسبعين)

فيها هزل الخليفة عمرو بن الليث عن ولاية خراسان وأمر بلمنه على المنابر ، وفوض أمر

خراسان إلى محمد بن طاهر ، وبسبب جيشا إلى عمرو بن الليث فهزمه عمرو . وفيها كانت وقعة بين أبي العباس المتضد بن الموفق أبي أحمد وبين خوارويه بن أحمد بن طولون ، وذلك أن خوارويه لما ملك بعد أبيه بلاد مصر والشام جاءه جيش من جهة الخليفة عليهم إسحاق بن كنداج نائب الجزيرة وابن أبي الساج فقاتلوه بأرض وبرز فاستنق من تسليم الشام إليهم ، فاستنجدوا بأبي العباس بن الموفق ، فقدم عليهم ففكسر خوارويه بن أحمد ونسلم دمشق واحتازها ثم سار خلف خوارويه إلى بلاد الرملة فأدركه عند ماء عليه طواحين فاقتلوا هنالك ، وكانت تسمى وقعة الطواحين ، فكانت النصره أولا لأبي العباس على خوارويه فهزمه حتى هرب خوارويه لا يلوى على شيء فلم يرجع حتى دخل الهيار المصرية ، فأقبل أبو العباس وأصحابه على نهب معسكرهم فبينما هم كذلك إذ أقبل كين بلجيش خوارويه ومشفولون بالتهب فوضعت المصريون فيهم السيوف فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وانهزم الجيش وهرب أبو العباس المتضد فلم يرجع حتى وصل دمشق ، فلم يفتح له أهلها الباب فأنصرف حتى وصل إلى طبرموس وبقي الجيشان المصري والعماني يقتتلان وليس لواحد منهما أمير . ثم كان الظفر للمصريين لأنهم أقاموا أبا الشائر أخا خوارويه عليهم أميرا ، فغلبوا بسبب ذلك واستقرت أديهم على دمشق وصار الشام ، وهذه الوقعة من أعجب الوقعات .

وفيها جرت حروب كثيرة بأرض الأندلس من بلاد المغرب . وفيها دخل إلى المدينة النبوية محمد وعلى ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فقتلوا خلقا من أهلها وأخذوا أموالا جزيلة ، وتعلقت الصلوات في المسجد النبوي أربع جمع لم يحضر الناس فيه جمعة ولا جماعة ، قال الله وإنا إليه راجعون . وجرت بمكة فتنة أخرى واقتتل الناس على باب المسجد الحرام أيضا . وحج بالناس هارون بن موسى المتقم .

وفيها توفي عباس بن محمد الدينوري تلميذ ابن معين وغيره من أئمة الجرح والتعديل . وعبد الرحمن بن محمد بن منصور البصري . ومحمد بن حماد الطبراني . ومحمد بن سنان العمري . وبسبب ابن مسلم

(و بوران بنت الحسن بن سهل)

زوجة المأمون . ويقال إن اسمها خديجة و بوران لقب لها ، والصحيح الأول . عقد عليها المأمون بتم الصلح سنة ست ومائتين ، ولما عشر سنين ، ونثر عليها أبوها يومئذ وعلى الناس بنادق المسك مكتوب في ورقة وسط كل بندة اسم قرية أو ملك جلالية أو غلام أو فرس ، فمن وصل إليه من ذلك شيء ملكه ، ونثر ذلك على عامة الناس ، ونثر الدنانير ونوافج المسك وبيض المنبر . وأضيق على المأمون وعسكره مدة إقامته تلك الأيام الخمس ألف ألف درهم . فلما ترحل المأمون عنه أطلق له عشرة آلاف ألف درهم وأعطاه قم الصلح . وبني بها في سنة عشر . فلما جلس المأمون فوشوا له حصر أمر

ذهب ونثر وأعلى قلبه ألف حبة جوهر ، وهناك تور من ذهب فيه خمسة من عنبر زنة أربعين مثاقيل من عنبر ، قال : هذا سرف ، ونظر إلى ذلك الحب على الحصر يضي قال : قاتل الله أبا نواس حيث يقول في صفة الحر :

كأن صفري وكبرى من قنابها • حصباء در على أرض من الذهب

ثم أمر بالقد فجمع فجعل في حجر الروس وقال : هذا نحلة مني لك ، وسلي حاجتك . قالت لها جنتها : سلى سيدك قد استنطقك . قالت : أسأل أمير المؤمنين أن يرضى عن إبراهيم بن المهدي فرضى عنه . ثم أراد الاجتماع بها فإذا هي حائض ، وكان ذلك في شهر رمضان ، وتأخرت وقتها إلى هذه السنة ولها ثمانون سنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومائتين ﴾

في جمادى الأولى منها سار نائب قزوين وهوارز نكيس في أربعة آلاف مقاتل إلى محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان بعد أخيه الحسن بن زيد ، وهو بالري ، في جيش عظيم من الديلم وغيرهم ، فاقتتلوا قتالا شديداً فهزمه ارزنكيس وغنم ما في معسكره ، وقتل من أصحابه ستة آلاف ، ودخل الري فأخضعها وصادر أهلها في مائة ألف دينار ، وفرق عمله في نواحي الري . وفيها وقع بين أبي العباس ابن الموفق وبين صاحب ثغر طرسوس وهو يا زمان الخادم فثار أهل طرسوس على أبي العباس فأخرجوه عنهم فرجع إلى بغداد . وفيها دخل حمدان بن حمدون وهارون الشاري مدينة الموصل وصلى بهم الشاري في جامعها الأعظم . وفيها طاعت بنو شيبيان في أرض الموصل فساداً . وفيها تهركت بقية الزنج في أرض البصرة وقاتلوا : يا انكلاي يا منصور . وانكلاي هو ابن صاحب الزنج ، وسليمان ابن جامع وأبان بن علي المهلب ، وجماعة من وجوههم كانوا في جيش الموفق فبغت إليهم فقتلوا وحملت رؤسهم إليه ، وصلبت أبدانهم ببغداد ، وسكنت شروهم . وفيها صلح أمر المدينة النبوية وتراجع الناس إليها . وفيها جرت حروب كثيرة ببلاد الأندلس وأخذت الروم من المسلمين بالأندلس بلدين عظيمين فأناله وإنا إليه راجعون . وفيها قدم صاعد بن مخلد الكاتب من فارس إلى واسط فأمر الموفق القواد أن يقتلوه ففعل في أبهة عظيمة ، ولكن ظهر منه شيء وعجب شديد ، فأمر الموفق عما قريب بالقبض عليه وعلى أهله وأمواله ، واستكتب مكانه أبا الصقر إسماعيل بن بلبل . وحج الناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق المتقدم منذهر

وفيها توفي من الأعيان إبراهيم بن الوليد بن الحسحاس . وأحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عطارد المطاردى القيس راوى السيرة عن يونس بن بكير عن أبي إسحاق بن يسار وغير ذلك . وأبو عتيبة الحجازي . وسليمان بن عفيف . وسليمان بن وهب الوزيري جيس الموفق . وشعبة بن بكار

يروى عن أبي عاصم النبيل . ومحمد بن صالح بن عبد الرحمن الأنطاكي ، ويلقب بمكةلة ، وهو من تلاميذ يحيى بن معين . ومحمد بن عبد الوهاب الفراء . ومحمد بن عبيد الناذي . ومحمد بن عوف الطحفي .

﴿ وأبو مشر المنجم ﴾

واسمه جعفر بن محمد البلخي أستاذ عصره في صناعة التنجيم ، وله فيه التصانيف المشهورة ، كالمدخل والزيج والألوف وغيرها . وتكلم على ما يتعلق بالتيسير والأحكام . قال ابن خلكان : وله إصابات عجيبة ، منها أن بعض الملوك تطلب رجلا وأراد قتله فذهب ذلك الرجل فاختفى وخاف من أبي مشر أن يدل عليه بصنعة التنجيم ، فعمد إلى طست فلأه دما ووضع أسفله هاونا وجلس على ذلك الهاون ، فاستدعى الملك أبا مشر وأمره أن يظهر هذا الرجل ، فضرب رمله وحرره ثم قال : هذا عجيب جدا ، هذا الرجل جالس على جبل من ذهب في وسط بحر من دم ، وليس هذا في الدنيا . ثم أعاد الضرب فوجدته كذلك ، فتعجب الملك من ذلك ونادى في البلد في أمان ذلك الرجل المذكور فلما مثل بين يدي الملك سأله أين اختفى ؟ فأخبره بأمره فتعجب الناس من ذلك . والظاهر أن القى نسب إلى جعفر بن محمد الصادق من علم الرجز ، والطرف واختلاج الأعضاء إنما هو منسوب إلى جعفر ابن أبي مشر هذا ، وليس بالصادق وإنما ينسبونه والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائتين ﴾

فيها وقع بين إسحاق بن كنداج نائب الموصل وبين صاحبه ابن أبي الساج نائب قلسر بن وغيرها بعد ما كانا متفقين ، وكاتب ابن أبي الساج خارويه صاحب مصر ، وخطب له بيلاده وقسم خارويه إلى الشام فاجتمع به ابن أبي الساج ثم سار إلى إسحاق بن كنداج فتواقما فانهزم كنداج وهرب إلى قلعة ماردين ، فجاء لحاصره بها ثم ظهر أمر ابن أبي الساج واستحوذ على الموصل والجزيرة وغيرها ، وخطب بها خارويه واستفحل أمره جدا . وفيها قبض الموفق على لؤلؤ غلام ابن طولون وصادره بأربعمائة ألف دينار ، وسجنه فكان يقول ليس لي ذنب إلا كثرة مالى ، ثم أخرج بعد ذلك من السجن وهو فقير ذليل ، فعاد إلى مصر في أيام هارون بن خارويه ، ومعه غلام واحد فسلخها على برذون . وهذا جزاء من كفر لغة سيده . وفيها عدا أولاد ملك الروم على أبيهم قتلوه وملكوا أحد أولاده ، وفيها كانت وفاة :

﴿ محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموي ﴾

صاحب الأندلس من خمس وستين سنة . وكانت ولايته أربعمائة وثلاثين سنة وأحد عشر شهرا ، وكان أبيض مشربا بحمرة رقيقة أبيض يخضب بالحناء والكتم ، وكان عاقلا لبيبا يدرك الأشياء المشبهة ، وخلف ثلاثا وثلاثين ذكرا ، وقام بالأمر بعده ولده المنذر فأحسن إلى الناس

وأحبوه . وفيها كانت وفاة : ﴿ خلف بن أحمد بن خالد ﴾

الذي كان أمير خراسان في حبس المعتضد ، وهذا الرجل هو الذي أخرج البخاري محمد بن إسماعيل من بخارى وطرده عنها ، فدعا عليه البخاري فلم يفلح بمسحا ، ولم يبق في الامرة إلا أقل من شهر حتى احتيط عليه وعلى أمواله وأركب حماراً ونودي عليه في بلده ثم سجن من ذلك الحين فمكث في السجن حتى مات في هذه السنة ، وهذا جزاء من تعرض لأهل الحديث والسنة .

ومن توفي فيها أيضاً إسحاق بن يسار . وحنبل بن إسحاق عم الامام أحمد بن حنبل ، وهو أحد الرواة المشهورين عنه ، على أنه قتلهم في بعض ما يرويه ويحكيه . وأبو أمية الطرسوسي . وأبو الفتح بن شخرف أحد مشايخ الصوفية ، وذوى الأحوال والكرامات والكلمات النافعات . وقد وم ابن الأثير في قوله في كامله : إن أبا داود صاحب السنن توفي في هذه السنة ، وإنما توفي سنة خمس وسبعين كما سيأتي . وفيها توفي : ﴿ ابن ماجه القزويني ﴾

صاحب السنن وهو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه صاحب كتاب السنن المشهورة ، وهي دالة على عمله وعلمه وتبحره وإطلاعه واتباعه لسنة في الأصول والفروع ، ويشتمل على اثنين وثلاثين كتاباً ، وألف وخمسمائة باب ، وعلى أربعة آلاف حديث كلها جيد سوى اليسيرة . وقد حكى عن أبي زرعة الرازي أنه انتقد منها بضعة عشر حديثاً . ربما يقال إنها موضوعة أو منكورة جداً ، ولابن ماجه تفسير حافل وتاريخ كامل من لندن الصحابة إلى عصره ، وقال أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي القزويني : أبو عبد الله بن محمد بن يزيد بن ماجه ، ويعرف يزيد بـ ماجه مولى ربيعة ، كان طالباً بهذا الشأن صاحب تصانيف ، منها التاريخ والدين ، ارتحل إلى العراقين ومصر والشام ، ثم ذكر طرفاً من مشايخه ، وقد ترجمناهم في كتابنا التكميل لله الحمد والمنة . قال : وقد روى عنه الكبار القملاء : ابن سبيويه ومحمد بن عيسى الصفار ، وإسحاق بن محمد وعلى بن إبراهيم بن سلمة القطان ، وجندب أحمد بن إبراهيم ، وسليمان بن يزيد . وقال غيره : كانت وفاة ابن ماجه يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء لثان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين عن أربع وستين سنة ، وصلى عليه أخوه أبو بكر وتولى دفنه مع أخيه الآخر أبي عبد الله وابنه عبد الله بن محمد بن يزيد رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين ﴾

فيها نشبت الحرب بين أبي أحمد الموفق وبين عمرو بن الليث بفارس قصده أبو أحمد فهرب منه عمرو من بلد إلى بلد ، وتبعه ولم يقع بينهما قتال ولا مواجهة ، وقد تحصن إلى الموفق مقدم جيش عمرو بن الليث ، وهو أبو طلحة شركب الجلال ، ثم أراد المود قبض عليه الموفق وأباح ماله لولده أبي العباس المعتضد ، وذلك بالقرب من شيراز . وفيها غزا يلزمان الخادم كاتب طرسوس بلاد الروم

فأوغل فيها قتل وغنم وسلم . وفيها دخل صديق الفرغاني سامرا فذهب دور التجار بها وكر راجعاً ، وقد كان هذا الرجل من يحرص الطرقات فترك ذلك وأقبل يقطع الطرقات ، وضعف الجند بسامرا عن مقاومته . وفيها توفي من الأعيان إبراهيم بن أحمد بن يحيى أبو إسحاق ، قال ابن الجوزي في المنتظم : كان حافظاً فاضلاً ، روى عن حرمة وغيره ، توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة . إسحاق بن إبراهيم بن زياد أبو يعقوب المقرئ توفي في ربيع الأول منها . أيوب بن سليمان بن داود الصفدي يروي عن آدم بن إلياس ، وعن ابن صاعد وابن السكك ، وكان ثقة توفي في رمضان منها . الحسن بن مكرم بن حسان بن علي البزار ، يروي عن عفان وأبي النضر ويزيد بن هارون وغيرهم ، وعنه الحامل وابن مخلد والبخاري ، وكان ثقة . توفي في رمضان منها عن ثلاث وسبعين سنة . خلف بن محمد بن عيسى أبو الحسين الواسطي الملقب بكردوس ، يروي عن يزيد بن هارون وغيره ، وعنه الحامل وابن مخلد . قال ابن أبي حاتم : صدوق ، وقال الدارقطني ثقة . توفي في ذي الحجة منها ، وقد نيف عن الثمانين . عبد الله بن روح بن عبيد الله بن أبي محمد المدائني المعروف بعبد روس ، يروي عن شبابة ويزيد بن هارون ، وعنه الحامل وابن السكك وأبو بكر الشافعي ، وكان من الثقات . توفي في جمادى الآخرة منها . عبد الله بن أبي سعيد أبو محمد الوراق أصله من بلخ وسكن بغداد ، وروى الحديث عن شريح بن يونس وعفان وعلي بن الجعد وغيرهم ، وعنه ابن أبي الدنيا والبقعي والحامل وكان ثقة صاحب أخبار وآداب وملح ، توفي بواسط في جمادى الآخرة منها عن سبع وسبعين سنة . محمد بن إسماعيل بن زياد أبو عبد الله ، وقيل أبو بكر الدولابي ، سمع أبا النضر وأبا الجان وأبا مسهر ، وعنه أبو الحسين المنادي ومحمد بن مخلد وابن السكك وكان ثقة .

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائتين)

في الحرم منها وقع اختلاف بين أبي الساج وبين خمارويه فاعتللا عند ثلثة العقاب شرقي دمشق فتهر خمارويه لابن أبي الساج وأنهمز ، وكانت له حواصل يحمص فبعث خمارويه من سبقه إليها فأخذها ومنع منه حمص فذهب إلى حلب فتمه خمارويه فسار إلى الرقة فاتبه ، فذهب إلى الموصل ثم أنهمز منها خوفاً من خمارويه ووصل خمارويه إليها واتخذها مرسياً طويلاً القوائم ، فكان يجلس عليه في الفرات ، فشد ذلك طمع فيه ابن كنداج فسار وراءه ليظفر بشئ فلم يقدر ، وقد التقي في بعض الأيام فصرير له ابن أبي الساج صيراً عظيماً ، فسلم وانصرف إلى الموقف ببغداد فأكرمه وخلع عليه واستصحبه معه إلى الجبل ، ورجع إسحاق بن كنداج إلى ديار بكر من الجزيرة .

وفيها في شوال منها سجن أبو أحمد الموفق ولله أبا العباس المنتضد في دار الامارة ، وكان سبب ذلك أنه أمره بالمسير إلى بعض الوجوه فامتنع أن يسير إلا إلى الشام التي ولاه إياها عنه المنتضد ،

وأمر بسجنه فخارت الأمراء واختبطت بندگان فركب الموفق إلى بندگان وقال للناس : أنظفون أنفسكم على ولدي أشفق مني ؟ فسكن الناس عند ذلك ثم أفرج عنه . وفيها سار رافع إلى محمد بن زيد العلوي فأخذ منه مدينة جرجان فهرب إلى استراباذ فحصره بها سنين فغلبها السرح حتى بيع الملح بها وزن درهم بدرهمين ، فهرب منها ليلاً إلى سارية فأخذ منه رافع بلاداً كثيرة بعد ذلك في مدة متطاولة . وفي الحرم منها أوفى صفر كانت وفاة المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس عن ست وأربعين سنة ، وكانت ولايته سنة واحد وعشرين يوماً ، وكان أحمراً طويلاً بوجه أثر جدي ، جواداً محسناً يحب الشعراء ويصلهم بمال كثير ، ثم قام بالأمر من بعده أخوه محمد فامتلات بلاد الأندلس في أيامه فتناً وشراً حتى هلك كما سيأتي .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج ﴾ المروزي صاحب الامام أحمد ، كان من الأذكياء ، كان أحمد يقدمه على جميع أصحابه ويأنس به ويمنه في الحاجة ويقول له : قل ماشئت . وهو الذي أخص الامام أحمد وكان فيمن غسله ، وقد قل عن أحمد مسائل كثيرة وحصلت له رقة عظيمة مع أحمد حين طلب إلى سامرا ووصل بخمسين ألفاً فلم يقبلها . أحمد بن محمد بن غالب بن خالد بن مرداس أبو عبد الله الباهلي البصري المعروف بسلام خليل ، سكن بندگان ، روى عن سليمان ابن داود الشاذ كوفي وشيبان بن فروخ وقرعة بن حبيب وغيرهم ، وعنه ابن السكك وابن غنله وغيرهما ، وقد أنكر عليه أبو حاتم وغيره أحاديث رواها منكراً عن شيوخ مجهولين . قال أبو حاتم : ولم يكن ممن يقتل الحديث ، كان رجلاً صالحاً . وكذبه أبو داود وغير واحد . وروى ابن عدى عنه أنه اعترف بوضع الحديث ليرقى به قلوب الناس ، وكان عابداً زاهداً يقتات بالقلادة الصرفة ، وحين مات أغلقت أسواق بندگان وحضر الناس جنازته والصلاة عليه ثم جمل في زورق وشيع إلى البصرة فدفن بها في رجب من هذه السنة . وأحمد بن ملاعب ، روى عن يحيى بن معين وغيره ، وكان ثقة ديناً عالمًا فاضلاً ، انتشر به كثير من الحديث .

وأبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله بن السكري النحوي القنوي ، صاحب التصانيف . وإسحاق بن إبراهيم بن هانيء أبو يعقوب النيسابوري ، كان من أخصاء أصحاب الامام أحمد ، وعنده اختفى أحمد في زمن الخنة . وعبد الله بن يعقوب بن إسحاق التميمي المطار الموصلي . قال ابن الأثير : كان كثير الحديث معديلاً عند الحكماء . ويحيى بن أبي طالب .

﴿ وأبو داود السجستاني ﴾

صاحب السنن ، اسمه سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن يحيى بن عمران أبو داود السجستاني أحد أئمة الحديث الرحالين إلى الآفاق في طلبه ، جمع وصنف وخرَّج وألف

وجمع الكثير عن مشايخ البلدان في الشام ومصر والجزيرة والمراق وخراسان وغير ذلك ، وله السنن المشهورة المتداولة بين العلماء ، التي قال فيها أبو حامد الغزالي : يكنى المجتهد معرفتها من الأحاديث النبوية . حدث عنه جماعة منهم ابنه أبو بكر عبد الله وأبو عبد الرحمن النسائي وأحمد بن سليمان النجار ، وهو آخر من روى عنه في الدنيا . سكن أبو داود البصرة وقدم بغداد غير مرة وحدث بكتاب السنن بها ، ويقال إنه صنّفها وعرضها على الإمام أحمد فاستجاده واستحسنه وقال الخطيب : حدثني أبو بكر محمد بن علي ابن إبراهيم القاري الدينوري من لفظه ، قال سمعت أبا الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن الترمذي قال سمعت أبا بكر بن داسه يقول سمعت أبا داود يقول : كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته كتاب السنن ، جمعت فيه أربعة آلاف حديث ومائتا ألف حديث ، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه ، ويكنى الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث ، قوله عليه السلام : « إنما الأعمال بالنيات » . الثاني قوله « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » . الثالث قوله « لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه » الرابع قوله : « الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشبهات » . وحدثت عن عبد العزيز بن جعفر الحنبلي أن أبا بكر انشغل قال : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الإمام المقسم في زمانه رجل لم يسبقه إلى معرفة تخريج العلوم وبصره بمواضعها أحد من أهل زمانه ، رجل ورع مقدم قد سمع منه أحمد بن حنبل حديثا واحدا كان أبو داود يذكره ، وكان أبو بكر الاصهاني وأبو بكر بن صدقة يرفعان من قدره ويذكرانه بما لا يذكران أحدا في زمانه بمثله .

قلت : الحديث الذي كتبه عنه وصححه منه الإمام أحمد بن حنبل هو ما رواه أبو داود من حديث حماد بن سلمة عن أبي مشر الدارمي عن أبيه « أن رسول الله ﷺ سئل عن المتبرة فحسنها » . وقال إبراهيم الحارثي وغيره : ألين لأبي داود الحديث كما ألين لناود الحديده . وقال غيره : كان أحد حفاظ الاسلام للحديث وعلمه وسننه . وكان في أعلا درجة النسك والعفاف والصلاح والورع من فرسان الحديث . وقال غيره : كان ابن مسعود يشبهه بالنبي ﷺ في هديه ودله وصمته ، وكان حلقة يشبهه ، وكان إبراهيم يشبه حلقة ، وكان منصور يشبه إبراهيم ، وكان سفيان يشبه منصور ، وكان وكيع يشبه سفيان ، وكان أحمد يشبه وكيعا ، وكان أبو داود يشبه أحمد بن حنبل . وقال محمد ابن بكر بن عبد الرزاق : كان لأبي داود كم واسع وكم ضيق قليل له : ما هذا برحمة الله ؟ قال : هذا الواسع للكتب والآخر لا يحتاج إليه .

وقد كان مولد أبي داود في سنة ثنتين ومائتين ، وتوفي بالبصرة يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة ، ودفن إلى جانب قبر سفيان الثوري .

وقد ذكرنا ترجمته في التكميل وذكرنا ثناء الأئمة عليه .

وفيهما توفي محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن المنبس الضميرى الشاعر ، كان ديناً كثير الملح ، وكان هجاء ، ومن جيد شعره قوله :

كم عليل طاش من بعد ياس * بعد موت الطيب والمواد

قد تصاد القطار فتجوس ريماً * ويحل البلاء بالصياد

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائتين ﴾

في الحرم منها أعيد عمرو بن الحيث إلى شرطة بغداد وكتب اسمه على الفرش والمقاعد والستور ثم أستمط اسمه عن ذلك وعزل وولى عبيد الله بن طاهر . وفيها ولى الموفق لابن أبي الساج نيابة أذربيجان وفيها قصد هاون الشارى الخارجى مدينة الموصل فقتل شرقياً فخاصرها فخرج إليه أهلها فاستأنوه فأمّنهم ورجع عنهم . وفيها حج بالناس هارون بن محمد العباسى أمير الحرمين والطائف ، ولما رجع حجاج اليمن نزولاً فى بعض الأماكن فجاءهم سيل لم يشعروا به ففرقهم كلهم لم يفلت منهم أحد فأنقذ الله وإنا إليه راجعون . وذكر ابن الجوزى فى منتظمه وابن الأثير فى كامله أن فى هذه السنة اضرج تل بنهر الصلة فى أرض البصرة يعرف بتل بنى شقيق من سبعة أفرس فى مثل الخوض ، وفيها سبعة أبدان مهيحة أجسادهم وأكفاهم يفوح منهم ريح المسك ، أحدهم شاب وله جمة وعلى شفته بلل كأنه قد شرب ماء الآن ، وكان عينيه مكحلان وبه ضربة فى خصرته ، وأراد أحدهم أن يأخذ من شعره شيئاً فإذا هو قوى الشعر كأنه حتى فتركوا على حالهم .

ومن توفى فيها من الأعيان أحمد بن حازم بن أبى عزرة الحافظ صاحب المسند المشهور له حديث كثير وروايته عالية . وفيها توفى .

﴿ بقى بن مخلد ﴾

أبو عبد الرحمن الأندلسى الحافظ الكبير ، له المسند المبوب على الفقه ، روى فيه عن ألف وسبعمائة صحابى ، وقد فضله ابن حزم على مسند الامام أحمد بن حنبل ، وعندى فى ذلك نظر ، والظاهر أن مسند أحمد أجود منه وأجمع . وقد رحل بقى إلى العراق فسمع من الامام أحمد وغيره من أئمة الحديث بالعراق وغيرها يزيدون على المائتين بأربسة وثلاثين شيخاً ، وله تصانيف أخر ، وكان مع ذلك رجلاً صالحاً عابداً زاهداً مجلب الدعوة ، جاءته امرأة قتالت : إن ابنى قد أسرته الا فرنج ، وإنى لا أنام الليل من شوقى إليه ، ولى دويرة أريد أن أبيعها لأستفك ، فان رأيت أن تشير على أحد يأخذها لأسقى فى فسكاكه بشمها ، فليس يقر لى ليل ولا نهار ، ولا أجدنوما ولا صبراً ولا قرأراً ولا راحة . فقال : ثم انصرفى حتى أنظر فى ذلك إن شاء الله . وأطرق الشيخ وحرك شفتيه يدهو

الله عز وجل لولدها بالخلاص من أيدي الفرنج ، فنهبت المرأة فما كان إلا قليلا حتى جاءت الشيخ وابنها معها فقالت : اسمع خبره يرحمك الله . قال : كيف كان أمرك ؟ قال : إني كنت فيمن نخضم الملك ونحن في القيود ، فبينما أنا ذات يوم أمشي إذ سقط القيد من رجلي ، فأقبل على المولى بي فشنمني وقال لم أزلت القيد من رجلك ؟ قلت : لا والله ماشرت به ولكنه سقط ولم أشعر به ، فجأزا بالحداد فأعادوه وأعادوه وشدوا مساره وأبدوه ، ثم قت فسقط أيضا فأعادوه وأكادوه فسقط أيضا ، فسألوا رهبانهم عن سبب ذلك فقالوا : له والدة ؟ قلت : نعم ، فقالوا : إنها قد دعت لك وقد استجيب دعائها أطلقوه ، فأطلقوني وخفروني حتى وصلت إلى بلاد الاسلام . فسأله يُبقَى بن مخلد عن الساعة التي سقط فيها القيد من رجليه فإذا هي الساعة التي صافها الله له ففرج عنه .

صاعد بن مخلد الكاتب كان كثير الصدقة والصلاة وقد أنقذ عليه أبو الفرج بن الجوزي وتكلم فيه ابن الأثير في كتابه ، وذكر أنه كان فيه تبه وحق ، وقد يمكن الجمع بين القولين والصفتين . ابن قتيبة وهو عبد الله بن مسلم بن قتيبة القينوري ثم البغدادي ، أحد العلماء والأدباء والحفاظ الأذكياء وقد تمتعت ترجمته ، وكان ثقة نبيل ، وكان أهل العلم يهتمون من لم يكن في منزله شيء من تصانيفه ، وكان سبب وفاته أنه أكل لقمة من هريسة فإذا هي حارة فصاح صيحة شديدة ثم أغشى عليه إلى وقت الظهر ثم أفاق ثم لم يزل يشهد أن لا إله إلا الله إلى أن مات وقت السحر أول ليلة من رجب من هذه السنة ، وقيل إنه توفي في سنة سبعين ومائتين ، والصحيح في هذه السنة .

عبد الملك بن محمد بن عبد الله أبو قلابة الرياشي ، أحد الحفاظ ، كان يكنى بأبي محمد ، ولكن غلب عليه لقب أبو قلابة ، جمع يزيد بن هارون وروح بن عبادة وأبا داود الطيالسي وغيرهم ، وعنه ابن صاعد والهاملي والبخاري وأبو بكر الشافعي وغيرهم ، وكان صدوقا عابداً يعلى في كل يوم أربع مائة ركعة ، وروى من حفظه ستين ألف حديث غلط في بعضها على سبيل العمدة ، كانت وفاته في شوال من هذه السنة عن ست وثمانين سنة .

ومحمد بن أحمد بن أبي العوام . ومحمد بن إسماعيل الصائغ . ويزيد بن عبد الصمد . وأبو الرزاد المؤذن ، وهو عبد الله بن عبد السلام بن عبيد الرزاد المؤذن صاحب المقياس بمصر ، الذي هو مسلم إليه وإلى فريجه إلى يومنا هذا . قاله ابن خلكان والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائتين ﴾

فيها خطاب بإزمان نائب طرسوس بخارويه ، وذلك أنه هداه بنهب كثير ونهب هائلة . وفيها قدم جماعة من أصحاب بخارويه إلى بغداد . وفيها ولي المظالم ببغداد يوسف بن يعقوب وتودى في الناس : من كانت له مظلة ولو عند الأمير الناصر لدين الله الموفق ، أو عند أحد من الناس فليحضر .

وسافر في الناس سيرة حسنة ، وأظهر صرامة لم ير مثلاً . وحج بالناس الأمير المتقدم ذكره قبل ذلك . وفيها توفي من الأعيان إبراهيم بن صرا إسحاق بن أبي العيين . وأبو إسحاق الكوفي قاضي بغداد بعد ابن سباع ، سمع مولى بن عبيد وغيره ، وحدث عنه ابن أبي الدنيا وغيره توفي عن ثلاث وتسعين سنة ، وكان ثقة فاضلاً ديناً صالحاً .

﴿ وأحمد بن عيسى ﴾

أبو سعيد أنحراز أحد مشاهير الصوفية بالعبادة والمجاهدة والورع والمراقبة ، وله تصانيف في ذلك وله كرامات وأحوال وصبر على الشدائد ، وروى عن إبراهيم بن بشار صاحب إبراهيم بن آدم وغيره وعنه علي بن محمد المصري وجماعة . ومن جيد كلامه إذا بكى أعين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم . وقال : العافية تستر البر والفاجر ، فإذا نزل البلاء تبين عنده الرجال . وقال : كل باطن يخافه ظاهر فهو باطل . وقال : الاشتغال بوقت ماض تضييع وقت حاضر . وقال ذنوب المترين حسنات الأبرار . وقال الرضا قبل القضاء فتوى ، والرضا مع القضاء تسليم . وقد روى البيهقي بسنده إليه أنه سئل عن قول النبي ﷺ : « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها » فقال يا عجبا لمن لم ير محسناً غير الله كيف لا يميل إليه بكليته ؟ قلت : وهذا الحديث ليس بصحيح ، ولكن كلامه عليه من أحسن ما يكون . وقال ابنه سعيد : طلبت من أبي دائق فضة قال : يا بني اصبر فلو أحب أبوك أن يركب الملوكة إلى باب ما أتوا عليه . وروى ابن عساكر عنه قال : أصابني مرة جوع شديد فهممت أن أسأل الله طعاماً قلت : هذا يثنى التوكل فهمت أن أسأله صبراً فهتفت بي حاتم يقول :

ويزعم أنه منا قريب • وأنا لا نضيع من أنانا

ويأنا القرى جهداً وصبراً • كانا لا نراه ولا يرانا

قال قدمت ومشت فراسخ بلا زاد . وقال : الحب يتعمل إلى محبوه بكل شيء ، ولا يتسلى عنه بشيء يتبع آثاره ولا يمنع استخباره ثم أنشد :

أسألكم عنها فهل من خير • فإني بنعمي بعد مكة لي علم

فلو كنت أدرى أين خيم أهلها • وأى بلاد الله إذ ظعنوا أموا

إذا سلكنا مسلك الريح خلفها • ولو أصبحت نرى من دونها النجم

وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل في سنة سبع وأربعين ، وقيل في سنة ست وثمانين ، والأول أصح . وفيها توفي عيسى بن عبد الله بن سنان بن ذكرية بن موسى الطيالسي الحافظ ، تلقب رهاب ، سمع عفان وأبا نعيم ، وعنه أبو بكر الشافعي وغيره ، ووقفه الدارقلقي . كانت وفاته في شوال منها عن أربع وثمانين سنة . وفيها توفي .

(أبو حاتم الرازي)

محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران أبو حاتم الحنظلي الرازي ، أحد أئمة الحفاظ الأثبات المارقين بملل الحديث والمجرح والتعديل ، وهو قرين أبي زرعة رجهما الله ، سمع الكثير وطاف الأقطار والأمصا ، وروى عن خلق من الكبار ، وعنه خلق منهم الربيع بن سليمان ، ويونس بن عبد الأعلى وهما أكبر منه ، وقدم بغداد وحدث بها ، وروى عنه من أهلها إبراهيم الحربي وابن أبي الدنيا والحمالي وغيرهم . قال لابنه عبد الرحمن : يا بني مشيت على قدمي في طلب الحديث أكثر من ألف فرسخ ، وذكر أنه لم يكن له شيء ينفق عليه في بعض الأحيان ، وأنه مكث ثلاثاً لا يأكل شيئاً حتى استقرض من بعض أصحابه نصف دينار ، وقد أنفق عليه غير واحد من العلماء والفقهاء ، وكان يتحدى من حضر عنده من الحفاظ وغيرهم ، ويقول : من أغرب على يحدث واحد صحيح فله على درهم أنصدق به . قال : وسراى أسمع ما ليس عندي ، فلم يأت أحد بشيء من ذلك ، وكان في جملة من حضر ذلك أبو زرعة الرازي . كانت وفاة ابن أبي حاتم في شعبان من هذه السنة .

محمد بن الحسن بن موسى بن الحسن أبو جعفر الكوفي انخراز المعروف بالجندی ، له مسند كبير ، روى عن عبيد الله بن موسى والقنبري وأبي نعيم وغيرهم ، وعنه ابن ساعد والحمالي وابن السكك ، كان ثقة صدوقاً . محمد بن سمدان أبو جعفر الرازي ، سمع من أكثر من خمسمائة شيخ ، ولكن لم يحدث إلا باليسير ، توفي في شعبان منها . قال ابن الجوزي : ومحمد بن سمدان البزاز عن القنبري وهو غير مشهور . ومحمد بن سمدان النحوي مشهور . توفي في سنة إحدى ومائتين . قال ابن الأثير في كملته : وفيها توفي يعقوب بن سفيان بن حران الإمام النسوي ، وكان يتشيع . ويعقوب بن يوسف ابن معقل الأموي مولاهم ، والد أبي العباس أحمد بن الأصم . وفيها ماتت حبيب المغنية المأمونية ، قيل إنها ابنة جعفر بن يحيى البرمكي . فأما

(يعقوب بن سفيان بن حران)

فهو أبو يوسف بن أبي معاوية الفارسي النسوي ، سمع الحديث الكثير ، وروى عن أكثر من ألف شيخ من الثقات ، منهم هشام بن عمار ، ودحي ، وأبو الجاهلي ، وسليمان بن عبد الرحمن الدمشقيون ، وسعيد بن منصور وأبو عاصم ، ومكي بن إبراهيم ، وسليمان بن حرب ، ومحمد بن كثير وعبيد الله بن موسى والقنبري . روى عنه اللسائي في سننه وأبو بكر بن أبي داود والحسن بن سفيان وابن خراش وابن خزيمة وأبو حوالة الاسفراييني وغيرهم ، وصنف كتاب التاريخ والمعرفة وغيره من الكتب المفيدة ، وقد رحل في طلب الحديث إلى البلقان الثالثة ، وتغرب عن وطنه نحو ثلاثين سنة

وروى ابن عساکر عنه قال : كنت أكتب في الليل على ضوء السراج في زمن الرحلة فبينما أنا ذات ليلة إذ وقع شيء على بصري فلم أبصر معه السراج ، فجلعت أبكي على ما فاتني من ذهاب بصري ، وما يفوتني بسبب ذلك من كتابة الحديث ، وما أنا فيه من الغربة ، ثم غلبتني عيني فتمت فرأيت رسول الله ﷺ قال : مالك ؟ فشكوت إليه ما أنا فيه من الغربة ، وما فاتني من كتابة السنة . قال : « أدن مني ، فدنوت منه فجعل يده على عيني وجعل كأنه يقرأ شيئا من القرآن » . ثم استيقظت فأبصرت وجلست أسبح الله . وقد أتني عليه أبو زرعة الدمشقي والحاكم أبو عبد الله النيسابوري ، وقال : هو إمام أهل الحديث بفارس ، وقدم نيسابور وسمع منه مشايخنا وقد نسب بعضهم إلى التشيع . وذكر ابن عساکر أن يعقوب بن الليث صاحب فارس بلغه عنه أنه يتكلم في عثمان بن عفان فأمر بإحضاره فقال له وزيره : أيها الأمير إنه لا يتكلم في شيخنا عثمان بن عفان السجزي ، إنما يتكلم في عثمان بن عفان الصحابي ، فقال : دعوه مالي والصحابي ، إني إنما حسبته يتكلم في شيخنا عثمان بن عفان السجزي .

قلت : وما أظن هذا صحيحا عن يعقوب بن سفيان فإنه إمام محدث كبير القدر ، وقد كانت وفاته قبل أبي حاتم بغير في رجب منها بالبصرة رحمه الله . وقد رآه بعضهم في المنام فقال : ما فعل بك ربك ؟ فقال : غفر لي وأمرني أن أمل الحديث في السباه كما كنت أمليه في الأرض ، فجلست للاملاء في السباه الرابعة ، وجلس حولى جماعة من الملائكة منهم جبريل يكتبون ما أمليه من الحديث بأقلام الذهب .

﴿ وأما عريب المأمونية ﴾

قد ترجمها ابن عساکر في تاريخه وحكى عن بعضهم أنها ابنة جعفر البرمكي ، سرقت وهي صغيرة عند ذهاب دولة البرامكة ، وبيعت فاشتراها المأمون بن الرشيد ، ثم روى عن حماد بن إسحاق عن أبيه أنه قال : ما رأيت قط امرأة أحسن وجهها منها ، ولا أكثر أدبا ولا أحسن غناء وضربا وشعرا ولعبا بالشرنج والتردنج ، وما تشاء أن تجد خصلة ظريفة بارعة في امرأة إلا وجدت فيها . وقد كانت شاعرة مطيقة بليغة فصيحة ، وكان المأمون يتعشقها ثم أحبها بدمه المتعصم ، وكانت هي تعشق رجلا يقال له محمد بن حماد ، وربما أدخلته إليها في دار الخلالة فبعضها الله على ما ذكره ابن عساکر عنها ، ثم عشقت صالحا المنفرد ونزوجه سرا ، وكانت تقول فيه الشعر ، وربما ذكرته في شعرها بين يدي المتوكل وهو لا يشعر فيمن هو ، فتضطك جواريه من ذلك فيقول : يا سحافات هذا خير من غلكن . وقد أورد ابن عساکر شيئا كثيرا من شعرها ، فن ذلك قولها لما دخلت على المتوكل تودعه من حى أصابته قالت : —

أتوقى قالوا بالخليفة علة * فقلت ونار الشوق توقدني صدى

ألا ليت بي حمى الخليفة جعفر • فكانت بي الحمى وكان له أجرى
كفى بي حزن أن قيل حمى فلم أمت • من الحزن إني بعد هذا قد صبرى
جملت فداً للخليفة جعفر • وذلك قليل للخليفة من شكرى
ولما عوفى دخلت عليه فنتته من قبلها :

شكراً لا نعم من عافك من سقم • دمت المعاف من الآلام والسقم
عادت ببرئك للأيام بهجتها • واهتزت رياض الجود والكرم
ما ظم للدين بعد اليوم من ملك • أعف منك ولا أرى إلى القم
فعمّر الله فينا جعفرنا ونفى • بنور وجهته عنا دجى الظلم
ولها في عافيته أيضاً

حمدنا الذى عافى الخليفة جعفرآ • على رغم أشياخ الضلالة والكفر
وما كان إلا مثل بدر أصابه • كسوف قليل ثم أجل من البدر
سلامته للدين عز وقوة • وعلته للدين قاصمة الظهر
مرضت فأمرضت البرية كلها • وأظلت الأمصار من شدة الزعر
فلما استبان الناس منك أفاقه • أفاقوا وكانوا كالنيام على الخمر
سلامة دنياك سلامة جعفر • فدام معافا سالماً آخر الدهر
إمام أعم الناس بالفضل والندا • قريباً من التقوى بعيداً من الوزر
ولها أشعار كثيرة وأمة ومولها في سنة إحدى وثمانين ومائة وماتت في سنة سبع وسبعين
ومائتين يسر من رأى ، ولها ست وتسعون سنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين ﴾

قال ابن الجوزى : في الحرم منها طلع نجم ذوجة ثم صارت الجمة ذؤابة . قال : وفي هذه السنة فار
ماه النيل وهذا شيء لم يهد مثله ولا يلفتنا في الأخبار السالفة . فقلت الأسعار بسبب ذلك جددا . وفيها
خلق على عبد الله بن سليمان بالوزارة . وفي الحرم منها قدم الموفق من الفزو فلقاه الناس إلى
التهروان فدخل بغداد وهو مريض بالقرص فاستمر في داره في أوائل صفر ، ومات بعد أيام . قال :
وفيها تحرك القرامطة وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة
زرادشت ومردك ، وكانا يبيحان الحرمات . ثم هم بعد ذلك أتباع كل فاعق إلى باطل ، وأكثر
ما يفسدون من جهة الرافضة وينسبون إلى الباطل من جهتهم ، لأنهم أقل الناس عقولا ، ويقال لهم
الاسماعيلية ، لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق . ويقال لهم القرامطة ، قيل نسبة

إلى قرمط بن الأشعث البقار ، وقيل إن رئيسهم كان في أول دعوته بأمر من اتبعه بمخسرين صلاة في كل يوم وليلة ليشغلهم بذلك عما يريد تدبيره من المكيدة . ثم أخذ قباء اثني عشر ، وأسس لاتباعه دعوة ومسلكا يسلكونه ودعا إلى إمام أهل البيت ، ويقال لهم الباطنية لأنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض ، والجريمة والبابكية نسبة إلى بابك الجرجي الذي ظهر في أيام المعتصم وقتل كما تقدم . ويقال لهم المحمرة نسبة إلى صبغ الحمره شعاراً مضاهة لبني العباس ومخالفة لهم ، لأن بني العباس يلبسون السواد . ويقال لهم التعليمية نسبة إلى التعلم من الامام المعصوم . وترك الرأي ومقتضى العقل . ويقال لهم السبعية نسبة إلى القول بأن الكواكب السبعة المنحيزة السائرة مدبرة لهذا العالم فيأمرهم لعنهم الله . وهي القمر في الأولى ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والثمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة . قال ابن الجوزي : وقد بقي من البابكية جماعة يقال إنهم يجتمعون في كل سنة ليلة هم ونسأهم ثم يطفئون المصباح وينتهبون النساء فن وقت يدع في امرأة حلت له . ويقولون هذا اصطياح مباح لعنهم الله . وقد ذكر ابن الجوزي تفصيل قولهم وبسطه ، وقد سبقه إلى ذلك أبو بكر الباقلائي المتكلم المشهور في كتابه « هنك الأستار وكشف الأسرار » في الرد على الباطنية ، ورد على كتابهم الذي جمعه بعض قضاتهم بديار مصر في أيام الفاطميين الذي سماه « البلاغ الأعظم والناموس الأكبر » وجعله ست عشرة درجة أول درجة أن يدعو من يجتمع به أولاً إن كان من أهل السنة إلى القول بتفضيل علي على عثمان بن عفان ، ثم ينتقل به إذا وافقه على ذلك إلى تفضيل علي على الشيخين أبي بكر وعمر ، ثم يترق به إلى سبهما لأنهما ظلماعليا وأهل البيت ، ثم يترق به إلى تجهيل الأمة وتخطئتها في وواقه أكثرهم على ذلك ، ثم يشرع في القدح في دين الاسلام من حيث هو . وقد ذكر لمخاطبته لمن يريد أن يخاطبه بذلك شباكاً وضلالات لا تروج إلا على كل غبي جاهل شقي . كما قال تعالى (والسباء ذات الجلبك إنكم لني قول مختلف يؤفك عنه من أفك) أي يفضل به من هو ضال . وقال (فأنكم وما تعبسون ما أنتم عليه فبانتين إلا من هو صال الجحيم) وقال (وكنك جملنا لكل نبي عدواً شياطين الأنس والجن يحسبهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون . ولتصني إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترون) إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن أن الباطل والجهل والضلال والمأصي لا ينقاد لها إلا شرار الناس كما قال بعض الشعراء :

إن هو مستحوذ على أحد • إلا على أضعف المجانين

ثم بعد هذا كله لهم مقامات في الكفر والزندقة والسخافة مما يتبني لضعيف العقل والدين أن ينزه

نفسه عنه إذا تصوره ، وهو مما فتحه إبليس عليهم من أنواع الكفر وأنواع الجهالات ، وربما أفاد
إبليس بعضهم أشياء لم يكن يعرفها كما قال بعض الشعراء :

وكننت أمراً من جند إبليس برهة • من الدهر حتى صار إبليس من جندي
والمقصود أن هذه الطائفة تحركت في هذه السنة ، ثم استفحل أمرهم وتفاقم الحال بهم كما سنذكره ،
حتى آل بهم الحال إلى أن دخلوا المسجد الحرام ففسكوا دم الحبيص في وسط المسجد حول الكعبة
وكسروا الحجر الأسود واقتلوه من موضعه ، وذهبوا به إلى بلادهم في سنة سبع عشرة وثلاثمائة ،
ثم لم يزل عندهم إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، فكث غائباً عن موضعه من البيت ثنتين وعشرين
سنة فأن الله وإنا إليه راجعون . وكل ذلك من ضعف الخليفة وتلاعب الترك بمنصب الخلافة واستيلائهم
على البلاد وثقلت الأمور .

وقد اتفق في هذه السنة شيطان أحدهما ظهور هؤلاء ، والثاني موت حسام الاسلام وناصر دين
الله أبو أحمد الموفق رحمه الله ، لكن الله أبقى للمسلمين بعده ولهم أبا العباس أحمد الملقب بالمعتضد ،
وكان شهياً شجاعاً ﴿وهذه ترجمة أبي أحمد الموفق﴾

هو الأمير الناصر لدين الله ، ويقال له الموفق ، ويقال له طليحة بن المتوكل على الله جعفر بن محمد
المعتصم بن هارون الرشيد ، كان مولده في يوم الأربعاء ليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وعشرين
ومائتين ، وكان أخوه المعتضد حين صارت الخلافة إليه قد عهد إليه بالولاية بعد أخيه جعفر ، ولقبه
الموفق بالله ، ثم لما قتل صاحب الزنج وكسر جيشه تلقب بناصر دين الله ، وصار إليه العقد والحل
والولاية والعزل ، وإليه يجئ الخراج ، وكان يخطب له على المنابر ، فيقال : اللهم أصلح الأمير الناصر
لدين الله أبا أحمد الموفق بالله ولي عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين . ثم اتفق موته قبل أخيه المعتضد
بسته أشهر ، وكان غزير العقل حسن التدبير يجلس للظالم وعنده القضاة فينصف المظلوم من الظالم
وكان عالماً بالأدب والنسب والفتوة وسياسة الملك وغير ذلك ، وله محاسن ومآثر كثيرة جداً

وكان سبب موته أنه أصابه مرض النقرس في السفر فقدم إلى بغداد وهو عليل منه فاستقر في داره
في أوائل صفر وقد تزايد به المرض وتورمت رجله حتى عظمت جداً ، وكان يوضع له الأشياء المبردة
كالثلج ونحوه ، وكان يحمل على سريره ، يحمله أربعون رجلاً بالنوبة ، كل نوبة عشرون . فقال لهم
ذات يوم : ما أظنكم إلا قد ملتم مني فيالتي كواحد منكم آكل كما تأكلون ، وأشرب كما تشربون ،
وأرقد كما ترقدون في عافية . وقال أيضاً : في ديواني مائة ألف مرتزق ليس فيهم أحد أسوأ حالاً مني .
ثم كانت وفاته في القصر الحسيني ليلة الخميس ثمان بقين من صفر . قال ابن الجوزي : وله سبع
وأربعون سنة تنقص شهراً وأياماً .

ولما توفي اجتمع الأمراء على أخذ البيعة من بعده إلى ولده أبي العباس أحمد، فبايع له المعتمد بولاية العهد من بعده أبيه، وخطب له على المنابر. وجعل إليه ما كان لأبيه من الولاية والعزل والقطع والوصل، ولقب المعتمد بالله.

وفيها توفي إدریس بن سليم الفقعسي الموصلی. قال ابن الأثير: كان كثير الحديث والصلاح. وإسحاق بن كنداج قائد الجزيرة، كان من ذوى الرأي، وقام بما كان إليه ولده محمد. وإيزمان قائد طرسوس جاءه حجر منجنيق من بلدة كان محاصرها ببلاد الروم فأت منه في وجب من هذه السنة ودفع بطرسوس، فولى نيابة الثغر بعده أحمد الجعفي بأمر خوارويه بن أحمد بن طولون، ثم عزله عن قريب بأمر عمه موسى بن طولون. وفيها توفي عبدة بن عبد الرحيم قبحة الله. ذكر ابن الجوزي أن هذا الشقي كان من المجاهدين كثيرًا في بلاد الروم، فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون محاصروا بلدة من بلاد الروم إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن فبورها فراسلها ما السبيل إلى الوصول إليك؟ فقالت أن تنصرف وتصدق إلى، فأجابها إلى ذلك، فأراح المسلمين إلا وهو عندها، فاقتم المسلمون بسبب ذلك غما شديداً، وشق عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بصد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن فقالوا: يا فلان ما فعل قرأتك؟ ما فعل علمك؟ ما فعل صيامك؟ ما فعل جهادك؟ ما فعلت صلاتك؟ قال: اعلوا أنى أنسيت القرآن كله إلا قوله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فزهم يأكلوا ويشتموا ويلهبهم الأمل فسوف يعلمون) وقد صار لي فيهم مال وولد

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين)

في أواخر المحرم منها خلع جعفر المفوض من المهدي واستقل بولاية العهد من بعده المعتمد أبو العباس المعتضدين الموفق، وخطب له بذلك على رؤس الأشهاد، وفي ذلك يقول يحيى بن علي بن المعتضد.

لبيئك عقد أنت فيه المقدم • حياك به رب بفضلك أعلم
فان كنت قد أصبحت وإلى عهدنا • فأنت خدا فينا الامام المظلم
ولا زال من والاك فيه مبلنًا • مناه ومن عاداك يخرى ويندم
وكان عمود الدين فيه تموج • فساد بهذا العهد وهو مقوم
وأصبح وجه الملك جذلان ضاحكا • يضئ لنا منه الذي كان مظلم
فنونك شدد عقد ماقده حويته • فانك دون الناس فيه الحكم

وفيها نودي ببغداد أن لا يمكن أحد من القصاص والطارقة والمنجيين ومن أشبههم من الجلوس في المساجد ولا في الطرقات، وأن لا يتباع كتب الكلام والفلسفة والجليل بين الناس، وذلك بهمة

أبي العباس المعتضد سلطان الاسلام . وفيها وقعت حروب بين هارون الشاري وبين بني شيخان في أرض الموصل وقد بسط ذلك ابن الأثير في كتابه
وفي رجب منها كانت وفاة المعتضد على الله ليلة الاثنين لتسع عشرة ليلة خلت منه .

﴿وهذه ترجمته﴾

هو أمير المؤمنين المعتضد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد واسمه أحمد بن جعفر بن محمد بن هارون الرشيد مكث في الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة وستة أيام ، وكان عمره يوم مات خمسين سنة وأشهرآ ، وكان أسن من أخيه الموفق بستة أشهر ، وتأخر بعده أقل من سنة ، ولم يكن إليه مع أخيه شيء من الأمر حتى أن المعتضد طلب في بعض الأيام ثلاثمائة دينار فلم يصل إليها فقال الشاعر في ذلك :

ومن المعائب في الخلافة أن * ترى ما قل ممتنماً عليه

وتؤخذ الدنا باسمه جميعاً * وما ذاك شيء في يديه

إليه تحمل الأموال طراً * ويمنع بعض ما يجبي إليه

كان المعتضد أول خليفة انتقل من سلما إلى بغداد ثم لم يد إليها أحد من الخلفاء ، بل جعلوا إقامتهم ببغداد ، وكان سبب هلاكه في ما ذكره ابن الأثير أنه شرب في تلك الليلة شراباً كثيراً وتعمش عشاء كثيراً ، وكان وقت وفاته في القصر الحسيني من بغداد ، وحين مات أحضر المعتضد القضاة والأعيان وأشهدهم أنه مات حتف أنفه ، ثم غسل وكفن وصلى عليه ثم حل فدفن بسلاما . وفي صبيحة الزاء بويع للمعتضد وفيها توفي .

﴿البلاذري المؤرخ أحد المشاهير﴾

واسمه أحمد بن يحيى بن جابر بن داود أبو الحسن ويقال أبو جعفر ويقال أبو بكر البغدادي البلاذري صاحب التاريخ المنسوب إليه ، سمع هشام بن عمار وأبا عبيد القاسم بن سلام ، وأبا الربيع الزهراني وجماعة ، وعنه يحيى بن النديم وأحمد بن عمار وأبو يوسف يعقوب بن نعيم بن قرطادة الأزدي . قال ابن عساكر : كان أديباً ظهرت له كتب جيد ، وصدق المأثور بمدايح ، وجالس المتوكل ، وتوفي أيام المعتضد ، وحصل له هوس وسواس في آخر عمره ، وروى عنه ابن عساكر قال قال لي محمود الوراق : قل من الشعر ما يبق لك ذكره ، وبزول عنك إيمه قلت عند ذلك :

استمدى يافس للموت واسى * لنجاة طلائم المستمد

إنما أنت مستعمرة وسوف * تزدن والمواري تزد

أنت تسبين والحوادث لا * تسبو وتلهين والمنيا تعد

أي ملك في الأرض وأي حظ * لأمري حظه من الأرض لحد

لأرجى البقاء في مدن الموت * ودار حنوفها لك ورد
كيف يهوى امرؤ فإذ أياك * أنفاسها عليه فيها تمد

﴿ خلافة المعتضد ﴾

أمير المؤمنين أبي المباس أحمد بن أحمد الموفق بن جعفر المتوكل ، كان من خيار خلفاء بني العباس ورجلهم . بويع له بالخلافة صبيحة موت المعتضد لعشرين من رجب منها وقد كان أمر اخلافة دائراً فأحياء الله على يديه بدمه وشهامته وجراته ، واستوزر عبيد الله بن سليمان بن وهب وولى مولاه بدرآ الشرطة في بغداد ، وجاءته هدايا عمرو بن الليث وسأل منه أن يوليّه إمرة خراسان فأجابته إلى ذلك ، وبعث إليه بالخلع والواء فنصبه عمرو في داره ثلاثة أيام فرحاً وسروراً بذلك ، وعزل رافع بن هرثمة عن إمرة خراسان ودخلها عمرو بن الليث فلم يزل يتبع رافعاً من بلد إلى بلد حتى قتله في سنة ثلاث وثمانين كما سيأتي ، وبعث برأسه إلى المعتضد وصفت إمرة خراسان لعمرو . وفيها قدم الحسين بن عبد الله المعروف بالخصاص من الديار المصرية بهدايا عظيمة من خنارويه إلى المعتضد فتزوج المعتضد بآبنة خنارويه فجهزها أبوها بجهاز لم يسمع بمثله ، حتى قبيل إته كان في جهازها مائة هاون من ذهب ، فحمل ذلك كله من الديار المصرية إلى دار اخلافة ببغداد محبة المروس ، وكان وقتاً مشهوداً . وفيها تملك أحمد بن عيسى بن الشيخ قلعة ما ردين وكانت قبل ذلك لاسحاق بن كنداج . وفيها حج بالناس هارون بن محمد المباسمي وهي آخر حجة حجها بالناس ، وقد كان يحج بالناس من سنة أربع وستين ومائتين إلى هذه السنة .

وفيها توفي من الأعيان أحمد أمير المؤمنين المعتضد . وأبو بكر بن أبي خيشمة . وأحمد بن زهير بن خيشمة صاحب التاريخ وغيره . سمع أنا نعيم . وعفان وأخذ دلم الحديث عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، وعلم السب من مصعب الزبيري ، وأيام الناس عن أبي الحسن علي بن محمد المدائني . وعلم الأدب عن محمد بن سلام الجمحي . وكان ثقة حافظاً ضابطاً مشهوراً ، وفي تاريخه فوائد كثيرة وفرائد غزيرة . روى عنه البغوي وابن صاعد وابن أبي داود بن المنادي . توفي في جمادى الأولى منها عن أربع وتسعين سنة . وخلفان أبو عبد الله الصوفي ، كانت له أحوال وكرامات .

﴿ الترمذي ﴾

واسمه محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك ، وقيل محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن ، ويقال محمد بن عيسى بن سورة بن شداد بن عيسى السلي الترمذي الضرير ، يقال إنه ولد أكمه ، وهو أحد أئمة هذا الشأن في زمانه ، وله المصنفات المشهورة ، منها الجامع ، والشمائل ، وأسماء الصحابة وغير ذلك . وكتاب الجامع أحد الكتب الستة التي يرجع إليها العلماء في

سائر الأساقفة ووجهاته ابن حزم لأبي عيسى الترمذى لا فضره حيث قال في محله : ومن محمد بن عيسى ابن سورة ؟ فان جهالته لا تضع من قدره عند أهل العلم ، بل وضعت منزلة ابن حزم عند الحفاظ ، وكيف يصح في الأذهان شيء • إذا احتاج النهار إلى دليل

وقد ذكرنا مشايخ الترمذى في التكيل . وروى عنه غير واحد من العلماء منهم محمد بن إسماعيل البخارى في الصحيح ، والهيثم بن كليب الشافى صاحب المسند ، ومحمد بن محبوب المحبوى ، راوى الجامع عنه . ومحمد بن المنذر بن شكر . قال أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلى القزوينى في كتابه علوم الحديث : محمد بن عيسى بن سورة بن شداد الحافظ متفق عليه ، له كتاب في السنن وكتاب في الجرح والتعديل ، روى عنه أبو محبوب والأجلاء ، وهو مشهور بالأمانة والأمانة والعلم . مات بعد الثمانين ومائتين . كذا قال في تاريخ وفاته . وقد قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان النجاشى في تاريخ بخارى : محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلى الترمذى الحافظ ، دخل بخارى وحديث بها ، وهو صاحب الجامع والتاريخ ، توفى بالترمذ ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين . ذكره الحافظ أبو حاتم بن حبان في الثقات ، قتال : كان ممن جمع وصنف وحفظ وذاك . قال الترمذى : كتب عنى البخارى حديث عطية عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال لىلى : « لا يحمل لاحد يحنب فى هذا المسجد غيرى وغيرك » . وروى ابن يقطه فى تقييده عن الترمذى أنه قال : صنف هذا المسند الصحيح وعرضته على علماء الحجاز فرضوا به ، وعرضته على علماء العراق فرضوا به ، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به ، ومن كان فى بيته هذا الكتاب فكأنما فى بيته نبي ينطق . وفى رواية يشكلم . قالوا وجهه الجامع مائة وإحدى وخمسون كتابا ، وكتاب المال صنفه بسرقة ، وكان فراغه منه فى يوم عيد الأضحي سنة سبعين ومائتين . قال ابن عطية : سمعت محمد بن طاهر القسسى سمعت أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى يقول : كتاب الترمذى عندى أنور من كتاب البخارى ومسلم . قلت : ولم ؟ قال لأنه لا يصل إلى الفائدة منهما إلا من هو من أهل المعرفة التامة بهذا الفن ، وكتاب الترمذى قد شرح أحاديثه وبينها ، فيصل إليها كل أحد من الناس من الفقهاء والمحدثين وغيرهم . قلت : والذى يظهر من حال الترمذى أنه إنما طرأ عليه العمى بعد أن رحل وصنع وكتب وذاك فأنظر وصنف ، ثم اتفق موته فى بلد فى رجب منها على الصحيح المشهور والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمانين ومائتين من الهجرة النبوية ﴾

فى الحرم منها قتل المتضدد رجلا من أضرأه الزنج كان قد لجأ إليه بالأمان ويعرف بسلعة ، ذكر له أنه يدعو إلى رجل لا يعرف من هو ، وقد أفسد جماعة ، فاستدعى به فقرر فلم يقر ، وقال : لو كان

نحت قديمى ما أفررت به ، فأمر به فشد على عمود ثم لوثه على النار حتى تساقط جلده ، ثم أمر بضرب عنقه وصلبه لسبع خلون من المحرم . وفى أول صفر ركب المعتضد من بغداد قاصداً بنى شيبان من أرض الموصل فأوقع بهم بأساً شديداً عند جبل يقال له نوباذ . وكان مع المعتضد حاد جيد الحداة ، فقال فى تلك الأيام يحدو للمعتضد .

فأجهشت للنوباذ حين رأيته * وهلات للرحمن حين رأى

وقلت له أين الذين عهدتهم * بظلك فى أمن ولبن زمانى

فقال مضوا واستخلفونى مكاتهم * ومن ذا الذى يبق على الحدان

وفىها أمر المعتضد بتسجيل عقبة حلوان فرم عليها عشرين ألف دينار ، وكان الناس يلتقون منها شدة عظيمة . وفىها أمر بتوسيع جامع المنصور بإضافة دار المنصور إليه ، وغرم عليه عشرين ألف دينار ، وكانت القمار قبلته فبناها مسجداً على حدة وفتح بينهما سبعة عشر باباً وحول المنبر والحراب إلى المسجد ليكون فى قبلة الجامع على عادته . قال الخطيب : وزاد بدر مولى المعتضد السفطان من قصر المنصور المروفة باليدرية .

(ذكر بناء دار الخلافة من بغداد فى هذا الوقت)

أول من بناها المعتضد فى هذه السنة ، وهو أول من سكنها من الخلفاء إلى آخر دولتهم ، وكانت أولاً داراً لحسن بن سهل تعرف بالقصر الحسى ، ثم صارت بعد ذلك لابنته بوران زوجة المأمون ، فمترها حتى استنزها المعتضد عنها فأجابته إلى ذلك ، ثم أصلحت ما وهب منها ودمت ما كان قد تشمت فيها ، وفرشتها بأنواع الفرش فى كل موضع منها ما يليق به من الفاراش ، وأسكنته ما يليق به من الجوارى والخدم ، وأعدت بها المآكل الشهية وما يحسن ادخاره فى ذلك الزمان ، ثم أرسلت مناجيحها إلى المعتضد ، فلما دخلها حاله ما رأى من الخيرات ، ثم سمعها وزاد فيها وجعل لها سوراً حولها ، وكانت قدر مدينة شيراز ، وبنى الميدان ثم بنى فيها قصراً مشرفاً على دجلة ، ثم بنى فيها المكتنى التاج ، فلما كان أيام المعتضد زاد فيها زيادات أخر كباراً كثيرة جداً ، ثم بعد هذا كله خربت حتى كأن لم يكن موضعها عسارة ، وتأخرت آثارها إلى أيام التتار الذين غرّبوها وخرّبوا بغداد وسبوا من كان بها من الحواري كاسيأتى بياته فى موضعه من سنة ست وخمسين وسبائة . قال الخطيب : والذى يشبه أن بوران وهبت دارها للمعتد لا للمعتضد ، فانها لم تمش إلى أيامه ، وقد تهدمت وقتها .

وفىها زلزلت أردبيل ست مرات تهدمت دورها ولم يبق منها مائة دار ، ومات تحت الردم مائة ألف وخمسون ألفاً [فأناله وإنا إليه راجعون . وفىها غارت المياه ببلاد الرى وطبرستان حتى بيع

الماء كل ثلاثة أرطال بدمهم ، وغلت الأسعار هناك جداً [١١]

وفيها غزا إسماعيل بن أحمد الساماني ببلاد الترك ففتح مدينة ملكهم وأمر امرأته الخاتون وآياه ونحواً من عشرة آلاف أسير ، وغنم من الدواب والأمتة والأموال شيئاً كثيراً ، أصاب الفارس ألف درهم . وفيها حج بالناس أبو بكر محمد بن هارون بن إسحاق البماي .

وفيها توفي من الأعيان أحمد بن سيار بن أيوب الفقيه الشافعي المشهور بالمعادة والزهادة . وأحمد بن أبي عمران موسى بن عيسى أبو جعفر البغدادي ، كان من أكابر الخفنية ، فقه على محمد بن سماعة وهو أستاذ أبي جعفر الطحاوي ، وكان ضرباً ، سمع الحديث من علي بن الجعد وغيره ، وقدم مصر فحدث بها من حفظه ، وتوفي بها في الحرم من هذه السنة ، وقد وثقه ابن بونس في تاريخ مصر .

(وأحمد بن محمد بن عيسى بن الأزهر)

القاضي بواسط ، صاحب المسند ، روى عن مسلم بن إبراهيم وأبي سلة التبوذكي ، وأبي نعم وأبي الوليد وخلق ، وكان ثقة ثبتاً فقهه بأبي سليمان الجوزجاني صاحب محمد بن الحسن وقد حكم بالجناب الشرقي من بغداد في أيام المعتز ، فلما كان أيام الموفق طلب منه ومن إسماعيل القاضي أن يعطياه ما بأيديهما من أموال البيت الموقوفة فيأخذوا إلى ذلك إسماعيل القاضي واستنظره إلى ذلك أبو العباس البرقي هذا ، ثم يأخذ إلى كل من أنس منه رشداً من البيت فدفع إليه ماله ، فلما طوب به قال : ليس عندى منه شيء ، فدفعه إلى أهله ، فمزل عن القضاء ولزم بيته وتعب إلى أن توفي في ذى الحجة منها . وقد رآه بعضهم في المنام وقد دخل على رسول الله ﷺ فقام إليه وصافه وقبل بين يديه ، وقال : مرجأ بمن عمل بسلق وأثرى

وفيها توفي جعفر بن المعتضد ، وكان يسار أباه . وراشد مولى الموفق بمدينة الدينور فعمل إلى بغداد . وعثمان بن سعيد الناري مصنف الرد على بشر المريسي فيما ابتدعه من التأويل لمنهجه الجهمية وقد ذكرناه في طبقات الشافعية . ومسرور الخادم وكان من أكابر الأمراء . ومحمد بن إسماعيل الترمذي صاحب التصانيف الحسنة في رمضان منها ، قاله ابن الأثير ، وشيخنا القهبي . وهلال بن الملا المحدث المشهور . وقد وقع لنا من حديثه طرف .

(وسيبويه أستاذ النحاة)

وقيل إنه توفي في سنة سبع وسبعين ، وقيل ثمان وثمانين ، وقيل إحدى وستين ، وقيل أربع وسبعين ومائة قاله أعلم .

[وهو أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب ، وقيل : مولى الربيع بن زياد

(١) زيادة من المصرية ومن نسخة أخرى بالأستانة .

الحارثى البصرى . ولقب سيويه بالجلال وحجرة وجنتيه حتى كانتا كالنناحتين . وسيويه فى لغة فارس راحة التفاح . وهو الامام العلامة العلم ، شيخ النخاعة من لحن زمانه إلى زماننا هذا ، والناس عيال على كتابه المشهور فى هذا الفن . وقد شرح بشروح كثيرة وقل من يحيط علما به .

أخذ سيويه العلم عن الخليل بن أحمد ولازمه ، وكان إذا قدم يقول الخليل : مرحبا بزائر لا يمل . وأخذ أيضاً عن عيسى بن عمر ، ويونس بن حبيب وأبى زيد الأنصارى ، وأبى الخطاب الأفشى الكبير وغيرهم ، قدم من البصرة إلى بغداد أيام كان الكسائى يودب الأمين بن الرشيد ، فجمع بينهما فتناظرا فى شئ من مسائل النحو فانتهى الكلام إلى أن قال الكسائى : تقول العرب : كنت أغنى الزنبر أشد لساً من النحلة فإذا هو ليها . فقال سيويه : بلى وبين أعرابى لم يشبه شئ من الناس المولد ، وكان الأمين يحب نصرة أستاذة فسأل رجلاً من الأعراب فطلق بما قال سيويه . فكره الأمين ذلك وقال له : إن الكسائى يقول خلافك . فقال : إن لسانى لا يطاوعنى على ما يقول فقال : أحب أن تحضر وأن تصوب كلام الكسائى ، فطاعه على ذلك وانفصل المجلس عن قول الأعرابى إذا الكسائى أصلب . فحمل سيويه على نفسه وعرف أنهم تصعبوا عليه ورحل عن بغداد فأتى بيلاد شيراز فى قرية يقال لها البيضاء ، وقيل إنه ولد بهنـه وتوفى بمدينة سارة فى هذه السنة ، وقيل سنة سبع وسبعين ، وقيل ثمان وثمانين ، وقيل إحدى وتسعين وقيل أربع وتسعين ومائة والله أعلم ، وقد ينف على الأربعين ، وقيل بل إنما عمر ثنتين وثلاثين سنة والله أعلم . قرأ بعضهم على قبره هذه الأبيات :

ذهب الأحبة بعد طول تزاور * ونأى المزار فأسلوك وأقشعوا
تركوك أوحش ما تكون بقفرة * لم يؤنسوك وكربة لم يدفعا
قضى القضاء وصرت صاحب حفرة * عنك الأحبة أعرضوا واعدعوا^(١)

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائتين ﴾

ففيها دخل المسلمون بلاد الروم فغنموا وسلموا . وفيها تكامل غور المياه بيلاد الرى وطبرستان . وفيها غلت الأسعار جداً وجهد الناس حتى أكل بعضهم بعضاً ، فكان الرجل يأكل ابنه وابنته فأنا لله وإنا إليه راجعون . وفيها حاصر المنضد قلعة ماردين وكانت بيد حمدان بن حمدون ففتحها قسراً وأخذ ما كان فيها ، ثم أمر بنخر فيها فهدمت . وفيها وصلت قطر الهندى بلىت خاويه سلطان الديار المصرية إلى بغداد فى تجمل عظيم ومنها من الجهاز شئ كثير حتى قيل إنه كان فى الجهاز مائة هاون من ذهب غير الفضة وما يتبع ذلك من التماش وغير ذلك مما لا يحصى . ثم بعد كل حساب أرسل معها (١) زيادة من المصرية .

أبوها ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار لتشتري بها من العراق ما قد نحتاج إليه مما ليس بمصر مثله . وفيها خرج المعتضد إلى بلاد الجبل وولى ولده عليا المكتفي نيابة الري وقزوین وأذربيجان وهمدان والدينور ، وجعل على كتابته أحمد بن الأصبح ، وولى عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف نيابة أصهبان ونهاوند والكرخ ، ثم عاد راجعاً إلى بغداد . وحج بالناس محمد بن هارون بن إسحاق ، وأصاب الحجاج في الأجر مطر عظيم ففرق كثير منهم ، كان الرجل يفرق في الرمل فلا يقدر أحد على خلاصه منه .

وفيها توفي من الأعيان إبراهيم بن الحسن بن ديزيل الحافظ صاحب كتاب المصنفات ، منها في وقعة صفين مجلد كبير . وأحمد بن محمد الطائي بالكوفة في جمادى منها

﴿ وإسحاق بن إبراهيم ﴾

المروفي بابن الجبلى مع الحديث وكان يفتى الناس بالحديث ، وكان يوصف بالفهم والحفظ . وفيها توفي

﴿ أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا القرشي ﴾

مولى بنى أمية ، وهو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس أبو بكر بن أبي الدنيا الحافظ المصنف في كل فن ، المشهور بالتصانيف الكثيرة النافعة الشائعة الزائلة في الرق وغيرها ، وهي تزيد على مائة مصنف ، وقيل إنها نحو الثلاثمائة مصنف ، وقيل أكثر وقيل أقل ، مع ابن أبي الدنيا إبراهيم ابن المنذر الخراساني ، وخالفه بن خراش وعلى بن الجعد وخلفاء ، وكان مؤدب المعتضد وعلى بن المعتضد الملقب بالمكتفي بالله ، وكان له عليه كل يوم خمسة عشر ديناراً ، وكان صدوقاً حافظاً ذا مروءة ، لكن قال فيه صالح بن محمد حرزة : إلا أنه كان يروى عن رجل يقال له محمد بن إسحاق البلخي وكان هذا الرجل كذاباً يضع للأعلام إسناداً ، وللإسلام إسناداً ، ويروى أحاديث منكورة . ومن شعر ابن أبي الدنيا أنه جلس أصحاب له ينتظرونه ليخرج إليهم ، فجاء المطر فغال بينه ، فكتب إليهم رقعة فيها :

أنا مشتق إلى رؤيتكم • يا أخلاي وصمى والبصر

كيف أساكم وقلبي عنكم • حال فيا بيننا هذا المطر

توفي ببغداد في جمادى الأولى من هذه السنة عن سبعين سنة ، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضي ودفن بالشوونزية رحمه الله .

عبد الرحمن بن عمرو أبو زرعة البصري الدمشقي الحافظ الكبير المشهور بابن الموازي النقيب المالكي ، له اختيارات في مذهب مالك ، فمن ذلك وجوب الصلاة على رسول الله ﷺ في الصلاة .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومائتين ﴾

في خامس ربيع الأول منها يوم الثلاثاء دخل المعتضد بزوجته قطر الندى ابنة خوارويه ، قدمت

بفساد محبة عما وصحة ابن الجصاص ، وكان الخليفة غالباً وكان دخولها إليه يوماً مشهوداً ، امتنع الناس من المرور في الطرقات من كثرة الخلق . وفيها نهى المعتضد الناس أن يعملوا في يوم النيروز ما كانوا يتعاملونه من إيقاد النيران وصب الماء وغير ذلك من الأفعال المشابهة لأفعال الجوس ، ومنع من حمل هدايا الفلاحين إلى المتقاعين في هذا اليوم وأمر بتأخير ذلك إلى الحادي عشر من حزيران وسمى النيروز المعتضدي ، وكتب بذلك إلى الأفاق . وفيها في ذى الحجة قدم إبراهيم بن أحمد الماخزاني من دمشق على البريد فأخبر الخليفة بأن خنارويه وثبت عليه خدامه فذبحته على فراشه وولوا يده ولحمه حشش ثم قتلوه ونهبوا داره ثم ولوا هارون بن خنارويه ، وقد التزم في كل سنة أن يحمل إلى الخليفة ألف ألف دينار وخمسة آلاف دينار ، فأقره المعتضد على ذلك ، فلما كان المكتفى عزله وولى مكانه محمد بن سليمان الوائلي فاصطفى أموال الطولونيين ، وكان ذلك آخر الهدى منهم . وفيها أطلق لؤلؤ غلام أحمد بن طولون من الحبس فباد إلى مصر في أخل حال بعد أن كان من أكثر الناس مالا وعزاً وجاهاً . وفيها حج بالناس الأمير المتقدم ذكره .

وفيها توفي من الأعيان أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري الفهري صاحب كتاب النبات .

﴿ إسماعيل بن إسحاق ﴾

ابن إسماعيل بن حماد بن زيد أبو إسحاق الأزدي القاضى ، أصله من البصرة ونشأ ببغداد وصنع مسلم بن إبراهيم ومحمد بن عبد الله الأنصارى ، والتمنى وعلى بن المدينى ، وكان حافظاً قتيها مالكيًا جمع وصنف وشرح في المنهج عدة مصنفات في التفسير والحديث والفقه ، وغير ذلك ، ولى القضاء في أيام المتوكل بعد سوار بن عبد الله ، ثم عزل ثم ولى وصار مقدم القضاء . كانت وفاته فجأة ليلة الأربعاء ثمان بقين من ذى الحجة منها ، وقد جاوز الثمانين رحمه الله . الحارث بن محمد بن أبي أسامة صاحب المسند المشهور .

﴿ خنارويه بن أحمد بن طولون ﴾

صاحب الديار المصرية بعد أبيه سنة إحدى وسبعين ومائتين ، وقد هتاتل هو والمعتضد بن الموفق في حياة أبيه الموفق في أرض الرملة ، وقيل في أرض الصعيد . وقد تقدم ذلك في موضعه ، ثم بعد ذلك لما آلت الخلافة إلى المعتضد تزوج بابنة خنارويه وتضافيا ، فلما كان في ذى الحجة من هذه السنة عدا أحد الخدام من الخصيان على خنارويه فذبحه وهو على فراشه ، وذلك أن خنارويه أتهمه بجارية له . مات عن ثنتين وثلاثين سنة ، فقام بالأمر من بعده ولده هارون بن خنارويه ، وهو آخر الطولونية .

وذكر ابن الأثير أن عثمان بن سعيد بن خالد أبو سعيد الهارمي توفي في هذه السنة ، وكان شافعيًا

أخذ الفقه عن البويطي صاحب الشافعي قَالَ أعلم . وقد قدسنا وفاة الفضل بن يحيى بن محمد بن
 المسيب بن موسى بن زهير بن يزيد بن كيسان بن إمامك الحسن ، أسلم بإمامك في حياة النبي ﷺ .
 ﴿ أبو محمد الشرائي ﴾

الأديب الفقيه المأيد الحافظ الرجال تلميذ يحيى بن معين ، روى عنه الفوائد في الجرح والتعديل
 وغير ذلك ، وكذلك أخذ عن أحمد بن حنبل وصلى بن المديني وقرأ على خلف بن هشام البزار وتعلم
 اللغة من ابن الأعرابي ، وكان ثقة كبيراً .

محمد بن القاسم بن خلاد أبو العيناء البصري الضرير الشاعر الأديب البلخي القنوي تلميذ
 الأصمعي ، كنيته أبو عبد الله ، وإنما لقب بأبي العيناء لأنه سئل عن تصغير عيناء فقال عيناء ، له
 معرفة تامة بالأدب والحكايات والملح . أما الحديث فليس منه إلا القليل
 ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين ﴾

في الحرم منها خرج المعتضد من بغداد فاصداً بلاد الموصل لقتال هارون الشاري الخارجي
 نظف به وهزم أصحابه وكتب بذلك إلى بغداد ، فلما رجع الخليفة إلى بغداد أمر بصلب هارون
 الشاري وكان صغرياً . فلما صلب قال : لا حكم إلا لله ولو كره المشركون . وقد قاتل الحسن بن
 حمدان الخوارج في هذه الغزوة قتالاً شديداً مع الخليفة ، فأطلق الخليفة أباه حمدان بن حمدون من
 القيود بعد ما كان قد سجنه حيناً من وقت أخذ قلعة ماردين ، فأطلقه وخلع عليه وأحسن إليه . وفيها
 كتب المعتضد إلى الأفاق بردهما فضل عن سهام ذوى الفرض إذا لم تكن حصبة إلى ذوى الأرحام
 وذلك بتيأ أبي حازم القاسمي . وقد قال في فتياءه ، إن هذا اتفاق من الصحابة إلا زيد بن ثابت فإنه
 تفرد برد ما فضل والحاجة هذه إلى بيت المال . ووافق على ذلك علي بن محمد بن أبي الشوارب أبي
 حازم ، وخالفهما القاضي يوسف بن يعقوب ، وذهب إلى قول زيد فلم يلتفت إليه المعتضد ولا أحد
 قوله شيئاً ، وأمضى فتياء أبي حازم ، ومع هذا ولي القضاء يوسف بن يعقوب في الجانب الشرق ، وخلع
 عليه خلعة سنية ، وقلة أبا حازم قضاء أما كن كثرة وذلك لمواقفته ابن أبي الشوارب وخلع عليه
 خلعة سنية أيضاً . وفيها وقع الفداء بين المسلمين والروم فاستنقذ من أيديهم ألفاً أسيرهم وخسائة
 وأربعة أئفس . وفيها حضرت الصقابة الروم في القسطنطينية فاستلمن ملك الروم بمن عنده من
 أسارى المسلمين وأعطاهم سلاحاً كثيراً فخرجوا معهم فهزموا الصقابة ، ثم خاف ملك الروم من غائلة
 أولئك المسلمين ففرقهم في البلاد . وفيها خرج عمرو بن الليث من نيسابور لبعض أشغاله فغفله
 فيها رافع بن هرمة ودحا على منابرها محمد بن زيد الملقب ولولاه من بعده ، فرجع إليه عمرو وحاصره
 فيها ، ولم يزل به حتى أخرجه منها وقتله على بابها . وفيها بمث الخليفة وزيره عبيد الله بن سليمان

لقتال عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف ، فلما وصل إليه طلب منه عمر الأمان فأتمته وأخذته معه إلى الخليفة فقتله الأُمراء وخلع عليه الخليفة وأحسن إليه .

وفيها توفى من الأعيان إبراهيم بن مهران أبو إسحاق الثقفي السراج النيسابوري ، كان الامام أحمد يدخل إلى منزله - وكان بقطيعة الربيع في الجانب الغربي - وينبسط فيه ويفطر عنده ، وكان من الثقات العباد العلماء ، توفى في صفر منها . إسحاق بن إبراهيم بن عبد بن حازم أبو القاسم الجبلي ، وليس هو بالذي تقدم ذكره في السنين المتقدمة . مع داود بن عمرو وعلى بن الجعد وخلقاً كثيراً . وقد ليته اهدار قطي فقال ليس بالقوى . توفى عن نحو من ثمانين سنة . سهل بن عبد الله بن وئس التستري أبو عبد أحد أئمة الصوفية ، لقي ذا النون المصري . ومن كلامه الحسن قوله : أمس قد مات واليوم في التزع وغد لم يولد . وهذا كما قال بعض الشعراء :

ما مضى فانت والمؤمل غ • يب ولك الساعة التي أنت فيها

وقد تخرج سهل شيخا له محمد بن سوار ، وقيل إن سهلا قد توفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين فآله أعلم . وفيها توفى عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن خراش أبو محمد الحافظ المروزي أحد الجوالين الرجالين حافظ الحديث والمتكلمين في الجرح والتعديل ، وقد كان يفتي بشئ من التشيع فآله أعلم . روى الخطيب عنه أنه قال : شربت بولي في هذا الشأن خمس مرات - يعني أنه اضطر إلى ذلك في أسفاره في الحديث من العطش - علي بن محمد بن أبي الشوارب . عبد الملك الأموي البصري فاضى سامرا . وقد ولي في بعض الأحيان قضاء القضاة ، وكان من الثقات ، مع أباه الوليد وأبائهم الحوصي وعنه النجاد وابن صاعد وابن قانع ، وحمل الناس عنه علما كثيراً .

﴿ ابن الرومي الشاعر ﴾

صاحب الديوان في الشعر علي بن العباس بن جريج أبو الحسن المعروف بابن الرومي وهو مولى عبد الله بن جعفر وكان شاعراً مشهوراً مطبقاً فن ذلك قوله :

إذا ما مدحت الباخين فآتما • تذكرم ما في سوام من الفضل
وتهدى لهم غما طويلا وحسرة • فانتموا منك النوال فيا العدل
وإذا ما كساك الدهر سربال محبة • ولم تقل من قوت يلد ويذهب
فلا تنبطن المترين فانه • على قدر ما يكسوم الدهر يسلب
وقال أيضاً • عدوك من صديقك مستفاد • فلا تستكثرن من الصحاب
فان الهاء أكثر ما تراه • يكون من الطعام أو الشراب
إذا اقلب الصديق غدا عدوا • ميينا والأمور إلى انقلاب

ولو كان الكثير يطيب كانت • مصاحبة الكثير من الصواب
ولكن قل ما استكثرت إلا • وقعت على ذئب في ثياب
فدع عنك الكثير فكثير • يماثي وكم قليل مستطاب
وما الحجج الظالم بمزريات • ويكفي الرأي في النطق المذاب
وما لحسب الموروث إلا درده • محتسب إلا بأخر مكتسب
وقال أيضاً • فلا تسكل إلا على ما فعلته • ولا نجسب المجدورث كاللص
فليس يسود المرء إلا بفعله • وإن عتاكاه كراما ذرى حسب
إذا الود لم يثمر وإن كان أصله • من الثمرات اعتده الناس في الحطب
وللمجد قوم شيدوه بأنفس • كرام ولم ينوا يام ولا أب
وقال أيضاً وهو من لطيف شعره :

قلبي من الطرف السقيم سقيم • لو أن من أشكو إليه رحيم
في وجهها أبداً نهار واضح • من شعرها عليه ليل بهيم
إن أقبلت فاليد لاح وإن • مشت فالنصر راح وإن دنت فالريم
نمت بها عيني فطال عذابها • ولكم عذاب قد جناه نعم
نظرت فاقصدت الفؤاد بسهما • ثم اثنت فحوى فكنت أهيـم
ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت • وقع السهام ووقعت أليم
يا مستعمل دمي محرم رحتي • ما أنصف التحليل والتحرير
وله أيضاً وكان يزعم أنه ما سبق إليه :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم • في الحادثات إذا زجرن فجيـم
منها معالم لهدى وهابح • فجلو الدجى والأخرى ترحم

وذكر أنه ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين . ومات في هذه السنة ، وقيل في التي بعدها ، وقيل
في سنة ست وسبعين ومائتين ، وذكر أن سبب وفاته أن وزير المنتضد القائم بن عبد الله كان يخاف
من هجوه ولسانه ففس عليه من أطمه وهو بحضرته خشتناكة مسومة ، فلما أحسن السم قام فقال
له الوزير : إلى أين ؟ قال : إلى المسكان القى بمثنى إليه . قال : سلم على والدي . فقال : لست أجتاز
على النار .

وعمد بن سليمان بن الحرب أبو بكر الباغندي الواسطي ، كان من الحفاظ ، وكان أبو داود يسأله
عن الحديث ، ومع هذا تكلموا فيه وضعفه . محمد بن غالب بن حرب أبو جعفر الضبي المعروف بفتحهم

سمع مسفيان وقيصة والقاضي ، وكان من الثقات . قال الدارقطني : وربما أخطأ . توفي في رمضان
عن تسعين سنة (البحتري الشاعر)

صاحب الديوان المشهور ، اسمه الوليد بن عبادة ، ويقال ابن عبيد بن يحيى أبو عباد الطائي
البحتري الشاعر ، أصله من منبج وقدم بغداد وملك المتوكل والرساء ، وكان شمره في المدح خيراً
منه في المرائي قيل له في ذلك قال : المديح للرجاء والمرائي للوفاء وبينهما بعد . وقد روى شعره
المبرد وابن درستويه وابن المرزبان . وقيل له : إنهم يقولون إنك أشعر من أبي تمام . قال : لولا أبو
تمام ما أكلت الخبز ، كان أبو تمام أستاذنا . وقد كان البحتري شاعراً مطيقاً فصيحاً بليغاً رجع إلى
بلده فأت بها في هذه السنة ، وقيل في التي بعدها عن ثمانين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين ﴾

في الحرم منها دخل رأس رافع بن هرملة إلى بغداد فأمر الخليفة بنصبه في الجانب الشرقي إلى
الظهر ، ثم بالجانب الغربي إلى الليل . وفي ربيع الأول منها خلع على محمد بن يوسف بن يعقوب
بالقضاء بمدينة أبي جعفر المنصور عوضاً عن ابن أبي الشوارب بعد موته بخمسة أشهر وأيام ، وقد كانت
شائرة تلك المدة . وفي ربيع الآخر منها ظهرت بمصر ظلمة شديدة وحررة في الأفق حتى كان الرجل
ينظر إلى وجه صاحبه فيراه أحمر اللون جداً ، وكذلك الجدران ، فحكوا كذلك من مصر إلى الليل
ثم خرجوا إلى الصحراء يدهون الله ويتضرعون حتى كشف عنهم . وفيها عزم المتضد على لمن
معاوية بن أبي سفيان على المنابر فذره ذلك وزبره عبد الله بن وهب ، وقال له : إن العامة تنكر
قلوبهم ذلك وهم يترحمون عليه ويترضون عنه في أسواقهم وجوامعهم ، فلم يلتفت إليه بل أمر بذلك
وأماه . وكتب به نسخاً إلى الخطباء بلعن معاوية وذكر فيها ذمه وذم ابنه يزيد بن معاوية وجعاه
من بني أمية ، وأورد فيها أحاديث باطلة في ذم معاوية وقرئت في الجانبين من بغداد ، ونهيت العامة
عن الترحم على معاوية والترضى عنه ، فلم يزل به الوزير حتى قال له فيما قال : يا أمير المؤمنين إن هذا
الصنيع لم يسبقك أحد من الخلفاء إليه ، وهو مما يرغب العامة في الطالبين وقبول الدعوة إليهم ،
فوجم المتضد عند ذلك لذلك تحرفاً على الملك ، وقدر الله تعالى أن هذا الوزير كان ناصبياً يكفر علياً
فكان هذا من فتوات المتضد .

وفيها تودى في البلاد لا يجتمع العامة على قاص ولا منجم ولا جدلي ولا غير ذلك ، وأمرهم أن
لا يهتدوا لأمر النوروز ، ثم أطلق لهم النوروز فكتوا يصبون المياه على المارة وتوسموا في ذلك
وغلوا فيه حتى جعلوا يصبون الماء على الجند والشرط وغيرهم ، وهذا أيضاً من فتواته . قال ابن
الجزري : وفيها وعد المنجمون الناس أن أكثر الأقاليم ستغرق في زمن الشتاء من كثرة الأمطار

والسيول وزيادة الأنهار ، وأجمعوا على هذا الأمر فأخذ الناس كهرة في الجبال خوفاً من ذلك ، فأكتب الله تعالى المنجمين في قولهم فلم يكن عام أقل مطراً منه ، وقلت العيون جداً وقطعت الناس في كل بقعة حتى استسقى الناس بينفاد وغيرها من البلاد مراراً كثيرة . قال : وفيها كان يتبدى في دار الخلافة شخص يسه سيف مسلول في الليل فإذا أرادوا أخذه انهزم فدخل في بعض الأماكن والزروع والأشجار والمطقات التي بدار الخلافة فلا يطلع له على خبر ، فخلق من ذلك المنتفض قلقاً شديداً وأمر بتجديد سور دار الخلافة والاحتفاظ به ، وأمر الحرس من كل جانب بشدة الاحتراس فلم يند ذلك شيئاً ، ثم استدعى بالفرسين ومن ياتى علم السحر وأمر المنجمين فزعموا واجتهدوا فلم يند ذلك شيئاً فأعيام أمره ، فلما كان بعد مدة اطلع على جلية الأمر وحقيقة الخبر فوجده خادماً خصباً من الخلدام كان يشتق بعض الجوارى من حظايا المنتفض التي لا يعمل إليهم ولا ينظر إليهم من بعيد ، فأنخذ لحماً مختلفة الألوان يلبس كل ليلة واحدة ، وأنخذ لباساً مزججاً فكان يلبس ذلك ويتبدى في الليل في شكل مزعج فيزعج الجوارى ويتزعمن وكذلك الخلدم فيثرون إليه من كل جانب فإذا قصده دخل في بعض المطقات ثم يلقي ما عليه أو يجعله في كه أو في مكان قد أعد له لذلك ثم يظهر أنه من جلة الخلدم المتطلعين لكشف هذا الأمر ، ويسأل هنا وهناك ما الخبر ؟ والسيف في يده صفة من يرى أنه قد رهب من هذا الأمر ، وإذا اجتمع الحظايا تمكن من النظر إلى تلك المشوقة ولا حظها وأشار إليها بما يريد منها وأشارت إليه ، فلم يزل هذا دأبه إلى زمن المقتدر فبعثه في سرية إلى طرسوس فنمت عليه تلك الجارية وانكشف أمره وحاله وأهلكه الله .

وفيها اضطرب الجيش المصري على هارون بن خمارويه فأقاموا له بعض أمراء أبيه يدبر الأمور ويصلح الأحوال ، وهو أبو جعفر بن أبان ، فبعث إلى دمشق وكانت قد منعت البيعة تسعة أشهر بعد أبيه ، واضطربت أحوالها - فبعث إليهم جيشاً كثيفاً مع بدر الحامى والحسن بن أحمد المافرائى فأصلحوا أمرها واستملا على نياتهما طلع بن خف ورجعا إلى الديار المصرية والأمور مختلفة جداً . وفيها توفى من الأعيان .

﴿ أحمد بن المبارك أبو عمرو المستنلى ﴾

الزاهد النيسابورى يلقب بمحكويه المابد ، سمع قتيبة وأحمد وإسحاق وغيرهم ، واستمل على المشايخ ستاً وخمسين سنة ، وكان قديراً رث الهيئة زاهداً ، دخل يوماً على أبي عثمان سعيد بن إسماعيل وهو في مجلس التذكير ، فبكى أبو عثمان وقال فلانس : إنما أبكاني رقاة ثياب رجل كبير من أهل العلم أنا أجله عن أن أسميه في هذا المجلس ، فحمل الناس يلقون الخواتم والنياب والدرام حتى اجتمع من ذلك شيء كثير بين يدى الشيخ أبي عثمان ، فنهض عند ذلك أبو عمرو والمستنلى فقال :

أيها الناس أنا الذي قصدني الشيخ بكلامه، ولولا أنني كرهت أن يتهم بآثم لسرت ماسره . فتعجب الشيخ من إخلاصه ثم أخذ أبو عمرو ذلك المجتمع من المال فخرج من باب المسجد حتى تصدق بجميعه على الفقراء والمحتاجين . كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة .

﴿ إسحاق بن الحسن ﴾

ابن ميمون بن سعد أبو يعقوب الحربي ، سمع عفان وأبا نعيم وغيرهما . وكان أسن من إبراهيم الحربي بثلاث سنين ، ولما توفي إسحاق نودي له بالبلد فقدم الناس داره للصلاة عليه ، واعتقد بعض العامة أنه إبراهيم الحربي فجعلوا يقصدون داره فيقول إبراهيم : ليس إلى هذا الموضع قصدكم ، وعن قريب تأتونوه ، فاعمر بعده إلا دون السنة .

إسحاق بن محمد بن يعقوب الزهري عمر تسعين سنة وكان ثقة صالحاً . إسحاق بن موسى بن حمران الفقيه أبو يعقوب الاسفراييني الشافعي . عبد الله بن علي بن الحسن بن إسماعيل أبو العباس الهاشمي ، كانت إليه الحسبة ببغداد وإمامة جامع الرصافة . عبد العزيز بن معاوية العنابي من ولده عتاب ابن أسيد بصري ، قدم بغداد وحديث عن أزهر السلمي وأبي طاهر التنبيل . يزيد بن الميثم بن طهمان أبو خالد الدقاق ويعرف بالباد . قال ابن الجوزي : والصواب أن يقال : البادي لأنه ولد توأماً وكان هو الأول في الميلاد . روى عن يحيى بن معين وغيره وكان ثقة صالحاً .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائتين ﴾

فيها وثب صالح بن مذكّر الطائي على الحاجب بالأجفر فأخذ أموالهم ونساءهم ، يقال : إنه أخذ منهم ما قيمته ألف ألف دينار . وفي ربيع الأول منها يوم الأحد لعشر بقين منه ارتفعت بنواحي الكوفة ظلمة شديدة جداً ثم سقطت أمطار برعود وبروق لم ير مثلاً ، وسقط في بعض القرى مع المطر حجارة بيض ، وسود ، وسقط برد كبار وزن البردة مائة وخمسون درهماً ، واقتلعت الرياح شيئاً كثيراً من النخيل والأشجار مما حول دجلة ، وزادت دجلة زيادة كثيرة حتى خيف على بغداد من الغرق . وفيها غزا راغب الخادم مولى الموفق بلاد الروم ففتح حصوناً كثيرة وأسر خذاري كثيرة جداً ، وقتل من أسارى الرجال الذين معه ثلاثة آلاف أسير ، ثم عاد سالماً مؤيداً منصوراً [وحج بالناس فيها محمد بن عبد الله بن داود الهاشمي] (١)

وفيها توفي أحمد بن عيسى بن الشيخ صاحب آمد ققام بأمرها من بعده ولده محمد ، قصده المتضد ومه ابنه أبو محمد المكتفي بالله فخاصره بها فخرج إليه سامعاً مطيعاً فقتلها منه وخلع عليه وأكرم أهلها ، واستخلف عليها ولده المكتفي ، ثم سار إلى قنسرين والعواصم فقتلها عن كتاب هارون

ابن خارويه ، وإذنه له في ذلك ومصلحته له فيها . وفيها غزا ابن الأخشيذ بأهل طرسوس بلاد الروم ففتح الله على يديه حصونا كثيرة والله الحمد وفيها توفي من الأعيان .

﴿ إبراهيم بن إسحاق ﴾

ابن بشير بن عبد الله بن رستم أبو إسحاق الحربي ، أحد الأئمة في الفقه والحديث وغير ذلك ، وكان زاهداً عابداً يخرج بأحمد بن حنبل ، وروى عنه كثيراً . قال الفاروقني : إبراهيم الحربي إمام مصنف عالم بكل شيء بارع في كل علم ، صدوق ، كان يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وورعه وعلمه ، ومن كلامه أجمع عقلاء كل أمة أن من لم يجمع القدر لم يتهن بهيشه . وكان يقول : الرجل كل الرجل الذي يدخل غمه على نفسه ولا يدخله على عياله ، وقد كانت في شقيقة منذ أربعين سنة ما أخبرت بها أحداً قط ، ولي عشرون سنة أبصر فرد عين ما أخبرت بها أحداً قط ، وذكر أنه مكث نيفاً وسبعين سنة من عمره ما يسأل أهله غداء ولا عشاء ، بل إن جاءه شيء أكله وإلا طوى إلى اللبلة التالية . وذكر أنه أفق في بعض الرماضات على نفسه وعياله درهما واحداً وأربعة دنانير ونصف ، وما كنا نعرف من هذه الطبايع شيئاً إنما هو ياذنجان مشوي أو باقة فجل أو نحو هذا ، وقد بعث إليه أمير المؤمنين المتعاضد في بعض الأحيان بمشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها ودرهما ، فرجع الرسول وقال يقول لك الخليفة فرفقها على من تعرف من قراء جيرانك . فقال : هذا شيء لم نجسمه ولا نسأل عن جمه ، فلا نسأل عن تفرقه ، قل لأمر المؤمنين إما يتركنا وإما تحول من بلد . ولما حضرته الوفاة دخل عليه بعض أصحابه يمدونه فقامت ابنته تشكو إليه ما هم فيه من الجهد وأنه لا طعام لهم إلا الخبز اليابس بالملح ، وربما عمدوا الملح في بعض الأحيان . فقال لها إبراهيم : يا بليدة تخافين الفقر ؟ انظري إلى تلك الزاوية فيها اثني عشر ألف جزء قد كتبتها ، ففي كل يوم تبيع منها جزء بدرهم فن عنده اثني عشر ألف درهم فليس بفقير . ثم كانت وفاته لسبع بقين من ذى الحجة وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضي عند باب الأنبار ، وكان الجمع كثيراً جداً .

﴿ المبرد النحوي ﴾

محمد بن يزيد بن عبد الأكرابو البساس الأزدی الثمالي المعروف بالمبرد النحوي البصري إمام في اللغة والعربية ، أخذ ذلك عن المازني وأبي حاتم السجستاني ، وكان ثقة ثباتاً ينقله وكان مناوئاً لشطب وله كتاب السكامل في الأدب ، وإتمامي بالمبرد لأنه اختبأ من الوالي عند أبي حاتم تحت المذبة . قال المبرد : دخلنا يوماً على الجاهنين زوروم أنا وأصحابي معي بالقة فإذا فيهم شاب قريب العهد بالمكان عليه ثياب ناعمة فلما بصرونا قال حياكم الله من أنتم ؟ قلنا من أهل العراق . قال : بأبي العراق وأهلها أنشدوني أو أنشدكم ؟ قال : المبرد : بل أنشدنا أنت فأنشأ يقول :

الله يعلم أنفى كمد • لا أستطيع بث ما أجد
روحان لى روح تضمنها • بل هو أخرى حازها بلد
وأرى القيمة ليس ينفعها • صبر ولا يقوى لها جلد
وأظن غائبى كحاضرى • بمكانها نجد الذى أجد

قال المبرد قتلته : والله إن هذا طريق فزدنا منه فأنشأ يقول :

لما أنافخوا قبيل الصبح عيهم • وحملوها فثارت بالهوى الا بل
وأبرزت من خلال السجف ناظرها • نرو إلى ودع العين ينهمل
وودعت بينان عقدتها عنم • ناديت لا حملت رجلاك باجل
ويل من البين ماذا حل بي وبهم • من نازل البين حان البين وارتحلوا
يا راحل العيس مجل كي أودعهم • يا راحل العيس فى ترحالك الأجل
إنى على العهد لم أنقض مودتهم • فليت شرى لطول العهد ما فعلوا

فقال رجل من البنضاء الذين معى : ماتوا . فقال الشاب : إذا أموت ، فقال إن شئت . فتمطى
واستند إلى سارية عنده ومات وما برحنا حتى دفناه رحمه الله . ومات المبرد وقد جاوز السبعين .

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائتين

فيها وقع قسمل آمد من ابن الشيخ فى ربيع الآخر ووصل كتاب هارون بن أحمد بن طولون
من مصر إلى المتضد وهو غنيم بآمد أن يسلم إليه قسرين والعواصم على أن يقره على إمارة الديار
المصرية ، فأجابه إلى ذلك ، ثم رحل عن آمد فأصداً العراق وأمر بهدم سور آمد فهم البعض ولم
يقدر على ذلك ، فقال ابن المعتز بهنثه بفتح آمد

أسلم أمير المؤمنين ودم • فى غبطة ولهنك النصر
فارب حادثة نهضت لها • متقدماً فتأخر الدهر
ليث فرائسه القيوت • فأنبيض من دمه له ظفر

ولما رجع الخليفة إلى بغداد جاءته هدية عمرو بن الليث من نيسابور فكان وصولها بغداد يوم
الخميس ثمان بقين من جمادى الآخرة ، وكان مبلغها ما قيمته أربعة آلاف ألف درهم خارجاً عن
الدواب وسروج وسلاح وغير ذلك . وفيها تحارب إسماعيل بن أحمد الساماني وعمرو بن الليث ،
وذلك أن عمرو بن الليث لما قتل رافع بن هرثة وبث برأسه إلى الخليفة سأل منه أن يعطيه ما وراء
النهر مضافاً إلى ما بيده من ولاية خراسان ، فأجابه إلى ذلك فأنزعج لإسماعيل بن أحمد الساماني
فأقب ما وراء النهر ، وكتب إليه : إنك قد وليت دنيا عريضة فأقتنع بها عن ما فى يدي من هذه

البلاد . فلم يقبل فأقبل إليه إسماعيل في جيوش عظيمة ، جدا فالتقيا عند بلخ فهزم أصحاب عمرو ، وأسر عمرو ، فلما جرى به إلى إسماعيل بن أحمد ظم إليه وقبل بين عينيهِ وغسل وجهه وخلع عليه وأمنه وكتب إلى الخليفة في أسره ، ويذكر أن أهل تلك البلاد قد ملوا وضجروا من ولايته عليهم ، فجاء كتاب الخليفة بأن يسلم حواصله وأمواله فسلمه لها ، فأكل به الحلال بعد أن كان مطبوعه يحمل على ستائة جمل إلى القيد والسجن . [ومن العجائب أن عمرآ كان معه خمسون ألف مقاتل لم يصب أحد منهم ولا أسروا وحده ، وهذا جزاء من غلب عليه الطمع ، وقاده الحرص حتى أوقعه في ذل الفقر ، وهذه سنة الله في كل طامع فيها ليس له ، وفي كل طالب للزيادة في الدنيا ^(١)]

(ظهور أبي سعيد الجنابي رأس القرامطة قبهم الله ولعنهم)

« وهذا أخبث من الزنج وأشد فسادا »

كان ظهوره في جمادى الآخرة من هذه السنة بنواحي البصرة ، فالتف عليه من الأعراب وغيرهم بشر كثير ، وقويت شوكته جداً ، وقتل من حوله من أهل القرى ، ثم صار إلى القطيف قريباً من البصرة ، ورام دخولها فكتب الخليفة المعتضد إلى نائبها يأمره بتحصين سورها ، فمروه وجددوا معالنه بنحو من أربعة آلاف دينار ، فاستنعت من القرامطة بسبب ذلك . وتقلب أبو سعيد الجنابي ومن معه من القرامطة على هجر وما حولها من البلاد ، وأكثروا في الأرض الفساد . وكان أصل أبي سعيد الجنابي هذا أنه كان مسماراً في الطعام يبيعه ويحسب للناس الأثمان ، فقدم رجل به يقال له يحيى بن المهدي في سنة إحدى وثمانين ومائتين فدعا أهل القطيف إلى بيعة المهدي ، فاستجاب له رجل يقال له علي بن الملا بن حمدان الزبدي ، وساعده في الدعوة إلى المهدي ، وجمع الشيعة الذين كانوا بالقطيف فاستجابوا له ، وكان في جملة من استجاب أبو سعيد الجنابي هذا قبحة الله ، ثم تقلب على أسرم وأظهر فيهم القرامطة فاستجابوا له والتفوا عليه ، فتأمر عليهم وصار هو المشار إليه فيهم . وأصله من بلدة هناك يقال لها جنابة ، وسيأتي ما يكون من أمره وأمر أصحابه . قال في المنتظم : ومن عجائب ما وقع من الحوادث في هذه السنة . ثم روى بسنده أن امرأة هجعت إلى قاضي الرى فادعت على زوجها بصداقها خمسمائة دينار فأنكره فجاءت بيينة تشهد لها به ، فقالوا : نريد أن نسفر لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا ، فلما صموا على ذلك قال الزوج : لا تغفلوا هي صادقة فيما تدعيه ، فأقر بما ادعت ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها . فقالت المرأة حين عرفت ذلك منه وأنه إنما أقر ليصون وجهها عن النظر : هو في حل من صدق عليه في الدنيا والآخرة

ومن توفي فيها من الأعيان المشاهير أحمد بن عيسى أبو سعيد الخزاز فيما ذكره شيخنا الذهبي .

(١) زيادة من نسخة أخرى من الأستانة .

وقد أرخه ابن الجوزى فى سنة سبع وسبعين ومائتين فآله أعلم .

﴿ إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان ﴾

أبو يعقوب التميمى الأحر ، وإليه تنسب الطائفة الاسحاقية من الشيعة . وقد ذكر ابن التوماني والطبيب وابن الجوزى أن هذا الرجل كان يعتقد إلهية على بن أبى طالب ، وأنه اقتتل إلى الحسن ثم الحسين ، وأنه كان يظهر فى كل وقت ، وقد اتبته على هذا الكفر خلق من الحر قبهم الله وقبحه . وإما قيل له الأحر لأنه كان أبرص ، وكان يطلى برصه بما يفرلونه ، وقد أورده التوماني أقوالا عظيمة فى الكفر . لعنه الله . وقد روى شيئا من الحكايات والملح عن المازنى وطبقته ، ومثل هذا أقل وأذل من أن يروى عنه أو يذكر إلا ينفه

بقى بن مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن الأندلسى الحافظ أحد علماء القرب ، له التفسير والمسنند والسنن والآثار التى فضلها ابن حزم على تفسير ابن جرير ومسنده ومصنف ابن أبى شيبة ، وفيما زعم ابن حزم نظر . وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر فى تاريخه فأنشئ عليه خيرا ، ووصفه بالحفظ والافتقان ، وأنه كان محاب الدعوة رحمه الله . وأرخ وفاته بهذه السنة من خمس وسبعين سنة .

﴿ الحسن بن بشار ﴾

أبو على الخطيب روى عن أبى بلال الأشعرى ، وعنه أبو بكر الشافعى وكان ثقة ورأى فى منامه . وقد كانت به علة - فآلا يقول له : كل لا يوادعن بلافسره بقوله تعالى (زينونة لا شرقية ولا غربية) فأكل زينونا وشرب زينا فبرا من علته تلك . محمد بن إبراهيم أبو جعفر الأتلملى المعروف بمربع تلميذ يحيى بن معين ، كان ثقة حافظا . عبد الرحيم الرقى . ومحمد بن وضاح المصنف . وعلى بن عبد العزيز البغوى صاحب المسند

﴿ محمد بن بولس ﴾

ابن موسى بن سليمان بن عبيد بن ربيعة بن كديم أبو العباس القرشى البصرى الكندي ، وهو ابن امرأة نوح بن عبادة ، ولد سنة ثلاث ومائتين ومائة ، وجمع عبد الله بن داود الطريبي ، ومحمد بن عبد الله الأنصارى ، وأبا داود الطيالسى ، والأصمى وخلقا . وعنه ابن السكك والنجاد . وآخر من حدث عنه أبو بكر بن مالك القطيفى ، وقد كان حافظا كثيرا مغربا ، وقد تكلم فيه الناس لاجل غرائب الروايات . وقد ذكرنا ترجمته فى التكميل . توفى يوم الجمعة قبل الصلاة للصف من جمادى الآخرة منها ، وقد جاوز المائة ، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضى .

يعقوب بن إسحاق بن نخبه أبو يوسف الواسطى ، جمع من يزيد بن هارون وقدم بغداد وحدث بها أربعة أحاديث ، ووعده الناس أن يحضهم من الفد فأت من ليلته عن مائة وأثنى

عشر سنة . الوليد أبو عبادة البحرى فبا ذكر الذهبى ، وقد تقدم ذكره فى سنة ثلاث وعشرين كما ذكره ابن الجوزى فآله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين ﴾

فى ربيع الأول منها تقام أمر القرامطة محبة أبى سعيد الجنابى قتلوا وسبوا وأفسدوا فى بلاد هجر ، فجهز الخليفة إليهم جيشا كثيفا وأمر عليهم المباس بن عمرو الغنوى ، وأمره على الجماعة والبحرين ليحارب أبى سعيد هذا ، فالتقوا هناك وكان المباس فى عشرة آلاف مقاتل ، فأسرم أبو سعيد كلهم ولم ينج منهم إلا الأمير وحده ، وقتل الباقون عن آخرهم صبرا بين يديه قبحة الله . وهذا عجيب جدا ، وهو عكس واقعة عمرو بن الليث فانه أسر من بين أصحابه وحده ونهبوا كلهم وكاتوا خسين ألفا . ويقال إن المباس لما قتل أبو سعيد أصحابه ضبرا بين يديه وهو ينظر ، وكان فى جملة من أسر أقام عند أبى سعيد أياما ثم أطلقه وحله على رواحل وقال : ارجع إلى صاحبك وأخبره بما رأيت . وقد كانت هذه الواقعة فى أواخر شعبان منها ، فلما وقع هذا الأمر القطيع انزعج الناس لذلك انزعاجا عظيما جدا ، وهم أهل البصرة بالخصوص منها فنعهم من ذلك فآبها أحد الوائى . وفيها أغارت الروم على بلاد طرسوس وكان نائبها ابن الاخشيد قد توفى فى العام الماضى واستخلف على النثر أبى ثابت ، فعلمت الروم فى تلك الناحية وحشدوا عساكرهم ، فالتقاهم أبو ثابت فلم يقدر على مقاومتهم ، فقتلوا من أصحابه جماعة وأسروه فبين أسروا ، فاجتمع أهل النثر على ابن الأعرابى فلوله أمرهم . وذلك فى ربيع الآخر . وفيها قتل

﴿ محمد بن زيد العلوى ﴾

أمير طبرستان والديلم . وكان سبب ذلك أن إسماعيل السامانى لما ظفر بمرو بن الليث ظن محمد أن إسماعيل لا يجاوز حله ، وأن خراسان قد خلت له ، فارتحل من بلده يريد خراسان ، وسبقه إسماعيل إليها ، وكتب إليه أن الزم حمله ولا تتجاوز به إلى غيره فلم يقبل ، فبعث إليه جيشا مع محمد بن هارون الذى كان ينوب عن رافع بن هرممة ، فلما التقيا حرب منه محمد بن هارون خديعة ، فسار الجيش وراءه فى الطلب ففكر عليهم راجعا فانهزموا منه فأخضعوا لمعسكرهم وجرح محمد بن زيد بجراحات شديدة فمات بسببها بعد أيام ، وأسر ولده زيد فبعث به إلى إسماعيل بن أحمد فأكرمه وأمر له ببجائزة . وقد كان محمد بن زيد هذا فضلا دينيا حسن السيرة فبا وليه من تلك البلاد ، وكان فيه تشيع . تقدم إليه يوما خصيان اسم أحدهما معاوية واسم الآخر على ، فقال محمد بن زيد : إن الحكم بينكما ظاهر ، فقال معاوية : أبها الأمر لا تفتنر بنا ، فان أبى كان من كبار الشيعة ، ولما سمى معاوية مدارة لمن

ببلدنا من أهل السنة . وهذا كل أبوه من كبار النواصب فسماه علياً ثقة لكم ، فنبسم محمد بن زيد وأحسن إليهما .

قال ابن الأثير في كتابه : وعمن توفي فيها إسحاق بن يعقوب بن عمر بن الخطاب العدوي - عدوي ربيعة . وكان أميراً على ديار ربيعة بالجزيرة ، فولى مكانه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعتمر . وعلى بن عبد العزيز البغوي صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام . ومهدي بن أحمد بن مهدي الأزدي الموصل - وكان من الأعيان - وذكروه وأبو الفرج بن الجوزي أن قطر الندى بنت خمارويه ابن أحمد بن طولون امرأة المتضد توفيت في هذه السنة . قال ابن الجوزي : لسبع خلون من رجب منها ، ودفنت داخل القصر بالرافقة . يعقوب بن يوسف بن أبوبكر المطوعي ، مع أحمد بن حنبل وعلى بن المديني ، وعنه التجادوا للخلي ، وكان و رده في كل يوم قراءة قل هو الله أحد إحدى وثلاثين ألف مرة ، أو إحدى وأربعين ألف مرة . قلت : وعمن توفي فيها أبو بكر بن أبي عاصم صاحب السنة والمصنفات وهو :

(أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك)

ابن التنبيل ، له مصنفات في الحديث كثيرة ، منها كتاب السنة في أحاديث الصفات على طريق السلف ، وكان حافظاً ، قد ولي قضاء أصبهان بعد صالح بن أحمد ، وقد طاف البلاد قبل ذلك في طلب الحديث ، وصحب أبا تراب النخشي وغيره من مشايخ الصوفية ، وقد اتفق له مرة كرامة هائلة كان هو واثنان من كبار الصالحين في سفر فتزلوا على رمل أبيض ، فجعل أبو بكر هذا يقبله بيده ويقول : اللهم ارفعنا خبيصاً يكون غداً على لون هذا الرمل . فلم يكن بأسرع من أن أقبل أعرابي ويده قصبة فيها خبيص بلون ذلك الرمل وفي بياضه ، فأكلوا منه . وكان يقول : لا أحب أن يحضر مجلس مبتدع ولا منع ولا طمان ولا لمان ولا فاحش ولا بدئي ، ولا منحرف عن الشافعي وأصحاب الحديث . توفي في هذه السنة بأصبهان . وقد رآه بعضهم بعد وفاته وهو يصلي فلما انصرف قال : ما فعل بك ؟ فقال : يؤنسني ربي عز وجل

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين ﴾

اتفق في هذه السنة آفات ومصائب عديدة منها أن الروم قصدوا بلاد الرقة في جماعات عظيمة وعساكر من البحر والبر ، قتلوا خلقاً وأسروا نحواً من خمسة عشر ألفاً من المدينة . ومنها أن بلاد أذربيجان أصاب أهلها وباء شديد حتى لم يبق أحد يقدر على دفن الموتى ، فتركوا في الطرق لا يرأون . ومنها أن بلاد أرمينية ربح شديدة من بعد المصير إلى ثلث الليل ثم زلزالوا زلزلاً شديداً ، واستمر ذلك عليهم أياماً قهتدمت الدور والمساكن ، وخسف بآخرين منهم ، وكان جملة من مات تحت الهدم مائة ألف وخمسين ألفاً ، فأنا لله وإنا إليه راجعون . وفيها اقتررب القرامطة من البصرة

تغاف أهلها منهم خوفاً شديداً ، وهما بالرحيل منها فتنهم قائما . وفيها توفي من الأعيان .

(بشر بن موسى بن صالح أبو علي الأسدي)

ولد سنة تسعين ومائة ، وسمع من روح بن عباد حديثاً واحداً ، وسمع الكثيرين من هودة بن خليفة والحسن بن موسى الأشيب وأبي نعيم وعلي بن الجعد والأصمعي وغيرهم ، وعنه ابن المنادي وابن مخلد وابن صاعد والنجاد وأبو عمرو الزاهد والخلدي والسلمي وأبو بكر الشافعي وابن الصواف وغيرهم . وكان ثقة أميناً حافظاً ، وكان من البيوتات وكان الامام أحمد يكرمه . ومن شعره

ضمنت ومن جاز الثمانين يصف * ويشكر منه كل ما كان يعرف

ويتمنى رويداً كالأسير مقيداً * يداني خطاه في الحديد ويرسف

ثابت بن قرة بن هارون ويقال ابن زهرون بن ثابت بن كدام بن إبراهيم الصائفي الفيلسوف الحراني صاحب التصانيف ، من جعلها أنه حرر كتاب إقليدس الذي عره به حنين بن إسحاق البصري . وكان أصله صوفياً فترك ذلك واشتغل بلم الأوائيل ، فقال منه وتبسماية عند أهلها ، ثم صار إلى بغداد فمظم شأنه بها ، وكان يدخل مع المنجدين على الخليفة وهو باق على دين الصابئة ، وحينئذ ثابت بن سنان له تاريخ أجاد فيه وأحسن ، وكان بليغا ماهرا حافظاً بالنا . وعنه إبراهيم بن ثابت بن قرة كان طبيباً عارفاً أيضاً . وقد سردهم كلهم في هذه الترجمة القاضي ابن خلكان . الحسن بن عمرو بن الجهم أبو الحسن الشيباني - من شيعة المنصور لا من الروافض - حدث عن علي بن المديني ، وحدث عن بشر الحافي . وعنه أبو عمرو بن السلك . عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المتضد ، كان حظيا عنده ، وقد عز عليه موته وتألم لفقده وأمه من يجهل في مكانه بعده ، فقد لولاه القاسم بن عبيد الله على الوزارة من بعد أبيه جبراً لمصابه به . وأبو القاسم عثمان بن سعيد بن بشار المعروف بالأخاملي أحد كبار الشافعية . وقد ذكرناه في طبقاتهم . وهارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى أبو موسى الهاشمي إمام الناس في الحج عدة سنين متوالية ، وقد سمع وحدث وتوفي بمصر في رمضان من هذه السنة

(ثم دخلت سنة تسع ومائتين)

فيها عانت القرامطة بسواد الكوفة فظفر بعض المال بطائفة منهم فبث برئيسهم إلى المتضد وهو أبو الفوارس ، فقال من العباس بين يدي الخليفة فأمر به قتلته أضراسه وقلعت يداه ثم قطعنا مع رجله ، ثم قتل وصلب ببغداد . وفيها قصعت القرامطة دمشق في جضل عظيم قتلتهم قائمها طنج بن جف من جهة هارون بن خارويه ، فهزموه مرات متعددة ، وفتاقم الحال بهم ، وكان ذلك بسفارة يحيى بن زكرويه بن جبرويه الذي ادعى عند القرامطة أنه محمد بن عبد الله بن إسماعيل ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وقد كذب في ذلك ، وزعم لهم أنه

قد اتبعه على أمره مائة ألف ، وأن فاقته مأمورة حيث ما توجهت به نصر على أهل تلك الجهة . فراج ذلك عندهم ولقبوه الشيخ ، واتبه طائفة من بنى الأصبح ، ومعوا بالفاطميين . وقد بعث إليهم الخليفة جيشاً كثيراً فهزموه ، ثم اجتازوا بالرافقة فأحرقوا جامعا ، ولم يجتازوا بقرية إلا نهبوا ، ولم يزل ذلك دأبهم حتى وصلوا إلى دمشق فقاتلهم فآلها فهزموه مرات وقتلوا من أهلها خلقا كثيرا ، وانهبوا من أموالها شيئا كثيرا . فآله وإننا إليه راجعون ،

وفي هذه الحالة الشديدة اتفق موت الخليفة المتضد بالله في ربيع الأول منها

(وهذه ترجمة المتضد)

هو أحمد بن الأمير أبي أحمد الموفق الملقب بناصر دين الله ، واسم أبي أحمد محمد ، وقيل طلحة بن جعفر المتوكل على الله بن المتضد بن هارون الرشيد ، أبو العباس المتضد بالله . ولد في سنة ثنتين وقيل ثلاث وأربعين ومائتين ، وأمه أم ولد . وكان أسمر نحيف الجسم معتدل القامة ، قدوسه الشيب ، في مقدم لحينه طول ، وفي رأسه شامة بيضاء . بويح له بالخلافة صبيحة يوم الاثنين إحدى عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين ، واستوزر عبد الله بن وهب بن سليمان ، وولى القضاء إسماعيل بن إسحاق ، ويوسف بن يعقوب ، وابن أبي الشوارب . وكان أمر الخلافة قد ضعف في أيام عمه المتضد ، فلما ولي المتضد أقام شعارها ورفع منارها . وكان شجاعا فاضلا من رجالات قرش حزماء وجرأة وإقداما وحزمة . وكذلك كل أبوه ، وقد أورد ابن الجوزي بإسناده أن المتضد اجتاز في بعض أسفاره بقرية فيها مقبرة فوقف صاحبها صاحبها مستصرخا بالخليفة ، فاستدعى به فسأله عن أمره فقال : إن بعض الجيش أخذوا لي شيئا من القناء وهم من غلمانك . فقال : أئمرهم ؟ قال : نعم : فعرضهم عليه فرف منهم ثلاثة فأمر الخليفة بتقييدهم وجسمهم ، فلما كان الصباح نظر الناس ثلاثة أنفس معاوية بن علي جادة الطريق ، فاستمظم الناس ذلك واستكروه وعابوا ذلك على الخليفة وقالوا : قتل ثلاثة بسبب قناء أخنوخ ؟ فلما كان بعد قليل أمر الخواص - وهو مسارمه - أن ينكر عليه ذلك ويتلطف في مخاطبته في ذلك والأمراء حضور ، فدخل عليه ليلة وقد عزم على ذلك ففهم الخليفة ما في نفسه من كلام يريد أن يريده ، فقال له : إني أعرف أن في نفسك كلاما فما هو ؟ قال : يا أمير المؤمنين وأنا آمن ؟ قال : نعم . قلت له : فإن الناس ينكرون عليك تسرعك في سفك الدماء . قال . والله ما سفكت دما حراما منذ وليت الخلافة إلا بجهنم . قتلته له : فلام قتل أحمد بن الطيب وقد كان خادمك ولم يظهر له خيانة ؟ قال : ويحك إنه دعاني إلى الإلحاد والكفر بالله فما بيني وبينه ، فلما دعاني إلى ذلك قاتلته : يا هذا أنا ابن عم صاحب الشريعة ، وأنا منتصب في منصبه فأكفر حتى أكون من غير قبيلته . قتلته على الكفر والزندقة . قتلته له : فما بال الثلاثة الذين

قتلتهم على القناه ؟ فقال : والله ما كان هؤلاء الذين أخذوا القناه ، وإنما كانوا لصوماً قد قتلوا وأخذوا المال فوجب قتلكم ، فبعثت فبحث بهم من السجن فقتلتهم وأريت الناس أنهم الذين أخذوا القناه ، وأردت بذلك أن أرهب الجيش ثلاثاً يفسدوا في الأرض ويتمدوا على الناس ويكنفوا عن الأذى . ثم أمر بإخراج أولئك الذين أخذوا القناه فأطلقهم بعد ما استتابهم وخلع عليهم ورددهم إلى أرواقهم . قال ابن الجوزي : وخرج المعتضد يوماً فسكر بباب الشامية ونهى أن يأخذ أحد من بستان أحد شيئاً ، فأتى بأسود قد أخذ عفاً من بسر فطأله طويلاً ثم أمر بضرب عنقه ، ثم التفت إلى الأمراء فقال : العامة ينكرون هذا ويقولون إن رسول الله ﷺ قال : « لا قطع في نحر ولا كثر » . ولم يكنه أن يقطع يده حتى قتله ، وإني لم أقتل هذا على سرقة ، وإنما هذا الأسود رجل من الزنج كان قد استأن في حياة أبي ، وإنه تناول هو ورجل من المسلمين فضرب المسلم قطع يده فأت المسلم ، فأعذر أبي دم الرجل المقتول تأليفاً للزنج ، فأكتب على فضي لثن أنا قدرت عليه لأقتله ، فما قدرت عليه إلا هذه الساعة فقتلته بذلك الرجل .

وقال أبو بكر الخطيب : أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب حدثنا محمد بن نعيم الضبي سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول سمعت أبا العباس بن سريج يقول سمعت إسماعيل بن إسحاق القاضي يقول : دخلت على المعتضد وعلى رأسه أحداث روم صباغ الوجه ، فنظرت إليهم فرأيت المعتضد وأنا أناملهم ، فلما أردت القيام أشار إلى فجلست ساعة فلما خلا لي : أيها القاضي والله ما حلت سراويلي على حرام قط . وروى البيهقي عن الحاكم عن حسان بن محمد عن ابن سريج القاضي إسماعيل بن إسحاق قال : دخلت يوماً على المعتضد فدفع إلي كتاباً قرأته فإذا فيه الرخص من زلل العلماء قد جمعها له بعض الناس . فقلت : يا أمير المؤمنين إنما جمع هذا زنديقي . فقال : كيف ؟ فقلت : إن من أباح المنعة لم يبيع الفناء ، ومن أباح الفناء لم يبيع إضافة إلى آلات اللهو ، ومن جمع زلل العلماء ثم أخذ بها ذهب دينه . فأمر بتحريق ذلك الكتاب . وروى الخطيب بسنده عن صفاء الجرجي الخادم قال : انتهى المعتضد وأنا بين يديه إلى منزل شئت وابنه المقتدر جفرا لاس فيه وحوله نحو من عشرة من الوصائف ، والصبيان من أصحابه في سنه عنده ، وبين يديه طبق من فضة فيه عنقود عنب ، وكان العنب إذ ذاك هزيراً ، وهو يأكل عنباً واحدة ثم يفرق على أصحابه من الصبيان كل واحد عنباً ، فتركه المعتضد وجلس ناحية في بيت مهوياً . فقلت له : يأمير المؤمنين ؟ فقال : ويحك والله لولا النار والمال لأقتل هذا الغلام ، فإن في قتله صلاحاً للأمة . فقلت : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من ذلك . فقال : ويحك يا صفاء هذا الغلام في غاية السخاء لما أراه يفعل مع الصبيان ، فإن طبع الصبيان تأبى الكرم ، وهذا في غاية الكرم ، وإن الناس من يبدى لا يبولون عليهم إلا من

هو من ولدى ، فسبى عليهم المكتفى ثم لا تطول أيامه لملكته التى به - وهى داء الخنازير - ثم يموت
فبلى الناس جعفر هذا الدلام ، فيذهب جميع أموال بيت المال إلى الخطايا لشغفه بهن ، وقرب عهده
من تشبيه بهن ، ففضيع أمور المسلمين وتعطل الثغور وتكثر الفتن والمهرج والغوارج والشرور . قال
صاقي : والله لقد شاهدت ما قاله سواء يسواء .

وروى ابن الجوزى عن بعض خدم المعتضد قال : كان المعتضد يوماً نائماً وقت القائلة ونحن
حول سريره فاستيقظ مذعوراً ثم صرح بنا فجئنا إليه فقال : ويحك اذهبوا إلى دجلة فأول سفينة
تجدوها فارغة متحجرة فأوثقوا بملاحها واحتفظوا بالسفينة . فذهبنا سراعا فوجدنا ملاحاً فى سميرية
فارغة منحدراً فأثينا به الخليفة فلما رأى الملاح الخليفة كاد أن يتأف ، فصاح به الخليفة صيحة عظيمة
فكادت روح الملاح تخرج فقال له الخليفة : ويحك يا ملعون ، اصدقنى عن قصتك مع المرأة التى
قتلتها اليوم وإلا ضربت عنقك قال فتعلم ثم قال : نعم يا أمير المؤمنين كنت اليوم سحراً فى مشرقى
الفلانية ، فقتلت امرأة لم أر مثلها وعليها ثياب فاخرة وحلى كثير وجوهر ، قطعت فيها واحتلت
عليها فشددت ظاهرا وقرتها وأخفت جميع ما كان عليها من الحلى والتماش ، وخشيت أن أرجع به
إلى منزلى فيشتهر خبرها ، فأردت الذهاب به إلى واسط فلقيني هؤلاء الخدم فأخذوني . فقال :
وأين حلها ؟ قال : فى صدر السفينة تحت البواري . فأمر الخليفة عند ذلك بإحضار الحلى فجىء به
فاذا هو حلى كثير يساوى أموالا كثيرة ، فأمر الخليفة بتفريق السلاح فى المكان الذى غرق فيه
المرأة ، وأمر أن ينادى على أهل المرأة ليحضروا حتى يقتلوا مال المرأة . فنادى بذلك ثلاثة أيام
فى أسواق بغداد وأزقتها فحضروا بعد ثلاثة أيام فدفع إليهم ما كان من الحلى وغيره مما كان للمرأة ،
ولم ينهب منه شئ . فقال له خدمه : يا أمير المؤمنين من أين علمت هذا ؟ قال : رأيت فى نوى تلك
الساعة شيخاً أبيض الرأس والعجبة والثياب وهو ينادى : يا أحمد يا أحمد ، خذ أول ملاح ينحدر
الساعة فأقبض عليه وقرره عن خبر المرأة التى قتلتها اليوم وسلمها ، فأقم عليه الحد . وكان ما شاهدتم .
وقال جعيف السمرقندى الحالب : كنت مع مولاي المعتضد فى بعض متصدياته وقد انقطع
عن العسكر وليس معه غيرى ، إذ خرج علينا أسد قصده قصدنا فقال لى المعتضد : يا جعيف أفيك
خير اليوم ؟ قلت : لا والله . قال : ولا أن تمسك فرسى وأنزل أنا ؟ قلت : بلى . قال : فنزل عن
فرسه وغرز أطراف ثيابه فى منطقتة واستل سيفه ورعى بقرابه إلى ثم تقدم إلى الأسد فوثب الأسد
عليه فضربه بالسيف فأطار يده فاشتغل الأسد بيده فضربه ثانياً على هامته فلقها ، نفر الأسد
صريعاً فدنا منه فسح سيفه فى صوفه ثم أقبل إلى فأغمد سيفه فى قرابه ، ثم ركب فرسه فذهبنا إلى
العسكر . قال وصحبته إلى أن مات فاصحبه ذكر ذلك لأحد ، فما أدرى من أى شئ أعجب ؟ من

شجاعته أم من عدم احتفاله بذلك حيث لم يذكره لأحد ؟ أم من عدم عنبه على حيث ضلنت بنفسى عنه ؟ والله ما عاتبنى فى ذلك قط .

وروى ابن عساكر عن أبي الحسين النورى أنه اجتاز بزورق فيه خرم مع ملاح ، فقال : ما هذا ؟ ولئن هذا ؟ فقال له : ههه خمر للمعتضد . فقصده أبو الحسين إليها فجعل يضرب الدنان يعمود فى يده حتى كسرها كلها إلا دنا واحدا تركه ، واستغاث الملاح فجاءت الشرطة فأخذوا أبا الحسين فأوقوه بين يدى المعتضد فقال له : ما أنت ؟ فقال أنا المحتسب . فقال : ومن ولاك الحسبة ؟ فقال : الذى ولاك الاخلاقيا أمير المؤمنين . فأطرق رأسه ثم رفضها فقال : ما الذى حلك على ما فعلت ؟ فقال : شقعة عليك لدفع الضرر عنك . فأطرق رأسه ثم رفضه فقال : ولأى شئ تركت منها دنا واحدا لم تكسره ؟ فقال : لأنى إنما أقدمت عليها فكسرتها لإجل الله تعالى ، فلم أبال أحدا حتى انتهيت إلى هذا الدنان دخل نفسى إعجاب من قبيل أنى قد أقدمت على مثلك فتركته ، فقال له المعتضد : اذهب قد أطلقت يدك فخير ما أحبيت أن تغيره من المنكر . فقال له النورى : الآن انتفض عزمى عن التفتير ، فقال : ولم ؟ فقال : لأنى كنت أغير عن الله ، وأنا الآن أغير عن شرطى . فقال : سل حاجتك . فقال : أحب أن تغرجنى من بين يديك سلما . فأمر به فأخرج فصار إلى البصرة ، فأقام بها محتفيا خشية أن يشق عليه أحد فى حاجة عند المعتضد . فلما توفى المعتضد رجع إلى بغداد

وذكر القاضى أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمى عن شيخ من التجار قال : كان لى على بعض الأمراء مال كثير فاطلنى ومنعنى حتى ، وجعل كلما جئت أطلبه جبنى عنه ويأمر غلمانه يؤذونى ، فاشتكت عليه إلى الوزير فلم يند ذلك شيئا ، وإلى أولياء الأمر من الدولة فلم يقطعوا منه شيئا ، وما زاده ذلك إلا نمنا وجحودا ، فأيسر من المال الذى عليه ودخلنى من جهته ، فبينما أنا كذلك وأنا حائر لى من أشكنى ، إذ قال لى رجل : ألا تأتى فلانا الخياط - إمام مسجد هناك - فقلت وما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم . وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه ؟ فقال لى : هو أقطع وأخوف عنده من جميع من اشتكت إليه ، فذهب إليه لملك أن تعبد عنده فرجا . قال قصصه غير مختل فى أمره ، فذكرت له حاجتى ومالى وما لقيت من هذا الظالم ، فقام ملى فحين عاينه الأمير قام إليه وأكرمه واحترمه وبادر إلى قضاء حقى الذى عليه فأعطانيه كاملا من غير أن يكون منه إلى الأمير كبير أمر ، غير أنه قال له : ادفع لى هذا الرجل حقه وإلا أذنت . فتخير لون الأمير ودفع لى حقى ^(١) .

قال الناجى : فصبرت من ذلك الخياط مع وثامة حاله وضمف بنيته كيف انطاع ذلك الأمير له ، ثم لى عرضت عليه شيئا من المال فلم يقبل ملى شيئا ، وقال : لو أردت هذا لكان لى من الأموال مالا

(١) زيادة من نسخة الأستاذة

بعضي . فسألته عن خبره وذكرت له تعجبي منه وألححت عليه فقال : إن سبب ذلك أنه كان عندنا في جوارنا أمير تركي من أعلى الدولة ، وهو شاب حسن ، فربه ذات يوم امرأة حسنة قد خرجت من الحمام وعليها ثياب مرتفعة ذات قبضة ، فقام إليها وهو سكران فتملق بها يريد على نفسها لينخلها منزله ، وهي تأتي عليه وتصيح بأعلى صوتها : يا مسلمين أنا امرأة ذات زوج ، وهذا رجل يريدني على نفسي ويدخلني منزله ، وقد حلف زوجي بالطلاق أن لا أبيت في غير منزله ، ومضى بت هاهنا طلقت منه ولحقني بسبب ذلك عار لا تحضه الأيام ولا تغسله المدامع . قال الخياط : قممت إليه فأفكرت عليه وأردت خلاص المرأة من يديه فضررتي بدبوس في يده فشجع رأسه ، وغلب المرأة على نفسها وأدخلها منزله قهراً ، فرجست أنا فسلت الدم عنى وعصبت رأسى وصليت بالناس المشاء ثم قلت للجماعة : إن هذا قد فعل ما قد علمتم قفروا معي إليه لننكر عليه ونخلص المرأة منه ، فقام الناس معي فهجمنا عليه داره فنار إلينا في جماعة من غلمانهم بأيديهم المعصى والديابيس يضربون الناس ، وقصدنى هومن بينهم فضررتني ضرباً شديداً مبرحاً حتى أدماني ، وأخرجنا من منزله ونحن في غاية الإهانة ، فرجست إلى منزلي وأنا لا أهتمدى إلى الطريق من شدة الوجع وكثرة الدماء ، فتمت على فراشي فلم يأخذني نوم ، وتعميرت ماذا أصنع حتى أقتد المرأة من يده في الليل لترجع فنبئت في منزلها حتى لا يقع على زوجها الطلاق ، فألممت أن أؤذن الصبح في أثناء الليل لكي يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها من منزله فنذهب إلى منزل زوجها ، فصعلت النارة وجعلت أنظر إلى باب داره وأنا أتكلم على حادثي قبل الأذان هل أرى المرأة قد خرجت ثم أذنت فلم تخرج ، ثم صممت على أنه إن لم تخرج أقت الصلاة حتى يتحقق الصبح ، فبينما أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا ، إذ امتلأت الطريق فرساناً ورجالة وهم يقولون : أين الذى أخذ هذه الساعة ؟ قلت : ها أنا ذا ، وأنا أريد أن يعينوني عليه ، فقالوا : انزل ، فنزلت فقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فأخفوني وذهبوا بى لا أمالك من فضي شيئاً ، حتى أدخلوني عليه ، فلما رأيته جالساً في مقام الخلافة ارتفعت من الخوف وفزعته فزعا شديداً ، فقال : ادن ، فدنوت فقال لى : ليسكن روعك وليبدأ قلبك . ومازال يلاطفنى حتى أطمانت وذهب خوفى ، فقال : أنت الذى أذنت هذه الساعة ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : ما حلاك على أن أذنت هذه الساعة ، وقد بقى من الليل أكثر مما مضى منه ؟ فغفر بملك الصائم والمسافر والمصلى وغيرهم . قلت : يؤمننى أمير المؤمنين حتى أقص عليه خبرى ؟ فقال : أنت آمن . فذكرت له القصة . قال : فغضب غضباً شديداً ، وأمر بإحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعته على أى حالة كانا فأحضرا سرى ما فيبث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته فماتت ومعهن فقة من جهته أيضاً ، وأمره أن يأمر زوجها بالدفن والصنع عنها والاحسان إليها ، ففها مكرهة ومعذورة . ثم أقبل على ذلك الشاب

الأمير فقال له : كم لك من الرزق ؟ وكم عندك من المال ؟ وكم عندك من الجوار والزوجات ؟ فذكر له شيئاً كثيراً . فقال له : ويحك أما كفأك ما أنعم الله به عليك حتى انتهكت حرمة الله وتسدت حدوده وتجرات على السلطان ، وما كفأك ذلك أيضاً حتى عصمت إلى رجل أمره بالمروءة ونهاه عن المنكر فضررت به وأهنته وأدبته ؟ فلم يكن له جواب . فأمر به فجعل في رجله قيد وفي عنقه غل ثم أمر به فأدخل في جوارق ثم أمر به فضرب بالسياط ضرباً شديداً حتى خفت ، ثم أمر به فألقي في دجلة فكان ذلك آخر العهد به . ثم أمر بدرأ صاحب الشرطة أن يحتاط على ما في داره من الحواصل والأموال التي كان يتناولها من بيت المال ، ثم قال لملك الرجل الصالح الغياط : كلما رأيت منكراً صغيراً كان أو كبيراً ولو على هذا - وأشار إلى صاحب الشرطة - فأعلمني ، فان اتفق اجتماعك في وإلا فعل ما بيني وبينك الأذان ، فأذن في أي وقت كان أو في مثل وقتك هذا . قال : فلم هذا لا أمر أحداً من هؤلاء الدولة بشئ إلا استأذنه ، ولا أتاهم عن شيء إلا تركوه خوفاً من المعتضد . وما احتجت أن أؤذن في مثل تلك الساعة إلى الآن .

وذكر الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب قال : كنت يوماً عند المعتضد وخادم واقف على رأسه يذب عنه بمذبة في يده إذ حركها فجاءت في قلنسوة الخليفة فسقطت عن رأسه ، فأعظمت أنا ذلك جداً وخفت من هول ما وقع ، ولم يكثر الخليفة لذلك ، بل أخذ قلنسوته فوضعها على رأسه ثم قال لبعض الخدم : مر هذا البائس ليذهب لراحته فإنه قد نس ، وزيدوا في عدة من يذب بالنوبة . قال الوزير : فأخذنا في الثناء على الخليفة والشكر له على حلمه ، فقال : إن هذا البائس لم يتمد ما وقع منه وإنما نس ، وليس الكتاب والماتبة إلا على المتمد لأعلى الخطي والسامى . وقال جيف السرقندي الحليج : لما جاء الخبر إلى المعتضد بموت وزيره عبيد الله بن سليمان خر ساجداً طويلاً ، فقيل له : يا أمير المؤمنين : لقد كان عبيد الله يخدمك وينصحك . فقال : إنما سجدت شكر الله أني لم أعزله ولم أؤذه . وقد كان ابن سليمان حازم الرأي قويا ، وأراد أن يولى مكانه أحمد بن محمد بن الفرات ففعل به بدر صاحب الشرطة عنه وأشار عليه بالقاسم بن عبيد الله فسقاه فأحل عليه فولاه وبث إليه يزيه في أبيه وبهنية بالوزارة ، فما لبث القاسم بن عبيد الله حتى ولى المكتفى الخلافة من بعده أبيه المعتضد وحتى قتل بدرأ . وكان المعتضد ينظر إلى ما بينهما من المداوة من وراء ستر رقيق ، وهذه فراسة عظيمة وتوسم قوى . ورفع يوماً إلى المعتضد قوماً يجتمعون على المعصية فاستشار وزيره في أمرهم فقال : ينبغي أن يعاصب بعضهم ويحرق بعضهم . قال : ويحك لقد بردت لخب غضبي عليهم بقسوتك ، أما علمت أن الرعية وديمة الله عند سلطانها ، وأنه سألها عنها ؟ ولم يقابلهم بما قال الوزير . ولهم النية لما ولى الخلافة كان بيت المال صفرًا من المال وكانت الأحوال فاسدة ، والعرب تسيث في الأرض

فساد آفى كل جهة ، فلم يزل يرأيه وتسديده حتى كثرت الأموال ووصلت الأحوال فى سائر الأقاليم والأتاق . ومن شره فى جارية له توفيت فوجد عليها :

يا حبيباً لم يكن به • الله عندي حبيب
أنت من عيني بعيد • ومن القلب قريب
ليس لي بسلك فى شئ • ممن الهو نصيب
لك من قلبي على قلبي • وإن غبت رقيب
وحياى منك مذنب • مت حية لا تطيب
لو نزلت كيف لى به • ملك عول ونحيب
وفؤادى حشوه من • حرق الحزن لميب
ما أرى نفسى وإن طيت • يتها عنك تطيب
ليس دمع لى يصيب • فى صبرى ما يجيب

وقال فيها :
لم أبك للدار ولكن لمن • قد كان فيها مرة ساكنا
نفاثى الدهر يتقدانه • وكنت من قبل له آمنا
ودعت صبرى عنه توديعه • وبان قلبي معه ظاهنا
وكتب إليه ابن المعتز يمزيه ويسليه عن حصيته فيها :

يا إمام الهدى حياتك طالت ^(١) • وعشت أنت سلماً
أنت علمتنا على النعم الشكر • ر وعند المصائب التسلياً
فقل عن ماضى وكان الذى • كانت سروراً صارت ثواباً عظيماً
قد رضينا بأن نموت ونمحي • إن عندي فى ذاك حظاً جسيماً
من بمت طالما لمولاه قد • أعطى فوزاً ومات مواتاً كريماً ^(٢)

وقد رأى أبو العباس عبد الله بن المعتز العباسى بن عمر المتضهد بمرآة حسنة يقول فيها :

يا دهر ويحك ما أبقيت لى أحدا • وأنت والد سوء تأكل الولدا
أستغفر الله بل ذا كله قدر • رضيت بالله رباً واحداً صمداً
يا ساكن القبر فى غرباء مظلمة • بالظاهرة متعوى القار منفرداً
أين الجيوش التى قد كنت تشعنها • أين الكنوز التى لم تحصها عدداً

(١) فى المصرية : يا إمام الهدى بنا لابل بك النعم الخ .

(٢) كذا بالأصول ولم نجد هذه القصيدة فى ديوان المذكور .

أين السرير الذي قد كنت تملؤه • مهابة من رأته عينه ارتعدا
 أين القصور التي شيدتها فملت • ولاح فيها سنا الابريز فاقدا
 قد أنهبوا كل مرقال مذكرة • وجنأ تنفر من أشداقها الزيدا
 أين الأعادى الألى ظلت صعيهم • أين القيوث التي صيرتها قددا
 أين الوفود على الأبواب ما كنة • ورد القفا صغراً ما جال واطردا
 أين الرجال قياماً في مراتبهم • من راح منهم ولم يطمر قد سعدا
 أين الجياد التي حجلتها بدم • وكن يحملن منك الضيفم الأسدا
 أين الرمالح التي غنيتها مهجاً • مذمت ما ورت قلباً ولا كيدا
 أين السيوف وأين النبل مرسة • يصبن من شئت من قربوا إن بعدا
 أين المجانيق أمثال السيول إذا • رمين حائط حصن قائم قددا
 أين العمال التي قد كنت تبدها • ولا ترى أن عفواً نافعا أبدا
 أين الجنان التي تجري جداولها • ويستجيب إليها الطائر الفردا
 أين الوصائف كالغزلان رائحة • يسحبن من حلل موشية جددا
 أين الملاحى وأين الراح تحبها • بإقوة كسيت من فضة زردا
 أين الوثوب إلى الأعداء مبتغيا • صلاح ملك بنى العباس إذ فسدا
 ما زلت تهرس منهم كل قصورة • وتحطم العاقب الجبار متعبدا
 ثم انقضيت فلا عين ولا أثر • حتى كأنك يوماً لم تكن أحداً
 لا شئ يبق سوى خير قدمه • مادام ملك لأنسان ولا خلفا

ذكرها ابن عساكر في تاريخه . واجتمع ليلة عند المتضد ندماؤه فلما انقضى السمر وصار إلى
 حظايه وقام القوم السار بينهم من نومهم خادم وقال : يقول لكم أمير المؤمنين إنه أصابه أرق بعدكم ،
 وقد حمل بيتنا أعياء ثانية فمن عمل ثانية فله جائزة وهو هذا البيت :

ولما اتبتهنا الخيال الذي سرى • إذا الفار قفر والمزار بيمد

قال لجلس القوم من فرشهم يفكرون في ثانية فبدر واحد منهم فقال :

فقلت لبعني علودي النوم واهجى • لعل خيالا طارفا سيمود

قال فلما رجع الخادم به إلى المتضد وقع منه نوماً جيداً وأمر له بمجازرة سنية ، واستعظم المتضد

يوماً من بعض الشعراء قول الحسن بن منير المازني البصري :

لحقى على من أطار النوم فاستنما • وزاد قلبي على أوجاعه وجما

كأنما الشمس من أعطائه طلعت * حسنا أو البدر من أurdانه لما
 في وجهه شافع يحو إساءته * من القلوب وجها أين ما شافنا
 ولما كان في ربيع الأول من هذه السنة اشتد وجع المعتضد فاجتمع رؤس الأمراء مثل يونس
 الخادم وغيره إلى الوزير القاسم بن عبيد الله فأشاروا بأن يجتمع الناس لتجديد البيعة للمكتفي بالله
 على بن المعتضد بالله، ففعل ذلك وتأكدت البيعة وكان في ذلك خير كثير. وحين حضرت المعتضد
 الوفاة أشد لنفسه :

تمتع من الدنيا فانك لا تبقى * وخضعوها ما إن صفت ودع الرقا
 ولا تأمن الدهر إلى اتئمتته * فلم يبق لي حلالا ولم يرع لي حقا
 قتلت صناديد الرجال فلم أدع * عدوآ ولم أهل على خلق خلقا
 وأخليت دار الملك من كل نازع * فشرحتهم غربا ومرضهم شرقا
 فلما بلغت النجم عزاً ورفعة * وصارت رقاب الخلق لي أجمع رقا
 رمائي الردى سهبا فأخذ جرمي * فما أنا ذا في حفري عاجلا ألقي
 ولم ينفعني ما جمعت ولم أجد * لدى ملك إلا حباي حبا رقا
 وأفسدت دنياي ودينى سفاهة * فن ذا الذى مثل بمصرعه أشقا
 فباليت شعري بدموى هل أصر * إلى رحمة الله أم في ناره ألقي

وكانت وفاته ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الأول من هذه السنة. ولم يبلغ الحسين. وكانت
 خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما. وخلف من الأولاد الذكور: عليا المكتفي، وجعفر
 المقتدر، وهارون. ومن البنات إحدى عشرة بنتا. ويقال سبع عشرة بنتا. وترك في بيت المال
 سبعة عشر ألف ألف دينار. وكان يمسك عن صرف الأموال في غير وجهها، فلذا كان بعض
 الناس يبخله، ومن الناس من يجهله من الخلفاء الراشدين المذكورين في الحديث، حديث جابر بن
 سمرة قال: أعلم. (خلافة المكتفي بالله أبي محمد)

على بن المعتضد بالله أمير المؤمنين، بويع له بالخلافة عند موت أبيه في ربيع الأول من هذه
 السنة، وليس في خلفائه من اسمه على سوى هذا وعلى بن أبي طالب. وليس فيهم من يكنى بأبي محمد
 إلا هو والحسن بن على بن أبي طالب والهادي، والمستضى بالله. وحين ولى المكتفي كثرت الفتن
 وانتشرت في البلاد. وفي رجب منها زلزلت الأرض زلزلة عظيمة جدا، وفي رمضان منها تساقط
 وقت السحر من السماء نجوم كثيرة ولم يزل الأمر كذلك حتى طلعت الشمس. ولما أفضت الخلافة
 إليه كان بالرقعة، فكتب إليه الوزير وأعيان الأمراء فركب فدخل بغداد في يوم مشهود، وذلك يوم

الاثنين لثمان خلوز - جمادى منها . وفي هذا اليوم أمر بقتل عمرو بن الليث الصغار - وكان متغلباً
سجن أبيه - وأمر بتخريب المطامير التي كان اتخذها أبوه للمسجونين وأمر ببناء جامع مكانها وخلع في
هذا اليوم على الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان ست خلع وقلبه سيفاً ، وكان عمره يوم ولّى الخلافة
خمساً وعشرين سنة و بعض أشهر .

/ وفيها انتشرت القرامطة في الآفاق وقطعوا الطريق على الحجيج ، وتسمى بعضهم بأمر المؤمنين .
فبعث المكتنفي إليهم جيشاً كثيراً وأعتق فيهم أموالاً جزيلة ، فأطلق الله بعض شرم . وفيها خرج محمد
ابن هارون عن طاعة إسماعيل بن أحمد الساماني ، وكاتب أهل الري بمدقته محمد بن زيد الطالبي ،
فصار إليهم فسلموا البلد إليه فاستحوذ عليها ، فقصده إسماعيل بن أحمد الساماني بالجيش فقهروه
وأخرجوه منها مفجوماً مدسوراً . قال ابن الجوزي في المنتظم : وفي يوم التاسع من ذي الحجة منها
صلى الناس المصر في زمن الصيف وعليهم ثياب الصيف ، فبعت ربح باردة جداً حتى احتاج الناس
إلى الاصطلاء بالنار ، ولبسوا القرا والحشوات وجمد الماء كفصل الشتاء . قال ابن الأثير : ووقع
بمدينة حصص مثل ذلك ، وهب ربح عاصف بالبصرة فاقترنت شيئاً كثيراً من تخيلها ، وخسف
بموضع فيها فماتت تحتها سبعة آلاف نسمة . قال ابن الجوزي . وابن الأثير : وزلزل بغداد في رجب
منها مرات متعددة ثم سكنت . وحجج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك .

وفيها توفي من الأعيان إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أحد الصوفية الكبار . قال ابن الأثير :
وهو من أقران السري السقطي . قال : لأن ترد إلى الله ذرة من همك خير لك مما طلعت عليه
الشمس . أحمد بن محمد المتضدد بالله غلب عليه سوء المزاج والجفاف من كثرة الجماع ، وكان الأطباء
يصفون له ما يربط بدنه به فيستعمل ضد ذلك حتى سقطت قوته .

﴿ بدر غلام المتضدد رأس الجيش ﴾

كان القاسم الوزير قد عزم على أن يصرف الخلافة من أولاد المتضدد وفارض بذلك بدرآ هذا
فامتنع عليه وأبى ، فلما ولي المكتنفي بن المتضدد خاف الوزير غائلة ذلك فحسن الوزير للمكتنفي قتل
بدر هذا ، فبعث المكتنفي فاحتاط على حواصله وأمواله وهو بواسط ، وبعث الوزير إليه بالأمان ، فلما
قدم بدر بعث إليه من قتل يوم الجمعة لست خلون من رمضان من هذه السنة ، ثم قطع رأسه وبعثت
جثته أخذها أهله فبشوا بها إلى مكة في تابوت فدفن بها ، لأنه أوصى بذلك وكان قد أعتق كل مملوك
له قبل وفاته . وحين أرادوا قتله صلى ركعتين رحمه الله .

الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن الفهم بن محرز ابن إبراهيم الحافظ البغدادي ، مع خلف
ابن هشام ويحيى بن معين ومحمد بن سعد وغيرهم ، وعنه الخططي والطوماري ، وكان بصيراً في

التحديث إلا لمن لازمه ، وكانت له معرفة جيدة بالأخبار والنسب والشعر وأسماء الرجال ، يميل إلى مذهب العراقيين في الفقه ، قال عنه الفارطقي : ليس بالقوى . عمارة ابن وثيمة بن موسى أبو رفاعة الفارسي صاحب التاريخ على السنن ، ولد بمصر وحدث عن أبي صالح كاتب الليث وغيره . هارون بن الليث الصفار أحد الأمراء الكبار ، قتل في السجن أول ما قدم المكتفى ببغداد .

(سنة تسعين ومائتين)

فيها أقبل يحيى بن زكرويه بن مهرويه أبو طهم القرطبي المعروف بالشيخ في جحافل فعات بناحية الرقة فساداً فجهز إليه الخليفة جيشاً نحو عشرة آلاف فارس . وفيها ركب الخليفة من بغداد إلى سامرا يريد الاقامة بها فخطى رأيه عن ذلك الوزير فرجع إلى بغداد . وفيها قتل يحيى بن زكرويه على باب دمشق زرقة رجل من المغاربة بمزراق فلحقته ، ففرح الناس بقتله ، وتمكن منه المزراق فأحرقه ، وكان هذا المغربي من جملة جيش المصريين ، قدام بأمر القرامطة ، فحاصر دمشق فصالحه وتسمى بأحمد وتكنى بأبي العباس وتلقب بأمر المؤمنين ، وأطاعه القرامطة ، فحاصر دمشق فصالحه أهلها على مال ، ثم سار إلى حمص فافتتحها وخطب له على منابرها ، ثم سار إلى حمص ومرة النعمان فحضر أهل تلك النواحي واستباح أموالهم وحر بهم ، وكان يقتل الدواب والصبيان في المكاتب ، ويبسح لهم معه وطء النساء ، فرجما وطى الواحدة الجماعة الكثيرة من الرجال ، فاذا ولدت ولداً هنا به كل واحد منهم الآخر ، فكتب أهل الشام إلى الخليفة ما يلقون من هذا الدين ، فجهز إليهم جيوشاً كثيفة ، وأفق فيهم أموالاً جزيلة وركب في رمضان فتزل الرقة وبث الجيوش في كل جانب لقتال القرامطة وكان القرطبي هذا يكتب إلى أصحابه : « من عبد الله المهدى أحمد بن عبد الله المهدى المنصور الناصر لدين الله القائم بأمر الله الحاكم بحكم الله ، الهادي إلى كتاب الله ، القاب عن حريم الله ، المختار من ولد رسول الله ، وكان يدعى أنه من سلالة علي بن أبي طالب من فاطمة ، وهو كاذب ألك أنتم قبحه الله ، فإنه كان من أشد الناس عداوة لقريش ، ثم لبى هاشم ، دخل سلمية فلم يدع بها أحداً من بني هاشم حتى قتلهم وقتل أولادهم واستباح حريمهم .

وفيها تولى ثمر طرسوس أبو طاهر أحمد بن نصر عوضاً عن مظفر بن جناح لشكوى أهل النهر منه . وحج بالناس الفضل بن محمد العباسي . وفيها توفي من الأعيان .

(عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل)

أبو عبد الرحمن الشيباني . كان إماماً فقه حافظاً ثبتاً مكثرأ عن أبيه وغيره . قال ابن المنادي : لم يكن أحد أروى عن أبيه منه . روى عنه المسند ثلاثين ألفاً ، والتفسير مائة ألف حديث وعشرون ألفاً ، من ذلك معاج ومن ذلك إجازة ، ومن ذلك الناسخ والمنسوخ ، والمقدم

والمؤخر ، في كتاب الله والتاريخ ، وحديث سبعة وكرامات القراء ، والمتاسك الكبير ، والصغير . وغير ذلك من التصانيف ، وحديث الشيوخ . قال : وما زلت أرى أكابر شيوخوا يشهدون له بمعرفة الرجال وعلل الحديث والأسماء والكنى والمواظبة على طلب الحديث في العراق وغيرها ، ويندكرون عن أسلافهم الاقرار له بذلك ، حتى أن بعضهم أسرف في تزييفه له بالمعرفة وزيادة السماع للحديث عن أبيه . ولما مرض قيل له أين تدفن ؟ فقال : صح عندي أن بالقلمية نبياً مدفوناً ، ولأن أكون بجوار نبي أحب إلى من أن أكون في جوار أبي . مات في جمادى الآخرة منها عن سبع وسبعين سنة ، كما مات لها أبوه ، واجتمع في جنازته خلق كثير من الناس ، وصلى عليه زهير ابن أخيه ، ودفن في مقابر باب التين رحمه الله تعالى .

عبد الله بن أحمد بن سعيد أبو بحر الرباطي المروزي ، صاحب أبا تراب النخشي ، وكان الجليل مدحه ويثني عليه . عمر بن إبراهيم أبو بكر الحافظ المروفي بأبي الأذان ، كان ثقة فتيماً . محمد بن الحسين بن الفرج أبو ميسرة الهمداني ، صاحب المسند ، كان أحد الثقات المشهورين والمصنفين .

﴿ محمد بن عبد الله أبو بكر النفاق ﴾

أحد أئمة الصوفية وعبادهم ، روى عن الجنيد أنه قال : رأيت إبليس في المنام وكأنه عريان قلت : ألا تستحي من الناس ؟ قال : - وهو لا يظنهم ناساً - لو كانوا ناساً ما كنت ألعب بهم كما يلعب الصبيان بالكرة ، إنما الناس جماعة غير هؤلاء . قلت : أين هم ؟ قال : في مسجد الشونيزي قد أضنوا قلبي وأتمبوا جسدي ، كلما هممت بهم أشاروا إلى الله عز وجل فأكد أحترق . قال : فلما انتبهت لبست ثيابي ورحلت إلى المسجد الذي ذكر فإذا فيه ثلاثة جلوس ورؤسهم في مرقعاتهم ، فرفع أحدهم رأسه إلى وقال : يا أبا القاسم لا تغتر بحديث الخبيث ، وأنت كلما قيل لك شيء تقبل ؟ فإذا هم أبو بكر النفاق وأبو الحسين النوري وأبو حمزة محمد بن علي بن علوية بن عبد الله الجرجاني الفقيه الشافعي تلميذ المزني . ذكره ابن الأثير .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين ﴾

فيها جرت وقعة عظيمة بين القرامطة وجند الخليفة فهزموا القرامطة وأسروا رئيسهم الحسن بن زكرويه ، ذا الشامة ، فلما أسرحل إلى الخليفة في جماعة كثيرة من أصحابه من رؤسهم ، وأدخل بغداد على فيل مشهور ، وأمر الخليفة بعمل دقة مرتفعة فأجلس عليها وجىء بأصحابه فيعمل يضرب أحناقهم بين يديه وهو ينظر ، وقد جعل في فوه خشبة معترضة مشدودة إلى قفاه ، ثم أنزل فضرب مائتي سوط ثم قطعت يدها ورجلاه ، وكوى ، ثم أحرق وحمل رأسه على خشبة وطيء به في أرجاء بغداد ، وذلك في ربيع الأول منها .

وفيها قصدت الأتراك بلاد ما وراء النهر في جعافل عظيمة ، فبيتهم المسلمون وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وسبوا منهم ما لا يحصى (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لما ينالوا خيراً) . وفيها بعث ملك الروم عشرة صلبان مع كل صليب عشرة آلاف ، فغاروا على أطراف البلاد وقتلوا خلقاً وسبوا نساء وذرية . وفيها دخل نائب طرسوس بلاد الروم ففتح مدينة أنطاكية - وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر تعادل عندهم القسطنطينية - وخلص من أسارى المسلمين خمسة آلاف أسير ، وأخذ للروم ستين مركباً وغنم شيئاً كثيراً ، فبلغ نصيب كل واحد من الغزاة ألف دينار . وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي . وفيها توفى من الأعيان .

✽ أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار ✽

أبو العباس الشيباني مولاهم ، الملقب بشعلب إمام الكوفيين في النحو والفقه ، مولده في سنة مائتين ، مع محمد بن زيد الأعرجي والزيد بن بكار والقواريري وغيرهم ، وعنه ابن الأنباري وابن عرفة وأبو عمرو الزاهد ، وكان ثقة حجة ديناً صالحاً مشهوراً بالصدق والحفظ ، وذكر أنه سمع من القواريري مائة ألف حديث . توفى يوم السبت لثلاث عشرة بقية من جمادى الأولى منها ، عن إحدى وتسعين سنة . قال ابن خلكان : وكان سبب موته أنه خرج من الجامع وفي يده كتاب ينظر فيه وكان قد أصابه صمم شديد فصدمته فرس فألقته في هوة فاضطرب دماغه فأت في اليوم الثاني رحمه الله . وهو مصنف كتاب الفصيح ، وهو صغير الحجم كثير الفائدة ، وله كتاب المصون ، واختلاف التحويين ومعاني القرآن وكتاب القراءات ومعاني الشعر وما يلحق فيه العامة وغير ذلك . وقد نسب إليه من الشعر قوله .

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها • فكم تلبث النفس التي أنت قوتها
سبيق بقاء الثبت في الماء أو كما • أظلم لدى دجوة الماء صوتها
أغركت أنى قد تصبرت جاهدآ • وفي النفس منى منك ماسيبتها
فلو كان ما بى بالصخور لهدأها • وبالريح ما هبت وطال خوفها
فصبرآ لعل الله يجمع بيننا • فأشكو هموماً منك فيك لقيتها

وفيها توفى القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير ، تولى بعده أبيه الوزارة في آخر أيام المعتضد ، ثم تولى لولده المكتفي ، فلما كان رمضان من هذه السنة مرض فيمض إلى السجن فأطلق من فيها من المطلوبين ، ثم توفى في ذى القعدة منها ، وقد قارب ثلاثاً وثلاثين سنة ، وقد كان حليماً عند أغليظة ، وخلف من الأموال ما يمل سبعمائة ألف دينار .

ومحمد بن محمد بن إسماعيل بن شداد أبو عبد الله البصري القاضي بواسط ، المعروف بالجرى ،

حدث عن مسدد وعن علي بن المديني وابن نمير وغيرهم ، وكان من الثقات والقضاة الأجواد المدبول الأئمة . ومحمد بن إبراهيم البوشنجي . ومحمد بن علي الصايغ . وقبل أحد مشاهير القراء . وأئمة العلماء .
(ثم دخلت سنة ثلثين وتسعين ومائتين)

[فيها دخل محمد بن سليمان في نحو عشرة آلاف مقاتل من جهة الخليفة المكتفي إلى الديار المصرية لقتال هارون بن خمارويه ، فبرز إليه هارون فاقتنلا فقهره محمد بن سليمان وجمع آل طولون وكانوا سبعة عشر رجلا قتلهم واستحوذ على أموالهم وأهلاهم : وانقضت دولة الطولونية على الديار المصرية وكتب بالفتح إلى المكتفي . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي القائم بأمر الحجاج في السنين المتقدمة . ومن توفي فيها من الأعيان .

(إبراهيم بن عبد الله بن مسلم الكجي)

أحد المشايخ المعبرين ، كان يحضر مجلسه خمسون ألفاً من معه بحبرة ، سؤى النظارة ، ويستمل عليه سبعة مستملين كلٌّ يبلغ صاحبه ، ويكتب بعض الناس وهم قيام . وكان كلما حدث بمسألة آلاف حديث تصدق بصدقة . ولما فرغ من قراءة السنن عليه عمل مادية غرم عليها ألف دينار ، وقال : شهدت اليوم على رسول الله ﷺ قبلت شهادتي وحدي ، أفلا أعمل شكر الله عز وجل ؟ . وروى ابن الجوزي والخطيب عن أبي مسلم الكجي قال : خرجت ذات ليلة من المنزل فررت بحمام وعلى جناية فدخلته قتلته للحمامي : أدخل حمامك أحد بعد ؟ قال : لا ، فدخلت فلما فتحت باب الحمام الداخل إذا قاتل يقول : أيا مسلم أسلم تسلم . ثم أنشأ يقول :

لك الحمد إما على نعمة * وإما على لقمة تدفع

تشاء فتفعل ما شئت * وتسع من حيث لا يسمع

قال : فبادرت فخرجت قتلته للحمامي : أنت زعمت أنه لم يدخل حمامك أحد . فقال : نعم ! وما ذاك ؟ قلت : إني سمعت قاتلاً يقول كذا وكذا . قال : وصحمت ؟ قلت : نعم . فقال : يا سيدي هذا رجل من الجان يتبدي لنا في بعض الأحيان فينشد الأشعار ويتكلم بكلام حسن فيه مواظ . قلت : هل حفظت من شعره شيئاً ؟ قال : نعم . ثم أنشدني من شعره فقال هذه الأبيات :

أها المذنب المفرط مهلا * كم تهادى تكسب الذنب جهلا

كم وكم تخطئ الليل بفعل * صبح وهو يحسن الصنع فلا

كيف تهدأ جفون من ليس يدرى * أرضى عنه من على العرش أم لا

عبد الحميد بن عبد العزيز أبو حاتم القاضى الحنفى ، كثرت من خيار القضاة وأعيان الفقهاء ومن أئمة العلماء ، ورعا ترها كثير الصيانة والحيانة والأمانة . وقد ذكر له ابن الجوزي في المنتظم

آثاراً حسنة وأفضالاً جميلة ، رحمه الله . [١١]

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين)

فيها التف على أخى الحسين القرمطي المعروف بذي الشامة الذي قتل في التقي قبلها خلائق من القرامطة بطريق الفرات ، فأتى بهم في الأرض فساداً ، ثم قصد طبرية فامتصوا منه فدخلها قهراً وقتل بها خلقاً كثيراً من الرجال ، وأخذ شيئاً كثيراً من الأموال ، ثم كر راجعاً إلى البادية ، ودخلت فرقة أخرى منهم إلى هيت فقتلوا أهلها إلا القليل ، وأخذوا منها أموالاً جزيلة حملوها على ثلاثة آلاف بعير ، فبعث إليهم المكتفي جيشاً فقاتلهم وأخذوا رئيسهم فضربت عنقه . ونبغ رجل من القرامطة يقال له الداعية باليمن ، فحاصر صنعاء فدخلها قهراً وقتل خلقاً من أهلها ، ثم سار إلى بقية مدن اليمن فأكثر الفساد وقتل خلقاً من العباد ، ثم قاتله أهل صنعاء فظفروا به وهزموه ، فأغار على بعض مدنها ، وبعث الخليفة إليها مظفر بن حجاج نائباً ، فسار إليها فلم يزل بها حتى مات . وفي يوم عيد الأضحى دخلت طائفة من القرامطة إلى الكوفة فنادوا : يا أئمة الحسين - يمنون المصلوب في التي قبلها ببغداد - وشعارهم : يا أحمد يا محمد - يمنون الذين قتلوا معه - فبادر الناس الدخول من المصلى إلى الكوفة فدخلوا خلفهم فرمهم العامة بالحجارة فقتلوا منهم نحو العشرين رجلاً ، ورجع الباقيون خاسئين . وفيها ظهر رجل بمصر يقال له الخليجي فغلغ الطائفة واجتمع إليه طائفة من الجند فأمر الخليفة أحمد بن كنفك نائب دمشق وأعمالها فركب إليه فاقبلاً بظاهر مصر فهزمه الخليجي هزيمة منكورة ، فبعث إليه الخليفة جيشاً آخر فهزموا الخليجي وأخضعوه وسلم إلى الأمير الخليفة وانطلقاً خبره واشتغل الجيش بأمر الديار المصرية ، فبعث القرامطة جيشاً إلى بصرى مصيبة رجل يقال له عبد الله بن سعيد كان يعلم الصبيان ، فقصده بصرى وأذرعته والبثية فخار به أهلها ثم أمتهم فلما أن تمكن منهم قتل المقاتلة وسبى الذرية ، ورام الدخول إلى دمشق فخار به نائب دمشق أحمد بن كنفك ، وهو صالح بن الفضل ، فهزمه القرمطي وقتل صالح فيمن قتل وحاصر دمشق فلم يمكنه فتحها ، فأنصرف إلى طبرية فقتلوا أكثر أهلها ونهبوا منها شيئاً كثيراً كما ذكرنا ، ثم ساروا إلى هيت ففعلوا بها ذلك كما تقدم ، ثم ساروا إلى الكوفة في يوم عيد الأضحى كما ذكرنا . كل ذلك بإشارة زكرويه بن مروييه وهو مخنف في بلده بين ظهري قوم من القرامطة ، فإذا جاءه الطلب نزل بثرأ قد اتخذها ليخفى فيها وعلى بابها تنور فتقوم امرأة فتمسج وجهه فلا يشعر به أصلاً ، ولا يدرى أحد أين هو ، فبعث الخليفة إليه جيشاً فقاتلهم زكرويه بنفسه ومن أطاعه فهزم جيش الخليفة وغنم من أموالهم شيئاً كثيراً جداً فنقوى به واشتد أمره ، فندب الخليفة إليه جيشاً آخر كثيراً فكان من أمره

وأمرهم ما سئذ كره . وفيها خرب إسماعيل بن أحمد الساماني نائب خراسان وما وراء النهر طائفة كبيرة من بلاد الأتراك . وفيها أغارت الروم على بعض أعمال حلب قتلوا ونهبوا وسبوا . وفيها حج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي . وفيها توفي من الأعيان

﴿ أبو العباس الناشي الشاعر ﴾

واسمه عبد الله بن محمد أبو العباس المغزلي ، أصله من الأنبار وأقام ببغداد مدة ، ثم انتقل إلى مصر فمات بها ، وكان جيد الذهن يما كس الشراء ويرد على المتعطين والفروضيين ، وكان شاعراً مطبقاً إلا أنه كان فيه هوس وله قصيدة حسنة في نسب رسول الله ﷺ قد ذكرناها في السيرة . قال ابن خلكان : كان عالماً في عدة علوم من جملتها علم المنطق ، وله قصيدة في فنون من العلم على روى واحد تبلغ أربعة آلاف بيت ، وله عدة تصانيف وأشعار كثيرة .

عبيد بن محمد بن خلف أبو محمد البزار أحد الفقهاء من أصحاب أبي ثور ، وكان عنده قه أبي ثور ، وكان من الثقات النبلاء . نصر بن أحمد بن عبد العزيز أبو محمد الكندي الحافظ المعروف بنصره ، كان أحد حفاظ الحديث المشهورين ، وكان الأمير خالد بن أحمد القهلي نائب بخارى قد ضمه إليه وضمنف له المسند . توفي ببخارى في هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائتين ﴾

في الحرم من هذه السنة اعترض ذكرويه في أصحابه إلى الحجاج من أهل خراسان وهم قائلون من مكة قتلهم عن آخرهم وأخذ أموالهم وسبي نساءهم فكان قيمة ما أخذ منهم ألفي ألف دينار ، وعدة من قتل عشرين ألف إنسان ، وكانت نساء القرامطة يطفن بين القتل من الحجاج وفي أيديهم الآنية من الماء يزعم أنهن يسقين الجريح العطشان ، فمن كلهن من الجرحى قتلته وأجهز عليهن ، لعنهن الله ولعن أزواجهن .

﴿ ذكر مقتل ذكرويه لعنه الله ﴾

لما بلغ الخليفة خبر الحبيص وما أوقع بهم الخليفة جهز إليه جيشاً كثيراً فالتقوا معه فاقبلوا قتالاً شديداً جداً ، قتل من القرامطة خلق كثير ولم يبق منهم إلا القليل ، وذلك في أول ربيع الأول منها . وضرب رجل ذكرويه بالسيف في رأسه فوصلت الضربة إلى دماغه ، وأخذ أسيراً فقلت يمد خمسة أيام ، فشقوا بطنه وصبروه وحملوه في جماعة من رؤس أصحابه إلى بغداد ، واحتوى عسكر الخليفة على ما كان بأيدي القرامطة من الأموال والحواصل ، وأمر الخليفة بقتل أصحاب القرامطة ، وأن يطاف برأسه في سائر بلاد خراسان ، لئلا يمتنع الناس عن الحج . وأطلق من كان بأيدي القرامطة من النساء والصبيان الذين أسروهم .

وفيها غزا أحمد بن كنفلك نائب دمشق بلاد الروم من ناحية طرسوس قتل منهم نحواً من أربعة

آلاف وأمر من ذراريهم نحواً من خمسين ألفاً ، وأسلم بعض البطارقة وصحبته نحو من مائتي أسير
 كانوا في حبسه من المسلمين ، فأرسل ملك الروم جيشاً في طلب ذلك البطريق ، فركب في جماعة من
 المسلمين فكبس جيش الروم قتل منهم مقتلة عظيمة وغنم منهم غنيمة كثيرة جداً ، ولما قدم على
 الخليفة أكرمه وأحسن إليه وأعطاه ما تمنه عليه . وفيها ظهر بالشام رجل فادعى أنه السفينائي فأخذ
 وبث به إلى بغداد فادعى أنه موسوس فترك . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي .

وفيها توفي من الأعيان الحسين بن محمد بن حاتم بن يزيد بن علي بن مروان أبو علي المروفي
 ببغداد الحنظلي ، كان حافظاً مكثراً متقناً مقدماً في حفظ المسندات ، توفي في صفر منها .

صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب أبو علي الأمدى - أسد خزعة - المروفي بحرزة لأنه قرأ
 على بعض المشايخ كانت له خرزة يقرأ بها المريض قراها هو خرزة تصحيفاً منه فلقب عليه ذلك
 فلقب به ، وقد كان حافظاً مكثراً جوالاً رحالاً ، طاف الشام ومصر وخراسان ، وسكن بغداد ثم انتقل
 منها إلى بخارى فسكنها ، وكان ثقة صدوقاً أميناً ، وله رواية كثيرة عن يحيى بن معين ، وسؤالات
 كثيرة كان مولده بالقرعة سنة عشر ومائتين .

وتوفي في هذه السنة محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس المروفي
 بالبياض لأنه حضر مجلس الخليفة وعليه ثياب البياض ، فقال الخليفة : من ذاكَ البياض ؟ فعرف
 به . وكان ثقة ، روى عن ابن الأنباري وابن مقسم . قتله القرامطة في هذه السنة .

محمد بن الإمام إسحاق بن راهويه ، جمع أباه وأحمد بن حنبل وغيرهما ، وكان عالماً بالفتنة
 والحديث ، جميل الطريقة حميد السيرة قتله القرامطة في هذه السنة في جملة من قتلوا من الحليج .

(محمد بن نصر أبو عبد الله المروزي أحد أئمة الفقهاء)

ولد ببغداد ونشأ ببلخسابور واستوطن سمرقند ، وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة والتابعين
 فمن بينهم من أئمة الاسلام ، وكان عالماً بالأحكام ، وقد رحل إلى الآفاق وسمع من المشايخ الكثير
 النافع وصنف الكتب المفيدة الحافلة النافعة ، وكان من أحسن الناس صلاة وأكثرهم خشوعاً فيها ، وقد
 صنف كتاباً عظيماً في الصلاة . وقد روى الخطيب عنه أنه قال : خرجت من مصر فاصداً مكة فركبت
 البحر ومعي جارية ففرقت السفينة فذهب لي في الماء ألفنا جزء وسلمت أنا والجارية فلجأنا إلى جزيرة
 فطلبنا بها ماء فلم نجد ، فوضعت رأسي على نخل الجارية ويئست من الحياة ، فبينما أنا كذلك إذا رجل
 قد أقبل وفي يده كوز فقال : هاه ، فأخذته فشربت منه وسقيت الجارية ثم ذهب فلم أدر من أين
 أقبل ولا إلى أين ذهب . ثم إن الله سبحانه أغاثنا فتجأنا من ذلك النهم . وقد كان من أكرم الناس
 وأسخامهم فئسا . وكان إسماعيل بن أحمد يوصله في كل سنة بأربعة آلاف ، ويوصله أخوه إسحاق بن

أحد بأربعة آلاف ، ويصله أهل ممرقند بأربعة آلاف فينفق ذلك كله ، قيل له : لو ادخرت شيئاً
لنائبه ، قال : سبحان الله أنا كنت بمصر أفتق فيها في كل سنة عشرين درهماً فأريت إذا لم يحصل
لي شيء من هذا المال لا يتبها لي في السنة عشرون درهماً . وكان محمد بن نصر المروزي إذا دخل
على إسماعيل بن أحمد الساماني ينهض له ويكرمه ، فعاتبه يوماً أخوه إسحاق ، فقال له : تقوم لرجل
في مجلس حكك وأنت ملك خراسان ؟ قال إسماعيل : فبت تلك الليلة وأنا مشئت القلب من قول
أخي - وكأنا هم ملك خراسان وما وراء النهر - قال : فأريت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول :
« يا إسماعيل ثبت ملكك وملك بنيك بتعطيلك محمد بن نصر ، وذهب ملك أخيك باستخفافه بمحمد
ابن نصر » . وقد اجتمع بالدير المصرية محمد بن نصر . ومحمد بن جرير الطبري . ومحمد بن المنذر ،
فجلسوا في بيت يكتبون الحديث ولم يكن عندهم في ذلك اليوم شيء يقتاتونه ، فالتفتوا فيما بينهم أيهم
يخرج يسعى لهم في شيء يأكلونه ، فوقعت القرعة على محمد بن نصر هذا فقام إلى الصلاة فجعل يصل
ويبدو الله عز وجل ، وذلك وقت القتالة ، فرأى نائب مصر - وهو طولون وقيل أحمد بن طولون - في
منامه في ذلك الوقت رسول الله ﷺ وهو يقول له : « أدرك المحدثين فانهم ليس عندهم ما يقتاتونه » .
فالتفت من ساعته فسأل : من هاهنا من المحدثين ؟ فذكر له هؤلاء الثلاثة ، فأرسل إليهم في الساعة
الراثة بألف دينار ، فدخل الرسول بها عليهم وأزال الله ضررهم ويسر أمرهم . واشترى طولون تلك
الدار وبناها مسجداً وجعلها على أهل الحديث وأوقف عليها أوقافاً جزيلة .

وقد بلغ محمد بن نصر سنّاً طالية وكان يسأل الله ولداً فأثابه يوماً بإنسان فبشّره بولد ذكر ، فرفع
يديه حمد الله وأثنى عليه وقال : الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل ، فاستفاد الحاضرون
من ذلك عدة فوائد : منها أنه قد ولد له على الكبر ولد ذكر بعد ما كان يسأل الله عز وجل ، ومنها أنه
مضى يوم مولده كما مضى رسول الله ﷺ وله إبراهيم يوم مولده قبل السابع ، ومنها اقتداءؤه بالخليل
أول ولد له بإسماعيل .

موسى بن هارون بن عبد الله أبو حمران المعروف بالله بالجمال ، ولد سنة أربع عشرة ومائتين
وسمع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما ، وكان إمام عصره في حفظ الحديث ومعرفة الرجال ،
وكان ثقة متقناً شديد الورع عظيم الهيبة ، قال عبد النبي بن سعيد الحافظ المصري : كان أحسن
الناس كلاماً على الحديث ، أثنى عليه على بن المدين ثم موسى بن هارون ثم الدارقطني .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين ﴾

فيها كانت المفاداة بين المسلمين والروم ، وكان من جملة من استنقذ من أيدي الروم من نساء
ورجال نحواً من ثلاثة آلاف نسمة ، وفي المنتصف من صفر منها كانت وفاة إسماعيل بن أحمد

الساماني أمير خراسان وما وراء النهر ، وقد كان عاقلاً عادلاً حسن السيرة في رعيته حليماً كريماً ، وهو الذي كان يحسن إلى محمد بن نصر المروزي ويعظمه ويكرمه ويحترمه ويقوم له في مجلس ملكه ، فلما مات تولى بعده ولده أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني وبث إليه الخليفة تشريفة . وقد ذكر الناس يوماً عند إسماعيل بن أحمد هذا الفخر بالأنسب فقال : إنما الفخر بالأعمال وينبغي أن يكون الإنسان عصامياً لا عظامياً - أي ينبغي أن يقتخر بنفسه لا بنسبه وبلده وجده - كما قال بعضهم :
ويجدي سموت لا يجودي * وقال آخر :

حسي نغارا وشيتي أدبي * ولست من هاشم ولا العرب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا * وليس الفتى من يقول كان أبي
وفي ذى القعدة منها كانت . * وفاة الخليفة المكتفي بالله

(أبو محمد بن المتضد وهذه ترجمته وذكر وفاته)

وهو أمير المؤمنين المكتفي بالله بن المتضد بن الأمير أبي أحمد الموفق بن المتوكل على الله ، وقد ذكرنا أنه ليس من الخلفاء من اسمه على سواء بعد علي بن أبي طالب ، وليس من الخلفاء من يكنى بأبي محمد سوى الحسن بن علي بن أبي طالب وهو ، وكان مولده في رجب سنة أربع وستين ومائتين ، وبيع له بالخلافة بعد أبيه وفي حياته يوم الجمعة لاحتى عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر سنة تسع ومائتين ومائتين ، وعمره نحواً من خمس وعشرين سنة ، وكان رعية من الرجال جيلاً رقيق الوجه حسن الشعر ، وافر الحمية حريضاً . ولما مات أبوه المتضد وولى هو الخلافة دخل عليه بعض الشعراء فأنشد :

أجل الرزايا أن يموت إمام * وأسنى المطايا أن يقوم إمام
فأسقى الذي مات النمام وجوده * ودامت نحيبات له وسلام
وأبقى الذي ظم الآله وزاده * مواهب لا يفتى لمن دوام
ونمت له الآمال وانصلت بها * فوائد موصول بين تمام
هو المكتفي بالله يكفيه كلام * عنه بركن منه ليس يرام

فأمر له بجائزة سلية [وقد كان يقول الشعر ، فن ذلك قوله :

من لي بأن أعلم ما ألقى * فتعرف منى الصباية والشقا
ما زال لي عبداً وحيي له * صيرني عبداً له وقا
المتق من شأني ولكنتي * من حبه لا أملك المتقا ^(١)

وكان نقش خاتمه : على المتوكل على ربه . وكان له من الولد محمد وجعفر وعبد الصمد وموسى وعبد الله وهارون والفضل وعيسى والعباس وعبد الملك . وفي أيامه فتحت انطاكية وكان فيها من أسارى المسلمين بشر كثير وجم غفير ، ولما حضرته الوفاة سأل عن أخيه أبي الفضل جعفر بن المتضدد وقد صح عنده أنه بالغ ، فأحضره في يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة منها وأحضر القضاة وأشهدهم على نفسه بأنه قد فوض أمر الخلافة إليه من بعده ، ولقيه بالقتندرباقه . وتوفي بعد ثلاثة أيام وقيل في آخر يوم السبت بعد المغرب ، وقيل بين الظهر والمصر ، لانفق عشرة ليلة خلت من ذى القعدة ، ودفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، عن ثنتين وقيل ثلاث وثلاثين سنة ، وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً . وأوصى بصدقة من خالص ماله مائة ألف دينار ، وكان قد جمعها وهو صغير ، وكان مرضه يدها الخنازير رحمه الله .

(خلافة المقتدر بالله أمير المؤمنين أبي الفضل جعفر بن المتضدد)

جددت له البيعة بعد موت أخيه وقت السحر لأربع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة من هذه السنة . أهنى سنة خمس وتسعين ومائتين . وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وإحدى وعشرون يوماً ، ولم يل الخلافة أحد قبله أصغر منه ، ولما جلس في منصب الخلافة صلى أربع ركعات ثم سلم ورفع صوته بالثناء والاستخارة ، ثم بايعه الناس بيعة العامة ، وكتب اسمه على الرقوم وغيرها : المقتدر بالله ، وكان في بيت مال الخاصة خمسة عشر ألف ألف دينار ، وفي بيت مال العامة مائة ألف دينار وبنف ، وكانت الجواهر الثمينة في الخواص من لادن بنى أمية وأيام بني العباس ، قد تنامي جمعها ، فما زال يفرقها في حظاياه وأصحابه حتى أفندها ، وهذا حال الصبيان وسفهاء الولاء ، وقد استوزر جماعة من الكتاب يكثر تعدادهم ، منهم أبو الحسن علي بن محمد بن القرات ، ولاء ثم عزله بغيره ، ثم أعاده ثم عزله ثم قتله ، وقد استنقى ذكرهم ابن الجوزي . وكان له من الخدم والحشمة التامة والحجاب شئ كثير جدا ، وكان كريما وفيه عبادة مع هذا كله كثير الصلاة كثير الصيام تطوعا ، وفي يوم عرفة في أول ولايته فرق من الأغنام والأبقار ثلاثين ألف رأس ، ومن الابل ألفي بعير ، ورد الرسوم والأرزاق والكلف إلى ما كانت عليه في زمن الأوائل من بني العباس ، وأطلق أهل الحبوس الذين يجوز إطلاقهم ، فوكل أمر ذلك إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف ، وكان قد بنيت له أبنية في الرحبة صرف عليها في كل شهر ألف دينار ، فأمر بهنما ليوسع على المسلمين الطرقات ، وسيأتي ذكر شئ من أيامه في ترجمته .

(أبو إسحاق المزكى)

وفيهما توفي من الأعيان

إبراهيم بن محمد بن يحيى بن صخويه بن عبد الله أبو إسحاق المزكى الحافظ الزاهد ، إمام أهل

عصره بنيسابور، في معرفة الحديث والرجال والعمال، وقد جمع خلقاً من المشايخ الكبار ودخل على الامام أحمد وذاكره، وكان مجلسه مهيباً، ويقال إنه كان يحجب الدعوة، وكان لا يملك إلا إداره التي يسكنها وحاقوا يستغله كل شهر سبعة عشر درهما ينفقها على نفسه وعباله، وكان لا يقبل من أحد شيئاً، وكان يطبخ له الجزر بالخل فيأتهم به طول الشتاء، وقد قال أبو علي الحسين بن علي الحافظ: لم تر عيناى مثله.

﴿ أبو الحسين النورى أحد أئمة الصوفية ﴾

اسمه أحمد بن محمد، ويقال محمد بن محمد والأول أصح ويعرف بابن البغوى، أصله من خراسان وحدث عن مرمى السقطي ثم صار هو من أكابر أئمة القوم، قال أبو أحمد الخازنى: ما رأيت أحداً قط أعبد من أبي الحسين النورى، قيل له: ولا الجنيدي؟ قال: ولا الجنيدي ولا غيره. وقال غيره: صام عشرين سنة لا يعلم به أحد لا من أهله ولا من غيره. وتوفى في مسجد وهو مقنع فلم يعلم به أحد إلا بعد أربعة أيام.

﴿ إسماعيل بن أحمد بن سامان ﴾

أحد ملوك خراسان وهو الذي قتل عمرو بن الليث الصفار الخارجي، وكتب بذلك إلى المعتضد فولاه خراسان ثم ولاء المكتفي الرى وما وراء النهر وبلاد الترك، وقد غزا بلادهم وأوقع بهم بأساً شديداً، وبني الربط في الطرقات يسع الرباط منها ألف فارس، وأوقف عليهم أوقافاً جزيلة، وقد أهدى إليه طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث هدايا جزيلة منها ثلاث عشرة جوهرية زنة كل جوهرية منها ما بين السبع مثاقيل إلى العشرة، وبعضها أحمر وبعضها أزرق قيمتها مائة ألف دينار، فبعث بها إلى الخليفة المعتضد وشفع في طاهر فشفعه فيه. وللمات إسماعيل بن أحمد وبلغ المكتفي موته بمثل بقول أبي نواس:

لن يخلف الدهر مثلهم أبداً * هبّلت هبّلات شأنه عجب

﴿ المرمى الحافظ ﴾

صاحب عمل اليوم والليلة وهو الحسن بن علي بن شبيب أبو علي المرمى الحافظ، رحل وسمع من الشيوخ وأدرك خلقاً منهم على بن المديني ويحيى بن معين، وعنه ابن صاعد والنجاد والجلدي، وكان من محوّر العلم وحفاظ الحديث، صدوقاً أميناً، وقد كان يشبك أسنانه باللذهب من الكبر، لأنه جاوز [الثمانين، وكان يكنى أُولاً بأبي القاسم، ثم بأبي علي، وقد ولى القضاء للبرقي على القصر وأعماله] (١) وإنما قيل له المرمى بأمه أم الحسن بنت أبي صفيان صاحب معمر بن راشد. وقد صنّف المرمى كتاباً جيداً في عمل يوم وليلة، واسمه الحسن بن علي بن شبيب أبو علي المرمى، توفي ليلة الجمعة لأحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم.

عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب واسم أبي شعيب. عبد الله بن مسلم أبو شعيب
الأموي الحراني المؤدب المحدث ابن المحدث. ولد سنة ست وثمانين ومائتين ، سمع أباه وجده
وعفان بن مسلم وأباخيشة ، كان صدوقاً ثقة مأموناً . توفي في ذي الحجة منها
على بن أحمد المسكني بالله تميم ذكره . أبو جعفر الترمذي محمد بن محمد بن نصر أبو جعفر الترمذي
القتيبة الشافعي ، كان من أهل العلم والتهجد ، ووجه القارطقي ، كان مأموناً ناسكاً ، وقال القاضي أحمد
ابن كامل : لم يكن لأصحاب الشافعي بالعراق رأس منه ، ولا أروع : كان متقلداً في المطعم على حالة
مظلمة قرأ وورعاً وصبراً ، وكان ينفق في كل شهر أربعة دراهم ، وكان لا يسأل أحداً شيئاً ، وكان
قد اختلط في آخر عمره . توفي المحرم منها .

(ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين)

في ربيع الأول منها اجتمع جماعة من القواد والجند والأمراء على خلع المعتذر وتولية عبد الله
ابن المتز الخلافة ، فأجابهم على أنه لا يسفك بسببه دم ، وكان المعتذر قد خرج يلعب بالصولجان
فقصده إليه الحسن بن حمدان يريد أن يفتك به ، فلما سمع المعتذر الصيحة يادر إلى دار الخلافة فأعلقها
دون الجيش ، واجتمع الأمراء والأعيان والقضاة في دار الحرمي فبايعوا عبد الله بن المتز وخطب
بالخلافة ، ولقب بالمرقي بالله . وقال الصولي : إنما لقبوه المنتصف بالله ، واستوزر أبا عبيد الله محمد بن
داود وبث إلى المعتذر يأمره بالتحول من دار الخلافة إلى دار ابن طاهر لينقل إليها ، فأجابه بالسمع
والطاعة ، فركب الحسن بن حمدان من القند إلى دار الخلافة ليقلعها فقاتله أعظم ومن فيها ، ولم يسلوها
إليه ، وهزموه فلم يقدر على تخليص أهله وماله إلا بالجهد . ثم ارتحل من فوره إلى الموصل وفرق
نظام ابن المتز وجماعته ، فأراد ابن المتز أن يتحول إلى سامرا لينزلها فلم يبقه أحد من الأمراء ،
فدخل دار ابن الجصاص فاستجار به فأجاره ، ووقع الذهب في البلد واختبئ الناس وبث المعتذر إلى
أصحاب ابن المتز قبض عليهم وقتل أكثرهم وأعاد ابن الفرات إلى الوزارة لجند البنية إلى المعتذر
وأرسل إلى دار ابن الجصاص فقلعها وأحضر ابن المتز وابن الجصاص فصادر ابن الجصاص بمال
جزيل جداً ، نحو ستة عشر ألف ألف درهم ، ثم أطلقه واعتقل ابن المتز ، فلما دخل في ربيع الآخر
ليلتان ظهر للناس موته وأخرجت جثته فسلت إلى أهل دفن ، وصنع المعتذر عن يقية من سعى في
هذه الفتنة حتى لا تفسد نيات الناس .

قال ابن الجوزي : ولا يعرف خليفة خلع ثم أعيد إلا الأمين والمعتذر . وفي يوم السبت لأربع
بقي من ربيع الأول سقط ببغداد تلج عظيم حتى اجتمع على الأسطحة منه نحو من أربعة أسابيع
وهذا غريب في بغداد جداً ، ولم يخرج السنة حتى خرج الناس يستسقون لأجل تأخر المطر عن إياه .

وفي شبان منها خلع على يونس الخادم وأمر بالمسير إلى طرسوس لأجل غزو الروم . وفيها أمر المقتدر بأن لا يستخدم أحد من اليهود والنصارى في الدواوين ، وألزموا بلزومهم بيوتهم ، وأن يلبسوا الساحى ويضمو بين أكتافهم رقاعاً ليعرفوا بها ، وألزموا بالقل حيث كانوا . وجمع بالناس فيها الفضل ابن عبد الملك الهاشمي ، ورجع كثير من الناس من قلة الماء بالطريق وفيها توفي من الأعيان أحمد بن محمد بن زكريا بن أبي عتاب أبو بكر البغدادي الحافظ ، ويعرف بأخي ميمون . روى عن نصر بن علي الجهضمي وغيره ، وروى عنه الطبراني ، وكان يمتنع من أن يحدث وإنما يسمع منه في المذاكرة . توفي في شوال منها .

﴿ أبو بكر الأثرم ﴾

أحمد بن محمد بن هاني الطائي الأثرم تلميذ الامام احمد ، مع عفا وأبا الوليد والتمني وأبا نعيم وخلقا كثيرا ، وكان حافظا صادقا قوي الذاكرة ، كان ابن ميمون يقول عنه : كان أحد أبويه جنيا لسرعة فهمه وحفظه ، وله كتب مصنفة في الملل والناسخ والمنسوخ ، وكان من بحور العلم

﴿ خلف بن عمرو بن عبد الرحمن بن عيسى ﴾

أبو محمد العكبري ، مع الحديث وكان ظريفاً وكان له ثلاثون خاتماً وثلاثون عكازاً ، يلبس في كل يوم من الشهر خاتماً يأخذ في يده عكازاً ، ثم يستأنف ذلك في الشهر الثاني ، وكان له سوط معلق في منزله ، فإذا سئل عن ذلك قال : ليرهب العيال منه

﴿ ابن المعتز الشاعر الذي يبيع بالطلافة ﴾

عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل على الله جعفر بن المتعمم بالله محمد بن الرشيد يكنى أبو المباس الهاشمي العباسي ، كان شاعراً مطبقاً فصيحاً بليغاً مطبقاً ، وقرئ في قاعة الناس في الخليل ودفع الشر . وقد جمع المبرد وتلميذاً ، وقد روى عنه من الحكم والآداب شيء كثير ، فمن ذلك قوله : أفئاس الحى خطايا . أهل الدنيا ركب يساربهم وهم نيام ، ربما أورد الطبع ولم يصدر ، ربما شرب الماء قبل ربه ، من تجاوز الكفاف لم يقنه الاكثار ، كلما عظم قدر المتناقص فيه عظمت الفجعة به ، من ارتحله الحرص أضناه الطلب . وروى انضاه الطلب أى أضغته ، والأول معناه أمرضه . الحرص قصص من قدر الانسان ولا يزيد في حظه شيئاً ، أشقى الناس أقربهم من السلطان ، بما أن أقرب الأشياء إلى النار أقربها حريقاً . من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة ، يكفئك من الحاسد أنه يقيم وقت سرورك . الفرصة سريرة الفوت ببيعة العود ، الأسرار إذا كثرت خزائنها ازدادت ضياعاً ، المنزل نصحتك من قية الولاية . الجرح ألعب من الصبر ، لانتن وجه الحق بالتقرير ، تركه الميت عز للورثة وذل له . إلى غير ذلك من كلامه وحكمه . ومن شعره مما يناسب المعنى قوله : -

بادر إلى مالك ورثته • ما المرء في الدنيا بلباث
 كم جامع يخفق أكياسه • قد صار في ميزان ميراث
 ياذا النفي والسلطة القاهرة • والدولة الناهية الآمرة
 ويا شياطين بني آدم • ويا عبيد الشهوة الفاجرة
 انتظروا الدين لو قد أدبرت • وعن قليل تلذ الآخرة
 ابك يا فئس وهاني • توبة قبل المات
 قبل أن ينجنا الله • ر بين وشتات
 لا تخونيني إذا مت • وطمت في نعتي
 إنما الوفي بمهدي • من وفي بعد وفاي

وله أيضاً

وله أيضاً

قال الصولي : نظر ابن المعتز في حياة أبيه الخليفة إلى جارية فأعجبته ففرض من حبها ، فدخل
 أبوه عليه مائداً فقال له : كيف تجدك ؟ فأنشأ يقول :

أيها الماذنون لا تمنلوني • وانظروا حسن وجهها تمنلوني
 وانظروا هل ترون أحسن منها • إن رأيتم شبيهاً فاعملوني

قال : فخص الخليفة عن القصة واستلم خبر الجارية ثم بعث إلى سيدها فاشتراها منه بسبعة
 آلاف دينار ، وبعث بها إلى ولده . وقد تقدم أن في ربيع الأول من هذه السنة اجتمع الأمراء
 والقضاة على خلع المعتذر وتولية عبد الله بن المعتز هذا ولقب بالمرتضى والمنتمص بالله ، فساكت
 بالخلافة إلا يوماً أو بعض يوم ، ثم انتصر المعتذر وقتل غالب من خرج عليه واعتقل ابن المعتز عنده
 في الدار وكل به يونس الخادم فقتل في أوائل ربيع الآخر ليلتين خلنا منه ، ويقال إنه أنشد في
 آخر يوم من حياته وهو معتل :

يا نفس صبراً لعل تلخير عقبك • خانتك من بدمطول الأمن دنياك
 مرت بنا سحراً طير قلت لها • طوباك ياليتي إياك طوباك
 إن كان قصيدك شرّاً فالسلام على • شاطي الصراة ابلي إن كان مسراك
 من موقق بالنايا لا فكلك له • يبيك الدعاء على ألف له يا كي
 قرب آمنة جاءت منيها • ورب مفلتة من بين أشراك
 أظنه آخر الأيام من عرى • وأوشك اليوم أن يبكي لي الباكي
 ولما قدم ليقتل أنشأ يقول :

قل للشامتين بنا روينا • أملك المصائب والخطوب

هو الدهر لا بد من أن • يكون إليكم منه ذئب
ثم كان ظهور قتله ليلتين من ربيع الآخر منها . وقد ذكر له ابن خلكان مصنفات كثيرة ،
منها طبقات الشعراء وكتاب أشعار الملوك ، وكتاب الآداب وكتاب البديع ، وكتاب في الغناء
وغير ذلك . وذكر أن طائفة من الأمراء خلصوا المعتذر وبأيومو بالخلافة يوماً وليلة ، ثم تمزق شمله
واختفى في بيت ابن الجصاص الجوهري ثم ظهر عليه قتل وصود ابن الجصاص بألف دينار ، وبقي
معه مائة ألف دينار .

وكان ابن المعتز أعمى اللون مدور الوجه يخضب بالسواد ، عاش خمسين سنة ، وذكر شيئا من
كلامه وأشعاره رحمه الله .

(محمد بن الحسين بن حبيب) أبو حصين الواحشي القاضي ، صاحب المسند ، من أهالي الكوفة ،
قدم بغداد وحدث بها عن أحمد بن يونس البربري ويحيى بن عبد الحميد ، وجندل بن والق ، وعنه
ابن صاعد والنجاد والحاملي ، قال النارقطي : كان ثقة ، توفي بالكوفة . محمد بن داود بن الجراح أبو
عبد الله الكاتب عم الوزير علي بن عيسى ، كان من أعلم الناس بالأخبار وأيام الخلفاء ، له مصنفات
في ذلك روى عن عمر بن شبة وغيره ، كانت وفاته في ربيع الأول منها عن ثلاث وخمسين سنة .

(ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائتين)

فيها غزا القاسم بن سبأ الصائفة ، وفادي يونس الخادم الأسارى الذين بأيدي الروم ، وحكى
ابن الجوزي عن ثابت بن منان أنه رأى في أيام المعتذر ببغداد امرأة بلا ذراعين ولا عضدين ،
وإنما كفاتها ملصقان بكتفها ، لا تستطيع أن تعمل بهما شيئا ، وإنما كانت تعمل برجلها ما تعمله
النساء بأيديهن : الغزل والقتل ومشط الرأس وغير ذلك . وفيها تأخرت الأمطار عن بغداد وارتفعت
الأسعار بها ، وحدثت الأخبار بأن مكة جاءها سيل عظيم غرق أركان البيت ، وفاضت زمزم ، ولم
ير ذلك قبل هذه السنة . وحج بالناس الفضل الهاشمي .

وفيها توفي من الأعيان (محمد بن داود بن علي)

أبو بكر الفقيه ابن الفقيه الظاهرى ، كان علما بارعا أدبيا شاعرا فقيها ماهرا ، له كتاب الزهرة
اشتغل على أبيه وتبعه في منعه ومسلكه وما اختاره من الطرائق وارتضاه ، وكان أبوه يحبه ويقربه
ويدنيه . قال روم بن محمد : كنا يوماً عند داود إذ جاء ابنه هذا باكيا فقال : مالك ؟ فقال : إن الصبيان
يلقبوني عصفور الشوك . فضحك أبوه فاشتد غضب الصبي وقال لأبيه : أنت أضر على منهم ،
فضمه أبوه إليه وقال : لا إله إلا الله ، ما الأتصاب إلا من السماء ما أنت يا بني إلا عصفور الشوك .
ولما توفي أبوه أجلس في مكانه في الحلقة فاستنصره الناس عن ذلك ، فسأله سائل يوماً عن حد السكر

قيل : إذا غربت عنه الفهوم وراح سره المكنوم . فاستحسن الحاضرون منه ذلك وعظم في أعين الناس . قال ابن الجوزي في المنتظم : وقد ابتلى بحب صبي اسمه محمد بن جامع ويقال محمد بن زحرف فاستعمل العفاف والدين في حبه ، ولم يزل ذلك دأبه فيه حتى كان سبب وفاته في ذلك . قلت : فدخل في الحديث المروى عن ابن عباس موقوفاً عليه ومرفوعاً عنه : « من عشق فكتم ففات مات شهيداً » . وقد قيل عنه إنه كان يبيع المشق بشرط العفاف . وحكى هو عن نفسه أنه لم يزل يتشقق منذ كان في الكتاب وأنه صنف كتاب الزهرة في ذلك من صفه ، وردما وقف أبوه داود على بعض ذلك ، وكا يتناظر هو وأبو العباس بن شريح كثيراً بحضرة القاضي أبي عمر محمد بن يوسف فيسبب الناس من مناظرتيها وحسنها ، وقد قال له ابن شريح يوماً في مناظرته : أنت بكتاب الزهرة أشهر منك بهذا . فقال له : تمرني بكتاب الزهرة وأنت لا تحسن تشتم قراءته ، وهو كتاب جمعناه هزلاً فاجمع أنت مثله جيداً . وقال القاضي أبو عمر : كنت يوماً أنا وأبو بكر بن داود راكبين فاذا جارية تفتي بشئ من شعره : أشكو إليك فؤاداً أنت متلفه • شكوى عليل إلى لاف يله

سقى تزيد على الأليم كثرته • وأنت في عظم ما ألقى ثقله

أله حرم قتلى في الهوى أسفاً • وأنت يا فتى ظلماً فمعه

قال أبو بكر : كيف السبيل إلى استرجاع هذا ؟ قلت : هيات ساربه الركب . كانت وفاة محمد بن داود رحمه الله في رمضان من هذه السنة ، وجلس ابن شريح لمزاه وقال : ما أثنى إلا على التراب الذي أكل لسان محمد بن داود رحمه الله .

(محمد بن عثمان بن أبي شيبة)

أبو جعفر ، حدث عن يحيى بن معين وعلي بن المديني وخلق ، وعنه ابن صاعد والخلدي والباغندي وغيرهم ، وله كتاب في التاريخ وغيره من المصنفات ، وقد وثقه صالح بن محمد جزرة وغيره ، وكذبه عبد الله بن الإمام أحمد وقال : هو كذاب بين الأمر ، ولعجب ممن يروى عنه . توفي في ربيع الأول منها .

محمد بن طاهر بن عبد الله بن الحسن بن مصعب من بيت الامارة والحشمة ، بشر نيابة العراق مدة ثم خراسان ثم غفر به يعقوب بن الليث في سنة ثمان وخمسين فأمره وبقى معه يطوف به الا فاق أربع سنين ، ثم فصل منه في بعض الوقفات ونجا بنفسه ، ولم يزل مقبلاً يبتعد إلى أن توفي في هذه السنة .

(موسى بن إصحاق)

ابن موسى بن عبد الله أبو بكر الأنصاري أنطلي ، مولده سنة عشر ومائتين ، سمع أباه وأحمد ابن حنبل وعلي بن الجعد وغيرهم ، وحدث عنه الناس وهو شاب وقرأوا عليه القرآن ، وكان يتجمل

منهـب الشافعى ، وولى قضاء الأهواز ، وكان ثقة فاضلاً عفيفاً فصيحاً كثير الحديث . توفى فى الحرم منها . ﴿ يوسف بن يعقوب ﴾

ابن إسماعيل بن حماد بن زيد والد القاضى أبى عمر ، وهو الذى قتل الخلاج ، كان يوسف هذا من أكابر العلماء وأعيانهم ، ولد سنة ثمان ومائتين ، وسمع سليمان بن حرب وعمر بن مرزوق وهديبة ومسدداً ، وكان ثقة ، ولى قضاء البصرة وواسط والجانب الشرقى من بغداد ، وكان عفيفاً شديد الحرمة نزهاً ، جاءه يوماً بمضى خدم الخليفة المتضدد فترفع فى المجلس على خصمه فأمره حاجب القاضى أن يساوى خصمه فامتنع لإدلالا يجاهاه عند الخليفة ، فزبره القاضى وقال : اثبتوى بدلال النفس حتى أبيع هذا العبد وأبعث بمنه إلى الخليفة ، وجاء حاجب القاضى فأخذه بيده وأجلسه مع خصمه ، فلما انقضت الحكومة رجع الخادم إلى المتضدد فبكى بين يديه فقال له : مالك ؟ فأخبره بالخبر ، وما أراد القاضى من يمينه ، فقال : والله لو باعك لأجزت يمينه ولما استرجعتك أبداً ، فليس خصوصيتك عندى تزيل مرتبة الشرع فانه عمود السلطان وقوام الأديان ، كانت وفاته فى رمضان منها . ﴿ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين ﴾

فيها قدم القاسم بن سينا من بلاد الروم فدخل بغداد ومعه الأسارى والمالوج بأيديهم أعلام عليها صليان من الذهب ، وخلق من الأسارى . وفيها قدمت هدايا ثائب خراسان أحمد بن إسماعيل ابن أحمد الساماني ، من ذلك مائة وعشرون غلاماً يحرابهم وأسلحتهم وما يحتاجون إليه ، وخسرون باراً وخسرون جملاً تحمل من مرتفع الثياب ، وخسرون رطلا من مسك وغير ذلك . وفيها فليج القاضى عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب ، قتله مكانه على الجانب الشرقى والكرخ ابنه محمد . وفيها فى شعبان أخذ رجلان يقال لأحدهما : أبو كبيرة والآخر يعرف بالسمرى . فذكروا أنها من أصحاب رجل يقال له محمد بن بشر ، وأنه يدعى الربوبية . وفيها وردت الأخبار بأن الروم قصصدت اللاذقية . وفيها وردت الأخبار بأن ربحاً صفراء هبت بمدينة الموصل فمات من حرها بشر كثير . وفيها حج بالناس الفضل الهاشمى . وفيها توفى من الأعيان .

﴿ ابن الراوندى ﴾

أحد مشاهير الزنادقة ، كان أبوه يهودياً فأظهر الاسلام ، ويقال إنه حرق التوراة كما عادى ابنه القرآن بالقرآن وألحد فيه ، وصنف كتاباً فى الرد على القرآن سماه القامع . وكتاباً فى الرد على الشريعة والاعتراض عليها سماه الزمردة . وكتاباً يقال له التساج فى معنى ذلك ، وله كتاب الفريد وكتاب إمامة المفضول الفاضل . وقد انتصب فرد على كتبه هذه جماعة منهم الشيخ أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائى شيخ المعتزلة فى زمانه ، وقد أجاد فى ذلك . وكذلك ولده أبو هاشم عبد السلام

ابن أبي علي ، قال الشيخ أبو علي : قرأت كتاب هذا الملعن الجاهل السفیه ابن الراوندی فلم أجد فيه إلا السفه والكذب والافتراء ، قال : وقد وضع كتابا في قدم العالم وفي الصانع وتصحيح منهب الدهرية والرد على أهل التوحيد ، ووضع كتابا في الرد على محمد رسول الله ﷺ في سبعة عشر موضعا ، ونسبه إلى الكنب - يعني النبی ﷺ - وطعن على القرآن ، ووضع كتابا لليهود والنصارى وفضل دينهم على المسلمين والاسلام ، يحتاج لهم فيها على إبطال نبوة محمد ﷺ ، إلى غير ذلك من الكتب التي تبين خروجه عن الاسلام . نقل ذلك ابن الجوزي عنه . وقد أورد ابن الجوزي في منتزله طرفا من كلامه وزندقته وطعنه على الآيات والشریعة . ورد عليه في ذلك ، وهو أقل وأخس وأذل من أن يلتفت إليه وإلى جهله وكلامه وهنيائه وسفهه وتوجيهه . وقد أسند إليه حكايات من المسخرة والاستهزاء والكفر والكبر ، منها ما هو صحيح عنه ومنها ما هو مقتول عليه ممن هو مثله ، وعلى طريقه ومسلكه في الكفر والتسترفي المسخرة ، يخرجونها في قوالب مسخرة وقلوبهم مشحونة بالكفر والزندقه ، وهذا كثير موجود فيمن يدعي الاسلام وهو منافق ، يتمسحون بالرسول ودينه وكتابه ، وهؤلاء ممن قال الله تعالى فيهم (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون . لا تمتنعوا وقد كفرتم بعد إيمانكم) الآية .

وقد كان أبو عيسى الوراق مصاحبا لابن الراوندی فحبها الله ، فلما علم الناس بأمرهما طلب السلطان أبا عيسى فأودع السجن حتى مات . وأما ابن الراوندی فهرب فلجأ إلى ابن لاوى اليهودی ، وصنف له في مدة مقامه عنده كتابه الذي سماه « الدافع للقرآن » فلم يلبث بعده إلا أياما يسيرة حتى مات لعنه الله . ويقال : إنه أخذ وصلب . قال أبو الوفاء بن عقيل : ورأيت في كتاب محقق أنه عاش ستا وثلاثين سنة مع ما انتهى إليه من التوقل في الخاوي في هذا العمر القصير لعنه الله وقبحة ولا رحم عظمه .

وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات وقلس عليه ولم يخرج به بشئ ، ولا كان الكلب أكل له عجينا ، على عادته في العلماء والشراء ، فالشراء يطيل تراجمهم ، والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة ، والزنادقة يترك ذكر زندقتهم . وأرخ ابن خلكان تاريخ وفاته في سنة خمس وأربعين ومائتين ، وقد ومهما حاشا ، والصحيح أنه توفي في هذه السنة كما أرخه ابن الجوزي وغيره .

(الجنيد بن محمد بن الجنيد)

وفيهما توفي .

أبو القاسم الخزاز ، ويقال له القواريري ، أصله من نهاوند ، وقد ببغداد ونشأ بها . وسمع الحديث من الحسين بن عرفة . ومثقه بآبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي ، وكان يفتي بمحضه وعمره عشرون سنة ، وقد ذكرناه في طبقات الشافعية ، واشتهر بصحبة الحارث المحاسبي ، وخلفه سرى السقطي ،

ولازم التنبه ففتح الله عليه بسبب ذلك علوماً كثيرة ، وتكلم على طريقة الصوفية . وكان ورده في كل يوم ثلثمائة ركعة ، وثلاثين ألف تسبيحة . ومكث أربعين سنة لا يأوى إلى فراش ، ففتح عليه من العلم النافع والعمل الصالح بأمر لم يحصل لغيره في زمانه ، وكان يعرف سائر فنون العلم ، وإذا أخذ فيها لم يكن له فيها وقفة ولا كجوة ، حتى كان يقول في المسألة الواحدة وجوهاً كثيرة لم تخضر للملأه ببال ، وكذلك في التصوف وغيره . ولما حضرته الوفاة جعل يصلى ويتلو القرآن ، فقيل له : لورقت بنفسك في مثل هذا الحال ؟ قال : لا أحد أحوج إلى ذلك مني الآن ، وهذا أو أن طي صحيفتي . قال ابن خلكان : أخذ الفقه عن أبي ثور ويقال : كان يتفقه على منذهب سفيان الثوري ، وكان ابن سريج يصعبه ويلازمه ، [وربما استفاد منه أشياء في الفقه لم تخضر له ببال ، ويقال : إنه سأله مرة عن مسألة ، فأجابها فيها بجوابات كثيرة ، قال : يا أبا القاسم ألم أكن أعرف فيها سوى ثلاثة أجوبة مما ذكرت ، فأعدها على . فأعادهما بجوابات أخرى كثيرة . قال : والله ما سمعت هذا قبل اليوم ، فأعده . فأعاده بجوابات أخرى غير ذلك ، وقال له : لم أسمع بمثل هذا فأمله على حتى أكتبه . قال الجنيد : لئن كنت أجريه فأنا أملكه ، أي إن الله هو الذي يجري ذلك على قلبي وينطق به لساني ، وليس هذا مستفاد من كتب ولا من تعلم ، وإنما هذا من فضل الله عز وجل يلهمنيه ويجريه على لساني . قال : فمن أين استفدت هذا العلم ؟ قال : من جالوسي بين يدي الله أربعين سنة . والصحيح أنه كان على منذهب سفيان الثوري وطريقه والله أعلم ^(١)] .

وسئل الجنيد عن المازف ؟ قال : من نطق عن شرك وأنت ساكت . وقال : منهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في منهبنا وطريقنا . ورأى بعضهم معه مسبحة فقال له : أنت مع شرفك تتخذ مسبحة ؟ قال : طريق وصلت به إلى الله لا أأرقه . وقال له خاله السري : تكلم على الناس . فلم ير نفسه موضعاً . فرأى في المنام رسول الله ﷺ فقال له : تكلم على الناس . فذا على خاله ، فقال له : لم أسمع مني حتى قال لك رسول الله ﷺ . فنكلم على الناس ، فجاءه يوماً شاب نصراني في صورة مسلم ، فقال له : يا أبا القاسم ما معنى قول النبي ﷺ : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ؟ فأطرق الجنيد ، ثم رفع رأسه إليه وقال : أسلم قد آن لك أن تسلم ، قال فأسلم الغلام . وقال الجنيد : ما انتفعت بشيء انتفاهى بأبيات سمعتها من جارية تفتي بها في غرفة وهي تقول :

إذا قلت : أهدي الهجرى حلل البلى • تقولين : لولا الهجر لم يطب الحب
وإن قلت : هذا القلب أحرقة الجوى • تقولين لي : إن الجوى شرف القلب

وإن قلت : ما أذنبت ، قالت بحية : • حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

قال : فصمتت وصمت ، فخرج صاحب الدار فقال : يا سيدى مالك ؟ قلت : مما سمعت . قال : هي هبة منى إليك . فقلت : قد قبلتها وهي حرة لوجه الله . ثم زوجها لرجل ، فأولدها ولداً صالحاً حج على قمعيه ثلاثين حجة .

وفيها توفى : (سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور أبو عثمان الواظع)

ولد بالرى ، ونشأ بها ، ثم انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن مات بها ، وقد دخل بغداد . وكان يقال إنه مجاب الدعوة . قال الخطيب : أخبرنا عبد الكريم بن هوازن قال سمعت أبا عثمان يقول : منذ أربعين سنة ما أطمئنت في حالة فكرتها ، ولا قلتي إلى غيرها ففسختها . وكان أبو عثمان يلبس : أسات ولم أحسن ، وجنتك حاربا • وأين لبعد عن مواله مهرب ؟

يؤمن غفرانا ، فإن خاب ظنه • فما أحد منه على الأرض أخيب

وروى الخطيب أنه سئل : أى أعمالك أرجى عندك ؟ قال : إنى لما ترمعت وأنا بالرى وكأنا يريدونى على الزوريج فأمتنع ، فجاءتنى امرأة فقالت : يا أبا عثمان قد أحببتك جبا أذهب نوى وقرارى ، وأنا أسألك بقلب القلوب وأتوسل به إليك لما تزوجتنى . فقلت : ألك والد ؟ قالت : نعم . فأحضرت ما تستدعى بالشهود فزوجتها ، فلما خلوت بها إذا هي عوراء عرجاء شوهاء مشوكة الخلق ، فقلت : اللهم لك الحمد على ما قدرته لى ، وكان أهل بيتى يلومونى على تزويجى بها ، فكنت أزيدها براً وإكراماً ، وربما احتبستنى عندها ومنعتنى من الحضور إلى بعض المجالس ، وكأفى كنت فى بعض أوقاى على الجبر وأنا لا أبدي لها من ذلك شيئاً . فكنت كذلك خمس عشرة سنة ، فما شئ أرجى عندى من حفظى عليها ما كن فى قلبها من جبق .

وفيها توفى : (سمعون بن حمزة)

• ويقال ابن عبد الله ، أحد مشايخ الصوفية ، كان ورده فى كل يوم وليلة خمائة ركعة ، ومضى نفسه ممتونا الكذاب لقوله :

فلين لى فى سواك حظ • فكيفما شئت فامتنحى

فابتلى بمسر البول فكان يطوف على المكاتب ويقول للصبيان : ادعوا لعلمكم الكذاب . وله كلام متين فى المحبة ، ووسوس فى آخر عمره ، وله كلام فى المحبة مستقيم .

وفيها توفى : (صالحى الحرفى)

كان من أكبر أمراء الدولة العباسية . أوصى فى مرضه أن ليس له عند غلامه القاسم شئ ، فلما مات حمل غلامه القاسم إلى الوزير مائة ألف دينار وسبعائة وعشرين منطقة من الذهب مكللة ، فاستمروا به على إمرته ومنزلته .

﴿إسحاق بن حنين بن إسحاق﴾

أبو يعقوب المبادي - نسبة إلى قبائل الجزيرة - الطيب بن الطيب ، له ولأبيه مصنفات كثيرة في هذا الفن ، وكان أبوه يعرب كلام إرسططا ليس وغيره من حكايا اليونان . توفي في هذه السنة .

﴿الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا﴾

أبو عبد الله الشيعي ، القتي أقام الدعوة للمهدي ، وهو عبد الله بن ميمون القتي بزعم أنه فاطمي وقد زعم غير واحد من أهل التاريخ أنه كان يهودياً صبانياً بسلمية ، والمقصود الآن : أن أبا عبد الله الشيعي دخل بلاد إفريقية وحده فقيراً لا مال له ولا رجال ، فلم يزل يعمل الحيلة حتى انتزع الملك من يد أبي نصر زيادة الله ، آخر ملوك بني الأغلب على بلاد إفريقية ، واستدعى حينئذ مخنومه المهدي من بلاد المشرق ، وقدم فلم يخلص إليه إلا بعد شذائد طوال ، وحبس في أثناء الطريق فاستبقته هذا الشيعي وسلمه من المملكة ، فتمس أخوه أحمد وقال له : ماذا صنعت ؟ وهلا كنت استبدت بالأمر دون هذا ؟ فندم وشرع يعمل الحيلة في المهدي ، فاستشر المهدي بذلك ففس إليه ما من قتلها في هذه السنة بمدينة رقادة من بلاد القيروان ، من إقليم إفريقية . هذا ملخص ما ذكره ابن خلكان .

﴿ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائتين﴾

قال ابن الجوزي : وفيها ظهرت ثلاث كواكب مذنبية . أحدها في رمضان ، والثاني في ذي القعدة تبقياً أياماً ثم تضيحل . وفيها وقع طاعون بأرض فارس مات فيه نسبة آلاف إنسان . وفيها غضب الخليفة على الوزير علي بن محمد بن الفرات وعزله عن الوزارة وأمر بنهب داره فتهبت أقبح نهب ، واستوزر أبا علي محمد بن عبد الله بن يحيى بن خالان ، وكان قد التزم لأم ولد المعتضد بمائة ألف دينار ، حتى سمعت في ولايته . وفيها وردت هدايا كثيرة من الأقاليم من ديار مصر وخراسان وغيرها ، من ذلك خمسمائة ألف دينار من مصر استخرجت من كنز وجد هناك من غير موافق كما يدعيه كثير من جملة الثروا وغيرهم من ضيفي الأخلام ، مكرراً وشديدة لياكلوا أموال الطعام والثروا أهل الطمع والأكمام ، وقد وجد في هذا الكنز ضلع إنسان طوله أربعة أشبار^(١) وعرضه شبر ، وذكر أنه من قوم عاد فآله أهل . وكان من جملة هدية مصر تيس له ضرع يحلب لبنا . ومن ذلك بساط أرسله ابن أبي الساج في جملة هداياه ، طوله سبعون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً ، عمل في عشر سنين لقيمة له ، وهدايا فآخرة أرسلها أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني من بلاد خراسان كثيرة جداً . وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الملبسي أمير الحبيص من مدة طويلة . وفيها توفي من الأعيان :

(١) في المصرية : طوله أربعة عشر شبراً .

﴿ أحمد بن نصر بن إبراهيم أبو عمرو الخفاف ﴾

الحافظ . كان ينادى بمائة ألف حديث ، سمع إسحاق بن راهويه وطبقته ، وكان كثير الصيام سرده نيفا وثلاثين سنة ، وكان كثير الصدقة ، سأله سائل فأعطاه درهمين فحمد الله فجعلها خسة ، فحمد الله فجعلها عشرة ، ثم مازال يزيد ويحمد السائل الله حتى جعلها مائة . قال : جل الله عليك وأقية باقية فقال للسائل : والله لو زمت الحد لأزيدنك ولو إلى عشرة آلاف درهم .

﴿ البهلول بن إسحاق بن البهلول ﴾

ابن حسان بن سنان أبو محمد التنوخي ، سمع إسماعيل بن أبي أويس وسعيد بن منصور ومصعب الزيري وغيرهم ، وعنه جماعة آخرهم أبو بكر الأساعلي الجرجاني الحافظ ، وكان ثقة حافظاً ضابطاً بليغاً فصيحاً في خطبه . توفي فيها عن خمس وتسعين سنة .

﴿ الحسين بن عبد الله بن أحمد أبو علي الخرق ﴾

صاحب المختصر في الفقه على منهج الإمام أحمد بن حنبل . كان خليفة للروذي . توفي يوم عيد الفطر ودفن عند قبر الإمام أحمد بن حنبل .

﴿ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله المغربي ﴾

حج على قدميه سبعاً وتسعين حجة ، وكان يمشي في الليل المظلم حافياً كما يمشي الرجل في ضوء النهار ، وكان المشاة يأتمون به فيبرشدهم إلى الطريق ، وقال : مارأيت ظلمة منذ سنين كثيرة ، وكانت قد ماض مع كثرة مشيه كأنهما قنما عروس متزوجة ، وله كلام مليح فافع وللمامات أوصى أن يدفن إلى جانب شيخه علي بن رزين ، فهما على جبل الطور .

[قال أبو نعيم : كان أبو عبد الله المغربي من المعمرين ، توفي عن مائة وعشرين سنة ، وقبره بجبل طور سيناء عند قبر أستاذه علي بن رزين . قال أبو عبد الله : أفضل الأعمال عمارة الأوقاف . وقال : القدير هو الذي لا يرجع إلى مستند في السكن غير الاتجاه إلى من إليه قرره ليعينه بالاستعانة كما عززه بالانقار إليه . وقال : أعظم الناس ذلاً قدير داهن غنيا وتواضع له ، وأعظم الناس عزاً خفي تذلل لفقير أو حفظ حرمة .] ^(١)

﴿ محمد بن أبي بكر بن أبي خزيمة ﴾

أبو عبد الله الحافظ بن الحافظ كان أبوه يستعين به في جمع التاريخ ، وكان فهماً حاذقاً حافظاً ، توفي في ذي القعدة منها . ﴿ محمد بن أحمد بن كيسان النحوي ﴾

أحد حفاظه والمكثرين منه ، كان يحفظ طريقة البصريين والكوفيين معاً . قال ابن مجاهد : كان ابن كيسان أتمى من الشيوخين المبردين وثلعب .

﴿ محمد بن يحيى ﴾

أبو سعيد ، سكن دمشق ، روى عن إبراهيم بن سعد الجوهري ، وأحمد بن منيع ، وابن أبي شيبة وغيرهم ، روى عنه أبو بكر النفاش وغيره ، وكان محمد بن يحيى هذا يدعى بحامل كفته ، وذلك ما ذكره الخطيب قال : بلغني أنه توفي ففسل وكفن وصلى عليه ودفن ، فلما كان الليل جاء نباش ليسرق كفته ففتح عليه قبره . فلما حل عنه كفته استوى جالساً وفر النباش هارياً من الفزع ، ونهض محمد بن يحيى هذا فأخذ كفته معه وخرج من القبر وقصد منزله فوجد أهله يبكون عليه ، ففك عليهم الباب فقالوا : من هذا ؟ قال : أنا فلان . فقالوا : يا هذا لا يحل لك أن تزيدنا حزناً إلى حزننا . قال : افتحوا والله أنا فلان ، فرفقوا صورته فلما رأوه فرحوا به فرحاً شديداً وأبدل الله حزنهم سروراً . ثم ذكر لهم ما كان من أمره وأمر النباش . وكأنه قد أصابته سكتة ولم يكن قد مات حقيقة فقدر الله بحوله وقوته أن يبعث له هذا النباش ففتح عليه قبره ، فكان ذلك سبب حياته ، ففاش بعد ذلك عدة سنين ، ثم كانت وفاته في هذه السنة .

﴿ فاطمة القيرمانة ﴾

غضب عليها المقتدر مرة فصادرهما ، وكان في جملة ما أخذ منها مائتي ألف دينار ثم غرقت في طيارة لها في هذه السنة . ﴿ ثم دخلت سنة ثلثمائة من الهجرة النبوية ﴾
فيها كثر ماء دجلة وتراكت الأمطار ببغداد ، وتناثرت نجوم كثيرة في ليلة الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة . وفيها كثرت الأمراض ببغداد والأسقام وكلبت الكلاب حتى الذئاب بالبادية . وكانت تقصد الناس بالتهارfen عضته أكلته . وفيها انحسر جبل بالدينور يعرف بالنل فخرج من فحته ماء عظيم غرق عدة من القرى . وفيها سقطت شرفة - أي قطعة - من جبل لبنان إلى البحر . وفيها حلت بلة ووضعت مهرة ، وفيها صلب الحسين بن منصور الحلاج وهو حي أربعة أيام ، يومين في الجانب الشرق ، ويومين في الجانب الغربى ، وذلك في ربيع الأول منها . وحج بالناس أمير الحجيج المتقدم ذكره في السنين قبلها وهو الفضل بن عبد الملك الهاشمي المباسي أتابه الله وقبل منه .

﴿ الأحوص بن الفضل ﴾

وفيها توفي من الأعيان . ابن مساوية بن خالد بن غسان . أبو أمية الفسلاي القاضى بالبصرة وغيرها ، روى عن أبيه التاريخ ، استمر مرة عنده ابن الفرات فلما أعيده إلى الوزارة ولأه قضاء البصرة والأهواز واسط . وكان عفيفاً نزهةً ، فلما نكب ابن الفرات قبض عليه نائب البصرة فأودعه السجن فلم يزل به حتى مات فيه فيها . قال ابن الجوزى : ولا تعلم قاضياً مات في السجن سواه .

﴿ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ﴾

ابن الحسين بن مصعب أبو أحمد الخزازي ، ولي إمرة بغداد . وحلت عن الزبير بن بكار وعنه
المصولي والطبراني ، وكان أدبياً فاضلاً ، ومن شعره :

حق التثنائي بين أهل الهوى • تكاتب يسخن عين النوى

وفي التثنائي لا آتقى عمره • تزاور يشقى غليل الجوى

واتفق له مرة أن جارية له مرضت فاشتت ثلجاً ، وكانت حظية عنده ، فلم يجد الثلج إلا عند
رجل ، فساومه وكيله على رطل منه فامتنع من بيعه إلا لكل رطل بالعراق بخمسة آلاف درهم - وذلك لم
صاحب الثلج بمحاجتهم إليه - فرجع الوكيل ليشاوره فقال : ويحك ! اشتره ولو بما عساه أن يكون ،
فرجع إلى صاحب الثلج قال : لا أبيع إلا بمشرة آلاف . فاشتراه . بمشرة آلاف ثم اشتت الجارية
ثلجاً أيضاً - وذلك لمواقفته لها - فرجع فاشترى منه رطلاً آخر بمشرة آلاف . ثم آخر بمشرة آلاف
وبقي عند صاحب الثلج رطلان فتطفت نفسه إلى أكل رطل منه ليقول : أكلت رطلاً من الثلج
بمشرة آلاف ، فأكله وبقي عنده رطل فجاءه الوكيل فامتنع أن يبيعه الرطل إلا بثلاثين ألفاً فاشتراه
منه فتفتت الجارية وتصدقت بمال جزيل فاستدعى سيدها صاحب الثلج فأعطاه من تلك الصدقة
مالا جزيلاً فصار من أكثر الناس مالا بعد ذلك ، واستخدمه ابن طاهر عنده والله أعلم [(١)]
[وممن توفي في حدود الثلاثة من الهجرة .

﴿ الصنوبري الشاعر ﴾

وهو محمد بن أحمد بن محمد بن مراد أبو بكر الصنوبري الحنبلي . قال الحافظ ابن عساكر :
كان شاعراً محسناً . وقد حكى عن علي بن سليمان الأخطب ، ثم ذكر أشياء من لطائف شعره
فمن ذلك قوله :

لا النوم أدرى به ولا الأرق • يدري بهن من به ريق

إن دموعي من طول ما استبقت • كلت فإستطيع تستبق

ولي مك لم تبد صورته • مذ كان إلا صلت له الخلق

نويت قبيل نار وجنته • ونخت أدو منها فأحرق

وله أيضاً :

فمس غداً يشبه شمساً غدت • وخدها في النور من خده

فنيب في فيه ولكنها • من بعد ذا تطلع في خده

وقد روى الحافظ البيهقي عن شيخه الحاكم عن أبي الفضل نصر بن محمد الطوسي قال : أنشدنا أبو بكر الصنوبري قال :

هدم الشيب ما بناه الشباب • والنوائى ما عصين خضاب
قلب الآبوس عابكاً • فلا عين منه والقلوب انقلاب
وضلال فى رأى أن يشنألا • بازى على حسن وهوى التراب
وله أيضاً وقد أوردته ابن عساكر فى ابن له فطم فجعل يبكي على نديه :

منعوه أحب شئ إليه • من جميع الورى ومن والديه
منعوه غذاه ولقد كان • مباحاً له وبين يديه
عجباً له على صغر السن • هوى طهتدى الفراق إليه

﴿ إبراهيم بن أحمد بن محمد ﴾

ابن المولد ، أبو إسحاق الصوفى الواعظ الرقى أحد مشايخها ، روى الحديث وصحب أبا عبد الله ابن الجلاء الدهشقى ، والجنييد وغير واحد . وروى عنه تمام بن محمد وأبو عبد الرحمن السلى . وقد أورد ابن عساكر من شعره قوله :

لك منى على البعاد نصيب • لم ينله على الدنو حبيب
وعلى الطرف من سواك حجاب • وعلى القلب من هواك رقيب
زين فى ناظرى هواك وقاى • والهوى فيه رائق ومشوب
كيف يفتى قرب الطيب عليلا • أنت أسقمته وأنت الطيب
الصمت آبن من كل نازلة • من ناله نال أفضل النعم
ما نزلت بالرجال نازلة • أعظم ضرراً من لفظة نعم
عثرة هذا اللسان مهلكة • ليست لدينا كمثرة القدم
احفظ لسانا يفتيك فى تلف • قرب قول أذل ذا كرم [(١)]

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثمائة ﴾

فيها غزا الحسين بن حمدان الصائفة ففتح حصوناً كثيرة من بلاد الروم وقتل منها أمماً لا يحصون كثرة . وفيها عزل المعتز محمد بن عبد الله من وزارته وقلدها عيسى بن على وكان من خيال الوزراء وأقصدهم لمدل والاحسان ، واتباع الحق . وفيها كثرت الأمراض القهوية ببغداد فى عموز وآب ، فبات من ذلك خلق كثير من أهلها . وفيها وصلت هدايا صاحب عسنان ومن جعلتها بئلة بيضاء (١) زيادة من المصرية .

وغزال أسود . وفي شعبان منها ركب مقتدر إلى باب الشماسية على الخليل ثم انحدر إلى داره في دجلة . وكانت أول ركبة ركبها جهرة للامة . وفيها استأذن الوزير على بن عيسى الخليفة المقتدر في مكانة رأس القرامطة أبي سعيد الحسن بن جوام الجنابي فأذن له ، فكتب كتاباً طويلاً يدعو فيه إلى السمع والطاعة ، ويوجه على ما يتعامله من ترك الصلاة والزكاة وارتكاب المنكرات ، وإنكارهم على من يذكر الله ويسبحه ويمجده ، واستهزأهم بالدين واسترقاقهم الحرائر ، ثم توعده بالحرب ونهده بالقتل ، فلما سار بالكتاب نحوه قتل أبو سعيد قبل أن يصله ، قتله بعض خدمه ، وعهد بالأمر من بعده لولده سعيد ، فقلبه على ذلك أخوه أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد ، فلما قرأ كتاب الوزير أجابه بما حاصله : إن هذا الذي تنسب إلينا ما ذكرتم لم يثبت عندكم إلا من طريق من يشنع علينا ، وإذا كان الخليفة يسبنا إلى الكفر بالله فكيف يدعوننا إلى السمع والطاعة ؟ وفيها جرى بالحسين بن منصور الخلاج إلى بغداد وهو مشهور على جبل وغلالم له راكب جمل آخر ، ينادى عليه : أحد دعاه القرامطة فاعرفوه ، ثم حيس ثم حى به إلى مجلس الوزير فنظره فإذا هو لا يقرأ القرآن ولا يعرف في الحديث ولا الفقه شيئاً ، ولا في اللغة ولا في الأخبار ولا في الشعر شيئاً ، وكان الذي قدم عليه : أنه وجدت له رقع يدعو فيها الناس إلى الضلالة والجهالة بأواع من الرموز ، يقول في مكاناته كثيراً : تبارك ذو النور الشمسي . فقال له الوزير : تملك الطهور والفروض أجدى عليك من رسائل لا تدرى ما تقول فيها ، وما أحولك إلى الأدب . ثم أمر به فسلم حياً صلب الاشهار لا القتل ، ثم أزل فأجلس في دار الخلقة ، فجعل يظهر لهم أنه على السنة ، وأنه زاهد ، حتى اغتر به كثير من الخدام وغيرهم من أهل دار الخلقة من الجهلة ، حتى صاروا يتركون به ويمسحون بقبابه . وسأى ما صار إليه أمره حين قتل بإجماع القهاء وأكثر الصوفية . ووقع في هذه السنة في آخرها ببغداد وباء شديد جداً مات بسببه بشر كثير ، ولا نسيا بالحريية خلقت طامة دورها . وحج بالناس فيها الأمير المتقدم ذكره . وفيها توفي من الأعيان .

﴿ إبراهيم بن خالد الشافعي ﴾ جمع العلم والزهد ، وهو من تلاميذ أبي بكر الاسماعيلي .

﴿ جعفر بن محمد ﴾

ابن الحسين بن المستفاض أبو بكر الغزي تلميذ القاضي الدينور ، طاف البلاد في طلب العلم ، وسمع الكثير من المشايخ الكثيرين ، مثل قتيبة وأبي كريب وعلى بن السديني ، وعنه أبو الحسين بن المنادي والنجاد وأبو بكر الشافعي وخلق ، واستوطن ببغداد وكان ثقة حافظاً حجة ، وكان عدة من يحضر مجلسه نحواً من ثلاثين ألفاً ، والمستملون عليه منهم فوق الثلاثمائة ، وأصحاب المحابر نحواً من عشرة آلاف . توفي في الحرم منها عن أربع وتسعين سنة ، وكان قد حفر لنفسه قبراً قبل وفاته .

بضمن سنين ، وكان يأتيه فيقتف عنه . ثم لم يقض له الدفن فيه بل دفن بمكان آخر . رحمه الله حيث كان .

﴿ أبو سعيد الجنابي القرمطي ﴾

وهو الحسن بن بهرام قبجه الله رأس القرامطة ، والذي يعول عليه في بلاد البحرين وما والاها (علي بن أحمد الراسبي) كان يلى بلاد واسط إلى شهر زور وغير ذلك ، وقد خلف من الأموال شيئاً كثيراً ، فن ذلك ألف دينار ، ومن آنية الذهب والفضة نحو مائة ألف دينار ، ومن البقر ألف ثور ، ومن الخيل والبغال والجمال ألف رأس .

﴿ محمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن أبي الشوارب ﴾

يعرف بالأحنف . كان قد ولي قضاء مدينة النصور نيابة عن أبيه حين فلعج ، مات في جمادى الأولى منها . وتوفى أبوه في رجب منها ، بينهما ثلاثة وسبعون يوماً ، ودفنا في موضع واحد . وأبو بكر محمد بن هارون البردعي الحافظ بن ناجية والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلثين وثلاثمائة ﴾

فيها ورد كتاب مؤنس الخادم بأنه قد أوقع بالروم بأسا شديداً ، وقد أسر منهم مائة وخمسين بطريقاً - أى أميراً - ففرح المسلمون بذلك . وفيها ختن القنندر خمسة من أولاده ففرم على ختاتهم ستائة ألف دينار ، وقد ختن قبلهم ومعهم خلقاً من اليتامى وأحسن إليهم بالمال والكسوى ، وهذا صليح حسن إن شاء الله . وفيها صادر القنندر أبا علي بن الحصص بسة عشر ألف ألف دينار غير الآنية والثياب الثينة . وفيها أدخل الخليفة أولاده إلى المكتب وكان يوماً مشهوداً . وفيها بنى الوزير المارستان بالحربية من بغداد ، وأعطى عليه أموالاً جزيلة ، جزاء الله خيراً . وحج بالناس فيها الفضل الهاشمي . وقطعت الأعراب وطائفة من القرامطة الطريقين دلى الراجيين من الحجيج ، وأخذوا منهم أموالاً كثيرة ، وقتلوا منهم خلقاً وأسروا أكثر من مائتى امرأة حرة ، فآله وإنا إليه راجعون .

وفيها توفى من الأعيان . ﴿ بشر بن نصر بن منصور ﴾

أبو القاسم الفقيه الشافعي ، من أهل مصر يعرف بفلام عرقى ، وعرق خادم من خدام السلطان كان يلى البريد ، قدم معه بهذا الرجل مصر فأقام بها حتى مات بها .

بدعة جارية غريب الثمنية ، بىل لسيدتها فيها مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار من بعض من رغب فيها من الخلفاء فرض ذلك عليها فكرهت مفارقة سيدتها ، فأعتقتها سيدتها في موتها ، وتأخرت وقتها إلى هذه السنة ، وقد تركت من المال الدين والأموال ما لم يملكه رجل .

﴿ القاضى أبو زرعة محمد بن عثمان الشافعى ﴾

قاضى مصر ثم دمشق ، وهو أول من حكم بمنهج الشافعى بالشام وأشاعه بها ، وقد كان أهل

الشام على مذهب الأوزاعي من حين مات إلى هذه السنة . وثبت على مذهب الأوزاعي بقايا كثير ون لم يبقوه ، وكان ثقة عدلا من سادات القضاة ، وكان أصله من أهل الكتاب من اليهود ، ثم أسلم وصار إلى ما صار إليه . وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثمائة ﴾

فيها وقف المتندر بالله أموالا جزيلة وضياعا على الحرمين الشريفين ، واستدعى بالقضاة والأعيان ، وأشهدهم على نفسه بما وقفه من ذلك . وفيها قسم إليه بجباية من الأسارى من الأعراب الذين كانوا قد اعتدوا على الحجيج ، فلم يمالك العامة أن اعتدوا عليهم فتناوهم ، فأخذ بعضهم فمقوب لكونه افتات على السلطان . وفيها وقع حريق شديد في سوق التجارين ببغداد فأحرق السوق بكاله ، وفي ذى الحجة منها مرض المتندر ثلاثة عشر يوما ، ولم يمرض في خلافته مع طولها إلا هذه المرة . وحج بالناس فيها الفضل الهاشمي ، ولما خاف الوزير على الحجاج القرامطة كتب إليهم رسالة ليشغلهم بها ، فاتهمه بعض الكتاب بمراسلته القرامطة ، فلما انكشف أمرهم ما قصده حطى بذلك عند الناس جدا . وعن توفي من الأعيان . ﴿ النسائي أحمد بن علي ﴾

ابن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار ، أبو عبد الرحمن النسائي صاحب السنن ، الامام في عصره والمقدم على أضرابه وأشكاله وفضلاء دهره ، رحل إلى الآفاق ، واشتغل بسمع الحديث والاجتماع بالائمة الخفاف ، وشايخه الذين روى عنهم مشافهة . قد ذكرنا في كتابنا التكميل وترجمناه أيضا هنالك ، وروى عنه خلق كثير ، وقد جمع السنن الكبير ، واتخذه منه ما هو أقل حجبا منه بمرات . وقد وقع في سماعها . وقد أبان في تصنيفه عن حفظ وإتقان وصديق وإيمان وعلم وحرافان . قال الحاكم عن الفارطقي : أبو عبد الرحمن النسائي مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره ، وكان يسمى كتابه الصحيح . وقال أبو علي الحافظ : للنسائي شرط في الرجل أشد من شرط مسلم بن الحجاج ، وكان من أئمة المسلمين . وقال أيضا : هو الامام في الحديث بلا مدافعة . وقال أبو الحسين محمد بن مظفر الحافظ : سمعت مشايخنا يصرون له بالتقدم والامامة ، ويصفون من اجتهاده في انبادة بالليل والنهار ومواظبته على الحج والجهاد . وقال غيره : كان يصوم يوما ويفطر يوما ، وكان له أربع زوجات وسريتان ، وكان كثير الجماع ، حسن الوجه مشرق اللون . قالوا : وكان يقسم للامام كما يقسم للحرائر . وقال الفارطقي : كان أبو بكر بن الحداد كثير الحديث ولم يرو عن أحد سوى النسائي وقال : رضيت به حجة قيا بيني وبين الله عز وجل . وقال ابن بونس : كان النسائي إماما في الحديث ثقة ثبتا حافظا ، كان خروجه من مصر في سنة ثنتين وثلاثمائة . وقال ابن عدى : سمعت منصورا التقي وأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي يقولان : أبو عبد الرحمن النسائي إمام من أئمة المسلمين ، وكذلك

أنفى عليه غير واحد من الأئمة وشهدوا له بالفضل والتقدم في هذا الشأن . وقد ولى الحكم بمدينة حمص . سمعته من شيخنا المزي عن رواية الطبراني في معجمه الأوسط حيث قال : حدثنا أحمد بن شبيب الحاكم بمحضر . وذكروا أنه كان له من النساء أربع نسوة ، وكان في غاية الحسن ، وجهه كأنه قنديل ، وكان يأكل في كل يوم ديكاً ويشرب عليه نقيع الزبيب الحلال ، وقد قيل عنه : إنه كان ينسب إليه شيء من التشيع . قالوا : ودخل إلى دمشق فسأله أهلها أن يخدمهم بشيء من فضائل معاوية فقال : أما يكنى معاوية أن ينهب رأساً برأس حتى يروى له فضائل ؟ فقالوا إليه فعملوا يعطونون في خصيتيه حتى أخرج من المسجد الجامع ، فسار من عندهم إلى مكة فمات بها في هذه السنة ، وقبره بها هكذا حكاه الحاكم من محمد بن إسحاق الأصبهاني عن مشايخه . وقال الدارقطني : كان أفعه مشايخ مصر في عصره ، وأعرفهم بالصحيح من السقيم من الآثار ، وأعرفهم بالرجال ، فلما بلغ هذا المبلغ حسده فخرج إلى الرملة ، فمات عن فضائل معاوية فأسلت عنه فضر به في الجامع ، فقال : أخرجوني إلى مكة ، فأخرجوه وهو عليل ، فمات بمكة مقتولاً شهيداً ، مع ما رزق من الفضائل رزق الشهادة في آخر عمره ، مات بمكة سنة ثلاث وثلاثمائة . قال الحافظ أبو بكر محمد بن عبد النفي بن نقطة في تقييده ومن خطه نقلت ومن خط أبي عامر محمد بن سعدون البغدادي الحافظ : مات أبو عبد الرحمن النسائي بالرملة مدينة فلسطين يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة ، ودفن ببيت المقدس . وحكى ابن خلكان أنه توفي في شبان من هذه السنة ، وأنه إنما صنف الخصائص في فضل علي وأهل البيت ، لأنه رأى أهل دمشق حين قدمها في سنة ثلثين وثلاثمائة عندهم نفرة من علي ، وسأوه عن معاوية فقال ما قال ، فدققوه في خصيتيه فمات . وهكذا ذكر ابن بونس وأبو جعفر الطحاوي : إنه توفي بفلسطين في صفر من هذه السنة ، وكان مولده في سنة خمس عشرة أو أربع عشرة ومائتين قريبا عن قوله ، فكان عمره ثمانيا وثمانين سنة .

﴿ الحسن بن سفيان ﴾

ابن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن عطاء ، أبو العباس الشيباني النسوي ، محدث خراسان ، وقد كان يضرب إليه أباط الأبل في مرفقة الحديث والفقه . رحل إلى الآفاق وتفقه على أبي ثور ، وكان يفتي بمنهجه ، وأخذ الأدب عن أصحاب النضر بن عجيل ، وكانت إليه الرحلة بخراسان . ومن غريب ما اتفق له : أنه كان هو وجماعة من أصحابه بمصر في رحلتهم إلى الحديث ، فضاق عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون فيها شيئا ، ولا يبيدون ما يبيعونه فقوت ، واضطرم الحال إلى تقيشم السؤال ، وأفتت أنفسهم من ذلك وعزت عليهم وامتنعت كل الامتناع ، والحاجة تضطرم إلى تعاطي ذلك ، فافتروا فيما بينهم أنهم يقوم بأعباء هذا الأمر ، فوفقت القرعة على الحسن بن سفيان هذا ،

قام عنهم فاختل في زاوية المسجد الذي هم فيه فصرى ركعتين أطال فيها واستغاث بالله عز وجل ،
وسأله بأسمائه العظام ، فما انصرف من الصلاة حتى دخل عليهم المسجد شاب حسن الهيئة مليح
الوجه فقال : أين الحسن بن سفيان ؟ قلت : أنا . فقال : الأمير طولون يقرأ عليكم السلام ويمتنر
إليكم في تقصيره عنكم ، وهذه مائة دينار لكل واحد منكم . قتلناه : ما الحامل له على ذلك ؟
فقال : إنه أحب أن يختل اليوم بنفسه ، فبينما هو الآن نائم إذ جاءه فارس في الهواء بيده رمح فسنخل
عليه منزله ووضع عقب الرمح في خصرته فركزه وقال : قم فأدرك الحسن بن سفيان وأصحابه ، قم
فأدركهم ، قم فأدركهم ، فأنهم منذ ثلاث جياح في المسجد القلاقي . فقال له : من أنت ؟ فقال أنا رضوان
خازن الجنة . فاستيقظ الأمير وخصرته توله ألما شديدا ، فبست بالثقة في الحال إليكم . ثم جاء لزارتهم
واشترى ما حول ذلك المجلس ووقفه على الواردين عليه من أهل الحديث ، جزاء الله خيرا . وقد
كان الحسن بن سفيان رحمه الله من أئمة هذا الشأن وفرسانه وحفاظه ، وقد اجتمع عنده جماعة من
الحفاظ منهم ابن جرير الطبري وغيره ، قرؤا عليه شيئا من الحديث وجعلوا يقبلون الأسانيد
ليستعملوا ما عنده من العلم فاقبلوا شيئا من الاسناد إلا ردم فيه إلى الصواب ، وعمره إذ ذاك سبعون
سنة ، وهو في هذا السن حافظ ضابط لا يشذ عنه شيء من حديثه . ومن فوائده : العيسى كوفي ،
والعيسى بصري ، والعيسى مصري . (رويم بن أحمد)

ويقال ابن محمد بن رويم بن يزيد ، أبو الحسن ، ويقال أبو محمد ، أحد أئمة الصوفية ، كان علما
بالقرآن وممانيه ، وكان يتفقه على منهب داود بن علي الظاهري ، قال بعضهم : كان رويم يكتف حب
الدنيا أربعين سنة ، ومنه أنه تصوف أربعين سنة ، ثم لما ولي إسماعيل بن إسحاق القضاء ببغداد
جمله وكيل في يابه ، فترك التصوف ولبس الخنز والقصب والهديق وركب الخيل وأكل الطيبات
وبنى الدور . (زهير بن صالح بن الامام أحمد بن حنبل)

روى عن أبيه وعنه أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد ، كان ثقة ، مات وهو شب ، قاله النصارى .
ر (أبو علي الجبائي) شيخ المنزلة ، واسمه محمد بن عبد الوهاب أبو علي الجبائي شيخ طائفة
الاعتزال في زمانه ، وعليه اشتغل أبو الحسن الأشعري ثم رجع عنه ، والجبائي تفسير حافل مطول ،
له فيه اختيارات غريبة في التفسير ، وقد رد عليه الأشعري فيه وقال : وكان القرآن نزل في لغة أهل
جباء . كان مولده في سنة خمس وثلاثين ومائتين ، ومات في هذه السنة .

(أبو الحسن بن بسام الشاعر)

واسمه علي بن أحمد بن منصور بن نصر بن بسام البسامي الشاعر المطبق لهجه ، فلم يترك أحدا
حتى جهاد ، حتى أباه وأب أُمِّه بلت حمدون النديم . وقد أورد له ابن خلكان أشياء كثيرة من

شعره ، فن ذلك قوله في تحريب المتوكل قبر الحسن بن علي وأمره بأن يزرع ويمحي رسمه ، وكان شديد التحامل على علي وولده . فلما وقع ما ذكرناه في سنة ست وثلاثين ومائتين . قال ابن بسام هنا في ذلك : - .

تالله إن كانت أمية قد أتت * قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله * هذا لعرك قبره مهدوما

أسفا على أن لا يكونوا شاركوا * في قتله فتقبوه ربما

(ثم دخلت سنة أربع وثلاثمائة)

فيها عزل المعتذر وزيره أبا الحسن علي بن عيسى بن الجراح ، وذلك لأنه وقعت بينه وبين أم موسى القهرمانة غرة شديدة ، فسأل الوزير أن يعفى من الوزارة فزل ولم يتعرضوا لشيء من أملاكه . وطلب أبو الحسن بن الفرات فأعيد إلى الوزارة بعد عزله عنها خمس سنين ، وخلع عليه الخليفة يوم التروية سبع خلع ، وأطلق إليه ثلاثمائة ألف درهم ، وعشرة ثقوت ثياب ، ومن الخيل والبغال والجمال شيء كثير ، وأقطع الدار التي بالحریم فسكنها ، وعمل فيها ضيافة تلك الليلة فسقى فيها أربعين ألف رطل من النخاع ، وفي نصف هذه السنة اشتهر ببغداد أن حيوانا يقال له الزرب يطوف بالليل يأكل الأطفال من الأمسرة ويدعو على النيام فرما قطع يد الرجل وندى المرأة وهو قائم . فجعل الناس يضربون على أسطحهم على النحاس من الماواين وغيرها ينغروله عنهم ، حتى كانت بغداد بالليل ترنج من شرقها وغربها ، واصطنع الناس لأولادهم مكبت من السعف وغيرها ، واغتنمت القصوص هذه الشوشة فكثرت النقوب وأخذت الأموال ، فأمر الخليفة بأن يؤخذ حيوان من كلاب الماء فيصلب على الجسر ليسكن الناس عن ذلك ، ففعلوا فسكن الناس ورجعوا إلى أنفسهم ، واستراح الناس من ذلك . وفيها قتل ثابت بن سنان الطيب أمر المارستان ببغداد في هذه السنة ، وكانت خنسا ، وكان هذا الطيب مؤرخا . وفيها ورد كتاب من خراسان بأنهم وجدوا قبور شهداء قد قتلوا في سنة سبعين من الهجرة مكتوبة أسماءهم في رقاع مربوطة في آذانهم ، وأجسادهم طرية كما هي ، رضى الله عنهم .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ ليبيد بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن صالح ﴾

ابن عبد الله بن الحسين بن علقمة بن نعيم بن عطارد بن حليج ، أبو الحسن التميمي الملقب فروجة ، قدم بغداد وحدث بها ، وكان ثقة حافظا .

﴿ يوسف بن الحسين بن علي ﴾

أبو يعقوب الرازي ، مع أحمد بن حنبل وصحب ذا النون ، وكان قد بلغه أن ذا النون يحفظ

اسم الله الأعظم قصده ليعلمه إليه ، قال : فلما وردت عليه استهان بي وكانت لي لحية طويلة ومسى ركوة طويلة . فجاء رجل يوماً فناظر ذا النون فأسكت ذا النون ، قهلت له : دع الشيخ وأقبل علي . فأقبل فناظرته فأسكته ، فقام ذو النون فجلس بين يدي وهو شيخ وأنا شاب ، ثم اعتنوا إلى . فغسسته سنة ثم سألته أن يلعن الاسم الأعظم ، فلم يمد يدي ووعدني ، فكثت عنده بعد ذلك ستة أشهر ، ثم أخرج إلى طبقا عليه مكبة مستورا بمنديل ، فقال لي : اذهب بهذا الطبق إلى صاحبنا فلان . قال : فجعلت أفكر في الطريق ما هذا الذي أرسلني به ؟ فلما وصلت الجسر فتحته فاذا فأرة ففرت وذهبت ، فاغتظت فيظا شديداً ، وقلت : ذو النون سخر بي ، فرجعت إليه وأنا حنق فقال لي : ويحك إنما اختبرتك ، فاذا لم تكن آمينا على فأرة فأن لا تكون آمينا على الاسم الأعظم بطريق الأولى ، اذهب عنى فلا أراك بعدها . وقد روى أبو الحسين الرازي هذا في المنام بعد موته قتيلا له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بقولي عند الموت : اللهم إني نصحت الناس قولاً وبخنت نفسي فعلاً ، فهب خيالة فلي لنصح قولي . ﴿ يموت بن المزرع بن يموت ﴾

أبو بكر العبدى من عبد القيس ، وهو ثوري ، وهو ابن أخت الجلاحظ . قدم بغداد وحدث بها عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني ، وأبي الفضل الريشي ، وكان صاحب أخبار وآداب وملح وقد غير اسمه بمحمد فلم يلق عليه إلا الأول ، وكان إذا ذهب يهود مريضاً ففق الباب فقالوا : من ؟ فيقول ابن المزرع ولا يذكر اسمه لتلا يتفاموا به .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثمائة ﴾

فيها قدم رسول ملك الروم في طلب المفاداة والهدنة ، وهو شاب حدث السن ، ومعه شيخ منهم وعشرون غلاماً ، فلما قدم بغداد شاهد أمراً عظيماً جداً ، وذلك أن الخليفة أمر الجيش والناس بالاحتفال بذلك ليُشاهد ما فيه إرهاب الأعداء ، فركب الجيش بكامله وكان مائة ألف وستين ألفاً ، ما بين فارس وراجل ، غير المساكين الخارجة في سائر البلاد مع نوابها ، فركبوا في الأسلحة والمسدات التامة ، وغلان الخليفة سبعة آلاف ، أربعة آلاف بيض ، وثلاثة آلاف سود ، وهم في غاية الملابس والعدد والخلق ، والحجبة يومئذ سبعمائة حاجب ، وأما الطليحات التي بدجلة والزيارب والسريرات فشئ كثير مزينة ، فحين دخل الرسول دار الخلافة انبهر وشاهد أمراً أدهشه ، ورأى من الحشمة والزينة والحرمة ما يهز الألبصار ، وحين اجتاز بالحاجب غلن أنه الخليفة قتيلا له : هذا العاجب ، فر بالوزير في أهتته فظنه الخليفة قتيلا له : هذا الوزير . وقد زينت دار الخلافة بزينة لم يسمع بمثلاً ، كن فيها من الستور يومئذ ثمانية وثلاثون ألف ستر ، منها عشرة آلاف وخمسمائة ستر منخبة ، وقد بسط فيها اثنتان وعشرون ألف بساط لم ير مثلاً ، وفيها من الوحوش قطعان متنا نسة بالناس ، تأكل من أيديهم

ومائة سبع مع السبابة ، ثم أدخل إلى دار الشجرة ، وهي عبارة عن بركة فيها ماء صاف وفي وسط ذلك الماء شجرة من ذهب وقضة لها ثمانية عشر غصناً أكثرها من ذهب ، وفي الأغصان الشاربخ والأوراق الملوثة من الذهب والفضة واللاآلى والياوقيت ، وهي تصوت بأنواع الأصوات من الماء المساط عليها ، والشجرة بكاملها تتمايل كما تتمايل الأشجار بحركت عجيبة تدعش من براها ، ثم أدخل إلى مكان يسمونه الفردوس ، فيه من أنواع الفاراش والاكات مالا يحصى ولا يوصف كثرة وحسناً . وفي دجالبزه ثمانية عشر ألف جوشن مذهبة . فما زال كلامه على مكان أدهشه وأخذ يبصره حتى انتهى إلى المكان الذى فيه الخليفة المتقدر بالله ، وهو جالس على سرير من آبنوس ، قد فرش بالبريق المطرز بالذهب ، وعن يمين السرير سبعة عشر عنقود معلقة ، وعن يساره مثلها وهي جواهر من أنقى الجواهر ، كل جوهرة يلمع وضوؤها على ضوء النهار ، ليس لوحدة منها قيمة ولا يستطاع تمناها ، فأوقف الرسول والذين معه بين يدي الخليفة على نحو من مائة ذراع ، والوزير على بن محمد بن الفرات واقف بين يدي الخليفة ، والترجمان دون الوزير ، والوزير يخاطب الترجمان والترجمان يخاطبهما ، فلما فرغ منهما خلع عليهما وأطلق لهما خمسين سقراً في كل سقرق خمسة آلاف درهم ، وأخرجهما من بين يديه وطيف بهما في بقية دار الخلافة ، وعلى حافات حجة الفيلة والزراطات والسباع والفهود وغير ذلك ، وحجة داخله في دار الخلافة ، وهذا من أغرب ما وقع من الحوادث في هذه السنة . وحج بالناس فيها الفضل الهاشمي .

وفيهما توفي من الآعيان ﴿ محمد بن أحمد أبو موسى ﴾ النحوى الكوفي المعروف بالمحافظ ، صاحب ثلثين سنة وخلفه في حلقته ، وصنف غريب الحديث ، وخلق الإنسان ، والوحوش والنبات ، وكان ديناً صالحاً ، روى عنه أبو عمر الزاهد . توفي ببغداد في ذى الحجة منها ، ودفن بباب التين . وعبد الله بشرويه الحافظ ، وعمران بن مجاشع ، وأبو خليفة الفضل بن الحباب . وقاسم بن زكريا ابن يحيى المطرز المقرئ أحد الثقات الأثبات ، مع أبا كريب ، وسويد بن سعيد ، وعنه الخطابي وأبو الجعفى توفي ببغداد . ﴿ ثم دخلت سنة ست وثلاثمائة ﴾

في أول يوم من الحرم فتح المارستان الذى ببلته السيدة أم المتقدر وجلس فيه سنان بن ثابت ورتبت فيه الأطباء والخدم والقومة ، وكانت تفتحه في كل شهر سبائة دينار ، وأشار سنان على الخليفة ببناء مارستان ، فقبل منه وبناه وسماه المتندرى . وفيها وردت الأخبار عن أسراء الصوائف بما فتح الله عليهم من الحصون في بلاد الروم . وفيها رجفت العامة وشنعوا بموت المتقدر ، فركب في الجحافل حتى بلغ الثريا ورجع من باب الماسة ووقف كثيراً ليراه الناس ، ثم ركب إلى الشامسية وانحدر إلى دار الخلافة في حجة فسكنت القتن . وفيها قلد المتقدر حامد بن المباس الوزارة وخلع عليه وخرج من

عنده وخلفه أربعمائة غلام لنفسه ، فكث أياماً ثم تبين عجزه عن القيام بالأمور فأضيف إليه علي بن عيسى لينفذ الأمور وينظر منه في الأعمال ، وكان أبو علي بن مقلة ممن يكتب أيضاً بمحضرة حامد ابن العباس الوزير ، ثم صارت الميزة كلها لعل بن عيسى ، واستقل بالوزارة في السنة الآتية . وفيها أمرت السيدة أم المقتدر قهرمانة لها تعرف بشمل أن تجلس بالتربة التي بنتها بالمرافقة في كل يوم جمعة وأن تنظر في المظالم التي ترفع إليها في القصص ، ويحضر في مجلسها القضاة والقهاء . وحج بالناس فيها الفضل الهاشمي .

وفيها توفي . ﴿ إبراهيم بن أحمد بن الحارث ﴾ أبو القاسم السكلاكي الشافعي ، سمع الحارث بن مسكين وغيره ، وكان رجلاً صالحاً ، فقه على منذهب الشافعي وكان يحب الخلوة والاعتقاض ، توفي في شعبان منها . أحمد بن الحسن الصوفي أحد مشايخ الحديث المكثرين المصريين .

﴿ أحمد بن عمر بن سريج ﴾

أبو العباس القاضي بشيراز ، صنف نحو أربعمائة مصنف ، وكان أحد أئمة الشافعية ، ويلقب بالباز الأشهب ، أخذ الفقه عن أبي قاسم الأنماطي وعن أصحاب الشافعي ، كلزني وغيره ، وعنه انتشر منذهب الشافعي في الآفاق ، وقد ذكرنا ترجمته في الطبقات . توفي في جمادى الأولى منها عن سبع وخمسين سنة وستة أشهر . قال ابن خلكان : توفي يوم الاثنين الخمس والعشرين من ربيع الأول وعمره سبع وخمسون سنة وثلاثة أشهر ، وقبره يزار . ﴿ أحمد بن يحيى ﴾ أبو عبد الله الجلابد بغدادى ، سكن الشام وصحب أبا تراب النخعي ، وذا النون المصري ، روى أبو نعيم بسنده عنه قال : قلت لأبوي وأنا شاب : إني أحب أن تهاني لله عز وجل . قالوا : قد وهبناك الله . فغيب عنهما مدة طويلة ثم رجعت إلى بلدنا عشاء في ليلة مطيرة ، فأنهيت إلى الباب فدفقته قالوا : من هذا ؟ فقلت : أنا وقد كاد فلان ، قالوا : إنه قد كان لنا وفد وهبناه لله عز وجل ، ونحن من العرب لا نرجع فيا وهبنا . ولم يفتحوا لي الباب .

﴿ الحسن بن يوسف بن إسماعيل بن حاد بن زيد ﴾

القاضي أبو يعلى ، وهو أخو القاضي أبي عمر محمد بن يوسف ، كان إليه ولاية القضاء بالأردن . ﴿ عبد الله بن أحمد بن موسى بن زيد ﴾ أبو محمد الجواليقي القاضي ، المروفي بميدان ، الأهراسي ، ولد سنة ست عشرة ومائتين ، كان أحد الحفاظ الأثبات ، يحفظ مائة ألف حديث ، جمع المشايخ والأبواب ، روى عن هدية وكليل بن طلحة وغيرهم ، وعنه ابن ساعد والحمالي وغيرهم . ﴿ محمد بن بابشاذ أبو عبيد الله البصري ﴾ سكن بغداد وحدث بها عن حبيد الله بن معاذ المنبري وبشر بن معاذ القندي وغيرهما ، وفي حديثه غرائب ومناكير . توفي في شوال منها .

﴿ محمد بن الحسين بن شهر بار ﴾ أبو بكر القطن البلخي الأصل ، روى عن الفلاس و بشر بن
مناذ . وعنه أبو بكر الشافعي ومحمد بن عمر بن الجصاص . كذبه ابن ناجية . وقال الدارقطني : ليس به بأس .
﴿ محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد ﴾ أبو بكر الضبي القاضي المعروف بوكيع ، كان
علما فاضلا عارفا بأيام الناس ، فيها عارفا نَحْوِيَا ، له مصنفات منها كتاب عدد آي القرآن . ولى القضاء
بالأهواز . وحديث عن الحسن بن عرفة والزيور بن بكار وغيرهما ، وعنه أحمد بن كامل وأبو علي
الصواف وغيرهما . ومن شعره الجيد :

إذا ما غدت طلبة العلم تبتغي * من العلم يوما ما يخلد في الكتب

غدوت بتشهير وجندٍ عليهم * وعجبرني أذنَى ودفترها قلبي

﴿ منصور بن إسماعيل بن عمر ﴾ أبو الحسن الفقير ، أحد أئمة الشافعية ، وله مصنفات في
المنهبة ، وله الشعر الحسن . قال ابن الجوزي : ويظهر في شعره التشيع ، وكان جنديا ثم كف بصره
وسكن الرملة ، ثم قعم مصر ومات بها .

﴿ أبو نصر المذهب ﴾ أحد مشايخ الصوفية ، كان له كرم وسخاء ومروءة ، ومروءة بسائل سأل
وهو يقول : شفيعي إليكم رسول الله ﷺ ، فشق أبو نصر إزاره وأعطاه نصفه ، ثم مشى خطوتين
ثم رجع إليه فأعطاه النصف الآخر وقال : هذا نذالة .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثلاثمائة ﴾

في صفر منها وقع حريق بالكرخ في الباقلاتين ، هلك فيه خلق كثير من الناس . وفي ربيع
الآخر منها دخل بأماري من الكرخ نحو مائة وخمسين أسيرا أُنْزِمَ الأمير بدر الجمالي . وفي ذي
القعدة منها اقتض كوكب عظيم غالب الضوء وتقطع ثلاث قطع ، وسمع بعد اقتضاضه صوت رعد
شديد هائل من غير غيم . ذكره ابن الجوزي . وفيها دخلت القرامطة إلى البصرة فأكثروا فيها
الفساد . وفيها عزل حامد بن العباس عن الوزارة وأعيد إليها أبو الحسن بن الفرات المرة الثالثة .
وفيها كسرت العامة أبواب السجون فأخرجوا من كان بها وأدركت الشرطة من أخرجوا من السجن
فلم يهتم أحد منهم بل ردوا إلى السجون . وحج بالناس فيها أحمد بن العباس أخو أم موسى القهرمانة
وفيها توفي من الأعيان . ﴿ أحمد بن علي بن المتقي ﴾

أبو يعلى الموصلي صاحب المسند المشهور ، سمع الامام أحمد بن حنبل وطبقته ، وكان حافظا
خير أحسن التصنيف عدلا فيما يرويه ، ضابطا لما يحدث به .

﴿ إسماعيل بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن سلمة ﴾ أبو يعقوب البزار الكوفي ، رحل
إلى الشام ومصر ، وكتب الكثير وصنف المسند ، واستوطن بغداد ، وكان من الثقات ، روى عنه

ابن المغيرة الحافظ ، قسم بغداد وروى عنه الطبراني والأزدى وغيرهما من الحفاظ ، وكان ثقة حافظا عارفا . توفي بحلب في هذه السنة .

(زكريا بن يحيى الساجي) القبيح المحدث شيخ أبي الحسن الأشعري في السنة والحديث .
(علي بن سهل بن الأزهر) أبو الحسن الأصهباني ، كان أولا متروفا ثم صار زاهدا عابدا يبق
الأيام لا يأكل فيها شيئا ، وكان يقول : ألهائي الشوق إلى الله عن الطعام والشراب . وكان يقول :
أنا لا أموت كما يموتون بالاعلال والأسقام ، إنما هو دعاء وإجابة ، أدعى فأجيب . فكان كما قال ،
بينما هو جالس في جماعة إذ قال : ليبيك ووقع ميتا .

محمد بن هارون الروي صاحب المسند . وابن دريح الكبير . والمهين بن خلف .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثمائة ﴾

فيها غلت الأسعار في هذه السنة ببغداد فاضطر بت العامة وقصدوا دار حامد بن العباس الذي
ضمن برأي من اغليفة فغلت الأسعار بسبب ذلك ، وعدوا في ذلك اليوم . وكان يوم الجمعة . على
الغلطية ، فتموه الغلطة وكسروا المنابر وقتلوا الشرط وحرقوا جسورا كثيرة ، فأمر الغلطة بقتال
العامة ثم قضى الضمان الذي كان حامد بن العباس ضمنه فأصبحت الأسعار ، وبيع الكر بناقص خمسة
دنانير ، فطابت أنفس الناس بذلك وسكنوا . وفي تموز منها وقع برد شديد جدا حتى نزل الناس
عن الأسطحة وتدنروا بالحف والأكسية ، ووقع في شتاء هذه السنة بلغم عظيم ، وكان فيها برد
شديد جدا بحيث أضر ذلك ببعض النخيل . وحج بالناس فيها أحمد بن العباس أخو القهرمانة .

وفيها توفي من الأعيان (إبراهيم بن سفيان الققي) راوى صحيح مسلم عنه .

(أحمد بن الصلت) بن المغلس أبو العباس الحنالي أحد الوضعين للأحداث ، روى عن خاله
جبارة بن المغلس وأبي نعيم ومسلم بن إبراهيم ، وأبي بكر بن أبي شيبة ، وأبي عبيد القاسم بن سلام
 وغيرهم : أحاديث كلها وضعا هو في مناقب أبي حنيفة وغير ذلك . وحكى عن يحيى بن معين وعلى
ابن المديني وبشر بن الحارث أخبارا كلها كذب . قال أبو الفرج بن الجوزي : قال لي محمد بن أبي
 الفوارس : كان أحمد بن الصلت يضع الحديث .

إسحاق بن أحمد الخراساني . والمفضل الجندی . وعبد الله بن محمد بن وهب الدينوري .

(وعبد الله بن ثابت بن يعقوب) أبو عبد الله المقرئ النحوي التوزي ، سكن بغداد ، وروى

عن عمرو بن شبة ، وعنه أبو عمرو بن السكك . ومن شعره الجيد :

إذا لم تكن حافظا وأعيك • فملك في البيت لا ينفع

وتحضر بالجل في مجلس • وملك في الكتب مستودع

ومن يك في دهره هكنا • يكن دهره القهري يرجع

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثمائة ﴾

فيها وقع حريق كثير في نواحي بغداد بسبب زنديق قتل فأتى من كان من جهته الحريق في أماكن كثيرة ، فهلك بسبب ذلك خلق كثير من الناس . وفي جمادى الأولى منها قتل المقتدر مؤنس الخادم بلاد مصر والشام ولبه المظفر . وأمر بكتب ذلك في المراسلات إلى الآفاق . وفي ذي القعدة منها أحضر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري إلى دار الوزير عيسى بن علي لمناظرة الخنابلة في أشياء تقوموا عليه ، فلم يحضروا ولا واحد منهم . وفيها قدم الوزير حامد بن العباس للخليفة بستائاً بناء وسماه الناعورة قيمته مائة ألف دينار ، وفرش مساكنه بأنواع المفارش المتفخرة . وفيها كان مقتل الحسين بن منصور الحلاج ، ولقد كرّسنا من ترجمته وسيرته ، وكيفية قتله على وجه الاختصار وبيان المقصود بطريق الانصاف والعدل ، من غير تحمل ولا هوى ولا جور .

﴿ وهذه نبذة من سيرته وأحواله وكشف سيرته وأقواله ﴾

وهن نمود بالله أن نقول عليه ما لم يكن قاله ، أو نتحمل عليه في أقواله وأفعاله ، فنقول : هو الحسين ابن منصور بن محي الحلاج أبو منيث ، ويقال أبو عبد الله ، كان جده مجوسياً اسمه محي من أهل فارس من بلدة يقال لها البيضاء ، ونشأ بواسط ، ويقال بقتسر ، ودخل بغداد وتردد إلى مكة وجاور بها في وسط المسجد في البرد والحر ، مكث على ذلك سنوات متفرقة ، وكان يصابر نفسه ويجاهدها ، ولا يجلس إلا تحت السماء في وسط المسجد الحرام ، ولا يأكل إلا بض قرص ويشرب قليلاً من الماء منه وقت الفطور مدة سنة كاملة ، وكان يجلس على صخرة في شدة الحر في جبل أبي قبيس ، وقد صحب جماعة من سادات المشايخ الصوفية ، كالجنيد بن محمد ، وعمر بن عثمان المكي ، وأبي الحسين النوري . قال الخطيب البغدادي : والصوفية مختلفون فيه ، فأكرم في أن يكون الحلاج منهم ، وأبي أن يمدح فيهم ، وقبله من متقدمهم أبو العباس بن عطاء البغدادي ، ومحمد بن خفيف الشيرازي ، وإبراهيم بن محمد النصراني النيسابوري ، ومحسوا له حاله ، ودونوا كلامه ، حتى قال ابن خفيف : الحسين بن منصور عالم رباني . وقال أبو عبد الرحمن السلمي - واسمه محمد بن الحسين - سمعت إبراهيم ابن محمد النصراني وعوتب في شيء حكى عن الحلاج في الروح فقال قندي ماتبه : إن كان بسد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج . قال أبو عبد الرحمن : وسمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الشبل يقول : كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً ، إلا أنه أظهر وكتمت . وقد روى عن الشبل من وجه آخر أنه قال ، وقد رأى الحلاج مصلوباً . ألم أنك من المألين ؟ قال الخطيب : والذين يفهم من الصوفية لسبوه إلى الشبهة في فعله ، وإلى الزندقة في عقيدته وعقده . قال : وله إلى

الآن أصحاب ينسبون إليه وينالون فيه وينلون . وقد كان الحلاج في عبارته حلو المنطق ، وله شعر على طريقة الصوفية . قلت : لم يزل الناس منذ قتل الحلاج مختلفين في أمره ، فأما القتها تخشى عن غير واحد من العلماء والأئمة إجماعهم على قتله ، وأنه قتل كافراً ، وكان كافراً آمخراً بمومها مشبهنا ، وبهذا قال أكثر الصوفية فيه . ومنهم طائفة كما تحسم أجملوا القول فيه ، وغرّم ظاهره ولم يطلعوا على باطنه ولا باطن قوله ، فانه كان في ابتداء أمره فيه تمرد وتآله وسلوك ، ولكن لم يمكن له علم ولا بى أمره وحاله على تقوى من الله ورضوان . فلها كان ما يشده أكثر مما يصلحه . وقال سفيان بن عيينة : من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى ، ولهذا دخل على الحلاج الحلول والاتحاد ، فصار من أهل الانحلال والانحراف . وقد روى من وجه أنه تقلبت به الأحوال وتردد إلى البلدان ، وهو في ذلك كله يظهر للناس أنه من البدة إلى الله عز وجل . وصح أنه دخل إلى الهند وتلم بها السحر وقال : أدعو به إلى الله ، وكان أهل الهند يكتاثونه بالمغيث - أى أنه من رجال النيث - ويكتبه أهل سركان بالمقيت . ويكتبه أهل خراسان بالمميز ، وأهل فارس بأبى عبد الله الزاهد . وأهل خوزستان بأبى عبد الله الزاهد حلاج الاسرار . وكان بعض البنادقة حين كان عندهم يقولون له : المصطلم . وأهل البصرة يقولون له : الحير ، ويقال إنما سماه الحلاج أهل الأهواز لأنه كان يكشفهم عن ما في ضمائرهم ، وقيل لأنه مرة قال حلاج : اذهب لى فى حاجة كذا وكذا ، فقال : إنى مشغول بالحلاج ، فقال : اذهب فأنا أحلج عنك ، فذهب ورجع سريعاً فإذا جميع ما فى ذلك الحزن قد حلج ، يقال إنه أشار بالمرود فامتاز الحب عن القطن ، وفى صحة هنا ونسبته إليه نظر ، وإن كان قد جرى مثل هذا ، فالشياطين تميز أصحابها ويستخفونهم . وقيل لأن أباه كان حلاجياً . وبما يدل على أنه كان ذا حلول فى بده أمره أشياء كثيرة ، منها شعره فى ذلك فن ذلك قوله :

جيت روحك فى روحى كما • يجيل المنير بالمسك القنق

فذا مسك شئ مسى • وإذا أنت أنا لا تفتري

مزجت روحك فى روحى كما • تمزج الحرة بالله الزلال

فذا مسك شئ مسى • فذا أنت أنا فى كل حال

قد تحققتك فى سر • ي غاطبك لسانى

فاجتمعنا لمان • وافترقنا لمان

إن يكن فيبك التعلية • من لظ العين

فلقد صيرك الوب • د من الاحشاء دان

وقوله أيضاً

وقد أنشد لابن عطاء قول الخلاج .

أريدك لا أريدك للثواب • ولكني أريدك للمعقاب

وكل ما ربي قد نلت منها • سوى ملة وذو جدي بالعقاب

قال ابن عطاء : قال هذا ما تزايد به عناد الشنف وهيام الكلف ، واحترق الأسف ، فإذا صفا ووفقا علا إلى مشرب عنب وهامل من الحق دائم سكب . وقد أنشد لأبي عبد الله بن خفيف قول الخلاج :

سبحان من أظهر ناسوته • سرسنا لا هوته الثاقب

ثم بنا في خلقه ظاهراً • في صورة الأكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه • كلحظة الحاجب بالحجاب

قال ابن خفيف : علان يقول هذا لعنه الله ؟ فقيل له : إن هذا من شعر الخلاج ، فقال : قد يكون مقولاً عليه . ويلسب إليه أيضاً :

أو شكت تسأل عني كيف كنت • وما لا قيت بك من هم وحزن

لا كنت إن كنت أدرى كيف كنت • ولا لا كنت أدرى كيف لم أكن

قال ابن خلكان : وروى لسنون لـ الخلاج . ومن شعره أيضاً قوله :

مق سهرت عيني لفيرك أوبكت • فلا أعطيت ما أملت وتمنت

وإن أضمرت نفسي سواك فلا زكت • رياض المني من وجنتيك وجنت

ومن شعره أيضاً :

دنيا تغالطني كاذ • في لست أعرف حالها

حظر المليك حرامها • وأنا احتضيت حلالها

فوجدتها محتاجة • فوهبت لثتها لها

وقد كان الخلاج يتلون في ملابسه ، فتارة يلبس لباس الصوفية وتارة بتجرد في ملابس زرية ، وتارة يلبس لباس الأجناد ويمشعر أبناء الأغنياء والملوك والأجناد . وقد رآه بعض أصحابه في ثياب رثة ويده ركة وعكازة وهو سأل فقال له : ما هذه الحالة يا خلاج ؟ فأشأ يقول :

لئن أوسيت في ثوبي عديم • لقد بلبا على حره كريم

فلا يفررك أن أبصرت حالاً • منيرة عن الحال القديم

فلى نفس ستلتف أو سترقى • لمرك بي إلى أمر جسيم

ومن مستجاد كلامه وقد سأله رجل أن يوصيه بشئ ينفعه الله به . فقال : عليك نفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك عن الحق . وقال له رجل : عظمي . فقال : كن مع الحق بحكم ما أوجب .

وروى الخطيب بسنده إليه أنه قال : علم الأولين والآخرين مرجعه إلى أربع كلمات : حب الجليل
و بنض القليل ، واتباع التنزيل ، وخوف التحويل .

قلت : وقد أخطأ الحلاج في المقامين الأخيرين ، فلم يتبع التنزيل ولم يبق على الاستقامة بل
تحول عنها إلى الاعوجاج والبدعة والضلالة ، نسأل الله العافية .

وقال أبو عبد الرحمن السلي عن عمرو بن عثمان المكي : أنه قال : كنت أمتشى الحلاج في بعض
أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءته فقال : يمكنني أن أقول مثل هذا ، فزارته . قال الخطيب :
وحدثني مسعود بن ناصر أبنائنا ابن بكرا الشيرازي سمعت أبا زرعة الطبري يقول : الناس فيه
- يعني حسين بن منصور الحلاج - بين قبول ورد ولكن سمعت محمد بن يحيى الرازي يقول سمعت
عمرو بن عثمان يلمنه ويقول : لو قدرت عليه لقتلته بيدي . قلت له : إني ألقى وجد الشيخ عليه ؟
قال قرأت آية من كتاب الله فقال : يمكنني أن أولفت مثله وأتكلم به . قال أبو زرعة الطبري :
وسمعت أبا يعقوب الأقطع يقول : زوجت ابنتي من الحسين الحلاج لما رأيت من حسن طريقتة
واجتهاده ، فبان لي منه بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتل ، خيث كافر . قلت : كان تزويجه لإيها
بمكة ، وهي أم الحسين بنت أبي يعقوب الأقطع فأولدها وله أحمد بن الحسين بن منصور ، وقد
ذكر سيرة أبيه كما ساقها من طريق الخطيب . وذكر أبو القاسم القشيري في رسالته في باب حفظ
قلوب المشايخ : أن عمرو بن عثمان دخل على الحلاج وهو بمكة وهو يكتب شيئا في أوراق فقال له :
ما هذا ؟ فقال : هو ذا أعارض القرآن . قال : فضا عليه فلم يخلع منها ، وأفكر على أبي يعقوب
الأقطع تزويجه لإيها ابنته . وكتب عمرو بن عثمان إلى الأفاق كتباً كثيرة يلمنه فيها ويحذو الناس
منه ، فشرد الحلاج في البلاد فاضت يميناً وشمالاً ، وجعل يظهر أنه يدعو إلى الله ويستعين بأنواع من
الحيل ، ولم يزل ذلك دأبه وشأنه حتى أحل الله به بأسه ألقى لا يرد عن القوم المجريين ، قتلته بسيف
الشرع ألقى لا يقع إلا بين كفتي زنديق ، والله أعلم من أن يسلطه على صديق ، كيف وقد تهجم
على القرآن العظيم ، وقد أراد معارضته في البلد الحرام حيث نزل به جبريل ، وقد قال تعالى (ومن يرد
فيه بلطاد يظلم نذقه من عذاب أليم) ولا الحاد أعظم من هذا . وقد أشبه الحلاج كفار قرشي في
معاندتهم ، كما قال تعالى عنهم (وإذا تلى عليهم آياتنا قلوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا
إلا أساطير الأولين)

(ذكر أشياء من حيل الحلاج)

روى الخطيب البغدادي أن الحلاج بث رجلاً من خلسة أصحابه وأمره أن ينهب بين يديه إلى بلد
من بلاد الجبل ، وأن يظهر لهم العبادة والصلاح والزهد ، فإذا رأهم قد أقبلوا عليه وأحبوه واعتقدوه
أظهر لهم أنه قد حدى ، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد تمسك ، فإذا سموا في مداواته ، قال لهم : يا جماعة

الخيرة ، إنه لا ينقضي شيء مما تفعلون ، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو
 يقول له : إن شفاك لا يكون إلا على يدي القطب ، وإنه سيقدم عليك في اليوم الغد في الشهر
 الغدائي ، وصفته كذا وكذا . وقال له الحلاج : إني سأقدم عليك في ذلك الوقت . فذهب ذلك
 الرجل إلى تلك البلاد فأقام بها يتعبد ويظهر الصلاح والتسك ويقرأ القرآن . فأقام مدة على ذلك
 فاعتقده وأحبوه ، ثم أظهر لهم أنه قد عمى فكث حيناً على ذلك ، ثم أظهر لهم أنه قد زمن ، فسموا
 بمداواته بكل ممكن فلم ينتج فيه شيء ، فقال لهم : يا جماعة الخير هذا الذي تفعلونه معي لا ينتج
 شيئاً وأنا قد رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول لي : إن عافيتك وشفاك إنما هو على يدي
 القطب ، وإنه سيقدم عليك في اليوم الغدائي في الشهر الغدائي ، وكأثراً أو لا يقودونه إلى المسجد ثم
 صاروا يصحبونه ويكرهونه كل في الوقت الذي ذكر لهم ، واتفق هو والحلاج عليه ، أقبل الحلاج حتى
 دخل البلد مخفياً وعليه ثياب صوف بيض ، فدخل المسجد ولزم سارية يتعبد فيه لا يلتفت إلى
 أحد ، ففره الناس بالصفات التي وصف لهم ذلك الليل ، فابتدروا إليه يسلمون عليه ويتمسحون
 به ، ثم جاؤا إلى ذلك الزمن المتفق فأخبره بخبره ، فقال : صفه لي ، فوصفه له فقال : هذا الذي
 أخبرني عنه رسول الله ﷺ في المنام ، وأن شفاي على يديه ، أخبروا بي إليه . فخلوه حتى وضعوه
 بين يديه فكلّمه ففره فقال : يا أبا عبد الله إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام . ثم ذكر له
 رؤياه ، فرغ الحلاج يديه فسطا له ثم قتل من ريقه في كفيه ثم مسح بهما على عينيه ففتحهما كأن لم
 يكن بهما داء قط فأبصر ، ثم أخذ من ريقه فمسح على رجله فقام من ساعته فشي كأنه لم يكن به
 شيء والناس حضور ، وأمرأه تلك البلاد وكبرأؤهم عنده ، فضج الناس ضجة عظيمة وكبروا الله
 وسبحوه وعظموا الحلاج تعظيماً زائداً على ما أظهر لهم من الباطل والزور . ثم أقام عندهم مدة
 يكرمونه ويعظمونه ويودون لوطب منهم ما عساه أن يطلب من أموالهم . فلما أراد الخروج عنهم
 أرادوا أن يجسموا له مالا كثيراً فقال : أما أنا فلا حاجة لي بالدنيا ، وإنما وصلنا إلى ما وصلنا إليه
 بترك الدنيا ، ولعل صاحبكم هذا أن يكون له إخوان وأصحاب من الأبدال الذين يجاهدون بشعر
 طرسوس ، ويحجون ويتصدقون ، محتاجين إلى ما يمينهم على ذلك . فقال ذلك الرجل المتزامن
 المتعاقب : صدق الشيخ ، قد رد الله على بصري ومن الله على بالماقية ، لأجلن بقية عمرى في الجهاد
 في سبيل الله ، والحج إلى بيت الله مع إخواننا الأبدال والصلحين الذين نرفهم ، ثم ختمهم على
 إعطائهم من المال ما طابت به أنفسهم . ثم إن الحلاج خرج عنهم ومكث ذلك الرجل بين أظهرهم
 مدة إلى أن جموا له مالا كثيراً أوفوا من الذهب والفضة ، فلما اجتمع له ما أراد ودعهم وخرج عنهم
 فتنهب إلى الحلاج فأقسما ذلك المال .

وروى عن بعضهم قال : كنت أسمع أن الحلاج له أحوال وكرامات فأحببت أن أختبر ذلك فبنته فسلمت عليه فقال لي : تشتهي على الساعة شيئاً ؟ قلت : أشتهي ممكاً طرياً . فدخل منزله فغاب ساعة ثم خرج على وسمه ممكاً مضطرب ورجلاه عليهما الطين . قال : دعوت الله فأمرني أن آتي البطائح لآتيك بهذه السمكة ، فغضت الأهواز وهذا الطين منها . قلت : إن شئت أدخلتني منزلك حتى أنظر ليقوى يقيني بذلك ، فان ظهرت على شيء وإلا آمنت بك . قال : ادخل ، فدخلت فأغلق على الباب وجلس برأى . فدرت البيت فلم أجده فيه منفذاً إلى غيره ، فتحويرت في أمره ثم نظرت فإذا أنا بتأزرة - وكان مؤزراً بإزار ساج - فحركتها فافتلقت فإذا هي باب منفذ فدخلته فأففضني إلى بستان هائل ، فيه من سائر الثمار الجديدة والعتيقة ، قد أحسن إقامها . وإذا أشياء كثيرة مسدودة للأكل ، وإذا هناك بركة كبيرة فيها ممك كثير صفار وكبار ، فدخلتها فأخرجت منها واحدة فقال رجل من الطين مثل الذي قال رجله ، فحنت إلى الباب فقلت : افتتح قد آمنت بك . فلما رأيته على مثل حاله أسرع خلفي جرياً يريد أن يقتلني . فضربته بالسكة في وجهه وقلت : يا عبد الله أتنبئني في هذا اليوم . ولما خلصت منه لقيتني بعد أيام فضاحكني وقال : لا تنفس ما رأيته لأحد وإلا بنت إليك من يقتلك على فراشك . قال : ففكرت أنه يفعل إن أنشيت عليه فلم أحدث به أحداً حتى صلب .

وقال الحلاج يوماً لرجل : آمن بي حتى أبش لك بصفورة تأخذ من ذوقها وزن حبة فتضمه على كذا منا من نحاس فيصير ذهباً . قال له الرجل : آمن أنت بي حتى أبش إليك بقيل إذا استلقى على قفاه بلغت قوائمه إلى السماء ، وإذا أردت أن تخفيه وضعتني في إحدى عينيك . قال : فهبت وسكت . ولما ورد بغداد جعل يدعو إلى نفسه ويظهر أشياء من الحمايق والشعوة وغيرها من الأحوال الشيطانية ، وأكثر ما كان يروج على الرافضة فسلط إلى الإيمان به فقال له الرافضي : إني رجل أحب النساء وإني أصلم الرأس ، وقد شئت ، فان أنت أذهبت عني هذا وهذا آمنت بك وأنت الامام المعصوم ، وإن شئت قلت إني نبي ، وإن شئت قلت إني لك أنت الله . قال : فهبت الحلاج ولم يجر إليه جواباً .

قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي : كان الحلاج متلوفاً قارة بلبس السوح ، وقارة بلبس الدواعي ، وقارة بلبس القباء ، وهو مع كل قوم على منحهم : إن كانوا أهل سنة أو رافضة أو معتزلة أو صوفية أو فساقاً أو غيرهم ، ولما أقام بالأهواز جعل ينفق من دوايم يخرجها يسبها دراهم القدوة ، فسل الشيخ أبو علي الجبائي عن ذلك فقال : إن هذا كله مما يناله البشر بالخلية ، ولكن أخلوه بيتاً لا منفذ له ثم سلوه أن يخرج لكم جردتين من شوك . فلما بلغ ذلك الحلاج تحول من الأهواز . قال

الخطيب : أنبأ إبراهيم بن محمد أنبأ إسماعيل بن علي الخطيب في تاريخه قال : وظهر أنس رجل يقال له الحلاج الحسين بن منصور ، وكان في حبس السلطان بسماية وقت به ، وذلك في وزارة علي بن عيسى الأولى ، وذكر عنه ضروب من الزندقة ووضع الحيل على تضليل الناس ، من جهات تشبه الشعوذة والسحر ، وأداء النبوة ، فكشفه علي بن عيسى عند قبضه عليه وأنهى خبره إلى السلطان .

يعنى الخليفة المقتدر بالله . فلم يترجأ رضى به من ذلك فعاقبه وصلبه حياً أياماً متوالية في رجة الجسر ، في كل يوم غدوة ، وينادى عليه بما ذكر عنه ، ثم ينزل به ثم يحبس ، فأقام في الحبس سنين كثيرة ينقل من حبس إلى حبس ، خوفاً من إضلاله أهل كل حبس إذا طالت مدته عندهم ، إلى أن حبس آخر حبسه في دار السلطان ، فاستغوى جماعة من غلمان السلطان وموّه عليهم واستلهم بضروب من الحيل ، حتى صاروا يحمونه ويدفون عنه ويرفونه بالأكسكل المطيبة ، ثم راسل جماعة من الكتّاب وغيرهم ببغداد وغيرها ، فاستجابوا له وترقى به الأمر إلى أن ادعى الربوبية ، وسعى بجماعة من أصحابه إلى السلطان قبض علىهم ووجد عند بعضهم كتب تدل على تصديق ما ذكر عنه ، وأقر بعضهم بذلك بلسانه ، وألشخ خبره وتكلم الناس في قتله ، فأمر الخليفة بتسليمه إلى حامد بن العباس ، وأمره أن يكشفه بمحضرة القضاة والعلماء ويجمع بينه وبين أصحابه ، فجري في ذلك خطوط طوال ، ثم استيقن السلطان أمره ووقف على ما ذكر عنه ، وثبت ذلك على يد القضاة وأفتى به العلماء فأمر بقتله وإحراقه بالنار ، فأحضر مجلس الشرطة بالجانب الغربي في يوم الثلاثاء لتسع بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة ، فضرب بالسياط نحواً من ألف سوط ، ثم قطعت يده ورجلاه ، ثم ضربت عنقه ، وأحرقت جثته بالنار ، ونصب رأسه للناس على سور الجسر الجديد وعلقت يده ورجلاه .

وقال أبو عبد الرحمن بن الحسن السلي : سمعت إبراهيم بن محمد الواعظ يقول قال أبو القاسم الرازى قال أبو بكر بن مشاذ : حضر عندنا بالدينور رجل ومعه غلالة فما كان يفارقها ليلاً ولأنهاراً ، فأنكروا ذلك من حاله ففتشوا غلالته فوجدوا فيها كتاباً للحلاج عنوانه : من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان . يدعوه إلى الضلالة والإيمان به . فبث بالكتاب إلى بغداد فستل الحلاج عن ذلك فأقر أنه كتبه فقالوا له : كنت تدعى النبوة فصرت تدعى الألوهية والربوبية ؟ فقال : لا ولكن هذا عين الجمع عندينا . هل السالك إلا الله وأنا واليد آله ؟ فقيل له : ملك على ذلك أحد ؟ قال : نعم ابن عطاء وأبو محمد الحريري وأبو بكر الشبلي . فستل الحريري عن ذلك فقال : من يقول بهذا كافر . وستل الشبلي عن ذلك فقال : من يقول بهذا ينجح . وستل ابن عطاء عن ذلك فقال : القول ما يقول الحلاج في ذلك . فعوقب حتى كان سبب هلاكه . ثم روى أبو عبد الرحمن السلي عن محمد بن عبد الرحمن الرازى أن الوزير حامد بن العباس لما أحضر الحلاج سأله عن اعتقاده فأقر به فكتبه ، فسأل عن ذلك

فهباه بئداد فأنكر وا ذلك وكفروا من إعتقده ، فكتبه . قال الوزير : إن أبا المباسين بن عطاء يقول بهذا . قالوا : من قال بهذا فهو كافر . ثم طلب الوزير ابن عطاء إلى منزله فجاء فجلس في صدر المجلس فسأله عن قول الحلاج فقال : من لا يقول بهذا القول فهو بلا اعتقاد . قال الوزير لابن عطاء : ويحك تصوب مثل هذا القول وهذا الاعتقاد ؟ قال ابن عطاء : مالك ولهذا ، عليك بما نصبت له من أخذ أموال الناس وظلمهم وقتلهم فإلك ولكلام هؤلاء السادة من الأولياء . فأمر الوزير عند ذلك بضرب شذقيه ونزع خفيه وأن يضرب بهما على رأسه ، فما زال يفعل به ذلك حتى سال الدم من منخره ، وأمر يسجنه . قالوا له : إن العامة تستوحش من هذا ولا يسيحها . فحمل إلى منزله ، قال ابن عطاء : اللهم اقله واقطع يديه ورجليه . ثم مات ابن عطاء بعد سبعة أيام ، ثم بعد مدة قتل الوزير بشر قتلة ، وقطعت يده ورجلاه وأحرقت داره . [وكان الروام يرون ذلك بدعوة ابن عطاء حبلى عادتهم في مراتبهم فيمن أودى عن لهم منه هوى . بل قد قال ذلك جماعة ممن ينسب إلى العلم فينن يؤذى ابن عربي أو يحط على حسين الحلاج أو غيره . هنا بخطيئة فلان] ^(١) وقد اتفق علماء بئداد على كفر الحلاج وزندقته ، وأجمعوا على قتله وصلبه ، وكان علماء بئداد إذ ذاك هم الدنيا .

قال أبو بكر محمد بن داود الظاهري حين أخضر الحلاج في المرة الأولى قبل وفاة أبي بكر هذا وسئل عنه فقال : إن كان ما أنزل الله على نبيه ﷺ حقا وما جاء به حقا فما يقوله الحلاج باطل . وكان شديدا عليه : وقال أبو بكر الصولي : قد رأيت الحلاج وخاطبته فرأيت به جاهلا يتعالم ، وغيبا يتبالغ ، وخبيثا مدعيا ، ورافعا يزهد ، وفاجرا يتعبد . ولما صلب في أول مرة وودى عليه أربعة أيام سمعه بعضهم وقد جى به ليصلب وهو راكب على بقرة يقول : ما أنا بالحلاج ، ولكن ألقى على شبهه وغلب عنكم فلما أدى إلى الخشبة ليصلب عليها سمعته وهو مصلوب يقول : يا معين الفناء على أعنى على الفناء . وقال بعضهم سمعته وهو مصلوب يقول : إلهي أصبحت في دار الرغائب ، أنظر إلى المعائب ، إلهي إنك تتروّد إلى من يؤذيك فكيف بن يؤذى فيك .

(ذكر صفة مقتل الحلاج)

قال الخطيب البندادي وغيره : كان الحلاج قد قدم آخر قدمة إلى بئداد فصحب الصوفية وانسحب إليهم ، وكان الوزير إذ ذاك حميد بن المباس ، فبلنه أن الحلاج قد أضل خلقا من الحشم والحجاب في دار السلطان ، ومن غلمان نصر القشوري الحاجب ، وجعل لهم في جملة ما أذاعه أنه يحيى الموتى ، وأن الجن يخدمونه ويحضرون له ما شاء ويختار ويشتهي . وقال : إنه أضيأ عدة من الطير . وذكر لى بن عيسى أن رجلا يقال له محمد بن طي القناني الكاتب يعبد الحلاج ويدعو الناس إلى

طاعته فطلبه فكبس منزله فأخذه فأقر أنه من أصحاب الحلاج ، ووجد في منزله أشياء بخط الحلاج مكتوبة بما الذهب في ورق الحرير مجلدة بأغفر الجلود . ووجد عنده سقفاً فيه من رجيع الحلاج وعذرفته وبوله وأشياء من آثاره ، وبقية خبز من زاده . فطلب الوزير من المقتدر أن يتكلم في أمر الحلاج ففوض أمره إليه ، فاستدعى بجماعة من أصحاب الحلاج قهدهم فاعترفوا له أنه قدصح عندهم أنه إله مع الله ، وأنه يحيي الموتى ، وأنهم كاشفوا الحلاج بذلك ورموه به في وجهه ، فجمع ذلك وكتبهم وقال : أعود بالله أن أدعى الربوبية أو النبوة ، وإنما أنا رجل أعبد الله وأكثر له الصوم والصلاة وفعل الخير ، لا أعرف غير ذلك . وجعل لا يزيد على الشهادتين والتوحيد ، ويكثر أن يقول : سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فأغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . وكانت عليه مدرعة سوداء وفي رجليه ثلاثة عشر قيداً ، والمدرعة واصله إلى ركبتيه ، والقيد واصله إلى ركبتيه أيضاً ، وكان مع ذلك يصل في كل يوم ليلة ألف ركعة .

وكان قبل احتياط الوزير حامد بن العباس عليه في حجرة من دار نصر القشوري الحاجب ، مأذونة لمن يدخل إليه ، وكان يسمى نفسه قارة بالحسين بن منصور ، وقارة محمد بن أحمد الفارسي ، وكان نصر الحاجب هذا قد افتتن به وظن أنه رجل صالح ، وكان قد أدخله على المقتدر بالله فرآه من وجع حصل له فاتفق زواله عنه ، وكذلك وقع لوالدة المقتدر السيدة رقاها فزال عنها ، فنفق سوقه وحظي في دار السلطان : فلما انتشر الكلام فيه سلم إلى الوزير حامد بن العباس فحبسه في قيود كثيرة في رجليه ، وجمع له الفقهاء فأجبعوا على كفره وزندقته ، وأنه ساحر ممخوق . ورجع عنه رجلان صالحان ممن كان اتبعه أحدهما أبو علي هارون بن عبد العزيز الأوارجي ، والآخر يقال له العباس ، فذكرا من فضائله وما كان يدعو الناس إليه من الكذب والفجور والخرفة والسحر شيئاً كثيراً ، وكذلك أحضرت زوجة ابنه سليمان قد كرت عنه فضائح كثيرة . من ذلك أنه أراد أن ينشأها وهي ثائمة فاقبعت فقال : قومي إلى الصلاة ، وإنما كلن يريد أن يطأها . وأمر ابنتها بالسجود له فقالت : أو يسجد بشر لبشر ؟ فقال : نعم إله في السماء وإله في الأرض . ثم أمرها أن تأخذ من تحت يارية هناك ما أرادت ، فوجدت تحتها دنانير كثيرة مبدورة . ولما كلن مقتلاً في دار حامد بن العباس الوزير دخل عليه بعض الثملان ومعه طبق فيه طعام لياً كل منه ، فوجده قد ملأ البيت من سقفه إلى أرضه ، فذهر ذلك السلام وفزع فرحاً شديداً ، وألقى ما كلن في يده من ذلك الطبق والطعام ، ورجع محمواً فرض عدة أيام .

ولما كان آخر مجلس من مجالسه أحضر القاضي أبو عمر محمد بن يوسف وجي الحلاج وقد أحضر له كتاب من دور بعض أصحابه وفيه : من أراد الحج ولم يتيسر له فليمن في داره بيتاً لا يناله شيء من

النجاسة ولا يمكن أحداً من دخوله ، فإذا كان في أيام الحج فليصم ثلاثة أيام وليطف به كما يطاف
بالكعبة ثم يفعل في داره ما فعله الحبيب بمكة ، ثم يستدعي بثلاثين يتيماً فيطعمهم من طعامه ،
ويتولى خدمتهم بنفسه ، ثم يكوم قيصاً قيصاً ، ويمطي كل واحد منهم سبعة دراهم - أو قال ثلاثة ،
دراهم - فإذا فعل ذلك قام له مقام الحج . وإن من صام ثلاثة أيام لا يفطر إلا في اليوم الرابع على ورقت
هندبا أجزأه ذلك عن صيام رمضان . ومن صلى في ليلة ركعتين من أول الليل إلى آخره أجزأه ذلك
عن الصلاة بعد ذلك . وأن من جاور بمقابر الشهداء ومقابر قریش عشرة أيام يصلي ويدعو ويصوم
ثم لا يفطر إلا على شيء من خبز الشعير والملح الجريش أغناه ذلك عن العبادة في بقية عمره . فقال له
القاضي أبو عمر : من أين لك هذا ؟ قال : من كتاب الاخلاص للحسن البصري . فقال له : كذبت
يا حلال الدم ، قد سمعنا كتاب الاخلاص للحسن بمكة ليس فيه شيء من هذا . فأقبل الوزير على
القاضي فقال له : قد قلت يا حلال الدم ما كتب ذلك في هذه الورقة ، وألح عليه وقدم له الدواء
فكتب ذلك في تلك الورقة ، وكتب من حضر خطوطهم فيها وأفناها الوزير إلى المنتد ، وجعل
الحلاج يقول لهم : ظهري حى ودى حرام ، وما يحل لكم أن تتأولوا على ما يديحه ، واعتقادي
الأسلام ، ومنهجي السنة ، وتفضيل أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن
ابن عوف وأبي عبيدة بن الجراح ، ولى كتب في السنة موجودة في الأوراق بالله الله في دعى . فلا
يلتفتون إليه ولا إلى شيء مما يقول . وجعل يكرر ذلك وهم يكتبون خطوطهم بما كان من الأمر ، ورد
الحلاج [إلى محبيه وتأخر جواب المنتد ثلاثة أيام حتى ساء ظن الوزير حامد بن العباس ، فكتب
إلى الخليفة يقول له : إن أمر الحلاج]^(١) قد اشتهر ولم يختلف فيه اثنان وقد افتن كثير من الناس
به . فجاء الجواب بأن يسلم إلى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة . وليضر به ألف سوط ، فان
مات وإلا ضربت عنقه . فرح الوزير بذلك وطلب صاحب الشرطة فسله إليه وبعث معه طائفة من
غلمانهم يصلونه معه إلى محل الشرطة من الجانب الغربي خوفاً من أن يستقذ من أيديهم . وذلك بعد
عشاء الآخرة في ليلة الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة من هذه السنة ، وهو راكب على بغل عليه
إكاف وحوله جماعة من أعوان السياسة ، على مثل شكله ، فاستقر منزله بدار الشرطة في هذه الليلة ،
فذكر أنه بات يصلي تلك الليلة ويدعو دعاء كثيراً . قال أبو عبد الرحمن السلي : سمعت أبا بكر الشاشي
يقول قال أبو الحديد - يعني المصري - : لما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها الحلاج قام يصلي من الليل
فصلى ماشاء الله ، فلما كان آخر الليل قام قائماً فتخطى بكسائه وبد يده نحو القبلة فتكلم بكلام جائز
الحفظ ، فكان مما حفظت منه قوله : نحن شواهدك فلو دلتنا عزتك لتبدي ماشئت من شأنك

ومشيئتك ، وأنت التي في السماء إله ، وفي الأرض إله ، تتجلى لما تشاء مثل تجليتك في مشيئتك كأحسن الصورة ، والصورة فيها الروح الناطقة بالملم والبيان والقدرة ، ثم إنى أوعزت إلى شاهدك لأننى في ذاتك الهوى كيف أنت إذا مثلت بذاتى عند حلول لذاتى ، ودعوت إلى ذاتى بذاتى ، وأبديت حقائق علوى ومعجزاتى ، صاعداً فى معارجى إلى عروش أزليتى عند التولى عن بريأتى ، إنى انحضرت وقتلت وصلبت وأحرقت واحتملت ساقيل القاريات . ولججت فى الجاريات ، وأن ذرة من ينجوج مكان هالك متجلياتى ، لأعظم من الراسيات . ثم أنشأ يقول :

أنى إليك نفوسا طامح شاعدها • فباورا الحيث بل فى شاهد القدم
أنى إليك قلوبا طالما هطلت • سحائب الوحي فيها أبجر الحكم
أنى إليك لسان الحق منك ومن • أودى وتذكاره فى الوهم كالنعم
أنى إليك بيانا يستكين له • أقوال كل فصيح مقول فهم
أنى إليك إشارات العقول ممّا • لم يبق منهن إلا دارس العلم
أنى وجهك أخلاقا لطافه • كانت مطالهم من مكمد الكظم
مضى الجميع فلا عين ولا أثر • مضى عاد وفقدان الأولى لدم
وخلفوا معشراً يحنون لبستهم • أعمى من البهم بل أعمى من النعم
قالوا : ولما أخرج الخلاج من المنزل الذى بات فيه لينهب به إلى القتل أنشد :

طلبت المستقر بكل أرض • فلم أدل بأرض مستقرا
وذقت من الزمان وذائق منى • وجدت مذاقه حلوا ومرّا
أطمت مطامعى فاستمعدتني • ولو أنى قنعت لعمت حرا

وقيل : إنه فلما حين قسم إلى الجنح ليصلب ، والمشهور الأول . فلما أخرجه للصلب مشى إليه

وهو يقبحتر فى مشيته وفى رجليه ثلاثة عشر قيداً وجعل يلشد ويتأيل :

لندي غير منسوب • إلى شئ من الحيف • سقائى مثل ما يشر • ب فعل الضيف الضيف
فلما دارت الكأس • دعا بالنطع والسيف • كنا من يشرب الراح • مع التنين فى الصيف
ثم قال : (يستجمل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها و يعلمون أنها الحق) ثم لم ينطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل . قالوا : ثم قسم فضرب ألف سوط ثم قطعت يدها ورجلاه وهو فى ذلك كله ساكت ما نطق بكلمة ، ولم يتغير لونه ، ويقال إنه جعل يقول مع كل سوط أحد أحد . قال أبو عبد الرحمن : سمعت عبد الله بن على يقول سمعت عيسى القصير يقول : آخر كلمة تكلم بها الخلاج حين قتل أن قال : حسب الواحد أفراد الواحد له . فما جمع بهذه الكلمة أحد من المشايخ إلا

رق له ، واستحسن هذا الكلام منه . وقال السلي : سمعت أبا بكر الحاسلي يقول سمعت أبا الفاتك البندادي - وكان صاحب العلاج - قال : رأيت في النوم بعد ثلاث من قتل الحلاج كأني واقف بين يدي ربي عز وجل وأنا أقول : يا رب ما فعل الحسين بن منصور ؟ فقال : كلفته بمعنى فضا الخلق إلى نفسه فأنزلت به ما رأيت . ومنهم من قال : بل جزع عند القتل جزعا شديدا وبكى بكاء كثيرا فافقه أعلم .

وقال الخطيب : ثنا عبد الله بن أحمد بن عثمان الصيري قال قال لنا أبو عمر بن حيوية : لما أخرج الحسين بن منصور والحلاج ليقتل مضيت في جملة الناس ، ولم أزل أراهم حتى رأيتهم فدنوت منه فقال : لأصحابه : هؤلاء هم الذين قال الله فيهم بعد ثلاثين يوما . ثم قتل فاعاد . وذكر الخطيب أنه قال وهو يضرب ل محمد بن عبد الصمد وإلى الشرطة : أدع بي إليك فان عندي نصيحة تعمل فتخ التسلطينية ، فقال له : قد قيل لي إنك ستقول مثل هذا ، وليس لي رفع الضرب عنك صليل . ثم قطعت يده ورجلاه وحز رأسه وأحرقت جثته وألقي رمادها في دجلة ، ونصب الرأس يومين ببغداد على الجسر ، ثم حمل إلى خراسان وطيف به في تلك النواحي ، وجعل أصحابه يمدون أنفسهم يرجعوه إليهم بعد ثلاثين يوما . وزعم بعضهم أنه رأى الحلاج من آخر ذلك اليوم وهو راكب على حمار في طريق النهر وان قال : لملك من هؤلاء النفر الذين غنوا أني أنا هو المضروب المقتول ، إلى لست به ، وإنما أنقى شبيهي على رجل فضل به ما رأيتم . وكأوا يجبهلم يقولون : إنما قتل عبد من أعداء الحلاج . فذكر هذا لبعض علماء ذلك الزمان فقال : إن كان هذا الرأي صادقا فقد تبدى له شيطان على صورة الحلاج ليضل الناس به . كما ضلت فرقة النصاري بالمصاوب .

قال الخطيب : واتفق له أن دجلة زادت في هذا العام زيادة كثيرة . فقال : إنما زادت لأن رماد جثة الحلاج خالطها . ولعموم في مثل هذا وأشباهه ضروب من الهذيان قديما وحديثا . ونودي ببغداد أن لا تشتري كتب الحلاج ولا تباع . وكان قتله يوم الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة من سنة تسع وثلاثمائة ببغداد . وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات وحكي اختلاف الناس فيه ، ونقل عن الفزاري أنه ذكره في مشكاة الأنوار وتأول كلامه وحمله على ما يليق . ثم قل ابن خلكان عن إمام الحرمين أنه كان يذمه ويقول إنه أتقى هو والجنابي وابن المقفع على إفساد عقائد الناس ، وتزويروا في البلاد فكان الجنابي في هجر والبحرين ، وابن المقفع ببلاد الترك ، ودخل الحلاج العراق ، لحكم صاحبه عليه بالملكة لمعن اتخذ أهل العراق بالباطل . قال ابن خلكان وهذا لا ينتظم فإن ابن المقفع كان قبل الحلاج بدهر في أيام السفاح والمنصور ، ومات سنة خمس وأربعين ومائتين أو قبلها . ولعل إمام الحرمين أراد ابن المقفع الخراساني الذي ادعى الربوبية وأوئى العمر واسمه عطاه ، وقد قتل

نفسه بالسلم في سنة ثلاث وستين ومائة ، ولا يمكن اجتماعه مع الحلّاج أيضاً ، وإن أردنا تصحيح كلام إمام الحرمين فنذكر ثلاثة قد اجتمعوا في وقت واحد على إضلال الناس وإفساد العقائد كما ذكر ، فيكون المراد بذلك الحلّاج وهو الحسين بن منصور الذي ذكره ، وابن السماقي - يعني أبا جعفر محمد ابن علي - وأبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرطبي الذي قتل الحجاج وأخذ الحجر الأسود وعلم زمزم ونهب أستاذ الكعبة ، فهؤلاء يمكن اجتماعهم في وقت واحد كما ذكرنا ذلك مبسوطاً ، وذكره ابن خلدون ملخصاً . وفيها توفي من الأعيان .

﴿ أبو العباس بن عطاء أحد أئمة الصوفية ﴾

وهو أحمد بن محمد بن عطاء الأدمي . حدث عن يوسف بن موسى القطان ، والمفضل بن زياد وغيرهما ، وقد كان مواظباً للحلّاج في بعض اعتقاده على ضلاله ، وكان أبو العباس هذا يقرأ في كل يوم ختمته ، فإذا كان شهر رمضان قرأ في كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، وكان له ختمته يتدبرها ويتدبر معاني القرآن فيها . فكثرت فيها سبعة عشرة سنة ومات ولم يختمها ، وهذا الرجل من كان اشتبه عليه أمر الحلّاج وأظهر مواقفه فواقبه الوزير حامد بن العباس بالضرب البليغ على شديقه ، وأمر بنزع خفيه وضربه بهما على رأسه حتى سال الدم من منخريه ، ومات بعد سبعة أيام من ذلك ، وكان قد دعا على الوزير بأن تقام يداه ورجلاه ويقتل شرقتله . فأتى الوزير بعد مدة كذلك . وفيها توفي أبو إسحاق إبراهيم بن هارون الطليبي الحراقي . وأبو محمد عبد الله بن حمدون النديم .

﴿ ثم دخلت سنة عشر وثلاثمائة ﴾

فيها أطلق يوسف بن أبي الساج من الضيق ، وكان معتقلاً ، وردت إليه أمواله وأعيد إلى عمله وأضيف إليه بلدان أخرى ، ووظف عليه في كل سنة خمسمائة ألف دينار يحملها إلى الحضرة فبعث حيمثاً إلى مؤنس الخادم يطلب منه أبا بكر بن الأدمي القاري ، وكان قد قرأ بين يديه حين اعتقاله في سنة إحدى وستين ومائتين (وكذلك أخذ ربه إذا أخذ القري وهي ظلاله) فخاف القاري من سطوته واستغنى من مؤنس الخادم فقال له مؤنس : اذهب وأنا شريكك في الجائزة . فلما دخل عليه قرأ بين يديه (وقال الملك اتوني به أستخلصه لنفسى) فقال : بل أحب أن تقرأ ذلك المشر الذي قرأته عند سجنى وإشهادي (وكذلك أخذ ربه إذا أخذ القري وهي ظلاله) فان ذلك كان سبب توبتي ورجوعي إلى الله عز وجل ، وكان ذلك على يديك . ثم أمر له بجال جزيل وأحسن إليه . وفيها مرض علي بن عيسى الوزير بجماع هارون بن المتندر ليموده ويبلته سلام أبيه عليه ، فبسطه الطريق ، فلما اقترب من داره تحامل وخرج إليه قبلته سلام الخليفة ، وجاء مؤنس الخادم معه ، ثم جاء الخبر بأن الخليفة قد عزم على عيادته فاستغنى من مؤنس الخادم ، ثم ركب على جهد عظيم حتى سلم على الخليفة

لثلاث يكلفه الركوب إليه . وفيها قبض على القهرمانة أم موسى ومن ينسب إليها ، وكان حاصل ما حل
إلى بيت المال من جهتها ألف ألف دينار . وفي يوم الخميس منها لعشرين من ربيع الآخر ولى
المقتدر منصب القضاء بأبى الحسين عمر بن الحسين بن على الشيباني المعروف بأبى الاشئبى - وكان
من حفاظ الحديث وقهاء الناس - ولكنه عزل بعد ثلاثة أيام ، وكان قبل ذلك محتسبا ببغداد .
وفيها عزل محمد بن عبد الصمد عن شرطة بغداد ووليا نازوك وخلع عليه . وفيها فى جمادى الآخرة
منها ظهر كوكب له ذنب طوله ذراعان فى برج السنبلة . وفى شعبان منها وصلت هدايا نائب مصر
وهو الحسين بن الماردانى ، وفى جلها بنلة معها فوهاء و غلام يصل لسانه إلى طرف أنفه . وفيها قرئت
الكتب على المنابر بما كان من الفتوح على المسلمين ببلاد الروم . وفيها ورد الخبر بأنه انشق بأرض
واسط فروع فى الأرض فى سبعة عشر موضعا أكبرها طوله ألف ذراع ، وأقلها مائتا ذراع ، وأنه
فرق من أمهات القرى ألف وثلاثمائة قرية . وحج بالناس إسحاق بن عبد الملك الهاشمي .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أبو بشر الدولابي ﴾

محمد بن أحمد بن حماد أبو سعيد أبو بشر الدولابي ، مولى الأنصار ، ويعرف بالوراق ، أحد
الأئمة من حفاظ الحديث ، وله تصانيف حسنة فى التاريخ وغير ذلك ، وروى عن جماعة كثيرة .
قال ابن يونس : كان يصمق ، توفى وهو قاصد الحج بين مكة والمدينة بالمرج فى ذى القعدة . وفيها توفى

﴿ أبو جعفر بن جرير الطبرى ﴾

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الامام أبو جعفر الطبرى ، كان مولده فى سنة أربع
وعشرين ومائتين ، وكان أشهر أعين ملىح الوجه مديد القامة فصيح اللسان ، روى الكثير من
الجم الغفير ، ورحل إلى الآفاق فى طلب الحديث ، وصنف التاريخ الحافل ، وله التفسير الكامل
الذى لا يوجد له نظير ، وغيرهما من المصنفات النافذة فى الأصول والفروع . ومن أحسن ذلك تهذيب
الاستكثار ولو كل لما احتيج معه إلى شيء ، وكان فيه الكفاية لكنه لم يتمه . وقد روى عنه أنه
مكث أربعين سنة يكتب فى كل يوم أربعين ورقة . قال الخطيب البغدادي : استوطن ابن جرير
بغداد وأقام بها إلى حين وفاته ، وكان من أكابر أئمة العلماء ، ويحكم بقوله ويرجع إلى معرفته وفضله ،
وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، وكان حافظا لكتاب الله ، عارفا
بالقرآنات كلها ، بصيرا بالمعاني قتيها فى الأحكام ، علما بالسنة وطرقها ، ومحييا وسقيها ، وتاسخها
ومنسوخها ، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، عارفا بأيام الناس وأخبارهم . وله الكتاب
المشهور فى تاريخ الأمم والملوك ، وكتاب فى التفسير لم يصنف أحد مثله . وكتاب سماه تهذيب
الاستكثار لم أرموا فيه معناه ، إلا أنه لم يتمه . وله فى أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيارات ،

وتفرد بمسائل حفظت عنه . قال الخطيب : وبلغني عن الشيخ أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الفقيه الأسفرائيني أنه قال : لو سافر رجل إلى الصين حتى ينظر في كتاب تفسير ابن جرير الطبري لم يكن ذلك كثيراً ، أو كما قال . وروى الخطيب عن إمام الأئمة أبي بكر بن خزيمة أنه طالع تفسير محمد بن جرير في سنين من أوله إلى آخره ، ثم قال : ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير ، ولقد ظلمته الحنابلة . وقال محمد بن جرير رحل إلى بغداد يكتب الحديث عن المشايخ - ولم يتفق له سماع من ابن جرير لأن الحنابلة كانوا ينعون أن يجتمع به أحد - فقال ابن خزيمة : لو كتبت عنه لكان خيراً لك من كل من كتبت عنه . قلت : وكان من العبادة والزهادة والورع والقيام في الحق لا تأخذه في ذلك لومة لائم ، وكان حسن الصوت بالقراءة مع المعرفة الثامنة بالقراءات على أحسن الصفات ، وكان من كبار الصالحين ، وهو أحد المحدثين الذي اجتمعوا في مصر في أيام ابن طولون ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة ، ومحمد بن نصر المروزي ، ومحمد بن هارون الروائي ، ومحمد بن جرير الطبري هذا . وقد ذكرناهم في ترجمة محمد بن نصر المروزي ، وكان الذي قام فعلى هو محمد بن إسحاق بن خزيمة ، وقيل محمد بن نصر ، فزعمهم الله . وقد أراد الخليفة المقتدر في بعض الأيام أن يكتب كتاب وقف تكون شروطه متفقاً ما بين العلماء ، فقبل له : لا يقدر على استحضر ذلك إلا محمد بن جرير الطبري ، فطلب منه ذلك فكتب له ، فاستدعاه الخليفة إليه وقرب منزله عنده . وقال له : سل حاجتك ، فقال : لا حاجة لي . فقال لا بد أن تسألني حاجة أو شيئاً . قال : أسأل من أمير المؤمنين أن يتقدم أمره إلى الشرطة حتى ينعوا السؤال يوم الجمعة أن يدخلوا إلى مقصورة الجامع . فأمر الخليفة بذلك . وكان ينفق على نفسه من مغل قرية تركها له أبوه بطبرستان . ومن شعره :

إذا أصبرت لم يعلم رفيقي • وأستغنى فيستغنى صديقي

حياتي حافظ لي ماء وجبي • ورفقي في مطالبي رفيقي

ولو أتى سمحت يبتل وجبي • لكنني إلى النقي سبل الطريق

ومن شعره أيضاً خلقان لا أرضى طريقهما • بطر النقي ومنلة الفقر

فاذا غنيت فلا تكن بطراً • وإذا افتقرت فته على الدهر

وقد كانت وفاته وقت المغرب عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال من سنة عشر وثلاثمائة .

وقد جاوز الثمانين بخمس سنين أو ست سنين ، وفي شعر رأسه ولحيته سواد كثير ، ودفن في داره لأن بعض عوام الحنابلة ووطعهم منعوا من دفنه نهراً ونسبوه إلى الرفض ، ومن الجهلة من رماه بالحاد ، وحاشاه من ذلك كله . بل كان أحد أئمة الاسلام علماً وعلماً بكتاب الله وسنة رسوله ، وإنما تجلوا ذلك عن أبي بكر محمد بن داود الفقيه الظاهري ، حيث كان يتكلم فيه ويرميه بالعظام

وبالرفض . ولما توفي اجتمع الناس من سائر أقطار بغداد وصلوا عليه بداره ودفن بها ، ومكث الناس يترددون إلى قبره شهوراً يصلون عليه ، وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين ضخمين ، وكتاباً جمع فيه طريق حديث الطير . ونسب إليه أنه كان يقول يجوز مسح القدمين في الوضوء وأنه لا يوجب غسلهما ، وقد اشتهر عنه هذا . فمن العلماء من يزعم أن ابن جرير اثنان أحدهما شيبى وإليه ينسب ذلك ، ويتزهون بأبا جعفر هذا عن هذه الصفات . والآخر يقول عليه كلامه في التفسير أنه يوجب غسل القدمين ويوجب مع الغسل دلكهما ، ولكنه عبر عن ذلك بالمسح ، فلم يفهم كثير من الناس مراده ، ومن فهم مراده قلوا عنه أنه يوجب الغسل والمسح وهو ذلك والله أعلم . وقد رثاه جماعة من أهل العلم منهم ابن الأعرابي حيث يقول :

حدث مفلح وخطب جليل • دق عن مثله اصطبار الصبور
قام ناهي العلوم اجمع لما • قام ناهي محمد بن جرير
فہوت آھیم لما زھرات • مؤذنات رسوبھا بالقدور
وقفشی ضیاعھا النھر الاذ • مراقب ثوب القدحۃ المیجور
وغدا روضھا الانیق ہشما • ثم عادت سوبھا كالوعور
یا أبا جعفر مضیت حمیداً • غیر وان فی الجد والتشیر
بین أجر علی اجتھادك موفو • روسی إلى التقی مشكور
مستحقاً به الخلود لدى جن • ۛ ۛ ۛ عدن فی غیظۃ وسرور

ولأبي بكر بن دريد رحمه الله فيه مرثاة طويلة ، وقد أوردها الخطيب البغدادي بتمامها والله

سبحانه أعلم ﴿ ثم دخلت سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ﴾

فيها دخل أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي أمير القرامطة في ألف وسبعمائة فارس إلى البصرة ليلاً ، نصب السلام الشر في سورها فدخلها قهراً وفتحوا أبوابها وقتلوا من لقوه من أهلها ، وهرب أكثر الناس فألقوا أنفسهم في الماء فغرق كثير منهم ، ومكث بها سبعة عشر يوماً يقتل ويأسر من نساءها وفرارها ، ويأخذ ما يختار من أموالها . ثم عاد إلى بلده هجر ، كلما بعث إليه الخليفة جنوداً من قبله فرَّ هارباً وترك البلدة خالوا ، إنا لله وإنا إليه راجعون . وفيها عزل القنطرة عن الوزارة حامد بن العباس وعلي بن عيسى وردھا إلى أبي الحسن بن الفرات مرة ثالثة ، وسلم إليه حامداً وعلي بن عيسى ، فأما حامد فان الحسن بن الوزير ضمنه من القنطرة بمخمسائة ألف ألف دينار ، فسلمه فعاقبه بأمواع المقويات ، وأخذ منه أموالاً جزيلة لا تحصى ولا تعد كثيرة ، ثم أرسله مع موكلين عليه إلى واسط ليحتاطوا على أمواله وحواصله هناك ، وأمرهم أن يسقوه سماً في الطريق فسقوه ذلك في بيض مشوى

كان قد طلبه منهم ، فأتى في رمضان من هذه السنة . وأما علي بن عيسى فانه صودر بلثائة ألف دينار وصودر قوم آخرون من كتابه ، فكان جملة ما أخذ من هؤلاء مع ما كان صودرت به القهرمانه من الذهب شيئا كثيرا جدا آلاف ألف من الدنانير ، وغير ذلك من الأثمان والأموال والدواب والآنية من الذهب والفضة . وأشار الوزير ابن الفرات على الخليفة المقنن بالله أن يبعد عنه مؤنس الخادم إلى الشام - وكان قد قدم من بلاد الروم من الجهاد ، وقد فتح شيئا كثيرا من حصون الروم وبلدانهم ، وغنم مغانم كثيرة جدا - فأجاب به إلى ذلك ، فسأل مؤنس الخليفة أن ينظره إلى سلخ شهر رمضان ، وكان مؤنس قد أعلم الخليفة بما يعتمد ابن الوزير من تعذيب الناس ومصادرتهم بالأموال ، فأمر الخليفة مؤنسا بالخروج إلى الشام . وفيها كثر الجراد وأفسد كثيرا من الثغلات . وفي رمضان منها أمر الخليفة برد ما فضل من الموارث على ذوى الأرحام . وفي رمضان أحرق بالنار على باب العامة مائتين وأربعة أعدال من كتب الزنادقة ، منها ما كان صنعه الحلاج وغيره ، فسقط منها ذهب كثير كانت محلاة به . وفيها أخذ أبو الحسن ابن الفرات الوزير مرستانا في درب الفضل وكان ينفق عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار وفيها توفي من الأعيان .

﴿ الخلال أحمد بن محمد بن هاون ﴾

أبو بكر الخلال ، صاحب الكتاب الجامع لعلم الامام أحمد ، ولم يصنف في مذهب الامام أحمد مثل هذا الكتاب ، وقد سمع الخلال الحديث من الحسن بن عرفة وسعدان بن نصر وغيرهما . توفي يوم الجمعة قبل الصلاة ليومين مضتا من هذه السنة .

﴿ أبو محمد الجبري ﴾

أحد أئمة الصوفية أحمد بن محمد بن الحسين أبو محمد الجبري أحد كبار الصوفية ، صاحب سرية السقطي ، وكان الجنيد يكرمه ويحترمه . ولما حضرت الجنيد الوفاة أوصى أن يجالس الجبري ، وقد أشبه على الجبري هذا شأن الحلاج فكان ممن أجل القول فيه ، على أن الجبري هذا مذكور بالصلاح والعبادة وحسن الأدب .

﴿ الزجاج صاحب معاني القرآن ﴾

إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ، كان فاضلا دينيا حسن الاعتقاد ، وله المصنفات الحسنة ، منها كتاب معاني القرآن وغيره من المصنفات العديدة المفيدة ، وقد كان أول أمره يخرط الزجاج فأحب علم النحو فذهب إلى المبرد ، وكان يعطى المبرد كل يوم درهما ، ثم استغنى الزجاج وكثر ماله ولم يقطع عن المبرد ذلك الدرهم حتى مات ، وقد كان الزجاج مؤيدا للقاسم بن عبيد الله . فلما ولي الوزارة كن الناس يأتونه بالرقاع ليقتنمها إلى الوزير ، فحصل له بسبب ذلك ما يزيد على أربعين

ألف دينار . توفى في جمادى الأولى منها . وعنه أخذ أبو علي الفارسي النحوي ، وابن القاسم عبد الرحمن ابن إسحاق الزجاجي ، نسب إليه لأخيه عنه ، وهو صاحب كتاب الجمل في النحو .

﴿ بدر مولى المعتضد ﴾

وهو بدر الحماني ويقال له بدر الكبير ، كان في آخر وقت على نيابة فارس ، ثم وليها من بعده ولده محمد .

﴿ حامد بن العباس ﴾

الوزير استوزره المعتضد في سنة ست وثلاثمائة ، وكان كثير المال والظمان ، كثير النفقات كريماً سخياً ، كثير المروءة . له حكايات تدل على بخله وإعطائه الأموال الجزيلة ، ومع هذا كان قد جمع شيئاً كثيراً ، وجد له في مطبوعة ألوف من الذهب ، كان كل يوم إذا دخلها ألقي فيها ألف دينار ، فلما امتلأت طمها ، فطاصو دخل عليها فاستخرجوا منها مالا كثيراً جداً ، ومن أكبر مناقبه أنه كان من السعاة في قتل الحسين الحلاج كما ذكرنا ذلك . توفى الوزير حامد بن العباس في رمضان منها مسموماً . وفيها توفى عمر بن محمد بمحتر البحتري صاحب الصحيح .

﴿ ابن خزيمة ﴾

محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المنيرة بن صالح بن بكر السلي ، مولى محسن بن مزاحم الامام أبو بكر بن خزيمة الملقب بامام الأئمة ، كان بجرأ من بهور العلم ، طاف البلاد ورجل إلى الآفاق في الحديث وطلب العلم ، فكتب الكثير وصنف وجمع ، وكتابه الصحيح من أفع الكتب وأجلها ، وهو من المجتهدين في دين الاسلام ، حكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الشافعية عنه أنه قال : ما قبلت أحداً منذ بلغت ستة عشر سنة ، وقد ذكرنا له ترجمة مطولة في كتابنا طبقات الشافعية . وهو أحد المحدثين الذين أرواها بمصر ثم رزقهم الله ببركة صلاته . وقد ذكرنا نحو ذلك في ترجمة الحسن بن سفيان . وفيها توفى محمد بن زكريا الطيب صاحب المصنف الكبير في الطب .

﴿ ثم دخلت سنة ثلث عشرة وثلاثمائة ﴾

في المحرم منها اعترض القرمطي أبو طاهر الحسين بن أبي سعيد الجنابي لعنه الله ، ولعن أباه . للحبيص وم راجعون من بيت الله الحرام ، قد أدوا فرض الله عليهم ، قطع عليهم الطريق فقاتلوه دفعا عن أموالهم وأعضائهم وحریمهم ، قتل منهم خلقا كثيراً لا يلهمهم إلا الله ، وأسر من نسائهم وأبنائهم ما اختاره عواصف من أموالهم ما أراد ، فكان مبلغ ما أخذه من الأموال ما يقاوم ألف ألف دينار ، ومن الأئمة والمتأخر نحو ذلك ، وترك بقية الناس بعد ما أخذ جملهم وزادهم وأموالهم ونساءهم وأبنائهم على بعد النصارى في تلك الفياق والبرية بلا ماء ولا زاد ولا جمل . وقد جاحف عن الناس نائب الكوفة أبو الهيثم عبد الله بن حمدان فجزمه وأسر . إن الله وإن إليه راجعون . وكان عدة من مع

القرمطي فمما تامة مقاتل ، وعمره إذ ذاك سبع عشرة سنة قصصه الله . ولما انتهى خبرهم إلى بغداد قام نسائهم وأهاليهم في النبلحة ونشروا شعورهم ولطموا خيودهم ، وانضاف إليهن نساء الذين نكبوا على يد الوزير وابنه ، وكان ببغداد يوم مشهود بسبب ذلك في غاية البشاعة والشناعة ، فسأل الخليفة عن الخبر فذكروا له أنهم نسوة الحبيص وممن نساء الذين صادرهم ابن الفرات ، وجاءت على يد الحجاب نصر بن القشوري على الوزير قال : يا أمير المؤمنين إنما استولى هذا القرمطي على ما استولى عليه بسبب إبعادك مؤنس الخادم المظفر ، فطمع هؤلاء في الأطراف ، وما أشار عليك بإبعاده إلا ابن الفرات ، فيمت الخليفة إلى ابن الفرات يقول له : إن الناس يتكلمون فيك لتصحك إياي ، وأرسل يطيب قلبه ، فركب هو وولده إلى الخليفة فدخل عليه فأكرمهما وطيب قلوبهما ، ففرجا من عنده فمالها أذى كثير من نصر الحجاب وغيره من كبار الأمراء ، وجلس الوزير في دسنة لحكم بين الناس كعادته ، وبات ليلته تلك مفكراً في أمره ، وأصبح كذلك وهو ينشد :

فأصبح لا يدري وإن كان حازماً • أقدامه خير له أم داره ؟

ثم جاءه في ذلك اليوم أميران من جهة الخليفة فدخلوا عليه داره إلى بين حريمه وأخرجوه مكشوفاً رأسه وهو في غاية القتل والصغار ، والاهانة والعار ، فأركبوه في حراقة إلى الجانب الآخر . وفهم الناس ذلك فرجعوا ابن الفرات بالأسر ، وتمطلت الجوامع وخربت العامة المحاريب ، ولم يصل الناس الجمعة فيها ، وأخذ خط الوزير بألفي ألف دينار ، وأخذ خط ابنه بثلاثة آلاف دينار ، وصلا إلى فازوك أمير الشرطة ، فاحتلوا حيناً حتى خلصت منهما الأموال ، ثم أرسل الخليفة خلف مؤنس الخادم ، فلما قدم سلمها إليه فأهاثها غاية الاهانة بالضرب والتفريق له ولولده المجرم الذي ليس بحسن ، ثم قتلوا بعد ذلك . واستوزر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن خاقان أبو القاسم ، وذلك في تاسع ربيع الأول منها . ولما دخل مؤنس بغداد دخل في فجم عظيم وشتم عند ابن خاقان في أن يرسل إلى علي بن عيسى . وكان قد صار إلى صنعاء اليمن مطروداً - فباد إلى مكة ويث إليه الوزير أن ينظر في أمر الشام ومصر ، وأمر الخليفة مؤنس الخادم بأن يسير إلى الكوفة لقتال القرامطة ، وأفق على خروجه ألف ألف دينار ، وأطلق القرمطي من كل أسرته من الحبيص ، وكانوا أثنى رجل وخمسة امرأة ، وأطلق أبا الهيثم نائب الكوفة معهم أيضاً ، وكتب إلى الخليفة يسأل منه البصرة والأهواز فلم يجب إلى ذلك ، وركب المظفر مؤنس في جحافل إلى بلاد الكوفة فسكن أمرها ، ثم انحدر منها إلى واسط واستتاب على الكوفة في قوت الخادم ، فتمهت الأمور وانصلحت . وفي هذه السنة ظهر رجل بين الكوفة وبغداد فادعى أنه محمد بن إسماعيل بن محمد بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وصدقه على ذلك طائفة من الأعراب والطغام ، والتفوا عليه

وقويت شوكته في شوال ، فأرسل إليه الوزير جيشاً قاتلوه فمزموه وقتلوا خلقاً من أصحابه ، وخرقوا
بقيتهم . وهذا المدعى المذكور هو رئيس الاسماعيلية وهو أولهم . وظفر فاذوك صاحب الشرطة بثلاثة
من أصحاب الخلاج : وهم حيدرة بوالشراني ، وابن منصور ، فطالبهم بالرجوع عن اعتقادهم فيه فلم
يرجعوا ، فضرب رقابهم وصلبهم في الجانب الشرق . ولم ينجح في هذه السنة أحد من أهل العراق
لبكثرة خوف الناس من القرامطة .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ إبراهيم بن خنيس ﴾

أبو إسحاق الواعظ الزاهد . كان يظن الناس ، في جملة كلامه الحسن قوله : يضحك القضاء من
الحذر ، ويضحك الأجل من الأمل ، ويضحك التقدير من التدبير ، وتضحك القسمة من الجهد
والعناء . ﴿ علي بن محمد بن الفرات الوزير ﴾

ولاه المنتسب الوزارة ثم عزله ثم ولاه ثم عزله ثم ولاه ثم عزله ثم ولاه ثم قتل في
هذه السنة ، وقتل ولده ، وكان ذاملاً جزيل : ملك عشرة آلاف دينار ، وكان يدخل له من
ضياحه كل سنة ألف ألف دينار ، وكان ينفق على خمسة آلاف من العباد والعلماء ، فمجرى عليهم
نفقات في كل شهر ما فيه كثائهم ، وكان له معرفة بالوزارة والحساب ، يقال إنه . نظريوماً في ألف
كتاب ، ووقع على ألف رقعة ، فتعجب من حضره من ذلك ، وكانت فيه مروءة وكرم وحسن سيرة
في ولاياته ، غير هذه المرة فانه ظلم وخشم وصادر الناس وأخذ أموالهم ، فأخذ الله أخذ القري وهي
ظلمة ، أخذ عزيز مقتدر . وقد كان ذا كرم وسعة في الثقة ، ذاكر عنده ذات ليلة أهل الحديث
والصوفية وأهل الأدب فأطلق من ماله لكل طائفة عشرين ألفاً . وكتب وجل على لسانه إلى نائب
مصر كتاباً فيه وصية به منه إليه ، فلما دفع المکتوب إلى نائب مصر استعاب منه وقال : ما هذا خط
الوزير ، وأرسل به إلى الوزير ، فلما وقف عليه عرف أنه كذب وزور ، فاستشار الحاضرين عنده
فيما يفعل بالذي زور عليه ، فقال بعضهم : تقطع يديه . وقال آخر قطع إبهاميه ، وقال آخر يضرب
ضرباً مبرحاً . فقال الوزير : أو خير من ذلك كله ؟ ثم أخذ الكتاب وكتب عليه : نعم هذا خطي
وهو من أخص أصحابي ، فلا تترك من الخور شيئاً مما تهدر عليه إلا أوصلته إليه . فلما عاد الكتاب
أحسن نائب مصر إلى ذلك الرجل إحساناً بالنا ، ووصله بنحو من عشرين ألف دينار . واستمدح
ابن الفرات يوماً ببعض الكتاب فقال له : ويحك إن بقي فيك سببته ، وإني في كل وقت أريد
أن أقبض عليك وأصدرك ، فأراك في المنام تمنعني برغيف ، وقد رأيتك في المنام من ليل ، وإني
أريد التنبؤ عليك ، فجعلت تمنعني ، فأمرت جندي أن يقتلك ، فجعلوا كما ضربوك بشيء من
سهم وغيرها حتى الضرب برغيف في يدك ، فلا يصل إليك شيء ، فأعلمني ما قصة هذا الرغيف .

يقال : أبها الوزير إن أحمى منذ كنت صغيراً كل ليلة تضع تحت وسادتي رغيفاً ، فإذا أصبحت تصدقت به عني ، فلم يزل كذلك دائماً حتى ماتت . فلما ماتت فعلت أنا ذلك مع نفسي ، فكل ليلة أضع تحت وسادتي رغيفاً ثم أصبح فأصدق به . فحجب الوزير من ذلك وقال : والله لا ينالك مني بعد اليوم سوء أبداً ، ولقد حصلت نيتي فيك ، وقد أحيتك . وقد أطال ابن خلكان ترجمته فذكر بعض ما أورده في ترجمته .

﴿ محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث بن عبد الرحمن ﴾

أبو بكر الأزدى الواسطي ، المعروف بالباغندي ، جمع محمد بن عبد الله بن غير ، وابن أبي شيبة وشيبان بن فروخ ، وعلى بن المديني ، وخلقا من أهل الشام ومصر والكوفة والبصرة وبغداد ومرحل إلى الأمصار البعيدة ، وعنى بهذا الشأن ، واشتغل فيه فأفرط ، حتى قيل إنه ربما سرد بعض الأحاديث بأسانيدھا في الصلاة والنوم وهو لا يشعر ، فكانوا يسبحون به حتى يتذكروا أنه في الصلاة ، وكان يقول : أنا أجيب في ثلثة ألف مسألة من الحديث لا أتجاوزہ إلى غيره . وقد رأى رسول الله ﷺ في منابه فقال له : يا رسول الله أيما أثبت في الأحاديث منصور أو الأعشى ؟ فقال له : منصور . وقد كان يعاب بالتدليس حتى قال الفارطقي : هو كثير التدليس ، يحدث بما لم يسمع ، وربما سرق بعض الأحاديث والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلثمائة ﴾

قال ابن الجوزي : في ليلة بقيت من الحرم انقض كوكب من ناحية الجنوب إلى الشمال قبل مغيب الشمس ، فأضاعت الدنيا منه وسمع له صوت كه صوت الرعد الشديد . وفي صفر منها بلغ الخليفة أن جماعة من الرافضة يجتمعون في مسجد برائي فينالون من الصحابة ولا يصالون الجمعة ، ويكاتبون القرامطة ويدعون إلى محمد بن إسماعيل الذي ظهر بين الكوفة وبغداد ، ويدعون أنه المهدي ، ويتبرأون من المعتز ومن تبعه . فأمر بالاحتياط عليهم واستنق العلماء بالمسجد فافتوا بأنه مسجد ضرار ، فضرب من قدر عليه منهم الضرب المبرح ، ونودي عليهم . وأمر بهم ذلك المسجد المذكور فهدم ، وهدم تازوك ، وأمر الوزير الخفاف فيجعل مكانه مقبرة فدفن فيها جماعة من الموالى . وخرج الناس للحج في ذي القعدة فاعترضهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي الترمطي ، فرجع أكثر الناس إلى بلادهم ، ويقال إن بعضهم سأل منه الأمان لينهبوا فأنهم . وقد قاتله جند الخليفة فلم يند ذلك شيئاً ثم رده وشدة بأسه ، فارتزعج أهل بغداد من ذلك ، وترحل أهل الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي خوفاً منهم ، ودخل الترمطي إلى الكوفة فأقام بها شهراً يأخذ من أموالها ونسائها ما يختار . قال ابن الجوزي : وكثر الرطب في هذه السنة ببغداد حتى يبيع كل ثمانية أطلال بحبة ، وعمل

منه ثم ورحل إلى البصرة . وعزل القنصل وزيره الخفافى بعد أن ولاء سنة وستة أشهر ويومين ، وولى مكانه أبا القاسم أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخطيب الخصي ، لأجل مال بنه من حبة زوجة للحسن بن الفرات ، وكان ذلك المال سبعة آلاف دينار فأمر الخصي على بن عيسى على أن يكون مشرفاً على ديار مصر وبلاد الشام ، وهو مقيم بمكة يسير إلى تلك البلاد في بعض الأوقات فيعمل ما ينبغي ثم يرجع إلى مكة . وفيها توفي من الأعيان :

﴿ على بن عبد الحيد بن عبد الله بن سليمان ﴾

أبو الحسن النضارى ، سمع القواريرى وعيسا العنبرى ، وكان من العباد الثقات . قال : جئت يوماً إلى السرى السقطى فنققت عليه يابه فخرج إلى ووضع يده على عضادى الباب وهو يقول : اللهم اسفل من شغلنى عنك بك . قال : فالتفتى بركة هذه الدعوة فنجبت على قدمى من حلب إلى مكة أربعين حجة ذاهباً وآيئاً .

﴿ أبو المباس السراج الحافظ ﴾

محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران بن عبد الله التقي مولام ، أبو المباس السراج ، أحد الأئمة الثقات الحافظ ، مولده سنة ثمان عشرة ومائتين ، سمع قتيبة وإسحاق بن راهويه وخلقا كثيراً من أهل خراسان وبغداد والكوفة والبصرة والحجاز ، وقد حدث عنه البخارى ومسلم ، وهما أكبر منه وأقدم ميلاداً ووفاء ، وله مصنفات كثيرة نافلة جداً ، وكان يعد من مجابى الدعوة . وقد رأى فى منامه كأنه يرقى فى سلم فصعد فيه تسعاً وتسعين درجة ، فما أولها على أحد إلا قال له : تميش تسعاً وتسعين سنة ، فكان كذلك . وقد ولد له ابنه أبو عمرو وعمره ثلاث وثلاثون سنة . قال الحاكم : فسمعت أبا عمرو يقول : كنت إذا دخلت المسجد على أبى والناس عنده يقول لهم : هذا عملته فى ليلة ولى من العمر ثلاث وثلاثون سنة .

﴿ ثم دخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة ﴾

فيها كتب ملك الروم ، وهو الممستق لعنه الله ، إلى أهل السواحل أن يحملوا إليه الخراج ، فأبوا عليه فركب إليهم فى جنوده فى أول هذه السنة ، ضاقت فى الأرض فساداً ، ودخل ملطية فقتل من أهلها خلقاً وأمر وأقام بها ستة عشر يوماً ، وجاء أهلها إلى بغداد يستنجون الخليفة عليه . ووقع فى بغداد حريق فى مكانين ، مات فيها خلق كثير ، وأحرق فى أحدهما ألف دار وكنان ، وجاءت الكتب بموت الممستق ملك النصارى فترقت الكتب على المنابر . وجاءت الكتب من مكة أنهم فى غاية الانزعاج بسبب اقتراب القرامطة إليهم وقصدهم لإلحاقهم ، فرحلوا منها إلى الطائف وتلك النواحي . وفيها هبت ريح عظيمة بنصيبين اقتلعت أشجاراً كثيرة وهدمت البيوت . قال ابن

الجوزى : وفى يوم الأحد لثمان مضيّن من شوال منها - وهو صابح كآون الأول - سقط ببغداد
فالج عظيم جداً حصل بسببه برد شديد ، بحيث أتلّف كثيراً من النخيل والأشجار ، وحدث
الأدهان حتى الأشربة ، وماء الورد والخل والخلجان الكبار ، ودجلة . وعقد بعض مشايخ الحديث
بجلسا لتحديث على من دجلة من فوق الجدد ، وكتب هناك ، ثم انكسر البرد بمطر وقع فأزال ذلك
كله وفك الجدد . وفيها قدم الحاج من خراسان إلى بغداد فاعتذر إليهم مؤنس الخادم بأن القرامطة
قد قصدوا مكة ، فرجوا ولم ينهيا الحج فى هذه السنة من ناحية العراق بالكلية . وفى ذى القعدة
عزل الخليفة وزيره أبا العباس الخنصبي بعد سنة وشهرين ، وأمر بالقبض عليه وحبسه ، وذلك
لإهماله أمر الوزارة والنظر فى المصالح ، وذلك لاشتغاله بالخر فى كل ليلة فيصبح مخموراً لا يميز له ،
وقد وكل الأمور إلى نوابه ففأثروا وعملوا مصالحهم ، وولى أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوزانى
نباية من على بن عيسى ، حتى يقدم ، ثم أرسل فى طلب على بن عيسى وهو بدمشق ، فقدم بغداد
فى أبهة عظيمة ، فنظر فى المصالح الخاصة والعامة ، ورد الأمور إلى السداد ، وتمهلت الأمور .
واستدعى بالخنصبي قهده ولامه وناقشه على ما كان يتمده ويفعله فى خاصة نفسه من معاصى الله
عز وجل ، وفى الأمور العامة ، وذلك بحضور القضاة والأعيان . ثم رده إلى السجن . وفيها أخذ نصر
ابن أحمد السامانى الملقب بالسعيد بلاد الرى وسكنها إلى سنة ست عشرة وثلثمائة . وفيها غزت
الصائفة من طرسوس بلاد الروم فقتلوا وسلبوا . ولم ينجح ركب العراق خوفاً من القرامطة .

وفيها توفى من الأعيان سعد النبوى صاحب باب النبوى من دار الخلافة ببغداد فى صفر ، وأقيم
أخوه مكانه فى حفظ هذا الباب الذى صار ينسب بعد إليه . ومحمد بن محمد الباهلى . ومحمد بن عمر
ابن لبابة القرمطى . ونصر بن القاسم الفرائضى الحنفى أبو الليث ، مع القواريرى وكان ثقة طامساً
بالفرائضى على مذهب أبى حنيفة ، مقرباً جليلاً .

(ثم دخلت سنة خمس عشرة وثلثمائة)

فى صفر منها كان قدوم على بن عيسى الوزير من دمشق ، وقد تلقاه الناس إلى أثناء الطريق ،
فمنهم من لقيه إلى الأنبار ، ومنهم دون ذلك . وحين دخل إلى الخليفة خاطبه الخليفة فأحسن
مخاطبته ثم أنصرف إلى منزله ، فبست الخليفة وراءه بالفرش والتهاش وعشرين ألف دينار ، واستدعاه
من القند فخلع عليه فأشدد وهو فى الخلة :

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها * فكيف ما اقلبت به اقلبوا

يظنون أنا الدنيا فان وقعت * يوماً عليه بما لا يشتهى وثبوا

وفيها جاءت الكتب بأن الروم دخلوا حميساط وأخذوا جميع ما فيها ، ونصبوا فيها خيمة الملك

وضربوا الناقوس في الجامع بها ، فأمر الخليفة مؤنس الخادم بالتجهيز إليهم ، وخلع عليه خلمة سنية .
ثم جاءت الكتب بأن المسلمين وثبوا على الروم قتلوا منهم خلقا كثيرا جدا فله الحمد والمنة . ولما
تجهز مؤنس للمسير جاءه بعض الخدم فأعلمه أن الخليفة يريد أن يقبض عليه إذا دخل لوداعه ، وقد
حضرت له ربة في دار الخلافة مظلة ليقع فيها ، فأحجم عن الذهاب . وجاءت الأمراء إليه من
كل جانب ليكونوا معه على الخليفة ، فبث إليه الخليفة رقعة فيها خطه يحلف له أن هذا الأمر الذي
بلغه ليس بصحيح . فطابت نفسه وركب إلى دار الخلافة في غلمانه ، فلما دخل على الخليفة خاطبه
مخاطبة عظيمة . وحلف أنه طيب القلب عليه ، وله عنده الصفاء الذي يعرفه . ثم خرج من بين
يديه مظلما مكروما ، وركب العباس بن الخليفة والوزير ونصر الحاجب في خيمته لتوديعه ، وكبر
الأمراء بين يديه مثل الحجة ، وكان خروجه يوما مشهودا ، فاصداً بلاد الثغور لقتال الروم . وفي
جداى الأولى منها قبض على رجل خنق قد قتل خلقا من النساء ، وكان يدعى لمن أنه يعرف العطف
والتنجيم ، قصده النساء لذلك فاذا اغترد بالمرأة قام إليها ففعل معها الفاحشة وخنقها وبتر وأعاتته امرأته
وحضر لها في داره فدفنوها ، فاذا امتلأت تلك القفار من القتلى انتقل إلى دار أخرى . ولما ظهر عليه
وجد في داره التي هو فيها أخيرا سبع عشرة امرأة قد خنقن ، ثم تلبت الدور التي سكنها فوجدوه
قد قتل شيئا كثيرا من النساء ، فضرب ألف سوط ثم خنق حتى مات . وفيها كان ظهور الدليل بقبحهم
الله ببلاد الرى ، وكان فيهم ملك غلب على أمرهم يقال له مرداويج ، يجلس على سرير من ذهب
وبين يديه سرير من فضة ، ويقول : أنا سليمان بن داود . وقد سار في أهل الرى وقزوين وأصبهان
ميرة قبيحة جدا ، فكان يقتل النساء والصبيان في المهد ، ويأخذ أموال الناس ، وهو في غاية
الجبروت والشدة والبرأة على محارم الله عز وجل ، قتلته الأتراك وأراح الله المسلمين من شره .
وفيها كانت بين يوسف بن أبي الساج وبين أبي طاهر الترمطى عند الكوفة موقعة فسبقه إليها أبو طاهر
فغال بينه وبينها ، فكتب إليه يوسف بن أبي الساج : اسمع وأطع وإلا فاعتمد لقتال يوم السبت قاسم
شوال منها ، فكتب إليه : هلم . فسار إليه ، فلما تراءى الجمعان استقل يوسف جيش الترمطى ، وكان مع
يوسف بن أبي الساج عشرون ألفا ، ومع الترمطى ألف فارس وخمسمائة رجل . قتال يوسف : وما قيمة
هؤلاء السكاب ؟ وأمر الكاتب أن يكتب بالفتح إلى الخليفة قبل اللقاء ، فلما اقتتلوا ثبت القرامطة
ثباتا عظيما ، ونزل الترمطى فحرض أصحابه وحل بهم حيلة صادقة ، فبرزوا جند الخليفة ، وأسر يوسف
ابن أبي الساج أمير الجيش ، وقتلوا خلقا كثيرا من جند الخليفة ، واستحوذوا على الكوفة ، وجاءت
الأخبار بذلك إلى بغداد ، وشاع بين الناس أن القرامطة يريدون أخذ بغداد ، فارتزع الناس لذلك
وظنوا صدقه ، فاجتمع الوزير بالخليفة وقال : يا أمير المؤمنين إن الأموال إنما تنسر لتكون عوناً على

قتل أعداء الله ، وإن هذا الأمر لم يقع أرض بعد زمن الصحابة أقطع منه ، قد قطع هذا الكافر طريق الحج على الناس ، وفنك في المسلمين مرة بعد مرة ، وإن بيت المال ليس فيه شيء ، فائق الله يا أمير المؤمنين وخاطب السيدة - يعني أمه - لعل أن يكون عندها شيء آخرته لشدة ، فهذا وقته . فنخل على أمه فكانت هي التي ابتدأته بذلك ، وبذلك له خمائة ألف دينار ، وكان في بيت المال مثلها ، فسلمها الخليفة إلى الوزير ليصرفها في تجهيز الجيوش لقتال القرامطة ، فجهز جيشاً أربعين ألف مقاتل مع أمير يقال له بليق ، فسار نحوهم ، فلما سمعوا به أخذوا عليه الطرقات ، فأراد دخول بغداد فلم يمكنه ، ثم اتفوا معه فلم يلبث بليق وجيشه أن انهزم ، فأتاه الله وإنا إليه راجعون . وكان يوسف بن أبي الساج معهم مقيداً في خيمة فجعل ينظر إلى محل الوقعة ، فلما رجع القرمطي قال : أردت أن تهرب ؟ فأمر به فحزبت عنقه . ورجع القرمطي من ناحية بغداد إلى الأنبار . ثم انصرف إلى هيت فأكثر أهل بغداد الصداقة ، وكذلك الخليفة وأمه والوزير شكراً لله على صرفه عنهم . وفيها بعث المهدي المدعي أنه طاعى ببلاد المغرب ولله أيا القاسم في جيش إلى بلاد منها ، فانهزم جيشه وقتل من أصحابه خلق كثير . وفيها اغتبط المهدي المذكور مدينته الحمدية . وفيها حاصر عبد الرحمن بن الماخذل إلى بلاد المغرب الأموي مدينة طليطلة ، وكانوا مسلمين ، لكنهم هضوا عنده ففتحها قهراً وقتل خلقاً من أهلها . وفيها توفي من الأعيان :

✽ ابن الجصاص الجوهري ✽

واسمه الحسين بن عبد الله بن الجصاص الجوهري أبو عبد الله البغدادي ، كان ذا مال عظيم وثروة واسعة ، وكان أصل نعمته من بيت أحمد بن طولون ، كان قد جعله جواهر ياله يسوق له ما يقع من نقائس الجواهر بمصر ، فاكسب بسبب ذلك أموالاً جزيلة جداً . قال ابن الجصاص : كنت يوماً بباب ابن طولون إذ خرجت القهرمانة ويدها عقد فيه مائة حبة من الجواهر ، تساوى كل واحدة ألفي دينار . قالت : أريد أن تأخذ هذا فتخرطه حتى يكون أصغر من هذا الحجم . فان هذا فافر عما يريدونه . فأخذته منها وذهبت به إلى منزلي وجعلت جواهر أصغر منه تساوى أقل من عشرة قيمة تلك بكثير ، فدفعتها إليها وفزت أنا بذلك التي جاءت به ، وأرادت خرطه وإتلافه . فكانت قيمته مائتي ألف دينار . واتفق أنه صودر في أيام المقتدر مصادرة عظيمة ، أخذ منه فيها ما يقاوم ستة عشر ألف ألف دينار ، وبقي معه من الأموال شيء كثير جداً . قال بعض التجار : دخلت عليه فوجدته يتردد في منزله كأنه مجنون ، فقلت له : مالك هكذا ؟ قال : ويحك ، أخذ مني كذا وكذا فأنا أحس أن روحي ستخرج ، فمنرت ثم أخفت في تسليتي فقلت له : إن دورك وبساتينك وضياعك الباقية تساوى سبعمائة ألف دينار ، وأصدقني كم بقي عندك من الجواهر والمتاع ؟ فأذا شيء يساوي ثلثمائة ألف دينار

غير ما بقي عنده من الذهب والفضة المصكوكة . فقتل له : إن هذا أمر لا يشارك فيه أحد من التجار .
 ببغداد ، مع مالك من الرجاءة عند الدولة والناس . قال : فسرى عنه وتلى عما فات وأكل - وكان له
 ثلاثة أيام لم يأكل شيئاً - ولما خلاص في مصادرة المقدر بشغاعة أمه السيدة فيه حكى عن نفسه قال :
 نظرت في دار الخلافة إلى مائة خيشه ، فيها متاع رث مما حل إلى من مصر ، وهو عندهم في دار مضيفة
 وكان لي في حل منها ألف دينار موضوعة في مصر لا يشر بها أحد ، فاستوهبت ذلك من أم المقدر
 فكلمت في ذلك ولها فأطلقه إلى فتسلمته فاذا الذهب لم ينقص منه شيء

وقد كان ابن الجصاص مع ذلك منفلاً شديداً التفتل في كلامه وأفعاله ، وقد ذكر عنه أشياء تدل
 على ذلك ، وقيل إنه إنما كان يظهر ذلك قصداً ليقال إنه منفل ، وقيل إنه كان يقول ذلك على سبيل
 البسط والخطابة والله سبحانه أعلم .

وفيهما توفي عبد الله بن محمد القزويني . و

(علي بن سليمان بن المفضل)

أبو الحسن الأخفش ، روى عن المبرد وثعلب واليزيدي وغيرهم ، وعنه الروايات والمعاني وغيرهما .
 وكان ثقة في قلة ، فقيراً في ذات يده ، توصل إلى أبي علي بن مقله حتى كلم فيه الوزير علي بن عيسى
 في أن يرتب له شيئاً فلم يجبه إلى ذلك ، وضاق به الحال حتى كان يأكل الفتة التي فات فجأة من
 كثرة أكله في شعبان منها . وهذا هو الأخفش الصغير ، والأوسط هو سعيد بن مسعدة تلميذ
 سيبيه . وأما الكبير فهو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد الحميد ، من أهل هجر ، وهو شيخ سيبيه
 وأبي عبيد وغيرهما . وقيل إن أبا بكر محمد بن السري السراج النحوي صاحب الأصول في النحو
 فيها مات . قاله ابن الأثير . ومحمد بن المسيب الأرقطاني .

(ثم دخلت سنة ست عشرة وثلاثمائة)

فيها عاث أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي في الأرض فساداً ، حاضر الرجبة
 فدخلها قهراً وقتل من أهلها خلقاً ، وطلب منه أهل قريسيب الأمان فأنهم ، وبث سراياه إلى
 ما حولها من الأعراب قتل منهم خلقاً ، حتى صار الناس إذا سمروا بكروه يهرون من مبالغ اسمه ،
 وقبدر على الأعراب إمارة يحصلونها إلى هجر في كل سنة ، عن كل رأس ديناران . ونظت في تواحي
 الموصل فساداً ، وفي سنجار وتواجها ، وخرب تلك الهير وقتل وسلب ونهب . قصده مؤنس الخادم
 فلم يتواجها بل رجع إلى بلد هجر فابتنى بها داراً سماها دار الهجرة ، ودعا إلى المهدي الذي يبلاد
 المغرب بمدينة الهدية . وتفاقم أمره وكثرت أتباعه فصاروا يكسبون القرية من أرض السواد فيقتلون
 أهلها وينهبون أموالها ، ورام في نفسه دخول الكوفة وأخذها فلم يطق ذلك . ولما رأى الوزير علي

ابن عيسى ياقطه هذا القرمطي في بلاد الاسلام ، وليس له دافع استغنى من الوزارة لضعف الخليفة وجيشه عنه ، وهزل نفسه منها ، فمضى فيها على بن مقله الكاتب المشهور ، فوليها بسفارة نصر الحاجب والى عبد الله البريدى - بالباء الموحدة - من البريد ، ويقال البريدى لخليفة جده يزيد بن منصور الجهمري . ثم جهز الخليفة جيشاً مع مؤنس الخادم فاقتتلوا مع القرامطة قتلوا من القرامطة خلقاً كثيراً ، وأسروا منهم طائفة كثيرة من أشrafهم ، ودخل بهم مؤنس الخادم ببغداد ومعه أعلام من أعلامهم منكسة مكتوب عليها (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض) الآية . فرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، وطابت أنفس البغاددة ، وانكسر القرامطة الذين كانوا قد نشأوا وقشوا بأرض العراق ، وفوض القرامطة أمرهم إلى رجل يقال له حريث بن مسعود ، ودعوا إلى المهدي الذي ظهر ببلاد المغرب جد الفاطميين ، وهم أدعياء كذبة ، كما قد ذكر ذلك غير واحد من العلماء . كما سيأتى تفصيله وبيانه في موضعه . وفيها وقعت وحشة بين مؤنس الخادم والمقتدر ، وسبب ذلك أن فازوكا أمير الشرطة وقع بينه وبين هارون بن عريب - وهو ابن خال المقتدر - فانتصر هارون على فازوكا وشاع بين العامة أن هارون سيصير أمير الأمراء . فبلغ ذلك مؤنس الخادم وهو بالرقبة فأسرع الأوبة إلى بغداد ، واجتمع بالخليفة فتصلحا ، ثم إن الخليفة نقل هارون إلى دار الخلافة فتويت الوحشة بينهما ، وانضم إلى مؤنس جماعة من الأمراء وترددت الرسل بينهما ، وانقضت هذه السنة والأمر كذلك . وهذا كله من ضف الأمور واضطرابها وكثرة الفتن واقتشارها . وفيها كان مقتل الحسين بن القاسم الهادي العلوي صاحب الري على يد صاحب الديلم وسلطانهم مرداويج المجرم قبحه الله .

وفيها توفي من الأعيان : بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد

أبو الحسن الزاهد ، ويعرف بالحلال ، وكانت له كرامات كثيرة ، وله منزلة كبيرة عند الناس ، وكان لا يقبل من السلطان شيئا ، وقد أنكر يوماً على ابن طولون شيئا من المنكرات وأمره بالمروق ، فأمر به فآلتي بين يدي الأسد ، فكان الأسد يشمه ويحجم عنه ، فأمر برقبته من بين يديه وعظمه الناس جداً ، وسأله بعض الناس عن حاله حين كان بين يدي الأسد فقال له : لم يكن على بأس . قد كنت أفكر في سؤر السباع واختلاف العلماء فيه هل هو طاهر أم نجس . قالوا : وجاهد رجل فقال له : إن لي على رجل مائة دينار ، وقد خبت الوميقة ، وأنا أخشى أن ينكر الرجل ، فأسألك أن تدعولي بأن يرد الله على الوميقة . قال بنان : إني رجل قد كبرت سني ورق عظمي ، وأنا أحب الخلاء ، فأذهب فاشترى منها رطلاً وأتني به حتى أدعوك . فذهب الرجل فاشترى الرطل ثم جاء به إليه فتفتح الورقة التي فيها الخلاء فاذا هي حجة بالمائة دينار . فقال له : أهذه خبتك ؟ قال : نعم . قال : خذ

حجنتك وخذ الخلاء فأطعمها صبيائك . ولما توفي خرج أهل مصر في جنازته تعظيلاً له وإكراماً لشأته .
وفيهما توفي محمد بن عقيل البلخي . وأبو بكر بن أبي داود السجستاني الحافظ بن الحافظ . وأبو عرواة
يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الأسفرائيني ، صاحب الصحيح المستخرج على مسلم ، وقد كان من
الحفاظ المكثرين ، والأئمة المشهورين : ونصر الحجاب ، كان من خيار الأمراء ، ديناً عاقلاً ،
أنفق من ماله في حرب الترامطة مائة ألف دينار . وخرج بنفسه محتباً فلبث في أثناء الطريق في
هذه السنة . وكان حاجباً للخليفة المقتدر .

﴿ ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلاثمائة ﴾

فيها كان خلق المقتدر وتولية القاهر محمد بن المتضد بالله : في الحرم منها اشتدت الوحشة بين
مؤنس الخادم والمقتدر بالله ، وتفاقم الحال وآل إلى أن اجتمعوا على خلق المقتدر وتولية القاهر محمد
ابن المتضد ، فبأيامه بالخلافة وسلموا عليه بها ، وتقبوه القاهر بالله . وذلك ليلة السبت النصف من
الحرم ، وقصد على بن مقلة وزارته ، ونهبت دار المقتدر ، وأخذوا منها شيئاً كثيراً جداً ، وأخذوا لأم
المقتدر خمسمائة ألف دينار . وكانت قد دفنتها في قبر في تربتها . فحملت إلى بيت المال ، وأخرج
المقتدر وأمه وخالته ونواصه وجواريه من دار الخلافة ، وذلك بعد محاصرة دار الخلافة ، وهرب من
كان بها من الحجبة والخدم ، وولى نازوك الحجوبة مضافاً إلى ما بيده من الشرطة ، وأُزِم المقتدر بأن
كتب على نفسه كتاباً بالتخلع من الخلافة وأشهد على نفسه بذلك جماعة من الأمراء والأعيان ، وسلم
الكتاب إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف ، وقال لولده الحسين : احتفظ بهذا الكتاب فلا يرينه
أحد من خلق الله . ولما أعيد المقتدر إلى الخلافة بعد يومين رده إليه ، فشكره على ذلك جداً وولاه
قضاء القضاة . فلما كان يوم الأحد السادس عشر من الحرم جلس القاهر بالله في منصب الخلافة ،
وجلس بين يديه الوزير أبو علي بن مقلة ، وكتب إلى العمال بالأفاق يخبرهم بولاية القاهر بالخلافة
عوضاً عن المقتدر ، وأطلق على بن عيسى من السجن ، وزاد في أقطاع جماعة من الأمراء الذين
قاموا بنصره ، منهم أبو الهيثم بن حمدان . فلما كان يوم الاثنين جاء الجند وطلبوا أرزاقهم وشيئوا ،
وبادروا إلى نازوك قتلوه ، وكان مخموراً ، ثم صلبوه . وهرب الوزير ابن مقلة ، وهرب الحجاب
ونادوا بالمقتدر يا منصور ، ولم يكن مؤنس يومئذ حاضراً ، وجاء الجنود إلى باب مؤنس يطالبونه
بالمقتدر ، فأغلق باباً دونهم وجاحف دونه خفمه . فلما رأى مؤنس أنه لا بد من تسليم المقتدر
إليهم أمره بالخروج ، تخاف المقتدر أن يكون حيلة عليه ، ثم تجلس نفرج فغله الرجال على أعناقهم
حتى أدخلوه دار الخلافة ، فقال عن أخيه القاهر وأبي الهيثم بن حمدان ليكتب لهما أماناً ، فما كان
من قريب حتى جاءه بخادم ومعه رأس أبي الهيثم قد استحضر رأسه وأخرجه من بين كتفيه ، ثم

استدعى بأخيه القاهر فأجلسه بين يديه واستدعاه إليه ، وقبّل بين عينيه ، وقال : يا أخى أنت لا ذنب لك ، وقد علمت أنك مكره مقهور . والقاهر يقول : الله الله ! نضى يا أمير المؤمنين . فقال : وحق رسول الله ﷺ لا جرى عليك منى سوء أبدا . وعاد ابن مقلّة فكتب إلى الآفاق يعلمهم بعود المنتدّر إلى الخلافة ، وتراجعت الأمور إلى حالها الأول ، وحمل رأس نازوك وأبى الهيجاء ونودى عليهما : هذا رأس من عصى مولاه . وهرب أبو السرايا بن حمدان إلى الموصل ، وكان ابن نفيس من أشدّ الناس على المنتدّر ، فلما عاد إلى الخلافة خرج من بغداد متذكراً فغلب الموصل ، ثم صار إلى إرميلية ، ثم لحق بالقسطنطينية فتتصر بها مع أهلها . وأما مؤنس فإنه لم يكن في الباطن على المنتدّر ، وإمّا وافق جماعة الأشراف مكرها ، ولهذا لما كان المنتدّر في داره لم ينله منه ضيم ، بل كفى يطيب قلبه ، ولو شاء لقتله لما طلب من داره . فلذلك لما عاد المنتدّر إلى الخلافة رجع إلى دار مؤنس فبات بها عنده ، لثقت به . وقرر أبا علي بن مقلّة على الوزارة ، وولى محمد بن يوسف قضاء القضاة ، وجعل محمداً أخاه - وهو القاهر - عند والدته بصفة محبوس عندها ، فكانت تحسن إليه غاية الاحسان ، وتشتري له السراري وتمكرمه غاية الاحكام .

(ذكر أخذ القرامطة الحجر الأسود إلى بلادهم ، وما كان منهم إلى الحبيص)

فيها خرج ركب العراق وأميرهم منصور الديلمي فوصلوا إلى مكة سالمين ، وتوافت الركوب هناك من كل مكان وجانب فوج ، فاشعروا إلا بالقرمطي قد خرج عليهم في جماعته يوم التروية ، فانهب أموالهم واستباح قتلهم ، قتل في رحلب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقاً كثيراً ، وجلس أميرهم أبو طاهر لعنه الله على باب الكعبة ، والرجال تصرع حوله ، والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية ، الذي هو من أشرف الأيام ، وهو يقول : أنا الله وبالله ، أنا أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا . فكان الناس يفرّون منهم فيقتلون بأستار الكعبة فلا يجيئ ذلك منهم شيئاً . بل يقتلون وهم كذلك ، ويطوفون فيقتلون في الطواف ، وقد كان بعض أهل الحديث يومئذ يطوف ، فلما قضى طوافه أخذته السيوف ، فلما وجب أنشد وهو كذلك .

ترى الحبين صرعى في ديارهم • كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

فلما قضى القرمطي لعنه الله أمره وفصل ما فعل بالحبيص من الأفاعيل القبيحة ، أمر أن تدفن القتلى في بئر ززم ، ودفن كثير منهم في أماكنهم من الحرم ، وفي المسجد الحرام . ولما حبسنا تلك القنطة وتلك الضجّة ، وذلك المدفن والمكان ، ومع هذا لم ينسأوا ولم يكفوا ولم يصل عليهم لأنهم حرمون شهداء في نفس الأمر . وهم قبة ززم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها ، وشققها بين

أصحابه ، وأمر رجلا أن يصعد إلى ميزاب الكعبة فيقتله ، فسقط على أم رأسه فأت إلى النار . فشد ذلك انكف الخبيث عن الميزاب ، ثم أمر بأن يقطع الحجر الأسود ، فجاء رجل فضر به بمثل في يده وقال : أين الطير الأبايل ، أين الحجارة من سجيل ؟ ثم قطع الحجر الأسود وأخذه حين راحوا معهم إلى بلادهم ، فكث عندم ثنتين وعشرين سنة حتى رده ، كما سجد كره في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة . فأت الله وإنا إليه راجعون .

ولما رجع الترمطى إلى بلاده ومعه الحجر الأسود وتبعه أمير مكة هو وأهل بيته وجنوده وماله وتشفع إليه أن يرد الحجر الأسود ليوضع في مكانه ، وبذل له جميع ماعنده من الأموال فلم يلبثت إليه ، فقاتله أمير مكة فقتله الترمطى وقتل أكثر أهل بيته ، وأهل مكة وجنوده ، واستمر ذاهبا إلى بلاده ومعه الحجر وأموال الحبيج . وقد ألد هذا لعين في المسجد الحرام إلخاذا لم يسبقه إليه أحد ولا يلحقه فيه ، وسبجازه على ذلك الذي لا ينبغي عذابه أحد ، ولا يوثق وثاقه أحد . وإلماجل هؤلاء على هذا الصنيع أنهم كانوا زناقة ، وقد كانوا عمالين للفاطميين الذين نبهوا في هذه السنة ببلاد إفريقية من أرض المغرب ، و يلقب أميرهم بالمهدى ، وهو أبو محمد عبيد الله بن ميسون القنداح . وقد كان صبغاً بسلمية ، وكان يهودياً فادعى أنه أسلم ثم سافر من سلمية فدخل بلاد إفريقية ، فادعى أنه شريف فاطمي ، فصدقه على ذلك طائفة كثيرة من البربر وغيرهم من الجبله ، وصارت له دولة ، فلك مدينة سجلماسة ، ثم ابنتى مدينة وسهاها المهدية ، وكان قرار ملكها بها ، وكان هؤلاء القرامطة يرسلونه ويدعون إليه ، ويترامون عليه ، ويقال إنهم إنما كانوا يضلون ذلك سياسة ودولة لاحقية له .

وذكر ابن الأثير أن المهدى هذا كتب إلى أبي طاهر يولمه على ما فعل بمكة حيث سلط الناس على الكلام فيهم ، وانكشفت أسرارهم التي كانوا يبطنونها بما ظهر من صليهم هذا القبيح ، وأمره برد ما أخذ منها ، وعوده إليها . فكتب إليه بالسبع والطاعة ، وأنه قد قبل ما أشار إليه من ذلك . وقد أسر بعض أهل الحديث في أيدي القرامطة ، فكث في أيديهم مدة ، ثم فرج الله عنه ، وكان يحكي عنهم عجائب من قلة عقولهم وعدم دينهم ، وأن الذي أسره كان يستخدمه في أشق الخدمة وأشدها وكان يريد عليه إذا سكر . قال لي ذات ليلة وهو سكران : ما تقول في محمد ؟ قلت : لا أدري . قال : كان سائسا . ثم قال : ما تقول في أبي بكر ؟ قلت : لا أدري . فقال : كان ضعيفاً مهيناً . وكان عمر فظاً غليظاً . وكان عثمان جاهلاً أحمق . وكان علي مغرراً ليس كان عنده أحد يلمه ما ادعى أنه في صدره من العلم ، أما كان يمكنه أن يعلم هذا كله وهذا كله ؟ . ثم قال : هذا كله محقرة . فلما كان من الغد قال : لا تخبر بهذا القى قلت لك أحداً . ذكره ابن الجوزي في منتظمه .

وروى عن بعضهم أنه قال : كنت في المسجد الحرام يوم التروية في مكان الطواف ، فحمل على

رجل كان إلى جاني قتله القرمطي ، ثم قال : يا حمير - ورفع صوته بذلك - أليس قلتم في بيتكم هذا (ومن دخله كان آمناً) فأين الأمن ؟ قال : قتلته له : اسمع جوابك . قال نعم . قلت إنما أراد الله : فأمنوه . قال فتني رأس فرسه وانصرف . وقد سأل بعضهم ههنا مؤالا . فقال : قد أحل الله سبحانه بأصحاب الفيل - وكانوا نصارى - ما ذكره في كتابه ، ولم يفعلوا بمكة شيئاً مما فعله هؤلاء ، ومعلوم أن القرامطة شر من اليهود والنصارى والمجوس ، بل ومن عبدة الأصنام ، وأنهم فعلوا بمكة ما لم يفعل أحد ، فلا عوجلوا بالعتاب والقوبة ، كما عوجل أصحاب الفيل ؟ وقد أجيب عن ذلك بأن أصحاب الفيل إنما عوقبوا إظهاراً لشرف البيت ، ولما يراد به من التشريف العظيم بإرسال النبي الكريم ، من البلد التي فيه البيت الحرام ، فلما أرادوا إهانة هذه البقعة التي يراد تشريفها وإرسال الرسول منها أهلهم سريراً عاجلاً ، ولم يكن شرائع مقررّة تدل على فضله ، فلو دخلوه وأخبروه لأنكرت القلوب فضله . وأما هؤلاء القرامطة فافعلوا ما فعلوا بمدّ تقرير الشرائع وتمهيد القواعد ، والعلم بالضرورة من دين الله بشرف مكة والكعبة ، وكل مؤمن يعلم أن هؤلاء قد ألدوا في الحرم الحادّ بالثأ عظيماً ، وأنهم من أعظم الملعدين الكافرين ، بما تبين من كتاب الله وسنة رسوله ، فلهذا لم يحتج الحال إلى معاجلتهم بالقوبة ، بل أخرهم الرب تعالى ليوم تشخص فيه الأبصار ، والله سبحانه يعمل ويعلم ويستدرج ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر ، كما قال النبي ﷺ : « إن الله ليلى لظلمل حق إذا أخفنه لم يفلته » ثم قرأ قوله تعالى (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) وقال (لا يترك قلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل ثم ماؤام جهنم وبئس المهاد) وقال : (نمتهم قليلاً ثم نضطرمهم إلى عذاب غليظ) وقال : (متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) .

وفيها وقعت فتنة بغداد بين أصحاب أبي بكر المروزي الحنبل ، وبين طائفة من العامة ، اختلفوا في تفسير قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) فقالت الحنابلة : يجلسه معه على العرش . وقال الآخرون : المراد بذلك الشفاعة العظمى ، فاقتنلوا بسبب ذلك وقتل بينهم قتلى ، فأنافه وإنا إليه راجعون . وقد ثبت في صحيح البخاري أن المراد بذلك مقام الشفاعة العظمى ، وهي الشفاعة في فصل القضاء بين العباد ، وهو المقام الذي يرغب إليه فيه انطلق كلهم ، حتى إبراهيم ، وينبئه به الأولون والآخرون . وفيها وقعت فتنة بالموصل بين العامة فيما يتعلق بأمر الماش ، وانتشرت وكثر أهل الشر فيها واستظهروا ، وجرت بينهم شرور ثم سكنت . وفيها وقعت فتنة ببلاد خراسان بين بني ساسان وأميرهم نصر بن أحمد الملقب بسعيد ، وخرج في شعبان خارجي بالموصل . وخرج آخر بالبواريج ، فقاتلهم أهل تلك الناحية حتى سكن شرهم وفرق أصحابهم . وفيها التقى مفلح

الساجي وملك الروم المستق ، فزمره مفلح وطرود ورامه إلى أرض الروم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً .
وفيها هبت ريح شديدة ببنداد تحمل رمالاً أحر يشبه رمل أرض الحجاز . فمئلاّت منه البيوت .
وفيها توفي من الأعيان : أحمد بن الحسن بن الفرج بن سفيان أبو بكر النحوي ، كان عالماً
بمنهج الكوفيين وله فيه تصانيف .

(أحمد بن مهيدي بن رميم)

المابد الزاهد أنفق في طلب السلم ثلثمائة ألف درهم ، ومكث أربعين سنة لا يأوي إلى فراش .
وقد روى الحافظ أبو نعيم عنه أنه جاءته امرأة ذات ليلة فقالت له : إلى قد امتنحت بمحنة وأكرهت
على الزنا وأنا حبل مني ، وقد تسترت بك وزعمت أنك زوجي ، وأن هذا الحمل منك ، فاستترى
سترك الله ولا تفضحن . فسكت عنها ، فلما وضعت جاءني أهل الحلة وإمام مسجدهم يهنئونني بالولد ،
فأظهرت البشر وبعثت فاشترت بدينارين شيئاً حلواً وأطعمتهم ، وكنت أوجه إليهم مع إمام المسجد
في كل شهر دينارين صفة نفقة للمولود ، وأقول : أقرتها مني السلام فانه قد سبق مني مافرق بيني وبينها .
فمكنت كذلك سنتين ، ثم مات الولد فجأوني يمزونني فيه ، فأظهرت الحزن عليه ، ثم جاءني أمه
بالذناير التي كنت أرسل بها إليها نفقة الولد ، قد جتمها في صرة عندها ، فقالت لي : سترك الله وجزاك
خيرآ ، وهذه الذناير التي كنت ترسل بها . فقلت : إلى كنت أرسل بها صلة الولد وقد مات وأنت
ترثينه فهي لك ، فاضلي بها ماشئت فعدت وانصرفت .

(بدر بن الحسين)

ابن خلف بن خالد بن راشد بن الضحاك بن النعمان بن محرق بن النعمان بن المنذر ، أبو القاسم
البلخي القاضي الكوفي . نزل ببنداد وحدث بها عن أبي كريم وغيره ، وكان سماعه للحديث بعد
ما جاوز أربعين سنة ، وكان ثقة نبيلاً ، عاش مائة سنة وسبع عشرة سنة . توفي في شوال منها
بالكوفة .

(عبد الله بن محمد بن عبد العزيز)

ابن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه أبو القاسم البغوي ، ويعرف بابن بنت منيع ، ولد سنة
ثلاث عشرة ، وقيل أربعة عشرة ومائتين . ورأى أبا عبيد القاسم بن سلام ، ولم يسمع منه ، وسمع
من أحمد بن حنبل ، وعلي بن المديني ، ويحيى بن معين ، وعلي بن الجعد ، وخلف بن هشام الزبار ،
وخلق كثير ، وكان معه جزء فيه سماعه من ابن معين فأخذه موسى بن هارون الحافظ فرماه في دجلة ،
وقال : يريد أن يجمع بين الثلاثة ؟ وقد تفرد عن سبع وثمانين شيخاً ، وكان ثقة حافظاً ضابطاً ، روى
عن الحفاظ وله مصنفات . وقال موسى بن هارون الحافظ : كان ابن بنت منيع ثقة صدوقاً ، قليل
له : إن ههنا ناساً يتكلمون فيه . فقال : يحسدونه ، ابن بنت منيع لا يقول إلا الحق . وقال ابن أبي

حاتم وغيره : أحاديثه تدخل في الصحيح . وقال الهارثي : كان النبوي قل ما يتكلم على الحديث ، فإذا تكلم كان كلامه كالسار في الساج . وقد ذكره ابن عدي في كلمة فتكلم فيه ، وقال : حدث بأشياء أنكرت عليه . وكان معه طرف من معرفة الحديث والتصانيف ، وقد انتدب ابن الجوزي للرد على ابن عدي في هذا الكلام ، وذكر أنه توفي ليلة عيد الفطر منها ، وقد استكمل مائة سنة وثلاث سنين وشهوراً ، وهو مع ذلك صحيح السمع والبصر والاسنان ، يطاء الاماء . توفي ببغداد ودفن بجبرة باب التين . رحمه الله وأكرم مثواه .

﴿ محمد بن أبي الحسين بن محمد بن هنان ﴾

الشهيد الحافظ أبو الفضل الهروي ، يعرف بابن أبي سعد ، قدم ببغداد وحدث بها عن محمد بن عبد الله الأنصاري . وحدث عنه ابن المغيرة الحافظ ، وكان من الثقات الأتقياء الحفاظ المتقين ، له مناقشات على بضعة عشر حديثاً من صحيح مسلم ، قتلتها القرامطة يوم التروية بمكة في هذه السنة في جملة من قتلوا ، رحمه الله وأكرم مثواه .

﴿ الكمي المتكلم ﴾

هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكمي المتكلم ، نسبة إلى بني كعب ، وهو أحد مشايخ المعتزلة ، وت نسب إليه الطائفة الكمبية منهم . قال ابن خلكان : كان من كبار المتكلمين ، وله اختيارات في علم الكلام . من ذلك أنه كان يزعم أن أفعال الله تقع بلا اختيار منه ولا مشيئة . قلت : وقد خالف الكمي نص القرآن في غير ما موضح . قال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) وقال (ولو شاء ربك مافعله) (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) (ولو أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفها) الآية . وغيرها مما هو معلوم بالضرورة وصريح النقل والنقل .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ﴾

فيها عزل الخليفة المنتصر وزيره أبا علي بن مقله ، وكانت مدة وزارته سنتين وأربعة أشهر وثلاثة أيام ، واستوزر مكانه سليمان بن الحسن بن مخلد ، وجعل على بن عيسى خافراً معه . وفي جمادى الأولى منها أحرقت دار أبي علي بن مقله ، وكان قد أنفق عليها مائة ألف دينار ، فانتهب الناس أخشابها وما وجدوا فيها من حديد ورمصاص وغيره ، وصادروا الخليفة بمائتي ألف دينار . وفيها طرد الخليفة الرجالة الذين كانوا يبداء الخلافة عن بغداد ، وذلك أنه لما رد المنتصر إلى الخلافة شرعوا يفسدون بكلام كثير عليه ، ويقولون : من أعلن ظلالاً سلطه الله عليه . ومن أصعد الحمار على السطح لم يقدر أن ينزله . فأمر بإخراجهم ونفيهم من بغداد ، ومن أقام منهم عوقب . فأحرقت دور كثيرة من قراياتهم ، واحترق بعض نساءهم وأولادهم ، فخرجوا منها في غاية الاهانة ، قتلوا واسط وقتلوا عليها وأخرجوا

عالمها منها ، فركب إليهم مؤنس الخادم فأوقع بهم بأساً شديداً ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، فلم يبق لهم بعد ذلك قائمة . وفي ربيع الأول منها عزل الخليفة ناصر الدولة بن حمدان عن الموصل ، وولى عليها عميه سعيداً ونصراً ابناً حمدان . وولاه ديار ربيعة : نصيين وسنجار والخابور ورأس العين ، ومها مياطريقين وأزرن ، ضمن ذلك من الخليفة بمال يحمله إليه في كل سنة . وفي جمادى الأولى منها خرج رجل ببلاد البواريج يقال له صالح بن محمود ، فاجتمع عليه جماعة من بني مالك ، ثم سار إلى سنجار فحاصرها فدخلها وأخذ شيئاً كثيراً من أموالها ، وخطب بها خطبة ووعظ فيها وذكر ، فكان في جملة ما قال : تتولى الشيخين ، وتبهرأ من الحسين ، ولا ترى المسح على الخفين . ثم سار فثابت في الأرض فساداً . فانتدب له نصر بن حمدان قتاتله فأمره ومعه ابنان له ، فحبل إلى بنداد فدخلها وقد اشتهر شهرة عظيمة . وخرج آخر ببلاد الموصل فاتبه ألف رجل ، فحاصره أهل نصيين فخرجوا إليه فالتفتوا معه ، وقتل منهم مائة وأسر ألفاً ، ثم باعهم فوسهم وصادر أهلها بأربعمائة ألف درهم ، فانتدب إليه ناصر الدولة قتاتله فظفر به وأمره وأرسله إلى بنداد أيضاً . وفيها خلع الخليفة على ابنه هارون وركب معه الوزير والجيش ، وأعطاه نيابة فارس وكرمان وسجستان ومكرات ، وخلع على ابنه أبي السباس الراضى وجعله نائب بلاد المغرب ومصر والشام ، وجعل مؤنس الخادم يسد عنه أمورهما . وحج بالناس فيها عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز الهاشمي . وخرج الحجيج بفارة بדרך حق يسلموا في الدرب في الذهاب والإياب من القرامطة .

وفيهما توفي من الأعيان (أحمد بن إسحاق)

ابن البهلول بن حسان بن أبي سنان أبو جعفر التنوخي القاضي الحنفي ، العدل الثقة ، الرضى . وكان قتيلاً نبيلاً ، صمم الحديث الكثير ، وروى عن أبي كرييب حديثاً واحداً ، وكان طاماً بالنحو ، فصيح العبارة ، جيد الشعر ، محموداً في الأحكام . اتفق أن السيدة أم المقدس وفتى وقتاً وجعل هذا عنده نسخة به في صلة الحكم ، ثم أرادت أن تنقص ذلك الوقت فطلبت هذا الحاكم وأن يحضر معه كتاب الوقت لتأخذه منه فتقدمه ، فلما حضرا من وراء الستارة فهم المقصود فقال لها : لا يمكن هذا ، لأننى خازن المسلمين ، فاما أن تمرلوني عن القضاء وتولوا هذا غيرى ، وإما أن تتركوا هذا الذى تريدون أن تفعلوه ، فلا سبيل إليه وأنا حاكم . فشكته إلى ولدها المقندر فشفع عنده المقندر بذلك ، فذكر له صورة الحال . فرجع إلى أمه فقال لها : إن هذا الرجل ممن يرقب فيه ولا يزد فيه ، ولا سبيل إلى عزله ولا التلاعب به . فرضيت عنه وبشت تشكره على ما صنع من ذلك . فقال : من قدم أمر الله على أمر المباد كناه الله شرماً ، ورزقه خيماً . وقد كانت وفاته في هذه السنة . وقد جاوز الثمانين .

﴿ يحيى بن محمد بن صاعد ﴾

أبو محمد مولى أبي جعفر المنصور ، زحل في طلب الحديث ، وكتب وممع وحفظ ، وكان من كبار الحفاظ ، وشيوخ الرواية ، وكتب عنه جماعة من الأكابر ، وله تصانيف تدل على حفظه وقته وفهمه . توفي بالكوفة وله سبعون سنة .

﴿ الحسن بن علي بن أحمد بن بشار بن زياد ﴾

المعروف بابن العلاف الضرير البصري ، الشاعر المشهور ، وكان أحد سمار المعتضد . وله مرثاة طنانة في هزله ، قتله جيرانه لأنه أكل أفرانخ حمامهم من أبراجهم . وفيها آداب ورقة ، ويقال إنه أراد بها ابن المعتز لكنه لم يتجاسر أن ينسبها إليه من الخليفة المنتصر ، لأنه هو الذي قتله . وأولها :
يا هرّ فارقتنا ولم تمد • وكنت عندي بمنزلة الولد
وهي خمس وستون بيتاً .

﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة ﴾

في المحرم منها دخل الحبيص ببغداد ، وقد خرج مؤنس الخادم إلى الحج فيها في جيش كثيف ، خوفاً من القرامطة ، ففرح المسلمون بذلك وزينت ببغداد يومئذ وضربت الخيام والقباب لمؤنس الخادم ، وقد بلغ مؤنس في أثناء الطريق أن القرامطة أمامه ، فعدل بالناس عن الجادة ، وأخذ بهم في شعاب وأودية أياماً ، فشاهد الناس في تلك الأماكن عجائب ، ورأوا غرائب وعظماً في غاية الضخامة ، وشاهدوا ناساً قد مسخروا حجارة . ورأى بعضهم امرأة واقفة على تنور تخبز فيه قد مسخت حجراً ، والتنور قد صار حجراً . وحمل مؤنس من ذلك شيئاً كثيراً إلى الخليفة ليصدق ما يخبر به من ذلك . ذكر ذلك ابن الجوزي في منتظمه . فيقال إنهم من قوم عاد أو من قوم شعيب أو من عمود الله أعلم . وفيها عزل المنتدروزر سليمان بن الحسن بعد سنة وشهرين وتسعة أيام ، واستوزر مكانه أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكوكباني ، ثم عزله بعد شهرين وثلاثة أيام ، واستوزر الحسين بن القاسم ثم عزله أيضاً . وفيها وقعت وحشة بين الخليفة ومؤنس ، بسبب أن الخليفة ولي الحسبة لرجل اسمه محمد بن ياقوت ، وكان أميراً على الشرطة ، فقال مؤنس : إن الحسبة لا يتولاها إلا القضاة والممول وهذا لا يصلح لها . ولم يزل بالخليفة حتى عزل محمد بن ياقوت عن الحسبة والشرطة أيضاً ، وانفصل ، الحال بينهما . ثم تعيدت الوحشة بينهما في ذى الحجة من هذه السنة ، وما زالت تزايد حتى آل الحال إلى قتل المنتدروزر بالله كما سذكروا . وفيها أوقع نحل متولى طرسوس بالروم وقمة عظيمة ، قتل منهم خلقاً كثيراً وأسروا نحواً من ثلاثة آلاف ، وغنم من الذهب والفضة والديباغ شيئاً كثيراً جداً ، ثم أوقع بهم مرة ثانية كذلك . وكتب ابن الديبائي الأرمي إلى الروم يحثهم على المخول إلى بلاد

الاسلام وعدم النصر منه والاطاعة ، فدخلوا في جحافل عظيمة كثيرة جدا ، وانضاف إليهم الأرمني فركب إليهم مفلح غلام يوسف بن أبي الساج وهو يومئذ نائب أذربيجان وابنه خلق كثير من المتولعة ، قصد أولا بلاد ابن الديرائي قتل من الأرمن نحواً من مائة ألف ، وأسر خلقا كثيرا ، وغنم أموالا جزيلة ، وبمحصن ابن الديرائي في قلعة له هناك ، وكتب الروم فوصلوا إلى شميشاط فحاصروها ، فبعت أهلها يستصرخون سعيد بن حمدان نائب الموصل ، فسار إليهم مسرعاً ، فوجد الروم قد كادوا يفتحونها ، فلما علموا بقدمه رحلوا عنها واجتازوا بملطية قهيوها ، ورجعوا خاسئين إلى بلادهم ، ومعهم ابن نفيس المنتصر ، وقد كان من أهل بغداد . وركب ابن حمدان في آثار القوم فدخل بلادهم قتل خلقا كثيرا منهم وأسر وغنم أشياء كثيرة . قال ابن الأثير : وفي شوال من هذه السنة جاء سيل عظيم إلى تكريت ارتفع في أسواقها أربعة عشر شبراً ، وغرق بسببه أربعمائة دار ، وخلق لا يحصى إلا الله ، حتى كان المسلمون والنصارى يفتنون جميعاً ، لا يعرف هذا من هذا . قال : وفيها حاجت بالموصل ريح محمرة ثم أسودت حتى كان الإنسان لا يبصر صاحبه نهارة ، وظن الناس أنها القيامة ثم انجلى ذلك بمطر أرسله الله عليهم .

وفيها توفي من الأعيان الحسين بن عبد الرحمن أبو عبد الله الانطاكي فاضل فنور الشام ، يعرف بابن الصابوني ، وكان ثقة نبيلاً قدم بغداد وحدث بها .

﴿ علي بن الحسين بن حرب بن عيسى أبو عبيد بن حربويه ﴾

تولى القضاء بمصر مدة طويلة جدا ، وكان ثقة طالما من خيار القضاة وأعلمهم ، تفتت على منذهب أبي ثور ، وقد ذكرناه في طبقات الشافعية ، وقد استمعى عن القضاء فزل عنه في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، ورجع إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات في هذه السنة ، في صفر منها ، وصلى عليه أبو سعيد الأسطخري ، ودفن بداره . قال الدارقطني : حدث عنه أبو عبد الرحمن النسائي في الصحيح ، وولاه مات قبله بمسشرين سنة . وذكر من جلالته وفضله رحمه الله .

محمد بن الفضل بن العباس أبو عبد الله البلخي الزاهد . حكى عنه أنه مكث أربعين سنة لم يخط فيها خطوة في هوى نفسه ، ولا نظر في شيء فاستحسنه حياء من الله عز وجل ، وأنه مكث ثلاثين سنة لم يزل على ملكية قبيحاً .

﴿ محمد بن سعد أبو الحسين الوراق ﴾

صاحب أبي عثمان النيسابوري ، وكان قتيلاً يتكلم على المملكات . ومن جيد كلامه قوله : من غض بصره عن محرم أوردته الله بذلك حكمة على لسانه يهتدى بها سامعوه ، ومن غض نفسه عن شبهة نور الله قلبه نوراً يهتدى به إلى طرق مرضاة الله .

يحيى بن عبد الله بن موسى أبو زكريا الفارسي ، كتب بمصر عن الربيع بن سليمان ، وكان ثقة عدلا صدوقا عند الحكماء .

﴿ ثم دخلت سنة عشرين وثلاثمائة من الهجرة ﴾

فيها كان مقتل المقتدر بالله الخليفة ، وكان سبب ذلك أن مؤنسًا الخادم خرج من بغداد في الحرم منها مغاضبا الخليفة في ممالكه وحشمه ، متوجها نحو الموصل ، ورد من أثناء الطريق مولاه يسرى إلى المقتدر ليستعلم له أمره ، ويث مع رسالة يخاطب بها أمير المؤمنين ويأتمنه في أشيائه . فلما وصل أمر الوزير - وهو الحسين بن القاسم وكان من أكبر أعداء مؤنس - بأن يؤيدها فامتنع من أداها إلا إلى الخليفة ، فأحضره بين يديه وأمره بأن يقولوا للوزير فامتنع ، وقال : ما أمرني بهذا صاحبي . فشتبه الوزير وشتم صاحبه مؤنسًا ، وأمر بضربه ومصادرته بثمائة ألف دينار ، وأخذ خطه بها ، وأمر بنهب داره ، ثم أمر الوزير بالقبض على أقطاع مؤنس وأملاكه وأملاك من معه . فحصل من ذلك مال عظيم ، وارتفع أمر الوزير عند المقتدر ، ولقبه حميد الدولة ، وضرب اسمه على الدراهم والدنانير ، وتمكن من الأمور جدا ، فزل وولى ، وقطع ووصل أياما يسيرة ، وفرح بنفسه حينئذ قليلا . وأرسل إلى هارون بن عريب في الحال ، وإلى محمد بن ياقوت يستحضرهما إلى الحضرة عوضا عن مؤنس ، فصمم المظفر مؤنس في سيرة فسحل الموصل ، وجعل يقول لأمرائه الأعراب : إن الخليفة قد ولاني الموصل وديار ربيعة . فالتف عليه منهم خلق كثير ، وجعل ينفق فيهم الأموال الجزيلة وله إليهم قبل ذلك أبلد سائفة . وقد كتب الوزير إلى آل حيدان - وهم ولاية الموصل وتلك النواحي - بأمرهم بمحاربته ، فركبوا إليه في ثلاثين ألفا ، وواجههم مؤنس في ثمانمائة من ممالكه وحشمه ، فهزمهم ولم يقتل منهم سوى رجل واحد ، يقال له داود ، وكان من أشجعهم ، وقد كان مؤنس رياه وهو ضئيل . ودخل مؤنس الموصل قصده المساكن من كل جانب يستولون في طاعته ، لاحسانه إليهم قبل ذلك . من بغداد والشام ومصر والأعراب ، حتى صار في جحافل من الجنود . وأما الوزير المذكور فانه ظهرت خيائنه وهجره فزله المقتدر في ربيع الآخر منها ، وولى مكانه الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات ، وكان آخر وزراء المقتدر . وأقام مؤنس بالموصل تسعة أشهر ، ثم ركب في الجيوش في شوال قاصدا بغداد ليطالب المقتدر بأرزاق الأجناد وإنصافهم ، فسار - وقد بث بين يديه الطلائع - حتى جاء قنزل بياب السماوية ببغداد ، وقابله عنده ابن ياقوت وهارون بن عريب عن كره منه . وأشهر على الخليفة أن يستدين من والده ما لا يتقنه في الأجناد ، فقال : لم يبق عنده شيء ، وعزم الخليفة على الحرب إلى واسط ، وأن يترك بغداد إلى مؤنس حتى يترجع أمر الناس ثم يعود إليها . فرده عن ذلك ابن ياقوت وأشار بمواجهته لمؤنس وأصحابه ، فانهم تقي رأوا الخليفة خربوا كلهم إليه وتركوا

مؤنساً فركب وهو كاره وبين يديه الفقهاء ومعهم المصاحف المنشورة ، وعليه البردة والناس حوله ، فوقف على تل عال بعيد من المعركة وتودى في الناس : من جاء برأس فله خمسة دنانير ، ومن جاء بأسير فله عشرة دنانير . ثم بعث إليه أمرؤه يرمون عليه أن يتقدم فامتنع من التقدم إلى محل المعركة ، ثم ألقوا عليه فجاء بعد تمتع شديد ، فما وصل إليهم حتى انهزموا وفروا راجعين ، ولم يلتفتوا إليه ولا عطفوا عليه ، فكان أول من لقيه من أمراء مؤنس على بن بليق ، فلما رأى رجل قبل الأرض بين يديه وقال : لمن الله من أشار عليك بالخروج في هذا اليوم . ثم وكل به قوماً من المغاربة البربر ، فلما تركهم وإليه شهره عليه السلاح ، فقال لهم : ويلكم أنا الخليفة . فقالوا : قد عرفناك يا سفلتة ، إنما أنت خليفة إبليس ، تنادى في جيشك من جاء برأس فله خمسة دنانير ؟ وضربه أحدهم بسيفه على خاتمه فسقط إلى الأرض ، وذبحه آخر وتركوا جثته ، وقد سلبوه كل شيء كان عليه ، حتى سراويله ، وبقي مكشوف المودة مجندلاً على الأرض ، حتى جاء رجل فضلى عورته بمحشيش ثم دفنه في موضعه وصفا أثره ، وأخذت المغاربة رأس المقتدر على خشبة قد رفضوها وهم يلعنونه ، فلما انهوا به إلى مؤنس - ولم يكن حاضراً الوقت - فحين نظر إليه لطم رأس نفسه ووجهه وقال : ويلكم ، والله لم أكرم بهذا ، لعنكم الله ، والله لنقتلن كلنا . ثم ركب ووقف عند دار الخلافة حتى لا تنهب ، وهرب عبيد الواحد بن المقتدر وهارون بن جريب ، وأبناء رائق ، إلى المدائن ، وكان فلي مؤنس هذا سبباً لطعم ملوك الأطراف في الخلفاء ، وضعف أمر الخلافة جداً ، مع ما كان المقتدر يمتدحه في التبذير والتفريط في الأموال ، وطاعة النساء ، وهزل الوزراء ، حتى قيل إن جملة ما صرفه في الوجوه الفاسدة ما يقارب ثمانين ألف ألف دينار . ﴿ وهذه ترجمة المقتدر بالله ﴾

هو جعفر بن أحمد المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد الموفق بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المستصم بن هارون الرشيد ، يكنى أبا الفضل ، أمير المؤمنين للعباسي ، مولده في ليلة الجمعة لثمان يقين من رمضان سنة ثنتين وثمانين ومائتين ، وأمه أم ولد اسمها شبيب ، ولقيبت في خلافة والدها بالسيدة . بويح له بالخلافة بعد أخيه المكتفي يوم الأحد لأربع عشرة مضت من ذي القعدة ، سنة خمس وتسعين ومائتين ، وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر وأيام . ولهذا أراد الجند خلعه في ربيع الأول من سنة ست وتسعين محتجين بصفره وعدم بلوغه ، وتولية عبيد الله بن المتز ، فلم يتم ذلك ، وانتفض الأمر في ثاني يوم كما ذكرنا . ثم خلعه في الحرم من سنة سبع عشرة وثلثائة ، وولوا أخاه محمداً القاهر كما تقدم ، فلم يتم ذلك سوى يومين ، ثم رجع إلى الخلافة كما ذكرنا . وقد كان المقتدر ربيعة من الرجال حسن الوجه واليمين ، بعيد ما بين المنكبين ، حسن الشعر ، مبدور الوجه ، مشرباً بحمرة ، حسن الخلق ، قد شاب رأسه وطراؤه ، وقد كان معظماً جواداً ، وله عقل جيد ، وفهم وافر ، وذهن صحيح ،

وقد كان كثير التحجب والتوسع في النفقات ، وزاد في رسوم الخلافة وأمور الرياسة ، وما زاد شيء إلا قص . كان في داره إحدى عشر ألف خادم خفي ، غير الصقالبة وأبناء فارس والروم والسودان ، وكان له دار يقال لها دار الشجرة ، بها من الأثاث والأمتعة شيء كثير جداً ، كما ذكرنا ذلك في سنة خمس ، حين قدم رسول ملك الروم . وقد ركب المقتدر يوماً في حراقة وجبل يستمتع بالطعام فأبطأوا به فقال للملاح : ويحك هل عندك شيء آكل ؟ قال : نعم ، فأقاه بشيء من لحم الجدي وخبز حسن وملوحا وغير ذلك . فأعجبه ثم استدعاه فقال : هل عندك شيء من الحلواء ، فإني لأحس بالشبع حتى آكل شيئاً من الحلواء . فقال : يا أمير المؤمنين إن حلواءنا التمر والكسب . فقال : هذا شيء لا أطيقه . ثم جئني بطعام فأكل منه وأوفى بالحلواءات فأكل وأطعم الملاحين ، وأمر أن يسل كل يوم في الحراقة بمائتي درهم ، حتى إذا اتفق ركو به فيها أكل منها ، وإن لم يتفق ركو به كانت للملاح . وكان الملاح يأخذ ذلك في كل يوم عدة سنين متعده ، ولم يتفق ركو به مرة أخرى أبداً . وقد أراد بعض خواصه أن يطهر ولده فعمل أشياء هائلة ثم طلب من أم الخليفة أن يمار القرية التي عملت في ظهور المقتدر من فضة ليراهم الناس في هذا المهم ، فطلعت أم المقتدر عند ولدها حتى أطلقها له بالكلي ، وكانت صفة قرية من القرى كلها من فضة ، بيوتها وأطبقها وأبقارها وجملها ، ودوابها وطيورها ، وخيولها ، وزروعها ونمازها وأشجارها ، وأنهارها وما يتبع ذلك مما يكون في القرى ، الجميع من فضة مصورة ، وأمر بنقل سباطه إلى دار هذا الرجل ، وأن لا يكلف شيء من المطاعم سوى مملح طري ، فاشترى الرجل بثلاثمائة دينار ممحكا طريا ، وكان جملة ما اتفق الرجل على سباط المقتدر ألفاً وخمسمائة دينار ، والجميع من عند المقتدر ، وكان كثير الصدقة والاحسان إلى أهل الحرمين وأرباب الوغلاف ، وكان كثير التفضل بالصلاة والصوم والعبادة ، ولكنه كان موثراً لشهوته ، مطيعاً لخصايه كثير العزل والولاية والتلون . وما زال ذلك دأبه حتى كان حلاكه على يدي [غلمان] مؤنس الخادم ، قتل عند باب الشامسية ليلتين بقتل من شوال من هذه السنة - أعني سنة ثلثمائة وعشرين - وله من العمر ثمان وثلاثون سنة ، وكانت مدة خلافته أربعمائة وعشرين سنة وإحدى عشر شهراً وأربعة عشر يوماً ، كان أكثر مدة ممن تعهده من الخلفاء .

❦ خلافة القاهر ❦

لما قتل المقتدر بالله عزم مؤنس على تولية أبي العباس بن المقتدر بصد أبيه ليطلب قلب أم المقتدر ، ففعل عن ذلك جمهور من حضر من الأمراء فقال أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختي : بصد التسب والنكد نبأيع الخليفة صبي له أم وخالات يطيعن ويشاورهن ؟ ثم أحضروا محمد بن المتضد - وهو أخو المقتدر - فبايعه التضاة والأمراء والوزراء ، وكتبوه بالقاهر بالله ، وذلك في شهر

يوم الخميس ليلتين بقيتا من شوال منها ، واستوزر أبا علي بن مقله ، ثم أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبد الله ، ثم أبا العباس ، ثم الخصى . وشرع القاهر في مصادرة أصحاب القنطرة وتبع أولاده ، واستدعى بأم القنطرة وهي مريضة بالاستسقاء ، وقد تزايد بها الوجع من شدة جرحها على ولدها حين بلغها قتله ، وكيف بقي مكشوف المورة . فقبضت أيلما لا تأكل شيئا ، ثم وعظما النساء حتى أكلت شيئا يسيرا من الخبز والملح ، ومع هذا كله استدعى بها القاهر فقررها على أموالها فذكرت له ما يكون للنساء من الخلى والمصاغ والثياب ، ولم تهر بشئ من الأموال والجواهر ، وقالت له : لو كان عندي من هذا شيء ما سلمت ولدي . فأمر بضرها وعلقت برجلها وسها بعذاب شديد من العقوبة ، فأشبهت على نفسها ببيع أملاكها ، فأخذ الجند مما يحاسبون به من أرزاقهم ، وأرادها على بيع أوقافها فامتنعت من ذلك وأبت أشد الأباء . ثم استدعى القاهر بمجاعة من أولاد القنطرة منهم أبو العباس وهارون والعباس وعلي والفضل وإبراهيم ، فأمر بمصادرتهم وحبسهم ، وسلمهم إلى حابيه علي بن بليق ، وتمكن الوزير علي بن مقله فزل وولى ، وأخذ وأعطى أيلما ، ومنع البريدى من عاملهم . وفيها توفي من الأعيان .

﴿ أحمد بن محمد بن جوصا ﴾

أبو الحسن الله شقي أحد المحدثين الحفاظ ، والرواة الأيقاظ . وإبراهيم بن محمد بن علي بن بطحاء ابن علي بن مقله أبو إسحاق القتيبي الحنصلي ببغداد ، روى عن عباس البوري وعلي بن حرب وغيرهما ، وكان ثقة فاضلا . مر يوما على باب القاضي أبي عمر محمد بن يوسف والخصوم عكوف على بابه والشمس قد ارتفعت عليهم ، فبث حابيه إليه يقول له : إما أن تخرج فتتصل بين الخصوم ، وإما أن تبث فتعذر إليهم إن كان لك عن حق يمدوا إليك بمد هذا الوقت .

﴿ أبو علي بن خيران ﴾

القتبي الشافعي ، أحد أئمة المنصب ، واسمه الحسين بن صالح بن خيران القتيبي الكبير الورع . مرض عليه منصب القضاء فلم يقبل ، ونظم عليه الوزير علي بن عيسى على بابه ستة عشر يوما ، حتى لم يجد أهله ماء إلا من بيوت الجيران ، وهو مع ذلك يمتنع عنهم ، ولم يل لهم شيئا . فقال الوزير : إما أردنا أن نعلم الناس أن يبلدنا وفي مملكتنا من عرض عليه قضاء قضية الدنيا في المشرق والمغرب فلم يقبل . وقد كانت وفاته في ذى الحجة منها ، وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية بما فيه كفاية . عبد الملك بن محمد بن عدي القتيبي الاسترأبدي ، أحد أئمة المسلمين والحفاظ المحدثين وقد ذكرناه أيضا في طبقات الشافعية .

﴿ القاضي أبو عمر المالكي محمد بن يوسف ﴾

ابن إسماعيل بن حماد بن زيد ، أبو عمر القاضي ببغداد وسلاطها في سائر البلاد ، كان من أئمة

الإسلام علماً ومعرفة ، وفصاحة وبلاغة ، وعقلاً ورياسة ، بحيث كان يضرب بعقله المثل . وقد روى الكثير عن المشايخ ، وحدث عنه الدارقطني وغيره من الحفاظ ، وحدث الناس عنه علماً كثيراً من الفقه والحديث ، وقد جمع قضاء القضاة في سنة سبع عشرة وثلاثمائة . وله مصنفات كثيرة . وجمع مسنداً حافلاً ، وكان إذا جلس للحديث جلس أبو القاسم البغوي عن يمينه وهو قريب من سن أبيه ، وجلس عن يساره أيضاً ابن صاعد ، وبين يديه أبو بكر النيسابوري ، وسائر الحفاظ حول سريره من كل جانب . قالوا : ولم ينقد عليه حكم من أحكامه أخطأ فيه قط . قلت : وكان من أكبر صواب أحكامه وأصوبها قتله الحسين بن منصور الحلاج في سنة تسع وثلاثمائة كما تقدم . وكان القاضي أبو عمر هذا جميل الأخلاق ، حسن المعاشرة ، اجتمع عنده يوماً أصحابه فجئ شوب فاخر ليشرته بنحو من خمسين ديناراً ، فاستحسنه الحاضرون ، فدنا بالقلانس وأمره أن يقطع ذلك الثوب قلانس بعدد الحاضرين . وله مناقب ومحاسن جدرحه الله تعالى . توفي في رمضان منها عن ثمان وسبعين سنة ، وقد رآه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل بك ربك ؟ قال : غفرت بدعوة الرجل الصالح إبراهيم الحربي .

(ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة)

في صفر منها أحضر القاهر رجلاً كان يقطع الطريق فضرب بين يديه ألف سوط ، ثم ضربت عنقه وقطع أيدي أصحابه وأرجلهم . وفيها أمر القاهر بإبطال الحر والمغاني والقيان ، وأمر ببيع الجوارى المنيات بسوق النخس ، على أنهن سواذج . قال ابن الأثير : وإنما فعل ذلك لأنه كان محباً للفتنة فأراد أن يشتريهن برخص الأثمان . فمؤذ بالله من هذه الاخلاق . وفيها أشاعت العامة بينهم بأن الحاجب على بن بليق يريد أن يلتم معاوية على المنابر . فلما بلغ الحاجب ذلك بحث إلى رئيس الحنابلة البرهاري أبي محمد الراعي ليقابله على ذلك ، فهرب واختفى ، فأمر بجماعة من أصحابه فنشروا إلى البصرة . وفيها عظم الخليفة وزر به على بن مقله وخاطبه بالاحترام والاكرام . ثم إن الوزير ومؤنس الخادم وصلى بن بليق وجماعة من الأمراء اشتروا فيها بينهم على خلع القاهر وتولية أبي أحمد المكتفي ، وبايعوه سرّاً فيها بينهم ، وضيّقوا على القاهر بالله في رزقه ، وعلى من يجتمع به . وأرادوا القبض عليه سرّاً . فبلغ ذلك القاهر . فبلغه طريق الشكرى . فسمى في القبض عليهم ، فوقع في مخالبه الأمير المظفر مؤنس الخادم ، فأمر بحبسهم قبل أن يراه والاحتياط على حوره وأملأكه . وكانت فيه حيلة وجرأة ونظيش وهوج وخرق شديد . وجعل في منزلته أمير الأمراء ورئاسة الجيش . طريقاً الشكرى ، وقد كان أحد الاهداء لمؤنس الخادم قبل ذلك . وقبض على بليق ، واختفى ولده على بن بليق ، وهرب الوزير بن مقله فاستوزر مكانه أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله ، في مستهل شعبان ، وخلع عليه وأمر بتحريق دار ابن مقله ، ووقع التهب ببغداد ، وهاجت الفتنة ، وأمر

القاهر بأن يجعل أبو أحمد المكتفي بين خالطين ويسد عليه بالآجر والكلس ، وهو حي ، فأتت .
وأرسل منادى على المحتفين : إن من أخفام قتل وشربت داره . فوقع بلى بن بليق فذبح بين يديه
كما تذبح الشاة ، فأخذ رأسه في طست ودخل به القاهر على أميه بليق بنفسه ، فوضع رأس ابنه بين
يديه ، فلما رآه بكى وأخذ يقبله ويتشفه ، فأمر بقبضه أيضاً فذبح ، ثم أخذ الرأسين في طستين فدخل
بهما على مؤنس الخفام ، فلما رآهما تشهد ولمن قاتلها ، فقال القاهر : جروا برجل الكلب ، فأخذ
فذبح أيضاً وأخذ رأسه فوضع في طست وطيف بالرؤس في بغداد ، ونودي عليهم : هذا جزاء من
يخون الامام ويسعى في الدولة فساداً . ثم أعيدت الرؤس إلى خزان السلاح . وفي ذى القعدة منها قبض
القاهر على الوزير أبي جعفر محمد بن القاسم وسجنه ، وكان مريضاً بالقلولج ، فبقي ثمانية عشر يوماً ومات
وكانت وزارته ثلاثة أشهر وأثنى عشر يوماً . واستوزر مكانه أبا العباس أحمد بن عبد الله بن سليمان
الخصيصي ، ثم قبض على طريف اليشكري الذي قتلوا على مؤنس وابن بليق وسجنه ، ولهذا قيل :
من أعان ظلالا سلطه الله عليه . فلم يزل اليشكري في الحبس حتى خلع القاهر . وفيها جاء الخبر بموت
العامل بديار مصر ، وأن ابنه محمداً قد قام مقامه فيها ، وسارت الخلع إليه من القاهر بتنفيذ الولاية
واستقراره .

(ذكر ابتداء أمر بني بويه وظهور دولتهم في هذه السنة)

وهم ثلاثة إخوة : عماد الدولة أبو الحسن علي ، وركن الدولة أبو علي الحسن ، وعمز الدولة أبو
الحسين أحمد أولاد أبي شجاع بويه بن قبلخسر وبن تمام بن كوي بن شير ذيل الأصغر بن شير كيه
ابن شير ذيل الأكبر بن شيران شاه بن شيرويه بن ميسان شاه بن سيس بن فيروز بن شير ذيل بن
ميسان بن بهرام جور الملك بن بزد جور الملك بن سابور الملك بن سابور ذي الاكتاف الفارسي .
كنا نسبهم الأمير أبو نصر بن ماكولا في كتابه . وإنما قيل لهم الباطلة لأنهم جاؤوا بالديلم ، وكانوا
بين أظهرهم مدة ، وقد كان أبوهم أبو شجاع بويه قديراً مدقماً ، يصطاد السمك ويمتطب بنوه الحطب
على رؤسهم ، وقد ماتت امرأته وخلفته له هؤلاء الأولاد الثلاثة ، فحزن عليها وعليهم ، فبينما هو يوماً
عند بعض أصحابه وهو شرباً من رستم الديلمي ، إذ مر منجم فاستبطه فقال له : إني رأيت مناما
فرأيته أحب أن قصره لي : رأيت كأنني أبول فخرج من ذكرى فارغية حتى كانت تبلغ عنان السماء .
ثم أفرقت ثلاث شمس ثم انقشرت كل شمس حتى صارت شمساً كثيرة ، فأضاءت الدنيا بتلك النار ،
ورأيت البلاد والبياد قد خضمت لهذه النار . فقال له المنجم : هذا منام عظيم لا أفسره لك إلا بال
جزيل . فقال : والله لا شيء عندي أعطيك ، ولا أملك إلا فرسي هذه . فقال : هذا يدل على أنه
ملك من صلبك ثلاثة ملوك ، ثم يكون من سلالة كل واحد منهم ملوك عدة . فقال له : ويحك
أستخري ؟ وأمر بلبه فصفوه ثم أعطاه عشرة دراهم . فقال لهم المنجم : اذكروا هذا إذا قمتم عليكم

وأثم ملوك ، وخرج وتركهم . وهذا من أعجب الأشياء ، وذلك أن هؤلاء الأخوة الثلاثة كانوا عند ملك يقال له « ما كان بن كاثي » في بلاد طبرستان ، فسلط عليه مرداويج فضمف ما كان ، فقتلوا وروا في مفارقتة حتى يكون من أمره ما يكون ، ففرجوا عنه ومهم جماعة من الأمراء ، فصاروا إلى مرداويج فأكرمهم واستعلمهم على الأعمال في البلدان ، فأعطى عماد الدولة على يديه نيابة الكرخ ، فأحسن فيها السيرة والتف عليه الناس وأحبوه ، فخدمه مرداويج وبعث إليه بمنزله عنها ، ويستدعيه إليه فامتنع من القدوم عليه ، وصار إلى أصبهان فخاربه فأتىها ففرزه عماد الدولة هزيمة منكرة ، واستولى على أصبهان . وإنما كان معه سبعمائة فارس ، قهر بها عشرة آلاف فارس ، وعظم في أعين الناس . فلما بلغ ذلك مرداويج قلق منه ، فأرسل إليه جيشا فأخرجوه من أصبهان ، قصد أذربيجان فأخضعها من فاتها وحصل له من الأموال شيء كثير جدا ، ثم أخذ بلدانا كثيرة ، واشتهر أمره وبعد صيته وحسنت سيرته . فقصد الناس محبة وتعلبا ، فاجتمع إليه من الجند خلق كثير وجم غفير ، فلم يزل يترقى في مرافق الدنيا حتى آل به وبأخويه الحال إلى أن ملكوا بئداد من أيدي الخلفاء العباسيين ، وصار لهم فيها القطع والوصل ، والولاية والعرز ، وإلهم فجي الأموال ، ويرجع إليهم في سائر الأمور والأحوال ، على ما سذكر ذلك مبسوطا والله المستعان :

وفيات توفى من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن محمد بن سلامة ﴾

ابن سبعة بن عبد الملك أبو جعفر الطحاوي ، نسبة إلى قرية بصعيد مصر ، الفقيه الحنفي صاحب المصنفات المفيدة ، والقوائد الغزيرة : وهو أحد الثقات الأثبات ، والحفاظ الجهابذة ، وطحا بلة بدريا مصر . وهو ابن أخت المزني . توفى في مستهل ذي القعدة منها من ثلثين وثمانين سنة وذكر أبو سعيد السمعاني أنه ولد في سنة تسع وعشرين ومائتين ، فلي هذا يكون قد جاوز التسعين والله أعلم . وذكر ابن خلكان في الوفيات أن سبب انتقاله إلى منذهب أبي حنيفة ورجوعه عن منذهب خاله المزني ، أن خاله قال له يوما : والله لا يجيئك منك شيء . فنفض وتركه واشتغل على أبي جعفر بن أبي عمران الحنفي ، حتى برع وفق أهل زمانه ، وصنف كتباً كثيرة . منها أحكام القرآن ، واختلاف العلماء . ومعاني الآثار ، والتاريخ الكبير . وله في الشروط كتاب ، وكان ياردا فيها . وقد كتب قضاى أبي عبد الله محمد بن عبد الله وعنده القاضي أبو عبيد بن حريه ، وكان يقول : رحم الله المزني ، لو كان حيا لكفر من يمينه . توفى في مستهل ذي القعدة كما تقدم . ودفن بالقرافة وقبره مشهور بها رحمه الله . وقد ترجمه ابن عساكر وذكر أنه قد قدم دمشق سنة ثمان وستين ومائتين ، وأخذ الفتنة عن فاضلها أبي حازم .

﴿ أحمد بن محمد بن موسى بن النضر ﴾

ابن حكيم بن علي بن زربي أبو بكر المعروف بابن أبي حمزة صاحب بيت المال . جمع عباسا الدورى

وخلقنا وعنه النار قلبي وغيره . وكان ثقة صدوقا ، جوادا ممدحا ، اثنى في أيامه أن رجلا من أهل العلم كانت له جارية يحبها حباً شديداً ، فركبته دون اقتضت بيع تلك الجارية في الدين ، فلما أن قبض منها ندم ندامة شديدة على فراغها ، وبقى متعيراً في أمره ، ثم باعها الذي اشتراها فوصلت إلى ابن أبي حامد هذا ، وهو صاحب بيت المال ، فشتغ صاحبها الأول - الذي باعها في الدين - ببعض أصحاب ابن أبي حامد في أن يردّها إليه بشئها ، وذكر له أنه يحبها ، وأنه من أهل العلم ، وإنما باعها في دين ركبته لم يجد له وفاة . فلما قال له ذلك لم يكن عند ابن أبي حامد شعور بما ذكر له من أمر الجارية ، وذلك أن امرأته كانت اشتريتها له ولم تملكه بعد بأمرها حتى نحل من استيراثها ، وكان ذلك اليوم آخر الاستيراء ، فألبسها الحلى والمصاغ وصنمها له وحيثها ، حتى صارت كأنها فلقه قر ، وكانت حسناء ، فحين شفع صاحبه فيها وذكر أمرها بهت لعلم علمه بها . ثم دخل على أهله يستكشف خبرها من امرأته ، فاذا بها قد بعثت له ، فلما رآها على تلك الصفة فرح فرحاً شديداً إذ وجدها كذلك من أجل سببها الأول ، الذي تشفع فيه صاحبه . فأخرجها معه وهو يظهر السرور ، وامرأته تظن أنه إنما أخذها ليطأها ، فأبى بها إلى ذلك الرجل بحلبها وزينتها ، وقال له : هذه جاريك ؟ فلما رآها على تلك الصفة في ذلك الحلى والزينة مع الحسن الباهر اضطرب كلامه واختلط في عقله بما رأى من حسن منظرها وحيثها . فقال : نعم . فقال : خنعا بارك الله لك فيها . ففرح الفتي بها فرحاً شديداً . وقال سيدي تأمر بمن يحمل ثمنها إليك ؟ فقال : لا حاجة لنا بشئها ، وأنت في حل منه أفتك عليك وعليها ، فأبى أخشى أن تفتقر فتبيعها لمن لا يردّها عليك . فقال : يا سيدي وهذا الحلى والمصاغ الذي عليها ؟ فقال : هذا شيء وعيناه لما لا نرجع فيه ولا يعود إلينا أبداً ، ففعلنا له واشتد فرحها بها جداً وأخذها ونهب . فلما أراد أن يودع ابن أبي حامد قال ابن أبي حامد للجارية : أما أحب إليك نحن أوسيدك هذا ؟ قالت : أما أنتم قد أحسنتم إلى وأعنتوني لجزاكم الله خيراً ، وأما سيدي هنا فترأى ملكك منه ممالك متى لم أهبه بالأموال الجزية ولا فرطت فيه أبداً ، فاستحسن الحاضرون كلامها وأحبهم ذلك من قولها ، مع صغر سنّها .

﴿ شطب أم أمير المؤمنين المقتدر بالله الملقبة بالسيدة ﴾

كان دخلها من أملاكها في كل سنة ألف ألف دينار ، فكانت تنصبق بأكثر ذلك على الخبيث في أشربة وأزواد وأطباء يكونون معهم ، وفي تسهيل الطرقات والموارد . وكانت في غاية الحشمة والرياسة وفوذ الكلمة إليهم ولعلا ، فلما قتل كانت مريضة فزادها قتله مرضاً إلى مرضها ، ولما استقر أمر القاهر في الخلافة وهو ابن زويها المتنصف وأخو ابنها المقتدر ، وقد كانت حضنته حين توفيت أمه وخلصته من ابنها لما أخذت البيعة بالخلافة له ثم رجع ابنها إلى الخلافة فشنت في القاهر ، وأخذته إلى عندها ،

فكانت فكرمه وتشتري له الجوارى ، فلما قتل ابنها وتولى مكانه طلبها وهي مريضة فعاقبها عقوبة عظيمة جدا ، حتى كان يعلقها برجليها ورأسها منكوس ، فربما قالت فيسبل البول على وجهها ، ليقررها على الأموال فلم يجد لها شيئا سوى ثيابها ومصاغها وحليها في صناديقها . قيمة ذلك مائة ألف دينار ، وثلاثون ألف دينار ، وكان لها غير ذلك أملاك أمر بيدها وأتى بالشهود ليشهدوا عليها بالتوكيل في بيعها ، فامتنع الشهود من الشهادة حتى ينظروا إليها ويحلوها ، ففرغ السرايا من الخليفة . فقالوا لها : أنت شعب جارية المعتضد أم جعفر المعتز ؟ فبكت بكاء طويلا ثم قالت : نعم ، فكتبوا بحليتها هجوز ممرء اللون دقيقة الجبين . وبكى الشهود وتفكروا كيف يتقلب الزمان بأهله ، وتنقل الحذنان وأنت الدنيا دار بلاء لا يبقى مرجوها بخوفها ، ولا يسلم طلوعها من كسوفها ، من ركن إليها أحرقت بنارها . ولم يذكر القاهر شيئا من إحسانها إليه رحمه الله وعفا عنها . توفيت في جمادى الأولى من هذه السنة ، ودفنت بالرضاقة .

﴿ عبد السلام بن محمد ﴾

ابن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان ، مولى عثمان بن عفان ، وهو أبو هاشم ابن أبي علي الجبائي المشكلم ابن المشكلم ، المعتزلى بن المعتزلى ، وإليه تنسب الطائفة الهاشمية من المعتزلة ، وله مصنفات في الاعتزال كما لأبيه من قبله ، مولده سنة سبع وأربعين ومائتين ، توفي في شعبان منها . قال ابن خلكان : وكان له ابن يقال له أبو علي ، دخل يوما على صاحب بن عباد فأكرمه واحترمه وسأله عن شيء من المسائل فقال : لا أعرف نصف العلم . فقال : صدقت وسبقت أولك إلى الجهل بالنصف الآخر .

﴿ أحمد بن الحسن بن حديد بن حنابلة ﴾

أبو بكر بن حديد الأزدي القنوي النحوي الشاعر صاحب المنصورة ، ولد بالبصرة في سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، وتنفق في البلاد لطلب العلم والأدب ، وكان أبوه من قوى اليسار ، وقدم بغداد وقد أسن فاقام بها إلى أن توفي في هذه السنة . روى عن عبد الرحمن بن أخى الأصمعي ، وأبى حاتم والراشعي . وعنه أبو سعيد السيرافي ، وأبو بكر بن شاذان ، وأبو عبيد الله بن المزيان وغيرهم . ويقال كان أعلم من شعر من العلماء . وقد كان منتهكا في الشراب منتهكا فيه . قال أبو منصور الأزهري : دخلت عليه فوجدته سكران فلم أعد إليه . وسئل عنه الفارطى فقال : تمكدوا فيه . وقال ابن شاهين : كنا ندخل عليه فلمستحى عاتراه من الميدان المعلقة وآلات الهوى والشراب المصفي وقد تجاوز التسعين وقارب المائة . توفي يوم الأربعاء لثلاث عشرة ببيت من شعبان . وفي هذا اليوم توفي أبو هاشم ابن أبي علي الجبائي المعتزلى ، فصل بينهما معا ، ودفنا في مقبرة الخيزران . قال الناس : ماتت

اليوم عالم القفة ، وعالم الكلام . وكان ذلك يوما مطيراً . ومن مصنفات ابن حريذ الجهرة في القفة نحو عشر مجلدات . وكتاب المطر ، والمقصورة ، والتصينة الأخرى في التصور والممدود ، وغير ذلك .
 سأل الله . ﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة ﴾

فيها قصد ملك الروم ملطية في خمسين ألفاً لخاصرم ثم أعطاهم الأمان حتى تمكن منهم ، قتل منهم خلقاً كثيراً وأسر مالا يحصون كثرة ، فأتاه وإنا إليه راجعون . وفيها وردت الأخبار أن مرداويج قد تسلل أصبهان وانزعها من علي بن بويه ، وأن علي بن بويه توجه إلى أرتجان فأخذها ، وقد أرسل ابن بويه إلى الخليفة بالطاعة والمعونة ، وإن أمكن أن يقبل العتبة الشريفة ويحضر بين يدي الخليفة إن رسم ، وينهب إلى شيراز فيكون مع ابن ياقوت . ثم اتفق الحال بعد ذلك أن صار إلى شيراز وأخذها من نائبها ابن ياقوت بعد قتال عظيم ، ففر فيه ابن بويه وابن ياقوت وأصحابه ، قتل منهم خلقاً وأسر جماعة ، فلما تمكن أطلقهم وأحسن إليهم وخلع عليهم ، وعمل في الناس . وكانت معه أموال كثيرة قد استفادها من أصبهان والكرخ وحمضان وغيرها . وكان كريماً جواداً معطياً للجيوش الذين قد اتفوا عليه ، ثم إنه ألقى في بعض الأحيان وهو بشيراز ، وطالبه الجند بأرزاقهم وخاف أن ينحل نظام أمره وملكه ، فاستلقى على قفاه يوماً مفكراً في أمره ، وإذ حية قد خرجت من شق في سقف المكان التي هو فيه ودخلت في آخره ، فأمر بنزع تلك السقوف فوجد هناك مكاناً فيه شيء كثير من الذهب ، فهو من خمسمائة ألف دينار . فأتفق في جيشه ما أراد ، وبقي عنده شيء كثير . وركب ذات يوم يتفرج في جوانب البلد وينظر إلى ما بلته الأوائل ، ويتعجب من كان فيه قبله ، فانقضت الأرض من تحت قوائم فرسه ، فأمر فحفر هناك فوجد من الأموال شيئاً كثيراً أيضاً . واستعمل عند رجل خياط قاشاً ليلبسه فاستبطأه فأمر بحضوره ، فلما وقف بين يديه تهدهد . وكان الخياط أصم لا يسمع جيداً فقال : والله أيها الملك مالا بن ياقوت عندي سوى اثنا عشر صندوقاً لا أدرى ما فيها . فأمر بحضورها فإذا فيها أموال عظيمة تقارب ثلثمائة ألف دينار ، وأطلع على ودائع كانت ليعقوب بن الهيث ، فيها من الأموال مالا يحصى ولا يوصف كثرة ، أقوى أمره وعظم سلطانه جداً . وهذا كله من الأمور المقترنة لما يريد الله بهم من السعادة الدنيوية ، بعد الجوع والقلة (وربك يخلق ما يشاء ويختار) وكتب إلى الرازي وزيره ابن مقلة أن يقاطع على ما يقبله من البلاد على ألف ألف في كل سنة ، فأجابه الرازي إلى ذلك ، وبعث إليه بالخلع والهدايا وأجبه الملك . وفيها قتل القاهر أميرين كبيرين ، وهما إسحاق بن إسماعيل التوبختي ، وهو الذي كان قد أشار على الأمراء بخلافة القاهر . وأبى السرايا بن حمدان أسفر ولد أبيه ، وكان في نفس القاهر منهما بسبب أنهما زائدا من قبل أن يلى الخلافة في جارتين ممتنيتين . فاستدعاهما إلى المسامرة فطعنا وحضرا ، فأمر بإلقائهما في

جب هناك فتضرعا إليه فلم يرجعها ، بل ألقيا فيها وطم عليها .

﴿ ذكر خلع القاهر وحمل عييلة وعذابه ﴾

وكان سبب ذلك أن الوزير علي بن مقله كان قد هرب حين قبض على مؤنس كما تقدم ، فاختفى في داره ، وكان يرسل الجند ويكتبهم ويغريهم بالقاهر ، ويخوفهم سطوته وإقدامه وسرعة بطشه ، ويخبرهم بأن القاهر قد أعد لأكثر الأمراء أما كن في دار الخلافة يسجنهم فيها ، ومهلك بلقيهم فيها ، كما فعل بلان وفلان . فنجبهم ذلك على التقيض على القاهر ، فاجتمعوا وأجمعوا رأيهم على مناجزته في هذه الساعة ، فركبوا مع الأمير المروف بسيا ، وقصدوا دار الخلافة فأحاطوا بها ، ثم هجموا عليه من سائر أبوابها وهو مخور ، فاختفى في سطح حمام فظهروا عليه فقبضوا عليه وجسوه في مكان طريف الشكرى ، وأخرجوا طريفا من السجن ، وخرج الوزير الخصبى مستترا في زى امرأة ، فذهب . واضطربت بغداد ونهبت ، وذلك يوم السبت لثلاث خون من جمادى الأولى فيها ، في الشهر الذى ماتت فيه شغب . فلم يكن بين موتها والتقيض عليه وحمل عييلة وعذابه بأنواع العقوبات إلا مقدار سنة واحدة ، واتقم الله منه . ثم أمروا بأحضاره ، فلما حضر سلوا عييلة حتى سالتا على خديه ، واركنب منه أمر عظيم لم يسمع مثله في الاسلام ، ثم أرسلوه . وكان تارة يمس وتارة يخلى سبيله . وقد تأخر موته إلى سنة ثلاث وثلاثين . واقتصر حتى قام يوما بجماع المنصور فسأل الناس فأعطاه رجل خمسة دينار . ويقال إنما أراد بسؤاله التشليح عليهم . وسند ذكر ترجمته إذا ذكرنا وفاته

﴿ خلافة الراضى بالله أبى المباس محمد بن المتندر بالله ﴾

لما خلعت الجند القاهر وحملوا عييلة أحضروا أبى المباس محمد بن المتندر بالله فبايعوه بالخلافة وقبوه الراضى بالله . وقد أشار أبو بكر الصولى بأن يلقب بالمرضى بالله فلم يقبلوا . وذلك يوم الأربعاء لست خون من جمادى الأولى منها . وجاءوا بالقاهر وهو أعمى قد حملت عيناه فأوقف بين يديه فسلم عليه بالخلافة وسلمها إليه ، فقام الراضى بأعبلها ، وكان من خيار الخلفاء على ما سنده كره . وأمر بأحضار أبى على بن مقله فوالاه الوزارة ، وجعل على بن عيسى ناظرا معه ، وأطلق كل من كان في حبس القاهر ، واستدعى عيسى طبيب القاهر فعباده بمائى ألف دينار ، وتسلم منه الوديعة التى كان القاهر أودعه إياها ، وكانت جملة مستكثرة من الذهب والفضة والجواهر النفيسة . وفيها عظم أمر مرداويج بأصبهان وتحدث الناس أنه يريد أخذ بغداد ، وأنه مالى لصاحب البحر بن أمير القرامطة ، وقد اتفقا على رد الفتنة من العرب إلى السجم ، وأساء السيرة في رحبته ، لاسيا في خواصه . فهاؤا عليه فقتلوه ، وكان الثنام بأغباء قتله أخص مماليكه وهو يحكم بيض الله وجهه ، ويحكم هذا هو الذى استنقذ الحجز الأسود من أيدي القرامطة حتى رجوه ، اشتراه منهم بمخمسين ألف دينار . ولما قتل الأمير يحكم مرداويج

عظم أمر على بن بويه ، وارتفع قدره بين الناس ، وسيأتي ما آل إليه حاله . ولما خلق القاهر وولى الراضى ، طمع هارون بن عريپ في الخلافة ، لكونه ابن خال المقتدر ، وكان قائماً على ماله والكوفة والقيصور وما سبذان ، فدعا إلى نفسه وأتبعه خلق كثير من الجنود والأمراء ، وحبى الأموال واستغفل أمره ، وقويت شوكته ، وقصد بندگان نجران إلى محمد بن ياقوت رأس الحجابة بجميع جند بندگان ، فاقبلوا نجران في بعض الأيام هارون بن عريپ ينقصه لعله يعمل حيلة في أسر محمد بن ياقوت فتعطل به فرسه فألقاه في نهر ، فضر به غلامه حتى قتله وأخذ رأسه حتى جاء به إلى محمد بن ياقوت ، وانهمز أصحابه ورجع ابن ياقوت فدخل بندگان ورأس هارون بن عريپ يحمل على رمح ، فخرج الناس بذلك ، وكان يوماً مشهوداً .

وفيهما ظهر ببندگان رجل يعرف بأبي جعفر محمد بن على الشلمغاني ، ويقال له ابن الرافعة ، فذكروا عنه أنه يدعى ما كان يدعيه الخلاص من الآلمية ، وكانوا قد قبضوا عليه في دولة المقتدر عند حامد بن العباس ، واتهم بأنه يقول بالتناسخ فأُنكر ذلك . ولما كانت هذه المرة أحضره الراضى وادعى عليه بما كان ذكر عنه فأُنكر ثم أقر بأشياء ، فأُتق قومه أن دمه حلال إلا أن يتوب من هذه المقالة ، فأبى أن يتوب ، فغضب ثمانية سوطاً ، ثم ضربت عنقه وأُلحق بالملاح ، وقتل معه صاحبه ابن أبي عون لسه الله . وكان هذا القمين من جملة من اتبعه وصدق به يرمعه من الكفر . وقد بسط ابن الأثير في كتابه مذهب هؤلاء الكفرة بسطاً جيداً ، وشبه مذهبهم بمذهب النصيرية . وادعى رجل آخر ببلاد الشاش النبوة وأظهر التحاريق وأشياء كثيرة من الحيل ، فجاءه الجيوش قاتلوه ، وانطفأ أمره .

﴿ وفاة المهدي صاحب إفريقيا ﴾

وفيهما كان موت المهدي صاحب إفريقيا أول خلفاء الفاطميين الأديباء الكذبة ، وهو أبو محمد عبید الله المسمى أنه علوى ، وتلقب بالمهدي ، وبنى المهدي ومات بها عن ثلاث وستين سنة ، وكانت ولايته . منذ دخل رقادة وادعى الإمامة - أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً . وقد كان شهياً شجاعاً ، غفر بجماعة ممن خالفوه وأولاه وقتله وعاداه ، فقامت قائم بأمر الخلافة من بعده ولده أبو القاسم الملقب بالخليفة القائم بأمر الله . وحين توفي أبوه كتم موته سنة حتى دبر ما أراد من الأمور ، ثم أظهر ذلك وعزا الناس فيه . وقد كان كأييه شهياً شجاعاً : فتح البلاد وأرسل السرايا إلى بلاد الروم ، ورام أخذ الديار المصرية فلم يتفق له ذلك ، وإنما أخذ الديار المصرية ابن ابنه المنز الفاطمي بأبي القاهر المرمزية كما سنده كره إن شاء الله .

قال ابن خلكان في الوفيات : وقد اختلف في نسب المهدي هذا اختلافاً كثيراً جداً ، فقال صاحب تاريخ التميمي : هو عبید الله بن الحسن بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي

ابن الحسين بن علي بن أبي طالب . وقال غيره : هو عبيد الله بن التقي وهو الحسين بن الوفي بن أحمد بن الرضى ، وهو عبد الله هذا ، وهو ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق . وقيل غير ذلك في نسبه . قال ابن خلكان : والمحققون ينكرون دعواه في النسب . قلت : قد كتب غير واحد من الأئمة منهم الشيخ أبو حامد الأسفراييني والقاضي الباقلاني ، والقندوري ، أن هؤلاء أديعاء ليس لهم نسب صحيح فيها بزعمونه ، وأن والده عبيد الله المهدي هذا كان يهودياً صباطاً يسلمية ، وقيل كان اسمه سعد ، وإنما لقب بعبيد الله زوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح ، وصلى القداح لأنه كان كحالاً يقدح النيون . وكان الذي وطأ له الأمر بتلك البلاد أبو عبد الله الشيبى كما قمنا ذلك ، ثم استعاد فلما قدم عليه من بلاد المشرق وقع في يد صاحب سجلماسة فسجنه ، فلم يزل الشيبى يحتمل له حتى استغفنه من يده وسلم إليه الأمر ، ثم ندم الشيبى على تسليمه الأمر وأراد قتله ، فظن عبيد الله لما أراد به ، فأرسل إلى الشيبى من قتله وقتل أخاه معه . ويقال إن الشيبى لما دخل السجن الذى قد حبس فيه عبيد الله هذا وجد صاحب سجلماسة قد قتله ، ووجد في السجن رجلاً مجهولاً محبوساً فأخرج به إلى الناس ، لأنه كان قد أخبر الناس أن المهدي كان محبوساً في سجلماسة وأنه إنما يقاتل عليه ، فقال للناس : هذا هو المهدي . وكان قد أوصاه أن لا يتكلم إلا بما أمره به والإقناله . فراج أمره . فهذه قصته . وهؤلاء من سلالة الله أعلم . وكان مولد المهدي هذا في سنة ستين ومائتين ، وقيل قبلها ، وقيل بعدها ، بسلامية ، وقيل بالكوفة والله أعلم . وأول مادى له على منابر رادة والقير وان يوم الجمعة لسبع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين ومائتين ، بعد رجوعه من سجلماسة ، وكان ظهوره بها في ذى الحجة من السنة الماضية . سنة ست وتسعين ومائتين . فلما ظهر زالت دولة بنى العباس عن تلك الناحية من هذا الحين إلى أن ملك القاصد في سنة سبع وستين وخمسة . توفى بالمدينة المهدية التى بناها في أيامه للنصف من ربيع الأول منها ، وقد جاوز الستين على المشهور ، وسيفضل الله بين الأمر والمأمور يوم البعث والنشور .

وفى توفى من الأعيان أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى قاضى مصر . حدث عن أبيه بكتبه المشهورة ، وتوفى وهو قاض بالديار المصرية في ربيع الأول منها .

هو محمد بن أحمد بن القاسم أبو علي الروضبارى

وقيل اسمه أحمد بن محمد ، ويقال الحسين بن الهمام ، والصحيح الأول . أصله من بغداد وسكن مصر ، وكان من أبناء الرؤساء والوزراء والكتبة ، ومحب الجنيد وسمع الحديث وحفظ منه كثيراً ، وتفقّه بأبراهيم الحارثي . وأخذ النحو عن ثعلب ، وكان كثير الصدقة والبر للفقراء ، وكان إذا أعطى الفقير شيئاً جعله في كفه تحت يد الفقير ، ثم يتناولوه الفقير ، يريد أن لا تكون يد الفقير تحت يده .

[قال أبو نعيم : سئل أبو علي الرواحي نعم يسمع الملائكة ويقول إنه وصل إلى منزلة لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال . فقال : نعم وصل ، ولكن إلى سقر . وقال : الإشارة الإلانة ، لما تضمنه الوجد من المشار إليه لا غير ، وفي الحقيقة أن الإشارة تصحبها الملل ، والميل بيعة من غير الحقائق . وقال : من الاعتزاز أن تسمى فيحسن إليك ، فترك الإلانة والتوبة توها أنك تسمع في المفرات ، وترى أن ذلك من بسط الحق لك . وقال تشوقت القلوب إلى مشاهدة ذات الحق فألقت إليها الأسامي ، فركنت إليها مشغوفة بها عن الذات إلى أوان التجلي ، فذلك قوله (وفيه الأسماء الحسنى فادعوه بها) فوقفوا معها عن إدراك الحقائق ، فأظهر الأسامي وأبداها للخلق ، لتسكين شوق المحبين إليه ، وتأنيس قلوب المارفين به . وقال : لارضى لمن لا يبصر ، ولا يعلم لمن لا يشكر . وبالله وصل المارفون إلى محبته وشكروه على نعمته . وقال : إن المشتاقين إلى الله يجدون حلالة الشوق عند ورود المكاشف لهم عن روح الوصال إلى قرب به أحلى من الشهد . وقال : من رزق ثلاثة أشياء فقد سلم من الآفات : بطن جائع معه قلب قانع ، وقدر دائم معه زهد حاضر ، وصبر كامل معه قناعة دائمة . وقال : في اكتساب الدنيا ملّة النفوس ، وفي اكتساب الآخرة عزها ، فيا محباً لمن يختار المنلة في طلب ما يبقى على المز في طلب ما يبقى [(١) ومن شره

لومضى الكل متى لم يكن محباً • وإنما عجبني في البعض كيف بقي
أدرك بقية روح منك قد تلفت • قبل الفراق فهذا آخر الرمز

﴿ محمد بن إسماعيل ﴾

المروفي بخير الناسج أبو الحسن الصوفي ، من كبار المشايخ ذوي الأحوال الصالحة ، والكرامات المشهورة . أدرك سر السقطي وغيره من مشايخ القوم ، وعاش مائة وعشرين سنة . ولما حضرته الوفاة نظر إلى زاوية البيت فقال : قف رحلك الله ، فانك عبد مأمور وأنا عبد مأمور ، وما أمرت به لا يفوت وما أمرت به يفوت . ثم قام وتوضأ وصلى وتمجد ومات رحمه الله . وقد رآه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال استرحنا من دنيا كم الوحشة .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ﴾

فيها أحضر ابن شبلوذ المقرئ فأفكر عليه جماعة من القتها والقراء حروفاً افتردها فاعترف ببعضها وأنكر بعضها ، فاستتيب من ذلك واستكتب خطه بالرجوع عما تقدم عليه ، وضرب سنج درو بإشارة الوزير أبي علي بن مقله ، ونفى إلى البصرة . فسطا على الوزير أن تقطع يده ويشقت شمله ، فكان ذلك مما قريب . وفي جمادى الآخرة نادى ابن الحرمي صاحب الشرطة في الجانبين من بغداد

أن لا يجتمع اثنان من أصحاب أبي محمد البربهاري الواعظ الخنبل . وجلس من أصحابه جماعة ، واستمر ابن البربهاري فلم يظهر مدة . قال ابن الجوزي في المنتظم : وفي شهر أيار تكاثفت النجوم . واشتد الحر جدا ، فلما كان آخر يوم منه . وهو الخامس والعشرين من جمادى الآخرة منها . هاجت ريح شديدة جدا وأظلمت الأرض واسودت إلى بعد العصر ، ثم خفت ثم طادت إلى بعد عشاء الآخرة . وفيها استبطأ الأجناد أرواقهم قصدوا دار الوزير أبي علي بن مقله فقبضوها وأخذوا ما فيها . ووقع حريق عظيم في طريق الموازين ، فاحترق للناس شيء كثير ، فموض عليهم الراضى بعض ما كان ذهب لهم . وفي رمضان اجتمع جماعة من الأمراء على بيعة جعفر بن المكتفى ، فظهر الوزير على أمرهم فغلب جعفر . ونهبت داره ، وجلس جماعة عن كل يايمة ، وانطقات ناره . وخرج الحاجاج في غفارة الأمير لؤلؤ فاعتزهم أبو طاهر القرمطى فقتل أكثرهم ورجع من انهزم منهم إلى بغداد ، وبطل الخلع في هذه السنة من طريق المراق . قال ابن الجوزي : وفيها تساقطت كواكب كثيرة ببغداد والنكفة على صورة لم ير مثلها ، ولا ما يقاربها ، وغلا السعر في هذه السنة حتى بيع الكر من الخنطة بمائة وعشرين ديناراً . وفيها على الصحيح كان مقتل مرداويج بن زياد القديلي ، وكان قبجه الله سيء السيرة والسريرة ، يزعم أن روح سليمان بن داود حلت فيه ، وله سرير من ذهب يجلس عليه والأتراك بين يديه ، يزعم أنهم ألجبن القدين سحروا لسليمان بن داود ، وكان يسمى المعاملة لجنده ويحترق غاية الاحتقار ، فزال ذلك دأبه حتى أمكنهم الله منه قتلوه شر قتلة في حمام ، وكان الذي ملأه قتل غلامه بجكم التركي ، وكان ركن الهولة بن بويه رهينة عنده فأطلق لما قتل ، فذهب إلى أخيه حماد الهولة ، وذهبت طائفة من الأتراك معه إلى أخيه ، والتفت طائفة منهم على بجكم فسار بهم إلى بغداد باذن الخليفة له في ذلك ، ثم صرفوا إلى البصرة فكاتوا بها . وأما الديلم فاتهم بشوا إلى أخى مرداويج وهو فحمكير ، فلما قدم عليهم تلقوه إلى أثناء الطريق فحشا مشاة فملكوه عليهم ثلاثا ينهب ملكهم ، فالتدب إلى محاربه الملك السعيد نصر بن أحمد الساماني نائب خراسان وما وراء التهر ، وما والاها من تلك البلاد والأقاليم ، فانزع منه بلداً هائلة . وفيها بشت القائم بأمر الله الناطلي جيشاً من إفريقية في البحر إلى ناحية الفرنج فافتتحو مدينة جنوه وغنموا غنائم كثيرة وثروة . ورجعوا سالمين فاتهم . وفيها بشت حماد الهولة إلى أصبهان فاستولى عليها وعلى بلاد الجبل . واتسعت مملكته جداً . وفيها كان غلاء شديد بخراسان ، ووقع بها فناء كثير ، بحيث كان يهيمهم أمر دفن الموتى . وفيها قتل ناصر الهولة أبو الحسن بن محمدان نائب الموصل عه أبا البلاء سميد بن محمدان لأنه أراد أن ينزحها منه ، فبعث إليه الخليفة وزيره أبا علي بن مقله في جيوش ، فهرب منه ناصر الهولة ، فلما طال مقام ابن مقله بالموصل ولم يقدر على ناصر الهولة رجع إلى بغداد ، فاستقرت

يد ناصر البوالة على الموصل . ويث به إلى الخليفة أن يضمه تلك الناحية ، فأجيب إلى ذلك ، واستمر الحال على ما كان . وخرج الحبيج فلقبهم القرمطي فقاتلهم وغزبهم فسالوه الأمان فأمّنهم على أن يرجعوا بفناد فرجعوا ، وتعلل الحبيج عليهم ذلك أيضاً .

وفيها توفي من الأعيان (فظويه النحوى)

واسمه إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المنيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي أبو عبد الله المتكلى المعروف بنظويه النحوى . له مصنفات فيه ، وقد سمع الحديث وروى عن المشايخ وحدث عنه الثقات ، وكان صدوقاً ، وله أشعار حسنة . وروى الخطيب عن فظويه أنه مر على يقال فقال له : أيها الشيخ كيف الطريق إلى درب الراسين - يعنى درب الرواسين - فالتفت البقال إلى جاره فقال له : قبح الله غلامى أبطأ على بالسلك ، ولو كان عندى لصنعت هذا بحزمة منه . فانصرف عنه فظويه ولم يرد عليه . توفي فظويه في شهر صفر من هذه السنة عن ثلاث وثمانين سنة وصلى عليه البربهاري رئيس الخنابلة ، ودفن بمقابر دار السكوة . وما أنشده أبو علي القتالي في الأمانى له : قلبي أرق عليه من خديكا • وفؤادى أوى من قوى جننيكا لم ترق لمن يمتب نفسه • ظلما ويسطفه هواه عليك

قال ابن خلكان : وفي فظويه يقول أبو محمد عبد الله بن زيد بن علي بن الحسين الواسطي المتكلم المشهور وصاحب الإمامة وإعجاز القرآن وغير ذلك من الكتب • من سره أن لا يرى فاسقاً فليجتهد أن لا يرى فظويه • أحرقة الله بنصف اسمه ، وصور الباقي صراخاً عليه • قال الثعالبي : إنما سمى فظويه لعمامة . وقال ابن خالويه : لا يعرف من اسمه إبراهيم وكنيته أبو عبد الله سواه .

(عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله الهاشمي البجلي)

حدث عن يشار بن نصر الحلبي وغيره . وعنه المارقاتي وغيره ، وكان ثقة فاضلاً قصباً شافياً . عبد الملك بن محمد بن عدى أبو نعيم الاستراباذي المحدث النقيي الشافعي أيضاً ، توفي عن ثلاث وثمانين سنة .

علي بن الفضل بن طاهر بن نصر بن محمد أبو الحسن البجلي ، كان من الجوالين في طلب الحديث ، وكان ثقة حافظاً ، سمع أباهاشم الرازي وغيره . وعنه المارقاتي وغيره . محمد بن أحمد بن أسد أبو بكر الحافظ ، ويعرف بابن البستان ، سمع الزبير بن بكار وغيره ، وعنه المارقاتي وغيره . جلوز الثاقب .

(ثم دخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة)

فيها جاءت الجند فأخذوا بدار الخليفة وقالوا : ليخرج إلينا الخليفة الراضى بنفسه فيصلى بالناس .

فخرج فصلى بهم وخطبهم . وقبض النملان على الوزير ابن مقلة وسأوا من الخليفة أن يستوزر غيره فرد الظهيرة إليهم ، فاختاروا على بن عيسى فلم يقتل ، وأشار بأخيه عبد الرحمن بن عيسى فاستوزره ، وأحرقت دار ابن مقلة ، وسلم هو إلى عبد الرحمن بن عيسى فضرب ضرباً عنيفاً ، وأخذ خطه بألف ألف دينار ، ثم عجز عبد الرحمن بن عيسى ف عزل بعد خمسين يوماً وقلة الوزارة أبو جعفر بن القاسم الكرخي ، فصاحد على بن عيسى بمائة ألف دينار ، وصاحد أخاه عبد الرحمن بن عيسى بسمعين ألف دينار ، ثم عزل بعد ثلاثة أشهر ونصف ، وقلة سليمان بن الحبيب ، ثم عزل بأبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، وذلك في السنة الآتية . وأحرقت داره كما أحرقت دار ابن مقلة في يوم أحرقت تلك فيه ، سنة بينهما واحدة . وهذا كله من تضييع الأتراك والنملان . ولما أحرقت دار ابن مقلة في هذه السنة كتب بعض الناس على بعض جدرانها :

أحسنك ظنك بالأيام إذ حسنت * ولم تخف يوماً يأتي به القدر

وسالتك اليبالي فافتقرت بها * وعند صفوا اليبالي يحدث الكدر

وفيهما ضيف أمر الخليفة جداً ، وبمث الراضي إلى محمد بن رائق . وكان بواسط . يدعو له ليؤليه إمرة الأمراء ببغداد ، وأمر انخراج والمغل في جميع البلاد والدواوين ، وأمر أن يخطب له على جميع المنابر ، وأنفذ إليه بالخلع . قسم ابن رائق إلى بغداد على ذلك كله ، ومعه الأمير بجكم التركي غلام مرداويج ، وهو القتي ساعد على قتل مرداويج . واستحوذ ابن رائق على أموال الرماح بكجة ، وقتل أموال بيت المال إلى داره ، ولم يبق لوزير تصرف في شيء بالسكينة ، ووهى أمر الخليفة جداً ، واستقل نواب الأطراف بالتصرف فيها ، ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد ومعاملاتها . ومع هذا ليس له مع ابن رائق نفوذ في شيء ، ولا نفوذ بشيء ، ولا كلمة تطاع ، وإنما يحصل إليه ابن رائق ما يحتاج إليه من الأموال والنفقات وغيرها . وهكذا صار أمر من جاء بعده من أمراء الأتراك ، كانوا لا يرفعون رأساً بالخليفة ، وأما بقية الأطراف فالبصرة مع ابن رائق هذا ، بولي فيها من شاء . وخوزستان إلى أبي عبد الله البريدي ، وقد غلب ابن ياقوت على ما كان بيده في هذه السنة من مملكة نسطر وغيرها واستحوذ على خواصها وأموالها . وأمر فارس إلى عباد الدولة بن بويه ينازع في ذلك وتمكيد أخو مرداويج وكرمان بيد أبي علي محمد بن إلياس بن اليسع . وبلاد الموصل والجزيرة وديار بكر ومضرو وريمة مع بني حمدان . ومصر والشام في يد محمد بن طنج . وبلاد إفريقية والمغرب في يد القائم بأمر الله ابن المهدي الفاطمي ، وقد تلقب بأمر المؤمنين . والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد ، الملقب بالناصر الأموي . وخراسان وما وراء النهر في يد السعيد نصر بن أحمد الساماني . وطبرستان وجرجان في يد البيلم . والبحرين والجملة وهجز في يد أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي . وفيها وقع

ببعداد غلاء عظيم وفناء كثير بحيث عدم الخبز منها خمسة أيام ، ومات من أهلها خلق كثير ، وأكثر ذلك كان في الضمراء ، وكان الموتى يلتقون في الطريق ليس لهم من يقوم بهم ، ويجعل على الجنائز الواحدة الرجلان من الموتى ، وربما وضع بينهم صبي ، وربما حفرت الحفرة الواحدة فتوسع حتى وضع فيها جماعة . ومات من أهل أصبهان نحو من مائتي ألف إنسان . وفيها وقع حريق بجان أحرق فيه من السودان ألف ، ومن البيض خلق كثير ، وكان جملة ما أحرق فيه أر بائة حل كافور . وعزل الخليفة أحمد بن كينان عن نيابة الشام ، وأضاف ذلك إلى ابن طنج نائب الديار المصرية . وفيها ولد عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة بن بويه بأصبهان .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ ابن مجاهد المقرئ ﴾

أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرئ ، أحد أئمة هذا الشأن . حدث عن خلق كثير ، وروى عنه الدارقطني وغيره ، وكان ثقة مأموناً ، سكن الجانب الشرقي من بغداد ، وكان ثعلب يقول : ما بقي في عصرنا أحد أعلم بكتاب الله منه . توفي يوم الأربعاء وأخرج يوم الخميس لمشر بقين من شعبان من هذه السنة . وقد رآه بعضهم في المنام وهو يقرأ فقال له : أمأت ؟ فقال : بلى ولكن كنت أدعو الله عقب كل خمسة أن أكون ممن يقرأ في قبره ، فأنا ممن يقرأ في قبره . رحمه الله .

﴿ جفظة الشاعر البرمكي ﴾

أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي ، أبو الحسن النديم المعروف بجفظة الشاعر الماهر الأديب الأخباري ، ذو الفنون في العلوم والنوادر الحاضرة ، وكان جيد الفناء . ومن شعره :

قد نادت الدنيا على نفسها • ولو كان في العالم من يسمع

كم آمل خيبت آماله • وجامع بددت ما يجمع

وكتب له بعض الملوك رقعة على سير في مال أطلقه له فلم يحصل له ، فكتب إلى الملك يذكر له

ذلك . إذا كانت صلاتكم رقاما • تُخَطَّط بالانامل والاكف

فلا تبيد الزمان على فضا • ففنا خطي ففنه بألف ألف

ومن شعره بهجو صديقاً له وينمحه على شدة شحه وبخله وحرصه فقال :

لنا صاحب من أبرح الناس في البخل • يسمى بفضل ، وهو ليس بنى فضل

دعاني كما يدعو الصديق صديقه • فجتت كما يأتي إلى مثله مثلي

فلما جلسنا ففناء رأيت • يرى أعمام من بعض أعضائه أكل

فيقتاظ أحيانا ويشتم عبده • فأعلم أن النبط والشم من أجل

أمد يدي سرّاً لأكل لقمة • فيلحقني شرراً فأعبت بالبقل

إلى أن جنت كفى على جنابة * وذلك أن الجوع أهدى منى عقلى
فأهوت بمضى نحو رجل دجلة * فجرت رجلها كما جرت يدي رجلى
ومن قوى شعره قوله

رحلهم فكم من أنة بعد حنة * مينة فتناس حزنى عليهم
وقد كنت أعنتك الجفون من البكا * قد ردها فى الرق شوقى إليكم
وقد أورده ابن خلكان من شعره الرائق قوله :

قللت لها : بخلت على يقظى * فجودى فى المنام لمستهام
فقلت لى : وصرت تنام أيضاً * وتطلع أن أزورك فى المنام ؟
قال : وإنما لقبه بمحطة عبد الله بن المنذر ، وذلك لسؤ منظره بآقيه . قال بعض من هجاه :
بيت جحظة تسعين جحوظة * من فيل شطرنج ومن سرطان
وارحنا لمناديه تملأوا * ألم السيون لغة الاكاذن
توفى سنة ست وعشرين وقيل أربع وعشرين وثلاثمائة بواسط .

﴿ ابن المغلس الفقيه الظاهرى ﴾

المشهور . له المصنفات المفيدة فى مذهبه . أخذ الفقه عن أبي بكر بن داود . وروى عن عبد الله
ابن أحمد بن حنبل ، وعلى بن داود القنطرى ، وأبى قلابة الرائى ، وآخرين . وكان ثقة فقيهاً فاضلاً
وهو الذى نشر علم داود فى تلك البلاد . توفى بالسكنة .

﴿ أبو بكر بن زياد ﴾

النيسابورى عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون ، أبو بكر الفقيه الشافعى النيسابورى
مولى أبان بن عثمان ، رحل إلى العراق والشام ومصر ، وسكن بغداد . حدث عن محمد بن يحيى الذهلى
وعباس الدوري ، وخلق . وعنه الفاروقى وغير واحد من الحفاظ . قال الفاروقى : لم ير فى مشايخنا
أحفظ منه للأسانيد والمتون . وكان أتمه المشايخ ، جالس المزنى والربيع . وقال عبد الله بن بطة : كنا
نحضر مجلس ابن زياد وكان يمر من يحضره من أصحاب الخبر ثلاثين ألفاً . وقال الخطيب : أخبرنا
أبو سعد المالينى أن أباً يوسف بن عمر بن مسرور سمعت أبا بكر بن زياد النيسابورى يقول : أعرف
من قام الليل أربعين سنة لم يزم إلا جانياً ، ويتقوت كل يوم خمس حبات ، ويعمل صلاة الفد بطهارة
الماء ، ثم يقول : أنا هو كنت أقبل هذا كله قبل أن أعرف أم عبد الرحمن - يعنى أم ولده - إيش
أقول لمن زوجنى . ثم قال فى إثر هذا : ما أراد إلا الخير . توفى فى هذه السنة عن ست وثمانين سنة .

﴿ عفان بن سليمان ﴾

ابن أيوب أبو الحسن التاجر ، أقام بمصر وأوقف بها أوقافاً داوة على أهل الحديث ، وعلى سلافة العشرة رضى الله عنهم . وكان تجراً موسماً عليه في الدنيا ، مقبول الشهادة عند الحكام ، توفي في شعبان منها

﴿ أبو الحسن الأشعري ﴾

قدم بغداد وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي وثقه بإبن مريج . وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية . وذكر ابن خلكان أنه كان يجلس في حلقة الشيخ أبي إسحاق المروزي ، وقد كان الأشعري متميزاً فتاب منه بالبصرة فوق المنبر ، ثم أظهر فضائح المعتزلة وبقائهم ، وله من الكتب : الموجز وغيره ، وحكى عن ابن حزم أنه قال : للأشعري خمسة وخمسون تصليفاً . وذكر أن مفهله كان في كل سنة سبعة عشر ألف درهم ، وأنه كان من أكثر الناس دعاية ، وأنه ولد سنة سبعين ومائتين ، وقيل سنة ستين ومائتين ، ومات في هذه السنة ، وقيل في سنة ثلاثين ، وقيل في سنة بضع وثلاثين وثلاثمائة لله أعلم .

﴿ محمد بن الفضل ﴾ بن عبد الله ، أبو خذر القيسي ، كان رئيس جرجان ، ومع الكثير ، وثقه بمنهوب الشافعي ، وكانت داره جميع العلماء ، وله إفضال كثير على طلبة العلم من أهل زمانه . هارون بن المقنن أخو الخليفة الراضي ، توفي في ربيع الأول منها ، فحزن عليه أخوه الراضي وأمر بنى بختيشوع ابن يحيى المتطبب إلى الأتبار ، لأنه اتهم في علاجه ، ثم شفعت فيه أم الراضي فرده .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ﴾

في المحرم منها خرج الخليفة الراضي وأمير الأمراء محمد بن رائق من بغداد قاصدين واسط لقتال أبي عبد الله البريدي نائب الأهواز ، الذي قد تعجب بها ومنع الخراج ، فلما سار ابن رائق إلى واسط خرج الحجون قاتله فسلط عليهم بجكم فطعنهم ، ورجع فلهم إلى بغداد فتلقاهم لؤلؤ أمير الشرطة فاحتاط على أكرهم ونهبت دورهم ، ولم يبق لهم رأس يرتفع ، وقطعت أرزاقهم من بيت المال بالكافية . وبثت الخليفة وابن رائق إلى أبي عبد الله البريدي يتهددانه فأجلب إلى حمل كل سنة ثلثمائة ألف وستين ألف دينار يقوم بها ، فحمل كل سنة على حدته ، وأنه يجيز جيشاً إلى قتال عضد الدولة بن بويه . فلما رجع الخليفة إلى بغداد لم يحمل شيئاً ولم يبعث أحداً . ثم بعث ابن رائق بجكم وبدراً الحسيني لقتال البريدي ، فغرت بينهم حروب وخطوب ، وأمر يطول ذكرها . ثم لجأ البريدي إلى عماد الدولة واستجار به ، واستحوذ بجكم على بلاد الأهواز ، وجعل إليه ابن رائق خراجها ، وكان بجكم هذا شجاعاً فائقاً . وفي ربيع الأول خلع الخليفة على بجكم وعقد له الإمارة ببغداد ، وولاه نيابة المشرق إلى خراسان . وفيها توفي من الأعيان أبو حمزة بن الشرفي .

﴿ أحمد بن محمد بن الحسن ﴾

أبو حامد الشرق ، مولده سنة أربعين ومائتين ، وكان حافظاً كبير القدر كثير الحفظ ، كثير الحج . رحل إلى الأماص وجاب الأقطار ، وجمع من الكبار ، نظر إليه ابن خزيمة يوماً فقال : حياة أبي حامد تحول بين الناس وبين الكذب على رسول الله ﷺ .

عبد الله بن محمد بن سفيان أبو الحسن الخزاز النحوي ، حدث عن المبرد وثلث ، وكان ثقة . له مصنفات في علوم القرآن غزيرة الفوائد . محمد بن إسحاق بن يحيى أبو الطيب النحوي ، قال أبو الوفا له مصنفات مليحة في الأخبار ، وقد حدث عن الحارث بن أبي المبرد وأسلمة وثلث وغيرهم . محمد بن هارون أبو بكر العسكري الفقيه على مذهب أبي ثور ، روى عن الحسن بن عرفة وهباسب النوري وعن القادر قطعي والآجري وغيرهما . والله أعلم

﴿ ثم دخلت سنة ست وعشرين وثلاثمائة ﴾

فيها ورد كتاب من ملك الروم إلى الرازي مكتوب بالرومية والتفسير بالربية ، فالرومي بالذهب والربي بالفضة ، وحاصله طلب الهدنة بينه وبينه ، ووجه مع الكتاب هدايا وأطاف كثيرة فاخرة ، فأجابها الخليفة إلى ذلك ، وفودى من المسلمين سنة آلاف أسير ، ما بين ذكر وأنثى على نهر البندنون . وفيها ارتمى الوزير أبو الفتح بن الفرات من بغداد إلى الشام ، وترك الوزارة فوليها أبو علي بن مقلدة وكانت ولايته ضيقة جداً ، ليس له من الأمر شيء مع ابن رائق ، وطلب من ابن رائق أن يفرغ له من أملاكه فجعل بماطلة ، فكتب إلى بجكم يطعمه في بغداد ، وأن يكون عوضاً عن ابن رائق . وكتب ابن مقلدة أيضاً إلى الخليفة يطلب منه أن يسلم إليه ابن رائق وابن مقاتل ، ويضمنهم بألفي دينار ، فبلغ ذلك ابن رائق فأخذه قطع يده ، وقال : هذا أفسد في الأرض . ثم جعل يُحسنُ للرازي أن يستوزره وأن قطع يده لا يمنعه من الكتابة ، وأنه يشد القلم على يده اليمنى المقطوعة فيكتب بها ، ثم بلغ ابن رائق أنه قد كتب إلى بجكم بما تقدم ، وأنه يدعو عليه . فأخذه قطع لسانه وسجنه في مكان ضيق ، وليس عنده من يحميه ، فكان يستقي الماء بنفسه يتناول الدلو بيده اليسرى ثم يمسكه بفيه ثم يجذب باليسرى ثم يمسك بفيه إلى أن يستقي ، ولقي شدة وعناء ، ومات في عجبته هذا وحيداً فدفن فيه . ثم سأل أهله قتله فدفن في داره ، ثم قل منها إلى غيرها ، فاتفق له أشياء غريبة : منها أنه وزر ثلاث مرات ، وعزل ثلاث مرات ، وولى لشاة من الخلفاء ، ودفن ثلاث مرات ، وسافر ثلاث سفرات ، مرتين متتابعاً ومرة إلى الموصل كما تقدم . وفيها دخل بجكم بغداد فقلعه الرازي إمرة الأمراء مكان ابن رائق ، وقد كان بجكم هذا من غلمان أبي علي المارضي وزير ما كان بن كالي الديلمي ، فاستوبه ما كان من الوزير فوجه له ، ثم فارق ما كان ولحق بمرادويه ، وكان في جملة من قتله

في الحرام كما تقدم . فلما ولاه الخليفة إمرة الأمراء أسكن في دار مؤنس الخادم ، وعظم أمره جداً وانفصل ابن رائق وكانت أيامه سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوماً . وفيها بعث عماد الدولة بن بويه أخاه من الدولة فأخذ الأهواز لأبي عبد الله البريدي ، وانتزعها من يديهم وأعادها إليه . وفيها استولى لشكري أحد أمراء وشمكير الديلي على بلاد أذربيجان وانتزعها من رسم ابن إبراهيم الكردي ، أحد أصحاب ابن أبي الساج ، بعد قتال طويل . وفيها اضطرب أمر القرامطة جداً وقتل بعضهم بعضاً ، وانكفوا بسبب ذلك عن التعرض للفساد في الأرض ، ولزموا بلادهم هرباً يرومون منه انتقالاً إلى غيره ، والله الحمد والمنة .

وفيها توفي أحمد بن زياد بن عبد الرحمن الأندلسي ، كان أبوه من أصحاب مالك ، وهذا الرجل هو أول من أدخل فقه مالك إلى الأندلس وقد عرض عليه القضاء بها فلم يقبل .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ﴾

في المحرم منها خرج الراضي أمير المؤمنين إلى الموصل لمحاربة ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان نائبها ، وبين يديه بجكم أمير الأمراء ، وقاضى القضاء أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف ، وقد استخلف على بغداد ولده القاضي أبا نصريوسف بن عمر ، في منصب القضاء ، عن أمر الخليفة بذلك . وكان فضلاً طاماً ، ولما انتهى بجكم إلى الموصل واقع الحسن بن عبد الله بن حمدان فزعم بجكم ابن حمدان ، وقرر الخليفة الموصل والجزيرة ، وولى فيها . وأما محمد بن رائق فانه اغتشم غيبة الخليفة عن بغداد واستعجاش بألف من القرامطة وجاء بهم فدخل بغداد فأكثر فيها الفساد ، غير أنه لم يتعرض لدار الخلافة ، ثم بعث إلى الخليفة يطلب منه المصالحة وألغو عما جنى ، فأجابه إلى ذلك ، وبعث إليه قاضى القضاء أبا الحسين عمر بن يوسف ، وترحل ابن رائق عن بغداد ودخلها الخليفة في جمادى الأولى ، ففرح المسلمون بذلك . ونزل عند غروب الشمس أول ليلة من شهر أذار في جمادى الأولى مطر عظيم ، وبرد كبير ، كل واحدة نحو أوقيتين ، واستمر فسقط بسببه دور كثيرة من بغداد . وظهر جراد كثير في هذه السنة وكان الحج من جهة درب العراق قد تعطل من سنة سبع عشرة وثلاثمائة إلى هذه السنة ، فشجع في الناس الشريف أبو علي محمد بن يحيى العلوي عند القرامطة ، وكانوا يحبونه لشجاعته وكرمه ، في أن يمكنهم من الحج ، وأن يكون لهم على كل جمل خمسة دنانير ، وعلى الحمل سبعة دنانير ، فاتفقوا معه على ذلك ، فخرج الناس في هذه السنة إلى الحج على هذا الشرط ، وكان في جملة من خرج الشيخ أبو علي بن أبي هريرة أحد أئمة الشافعية فلما اجتاز بهم طالبوه بالخفارة فثنى رأس راحله ورجع وقال : ما رجعت شعاً ولكن سقط عني الرجوب بطلب هذه الخفارة . وفيها وقت فتنة بالأندلس وذلك أن عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس الملقب

بالناصر لدين الله ، قتل وزيره أحمد فتضب له أخوه أمية بن إسحاق - وكان قائماً على مدينة شنترين - فارتد ودخل بلاد النصارى واجتمع بملكهم ورحمهم ودلهم على عورات المسلمين ، فسار إليهم في جيش كثيف من الجلائقة نفرج إليهم عبد الرحمن فأوقع بهم باماً شديداً ، وقتل من الجلائقة خلقاً كثيراً ، ثم كر الفرنج على المسلمين قتلوا منهم خلقاً كثيراً قريباً من قتلوا منهم ، ثم وإلى المسلمون الفارات على بلاد الجلائقة قتلوا منهم أماً لا يحصون كثرة ، ثم ندس أمية بن إسحاق على ما صنع ، وطلب الامان من عبد الرحمن فبعث إليه بالأمان ، فلما قدم عليه قبله واحترمه .

وفيها توفي من الأعيان (الحسن بن القاسم بن جعفر بن رجم) أبو علي القمشي ، من أبناء المحدثين كان أخباراً ياله في ذلك مصنفات ، وقد حدث عن العباس بن الوليد البيروني وغيره . توفي بمصر في محرم هذه السنة . وقد أناف على الثمانين سنة .

الحسين بن القاسم بن جعفر بن محمد بن خالد بن بشر أبو علي الكوكبي الكاتب ، صاحب الأخبار والآداب ، روى عن أحمد بن أبي خيثمة وأبي العبيد وأبي الدنيا . روى عنه البارقي وغيره .

﴿ عثمان بن الخطيب ﴾

ابن عبد الله أبو عمرو البليوي ، المغربي الأشج ، ويعرف بأبي الدنيا . قدم هذا الرجل بغداد بعد الثمالة ، وزعم أنه ولد أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ببلاد المغرب ، وأنه وفد هو وأبوه على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأصابهم في الطريق عطش فذهب يتراد لأبيه ماء فرأى عينا فشرب منها واغتسل ، ثم جاء لأبيه ليسقيه فوجده قد مات ، وقدم هو على علي بن أبي طالب فأراد أن يقبل ركبته فصدمه الزكاب فشج رأسه ، فكان يعرف بالأشج . وقد زعم صدقه في هذا الذي زعمه طائفة من الناس ، ورووا عنه نسخة فيها أحاديث من روايته عن علي ، ومن صدقه في ذلك الحافظ محمد بن أحمد بن المفيد ، ورواها عنه ، ولكن كان المفيد متبهما بالتشيع ، فسبح له بذلك لانتسابه إلى علي ، وأما جمهور المحدثين قديماً وحديثاً فكذبوه في ذلك ، وردوا عليه كذبه ، ونصوا على أن النسخة التي رواها موضوعة . ومنهم أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي ، وأشيأخنا الذين أدركتهم : حبيب الوقت شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية ، والجهيز أبو الهجاج المزني ، والحافظ مؤرخ الاسلام أبو عبد الله الذهبي ، وقد حررت ذلك في كتابي التكميل لله الحمد والمنة . قال المفيد : بلنني أن الأشج هذا مات سنة سبع وعشرين وثلثائة ، وهو راجع إلى بلده والله أعلم .

﴿ محمد بن جعفر بن محمد بن سهل ﴾

أبو بكر الخرائطي ، صاحب المصنفات ، أصله من أهل سر من رأى ، وسكن الشام وحدث بها عن الحسن بن عرفة وغيره .

وعن توفي فيها الحافظ الكبير ابن الحافظ الكبير أبو محمد (عبد الرحمن) ابن أبي حاتم محمد ابن إدريس الرازي صاحب كتاب الجرح والتعديل ، وهو من أجل الكُتُب المصنفة في هذا الشأن ، وله التفسير الحافل الذي اشتهر على النقل الكامل ، الذي يرويه على تفسير ابن جرير الطبري وغيره من المفسرين ، إلى زماننا ، وله كتب الملل المصنفة المرتبة على أبواب الفقه ، وغير ذلك من المصنفات النافعة ، وكان من العبادة والزهادة والورع والحفظ والكرامات الكثيرة المشهورة على جانب كبير ، رحمه الله . وقد صلى مرة فلما سلم قال له رجل من بعض من صلى معه : لقد أطلت بنا ، ولقد سبحت في مسجدى سبعين مرة . فقال عبد الرحمن : لكنى والله ما سبحت إلا ثلاثاً ، وقد أنهم سور الله في بعض بلاد النور فقال عبد الرحمن بن أبي حاتم لئاس : أما تبنوه ؟ وقد حنهم على حمارته . فرأى عندهم تأخرآ . فقال : من بينه وأضمن له على الله الجنة ؟ فقام رجل من التجار فقال : اكتب لي خطك بهذا الضمان وهذه ألف دينار لمارته . فكتب له رقعة بذلك ، فصر ذلك السور ثم اتفق موت ذلك الرجل التاجر عا قريب ، فلما حضر الناس جنازته طارت من كفته رقعة فاذا هي التي كان كتبها له ابن أبي حاتم وإذا في ظهرها مكتوب : قد أمضينا لك هذا الضمان ولا تعد إلى ذلك . والله سبحانه أعلم .

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة)

قال ابن الجوزي في منتظمه : في غرة الحرم منها ظهرت في الجوهرة شديدة في ناحية الشمال والمغرب ، وفيها أعمدة بيض عظيمة كثيرة العدد . وفيها وصل الخبر بأن ركن القولة أبا على الحسن ابن بويه وصل إلى واسط فركب الخليفة ويحكم إلى حربه تخاف فأنصرف راجعاً إلى الأهواز ورجعاً إلى بغداد . وفيها ملك ركن القولة بن بويه مدينة أصبهان ، أخذها من وفكر أخى مرداويج ، لقلة جيشه في هذا الحين . وفي شعبان منها زادت حجة زيادة عظيمة وانتشرت في الجانب الغربي ، وسقطت دور كثيرة ، واثبت بقى من نواحي الأنبار ففرق قرى كثيرة ، وهلك بسببه حيوان وسباع كثيرة في البرية . وفيها تزوج بيجم بسارة بنت عبد الله البريدى . ومحمد بن أحمد بن يعقوب الوزير يومئذ ببغداد ، ثم صرف عن الوزارة بسليمان بن الحسن ، وضمن البريدى بلاد واسط وأعمالها بستائة ألف دينار .

وفيها توفي قاضى القضاة أبو الحسن عمر بن محمد بن يوسف ، وتولى مكانه وله أبو نصر يوسف ابن عمر بن محمد بن يوسف ، وخلف عليه الخليفة الراضى يوم الخميس لحسن بقين من شعبان منها . ولما خرج أبو عبد الله البريدى إلى واسط كتب إلى بيجم يحثه على الخروج إلى الجبل ليشتحوا ويساعده هو على أخذ الأهواز من يد عماد الدولة بن بويه ، وإنما كان مقصوده أن يسعه عن بغداد ليأخذها

منه . فلما انفصل بجحج بالجنود بلفه ما يريد البريدى من المكيدة به ، فرجع سريراً إلى بغداد ، وركب في جيش كثيف إليه وأخذ الطرق عليه من كل جانب ، لتلاي شعر به إلا وهو عليه . فاتفق أن يجعكا كل راكباً في زورق وعندئذ كاتب له إذ سقطت حملة في ذنبها كتاب فأخذ بجحج قراءه فإذا فيه كتاب من هذا الكاتب إلى أصحاب البريدى يعلمهم بخبر بجحج ، فقال له بجحج : ويحك هذا خلقت ؟ قال : نعم ! ولم يقدر أن ينكر ، فأمر بقتله قتل وألقى في دجلة . ولما شعر البريدى بقدم بجحج هرب إلى البصرة ولم يبق بها أيضاً بل هرب منها إلى غيرها . واستولى بجحج على بلاد واسط ، وتسلط الديلم على جيشه الذين خلفهم بالجبل فزروا سراعا إلى بغداد . وفيها استولى محمد بن رائق على بلاد الشام فدخل حصص أولاً فأخذها ، ثم جاء إلى دمشق وعليها بدر بن عبد الله الأخشيدي المروفي بدر الأخشيدي وهو محمد بن طنج ، فأخرج ابن رائق من دمشق قهراً واستولى عليها . ثم ركب ابن رائق في جيش إلى الرملة فأخذها ، ثم إلى عريش مصر فأراد دخولها فلقبه محمد بن طنج الأخشيدي فاقتتلا هناك فهزمه ابن رائق واشتغل أصحابه بالنهب ونزلوا بخيام المصريين ، فكر عليهم المصريون فقتلوا قتلاً عظيماً ، وهرب ابن رائق في سبعين رجلاً من أصحابه ، فدخل دمشق في أسوأ حال وشرها ، وأرسل له ابن طنج أخاه نصر بن طنج في جيش فاقتتلوا عند العجون في رابع ذي الحجة ، فهزم ابن رائق المصريين وقتل أخوه الأخشيدي فيمن قتل ، فقتله ابن رائق وكفنه وبسث به إلى أخيه بمصر وأرسل معه ولده وكتب إليه يخلف أنه ما أراد قتله ، ولقد شق عليه ، وهذا ولدي فاقتد منه . فأكرم الأخشيدي ولد محمد بن رائق ، واصطالحا على أن تكون الرملة وما بعدها إلى ديار مصر للأخشيدي ، ويحصل إليه الأخشيدي في كل سنة مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار ، وما بعد الرملة إلى جهة دمشق تكون لابن رائق . وفيها توفي من الأعيان .

(أبو محمد جعفر المرتضى)

أحد مشايخ الصوفية ، كما ذكره الخطيب . وقال أبو عبد الرحمن السلمي : اسمه عبد الله بن محمد أبو محمد النيسابوري ، كان من ذوى الأموال فتخلى منها وصحب الجنيدي وأباً حفص وأباً عثمان ، وأقام ببغداد حتى صار شيخ الصوفية ، فكان يقال عجائب بغداد إشارات الشبلي ، ونكت المرتضى ، وحكايات جعفر الخواص . سمعت أبا جعفر الصائغ يقول قال المرتضى : من ظن أن أفضله تنجي من النار أو تبلغه الرضوان قد جعل لنفسه وقله خطراً ، ومن اعتمد على فضل الله بلفه الله أقصى منازل الرضوان . وقيل للمرتضى : إن فلاناً يمشي على الماء . قال : إن مخالفة الهوى أعظم من المشي على الماء ، والظلم في الهواء . ولما حضرته الوفاة بمسجد الشونيزية حسبوا ما عليه من الدين فإذا عليه سبعة عشر درهماً ، قال : ييما خريقتي هذه واقضوها ديني ، وأرجو من الله تعالى أن يرزقني

كفنا . وقد سألت الله ثلاثا : أن يميتي قديرا ، وأن يجعل وقائي في هذا المسجد فإني محبت فيه أقواما ، وأن يجعل عني من آتس به وأحبه . ثم أغضض عيني ومات .

(أبو سعيد الاصطخري الحسن بن أحمد)

ابن يزيد بن عيسى بن الفضل بن يسار ، أبو سعيد الاصطخري أحد أئمة الشافعية ، كان زاهدا فاسكا حابدا ، ولي القضاء بقم ، ثم حسيه بحداد ، فكان يدور بها ويصلي على بقلته ، وهو دائر بين الأثرة ، وكان متقللا جدا . وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية ، وله كتاب القضاء لم يصنف مثله في باب ، توفي وقد قارب التسعين رحمه الله .

(علي بن محمد أبو الحسن المزين الصغير)

أحد مشايخ الصوفية ، أصله من بندا ، ومحب الجند وسهلا القسري ، وجاور بمكة حتى توفي في هذه السنة ، وكان يحكي عن نفسه قال : وردت بئرا في أرض تبوك فلما دنوت منها زلقت فسقطت في البئر ، وليس أحد يراني . فلما كنت في أسفله إذا فيه مصطبة فتملكت بها وقلت : إن مت لم أفسد على الناس الماء ، وسكنت فسي وطابت للموت ، فبينما أنا كذلك إذا أفعى قد تدلت علي فقلت علي ذهبنا ثم رفعتني حتى أخرجني إلى وجه الأرض ، وانسابت فلم أدر أين ذهبت ، ولا من أين جاءت . وفي مشايخ الصوفية آخر يقال له أبو جعفر المزين الكبير ، جاور بمكة ومات بها أيضا ، وكان من العباده . روى الخطيب من علي بن أبي علي إبراهيم بن محمد الطبري عن جعفر الخليلي قال : ودعت في بعض حجاتي المزين الكبير . قلت له : زدني . فقال لي : إذا قدمت شيئا قتل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، إن الله لا يخلف الميعاد ، اجتمع بيني وبين كذا ، فإن الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء . قال : وجهت إلى الكتاني فودعته وسأته أن يزودني ، فأعطاني خاتما على فمه نقش فقال : إذا اختتمت فانظر إلي فص هذا الخاتم يزول غمك . قال : فكنت لا أدعيو بذلك العباده إلا استعجب لي ، ولا أنظر في ذلك النص إلا زال غمي ، فبينما أنا ذات يوم في سمرية إذ ذهبت ربح شديدة ، فأخرجت الخاتم لأنظر إليه فلم أدر كيف ذهب ، فجعلت أدعو بذلك الدعاء حتى أجمع أن يجمع علي الخاتم ، فلما رجعت إلى المنزل ففتحت الخاتم فوجدت الخاتم في بعض ثيابي التي كانت بالمزلة .

(صاحب كتاب العقد الفريد . أحمد بن عبد ربه)

ابن حبيب بن جرير بن سالم أبو عمر القرطبي ، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان بن الحسك الأموي . كان من الفضلاء المكثرين ، والطماء بأخبار الأولين والمتأخرين ، وكتابه المقدي يدل على فضائل جمعة ، وعلوم كثيرة مهمة ، ويدل كثير من كلامه

على تشيع فيه ، وميل إلى الحط على بنى أمية . وهذا عجيب منه ، لأنه أحد مواليتهم وكان الأولى به أن يكون من مواليتهم لا من يمايتهم . قال ابن خلكان : وله ديوان شعر حسن ، ثم أورد منه أشعاراً في التنزل في المردان واللسوان أيضاً . وله في رمضان سنة ست وأربعين ومائتين ، وتوفي بقرطبة يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى من هذه السنة .

﴿ عمر بن أبى عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ﴾

ابن حماد بن زيد بن درم ، أبو الحسين الأزدي القتيبي المالكي القاضى ، ناب عن أبيه وعمره عشرون سنة ، وكان حافظاً للقرآن والحديث والفقہ على مذهب مالك ، والفرائض ، والحساب واللغة والنحو والشعر . وصنف مسنداً فرزق قوة الفهم وجودة الترجمة ، وشرف الأخلاق ، وله الشعر الزائق الحسن ، وكان مشكور السيرة في القضاء ، عدلاً ثقة إماماً . قال الخطيب : أخبرنا أبو الطيب الطبري سمعت الماعاني بن زكريا الجريري يقول : كنا نجلس في حضرة القاضى أبى الحسين فجئنا يوماً فننظره على المادة فجلسنا عند بابہ ، وإذا أعرابي جالس كأن له حاجة ، إذ وقع غراب على نخلة في الدار ، فصرخ ثم طار . فقال الأعرابي : إن هذا الغراب يخبر أن صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام . قال فزبرناه فقام وانصرف ، ثم خرج الأذن من القاضى أن هلوا ، فدخلنا فوجدناه متغير اللون مفتاً ، فقلنا له : ما الخبر ؟ قال : إني رأيت البارحة في المنام شخصاً يقول :

منازل آل حماد بن زيد * على أهلك والنعم السلام

وقد ضاق لتلك صدرى . قال : فدعونا له وانصرفنا . فلما كان اليوم السابع من ذلك اليوم دفن ليوم الخميس لسبع عشرة مضت من شعبان من هذه السنة ، وله من العمر ثمان وثلاثون سنة ، وصلى عليه ابنه أبو نصر وولى بعده القضاء . قال الصولي : بلغ القاضى أبو الحسين من العلم مبلغاً عظيماً مع حداثة سنه ، وسين توفي كان الخليفة الراضى يبكي عليه ويحزننا ويقول : كنت أضيف بالشئ ذرماً فيوسمه على ، ثم يقول : والله لا بقيت بعده . فتوفي الراضى بعده في نصف ربيع الأول من هذه السنة الآتية رحماً الله . وكان الراضى أيضاً حدث السن .

﴿ ابن شليوذ المقرئ ﴾

محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت أبو الحسن المقرئ المعروف بابن شليوذ . روى عن أبى مسلم الكجى ، وشر بن موسى وخلق ، واختار حرراً في القراءات أنكرت عليه ، وصنف أبو بكر الانباري كتاباً في الرد عليه ، وقد ذكرنا فيها هدم كيف أنه عقد له مجلس في دار الوزير ابن مقلة ، وأنه ضرب حتى رجع عن كثير منها ، وكانت قراءات شاذة أنكرها عليه قراء أهل عصره . توفي في صفر منها ، وقد دعا على الوزير ابن مقلة حين أمر بضربه فلم يفلح ابن مقلة بعدها ، بل عوقب بأنواع من العقوبات ،

وقطعت يده ولسانه ، وحبس حتى مات في هذه السنة التي مات فيها ابن شفيوذ . وهذه ترجمة ابن مقلة الوزير أحد الكتاب المشاهير وهو .

(محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله)

أبو علي المعروف بابن مقلة الوزير . وقد كان في أول عمره ضعيف الحال ، قليل المال ، ثم آل به الحال إلى أن ولي الوزارة لثلاثة من الخلفاء : المقتدر ، والقاهر ، والراضي . وعزل ثلاث مرات ، وقطعت يده ولسانه في آخر عمره ، وحبس فكان يستقي الماء بيده اليسرى وأسنانه ، وكان مع ذلك يكتب بيده اليمنى مع قطعها ، كما كان يكتب بها وهي صحيحة . وقد كان خطه من أقوى الخطوط ، كما هو مشهور عنه . وقد بنى له داراً في زمان وزارته وجمع عند بياتها خلقاً من المنجمين ، فاعتقوا على وضع أساسها في الوقت الثلاثي ، فأسس جدرانها بين المشاهدين كما أشار به المنجمون . فالبث بعد استنساخها إلا يسيراً حتى خربت وصارت كوماً ، كما ذكرنا ذلك ، وذكرنا ما كتبوا على جدرانها . وقد كان له بستان كبير جداً ، عدة أجرة - أي فدادين - وكان على جميعه شبكة من إبريسم ، وفيه أنواع الطيور من التماري والمزار والبيع والبلابل والطواويس وغير ذلك شئ كثير ، وفي أرضه من النزالن وبقر الوحش والنعام وغير ذلك شئ كثير أيضاً . ثم صار هذا كله عمارق بدم النضرة والبهجة والبهاء إلى المهلاك والبوار والفناء والزوال . وهذه سنة الله في المغترين الجاهلين إلا كنيين إلى دار الفناء والغرور . وقد أشد فيه بعض الشعراء حين بنى داره وبستانه وما اتسع فيه من متاع الدنيا :

قل لابن مقلة : لا تكن محملاً • واصبر ، فانك في أضغاث أحلام
تبني بأحجر دور الناس مجتهداً • داراً ستهدم قصاً بدم أليم
ما زلت تختار سعد المشتري لها • فكم نخوس به من نخس بهرام
إن القرائن بطليموس ما اجتمعا • في حال قض ولا في حال أبرام

فزل ابن مقلة عن وزارة بغداد وخربت داره واقلعت أشجاره وقطعت يده ، ثم قطع لسانه وصودر بألف ألف دينار ، ثم سجن وحده ليس معه من يخدمه مع الكبر والضعف والضرورة وانعدام بعض أعضائه ، حتى كان يستقي الماء بنفسه من بئر حقيق ، فكان يدلي الحبل بيده اليسرى ويسكه بفيه . وقامى جهداً جليلاً بدم ما ذاق عيشاً رغيداً . ومن شعره في يده :

ما سئمت الحياة ، لكن توقفت للحياة • بأيمانهم ، فباتت يميني
بست ديني لهم بدني أي حتى • حرموني دنياهم بدم ديني
ولقد حفظت ما استطعت مجهدى • حفظ أرواحهم ، فأحفظوني

ليس بمد العين لغة عيش * يا حياى بانت يمينى فبينى
وكان يبيكى على يده كثيرا ويقول : كتبت بها القرآن مرتين ، وخدمت بها ثلاثة من الخلفاء
تقطع كما تقطع أيدى المصوص ثم ينشد :

إذا ماتت بمضك فابك بمضاً * فان البعض من بعض قريب
وقد مات عفا الله عنه في محبسه هنا ودفن في دار السلطان ، ثم سأل ولده أبو الحسين أن يحول
إلى عنده فأجيب فنيشوه ودفنه ولده عنده في داره . ثم سألت زوجته المعروفة بالدينارية أن يدفن
في دارها فأجيبت إلى ذلك فنيش ودفن عندها . فهذه ثلاث حرات . توفي وله من العمر ست وخمسون
سنة .

﴿ أبو بكر ابن الأنبارى ﴾

محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سباع بن فروة بن قطن بن دمامة أبو بكر
الأنبارى ، صاحب كتاب الوقف والابتداء ، وغيره من الكتب النافعة والمصنفات الكثيرة . كان من
بحور العلم في اللغة والعربية والتفسير والحديث ، وغير ذلك . مع الكندي وإسماعيل القاضي ولعلبا
وغيرهم ، وكان ثقة صدوقا أديبا ، دينا فاضلا من أهل السنة . كان من أعلم الناس بالنحو والأدب ،
وأكثرهم حفظا له ، وكان له من المحانيظ مجلدات كثيرة ، أحال جمال . وكان لا يأكل إلا النقال ولا
يشرب ماء إلا قريب المصر ، مراعاة لقبحه وحفظه . ويقال : إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً ،
وحفظ تعبير الرؤيا في ليلة ، وكان يحفظ في كل جمعة عشرة آلاف ورقة ، وكانت وفاته ليلة عيد النحر
من هذه السنة .

أم عيسى بنت إبراهيم الحرابي ، كانت طلة فاضلة ، تفتى في الفقه . توفيت في رجب ودفنت إلى
جانب أبيها رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثلثمائة ﴾

في المنتصف من ربيع الأول كانت وفاة الخليفة الراضى بالله أمير المؤمنين أبى العباس أحمد بن
المقتدر بالله جعفر بن المتضد بالله أحمد بن الموفق بن المتوكل بن المنصور بن الرشيد العباسى ، استخلف
بمدحه القاهرة لست خلون من جمادى الأولى سنة ثنتين وعشرين وثلثمائة . وأمه أم ولد رومية تسمى
ظلم ، كان مولده في رجب سنة سبع وتسعين ومائتين ، وكافته خلافته ست سنين وعشرة أشهر
وعشرة أيام ، وعمره يوم مات إحدى وثلاثين سنة وعشرة أشهر . وكان أمير رقيق السمرة خرى اللون
أسود الشعر سبطه ، قصير القامة ، نحيف الجسم ، في وجهه طول ، وفي مقدم لحيته تمام ، وفي شعرها
رقة . هكذا وصفه من شاهده . قال الخطيب البغدادي : كان قراضى فضائل كثيرة ، وخبث خلفاء
في أمور عدة : منها أنه كان آخر خليفة للشعر ، وآخرهم انفراد بتدبير الجيوش والأموال ، وآخر خليفة

خُطِبَ على المنبر يوم الجمعة ، وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء . وآخر خليفة كانت
فقته وجوازه وعطاياه وجرأته وخصائمه ومطامحه وبجائسه وخدمه وأصحابه وأموره كلها تجري على
ترتيب المتقدمين من الخلفاء . وقال غيره : كان قصيداً بليغاً كريماً جواداً عمداً ، ومن جيد كلامه
الذي سمعته منه محمد بن يحيى الصولي : الله أقوام مفاتيح الخير ، وأقوام مفاتيح الشر ، فمن أراد الله
به خيراً قصده أهل الخير وجعله الوسيلة إلينا فنقتضى حاجته وهو الشريك في الثواب والاجر والشكر .
ومن أراد الله به شراً عدل به إلى غيره وهو الشريك في الوزر والامم والله المستعان على كل حال .
ومن ألفت الاعتذارات ما كتب به الراضى إلى أخيه المتقى وهما في المكتب . وكان المتقى قد
اعتدى على الراضى والراضى هو الكبير منهما فكانت : بسم الله الرحمن الرحيم ، أنا معترف لك
بالعبودية فرضاً ، وأنت معترف لي بالأخوة فضلاً ، والعبد يذنب والمولى يغفر . وقد قال الشاعر :

إذا الذي ينضب من غير شئ • اكتب فتبك حبيب إلى

أنت على أنك لي ظالم • أعز خلق الله طراً على

قال فجاء إليه أخوه المتقى فأكب عليه يقبل يديه وتماها واسطلحها . ومن لطيف شعره قوله فيما
ذكره ابن الأثير في كلامه :

يصغر وجهي إذا تأمله • طرفي ويصغر وجهه خجلاً

حتى كأن الذي بوجنته • من دم جسي إليه قد قذلاً

قال : وما رثا به أبه المتندر :

ولو أن حيا كان قبراً لميت • لصيرت أحشائي لأعظمه قبراً

ولو أن عمرى كان طوع مشيتي • وساعدني القصور فاسمتي السمر

بنفسى ترى ضاجت في تربة البلى • لقد ضم منك الفيت والبيت والبدر

وما أنشد له ابن الجوزي في منتظمه :

لا تكثرن لوى على الأسراف • ربح المحاند متجر الأسراف

أحوى لما ياتي المكارم سابقا • وأشد ما قد أسست أسلاف

إني من القوم الذين أكتهم • متادة الاملاق والاتلاف

ومن شعره الذي رواه الخطيب عنه من طريق أبي بكر محمد بن يحيى الصولي النديم قوله :

كل صفو إلى كدر • كل أمن إلى حفر

ومصير الشباب للمو • ت فيه أو الكبير

حذر المشيب من • واعظ ينذر البشر

أبها الآمل إلى • كله في جلة النور
 أين من كان قبلنا • درس الدين والأثر
 سيرد المهاد من • عمره كله خطر
 رب إلى اخوت عن • بك أرجوك مدخر
 رب إلى مؤمن بما • بين الوحي في السور
 واعترافى بتركه • مي وإنشأ الضرر
 رب فافترى الخطي • ثة ، ياخير من غفر

وقد كانت وفاته ليلة الاستسقاء في ليلة السادس عشر من ربيع الأول منها . وكان قد أرسل إلى بيجكم وهو بواسط أن يهدى إلى ولده الأصغر أبي الفضل ، فلم يتقبله ذلك ، وبيع الناس أخاه المتقي لله إبراهيم بن المتندر ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

﴿ ذكر خلافة المتقي بالله أبي إسحاق إبراهيم بن المتندر ﴾

لما مات أخوه الراضى اجتمع القضاة والأعيان بدار بيجكم واشتوروا فيمن يكون عليهم ، فاتفق رأيهم كلهم على المتقي ، فأحضروه في دار الخلافة وأرادوا بيعته ففصل ركعتين صلاة الاستسقاء وهو على الأرض ، ثم صعد إلى الكرسي بعد الصلاة ، ثم صعد إلى السرب وياهم الناس يوم الأربعاء لعشرين من ربيع الأول منها ، فلم يغير على أحد شيئا ، ولا غدر بأحد حتى ولا على سريته لم يغيرها ولم يقصر عليها . وكان كلهمه المتقي بالله كثير الصيام والصلاة والتعب . وقال : لا أريد جليسا ولا مساعدا ، حسبي المصحف نديما ، لا أريد نديما غيره . فاقطع عنه الجلساء والسيار والشراء والوزراء والتفوا على الأمير بيجكم ، وكان يجالسهم ويحدثونه ويتناشدون عنده الأشعار ، وكان بيجكم لا يفهم كثير شيء مما يقولون لهجته ، وكان في جهتهم سنان بن ثابت الصابي المتطلب ، وكان بيجكم يشكو إليه قوة النفس الغضبية فيه ، وكان سنان يهذب من أخلاقه ويسكن جأشه ، ويروض نفسه حتى يسكن من بعض ما كان يتعامله من صفك العلماء ، وكان المتقي بالله حسن الوجه معتدل الخلق قصير الأنف أبيض مشربا حمر ، وفي شمره شقرة ، وجودة ، كشاحية ، أشهل العينين ، أبي النفس . لم يشرب خرا ولا نبيذ قط ، فالتقى فيه الاسم والفعل والله الحمد . ولما استقر المتقي في الخلافة أعفأ الرسل وانطلق إلى بيجكم وهو بواسط ، وفقت المكاتبات إلى الاتفاق بولايته .

وفيها تحارب أبو عبد الله البريدي وبيجكم بناحية الأهواز ، فقتل بيجكم في الحرب واستظهر البريدي عليه وقوى أمره ، فاحتاط الخليفة على حواصل بيجكم ، وكان في جلة ما أخذ من أمواله ألف ألف دينار ، ومائة ألف دينار . وكانت أيام بيجكم على بتداد سنتين وعثمانية أشهر وتسعة أيام . ثم إن

البريدى حدثته نفسه ببغداد ، فأضيق المتقى أموالا جزيلة في الجند ليمتعه من ذلك ، فركب نفسه ،
تفرج لأثناء الطريق ليمتعه من دخول بغداد ، فخالفه البريدى ودخل بغداد في ثلثي رمضان ، ونزل
بالشفيح ، فلما تحقق المتقى ذلك بعث إليه يهنئه وأرسل إليه بالأطعمة ، وخطب بالوزير ولم يخاطبه
بأمره الأمراء . فأرسل البريدى يطلب من المتقى خمسمائة ألف دينار ، فامتنع الخليفة من ذلك فبعث
إليه يتهدده ويتوعده ويذكره ما حل بالمرز والمستعين والمهندى والقاهر . واختلفت الرسل بينهم ، ثم
كان آخر ذلك أن بعث الخليفة إليه بذلك قهراً ، ولم يتفق اجتماع الخليفة والبريدى ببغداد حتى خرج
منها البريدى إلى واسط ، وذلك أنه ثارت عليه القبيلة والتفوا على كبيرهم كورتكين ، وراموا
حريق دار البريدى ، وفرت عن البريدى طائفة من جيشه ، يقال لهم البجكية ، لأنه لما قبض المال
من الخليفة لم يعطهم منه شيئاً ، وكانت من البجكية طائفة أخرى قد اختلفت معه أيضاً وهم والقبيلة
قد صاروا حزينين . والتفوا مع القبيلة فانهزم البريدى من بغداد يوم سلخ رمضان واستولى كورتكين
على الأمور ببغداد ، ودخل إلى المتقى فقلعه إمرة الأمراء ، وخلع عليه ، واستدعى المتقى على بن عيسى
وأخاه عبد الرحمن فنوض إلى عبد الرحمن تدبير الأمور من غير تسمية بوزارة ، ثم قبض كورتكين
على رئيس الأتراك بكبك غلام بجكم وغرقه . ثم نظفت العامة من الديلم ، لأنهم كانوا يأخذون منهم
دورهم ، فشكروا ذلك إلى كورتكين فلم يشكهم ، فتمت العامة الخطباء أن يصلوا في الجوامع ، واقتتل
الديلم والعامة ، وقتل من الفريقين خلق كثير وجرح كثير . وكان الخليفة قد كتب إلى أبي بكر محمد بن
رائق صاحب الشام يستدعيه إليه ليخلصه من الديلم ومن البريدى ، فركب إلى بغداد في العشرين
من رمضان ومعه جيش عظيم وقد صار إليه من الأتراك البجكية خلق كثير ، وحين وصل إلى الموصل
حاد عن طريقه ناصر الهولة بن حمدان ، فتراسلوا ثم اصطالحا ، وحمل ابن حمدان مائة ألف دينار ،
فلما اقترب ابن رائق من بغداد خرج كورتكين في جيشه ليقاقله ، فدخل ابن رائق بغداد من غير يها
ورجع كورتكين بجيشه فدخل من شرقها ، ثم تصافوا ببغداد فقتلوا وساعدت العامة ابن رائق
على كورتكين فانهزم الديلم وقتل منهم خلق كثير ، وهرب كورتكين فاختفى ، واستقر أمر ابن رائق
وخلع عليه الخليفة وركب هو وإياه في دجلة فظفر ابن رائق بكورتكين فأودعه السجن الذى في
دار الخلافة . .

قال ابن الجوزى : وفي يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى حضر الناس لصلاة الجمعة بجوامع براقي ،
وقد كان المقتدر أحرق هذا الجامع لأنه كبسه فوجد فيه جماعة من الشيعة يجتمعون فيه للسب والشتم ،
فلم يزل خراباً حتى حزه بجكم في أيام الراضى ، ثم أمر المتقى بوضع منبر فيه كان عليه اسم الرشيد وصلى
فيه الناس الجمعة . قال : فلم يزل يقيم فيه إلى ما بعد سنة حسين وأربعين . قال : وفي جمادى الآخرة

في ليلة سابعه كانت ليلة برد ودرعد وبرق ففسقت القبة الخضراء من قصر المنصور ، وقد كانت هذه القبة تاج بغداد ومآثرة من مآثر بني العباس عظيمة ، بليت أول ملكهم ، وكان بين بنياتها وسقوطها مائة وسبعة وثمانون سنة . قال : وخرج عن الناس القشرين والسكانوفان منها ولم يطرأ فيها بشئ سوى مطرة واحدة لم يبل منها التراب ، فقلت الأسعار ببغداد حتى بيع الكر بمائة وثلاثين ديناراً . ووقع الفناء في الناس حتى كان الجماعة يغفون في القبر الواحد ، من غير غسل ولا صلاة ، وبيع العقار والأثاث بأرخص الأسعار ، حتى كان يشتري بالدرهم ما يساوي الدينار في غير تلك الأيام . ورأت امرأة رسول الله ﷺ في منامها وهو يأمرها بخروج الناس إلى الصحراء لصلاة الاستسقاء ، فأمر الخليفة باستئصال ذلك فعلى الناس واستسقوا فجاءت الأمطار فزادت الفرات شيئاً لم ير مثله ، وغرقت البغاسية ، ودخل الماء الشوارع ببغداد ، فسقطت القنطرة العتيقة والجديدة ، وقطعت الأكراد الطريق على قافلة من خراسان ، فأخذوا منهم ما قيمته ثلاثة آلاف دينار ، وكان أكثر ذلك من أموال بجك التركي . وخرج الناس للحج ثم رجوا من أثناء الطريق بسبب رجل من العلويين قد خرج بالمدينة النبوية ، ودعا إلى نفسه وخرج عن الطاعة .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ أخذ بن إبراهيم ﴾

ابن ترمذ القتيبي أحد أصحاب ابن سريج . خرج من الحمام إلى خارجه فسقط عليه الحمام فأت من فوره ﴿ بجك التركي ﴾

أمير الأمراء ببغداد ، قبل بئ بويه . كان حاقلاً فيهم بالربية ولا يتكلم بها . يقول أخاف أن أخطئ واغفلت من الرئيس قبيح . وكان مع ذلك يحب العلم وأهله ، وكان كثير الأموال والصدقات ، ابتداءً يعمل مارستان ببغداد فلم يتم ، فجدده عضد الدولة ابن بويه ، وكان بجك يقول : العدل ربح السلطان في الدنيا والآخرة . وكان يدين أموالاً كثيرة في الصحراء ، فلما مات لم يدركها ، وكان ندماء الراضى قد اتفوا على بجك وهو بواسط ، وكان قد ضمنها بئ بمائة ألف دينار من الخليفة ، وكانوا يسلمونه كالخليفة ، وكان لا يفهم أكثر ما يقولون ، وراض له مزاجه الطيب سنان بن ثابت الصابي حتى لأن خلقه وحسنت سيرته ، وقلت سلوته ، ولكن لم يعمر إلا قليلاً بعد ذلك . ودخل عليه مرة رجل فوعظه فأبكاها فأمر له بمائة ألف درهم ، فلققه بها الرسول فقال بجك لجلسائه : ما أظنني قبليها ولا يردها ، وما يصنع هذا بالدين ؟ هذا رجل مشغول بالعبادة ، ماذا يصنع بالديار ؟ فما كان بأسرع من أن رجع الغلام وليس معه شيء ، قال بجك : قبليها ؟ قال : نعم ، فقال بجك : كلنا ضيادون ولكن الشباك مختلفة . توفي لسمع بئ من رجب من هذه السنة . وسبب موته أنه خرج يتصيد فأتى طائفة من الأكراد فاستهان بهم فقاتلوه فضر به رجل منهم قتله . وكانت إمرته على بغداد سنتين وثمانية

أشهر وتسعة أيام . وخلف من الأموال والحواصل ما ينيف على ألفي ألف دينار ، أخضاها المتقى لله
كلها . ﴿ أبو محمد البريهاري ﴾

العالم الزاهد الفقيه الخليل الواعظ ، صاحب الروزي وسهلا التسري ، ونثره عن ميراث أبيه ،
- وكان سبعين ألفا - لأمر كرهه . وكان شديداً على أهل البيع والمعايش ، وكان كبير القدر لمنظمه الخاصة
والعامة ، وقد عطس يوماً وهو يخطب فسمته الحاضرون ، ثم سمته من معهم حتى سمته أهل بغداد ،
فأنهت الضجة إلى دار الخلافة ، فزار الخليفة من ذلك وتكلم فيه جماعة من أرباب الدولة ، فطلب
فاخفى عند أخت بوران شهراً ، ثم أخذه القيام - داه - فأتت عندها ، فأمرت خادماً فصل عليه ،
فامتلات الدار رجالاً عليهم ثياب يلبس . ودفنته عندها ثم أوصت إذا ماتت أن تدفن عنده . وكان
عمره يوم مات ستاً وتسعين سنة رحمه الله .

﴿ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول ﴾

أبو بكر الأزرق - لأنه كان أزرق العينين - التنوخي الكاتب ، مع جمه والزيبير بن بكار ،
والحسين بن عرفة وغيرهم ، وكان خشن الميش كثير الصدقة . فيقال إنه تصدق بمائة ألف دينار ،
وكان أماراً بالمعروف نهاء عن المنكر ، روى عنه الدارقطني وغيره من الحفاظ ، وكان ثقة عدلاً .
توفي في ذي الحجة منها عن ثنتين وتسعين سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاثين وثلاثمائة ﴾

قال ابن الجوزي : في الحرم منها ظهر كوكب بذهب رأسه إلى المغرب وذنبه إلى المشرق ، وكان
عظيماً جداً ، وذنبه منتشر ، وبقى ثلاثة عشر يوماً إلى أن اضمحل . قال : وفي نصف ربيع الأول
بلغ السكر من الخنطة مائتي دينار ، وأكل الضمضاء الميتة ، ودام الفلاء وكثر الموت ، وتقطعت السبل
وشغل الناس بالمرض والقر ، وتركوا دفن الموتى ، وشغلوا عن الملاهي والاسب . قال : ثم جاء مطراً ففأه
القرب ، وبلغت زيادة حجلة عشرين ذراعاً وثلاثاً . وذكر ابن الأثير في الكامل أن محمد بن رائق وقع
بينه وبين البريدي وحشة لأجل أن البريدي منع خراج واسط ، فركب إليه ابن رائق ليقسم
ما عنده من المال ، فوقعت مصلحة ورجع ابن رائق إلى بغداد ، فطالبه الجند بأرزاقهم ، وضاق عليه
حاله ، وتخير جماعة من الأمراء عنه إلى البريدي فضعف جانب ابن رائق وكتب البريدي بالوزارة
ببغداد ، ثم قطع اسم الوزارة عنه ، فاشتد حق البريدي عليه ، وعزم على أخذ بغداد ، فبعث أخاه
أبا الحسين في جيش إلى بغداد ، فتحصن ابن رائق مع الخليفة بدار الخلافة ونصبت فيها المجانيق
والمرادات - الرادة شيء أصغر من المنجنيق - على حجلة أيضاً . فاضطربت أهل بغداد ونهب
الناس بعضهم بعضاً ليلاً ونهاراً ، وجاء أبو الحسين أخو أبي عبد الله البريدي بمن معه فقاتلهم الناس

في البروف دجلة ، وتقام الحلال جدآ ، مع ما الناس فيه من التلاذ والوباء والفناء . فإنا لله وإنا إليه راجعون . ثم إن الخليفة وابن رائق انهما في جهادى الآخرة ومع الخليفة ابنه منصور - في عشرين فارسا ، قصصوا نحو الموصل ، واستحوذ أبو الحسين على دار الخلافة وقتل من وجد فيها من الحاشية ، ونهبوها حتى وصل النهب إلى الحريم ، ولم يتعرضوا لقهاهر وهو إذ ذاك أعشى مكفوقا ، وأخرجوا كورمكيين من الحبس ، فبعثه أبو الحسين إلى البريدى ، فكان آخر العهد به ، ونهبوا بغداد جهارآ علانية ، ونزل أبو الحسين بدار مؤنس الخادم التي كان يسكنها ابن رائق ، وكانوا يكبسون الدور يأخذون ما فيها من الأموال ، فكثرت الجور وغلّت الأسعار جدآ ، وضرب أبو الحسين المكس على الحنطة والشعير ، وذاق أهل بغداد لباس الجوع وانطوف بما كانوا يصنعون . وكان معه طائفة كبيرة من القرامطة فأفسدوا في البلد فسادآ عظيما ، ووقع بينهم وبين الأتراك حرب وبلولة شديدة ، فغلبهم الترك وأخرجهم من بغداد ، ف وقعت الحرب بين العابة والديلم جند أبي الحسين . وفي شعبان منها اشتد الحلال أيضا ونهبت المساكن وكبس أهلها ليلا ونهارآ ، وخرج جند البريدى فهبوا الغلات من الترى والحيوانات ، وجرى ظلم لم يسمع بمثله . قال ابن الأثير : وإنما ذكرنا هذا ليعلم الظلمة أن أنجبارم الشمية تنقل وتبقى يعدم على وجه الأرض وفي الكتب ، ليدركوا بها وينموا ويمابوا ، ذلك لهم خرى في الدنيا وأمرهم إلى الله عليهم أن يتركوا الظلم لهذا إن لم يتركوه لله . وقد كان الخليفة أرسل وهو ببغداد إلى ناصر الدولة بن حمدان نائب الموصل يستمده ويستعته على البريدى ، فأرسل ناصر الدولة أخاه سيف الدولة عليا في جيش كثيف ، فلما كان بتكريت إذا الخليفة وابن رائق قد هربا فرجع معهما سيف الدولة إلى أخيه ، وخدم سيف الدولة الخليفة خدمة كثيرة . ولما صلا إلى الموصل خرج منها ناصر الدولة فنزل شرقها ، وأرسل التحف والضيافات ، ولم يجرى إلى الخليفة خوفا من النائلة من جهة ابن رائق ، فأرسل الخليفة ولده أبا منصور ومعه ابن رائق للسلام على ناصر الدولة ، فصارا إليه فأمر ناصر الدولة أن ينثر الذهب والفضة على رأس ولد الخليفة ، وجلسا عنده ساعة ، ثم قاما ورجعا ، فركب ابن الخليفة وأراد ابن رائق أن يركب معه ، فقال له ناصر الدولة : اجلس اليوم عندي حتى أفكر فيما نصنع في أمرنا هذا ، فاعتذر إليه ابن الخليفة واستراب بالأمر وخشى ، فقبض ابن حمدان بكه لحبسه ابن رائق منه فانقطع كره ، وركب سرعا فمقطع عن فرسه فأمر ناصر الدولة بقتله فقتل ، وذلك يوم الاثنين لسبع مئتين من رجب منها . فأرسل الخليفة إلى ابن حمدان فاستحضره وخلع عليه ولقبه ناصر الدولة يومئذ ، وجعله أمير الأمراء ، وخلع على أخيه أبي الحسن ولقبه سيف الدولة يومئذ ، ولما قتل ابن رائق وبلغ خبر مقتله إلى صاحب مصر الأخشيدي محمد بن طنج ركب إلى دمشق فقتلها من محمد بن يزيد نائب ابن رائق ولم ينتطح فيها عتزان . ولما بلغ خبر مقتله إلى بغداد فارق

أكثر الأتراك أبا الحسين البريدي لسوء سيرته ، وقبح سيرته قبحه الله ، وقصدوا الخليفة وابن
 حمدان فتقوى بهم ، وركب هو والخليفة إلى بغداد ، فلما اقتربوا منها هرب عنها أبو الحسين أخو البريدي
 فدخلها المتقي ومعه بنو حمدان في جيوش كثيرة ، وذك في شوال منها ، ففرح المسلمون فرحاً شديداً .
 وبعث الخليفة إلى أهلها وقد كان أخرجهم إلى سامراسفردم ، وتراجع أعيان الناس إلى بغداد بمد ما
 كانوا قد ترحلوا عنها . ورد الخليفة أبا إسحاق الفزاري إلى الوزارة وولى توزون شرطة جاني بغداد ،
 وبعث ناصر الدولة أخاه سيف الدولة في جيش وراء أبي الحسين أخي البريدي ، فلحقه عند
 المدائن فقتلوا قتالاً شديداً في أيام نحسات ، ثم كان آخر الأمر أن هزم أبو الحسين إلى أخيه البريدي
 بواسط ، وقد ركب ناصر الدولة بنفسه قتل المدائن قوة لأخيه . وقد انهزم سيف الدولة مرة من
 أخي البريدي فرده أخوه وزاده جيشاً حتى كسر البريدي ، وأسر جماعة من أعيان أصحابه ، وقتل
 منهم خلقاً كثيراً . ثم أرسل أخاه سيف الدولة إلى واسط لقتال أبي عبد الله البريدي ، فانهزم
 منه البريدي وأخوه إلى البصرة وتسلم سيف الدولة واسطاً وسياتى ما كان من خبره في السنة
 الآتية مع البريدي .

وأما ناصر الدولة فإنه عاد إلى بغداد فدخلها في ثالث عشر ذي الحجة وبين يديه الأسارى
 على الجبال ، ففرح المسلمون واطمأنوا ونظر في المصالح العامة وأصلح معيار الدينار . وذك أنه وجدته
 قد غير عما كان عليه ، ففرض ذاتها سهاها البريزية ، فكانت تباع كل دينار بثلاثة عشر
 درهماً ، وإنما كان يباع ما قبلها بعشرة . وعزل الخليفة بدرًا الخرشني عن الحجابة وولاه سلامة
 الطولوني ، وجعل بدرًا على طريق الفرات ، فسار إلى الأخشيذ فأكرمه واستنابه على دمشق فأت
 بها . وفيها وصلت الروم إلى قريب حلب فقتلوا خلقاً وأسروا نحواً من خمسة عشر ألفاً ، فأت الله
 وإنا إليه راجعون . وفيها دخل نائب طرموس إلى بلاد الروم فقتل وسبي وغنم وسلم وأسر من
 بطارتهم المشهورين منهم وغيرهم خلقاً كثيراً والله الحمد . وفيها توفي من الأعيان .

﴿ إسحاق بن محمد بن يعقوب التهرجوري ﴾

أحد مشايخ الصوفية ، صاحب الجنيذ بن محمد وغيره ، من أئمة الصوفية ، وجاور بمكة حتى مات
 بها . ومن كلامه الحسن : مغاوز الدنيا تقطع بالأقدام ، ومغاوز الآخرة تقطع بالقلوب .

﴿ الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان ﴾

أبو عبد الله الضبي القاتقي الحمالي القتيبي الشافعي المحدث ، مع الكثير وأدرك خلقاً من أصحاب
 ابن عيينة ، نحواً من سبعين رجلاً . وروى عن جماعة من الأئمة ، وعنه الفاروقى وخلق ، وكان
 يحضر مجلسه نحو من عشرة آلاف . وكان صدوقاً دينياً قتيماً محدثاً ، ولى قضاء الكوفة ستين سنة ،

وأضيف إليه قضاء فارس وأعمالها ، ثم استعفى من ذلك كله ولزم منزله ، واقتصر على إسماع الحديث وسامعه . توفي في ربيع الآخر من هذه السنة عن خمس وتسعين سنة . وقد تناظر هو وبعض الشيعة بمحضرة بعض الأكابر فجعل الشيعة يذكر مواقف على يوم بدر وأحد والخندق وخيبر وحنين وشجاعته ، ثم قال للمحاملي : أنكرها ؟ قال : نعم ، ولكن أنكرت أنت أين كان الصديق يوم بدر ؟ كان مع رسول الله ﷺ في الريش بمنزلة الرئيس الذي يحامي عنه ، وعلى رضى الله عنه في المبارزة ، ولو فرض أنه انهزم أو قتل لم يفرز الجيش بسببه . فأفهم الشيعة . وقال المحاملي وقد قدمه الذين رويوا لنا الصلاة والزكاة والوضوء بعد رسول الله ﷺ فقتلوه عليه حيث لا مال له ولا عبيد ولا عشيرة وقد كان أبو بكر يمنع عن رسول الله ﷺ ويحاج عنه ، وإنما قتلوه لهم أنه خيرهم . فأفهمه أيضاً .

﴿ علي بن محمد بن سول ﴾

أبو الحسن الصائغ ، أحد الزهاد العباده أصحاب الكرامات . روى عن مشاد الدينوري أنه شاهد أبا الحسن هذا يصل في الصحراء في شدة الحر ونسر قد نشر عليه جناحه يظله من الحر . قال ابن الأثير : وفيها توفي أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتكلم المشهور ، وكان مولده سنة ستين ومائتين ، وهو من ولد أبي موسى الأشعري . قلت : الصحيح أن الأشعري توفي سنة أربع وعشرين ومائتين كما تقدم ذكره هناك . قال : وفيها توفي محمد بن يوسف بن النضر الحر وروى الفقيه الشافعي ، وكان مولده سنة تسع وعشرين ومائتين ، أخذ عن الربيع بن سليمان صاحب الشافعي . قلت : وقد توفي فيها أبو حامد بن بلال . وذكر يا بن أحمد البلخي . وعبد الغافر بن سلامة الحافظ ، ومحمد بن رائق الأمير ببغداد . وفيها توفي الشيخ :

﴿ أبو صالح مفلح الحنبلي ﴾

واقف مسجد أبي صالح ظاهر باب شرق من دمشق ، وكانت له كرامات وأحوال ومقامات ، واسمه مفلح بن عبد الله أبو صالح المتعبد ، الذي ينسب إليه المسجد خارج باب شرق من دمشق ، محب الشيخ أبا بكر بن سعيد حمودة الدمشقي ، وتأدب به ، وروى عنه الموحد بن إسحاق بن البري ، وأبو الحسن علي بن العجمي قيم المسجد ، وأبو بكر بن داود الدينوري النقي . روى الحافظ ابن عساكر من طريق الدق عن الشيخ أبي صالح . قال : كنت أطوف بجبل لكأطلب العباد فررت برجل وهو جالس على صخرة مطرق رأسه قلت له : ما تصنع هنا ؟ فقال : أنظر وأرعى . قلت له : لا أرى بين يديك شيئاً تنظر إليه ولا تراه إلا هذه العصاة والحجارة . فقال : بل أنظر خواطر قلبي وأرعى أواصر ديني ، هؤلاء أطعمك على إلا صرفت بصرك عنى . قلت له : نعم ولكن عظمى بشئ أنتفع به حتى أمضى هنك . فقال : من لزم الباب أثبت في الخلد ، ومن أكثر ذكر الموت أكثر الندم

ومن استغنى بالله أمن المدم ، ثم تركنى ومضى . وقال أبو صالح : مكنت سنة أيام أو سبعة لم آكل ولم أشرب ، ولحقنى عطش عظيم ، فغثت إلى النهر الذى وراء المسجد فجلست أنظر إلى الماء ، فتذكرت قوله تعالى (وكان عرشه على الماء) فذهب عنى العطش ، فمكنت تمام العشرة أيام . وقال : مكنت أربعين يوماً لم أشرب ، ثم شربت ، وأخذ رجل فضلقى ثم ذهب إلى امرأته فقال : اشربى فضل رجل قد مكث أربعين يوماً لم يشرب الماء . قال أبو صالح : ولم يكن أطلع على ذلك أحد إلا الله عز وجل . ومن كلام أبي صالح : الدنيا حرام على القلوب حلال على النفوس ، لأن كل شئ يحل لك أن تنظر بعين رأسك إليه يحرم عليك أن تنظر بعين قلبك إليه . وكان يقول : البدن لباس القلب والقلب لباس الفؤاد ، والفؤاد لباس الضمير ، والضمير لباس السر ، والسر لباس العروة به . ولأبي صالح مناقب كثيرة رحمه الله . توفى فى جمادى الأولى من هذه السنة والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة

فيها دخل سيف الدولة إلى واسط وقد انهزم عنها البريدى وأخوه أبو الحسين ، ثم اختلف الترك على سيف الدولة ، فهرب منها فاصداً ببغداد ، وبلغ أخاه أمير الأمراء خيرة فخرج من بغداد إلى الموصل ، فتهبت داره . وكانت دولته على بغداد ثلاثة عشر شهراً وخمسة أيام . وجاء أخوه سيف الدولة بعد خروجه منها فقتل بباب حرب ، فطلب من الخليفة أن يمد يده بمال يتقوى به على حرب تورون ، فبعث إليه بأربعمائة ألف درهم ، وفرقها بأصحابه . وحين سمع بقدم تورون خرج من بغداد ودخلها تورون فى الخامس والعشرين من رمضان ، فخلع عليه الخليفة وجعله أمير الأمراء واستقر أمره ببغداد . وعند ذلك رجع البريدى إلى واسط وأخرج من كان بها من أصحاب تورون وكان فى أسر تورون غلام سيف الدولة ، يقال له نعال ، فأرسله إلى مولاه ليخبره حاله ويرفع أمره عند آل حمدان . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببلاد نسا ، سقط منها عمارات كثيرة ، وهلك بسببها خلق كثير . قال ابن الجوزى : وكان ببغداد فى أيلول وتشرين حر شديد يأخذ بالأنفاس . وفى صفر منها ورد الخبر بوصول الروم إلى أرزن وميا فارقين ، وأنهم سبوا .

وفى ربيع الآخر منها عقد أبو منصور إسحاق بن الخليفة المتقي عقده على علوية بنت ناصر الدولة بن حمدان ، على صداق مائة ألف دينار وألف ألف درهم ، وولى العقد على الجارية المذكورة أبو عبد الله محمد بن أبى موسى الهاشمي ، ولم يحضر ناصر الدولة ، وضرب ناصر الدولة سكة ضرب فيها ناصر الدولة عبد آل محمد .

قال ابن الجوزى : وفيها غلت الأسعار حتى أكل الناس الكلاب ووقع البلاء فى الناس ، ووافى من الجراد شئ كثير جداً ، حتى يبيع منه كل خمسين رطلاً بالدوم ، فارتقى الناس به فى

الغلاء . وفيها ورد كتاب ملك الروم إلى الخليفة يطلب فيه منديلا بكنيسة الرها كان المسيح قد مسح بها وجهه فصارت صورة وجهه فيه ، وأنه متى وصل هذا المنديل يبعث من الأسارى خلقا كثيرا . فأحضر الخليفة العلماء فاستشارهم في ذلك ، فمن قائل نحن أحق بيمسى منهم ، وفي بيته إليهم غضاظة على المسلمين ووهن في الدين . فقال على بن عيسى الوزير : يا أمير المؤمنين إنا إذا أسارى المسلمين من أيدي الكفار خير وأنفع للناس من بقاء ذلك المنديل بتلك الكنيسة . فأمر الخليفة بإرسال ذلك المنديل إليهم وتخليص أسرى المسلمين من أيديهم . قال الصولي : وفيها وصل الخبر بأن الترمطي ولد له مولود فأهدى إليه أبو عبد الله البريدي هدايا كثيرة ، منها مهد من ذهب مرصع بالجوهر ، وجلاله منسوج بالذهب على بالواقيت ، وغير ذلك . وفيها كثر الرفض ببغداد فنودي بها من ذكر أحداً من الصحابة بسوء فقد برئت منه الأمة . وبثت الخليفة إلى عماد الدولة ابن بويه خلعاً قبلها ولبسها بحضرة القضاة والأعيان . وفيها كانت وفاة السعيد نصير بن أحمد بن إسماعيل الساماني صاحب خراسان وما وراء النهر ، وقد مرض قبل موته بالسل سنة وشهرا ، واتخذ في داره بيتاً سماه بيت العبادة ، فكان يلبس ثيابا نظافاً ويعشى إليه خافياً ، ويعلى فيه ، ويتضرع ويكثر الصلاة . وكان يجتنب المنكرات والآثام إلى أن مات رحمه الله ، فقام بالأمر من بعده ولده نوح بن نصر الساماني ، ولقب بالأمر الحيد . وقتل محمد بن أحمد اللقي ، وكان قد طعن فيه عنده وصلبه . وفيها توفي من الأعيان (ثابت بن سنان بن قرة الصافي)

أبو سعيد الطيب ، أسلم على يد القاهر بالله ولم يسلم ولده ولا أحد من أهل بيته ، وقد كان مقدماً في الطب وفي علوم آخر كثيرة . توفي في ذى القعدة منها بيلة اقرب ولم تكن عنه صناعته شيئا ، حتى جاءه الموت . وما أحسن ما قال بعض الشعراء في ذلك :

قل لذى صنع الدواء بكفه • أترد مقدوراً [عليك قد] جرى

مات الدواى والمداوى واللقى • صنع الدواء بكفه ومن اشترى

وذكر ابن الجوزي في المنتظم وفاة الأشمري فيها وتكلم فيه وسط عليه كما جرت عادة الخنايلة يتكلمون في الأشعرية قديماً وحديثاً . وذكر أنه ولد سنة ستين ومائتين ، وتوفي في هذه السنة ، وأنه صاحب الجبالي أربعين سنة ثم رجع عنه ، وتوفي ببغداد ودفن بمسجدة السرواني .

محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبه

ابن الصائت السدوسي مولاهم أبو بكر ، سمع جده وصباغ الدورى وغيرهما وعنه أبو بكر بن مهندى وكان ثقة . روى الخطيب أن والده محمد هذا حين ولد أخذ طالع مولده المنجسون فحسبوا عمره وقالوا : إنه يعيش كذا وكذا . فأرصد أبوه له جياً فكان يلقي فيه عن كل يوم من عمره الذى أخبروه به

ديناراً ، فلما امتلأ أرسده له جياً آخر كذلك ، ثم آخر كذلك ، فكان يضع فيها في كل يوم ثلاثة دنانير على عهد أيام عمر ولده . ومع هذا ما أظنه ذلك شيئاً ، بل افتر هذا الولد حتى صار يستعطي من الناس ، وكان يحضر مجلس السماع عليه عبادة بلا إزار ، فكان يتصدق عليه أهل المجلس بشئ يقوم بأوده . والسعيد من أسعده الله عز وجل .

(محمد بن محمد بن جعفر)

أبو عمر الدوري المطار ، كان يسكن الدور . وهي محلة بطرف بغداد . مع الحسن بن عرفة والزي بن بكار ومسلم بن الحجاج وغيرهم ، وعنه الفارطني وجماعة ، وكان ثقة فهاً واسع الرواية مشكور الديانة مشهوراً بالمبادأة . توفي في جمادى الأولى منها ، وقد استكمل سبعاً وسبعين سنة وثمانية أشهر وإحدى وعشرين يوماً . المجنون البندادي روى ابن الجوزي من طريق أبي بكر الشبل قال : رأيت مجنوناً عند جامع الرصافة وهو عريان وهو يقول : أنا مجنون الله ، أنا مجنون الله . فقلت له : مالك ألا تستر وتدخل الجامع وتصل ؟ فأنشأ يقول :

يقولون زرتنا وأقص واجب حقنا • وقد أسقطت حالي حقوقهم عنى
إذا هم رأوا حالي ولم يأفوا لها • ولم يأفوا منها أفنت لهم منى

(ثم خملت سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة)

فيها خرج المتقي أمير المؤمنين من بغداد إلى الموصل مناضباً لتورون ، وهو إذ ذاك بواسط ، وقد زوج ابنته من أبي عبدالله البريدي ، وصاروا يدأ واحدة على الخليفة . وأرسل ابن شيرزادني ثلثمائة إلى بغداد فأفسد فيها وقطع وصل ، واستقل بالأمر من غير مراجعة المتقي . فنضب المتقي وخرج منها مناضباً له بأهله وأولاده ووزيره ومن أتبعه من الأمراء ، فاصدا الموصل إلى بني حمدان ، فتلقاه سيف الدولة إلى تكريت ، ثم جاءه ناصر الدولة وهو بشكرت أيضاً ، وحين خرج المتقي من بغداد أكثر ابن شيرزاد فيهما الفساد ، وظلم أهلها وصاحدهم ، وأرسل يعلم تورون ، فأقبل مسرعاً نحو تكريت فتواقع هو وسيف الدولة فهزم تورون سيف الدولة وأخذ معسكره ومعسكر أخيه ناصر الدولة ثم كر إليه سيف الدولة فهزمه تورون أيضاً ، وانهزم المتقي وناصر الدولة وسيف الدولة من الموصل إلى نصيبين وجاء تورون فدخل الموصل وأرسل إلى الخليفة يطلب رضاه ، فأرسل الخليفة يقول : لا سبيل إلى ذلك إلا أن تصالح بني حمدان ، فاصطلحوا ، وضمن ناصر الدولة بلاد الموصل بثلاثة آلاف ألف وسبعمائة ألف ، ورجع تورون إلى بغداد وأقام الخليفة عند بني حمدان . وفي غيبة تورون هزمه عن واسط أقبال إليها مزم الدولة بن بويه في خلق من الديلم كثيرين ، فاصبح تورون مسرعاً إلى واسط فأقتتل مع مزم الدولة بضعة عشر يوماً ، وكان آخر الأمر أن انهزم مزم الدولة ونهبت حواصله ، وقتل

من جيشه خلق كثير ، وأسر جماعة من أشرف أصحابه . ثم عاود تورون ما كان يمتريه من مرض الصرع فشغل بنفسه فرجع إلى بغداد .

وفيها قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف ، وكان سبب ذلك أن البريدي قل ما في يده من الأموال ، فكان يستقرض من أخيه أبي يوسف فيقرضه القليل ، ثم يشنع عليه وينم تصرفه بمال الجند ، إلى أن مال الجند إلى أبي يوسف وأعرض غالبهم عن البريدي ، فغشى أن يبايئوه فأرسل إليه طائفة من غلمان قتلوه غيلة ، ثم انتقل إلى داره وأخذ جميع حواصله وأمواله ، فكان قيمة ما أخذ منه من الأموال ما يقارب ثلثمائة ألف دينار . ولم يمتع بعده إلا ثمانية أشهر مرض فيها مرضا شديدا بإحدى الحامدة ، حتى كانت وفاته في شوال من هذه السنة ، فقام مقامه أخوه أبو الحسين فبعه الله فأساء السيرة في أصحابه ، فناروا عليه فلجأ إلى القرامطة فحبسهم الله فاستجار بهم فقام بالأمر من بعده أبو القاسم بن أبي عبد الله البريدي في بلاد واسط والبصرة وتلك النواحي من الأهواز وغيرها . وأما الخليفة المتقي لله فانه لما أقام عند أولاد حمدان بالموصل ظهر له منهم فتحر ، وأنهم يرغبون في مفارقتهم . فكتب إلى تورون في الصلح فاجتمع تورون مع القضاة والأعيان وقرأ كتاب الخليفة وقابله بالسبع والطاعة ، وحلف له ووضع خطه بالاقرار له ولبن معه بالاكرام والاحترام ، فكان من الخليفة ودخوله إلى بغداد ما سيأتي في السنة الآتية .

وفيها أقبلت طائفة من الروس في البحر إلى نواحي أذربيجان فقصدوا برودة فحاصروها ، فلما ظفروا بأهلها قتلهم عن آخرهم ، وغنموا أموالهم وسبوا من استحسنوا من نساءهم ، ثم مالوا إلى المراحة ، فوجدوا بها نماراً كثيرة ، فأكلوا منها فأصابهم وباء شديد فمات أكثرهم ، وكان إذا مات أحدهم دفنوا معه ثيابه وسلاحه ، فأخذته المسلمون وأقبل إليهم المرزبان بن محمد فقتل منهم . وفي ربيع الأول منها جاء المستق ملك الروم إلى رأس العين في ثمانين ألفاً فدخلها ونهب ما فيها وقتل وسي منهم نحو من خمسة عشر ألفاً ، وأقام بها ثلاثة أيام ، فقصده الأعراب من كل وجه فقاتلوه قتالا عظيما حتى انهزم عنها . وفي جمادى الأولى منها غلبت الأسعار ببغداد جدا وكثرت الأمطار حتى تهدم البناء ، ومات كثير من الناس تحت الهمم ، وتمطلت أكثر الحمامات والمساجد من قلة الناس وقصفت قيمة النقار حتى بيع منه بالدرهم ما كان يساوي الدينار ، وغلّت النور ، وكان الدلالون يسلطون من يسكنها أجرة ليحفظها من الداخلين إليها ليخربوها . وكثرت الكسبات من اللصوص بالليل ، حتى كان الناس يتحارسون بالبوقات والطبول ، وكثرت الفتن من كل جهة فاقا لله وإنا إليه راجعون ، ونفذ بالله من شرور أغصنا ومن سيئات أفعالنا .

وفي رمضان منها كانت وفاة أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن الجنابي المهجري القرمطي .

رئيس القرامطة ، قبحه الله ، وهذا هو الذى قتل الحبيج حول الكعبة وفى جوفها ، وسلبها كسوتها وأخذ بابها وحليتها ، وأقتلع الحجر الأسود من موضعه وأخذه معه إلى بلخ هجر ، فكثت عنده من سنة تسع عشرة وثلاثة ثم مات قبحه الله وهو عندهم لم يردوه إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثة كما سيأتى . ولما مات هذا القرمطى قام بالأمر من بعده إخوته الثلاثة ، وهم أبو العباس الفضل ، وأبو القاسم سعيد ، وأبو يعقوب يوسف بنو أبي سعيد الجناي ، وكان أبو العباس ضعيف البدن مقبلاً على قراءة الكتب ، وكان أبو يعقوب مقبلاً على اللهو واللعب ، ومع هذا كانت كلمة الثلاثة واحدة لا يختلفون فى شيء ، وكان لهم سبعة من الوزراء متفقون أيضاً .

وفى شوال منها توفى أبو عبد الله البريدى فاستراح المسلمون من هذا كما استراحوا من الآخر . وفيها توفى من الأعيان أبو العباس بن عقدة الحافظ ،

﴿ أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن ﴾

أبو العباس الكوفى المعروف بابن عقدة ، لقبوه بذلك من أجل تقيده فى التصريف والنحو ، وكان أيضاً عقدة فى الورع والنسك ، وكان من الحفاظ الكبار ، سمع الحديث الكثير ورحل فسمع من خلائق من المشايخ ، وسمع منه الطبرانى والدارقطنى وابن الجبائى وابن عدى وابن المظفر وابن شاهين . قال الدارقطنى : أجمع أهل الكوفة على أنه لم يرم من زمن ابن مسعود إلى زمان ابن عقدة أحفظ منه ، ويقال إنه كان يحفظ نحواً من ستائة ألف حديث ، منها ثلاثمائة ألف فى فضائل أهل البيت ، بما فيها من الصالح والضعاف ، وكانت كتبه ستائة حل جل ، وكان يلسب مع هذا كله إلى التشيع والمغالاة . قال الدارقطنى : كان رجلاً سوء . ونسب ابن عدى إلى أنه كان يعمل للسخ لأشباح ويأمرهم بروايتها . قال الخطيب : حدثنى على بن محمد بن نصر قال سمعت حمزة بن يوسف سمعت أبا عمر بن حيوة يقول : كان ابن عقدة يجلس فى جامع برائى معدن الرضى يملئ مثالب الصحابة - أو قال الشيخين - فترك حديثه لأحدث عنه بشئ . قلت : وقد حرزت الكلام فيه فى كتابنا التكميل بما فيه كفاية ، توفى فى ذى القعدة منها .

﴿ أحمد بن طاهر بن بشر بن حامد المرووفى ﴾

نسبة إلى مرو والروذ ، والروذ اسم للنهر ، وهو الفقيه الشافعى تلميذ أبى إسحاق المرووفى - نسبة إلى مروذ الشاهجان ، وهى أعظم من تلك البلاد ، له شرح مختصر المرنى ، وله كتاب الجامع فى المذهب ، وصنف فى أصول الفقه ، وكان إماماً لا يشق غباره . توفى فى هذه السنة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلاثة ﴾

فيها رجع الخليفة المتقى إلى بغداد وخلع من الخلافة وسمحت عيناه ، وكان - وهو مقيم بالموصل -

قد أرسل إلى الاخشيذ محمد بن طنج صاحب مصر والبلاد الشامية أن يأتيه ، فأقبل إليه في المنتصف من الحرم من هذه السنة ، وخضع للخليفة غاية الخضوع ، وكان يقوم بين يديه كما تقوم القلمان ، وعشى والخليفة راكب ، ثم عرض عليه أن يصير معه إلى الديار المصرية أو يقوم ببلاد الشام ، وليته قل ، بل أبي عليه ، فأشار عليه بالمقام مكانه بالموصل ، ولا يذهب إلى تورون ، وحفره من مكر تورون وخديته ، فلم يقبل ذلك ، وكذلك أشار عليه وزيره أبو حسين بن مقله فلم يسمع . وأهدى ابن طنج للخليفة هدايا كثيرة فاخرة ، وكذلك أهدى إلى الأمراء والوزير ، ثم رجع إلى بلاده ، واجتاز بحلب فأحاز عنها صاحبها أبو عبيد الله بن سعيد بن حمدان . وكان ابن مقاتل بها ، فأرسله إلى مصر قائما عنه حتى يعود إليها . وأما الخليفة فإنه ركب من الرقة في السفلة إلى بغداد وأرسل إلى تورون فاستوثق منه ما كان حلف له من الأيمان فأكدھا وقررها ، فلما قرب من بغداد خرج إليه تورون ومعه العساكر ، فلما رأى الخليفة قبل الأرض بين يديه وأظهر له أنه قد وفى له بما كان حلف له عليه وأنزله في منظرته ، ثم جاء فاحتاط على من مع الخليفة من الكبراء ، وأمر بسمل عيني الخليفة فسملت عيناه ، فصالح صبيحة عظيمة ممعها الحريم فضجت الأصوات بالبكاء ، فأمر تورون بضرب الديلاب حتى لا تسمع أصوات الحريم ، ثم اتحد من فوره إلى بغداد فبايع المستكني . فكانت خلافة المتقي ثلاثة سنين وخمسة أشهر وعشرين يوما ، وقيل وأحد عشر شهرا . وستأتي ترجمته عند ذكر وفاته . ﴿ خلافة المستكني بالله أبي القاسم عبد الله بن المستكني بن المتضد ﴾

لما رجع تورون إلى بغداد وقد عمل عيني المتقي استدعى بالمستكني فبايعه ولقب بالمستكني بالله وأسمه عبيد الله ، وذلك في المشرأ وآخر من صفر من هذه السنة ، وجلس تورون بين يديه وخلع عليه المستكني ، وكان المستكني مليح الشكل ربعة حسن الجسم والوجه ، أبيض اللون مشربا حمرة أفتى الأنف خفيف الساويين ، وكان عمره يوم بويع بالخلافة إحدى وأربعين سنة . وأحضر المتقي بين يديه وبايعه وأخذ منه البردة والقضيب ، واستوزر أبا الفرج محمد بن علي السامري ، ولم يكن إليه من الأمور شيء ، وإنما القى يتولى الأمور ابن شيرزاد ، وجلس المتقي بالسجن . وطلب المستكني أبا القاسم الفضل بن المتندر وهو القى ولي الخلافة بعد ذلك ، ولقب بالمطيع لله ، فاختلف منه ولم يظهر مدة خلافة المستكني ، فأمر المستكني بهم داره التي عند دجلة .

وفيها مات القائم الفاطمي وتولى ولده المنصور إسماعيل فكنم موت أبيه مدة حتى اتفق أمره ثم أظهره ، والصحيح أن القائم مات في القى بمعا . وقد حاربهم أبو يزيد الخارجي فيها ، وأخذ منهم مدينا كبارا وكسروا مرارا متتعة ، ثم يبرز إليهم ويجمع الرجال ويقاتلهم ، فانتدب المنصور هذا لقتاله بنفسه وجرت بينهم حروب يطول ذكرها ، وقد بسطها ابن الأثير في كامله . وقد انهزم في

بعض الأحيان جيش المنصور ولم يبق إلا في عشرين نفساً . قاتل بنفسه قتالا عظيماً ، فوزم أباً يزيد
بمد ما كاد يقتله ، ووثبت المنصور ثباتاً عظيماً ، فظفم في أعين الناس وزاحت حرمة وهيبته ، واستنفذ
بلاد التبروان منه ، وما زال يحارب حتى ظفر به المنصور وقتله . ولما جرى برأسه سجد شكراً لله . وكان
أبو يزيد هذا قبيح الشكل أخرج قصيراً خارجياً شديداً يكفر أهل مكة .

وفي ذي الحجة منها قتل أبو الحسين البريدي وصلب ثم أحرق ، وذلك أنه قسم بغداد يستنجد
بتورون وأبي جعفر بن شیرزاد على ابن أخيه ، فوعده النصر ، ثم شرع يصد ما بين تورون وابن
شیرزاد ، فلم يذلك ابن شیرزاد فأمر بسجنه وضربه ، ثم أفتاه بعض الفقهاء بإباحة دمه ، فأمر بقتله
وصلبه ثم أحرقه ، وانقضت أيام البريدية ، وزالت دولتهم . وفيها أمر المستكني بإخراج القاهر
الذي كان خليفة وأئزله دار ابن طاهر ، وقد افتقر القاهر حتى لم يبق له شيء من اللباس سوى قطعة عباءة
يلتف بها ، وفي رجله قبقاب من خشب . وفيها اشتد البرد والحرق . وفيها ركب معز الدولة في رجب
منها إلى واسط فبان خبره إلى تورون فركب هو والمستكني ، فلما سمع بهما رجع إلى بلاده وتسلبها
الخليفة وضمنها أبو القاسم بن أبي عبدالله ، ثم رجع تورون والخليفة إلى بغداد في شوال منها . وفيها
ركب سيف الدولة على بن أبي الهيثم عبد الله بن حمدان إلى حلب فتسلها من يأمن الموئسي ،
ثم سار إلى حمص ليأخذها فجاءته جيوش الاخشيد محمد بن طنج مع مولاة كافور فاقتتلوا بقتلهم ،
فلم يظفر أحد منهما بصاحبه ، ورجع سيف الدولة إلى الجزيرة ، ثم عاد إلى حلب فاستقر ملكه
بها ، فقصده الروم في جهائن عظيمة ، فالتقى معهم فظفر بهم قتل منهم خلقاً كثيراً .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وعلاثين وثلاثمائة ﴾

في الحرم زاد الخليفة في لقبه إمام الحق ، وكتب ذلك على السكة المتعامل بها ، ودعا له الخطباء
على المنابر أيام الجمع . وفي الحرم منها مات تورون التركي في داره ببغداد ، وكانت إمارته سنتين
وأربعة أشهر وعشرة أيام . وكان ابن شیرزاد كاتبه ، وكان غالباً بهيت لتخليص المال ، فلما بلغ موته
أراد أن يعقد البيعة لناصر الدولة بن حمدان فاضطربت الأجناد وعقدوا الرياسة عليهم لابن شیرزاد
فحضر ونزل بياب حرب مستهل صفر ، وخرج إليه الأجناد كلهم وحلفوا له وحلف الخليفة والقضاة
والأعيان ، ودخل على الخليفة فغالبه بأمر الأمراء ، وزاد في أرزاق الجند وبث إلى ناصر الدولة
يطالبه بالخراج ، فبث إليه بمائة ألف درهم وبلغام يفرقه في الناس ، وأمر ونهى وعزل وولى ،
وقطع ووصل ، وفرح بنفسه ثلاثة أشهر وعشرين يوماً . ثم جاءت الأخبار بأن معز الدولة بن بويه
قد أقبل في الجيوش فاصداً ببغداد ، فاختفى ابن شیرزاد والخليفة أيضاً ، وخرج إليه الأتراك فاصدين
الموصل ليكنوا مع ناصر الدولة بن حمدان .

(ذكر أول دولة بني بويه وحكمهم ببغداد)

أقبل من الدولة أحمد بن الحسن بن بويه في جحافل عظيمة من الجيوش قاصدا بغداد ، فلما اقترب منها بعث إليه الخليفة المستكني بالله الهدايا والائزالات ، وقال للرسول : أخبره أنني مسرور به ، وأني إنما اختفيت من شر الأتراك الذين انصرفوا إلى الموصل ، وبعث إليه بالخلع والتحف ، ودخل من الدولة بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة ، فنزل بباب الشامية ، ودخل من الندي إلى الخليفة قبايمه ، ودخل عليه المستكني ولقبه بحم الدولة ، ولقب أخاه أبا الحسن بإمام الدولة ، وأخاه أبا على الحسن بركن الدولة ، وكتب ألقابهم على الدرام والدينارين . ونزل من الدولة بدار مؤنس الخادم ، ونزل أصحابه من الديلم بدور الناس ، فلقى الناس منهم ضائقة شديدة ، وأمن من الدولة ابن شيرزاد ، فلما ظهر استكتبه على الخراج ، ورتب للخليفة بسبب فقائه خمسة آلاف درهم في كل يوم ، واستقرت الأمور على هذا النظام والله أعلم .

(ذكر القبض على الخليفة المستكني بالله وخلعه)

لما كان اليوم الثاني والعشرين من جمادى الآخرة حضر من الدولة إلى الحضرة مجلس على سر برين يدي الخليفة ، وجاء رجلان من الديلم فدا أيديهما إلى الخليفة فأنزلاه من كرسيه ، وسجياه فتعربت حمامته في حلقه ، ونهض من الدولة واضطربت دار الخلافة حتى خلص إلى الحرم ، وتفاقم الحال ، وسبق الخليفة ماشيا إلى دار من الدولة فاعتقل بها ، وأحضر أبو القاسم الفضل بن المقنن فبويح بالخلافة وصحلت عينا المستكني وأودع السجن فلم يزل به مسجونا حتى كانت وفاته في سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة كما يأتي ذكر ترجمته هناك .

(خلافة المطيع لله)

لما قدم من الدولة ببغداد وقبض على المستكني وصحلت عليه استدعى أبي القاسم الفضل بن المقنن بالله ، وقد كان مخفيا من المستكني وهو يبحث على طلبه ويجهده ، فلم يقدر عليه ، ويقال إنه اجتمع بحم الدولة سرا فعرضه على المستكني حتى كان من أمره ما كان ، ثم أحضره وبويح له بالخلافة ولقب بالمطيع لله ، وبإيمه الأمراء والأعيان والعامّة بوضع أمر الخلافة جدا حتى لم يبق للخليفة أمر ولا نهى ولا وزير أيضا ، وإنما يكون له كاتب على أظفاه ، وإنما الدولة ومورد المملكة ومصدرها راجع إلى من الدولة ، وذلك لأن بني بويه ومن معهم من الديلم كان فيهم تسع شديدة ، وكانوا يرون أن بني العباس قد غضبوا الأمر من العلويين ، حتى عزم من الدولة على تحويل الخلافة إلى العلويين واستشار أصحابه فكلمهم أشار عليه بذلك ، إلا رجلا واحدا من أصحابه ، كان سديدا الرأي فيهم ، وقال لا أرى لك ذلك . قال : ولم ذاك ؟ قال : لأن هذا خليفة ترى أنت وأصحابك أنه غير صحيح الامارة

حتى لو أمرت بقتله قتله أصحابك ، ولو وليت رجلاً من الملوين اعتقدت أنت وأصحابك ولايته صحيحة
فلو أمرت بقتله لم تقطع بذلك ، ولو أمر بقتلك لقتلك أصحابك . فلما فهم ذلك صرفه عن رأيه الأول
وترك ما كان عزم عليه للدنيا لا لله عز وجل .

ثم نشبت الحرب بين ناصر الدولة بن حمدان وبين ميم الدولة بن بويه ، فركب ناصر الدولة
بعد ما خرج ميم الدولة وأخليفة إلى عكبرا فدخل بغداد فأخذ الجانب الشرقي ثم الغربي ، وضعف
أمر ميم الدولة والدليل القدين كانوا معه ، ثم مكر به ميم الدولة وخدعه حتى استظهر عليه وانتصر أصحابه
قتلوه ببغداد وما قدروا عليه من أموال التجار وغيرهم ، وكان قيمة ما أخذ أصحاب ميم الدولة من
الناس عشرة آلاف ألف دينار ، ثم وقع الصلح بين ناصر الدولة وميم الدولة ، ورجع ابن حمدان
إلى بلده الموصل ، واستقر أمر ميم الدولة ببغداد ، ثم شرع في استئصال السعالة ليلبغ أخاه ركن الدولة
أخباره ، فنوى الناس في ذلك وعلموا أبناءهم سعة ، حتى أن من الناس من كان يقطع نيفا وعلائين
فرضخاً في يوم واحد . وأحبه المصارعون والملاكون . وغيرهم من أرباب هذه الصناعات التي لا يتفنع
بها إلا كل قليل العقل فاسد الروفة وتعلموا السباحة ونحوها ، وكانت تضرب الطبول بين يديه ويتصارع
الرجال والكوسان تنطق حول سور المكان الذي هو فيه ، وكل ذلك رعوة وقلة عقل وسخافة منه .
ثم احتاج إلى صرف أموال في أرزاق الجند فأقطعهم البلاد عوضاً عن أرزاقهم ، فأدى ذلك إلى خراب
البلاد وترك عمارتها إلا الأراضى التي بأيدي أصحاب الجبلعات .

وفي هذه السنة وقع غلاء شديد ببغداد حتى أكلوا الميتة والسنابير والكلاب ، وكان من الناس
من يسرق الأولاد فيشويهم ويأكلهم . وكثر الوفاة في الناس حتى كان لا يدفن أحد أحداً ، بل
يتروكون على الطرقات فيأكل كل كثيراً منهم الكلاب ، ويبيت الدور والمقار بالليل ، وانتجع الناس إلى
البصرة فكان منهم من مات في الطريق ومنهم من وصل إليها بعد مدة مديدة .

وفيها كانت وفاة القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبد الله المهدي ، وولى الأمر من بعده ولده
المنصور إسماعيل ، وكان حازم الرأي شجاعاً كما ذكرنا ذلك في السنة الماضية ، وكانت وفاته في
شوال من هذه السنة على الصحيح .

وفيها توفي الأخشيد محمد بن طنج صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية ، كانت وفاته بدمشق
وله من العمر بضع وستون سنة ، وأقيم ولده أبو القاسم أبو جور . وكان صغيراً سواً في كافر الأخشيد
أتابكه ، وكان يدبر الممالك بالبلاد كلها ، واستحوذ على الأمور كلها وصار إلى مصر فقصده سيف
الدولة بن حمدان دمشق فأخضعها من أصحاب الأخشيد ، ففرح بها فرحاً شديداً ، واجتمع بمحمد
ابن محمد بن نصر الفارابي التزكي الفليسوف بها . وركب سيف الدولة يوماً مع الشريف القليلي في

بعض نواحي دمشق، فنظر سيف الدولة إلى الخوطة فأعجبته وقال : ينبغي أن يكون هذا كله لديوان السلطان - كأنه يمرض بأخنها من ملاكل - فأوخر ذلك صدر العقيل وأوعاه إلى أهل دمشق، فكتبوا إلى كافور الأخشيدى يستعجده، فأقبل إليهم في جيوش كثيرة، كثيفة، فأقبل منهم سيف الدولة وطرده من حلب أيضاً واستتاب عليها ثم كر راجعاً إلى دمشق فاستتاب عليها بدار الأخشيدى - ويرف يدير - فلما صار كافور إلى الديار المصرية رجع سيف الدولة إلى حلب فأخنها كما كانت أولاه، ولم يبق له في دمشق شيء يطلع فيه . وكافور هذا الذى هجم المنكب وسبحه أيضاً .
ومن توفى فيها من الأحياء .

﴿ انظرى [عمر بن الحسين] ﴾

صاحب المختصر في الفقه على مذهب الامام أحمد، وقد شرحه القاضي أبو يعلى بن الفراء والشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسى، وقد كان انظرى هذا من سادات الفقهاء والعباد، كثير الفضائل والعبادة، خرج من بغداد مهاجراً لما كثرت بها الشر والسب للصعابة، وأودع كتبه في بغداد فاحترقت الدار التى كانت فيها الكتب، وهدمت مصنفاته، وقصد دمشق فأقام بها حتى مات في هذه السنة، وقبره بباب الصغير بزار قريباً من قبور الشهداء . وذكر في مختصره هذا في الحج : ويأتى الحجر الأسود ويقبله إن كان هناك، وإما قال ذلك لأن تصنيفه لهذا الكتاب كان والحجر الأسود قد أخذته القرامطة وهو في أيديهم في سنة سبع عشرة وثلثمائة كما تقدم ذكره، ولم يرد إلى مكانه إلا سنة سبع وثلثين كما سيأتى بيانه في موضعه . قال الخطيب البغدادي : قال لى القاضي أبو يعلى : كانت للحرق مصنفات كثيرة وفقرهجات على المنهج لم تظهر لأنه خرج من مدينته لما ظهر بها سب الصعابة وأودع كتبه فاحترقت الدار التى هى فيها فاحترقت الكتب ولم تكن قد انتشرت لبعده عن البلد . ثم روى الخطيب من طريقه عن أبي الفضل عبد السميع عن الفتح بن شغرف عن انظرى قال : رأيت أمير المؤمنين على بن أبي طالب في المنام فقال لى : ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء !! قال : قلت زدنى يا أمير المؤمنين . قال : وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء . قال ورفع له كنه فإذا فيها مكتوب :

قد كنت ميتاً فصرت حياً • وعن قريب تعود ميتاً

فإن بدار البقاء بيتنا • ودع بدار الفناء بيتنا

قال ابن بطه : مات انظرى بدمشق سنة أربع وثلثمائة ووزرت قبره رحمه الله .

﴿ محمد بن عيسى ﴾

أبو عبد الله بن موسى الحنفي أحد أئمة العراقيين في زمانه، وقد ولى القضاء ببغداد

المتقى ثم للمستكنى ، وكان ثقة فاضلا ، كبست الصوص داره يظنون أنه ذو مال ، فضر به بعضهم ضربة أثغتته ، فألقى نفسه من شدة الفزع إلى الأرض فلت رحمه الله في ربيع الأول من هذه السنة .
 ﴿ محمد بن محمد بن عبد الله ﴾ أبو الفضل السلي الوزير الفقيه المحدث الشاعر جمع الكثير وجمع وصف وكان يصوم الاثنين والخميس ، ولا يدع صلاة الليل والتصنيف ، وكان يسأل الله تعالى الشهادة كثيرا . فولى الوزارة لسلطان قصصه الأجناد فطالبوه بأرزاقهم ، واجتمع منهم ببابه خلق كثير ، فاستدعى بمحلاق فخلق رأسه وتنور وتطيب ولبس كفته وقام يصلى ، فدخلوا عليه فقتلوه وهو ساجد ، رحمه الله ، في ربيع الآخر من هذه السنة .

﴿ الاخشيذ محمد بن عبد الله بن طنج ﴾

أوبكر الملقب بالاخشيذ ومنه ملك الملوك ، لقبه بذلك الراضى لأنه كان ملك فرغانة ، وكل من ملكها كان يسمى الاخشيذ ، كما أن من ملك اشروسية يسمى الآقشين . ومن ملك خوارزم يسمى خوارزم شاه ، ومن ملك جرجان يسمى صوك ، ومن ملك أذربيجان يسمى أصهبند ، ومن ملك طبرستان يسمى أرسلان . قاله ابن الجوزى في منتظمه . قال السهيلي : وكانت العرب تسمى من ملك الشام مع الجزيرة كافرا قيصر ، ومن ملك فارس كسرى ، ومن ملك اليمن تبع ، ومن ملك الحبشة النجاشى ، ومن ملك الهند بطليوس ، ومن ملك مصر فرعون . ومن ملك الاسكندرية المقوقس . وذكر غير ذلك . توفى بمدينة وقل إلى بيت المقدس فنحن هناك رحمه الله .

﴿ أوبكر الشبلى ﴾

أحد مشايخ الصوفية ، اختلفوا في اسمه على أقوال فبيل دلف بن جعفر ، ويقال دلف بن جعفر ، وقيل جعفر بن يونس ، أصله من قرية يقال لها شبلة من بلاد اشروسية من خراسان ، وولد بسامرا ، وكان أبوه حاجب الحجاب للموفق ، وكان خاله نائب الاسكندرية ، وكانت توبة الشبلى على يدى خير النساج ، صممه بسط فوقع في قلبه كلامه فتاب من فوره ، ثم صحب الفقراء والمشايخ ، ثم صار من أئمة القوم . قال الجنيد : الشبلى تاج هؤلاء . وقال الخطيب : أخبرنا أبو الحسن على بن محمود الزوزنى قال : سمعت على بن المنفى التميمي يقول : دخلت يوما على الشبلى في داره وهو بهيج ويقول :

على بسلك لا يصبر • من عادته القرب • ولا يقوى على هجر • من تيمه الحب

فان لم ترك العين • قد يصيرك القلب

وقد ذكر له أحوال وكرامات ، وقد ذكرنا أنه كان ممن اشبه عليه أمر الحلاج فيما نسب إليه من الأقوال من غير تأمل لما فيها ، مما كان الحلاج يحاوله من الاخلا والاتحاد ، ولما حضرته الوفاة

قال لخادمه : قد كان على درم مظلة فتصدقت عن صاحبه بألف ، ومع هذا ما على قلبي شغل أعظم منه . ثم أمره بأن يوضه فوضاه وترك تحليل لحيته ، فرفع السبل يده - وقد كان اعتقل لسانه - فجعل يخلل لحيته . وذكره ابن خلكان في الوفيات ، وحكى عنه أنه دخل يوماً على الجنيد فوقف بين يديه وصق يديه وأثنى :

عودوني الوصال والوصل عذب * ورموني بالصد والصد ضمب
زعموا حين أعتبوا أن جرمي * فرط حي لم وماذا ذنب
لا وحي الخضوع عند التلاقي * ما جزاء من يجب إلا يجب

وذكر عنه قال : رأيت مجنوناً على باب جامع الرصافة يوم جمعة عرياناً وهو يقول : أنا مجنون الله قتل : ألا تستر وتدخل إلى الجامع فتصلي الجمعة . قال :

يقولون زرنا واقض واجب حقنا * وقد أسقطت حالي حقوقهم عني
إذا أبصروا حالي ولم يأفوا لها * ولم يأفوا مني أفنت لهم مني
وذكر الطليبي في تاريخه عنه أنه أثنى لنفسه فقال :

مضت الشيبية والحبيبة فانبرى * دمعان في الأجفان يزدهجان
ما أنصفتني الحادثات رميقي * بمودعين وليس لي قلبان

كانت وفاته رحمه الله ليلة الجمعة ليلتين بقيتا من هذه السنة ، وله سبع وثمانون سنة ، ودفن في مقبرة الخيزران ببغداد والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ﴾

في هذه السنة استقر أمر الخليفة المطيع لله في دار الخلافة واصطلح مع الدولة بن بويه ناصر الدولة بن حمدان على ذلك ، ثم حارب ناصر الدولة تمكين التركي فاقتل امرأت متمدة ، ثم غفر ناصر الدولة بشكين فسل بين يديه ، واستقر أمره بالموصل والجزيرة ، واستحوذ ركن الدولة على الري وانزعها من الخراسانية ، وانسعت مملكة بنى بويه جداً ، فانه صار بأيديهم أعمال الري والجبل وأصبهان وفارس والاهواز والعراق ، ويحمل إليهم ضمان الموصل وديار ربيعة من الجزيرة وغيرها . ثم اقتتل جيش مع الدولة وجيش أبي القاسم البريدي فهزم أصحاب البريدي وأسر من أعيانهم جماعة كثيرة . وفيها وقع الفداء بين الروم والمسلمين على يد نصر المستنير أمير الثغور لسيف الدولة بن حمدان ، فكان عدة الأسارى نحواً من ألفين وخمسمائة مسلم والله الحمد والمنة .

ومن توفي فيها من الأعيان .. ﴿ الحسن بن حويه بن الحسين ﴾

القاضي الأسدي . روى الكثير وحديث ، وكان له مجلس للأملاء ، وحكم ببلده مدة طويلة ،

وكان من المجتهدين في العبادة المتجهدين بالأسحار ، ويضرب به المثل في ظرفه وفكاهته . وقد مات فجأة على صدر جاريته عند إزاله .

(عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله)

أبو عبد الله الخليلي ، سمع ابن أبي الدنيا وغيره ، وحدث عنه المارقلني وغيره ، وكان ثقة نبيلًا حافظًا ، حدث من حفظه بمئتين ألف حديث .

عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن زيد بن تميم أبو محمد الكلابي الملقب بديك الجنب الشاعر الملقب الشيبى . ويقال : إنه من موالى بنى تميم ، له أشعار قوية . حمارية وغير حمارية ، وقد استجاد أبو نواس شعره في الحماريات .

﴿ على بن عيسى بن داود بن الجراح ﴾

أبو الحسن الوزير للمقتدر والقاهر ، ولد سنة خمس وأربعين ومائتين وسمع الكثير ، وعنه الطبراني وغيره ، وكان ثقة نبيلًا فاضلًا عفيفًا ، كثير التلاوة والصيام والصلاة ، يحب أهل العلم ويكثر مجالستهم ، أصله من الفرس ، وكان من أكابر الثمانيين على الخلاج . وروى عنه أنه قال : كسبت سبعمائة ألف دينار أفقت منها في وجوه الخير ستمائة ألف وثمانين ألفًا ، ولما دخل مكة حين نفي من بغداد طاف بالبيت والصفا والروة في حر شديد ، ثم جاء إلى منزله فأنقذ نفسه وقال : أشتى على الله شربة بلعج . فقال له بعض أصحابه : هذا لا ينبتأ ههنا . فقال : أعرف ولكن سيأتى به الله إذا شاء ، وأصبر إلى المساء . فلما كان في أثناء التهاجمات سحابة فأمطرت وسقط منها برد شديد كثير فجمع له صاحبه من ذلك البرد شيئًا كثيرًا وخبأه له ، وكان الوزير صائمًا ، فلما أسى جاء به ، فلما جاء المسجد أقبل إليه صاحبه بأنواع الأشربة وكلها بلعج ، فجلس الوزير يسقيه لمن حوالبه من الصوفية والمجاورين ، ولم يشرب هو منه شيئًا . فلما رجع إلى المنزل جثته بشئ من ذلك الشراب كنا خبأناه له وأقسمت عليه ليشربنه فشربه بعد جهد جهيد ، وقال أشتى لو كنت تمنيت المنفرة . رحمه الله وغفر له . ومن شعره قوله :

فن كلن عني سائلًا بشاةة • لما تابنى أو شامتا غير سائل

قد أبرزت منى المطلوب ابن حرة • صبورًا على أهوال تلك الزلازل

وقد روى أبو القاسم على بن الحسن التنوخى عن أبيه عن جماعة أن عطازا من أهل الكرخ كان مشهورًا بالسنة ، ركب ستمائة دينار فاعلق دكاهه وانكسر عن كبه ولزم منزله ، وأقبل على الصيام والتضرع والصلاة ليالي كثيرة ، فلما كان في بعض تلك الليالي رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول له : اذهب إلى علي بن عيسى الوزير فقل أمرك لك بأربعمائة دينار . فلما أصبح الرجل قصد

باب الوزير فلم يعرفه أحد ، فجلس لعل أحدا يستأذن له على الوزير حتى طال عليه المجلس وم بالانصراف ، ثم إته قال لبعض الحجة قل للوزير : إني رجل رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأنا أريد أن أقصه على الوزير . فقال له الحاجب : وأنت صاحب الرؤيا ؟ إن الوزير قد أخذ في طلبك رسلا متعدة . ثم دخل الحاجب فأخبروا الوزير فقال : أدخله على سريما . فدخل عليه فأقبل عليه الوزير يستلم عن حاله واسمه وصفته ومنزله ، فذكر ذلك له ، فقال له الوزير : إني رأيت رسول الله ﷺ وهو يأمرني بإعطائك أربعمائة دينار ، فأصبحت لا أدرى من أسأل عنك ، ولا أعرفك ولا أعرف أين أنت ، وقد أرسلت في طلبك إلى الآن عدة رسل فجزاك الله خيرا عن قصدك إلي . ثم أمر الوزير بإحضار ألف دينار فقال : هذه أربعمائة دينار لأمر رسول الله ﷺ وستائة هبة من عندي . فقال الرجل : لا والله لا أزيد على ما أمرني به رسول الله ﷺ ، فاني أرجو الخير والبركة فيه . ثم أخذ منها أربعمائة دينار ، فقال الوزير : هذا هو الصدق واليقين . فخرج ومعه الأربعمائة دينار فمرض على أبواب الديون أموالهم فقالوا : نحن نصبر عليك ثلاث سنين ، وافتح بهذا الذهب دكانك ودم على كسبك . فأبى إلا أن يعطيهم من أموالهم الثلث ، فنفخ إليهم مائتي دينار ، وفتح حاتوته بالمائتي دينار الباقية ، فباحل عليه الحول حتى ربح ألف دينار . ولعل بن عيسى الوزير أخبر كثيرة صالحة . كانت وفاته في هذه السنة عن تسعين سنة . ويقال في التي قبلها والله أعلم .

(محمد بن إسماعيل)

ابن إسحاق بن يحر أبو عبد الله الفارسي الفقيه الشافعي ، كان ثقة ثبنا فاضلا ، سمع أبا زرعة المشقي وغيره ، وعنه الدارقطني وغيره وآخر من حدث عنه أبو عمر بن مهدي ، توفي في شوال من هذه السنة .

(هارون بن محمد)

ابن هارون بن علي بن موسى بن عمرو بن جابر بن يزيد بن جابر بن طمر بن أسيد بن ميم بن صبيح بن ذخل بن مالك بن سعيد بن حنينة أبو جعفر ، والده القاضي أبي عبد الله الحسن بن هارون . كان أسلافه ملوك عمان في قديم الزمان ، وبعده يزيد بن جابر أدرك الإسلام فأسلم ونسب إسلامه ، وكان هارون هذا أول من اتقل من أهله من عمان فقتل بفداد وحدث بها ، وروى عن أبيه ، وكان فاضلا متضلعا من كل فن ، وكانت داره يجمع العلماء في سائر الأيام ، وفتحاته دارة عليهم ، وكان له منزلة عالية ، ومهابة ببسداد ، وقد أتى عليه الدارقطني ثمانية كثيرا ، وقال : كان مبرزا في النحو واللغة والشعر ، ومعاني القرآن ، وعلم الكلام .

قال ابن الأثير : وفيها توفي أبو بكر محمد بن عبد الله بن المباس بن صول الصولي ، وكان علما بفتون الآداب والأخبار ، وإماما ذكره ابن الجوزي في التي بعدها كما سيأتي .

﴿ أبو العباس بن التاغى أحمد بن أبي أحمد الطبرى ﴾

الفتية الشافعى ، تلميذ ابن سريج ، له كتاب التلخيص وكتاب المفتاح ، وهو مختصر شرحه أبو عبد الله الحسين ، وأبو عبد الله السنجى أيضاً ، وكان أبوه يقص على الناس الأخبار والآثار ، وأما هو فتولى قضاء طرسوس وكان يعظ الناس أيضاً ، فحصل له مرة خشوع ففقط منشياً عليه فأت فى هذه السنة ﴿ ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ﴾

فيها خرج مزم الدولة والخليفة المطيع لله من بغداد إلى البصرة فاستنقذاها من يد أبي القاسم بن البريدى ، وهرب هو وأكث أصحابه ، واستولى مزم الدولة على البصرة وبست يتهدد القرامطة ويتوعدهم بأخذ بلادهم ، وزاد فى إقطاع الخليفة ضياعاً تعمل فى كل سنة مائتى ألف دينار ، ثم سار مزم الدولة لتلقى أخيه عماد الدولة بالأهواز قبل الأرض بين يدي أخيه وقام بين يديه مقاماً طويلاً فأمره بالجلوس فلم يفعل . ثم عاد إلى بغداد صحبة الخليفة فتمهنت الأمور جيداً . وفى هذه السنة استنجد ركن الدولة على بلاد طبرستان وجرجان من يد وشمكير أخى مرداويم ملك الديلم ، فذهب وشمكير إلى خراسان يستنجد بصاحبها كما ساقى .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ أبو الحسين بن المنادى ﴾

أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن يزيد ، جمع جده وعباساً الفورى ومحمد بن إسحاق الصاغاني . وكان ثقة أميناً حجة صادقاً ، صنف كثيراً وجمع علوماً جمة ، ولم يسمع الناس منها إلا اليسير ، وذلك لشراسته أخلاقه . وآخر من روى عنه محمد بن فارس اللغوى ، وقتل ابن الجوزى عن أبي يوسف القدسى أنه قال : صنف أبو الحسين بن المنادى فى علوم القرآن أو بمائة كتاب ، وثيقاً وأربعين كتاباً ولا يوجد فى كلامه حشو ، بل هو لقى الكلام جمع بين الرواية والقدراية . وقال ابن الجوزى : ومن وقف على مصنفاته علم فضله وإطلاعه ووقف على فوائده لا توجد فى غير كتبه . توفى فى محرم من هذه السنة من ثمانين سنة . ﴿ الصولى محمد بن عبد الله بن العباس ﴾

ابن محمد صول أبو بكر الصولى ، كان أحد العلماء بفنون الأدب وحسن المعرفة بأخبار الملوك ، وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشراء . روى عن أبي داود السجستاني والميرد وتلمب وأبي العيناء وغيرهم . وكان واسع الرواية جيد الحفظ حافظاً بتصنيف الكتب . وله كتب كثيرة هائلة ، وتادم جماعة من الخلفاء ، وحفظى عندهم ، وكان جده صول وأهله ملوكاً بمجرجان ، ثم كان أولاده من كبار الكتاب ، وكان الصولى هذا جيد الاعتقاد حسن الطريقة ، وله شعر حسن ، وقد روى عنه الفارطى وغيره من الحفاظ ومن شعره قوله :

أحببت من أجله من كل يشبهه • وكل شئ من المشوق مشوق

حتى حكيت بحسنى ما مقلته * كأن سقى من حبله مسروق

خرج الصولى من بغداد إلى البصرة لحاجة لحقته فأت بها فى هذه السنة .
وفىها كانت وفاة ابنة الشيخ أبى الزاهد المسكى ، وكانت من المابدات التماسكات المقيات بمكة ،
وكانت تقنات من كسب أبيها من عمل الطلوص ، فى كل سنة ثلاثين درهما يرسلها إليها ، فاتفق أنه
أرسلها مرة مع بعض أصحابه فزاد عليها ذلك الرجل عشرين درهما . يريد بذلك برها وزيادة فى تقناتها .
فلما اختبرتها قالت : هل وضعت فى هذه الدرهم شيئا من مالك ؟ أصدقنى بحق الذى حجبت له .
قال : نعم عشرين درهما . قالت : أرجع بها لا حاجة لى فيها ، ولولا أنك قصصت انظير لدعوت
الله عليك ، فانك قد أجمتني على هذا ، ولم يبق لى رزق إلا من المزابل إلى قابل . قال : خذى
منها الثلاثين التى أرسل بها أبوك إليك ودعى المشرين . قالت : لا ، إنها قد اختلطت بمالك ولا
أدرى ما هو . قال الرجل : فرجعت بها إلى أبيها فأبى أن يقبلها وقال : شققت ياهذا على وضعت
عليها ، ولكن اذهب فتصدق بها .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ﴾

ففىها ركب من الدولة من بغداد إلى الموصل فانهزم منه ناصر الدولة إلى نصيبين ، فملك ممز الدولة
ابن بويه الموصل فى رمضان فصف أهلها وأخذ أموالهم ، وكثر البطء عليه . ثم هزم على أخذ البلاد
كلها من ناصر الدولة بن حمدان ، فجاء خبر من أخيه ركن الدولة يستعجده على من قبله من الخراسانية ،
فاحتاج إلى مصالحة ناصر الدولة على أن يحصل ما تحت يده من بلاد الجزيرة والشام فى كل سنة ثمانية
آلاف ألف درهم ، وأن يخطب له ولا خويه عماد الدولة وركن الدولة على منابر بلاده كلها فضل .
وعاد من الدولة إلى بغداد وبش إلى أخيه بجيش هائل ، وأخذ له عهد الخليفة بولاية خراسان . وفىها
دخل سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب إلى بلاد الروم ، فلقبه جمع كثيف من الروم فاقتلوا
قتالا شديدا فانهزم سيف الدولة وأخذت الروم ما كل منهم ، وأوقفوا بأهل طرسوس بأسا شديدا ،
فأثا لله وإنما إليه راجعون . قال ابن الجوزى : وفى رمضان انتهت زيادة دولة أحد وعشرين ذراعا وثلاثا
ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ عبد الله بن محمد بن حمدويه ﴾

ابن نعيم بن الحليم أبو محمد البيع ، وهو والد الحاكم أبى عبد الله النيسابورى ، أخذ ثلاثا وستين
سنة وغزا اثنتين وعشرين غزوة ، وأفق على الطاء مائة ألف ، وكان يقوم الليل كثيرا ، وكان كثير
الصدقة ، أدرك عبد الله بن أحمد بن حنبل ومسلم بن الحجاج ، وروى عن ابن خزيمة وغيره ، وتوفى
عن ثلاث وتسعين سنة . ﴿ قدامة الكاتب المشهور ﴾

هو قدامة بن جعفر بن قدامة أبو الفرج الكاتب ، له مصنف فى الخراج وضناعة الكتابة ، وبه

يقتدى علماء هذا الشأن ، وقد سأل ثعلباً عن أشياء .

محمد بن علي بن عمر أبو علي المذكر الواعظ بفسابور ، كان كثير التندليس عن المشايخ الذين لم يلقيهم . توفي في هذه السنة عن مائة وسبع سنين سأل الله .

﴿ محمد بن مطهر بن عبد الله ﴾

أبو المنجا الفقيه الفرضي المالكي ، له كتاب في الفقه على مناهج مالك ، وله مصنفات في الفرائض قليلة النظم ، وكان أديباً إماماً فاضلاً صادقاً ، رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلثائة ﴾

في ربيع الأول منها وقعت فتنة بين الشيعة وأهل السنة ، ونهبت الكرخ . وفي جمادى الآخرة تقلد أبو السائب عتبة بن عبيد الله الهمداني قضاء القضاة . وفيها خرج رجل يقال له عمران بن شاهين كان قد استوجب بعض العقوبات فهرب من السلطان إلى ناحية البطائح ، وكان يقتات مما يصيده من السمك والطيور ، والتف عليه خلق من الصيادين وقطاع الطريق ، فتويعت شوكتهم واستمطه أبو القاسم بن البريدي على بعض تلك النواحي ، وأرسل إليه من الدولة بن بويه جيشاً مع وزيره أبي جعفر بن بويه الضميري ، فهزم ذلك الصياد الوزير ، واستحوذ على ما معه من الأموال ، فتويعت شوكة ذلك الصياد ، ودم الوزير وفاة عماد الدولة بن بويه وهو .

﴿ أبو الحسن علي بن بويه ﴾

وهو أكبر أولاد بويه وأول من تحكم منهم ، وكان حاكماً حازماً حميد السيرة رئيساً في نفسه . كان أول ظهوره في سنة ثنتين وعشرين وثلثائة كما ذكرنا . فلما كان في هذا العام قويت عليه الأسقام وتواترت عليه الآلام فأحس من نفسه بالهلاك ، ولم يفاده ولا دفع عنه أمر الله ما هو فيه من الأموال والملك وكثرة الرجال والأموال ، ولا رده عنه جيشه من البغال والأترار والأهجام ، مع كثرة العدد والعدد ، بل تخلفوا عنه أحوج ما كان إليهم ، فسبحان الله الملك القادر القاهر العلام . ولم يكن له ولد ذكر ، فأرسل إلى أخيه ركن الدولة يستدعيه إليه وولعه عضد الدولة ، ليجعله ولي عهده من بعده ، فلما قدم عليه فرح به فرحاً شديداً ، وخرج بنفسه في جميع جيشه يتلقاه ، فلما دخل به إلى دار المملكة أجلسه على السرير وهام بين يديه كأحد الأمراء ، ليرفع من شأنه عند أمرائه ووزرائه وأخوانه . ثم عقد له البيعة على ما يملكه من البلدان والأموال ، وتدير المملكة والرجال . وفيهم من بعض رؤس الأمراء كراهة لذلك ، فشرع في القبض عليهم وقتل من شاء منهم وسجن آخرين ، حتى نهبت الأمور لمضد الدولة . ثم كانت وفاة عماد الدولة بشيراز في هذه السنة ، عن سبع وخمسين سنة ، وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة ، وكان من خيار الملوك في زمانه ، وكان ممن حاز قصب

السبق دون أقرانه ، وكان هو أمير الأمراء ، وبذلك كان يكتبه الخلفاء ، ولكن أخوه معز الهولة كان ينوب عنه في العراق والسواد . ولما مات عماد الهولة اشتغل الوزير أبو جعفر الضميرى عن محاربة عمران بن شاهين الصياد . وكان قد كتب إليه معز الهولة أن يسير إلى شيراز ويضبط أمرها . فتوى أمر عمران بمد ضمه ، وكان من أمره ما سيأتى في موضعه . ومن توفى فيها من الأعيان أبو جعفر النحاس النحوى . ﴿ أحمد بن محمد إسماعيل بن يونس ﴾

أبو جعفر الماردى المصرى للنحوى ، المعروف بالنحاس ، القزوينى المفسر الأديب ، له مصنفات كثيرة في التفسير وغيره ، وقد سمع الحديث ولقى أصحاب الميرد ، وكانت وفاته في ذى الحجة من هذه السنة . قال ابن خلكان : تحس خلون منها يوم السبت . وكان سبب وفاته أنه جلس عند المقياس يقطع شيئاً من المروض فظنه بعض السامة يسحر النبل فرفسه برجله فسقط فغرق ، ولم يدرك أين ذهب . وقد كان أخذ النحو عن على بن سليمان الأحرص وأبى بكر الأنبارى وأبى إسحاق الزجاج ونظريه وغيرهم ، وله مصنفات كثيرة مفيدة ، منها تفسير القرآن والتاسخ والمنسوخ ، وشرح أبيات سيويه ، ولم يصنف مثله ، وشرح المعلقات والهاويين المشرة ، وغير ذلك . وروى الحديث عن النسائي وكان بخيلاً جداً ، واتفق الناس به . وفيها كانت وفاة الخليفة .

﴿ المستكنى بالله ﴾

عبد الله بن على المكتنى بالله ، وقد ولى خلافة سنة وأربعة أشهر وربعين ، ثم خلع ومعلت عيناه كما تقدم ذكره . توفى في هذه السنة وهو معتقل في داره ، وله من العمر ست وأربعون سنة وشهران .

﴿ على بن محمد بن سحنون بن نصر ﴾

أبو المعدل ، محدث عصره بنيسابور ، رحل إلى البلدان وسمع الكثير وحدث وصنف مسنداً أربعاً جزء ، وله غير ذلك مع شدة الأتقان والحفظ ، وكثرة العبادة والعبادة والخشية لله عز وجل قال بعضهم : محبته في السفر والحضر فأعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيبته . وله تفسير في مائتى جزء وثيف ، دخل الحرام من غير مرض فتوفى فيه فجأة ، وذلك يوم الجمعة الرابع عشر من شوال من هذه السنة رحمه الله . ﴿ على بن محمد بن أحمد بن الحسن ﴾

أبو الحسن الراعظ البندادى ، ارتحل إلى مصر فأقام بها حتى عرف بالمصرى ، سمع الكثير وروى عنه ألقارظنى وغيره ، وكان له مجلس وعظ يحضر فيه الرجال والنساء وكان يتكلم وهو مبرقع لثلاً يرى النساء حسن وجهه ، وقد حضر مجلسه أبو بكر النقاش مستخفياً فلما سمع كلامه قام قائماً وشهر نفسه وقال له : القصص بمدك حرام . قال الخطيب : كان همة أميناً عارفاً ، جمع حديث الثابت وابن طيبة وله كتب كثيرة في الزهد . توفى في ذى القعدة منها ، وله سبع وثلاثون سنة والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة قس وفلايين وثلاثة ﴾

في هذه السنة المباركة في ذى القعدة منها رد الحجر الأسود للمسكي إلى مكانه في البيت ، وقد كان القرامطة أخذوه في سنة سبع عشرة وثلاثة كما تقدم ، وكان ملكهم إذا ذاك أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسين الجنابي ، ولما وقع هذا أعظم السلون ذلك ، وقد بنى لهم الأمير بجكم التركي خمسين ألف دينار على أن يردوه إلى موضعه فلم يضلوا ، وقالوا : نحن أخذناه بأمر فلا نرده إلا بأمر من أخذناه بأمره . فلما كان في هذا العام حملوه إلى الكوفة وعلقوه على الأسطوانة السابعة من جامعها ليراه الناس ، وكتب أخو أبي طاهر كتابا فيه : إنا أخذنا هذا الحجر بأمر وقد ردناه بأمر من أمرنا بأخذه ليم حج الناس ومناسكهم . ثم أرسلوه إلى مكة بنهرش على قود ، فوصل في ذى القعدة من هذه السنة والله الحمد والمنة ، وكان مدة مفاتيحه عنده ثنتين وعشرين سنة ، ففرح المسلمون لذلك فرحا شديدا . وقد ذكر غير واحد أن القرامطة لما أخذوه حملوه على عدة جمال فغطبت تحتها واعتري أسنمتها القرع ، ولما ردوه حمله قود واحد ولم يصبه أذى .

وفيهما دخل سيف الدولة بن حمدان بجيش عظيم نحو من ثلاثين ألفا إلى بلاد الروم فوغل فيها وفتح حصونا وقتل خلقا وأسر أمما وفهم شيئا كثيرا ثم رجع ، فأخفت عليه الروم الدرب التي يخرج منه فقتلوا طعة من معه وأسروا بقيتهم واستردوا ما كان أخذ ، وفيما سيف الدولة في فريسير من أصحابه . وفيها مات الوزير أبو جعفر الضميرى فاستوزر من الدولة مكانه أبو محمد الحسين بن محمد المهلب في جادى الأولى . فاستفعل أمر عمران بن شاهين الصيد وتفاقم الأمر به ، فبعث إليه من الدولة جيشا بهد جيش ، كل ذلك يهزمهم مرة بعد مرة ، ثم حبل من الدولة إلى مصالحته واستماله له على بعض تلك النواحي ، ثم كان من أمره ما سئد كره إن شاء الله تعالى .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ الحسن بن داود بن يلب شاذ ﴾

أبو الحسن المصري قدم بغداد . كان من أفضل الناس وعلمهم ، بذهب أبي حنيفة ، ميسوط الله كله قوى القهس ، كتب الحديث ، وكان ثقة . مات ببغداد في هذه السنة ودفن بمقبرة الشونيزية ولم يبلغ من العمر أربعين سنة .

﴿ محمد القاهر بالله أمير المؤمنين ﴾

ابن المعتض بالله ، ولى الخلافة سنة وستة أشهر وسبعة أيام ، وكان بطاشا سريع الانتقام ، تغاف منه وزيره أبو علي بن مقله فاستتر منه فشرع في العمل عليه عند الأتراك ، فغلموه وحملوا عينيه وأودع دار الخلافة برهة من الدهر ، ثم أخرج في سنة ثلاث وثلاثين إلى دار ابن طاهر ، وقد فاته فاقه وحاجة شديدة ، وسأل في بعض الأيام . ثم كانت وفاته في هذا العام ، وله ثنتان وخمسون سنة ، ودفن إلى

جانب أبيه المتضد . ﴿ محمد بن عبد الله بن أحمد ﴾

أبو عبد الله الصفار الأصبهاني محدث عصره بخراسان ، سمع الكثير وحديث من ابن أبي الدنيا بعض كتبه ، وكان مجلب الدعوة ، ومكث لا يرفع رأسه إلى السماء نيفاً وأربعين سنة ، وكان يقول : اسمي محمد واسم أبي عبد الله واسم أمي آمنه ، وفرح بهذه المواقة في الاسم واسم الأب واسم الأم ، لأن النبي ﷺ كان اسمه محمد ، واسم أبيه عبد الله ، وأمه اسمها آمنه .

﴿ أبو نصر الفارابي ﴾

التركي الفيلسوف ، وكان من أعلم الناس بالموسيقى ، بحيث كان يتوسل به وبصناعته إلى الناس في الحاضرين من المستمعين إن شاء حرك ما يبكي أو يضحك أو ينوم . وكان حافظاً في الفلسفة ، ومن كتبه عقدة ابن سينا ، وكانت يقول بالمعاد الروحاني لا الجثائي ، ويخصص بالمعاد الأرواح العالة لا الجاهلة ، وله مذاهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين ، فعليه إن كان مات على ذلك لعنة رب العالمين . مات بدمشق فيما قاله ابن الأثير في كسله ، ولم أر الحافظ ابن عساكر ذكره في تاريخه لنته وقبحته الله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة أربعين ومثلثة ﴾

فيها قصد صاحب عان البصرة لبأخذها في مراكب كثيرة ، وجاء لنصره أبو يعقوب الهجري فأنه الوزير أبو محمد المهلبى وصد عنها ، وأسر جماعة من أصحابه وسبا سبياً كثيراً من مراكبه فساها معه في دجلة ، ودخل بها إلى بغداد في أبهة عظيمة والله الحمد . وفيها رفع إلى الوزير أبي محمد المهلبى رجل من أصحاب أبي جعفر بن أبي المزلقى كان قتل على الزندقة كما قتل الحلاج ، فكان هذا الرجل يدعى ما كان يدعيه ابن أبي المز ، وقد اتبعه جماعة من الجبهة من أهل بغداد ، وصدقه في دهواه الربوبية ، وأن أرواح الأنبياء والصديقين تلتقل إليهم . ووجد في منزله كتب تدل على ذلك . فلما تحقق أنه هالك أدهى أنه شيعي ليحضر عند ممز الدولة بن بويه . وقد كان ممز الدولة بن بويه يحب الرافضة قبحه الله . فلما اشتهر عنه ذلك لم يتمكن الوزير منه خوفاً على نفسه من ممز الدولة ، وأن تقوم عليه الشيعة ، إنا لله وإنا إليه راجعون . ولكنه احتاط على شيء من أموالهم ، فكان يسميها أموال الزنادقة . قال ابن الجوزى : وفي رمضان منها وقت فتنة عظيمة بسبب المنهب .

ومن توفي فيها من الأعيان أشهب بن عبد العزيز بن أبي داود بن إبراهيم أبو عمر العامري - نسبة إلى عامر بن لؤي - كان أحد الفقهاء المشهورين . توفي في شعبان منها .

﴿ أبو الحسن النخعي ﴾

أحد أئمة الحنفية المشهورين ، ولد سنة ستين ومائتين وسكن بغداد ودرس فيه أبي حنيفة

وانتهت إليه رئاسة أصحابه في البلاد ، وكان متعباً كثير الصلاة والصوم ، صبوراً على الفقر ، عزوفاً عما في أيدي الناس ، وكان مع ذلك رأساً في الاعتزال ، وقد جمع الحديث من إسماعيل بن إسحاق القاضي ، وروى عنه حيوه وابن شاهين . وأصابه الفالج في آخر عمره ، فاجتمع عنده بعض أصحابه واشتدوا فمات يتيماً أن يكتبوا إلى سيف الدولة بن حمدان ليساعده بشئ يستعين به في مرضه ، فلما علم بذلك رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم لا تجعل رزقي إلا من حيث عودتي . فمات عقب ذلك قبل أن يصل إليه ما أرسل به سيف الدولة ، وهو عشرة آلاف درهم . فتصدقوا بها بعد وفاته في شبان من هذه السنة عن ثمانين سنة ، وصلى عليه أبو تمام الحسن بن محمد الزينبي ، وكان صاحبه ، ودفن في درب أبي زيد على نهر الواسطيين .

﴿ محمد بن صالح بن يزيد ﴾

أبو جعفر الوراق جمع الكثير ، وكان فاضلاً ويحفظ ، وكان ثقة زاهداً لا يأكل إلا من كسب يده ولا يقطع صلاة الليل . وقال بعضهم : محبته سنين كثيرة فمات رأيتة فصل إلا ما يرضى الله عز وجل . ولا قال إلا ما يسأل عنه ، وكان يقوم أكثر الليل :

وفيها كانت وفاة منصور بن قرايكن صاحب الجيوش انطراسانية من جهة الأمير نوح الساماني من مرض حصل له ، وقيل لأنه أذن شرب الخمر أياماً متتالية فهلك بسبب ذلك ، فأقيم بعده في الجيوش أبو علي المحتاج الزجاجي ، مصنف الجمل .

وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النحوي البغدادى الأصل . ثم المدمشق ، مصنف الجمل في النحو ، وهو كتاب فاضح ، كثير الفائدة ، صنعه بمكة ، وكان يطوف به كل باب منه ويدعو الله تعالى أن ينفع به . أخذ النحو أولاً عن محمد بن العباس اليزيدي ، وأبى بكر بن دريد ، وابن الأثير . توفي في رجب سنة سبع ، وقيل سنة تسع وثلاثين ، وقيل سنة أربعين . توفي في دمشق وقيل بطبرية . وقد شرح كتابه الجمل بشرح كثيرة من أحسنها وأجمعها ما وضعه ابن عصفور والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ﴾

فيها ملكت الروم سروج وقتلوا أهلها وحرقوا مساجدها . قال ابن الأثير : وفيها قصد موسى بن وجيه صاحب عمان البصرة فتمه منها المهلبى كما تقدم . وفيها قدم مزم الدولة على وزيره فغضبه مائة وخمسين سوطلا ولم يمهله بل رسم عليه . وفيها اختتم المصريون والراقيون بمكة فغضبوا لصاحب مصر ، ثم غلبهم العراقيون فغضبوا لركن الدولة بن بويه .

﴿ المنصور الفاطمى ﴾

وفيها كانت وفاة وهو أبو طاهر بن إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيد الله الهندي صاحب المغرب

وله من العمر تسع وثلاثون سنة ، وكانت خلافته سبع سنين وستة عشر يوما ، وكان عاقلا شجاعا فاسكا
 قهر أباً يزيد الخارجى الذى كان لا يطلق شجاعة وإقداماً وصبراً ، وكان فصيحاً بليغاً ، يرمي الخطبة
 على البديهة فى الساعة الراحة . وكان سبب موته ضعف الحرارة الغريزية كما أوردته ابن الأثير فى
 كتابه ، فاختل عليه الأطباء ، وقد عهد بالأمر إلى المنز الفاطمى وهو بابى القاهرة المعزية كما سيأتى
 بياته واسمه ، وكان عمره إذ ذاك أربعاً وعشرين سنة ، وكان شجاعا عاقلا أيضاً حازم الراى ، أطاعه
 من البربر وأهل تلك النواحي خلق كثير ، وبمث مولاه جوهر القائد فبنى له القاهرة المتاخمة لمصر ،
 واتخذ له فيها دار الملك ، وهما القصران اللذان هناك - اللذان يقال لهما بين القصرين اليوم - وذلك
 فى سنة أربع وستين وثلاثمائة كما سيأتى . وعمن توفى فيها من الأعيان

﴿ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح ﴾

أبو على الصفار أحد المحدثين ، لقي المبرد واشتهر بصحبته ، وكان مولده فى سنة سبع وأربعين
 ومائتين ، وسمع الحسن بن عرفة وعباسا الدورى وغيرهما ، وروى عنه جماعة منهم الدارقطنى . وقال
 صام أربعة وثمانين رمضان ، وقد كانت وفاته فى هذه السنة عن أربع وتسعين سنة رحمه الله تعالى
 ﴿ أحمد بن محمد بن زياد ﴾

ابن يونس بن درهم أبو سعيد بن الأعرابي ، سكن مكة وصار شيخ الحرم ، ومحب الجليل بن
 محمد والنورى وغيرهما ، وأسنده الحديث وصنف كتباً للصوفية .

﴿ إسماعيل بن القاسم ﴾ بن المهدي الملقب بالمنصور المبيدى الذى يزعم أنه فاطمى ، صاحب بلاد
 المغرب . وهو والد المزباني القاهرة ، وهو بابى المنصورية ببلاد المغرب . قال أبو جعفر المروزي : خرجت
 معه لما كسر أبى يزيد الخارجى ، فبينما أنا أسير معه إذ سقط رحمه قتلته فتناولته إياه وذهبت أفاكه بقول
 الشاعر : فأقلت عصاه واستقر بها النوى * كما قرعنا بالأياب المسافر

قال : هلا قلت كما قال الله تعالى (فأتى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون فرفع الحق ويطل
 ما كانوا يعملون فقبلوا هناك واقبلوا صافرين) قال قتلت له : أنت ابن بنت رسول الله ﷺ
 قلت يبنض معاملت ، وأنا قلت بما بلغ به أكثر على . قال ابن خلكان : وهذا كالجري لعبد الملك
 ابن مروان حين أمر الحاجب أن يبنى باب بيت المقدس ويكتب عليه اسمه ، فبنى له باباً وبنى لنفسه
 باباً آخر ، فوفقت صاعقة على باب عبد الملك فأحرقت ، فكتب إلى الحاجب بالراق يسأله عما أمه
 من ذلك يقول : ما أنا وأنت إلا كما قال الله تعالى (واتل عليهم نبأ ابنى آدم لمخلق إذ قربا قرباً
 فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك) فرضى عنه الخليفة بذلك . توفى المنصور فى
 هذه السنة من برد شديد والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ﴾

فيها دخل سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب إلى بلاد الروم قتل منهم خلقاً كثيراً وأسر آخرين ، وغنم أموالاً جزيلة ، ورجع سالماً غانماً . وفيها اختلف الحجيج بمكة ووقعت حروب بين أصحاب بن طنج وأصحاب معز الدولة ، فغلبهم العراقيون وخطبوا لمعز الدولة ، ثم بعد اقتضاء الحج اختلفوا أيضاً فغلبهم العراقيون أيضاً وجرت حروب كثيرة بين الخراسانية والسامانية اقتصاصها ابن الأثير في كتابه . ومن توفي فيها من الأعيان

﴿ علي بن محمد بن أبي الفهم ﴾

أبو القاسم التنوخي جد القاضي أبي القاسم التنوخي شيخ الخطيب البغدادي ، ولد بالفلكية ، وقدم بغداد فتفقه بها على منذهب أبي حنيفة ، وكان يعرف الكلام على طريقة المعتزلة ، ويرف النجوم ويقول الشعر ، ولحقه القضاء بالأهواز وغيرها ، وقد سمع الحديث من البغوي وغيره ، وكان فهما ذكياً حافظاً وهو ابن خمس عشرة سنة قصيدة دهل الشاعر في ليلة واحدة ، وهي ستمائة بيت ، وعرضها على أبيه فمببعتها فقام إليه وضه وقبل بين يديه وقال : يا بني لا تخبر بهذا أحداً فلا تصيبك العين . وذكر ابن خلكان أنه كان نديماً للوزير المهلب ، ووفد على سيف الدولة بن حمدان فأكرمه وأحسن إليه ، وأورد له من شعره أشياء حسنة فن ذلك قوله في الحجر :

وراح من الشمس مخلوقة • بدت لك في قدح من نهار

هواء ، ولكنه جامد • وماء ، ولكنه جار

كأن المدبر له بالبحر • ن ، إذا مال في أوبأتهار

تدبرع ثوبا من الياحمي • ن له برد كم من الجلائر

﴿ محمد بن إبراهيم ﴾

ابن الحسين بن الحسن بن عبد الخلاق أبو الفرج البغدادي الفقيه الشافعي يعرف بابن سكره سكن مصر وحدث بها وصح عنه أبو الفتح بن مسرور ، وذكر أن فيه لينا .

﴿ محمد بن موسى بن يعقوب ﴾ بن المأمون بن الرشيد هارون أبو بكر ، ولحقه إمارة مكة في سنة ثمان وستين ومائتين ، وقدم مصر فحدث بها عن علي بن عبد العزيز البغوي بموطأ مالك . وكان ثقة مأموناً توفي بمصر في ذي الحجة منها .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ﴾

فيها كانت وقعة بين سيف الدولة بن حمدان وبين المستق ، قتل خلقاً من أصحاب المستق وأسر آخرين في جماعة من رؤساء بطارقه ، وكان في جملة من قتل قسطنطين بن المستق ، وذلك

في ربيع الأول من هذه السنة ، ثم جمع المستق خلقاً كثيراً فالتقوا مع سيف الدولة في شعبان منها ، فجرت بينهم حروب عظيمة وقتال شديد ، فكانت الدائرة للمسلمين وخذل الله الكافرين ، فقتل منهم خلق كثير ، وأسر جماعة من الرؤساء ، وكان منهم صهر القمقق وابن بنته أيضاً . وفيها حصل للناس أمراض كثيرة وحى وأوجاع في الخلق . وفيها مات الأمير الحيد بن نوح بن نصر الساماني صاحب خراسان وما وراء النهر ، وقام بالأمر من بعده ولده عبد الملك .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن أحمد ﴾

أبو علي الكاتب المصري ، صاحب أبا علي الروضاري وغيره ، وكان عثمان المغربي يظم أمره ويقول : أبو علي الكاتب من السالكين إلى الله . ومن كلامه الذي حكاه عنه أبو عبد الرحمن السلي قوله : روائح نسيم الحبة تفوح من الحبين وإن كنتوها ، ويظهر عليهم دلائلها وإن أخفوها ، وتبدو عليهم وإن ستروها . وأنشد :

إذا ما استمرت أفئس الناس ذكره • تبين فيهم وإن لم يتكلموا
تطيبهم أنفاسهم فتذنبها • وهل سمرسك أودع الريح يكتم ؟
﴿ علي بن محمد بن عقبة بن ممام ﴾

أبو الحسن الشيباني الكوفي ، قدم بغداد فحدث بها عن جماعة وروى عنه الدارقطني . وكان ثقة مدلا كثير التلاوة فتبها ، مكث يشهد على الحكام ثلاثا وسبعين سنة ، مقبولا عندهم ، وأذن في مسجد حمزة الزيات نيفا وسبعين سنة ، وكذلك أبوه من قبله .

﴿ محمد بن علي بن أحمد بن العباس ﴾

الكرخي الأديب ، كان علما زاهدا ورعا ، يحتم القرآن كل يوم ويدب الصيام ، سمع الحديث من عبيد بن أقرانه .

﴿ أبو الخير التيناني ﴾

العابد الزاهد ، أصله من العرب ، كان مقيا بقرية يقال لها تينان من عمل إنطاكية ، ويعرف بالأقطع لأنه كان مقطوع اليد ، كان قد شاهد الله عبدا ثم نكته ، فاتفق له أنه مسك مع جماعة من الصوفى في الصحراء وهو هناك سائح يتعب ، فأخذ معهم قطعت يده معهم ، وكانت له أحوال وكرامات ، وكان ينسج أنطوص بيده الواحدة . دخل عليه بعض الناس فشاهد منه ذلك فأخذ منه العهد أن لا يغير به أحدا ما دام حيا ، فوفى له بذلك .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ﴾

قال ابن الجوزى : فيها عمل الناس ببغداد وواسط وأسبهان والأهواز داء مركب من دم وصفره ووباء ، مات بسبب ذلك خلق كثير ، بحيث كان يموت في كل يوم قريب من ألف نفس ،

وجاء فيها جراد عظيم أكل الخضر والثمار والأشجار والثمار. وفي الحرم منها عقد من الدولة لابنه أبي منصور بختيار الأمر من بعده بأمره الأمراء. وفيها خرج رجل من أذربيجان ادعى أنه يعلم النيب ، وكان يحرم اللحم وما يخرج من الحيوانات ، فأضافه مرة رجل فجاءه بطعام كشكية بشحم فأكله ، فقال له الرجل بمحضرة من معه : إنك تدعى أنك تعلم النيب وهذا طعام فيه شحم وأنت تحرمه فلم لاعلمته ؟ فتفرق عنه الناس . وفيها جرت حروب كثيرة بين المزمز الفاطمي وبين صاحب الأندلس عبد الرحمن الناصر الأموي ، استقصاها ابن الأثير .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ عتيان بن أحمد ﴾

ابن عبد الله بن يزيد أبو عمرو الدقاق ، المروفي بابن السكك ، روى عن حنبل بن إسحاق وغيره ، وعنه الدارقطني وغيره ، وكان ثقة مثينا ، كتب المصنفات الكثيرة بخطه ، توفي في ربيع الأول منها ودفن بمقبرة باب التين ، وحضر جنازته خسون ألفا .

﴿ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ﴾

أبو جعفر القاضي السمناني ، ولد سنة إحدى وستين ومائتين ، وسكن بغداد وحدث بها ، وكان ثقة طاماً فاضلاً سعيياً حسن الكلام ، عراقي المنصب ، وكانت داره مجمع العلماء ، ثم دلى قضاء الموصل وتوفي بها في هذه السنة في ربيع الأول منها .

﴿ محمد بن أحمد بن بطة بن إسحاق الأصبهاني ﴾

أبو عبد الله سكن نيسابور ثم عاد إلى أصفهان . وليس هذا بعبد الله بن بطة الكبير ، هذا متقدم عليه ، هذا شيخ الطبراني وابن بطة الثاني يروي عن الطبراني ، وهذا بضم الباء من بطة ، وابن بطة الثاني وهو الفقيه الحنبلية بفتحها . وقد كان جد هذا ، وهو ابن بطة بن إسحاق أبو سعيد ، من المحدثين أيضاً . ذكره ابن الجوزي في منتظمه .

﴿ محمد بن محمد بن يوسف بن الحجاج ﴾

أبو النضر الفقيه الطوسي ، كان طاماً ثقة عابداً . يصوم النهار ويقوم الليل ، ويتصدق بالفاضل من قسوته ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وقد رحل في طلب الحديث إلى الأقاليم النائية والبلدان المتباعدة ، وكان قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء ، ثلث للنوم ، وثلث للتصنيف ، وثلث للقرأة . وقد رآه بعضهم في النوم بعد وفاته فقال له : وصلت إلى ما طلبت ؟ فقال : إني والله نفس عند رسول الله ﷺ وقد عرضت مصنفاتي في الحديث عليه قبلها .

﴿ أبو بكر بن الحداد ﴾

الفقيه الشافعي ، هو محمد بن أحمد بن محمد أبو بكر بن الحداد أحد أئمة الشافعية ، روى عن

النسائي، وقال : رضى به حجة يتي وبين الله عز وجل . وقد كان ابن الجداد قتيها فروعيًا ، ومحدثًا ونحويا وفصيحا في العبارة دقيق النظر في الفروع ، له كتاب في ذلك غريب الشكل ، وقد ولى القضاء بمصر نيابة عن أبي عبيد بن حريه . ذكرناه في طبقات الشافعية .

﴿ أبو يعقوب الأفرعى ﴾

إسحاق بن إبراهيم بن هاشم بن يعقوب التهدي ، قال ابن عساكر : من أهل أفرعات - مدينة بالبلقاء - أحد الثقات من عباد الله الصالحين . رحل وحدث عنه جماعة من أجل أهل دمشق وعبادها وعلمائها ، وقد روى عنه ابن عساكر أشياء تدل على صلاحه وخرق العادة له ، فمن ذلك قال : إني سألت الله أن يقبض بصرى فميت ، فلما استنضرت بالطهارة سألت الله عوده فرد علي . توفي بدمشق في هذه السنة - سنة أربع وخمسين - وصحبه ابن عساكر وقد نيف على التسعين .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وأربعين وثلثمائة ﴾

وفيها عصى الروزيهان على مزم الدولة وانحاز إلى الأهواز ولحق به طامة من كان مع المهلبى الذى كان يحارب به ، فلما بلغ ذلك مزم الدولة لم يصدق له لأنه كان قد أحسن إليه ورفع من قدره بعد الضعة والحوار ، ثم تبين له أن ذلك حق ، فخرج لقتاله وتبعه الخليفة المطيع فله خوف من ناصر الدولة بن حمدان فإنه قد بلغه أنه جبر جيشا مع ولده أبى المرحاجاير إلى بغداد ليأخذها ، فأرسل مزم الدولة حاجبه سبكتكين إلى بغداد ، وصعد مزم الدولة إلى الروزيهان فاقتتلوا قتالا شديدا ، وهزمه مزم الدولة وفرق أصحابه وأخذهم أسيرا إلى بغداد فمسخه ، ثم أخرجه ليلا وفرقه ، لأن الديلم أرادوا إخراجه من السجن قهرا . وانطوى ذكر روزهان وإخوته ، وكان قد اشتعل اشتعال النار . وحظيت الأتراك عند مزم الدولة واتصلت ربة الديلم عنده ، لأنه ظهر له خيانتهم في أمر الروزيهان وإخوته .

وفيها دخل سيف الدولة إلى بلاد الروم قاتل وسبي ورجع إلى حلب ، فخميت الروم فجمعوا وأقبلوا إلى ميا فارقين فقتلوا وسبوا وحرقوا ورجعوا ، وركبوا في البحر إلى طرسوس فقتلوا من أهلها ألفا وثمانمائة ، وسبوا وحرقوا قرى كثيرة . وفيها زلزلت همدان زلزالا شديدا تهدمت البيوت وانشق قصر شيرين بصاقعة ، ومات تحت الحسم خلق كثير لا يحصون كثرة ، ووقعت فتنة عظيمة بين أهل أصبهان وأهل قم بسبب سب الصحابة من أهل قم ، فثاروا عليهم أهل أصبهان وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، ونهبوا أموال التجار ، فغضب ركن الدولة لأهل قم ، لأنه كان شيعيا ، فصادر أهل أصبهان بأموال كثيرة .

﴿ غلام ثعلب ﴾

وفيها توفي من الأعيان

محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم أبو عمرو الزاهد غلام ثعلب ، روى عن الكديمي وموسى بن

سهل الوشاء وغيرهما ، روى عنه جماعة ، وآخر من حدث عنه أبو علي بن شاذان وكان كثير العلم والزهّد حافظاً مطيقاً على من حفظه شيئا كثيراً ، ضابطاً لما يحفظه ، ولكثرة إغرابه أتهمه بعض الرواة ورماه بالكذب ، وقد اتفق له مع القاضي أبي عمر حكاية - وكان يؤدّب ولده طاه أُمّى من حفظه ثلاثين مسألة بشواهد وأدلتها من لغة العرب ، واستشهد على بعضها ببنتين غريبتين جداً ، فرفضهما القاضي أبو عمر على ابن دريد وابن الأنباري وابن مقسم ، فلم يعرفوا منها شيئا . حتى قال ابن دريد : هذا ما وضعه أبو عمرو من عنده ، فلما جاء أبو عمرو ذكر له القاضي ما قال ابن دريد عنه ، فطلب أبو عمرو أن يحضر له من كتبه دواوين العرب . فلم يزل أبو عمرو يعتمد إلى كل مسألة وبأية بشاهد بعد شاهد حتى خرج من الثلاثين مسألة ثم قال : وأما البيتان فإن ثلثاً أنشدتهما وأنت حاضر فكتبتهما في دفترك الفلاني ، فطلب القاضي دفتره فاذا هما فيه ، فلما بلغ ذلك ابن دريد كف لسانه عن أبي عمرو الزاهد فلم يذكره حتى مات . توفي أبو عمرو هذا يوم الأحد ودفن يوم الاثنين الثالث عشر من ذي القعدة ، ودفن في الصفة المقابلة لقبر معروف الكرخي ببغداد رحمه الله .

(محمد بن علي بن أحمد بن رستم)

أبو بكر المادرائي الكاتب ، ولد في سنة خمس وخمسين ومائتين بالعراق ، ثم صار إلى مصر هو وأخوه أحمد مع أبيهما ، وكان علي الطراج حجازي به بن أحمد بن طولون ، ثم صار هذا الرجل من رؤساء الناس وأكابرهم ، سمع الحديث من أحمد بن عبد الجبار وطبقته . وقد روى الخطيب عنه أنه قال كان يبني شيخ كبير من الكتاب قد تمطل من وظيفته ، فرأيت والدي في المنام وهو يقول : يا بني أمانتي الله ؟ أنت مشغول بذكر نفسك والناس بيبالك بهلكون من العري والجوع ، هذا فلان قد تقطع سراويله ولا يقدر على إبداله ، فلا تهمل أمره . فاستيقظت منهووراً وأنا قوله الاحسان ، ثم نمت فأنسيت المنام ، فبينما أنا أسير إلى دار الملك ، فإذا بذلك الرجل الذي ذكره على دابة ضعيفة ، فلما رأيته أراد أن يترجل لي فيدالي غفقه وقد لبس الخلف بلا سراويل ، فلما رأيت ذلك ذكرت المنام فاستدعيت به وأطلقت له ألف دينار وثياب ، ورتبت له على وظيفته مائتي دينار كل شهر ، ووعظته بخير في الآجل أيضا .

(أحمد بن محمد بن إسماعيل)

ابن إبراهيم طباطبائي بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، الشريف الحسن الرضي - قبيلة من الأشراف - أبو القاسم المصري الشافعي - كان حبيب الطالبين بمصر ومن شعره قوله :

قالت لطيف خيال زارني ومضى • بالله صفة ، ولا تنقص ولا تزد
قلت : أبصرته لومات من عظماً • وقال : قف لا تزد الماء لم يرد

قالت : صدقت ، وفاء الحب عاده • يارد ذاك اتقى قالت على كبدى
توفى ليلة الثلاثاء لحسن بقين من هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة ست وأربعين وثلاثمائة ﴾

فيها وقعت فتنة بين أهل الكرخ وأهل السنة بسبب السب ، قتل من الفريقين خلق كثير .
وفيها قص البحر الملح ثمانين فراساً . ويقال بانها . قبعت به جبال وجزائر وأما كن لم تكن ترى قبل
ذلك . وفيها كان بالعراق وبلاد الرى والجبل وقم ونحوها زلازل كثيرة مستمرة نحو أربعين يوماً ،
تسكن ثم تعود ، فهدمت بسبب ذلك أبنية كثيرة وغلزت ميده كثيرة ، ومات خلق كثير . وفيها
تجهز مع الدولة بن بويه لقتال ناصر الدولة بن حمدان بالموصل ، فراسله ناصر الدولة والتزم له بأموال
يحملها إليه كل سنة ، فسكت عنه ، ثم إنه مع ما اشترط على نفسه لم يرجع عنه مع الدولة ، بل قصده
في السنة الآتية كما سيأتى بيانه . وفى تشرين منها كثرت في الناس أروام في حلوقهم ومناخرهم ،
وكثر فيهم موت الفجأة ، حتى إن لصاً ذهب داراً ليدخلها فمات وهو في النقب . ولبس القاضي خلة
القضاء ليخرج للحكم فلبس إحدى خفيه فمات قبل أن يلبس الأخرى .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن عبد الله بن الحسين ﴾

أبو هريرة العنبري ، المستمل على المشايخ ، كتب عن أبي مسلم الكشي وغيره ، وكان ثقة توفى في
ربيع الأول منها ﴿ الحسن بن خلف بن شاذان ﴾

أبو علي الواسطي روى عن إسحاق الأزرق ويزيد بن هارون وغيرهما ، وروى عنه البخاري
في صحيحه . توفى في هذه السنة . هكذا رأيت ابن الجوزي ذكر هذه الترجمة في هذه السنة في منتظمه
والله أعلم ﴿ أبو العباس الأصبهاني ﴾

محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان بن عبد الله الأموي مولاهم أبو العباس الأصبهاني
مولده في سنة سبع وأربعين ومائتين ، رأى القهلي ولم يسمع منه ، ورحل به أبوه إلى أصفهان ومكة
ومصر والشام والجزيرة وبغداد وغيرها من البلاد ، فسمع الكثير بها عن الجهم الغفيري ، ثم رجع إلى
خراسان وهو ابن ثلاثين سنة ، وقد صار محدثاً كبيراً ، ثم طرأ عليه الصمم فاستحكم حتى كان لا يسمع
نهيق الحمار ، وكان مؤدباً في مسجده ثلاثين سنة ، وحدث ستاً وسبعين سنة ، فألقى الأحفاد بالأجداد
وكان ثقة صادقاً ضابطاً لما سمعه ويسمعه ، كف بصره قبل موته بشهر ، وكان يحدث من حفظه بأربع
عشر حديثاً ، وسبع حكايات ومات وقد بقي له سنة من المائة .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ﴾

فيها كانت زلزلة ببغداد في شهر نيسان وفي غيرها من البلاد الشرقية فمات بسببها خلق كثير ،

وخربت دور كثيرة ، وظهر في آخر نيسان وشهر إلأجراد كثير أتلف الغلات المصيفية والثمار . ودخلت الروم آمد ، ومياً فارقين ، قتلوا ألفاً وخمسة إنسان ، وأخذوا مدينة محساة وأخربوها . وفي المحرم منها ركب مزم الدولة إلى الموصل فأخذها من يد ناصر الدولة ، وهرب ناصر الدولة إلى نصيبين ، ثم إلى ميا فارقين ، فلحقه مزم الدولة فصار إلى حلب إلى عند أخيه سيف الدولة ، ثم أرسل سيف الدولة إلى مزم الدولة في المصالحة بينه وبين أخيه ، فوقع الصلح على أن يحمل ناصر الدولة في كل سنة ألفي ألف وتسعمائة ألف ، ورجع مزم الدولة إلى بغداد بعد انعقاد الصلح ، وقد امتلأت البلاد رفضا وسبا للصحابة من بنى بويه وبنى حمدان والفاطميين ، وكل ملوك البلاد مصرأ وشامأ وعراقا وخراسان وغير ذلك من البلاد ، كانوا رفضا ، وكذلك الحجاز وغيره ، وغالب بلاد المغرب ، فكثرت السب والتكفير منهم للصحابة .

وفيها بشت المزم الفاطمي مولاه أبا الحسن جوهر القائد في جيوش معه ومعه زيرى بن هند الصنهاجى ففتحوا بلادا كثيرة من أقصى بلاد المغرب ، حتى اتبها إلى البحر المحيط ، فأمر جوهر بأن يصطاد له منه سمك ، فأرسل به في قلال الماء إلى المزم الفاطمي ، وحظى عنده جوهر وعظم شأنه ، حتى صار بمنزلة الوزير .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ الزبير بن عبد الرحمن ﴾

ابن محمد بن زكريا بن صالح بن إبراهيم . أبو عبد الله الاسترايذى ، رحل وسمع الحديث وطوف الأقاليم ، سمع الحسن بن سفيان وابن خزيمة وأبا يعلى وخلقا ، وكان حافظا متقنا صدوقا ، صنف الشروح والأبواب . ﴿ أبو سعيد بن يونس ﴾

صاحب تاريخ مصر . هو عبد الرحمن بن يونس بن عبد الأعلى الصدقى المصرى المؤرخ ، كان حافظا مكثرا خبيراً بأيام الناس وتواريخهم ، له تاريخ مفيد جداً لأهل مصر ومن ورد إليها . وله ولد يقال له أبو الحسن على ، كان منجماً له زيج مفيد يرجع إليه أصحاب هذا الفن ، كما يرجع أصحاب الحديث إلى أقوال أبيه وما يؤرخه وينقله ويحكيه ، ولد الصدقى سنة إحدى وثمانين ومائتين وتوفى في هذه السنة يوم الاثنين السادس والعشرين من جمادى الآخرة في القاهرة .

﴿ ابن درستويه النحوى ﴾

عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان أبو محمد الفارسى النحوى ، سكن بغداد وسمع عباسا الدورى وابن قتيبة والمبرد ، وسمع منه الدارقطى وغيره من الحفاظ ، وأثنى عليه غير واحد منهم أبو عبد الله بن منده ، توفى في صفر منها ، وذكر له ابن خلكان مصنفات كثيرة مفيدة ، فيما يتعلق باللغة والنحو وغيره . ﴿ محمد بن الحسن ﴾

ابن عبد الله بن على بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب ، أبو الحسن القرشى الأموى قاضى

بنداد ، كان حسن الأخلاق طلبة الحديث ، ومع هذا كان ينسب إلى أخذ الرشوة في الأحكام والولايت رحمه الله .
(محمد بن علي)

أبو عبد الله الهاشمي الخياط البمشقي . وأظنه ألقى تنسب إليه حارة الخياط من نواحي باب الصغير ، كان خطيب دمشق في أيام الأئشيد ، وكان شابا حسن الوجه مليح الشكل ، كامل الخلق . توفي يوم الجمعة السابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وحضر جنازته نائب السلطنة وخلق كثير لا يحصون كثرة ، هكذا أرخه ابن عساكر ، ودفن بباب الصغير .

(ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة)

فيها كانت فتنة بين الرافضة وأهل السنة قتل فيها خلق كثير ، ووقع حريق بباب الطاق ، وغرق في دجلة خلق كثير من حجاج الموصل ، نحو من ستائة نفس . وفيها دخلت الروم طرموس والرها وقتلوا وسبوا ، وأخذوا الأموال ورجعوا . وفيها قتل الأمطار وغلت الأسعار واستسقى الناس فلم يسقوا ، وظهر جراد عظيم في أذربا فأكل ما نبت من الخضراوات ، فاشتد الأمر جدا على الخلق فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وفيها عاد معز الدولة إلى بغداد من الموصل وزوج ابنته من ابن أخيه مؤيد الدولة بن معز الدولة ، وسيرها معه إلى بغداد .

ومن توفي فيها من الأعيان (إبراهيم بن شيان القرميسيني)

شيخ الصوفية بلبليل ، صاحب أبو عبد الله المغربي . ومن جيد كلامه قوله : إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه ، وطرد عنه الرغبة في الدنيا .

(أبو بكر النجاد)

أحمد بن سليمان بن الحسن بن إسرائيل بن يونس ، أبو بكر النجاد الفقيه ، أحد أئمة الحنابلة ولد سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، سمع عبد الله بن أحمد وأبا داود ، والباغندي وابن أبي الدنيا وخلقاً كثيراً ، وكان يطلب الحديث ماشياً حافياً ، وقد جمع المسند وصنف في السنن كتاباً كبيراً ، وكان له بإجماع المنصور حلقتان ، واحدة فقه وأخرى لا ملاء الحديث ، وحدث عنه الدارقطني وابن رزويه وابن شاهين وأبو بكر بن مالك القطيعي وغيرهم ، وكان يصوم الفجر ويفطر كل ليلة على رغيف ويعزل منه لقمة ، فإذا كانت ليلة الجمعة أكل القم وتصدق بالرغيف صحيحاً . توفي ليلة الجمعة لعشرين من ذي الحجة عن خمس وتسعين سنة ودفن قريباً من قبر بشر الحافي رحمه الله .

(جعفر بن محمد بن نصير بن القاسم)

أبو محمد الخواص المعروف بالخلعي ، سمع الكثير وحدث كثيراً ، وحج ستين حجة ، وكان ثقة صدوقاً دينياً .

(محمد بن إبراهيم بن يوسف بن محمد)

أبو عمر الزجاج النيسابوري ، صاحب أبا عثمان والجنيد والنوري وانخواص وغيرهم ، وأقام بمكة وكان شيخ الصوفية بها ، وحج ستين حجة ، ويقال إنه مكث أربعين سنة لم يتنوط ولم يبيل إلا خارج الحرم بمكة

(محمد بن جعفر بن محمد بن فضالة)

ابن يزيد بن عبد الملك أبو بكر الأدمي ، صاحب الألحان ، كان حسن الصوت بتلاوة القرآن وربما جمع صوته من بعد في الليل ، وحج مرة مع أبي القاسم البغوي ، فلما كانوا بالبلد دخلوا المسجد النبوي فوجدوا شيخاً أعمى يقص على الناس أخباراً موضوعة مكتوبة ، فقال البغوي : ينبغي الانكار عليه ، فقال له بعض أصحابه : إنك لست ينبغي أن تعرفك الناس إذا أنكرت عليه ، ومن يعرفك هنا قليل والجمع كثير ، ولكن نرى أن تأمر أبا بكر الأدمي فبقراً ، فأمره فاستفتح قرأ فلم يمه الاستمادة حتى انجفل الناس عن ذلك الأعمى وتركوه وجاؤا إلى أبي بكر ولم يبق عند الضرير أحد ، فأخذ الأعمى بيد قائمه وقال له : اذهب بنا فهكذا نزول النعم . توفي يوم الأربعاء ليلتين بقيتا من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ثمان وثمانين سنة ، وقد رآه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : وقفني بين يديه وقاميت شدايد وأهوالاً . قلت له : فذلك القراءة الحسنة وذلك الصوت الحسن وتلك المواقف ؟ قال : ما كان شيء أضر علي من ذلك ، لأنها كانت لدينيا . قلت : إلى أي شيء انتهى أمرك ؟ قال : قال الله عز وجل آليت على نفسي أن لا أعذب أبناء الثمانين .

(أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي)

ابن الحسن بن إبراهيم بن طباطبائي بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي المعري ، كان من ساداتها وكبرائها ، لا تزال الحلوى تعقد بداره ، ولا يزال رجل يكسر اللوز بسببها ، ولقاس عليه رواتب من الحلوى ، فمنهم من يهدي إليه كل يوم ، ومنهم في الجمعة ، ومنهم في الشهر . وكان لكافور الأخضر عليه في كل يوم جامان ورغيف من الحلوى ، ولما قدم المزمز الفاطمي إلى القاهرة وتلقاه سأله : إلى من ينتسب مولانا من أهل البيت ؟ قال : الجواب إلى أهل البلد ، فلما دخل القصر جمع الأشراف وسل نصف سيفه وقال هذا نسي ، ثم نثر عليهم الذهب وقال : هذا حبي . قالوا : ممحنا وأطعنا . والصحيح أن التناقل للمزمز هذا الكلام ابن هذا^(١) أو شريف آخر بالله أعلم . فان وفاة هذا كانت في هذا العام عن ثنتين وستين سنة ، والمزمز إنما قدم مصر في سنة ثنتين وستين وثلاثمائة كما سيأتي .

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلاثمائة)

فيها ظهر رجل بأذر ييجان من أولاد عيسى بن المكتفي بالله فلقب بالمستجير بالله ودعا إلى الرضا

(١) كنا بالاصل . وليحمر .

من آل محمد ، وذلك لفساد دولة المزياني في ذلك الزمان ، فاقتلوا قتالا شديدا ثم انهزم أصحاب
الاستجير وأخذ أسيرا فأت ، واضمحل أمره . وفيها دخل مسيف الدولة بن حذان بلاد الروم فقتل
من أهلها خلقا كثيرا ، وفتح حصونا وأحرق بلدانا كثيرة ، وسبي وغنم وكر راجعا ، فأخضت الروم
عليه فتنوه من الرجوع ووضوا السيف في أصحابه فأنجاهو في ثلاثمائة فارس إلا بمجاهد جليل .
وفيها كانت فتنة عظيمة ببشداد بين الرافضة وأهل السنة قتل فيها خلق كثير ، وفي آخرها توفي
أنجود بن الاخشيد صاحب مصر ، فأقام بالأمر بعده أخوه علي . وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن
أبي عبد الله البريدي الذي كان صاحب الأهواز واسط . وفيها رجع حبيب مصر من مكة فقتلوا
وأديا بجدهم سيل فأخذهم فأقام في البحر عن آخرهم . وفيها أسلم من الترك مائتا ألف خر كاه فسما
ترك إيمان ، ثم خفف اللفظ بذلك ، قيل تركان :

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ جعفر بن حرب الكاتب ﴾

كانت له نعمة وثروة عظيمة تقارب أبهة الوزارة ، فاجتاز يوما وهو راكب في موكب له عظيم ،
فسمع رجلا يقرأ (ألم بأن للذين آمنوا أن نخضع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) فصاح : اللهم
بلى ، وكرها فضلت ثم بكى ثم نزل عن دابته وتزعج فياه وطرحها ودخل دجلة فاستتر بالماء ولم يخرج منه
حتى فرق جميع أمواله في المظالم التي كانت عليه ، وردھا إلى أهلها ، وتصديق بالباقي ولم يبق له
شيء بالكسبية ، فاجتاز به رجل تصديق عليه بشو بين فليسهما وخرج فاقطع إلى العلم والعبادة حتى
مات رحمه الله :

﴿ أبو علي الحافظ ﴾

ابن علي بن يزيد بن داود أبو علي الحافظ النيسابوري ، أحد أئمة الحفاظ المتقنين المصنفين . قال
الدارقطني : كان إماما مهيبا ، وكان ابن عقدة لا يتواضع لأحد كتواضعه له . توفي في جمادى الآخرة
عن اثنتين وخمسين سنة .

﴿ حسن بن محمد بن أحمد بن مروان ﴾

أبو الوليد القرشي الشافعي إمام أهل الحديث بخراسان في زمانه ، وأزهدهم وأعبدهم ، أخذ الفقه
عن ابن سريج وسمع الحديث من الحسن بن سفيان وغيره ، وله التصانيف المفيدة ، وقد ذكرنا ترجمته
في الشافعيين . كانت وفاته ليلة الجمعة لحس مضين من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ثنتين
وسبعين سنة .

﴿ محمد بن إبراهيم بن الخطاب ﴾

أبو سليمان الخطابي ، سمع الكثير وصنف التصانيف الحسان ، منها المعالم شرح فيها سنن أبي
داود ، والأعلام شرح فيه البخاري ، وغريب الحديث . وله فهم مليح وعلم غزير ومعرفة بالغة
والمعاني والفقه . ومن أشعاره قوله :

ما دمت حيا فدار الناس كلهم * فاما أنت في دار المداراة
من يدراري ومن لم يدرسوف يرى * عما قليل نديما للتدائمات
هكذا ترجمه أبو الفرج ابن الجوزي حرفا بحرف .

﴿ عبد الواحد بن عمر بن محمد ﴾

ابن أبي هاشم . كان من أعلم الناس بحروف القراءات ، وله في ذلك مصنفات ، وكان من الأئمة الثقات ، روى عن ابن مجاهد وأبي بكر بن أبي داود ، وعنه أبو الحسن الهادي ، توفي في شوال منها ، ودفن بمقبرة الخيزران . ﴿ أبو أحمد السال ﴾

الحافظ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن محمد أبو أحمد السال الأصمبائي أحد الأئمة الحفاظ وأكابر العلماء ، جمع الحديث وحدث به ، قال ابن منته : كتبت عن ألف شيخ لم أر أنهم ولا أتقن من أبي أحمد السال . توفي في رمضان منها رحمه الله . والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمسين وثلاثمائة ﴾

في المحرم منها مرض معز الدولة بن بويه بأخصار البول فقلق من ذلك وجمع بين صاحبه سبكتكين ووزيره المهلبى ، وأصلح بينهما وصالحا بولده بختيار خيرا ، ثم عوفى من ذلك فزم على الرحيل إلى الأهواز لا اعتقاده أن ما أصابه من هذه العلة بسبب هواء بغداد ومائها ، فأشاروا عليه بالقيام بها ، وأن يبقى بها داراً في أهلها حيث الهواء أرق والماء أسقى ، فبنى له داراً غرم عليه ثلاثة عشر ألف ألف درهم ، فاحتاج لذلك أن يصادر بعض أصحابه ، ويقال أئق عليها ألفى ألف دينار ، ومات وهو يبنى فيها ولم يسكنها ، وقد خرب أشياء كثيرة من معالم الخلفاء ببغداد في بنائها ، وكان مما خرب المشوق من سر من رأى ، وقلع الأبواب الحديد التي على مدينة المنصور والرفافة وقصورها ، وحولها إلى داره هذه ، لا تمت فرحته بها ، فانه كان رافضياً خبيثاً .

وفيهما مات القاضي أبو السائب عتبة بن عبد الله وقبضت أملاكه ، وولى بعده القضاء أبو عبد الله الحسين بن أبي الشوارب ، وضمن أن يؤدي في كل سنة إلى معز الدولة مائتى ألف درهم ، فخلع عليه معز الدولة وسار معه الديارات والبلدات إلى منزله ، وهو أول من ضمن القضاء ورثى عليه والله أعلم . ولم يأخذ له الخليفة المطيع لله في الحضور عنده ولا في حضور الموكب من أجل ذلك غضبا عليه ، ثم ضمن معز الدولة للشرطة وضمن الحسبة أيضا .

وفيهما سار قتل من أنطاكية يريدون طرسوس ، وفيهم غالب أنطاكية ، فثار عليهم الفرنج فأخفهم عن بكرة أبيهم ، فلم يفلت منهم سوى النائب جريحاً في مواضع من بدته . وفيها دخل نجبا غلام سيف الدولة بلاد الروم قتل وسى وغتم ورجع سالماً .

وفيهما توفى الأمير . ﴿ نوح بن عبد الملك الساماني ﴾

صاحب خراسان وغزنة وما وراء النهر ، سقط عن فرسه فمات ، وقام بالأمر من بعده أخوه منصور بن نوح الساماني .

وفيهما توفى . ﴿ الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي ﴾

صاحب الأندلس ، وكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر ، وله من العمر يوم مات ثلاث وسبعون سنة ، وترك أحد عشر ولدا ، كان أبيض حسن الوجه عظيم الجسم طويل الظهر قصير الساقين ، وهو أول من تقلب بأمير المؤمنين من أولاد الأمويين الداخلين إلى المغرب ، وذلك حين بلغه ضعف الخلفاء بالعراق ، وتقلب الفاطميين ، فتقلب قبل موته ثلاث وعشرين سنة . ولما توفى قام بالأمر من بعده ولده الحكم وتقلب بالمتنصر ، وكان الناصر شافعي المذهب فاسكا شاعرا ، ولا يعرف في الخلفاء أطول مدة منه ، فإنه أقام خليفة خمسين سنة ، إلا الفاطمي المستنصر بن الحاكم الفاطمي صاحب مصر ، فإنه مكث ستين سنة كما سيأتي ذلك . وعمن توفى فيها من الأعيان :

﴿ أبو سهل بن زياد القطلان ﴾

أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد أبو سهل القطلان . كان ثقة حافظا كثير التلاوة للقرآن ، حسن الاتزان للعالمى من القرآن ، فمن ذلك أنه استدلى على تكفير المعتزلة بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزاة لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) . ﴿ إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن بيان أبو محمد الحطبي ﴾ سمع الحديث من ابن أبي أسامة وعبد الله بن أحمد والكوكي وغيرهم ، وعنه البارقي وغيره ، وكان ثقة حافظا فاضلا نبیلا عارفا بأيام الناس ، وله تاريخ مرتب على السنين ، وكنى أديبا ليبييا عاقلا صدوقا ، توفى في جمادى الآخرة من هذه السنة ، عن إحدى وثمانين سنة .

﴿ أحمد بن محمد بن سعيد ﴾

ابن عبيد الله بن أحمد بن سعيد بن أبي حريم أبو بكر القرشي الوراق ، ويعرف بابن فطيس ، وكان حسن الكتابة مشهورا بها ، وكان يكتب الحديث لابن جوصا ، ترجمه ابن عساكر وأرخ وفاته بثاني شوال من هذه السنة . ﴿ تمام بن محمد بن عباس ﴾

ابن عبد المطلب أبو بكر الهاشمي المباسي ، حدث عن عبد الله بن أحمد وعنه ابن رزويه توفى في هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة .

﴿ الحسين بن القاسم ﴾

أبو علي الطبري القتيبي الشافعي ، أحد الأئمة المحررين في الخلاف ، وهو أول من صنف فيه ،

وله الايضاح في المنهب ، وكتاب في الجدل ، وفي أصول الفقه وغير ذلك من المصنفات ، وقد ذكرته في الطبقات .

﴿ عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم ﴾

ابن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور الهاشمي الامام ، ويعرف بابن بويه ، ولد سنة ثلاث وستين ومائتين ، روى عن ابن أبي الدنيا وغيره ، وعنه ابن رزقويه ، وكان خطيباً يجتمع المنصور مدة طويلة ، وقد خطب فيه سنة ثلاثين وثلاثمائة وقبلها تمام سنة ، ثم خطب فيه الواثق سنة ثلاثين ومائتين وثمانين في النسب إلى المنصور سواء . توفي في صفر منها .

﴿ عتبة بن عبد الله ﴾ بن موسى بن عبد الله أبو السائب القاضي الهذلي الشافعي ، كان فاضلاً بارعاً ، ولى القضاء ، وكان فيه تخليط في الأمور ، وقد رآه بمضهم بعد موته فقال : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي وأمرني إلى الجنة على ما كان مني من التخليط ، وقال لي : إني كتبت على نفسي أن لا أعذب أبناء الثمانين . وهذا الرجل أول من ولى قضاء القضاة ببغداد من الشافعية والله أعلم .

﴿ محمد بن أحمد بن حيان ﴾ أبو بكر القهقاني ، بغدادى ، سكن بخارى وحدث بها عن يحيى بن أبي طالب ، والحسن بن مكرم وغيرهما ، وتوفى عن سبع وثمانين سنة .

﴿ أبو علي الخزاز ﴾ توفي في شعبان منها فوجد في داره من الذهب عند الناس من الفوذائع ما يقارب أربعمائة ألف دينار . والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ﴾

فيها كان دخول الروم إلى حلب محبة المستقيم ملك الروم لعنه الله ، في مائتي ألف مقاتل ، وكان سبب ذلك أنه ورد إليها بنته فهض إليه سيف الدولة بن حمدان بن حضر عنده من المقاتلة ، فلم يقو به لكثرة جنوده ، وقتل من أصحاب سيف الدولة خلقاً كثيراً ، وكان سيف الدولة قليل الصبر ففر منهزماً في نفر يسير من أصحابه ، فأول ما استفتح به المستقيم قبجه الله أن استحوذ على دار سيف الدولة ، وكانت ظاهر حلب ، فأخذ ما فيها من الأموال العظيمة والحواصل الكثيرة ، والمدد والآلات الحرب ، أخذ من ذلك ما لا يحصى كثرة ، وأخذ ما فيها من النساء والولدان وغيرهم ، ثم حضر سور حلب مقاتل أهل البلد دونه قتالا عظيماً ، وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم ، وثبتت الروم بسور حلب ثمة عظيمة ، فوقف فيها الروم فحمل المسلمون عليهم فأزاحم منها ، فهاجن الليل جدد المسلمون في إعادتها لما أصبح الصباح الإلهي كما كانت ، وحفظوا السور حفظاً عظيماً ، ثم بلغ المسلمون أن الشرط والبلحية قد عاؤا في داخل البلد ينهبون البيوت ، فرجع الناس إلى منازلهم يمنعونها منهم قبضهم الله ، فاتهم أهل شر وفساد ، فلما فعلوا ذلك غلبت الروم على السور فضوه ودخلوا البلد يقتلون من لقوه ، وقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً وانهبوا الأموال وأخذوا الأولاد والنساء . وخلصوا من كان

بأيدي المسلمين من أسارى الروم ، وكأوا ألفاً وأربعمائة ، فأخذ الأسارى السيوف وقاتلوا المسلمين ،
 وكأوا أضر على المسلمين من قومهم ، وأسروا نحواً من بضعة عشر ألفاً ما بين صبي وصبية ، ومن النساء
 شيئاً كثيراً ، ومن الرجال الشباب ألفين ، وخرّبوا المساجد وأحرقوها ، وصبوا في جباب الزيت الماء
 حتى غاض الزيت على وجه الأرض ، وأهلكوا كل شيء قد روا عليه ، وكل شيء لا يقدر على
 حمله أحرقوه ، وأقاموا في البلد تسعة أيام يملون فيها الأفاعيل الفاسدة المظلمة ، كل ذلك بسبب
 فعل البلاحية والشرط في البلد قاتلهم الله . وكذلك حاكمهم ابن حمدان كان رافضياً يحب الشيعة
 ويغض أهل السنة ، فاجتمع على أهل حلب عدة مصائب ، ثم عزم الممستق على الرحيل عنهم
 بنوا من سيف الدولة ، فقال له ابن أخيه : أين تنهب وتضع القلعة وأموال الناس غالبها فيها
 ونسألكم ؟ فقال له الممستق : إنا قد بلغنا فوق ما كنا نأمل ، وإن بها مقاتلة ورجالا غزاة ، فقال له
 لا بد لنا منها ، فقال له : اذهب إليها ، فصعد إليها في جيش ليحاصرها فرموه بحجر فقتلوه في الساعة
 الراحنة من بين الجيش كله ، فنضب عند ذلك الممستق وأمر بإحضار من في يديه من أسارى
 المسلمين ، وكأوا قريبا من ألفين ، فضربت أعناقهم بين يديه لعنه الله ، ثم كر راجعا . وقد دخلوا
 عين زربة قبل ذلك في الحرم من هذه السنة ، فاستأنه أهلها فأنهم وأمر بأن يسخروا لهم المسجد
 ومن بقي في منزله قتل ، فصاروا إلى المسجد كلهم ثم قال : لا يبين أحد من أهلها اليوم إلا ذهب
 حيث شاء ، ومن تأخر قتل ، فازدحوا في خر وجسم من المسجد فلت كثير منهم ، وخرجوا على
 وجوههم لا يدرون أين يذهبون ، فلت في الطرقات منهم خلق كثير . ثم هدم الجامع وكسر المنبر
 وقطع من حول البلد أربعين ألف نخلة ، وهدم سور البلد والمنازل المشار إليها ، وفتح حولها أربعة
 وخمسين حصنا بمضا بالسيف وبمضا بالأمان ، وقتل الملعون خلقا كثيرا ، وكان في جملة من أسر
 أبو فراس بن سعيد بن حمدان نائب منبج من جهة سيف الدولة ، وكان شاعرا مطبقا ، له ديوان شعر
 حسن ، وكان مدة مقامه بين زربة إحدى وعشرين يوما ، ثم سار إلى قيسرية فلقية أربعة آلاف
 من أهل طرسوس مع قائمها ابن الزيت ، قتل أكثرهم وأدرك صوم النصارى فاشتغل به حتى
 فرغ منه ، ثم هم على حلب بقتة ، وكان من أمره ما ذكرناه . وفيها كتبت العامة من الرافض
 على أبواب المساجد لعنة معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ، وكتبوا أيضا : ولعن الله من غصب
 بطيسة حقها ، وكانوا يملنون بأب بكر ومن أخرج العباس من الشورى ، يملنون عمر ، ومن نفى أباندر
 - يملنون عثمان - رضى الله عن الصحابة ، وعلى من لعنهم لعنة الله ، ولمنوا من منع من دفن الحسن
 عند جده يملنون مروان بن الحكم ، ولما بلغ ذلك جميعه من الدولة لم يشكروه ولم يغيروا ، ثم بلغه أن
 أهل السنة يحرقون ذلك وكتبوا غرضه لمن الله الظالمين لآل محمد من الأولين والآخرين ، والتصریح

باسم معاوية في اليمن ، فأمر بكتب ذلك ، فبحه الله وقبح شيمته من الروافض ، لا جرم أن هؤلاء لا ينصرون ، وكذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب فيه تشيع وميل إلى الروافض ، لا جرم أن الله لا ينصر أمثال هؤلاء ، بل يدل عليهم أعداءهم لمتابعتهم أهواءهم ، وتقليد ساداتهم وكبراءهم وآباءهم وتركهم أنبياءهم وعلماءهم ، ولهذا لما ملك الفاطميون بلاد مصر والشام ، وكان فيهم الرض وغيره ، استحوذ الفرنج على سواحل الشام وبلاد الشام كلها ، حتى بيت المقدس ، ولم يبق مع المسلمين سوى حلب وحمص وحماة ودمشق وبعض أعمالها ، وجميع السواحل وغيرها مع الفرنج ، والنواقيس النصرانية والقلوص الانجيلية تضرب في شواقي الحصون والقلاع ، وتكفر في أماكن الإيمان من المساجد وغيرها من شريف البقاع ، والناس معهم في حصر عظيم ، وضيق من الدين ، وأهل هذه المدن التي في يد المسلمين في خوف شديد في ليلهم ونهارهم من الفرنج ، فآثقه وإنا إليه راجعون . وكل ذلك من بعض عقوبات المعاصي والذنوب ، وإظهار سب خير الخلق بعد الأنبياء .

وفيها وقعت فتنة عظيمة بين أهل البصرة بسبب السب أيضاً ، قتل فيها خلق كثير وجم غفير . وفيها أعاد سيف الدولة بن حمدان بناء عين زربة ، وبعث مولاة فجا فتدخل بلاد الروم ، فقتل منها خلقا كثيراً وسبى جماعيتهم ، وهزم وسلم . وبعث حاجبه مع جيش طرسوس فدخلوا بلاد الروم فقتلوا وسبوا ورجعوا سالمين . وفيها فتح المزمز الفاطمي حصن طبرمين من بلاد المغرب . وكان من أحسن بلاد الفرنج . فتحه قسراً بعد محاصرة سبعة أشهر ونصف ، وقصد الفرنج جزيرة إقريطش فاستجد أهلها المزمز ، فأرسل إليهم جيشاً فاقصروا على الفرنج ولله الحمد والمنة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن محمد بن هارون ﴾

المهلبى الوزير لمزمز الدولة بن بويه ، مكث وزيراً له ثلاث عشرة سنة ، وكان فيه حلم وكرم وأناة ، حكى أبو إسحاق الصبائي قال : كنت يوماً عنده وقد جرى بدواة قد صنعت له ومرفع قد حليا له بحيلة كثيرة ، فقال أبو محمد الفضل بن عبد الله الشيرازي - صرا بيني وبينه - : ما كان أحسنى إليها لا يبعها وأتفع بها ، قلت : وأى شيء يتفع الوزير بها ؟ فقال : تسفل في خزانة ، فسمها الوزير - وكان مصغ لنا ولا نشعر - فلما أمسى بعث بالدواة إلى أبي محمد الشيرازي ومرقها وعشرة ثياب وخمسة آلاف درهم ، وأصطنع له غيرها . فاجتمعنا يوماً آخر عنده وهو يوم من تلك الدواة الجديدة ، فنظر إلينا فقال : من يريدنا منك ؟ قال : فاستحيينا وعلنا أنه قد سمع كلامنا ذلك اليوم ، وقلنا : يمنع الله الوزير بها . فبقيه ليهب لنا مثلها . توفي المهلبى في هذه السنة من أربع وستين سنة .

﴿ دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن ﴾

أبو محمد السجستاني الممثل ، سمع بخراسان وطهران وبغداد والبصرة والسكفة ومكة ، وكان من

ذوى اليسار والمشهورين بالبر والافضال ، وله صدقات جارية ، وأوقف داراً دائرة على أهل الحديث ببغداد وسجستان ، كانت له دار عظيمة ببغداد ، وكان يقول : ليس في الدنيا مثل ببغداد ، ولا في ببغداد مثل القطيعة ، ولا في القطيعة مثل دار أبي خلف ، ولا في دار أبي خلف مثل دارى . وصنف الدارقطلى له مسنداً . وكان إذا شك في حديث طرحة جملة ، وكان الدارقطلى يقول : ليس في مشايخنا أثبت منه ، وقد اتفق في ذوى العلم والحاجات أموالاً جزيلة كثيرة جداً ، اقترض منه بعض التجار عشرة آلاف دينار فاجبر بها ، فربح في مدة ثلاث سنين ثلاثين ألف دينار ، فزل منها عشرة آلاف دينار وجاء بها فأضافه دعليج ضيافة حسنة ، فلما فرغ من شأنها قال له : ما شأنك ؟ قال له : هذه عشرة آلاف دينار التي فضلت بها ، قد أحضرت . فقال : يا سبحان الله إني لم أعطكم الترددها فصل بها الأهل . فقال : إني قد ربحت بها ثلاثين ألف دينار فهنه منها . فقال له دعليج : اذهب بارك الله لك ، فقال له : كيف ينسج مالك لهذا ؟ ومن أين أغنت هذا المال ؟ قال : إني كنت في حادثة سنى أطلب الحديث ، فجاءنى رجل تاجر من أهل البحر فدفع إلى ألف ألف درهم ، وقال : أبحر في هذه ، فما كان من ربح فيبقى وبينك ، وما كان من خسارة فسل دونك ، وعليك عهد الله وميثاقه إن وجدت ذا حاجة أو خلة إلا سددتها من مالى هذا دون مالك ، ثم جاءنى فقال : إني أريد الركوب في البحر فان هلكت ظالم في نيك على ما شرطت عليك . فهو في يدى على ما قال . ثم قال لى : لا تخبر بها أحداً مدة حياتى . فلم أخبر به أحداً حتى مات . توفى في جمادى الآخرة من هذه السنة عن أربع أو خمس وتسعين سنة . رحمه الله .

(عبد الباقي بن قانع)

ابن مرزوق أبو الحسن الأموى مولاهم ، سمع الحارث بن أسامة ، وعنه الدارقطلى وغيره ، وكان ثقة أميناً حافظاً ، ولكنه تنير في آخر عمره . قال الدارقطلى : كان يخطئ ويصر على الخطأ ، توفى في شوال منها .

(أبو بكر النقاش المفسر)

محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر ، أبو بكر النقاش المفسر المقرئ ، مولى أبى دُجانة يملك بن خرشة ، أصله من الموصل ، كان عالماً بالتفسير والقرآيات ، وسمع الكثير في بلدان شتى عن خلق من المشايخ ، وحدث عنه أبو بكر بن مجاهد والخلدى وابن شاهين وابن زرقوه وخلق ، وآخر من حدث عنه ابن شاذان ، وتفرد بأشياء منكورة ، وقد وثقه الدارقطلى على كثير من خطئه ثم رجع عن ذلك ، وصرح بعضهم بتكذيبه والله أعلم . وله كتاب التفسير الذى سماه شفاء الصدور وقال بعضهم : بل هو مقام الصدور ، وقد كان رجلاً صالحاً في نفسه طابداً ناسكاً ، حكى من حضره وهو يجود بنفسه وهو يدور بدطاء ثم دفع صوته يقول (لئلا هذا فليعمل الماملون) يرددها ثلاث

مرات ثم خرجت روحه رحمه الله . توفي يوم الثلاثاء الثاني من شوال منها ودفن بداره بدار القطن .
محمد بن سعيد أبو بكر الحارثي الزاهد ، ويمر في ابن الضرير ، كان همة صالحا بدار . ومن كلامه :
دافعت الشهوات حتى صارت شهوتي المدافعة .

(ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة)

في عشر المحرم من هذه السنة أمر مزا الدولة بن بويه قبحة الله أن تطلق الأسواق وأن يلبس
النساء المسوح من الشعر وأن يخرجن في الأسواق حاسرات عن وجوههن ، فأشترت شعورهن
يلطمن وجوههن ينحن على الحسين بن علي بن أبي طالب ، ولم يمكن أهل السنة منع ذلك لكثرة
الشيعة وظهورهم ، وكون السلطان معهم . وفي عشر ذي الحجة منها أمر مزا الدولة بن بويه بإظهار
الزينة في بغداد وأن تفتح الأسواق بالليل كما في الأعياد ، وأن تضرب الدباب والبقوات ، وأن تشعل
النيران في أبواب الأمراء وعند الشرط ، فرحا بميد الفديرة - غدير خم - فكان وقتا عجيبا مشهودا ،
وبدعة شنيعة ظاهرة منكرة . وفيها أغارت الروم على الزها ، وقتلوا وأسروا ورجسوا موقرين ، ثم غارت
الروم بملكهم يقتلوه وولوا غيره ، ومات الهمستق أيضا ملك الأرمن واسمه النقفور ، وهو الذي أخذ
حلب وعمل فيها ما عمل ، وولوا غيره .

(ترجمة النقفور ملك الأرمن واسمه الهمستق)

الذي توفي في سنة ثنتين - وقيل خمس وقيل ست - وخمسين وثلاثمائة لارحه الله .

كان هذا الملبون من أخطأ الملوك قلبا ، وأشد كفرا ، وأقوام بأسا ، وأحدم شكوكا ، وأكثر
قتلا وقتالا للمسلمين في زمانه ، استحوذ في أيامه لعنه الله على كثير من السواحل ، وأكثرها انتزعا
من أيدي المسلمين قسرا ، واستمرت في يده قهرا ، وأضيفت إلى مملكة الروم قسرا . وذلك
لنقص أهل ذلك الزمان ، وظهور البدع الشنيعة فيهم وكثرة المصيان من الخلفاء والمام منهم ، وفشو
البدع فيهم ، وكثرة الرفض والتشيع منهم ، وقهر أهل السنة بينهم ، فلها أذيل عليهم أعداء
الاسلام ، فأنزعوا ما بأيديهم من البلاد مع الخوف الشديد ونكد العيش والفرار من بلاد إلى بلاد ،
فلا يبيتون ليلة إلا في خوف من قوارع الأعداء وطوارق الشرور المترددة ، فله المستعان . وقد ورد
حلب في مائتي ألف مقاتل بنتة في سنة إحدى وخمسين ، وجال فيها جولة : فمر من بين يديه صاحبها
سيف الدولة ففتحها الأمين عنوة ، وقتل من أهلها من الرجال والنساء مالا يملأه إلا الله ، وخرّب
دار سيف الدولة التي كانت ظهير حلب ، وأخذ أموالها وحواسنها وعددها وبدد شملها ، وفرق
عددها ، واستغفل أمر الملبون بها فآله وإنا إليه راجعون . وبات في الاجتهاد في قتال الاسلام
وأهله ، وجد في التشهير ، فالحكم لله على الكبير . وقد كان لعنه الله لا يدخل في بلد إلا قتل

المقاتلة وبقية الرجال ، وسوى النساء والأطفال ، وجعل جامعا اصطبلا لخيوله ، وكسر منبرها ، واستنكت مآذنها بخيل ورجله وطبوله . ولم يزل ذلك من دأبه ودينه حتى سلط الله عليه زوجته قتلته بجوارحها في وسط مسكنه : وأراح الله منه الاسلام وأهله ، وأزاح عنهم قيام ذلك الغمام ومزق شمله ، فله النعمة والافضل ، وله الحمد على كل حال . واتفق في سنة وفاته موت صاحب القسطنطينية . فتكاملت المسرات وحلصت الأمنية ، فالحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات وتذهب السيئات ، وبرحمته تغفر الزلات .

والمقصود أن هذا الهين - أبهى النغفور الملقب بالله مستق ملك الأرمن - كان قد أرسل قصيدة إلى الخليفة المطيع لله ، فظلمه له بعض كتابه ممن كان قد خذله الله وأذله ، وختم على صممه وقلبه وجعل على بصره عشاوة ، وصرفه عن الاسلام وأصله . يقتخر فيها بهذا الهين ، ويتعرض لسب الاسلام والمسلمين ، ويتوعد فيها أهل حوزة الاسلام بأنه سيملكها كلها حتى الحرمين الشريفين ، عما قريب من الأهوام ، وهو أفضل وأذل وأخس وأضل من الأنعام ، ويزعم أنه ينتصر لدين المسيح عليه السلام ابن البتول . وربما يمرض فيها بجناب الرسول عليه من ربه التحية والاكرام ، ودوام الصلاة مدى الأيام . ولم يبلغني عن أحد من أهل ذلك المصر أنه رد عليه جوابه ، إما لأنها لم تشتهر ، وإما لأنه أقل من أن يردوا خطابه لأنه كاللعان الجاحد . ونفس ظالمه قتل على أنه شيطان مارد . وقد انتفى الجواب عنها بعد ذلك أبو محمد بن حزم الظاهري : فأفاد وأجاد ، وأجاب عن بكل فعل باطل بالصواب والساد ، فبلى الله بالرحمة نراه . وجعل الجنة مثقله ومثواه .

وها أنا أذكر القصيدة الأرمنية المخنولة الملعونة ، وأتمها بالقرينة الاسلامية المنصورة الميمونة قال المرتد الكافر الأرمني على لسان ملكه لهنما الله وأهل ملتهم أجمعين أكتمين أبتمين أبصمين آمين يارب العالمين . ومن خط ابن عساكر كتبها ، وقد قلها من كتاب صلاة الصلوة للفرغاني :

من الملك الطهر المسيحي مالك * إلى خلف الأملاك من آل هاشم
إلى الملك الفضل المطيع أخى الملا * ومن يرتجى المعضلات العظام
أما سمعت أذنك ما أنا صانع * ولكن دهاك الوهن من قل حازم
فان تك عما قد تقلت فأنا * فاني عما همى غير قائم
نفورك لم يبق فيها - لو هنكم * وضمكم - إلا رسوم المعالم
فتحننا الثغور الأرمنية كلها * فتبين صدق كاليوث الضراغم
وفنن صلبنا الخيل تملك لهما * وتبلغ منها قضما لشكائم
إلى كل ثغر بالجزيرة أهل * إلى جند قسرينكم فالواعم

ملطية مع ميساط من بعد كركر • وفي البحر أضفاف الفتوح التواخم
 وبالحدث الحمراء جالت عساكري • وكيسوم بعد الجفري السالم
 وكل قد ذلقنا من أعزة أهلها • فصاروا لنا من بين عبد وخادم
 وسد سروج إذ خربنا بجمعنا • لتأرتبة قلعو على كل قائم
 وأهل الرها لا ذوا بنا ومحزوا • بتدليل مولى علاعن وصف آدمي
 وصبح رأس العين منا بطارق • ببيض غزوناها بضرب المجامع
 ودارا وميا فارقين وأزرنا • أذقناهم بالليل طعم الملاحم
 وافر يطش قد جازت إليها راكبي • على ظهر بحر مزبد متلاطم
 غزتهم أسرى وسيقت نساؤهم • ذوات الشهور المسبلات النواعم
 هناك فتحنا عين زربة عنوة • نعم وأبدنا كل طالع وظالم
 إلى حلب حتى استبحنا حريمها • وهدم منها سورها كل هادم
 أخذنا النساء ثم البنات نسوقهم • وصبياتهم مثل المئاليك خادم
 وقد فر عنها سيف دولة دينكم • ونصركم منا على رغم رافم
 وملنا على طرسوس ميلة حازم • أذقنا لمن فيها لحز الملاحم
 فكم ذات عز حرة علوية • منعمة الأطراف ربا المعاصم
 سبينا فسقنا خاضعات حواسرا • بنهر مهورة لا ولا حكم حاكم
 وكل من قتيل قد تركنا مجندلا • يصب دما بين الله والهبازم
 وكل وقفتي الدرب أفتت كما تسكم • وسقناهم قسراً كسوق البهائم
 وملنا على أرياحكم وحريمها • مدوخة نحت المجاج السوام
 فأقوت أعاليها وبذل رحبها • من الأتس وحشا بعد بيض نواعم
 إذا صاح فيها اليوم جالوبه الصدى • وأتبعه في الربيع نوح الحائم
 وإنطاك لم تبعد على وإني • سأقتنها يوماً بهتك المحارم
 ومسكن آياتي دمشق فاني • سأرجع فيها ملكتنا تحت خاتمي
 ومصر سأقتنها بسيفي عنوة • وآخذ أنوالها وبهائي
 وأجزى كافوراً بما يستحقه • بمشط ومقراض وقص محالج
 ألا شمروا يا أهل حندان فمروا • أتنكم جيوش الروم مثل التهام
 فان تهربوا تنجوا كراما وتسلوا • من الملك الصادي بقتل المسالم

كذاك نصبيين وموصلها إلى • جزيرة آفاني وملاك الأقدم
 سافنح سامرا وكوتا وعكبرا • وتكريتها مع ماردين العوام
 وأقتل أهلها الرجال بأسرها • وأغنم أموالا بها وحراثم
 الأفرورا بأهل بغداد ويلكم • فكلكم مستضعف غير رائم
 رضيتم بحكم الديلمى ورفضه • فصرتم عبيداً للعبيد الديلم
 ويا قاطن الرملات ويلكم ارجعوا • إلى أرض صنعا راعيين البهائم
 وعودوا إلى أرض الحجاز أذلة • وخلوا بلاد الروم أهل المكروم
 سائق جيوشا نحو بغداد سائراً • إلى باب طاق حيث دار القام
 وأحرق أعلاها وأهدم سورها • وأسبى ذرارها على رنم راغم
 وأحرق أموالا بها وأمرة • وأقتل من فيها بسيف النقام
 وأسرى بميشى نحو الأهواز مسرعا • لا حراز ديباج وخز السواسم
 وأشعلها نهباً وأهدم قصورها • وأسبى ذرارها كفضل الأقدم
 ومنها إلى شيراز والرى فاعلموا • خراسان قصرى والجيش بمحام
 إلى شمس بلغ بسدا وخواتها • وفرغاة مع مروها والحانم
 وسابور أهدمها وأهدم حصونها • وأوردعا يوما كيوم السائم
 وكرمان لا أنسى سجستان كلها • وكابلها الثاني وملاك الاعاجم
 أسير بمندى نحو بصرتها التي • لها بحر عجاج رائع متلازم
 إلى واسط وسط العراق وكوفة • كما كان يوما جندقا ذو الزمام
 وأخرج منها نحو مكة مسرعا • أجر جيوشا كالليالى السواجم
 فأملكها دعرا عزيزاً مسلماً • أقيم بها للحق كرمى عالم
 وأحوى فنجداً كلها وتهلها • وسراً واتهام منسج وقعاظم
 وأغزو بها كلها وزبيدها • وصنماها مع صعدة والتهائم
 فتركها أيضاً خراباً بلاصاً • خلاد من الأهلين أهل النائم
 وأحوى أموال البانين كلها • وما جمع القرماط يوم محارم
 أعود إلى القدس التي شرفت بنا • بزمكين ثابت الأصل قائم
 وأهل سربرى للسجود مظلماً • وتبقى ملوك الأرض مثل الخوام
 هنالك تغزو الأرض من كل مسلم • لكل نقي الدين أغلف زاعم

نصرنا عليكم حين جارت ولائكم • وأعلنتمو بالشركات العظم
 قضائكم بأعوا القضاء بدينهم • كبيع ابن يعقوب بيخس الدرهم
 عدو لكم يازوريشهد ظاهرا • وبالأفك والبرطيل مع كل قائم
 سأفتح أرض الله شرقا وغربا • وأنشر ديننا فصيلب بصاري
 فميسى علا فوق السموات حرشه • يفوز أقدى والآء يوم التخاصم
 وصاحبكم بالترب أودى به الثرى • فصار رقنا بين تلك الزمان
 تناولتم أصحابه بمد موته • يسب وقنف واثناك الحارم
 هذا آخرها لمن الله ظاهما وأسكنه النار ، يوم لا تنفع الظالمين معنرتهم ولمم الهنة ولمم سوء الدار
 يوم يدعو ظاهما ثيورا ويصلى نارا سميرا ، يوم يعض الظالم على يديه ، يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول
 سبيلا ، يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا ، لقد أضلني عن الله كرم بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان
 خذولا . إن كان مات كافرا

وهذا جوابها لأبي محمد بن حزم النقيب الظاهري الأندلسي قالما ارتجلا حين بلغت هذه المسموعة
 غضبا لله ولرسوله ولدينه كما ذكر ذلك من رآه ، فرحه الله وأكرم مشواه وغفر له خطيئه .

من الحصى لله رب العالم • ودين رسول الله من آل هاشم
 محمد الهادي إلى الله بالتقى • وبالرشد والأسلام أفضل قائم
 عليه من الله السلام مرندآ • إلى أن يوافي الحشر كل العوام
 إلى قائل بالأفك جهلا وضلة • عن التفتور المفتري في الاطام
 دعوت إماما ليس من أمرائه • بكفيه إلا كالرسوم الطواسم
 دهنه الدواهي في خلخته كما • دعت قبله الأملاك دم الدوام
 ولا محب من نكبة أو ملعة • تصيب الكريم الجود الاكرم
 ولو أنه في حال ماضى جنوده • لجرحتم منه موم الاراقم
 عسى عطفه لله في أهل دينه • تهجد منه دارسات المالم
 تغرتم بما لو كان فيكم حقيقة • لكان بفضل الله أحكم معام
 إذن لا عترتكم خجة عند ذكره • وأخرس منكم كل فاه مخاصم
 سلبناكم كرا فزتم بكرة • من الكرا أفضل الضماض الزمام
 فطرتم سرورا عند ذاك ونشوة • كفضل المبهين التناقص المتالم
 وما ذاك إلا في تضاعيف عقله • حريقا وصرف القهرم الملاحم

ولما تنازعنا الأمور نخاذلاً • ودانت لأهل الجبل دولة ظالم
 وقد شعلت فينا اختلاف فتنة • لبيدائهم مع تركهم والهلاك
 بكفر أبايهم وجحد حقوقهم • بين رفوه من حضيض البهائم
 وثبتهم على أطرافنا عند ذاك • ونوب لصوص عند غفلة قائم
 ألم تنتزع منكم بأعظم قوة • جميع بلاد الشام ضربة لازم
 ومصر وأرض القير وان بأسرها • وأندلساً قسراً بضرب الجاحم
 ألم تنتزع منكم على ضعف حالنا • صقلية في بحرها المتلاحم
 مشاهد تقديساتكم وبيوتها • لنا وبأيدينا على رغم راغم
 أما بيت لحم والقبة بعدها • بأيدي رجال المسلمين الأعظم
 وسركيسكم في أرض اسكندرية • وكرسيكم في القدس في أدراكم
 ضمنناكم قسراً برغم أنوفكم • وكرسى قسطنطينية في المعاد
 ولا بد من عود الجميع بأسره • إلينا بمن ظاهر متعاضد
 أليس يزيد حل وسط دياركم • على باب قسطنطينية بالصوارم
 وسلعة قد داسها بعد ذاك • بجيش تهاجم قد دوى بالضراغم
 وأخذناكم بالقلل مسجدنا الذي • بني فيكم في عصره المتقادم
 إلى جنب قصر الملك من دارملككم • ألا هذه حق صرامة صارم
 وأدى لهارون الرشيد ملككم • رفاة مغلوب وجزية غلام
 سلبناكم مصر شهود بقوة • حياتها الرحمن أرحم راحم
 إلى بيت يعقوب وأرباب دومة • إلى لجة البحر المحيط المحلوم
 فهل سرتهم في أرضنا قط جمعة • أبي الله ذاكم بإقايها المزامم
 فالسكم إلا الاماني وحدها • بضائع توكى تلك أحلام قائم
 رويداً بعد نحو الظلالة نورها • وسفر مغير وجوه الهوامم
 وحيثن تدرون كيف قراركم • إذا صدمتكم خيل جيش مصادم
 على سالف المعاديات مناوشكم • ليالي بئس في عداد الثنائم
 سبينم سبائا يحصر المددونها • وسبيكم فينا كقطر الغائم
 فلوراهم خلق عدها رام معجزا • وأنى يتمداد لرش الحائم
 بأبنا بنو حمدان وكثير صلتم • أراذل أجلس قصار المناصم

دعى وحجام سطونم عليهما • وما قدر مصاص دماء الحاجم
 فبلا على دميانة قبل ذلك أو • على محل أربا رماة الضراغم
 ليالى قادوكم كما اقتادكم • أقبال جرجان بجز الحلاقم
 وساقوا على رسل بنات ملوككم • سببا كما سبقت ظباء الصراثم
 ولكن سلوا عنا هر قلا ومن خلى • لكم من ملوك مكرمين قادم
 يخبركم عنا التنوخ وقيصر • ولكم قد سينامن نساء كراثم
 وعما فتحننا من منيع بلادكم • وعما أقنا فيكم من مآثم
 ودع كل نذل مفتر لآئمه • إماماً ولا ادعوى له بالتقدم
 فبهات سامرا وتكريت منكم • إلى جيل تلکم أماني هائم
 متى يثمنها الضيف ودونها • فظاثرها وحز الغلام
 تريدون بتداد سوقا جديدة • مسيرة شهر قننيق القوام
 علة أهل الزهد والعلم والتقى • ومنزلة يختارها كل عالم
 دعوا الزمة الصبياء عنكم فنونها • من المسلمين الفر كل مقاوم
 ودون دمشق جمع جيش كاله • سحائب طير يلتجى بالقوادم
 وضرب يلقي الكفر كل ملة • كما ضرب السكى ييض القوام
 ومن دون أكناف الحجاز جحافل • كقطر النجوم المائلات السوام
 بهامن بنى عدنان كل مبيع • ومن حى قحطان كرام العائم
 ولو قد لقيتم من قضاة كبة • لقيتم ضراماً فى يبيس المشائم
 إذا أصبحوكم ذكروكم بما خلى • لهم معكم من صادق متلاحم
 زمان يقودون الصوافن فحوكم • فقيتم ضماماً أنكم فى القنائم
 سيايكم منهم قريباً عصائب • تنسيكم تذكار أخذ العوام
 وأموالكم حل لهم ودمائكم • بهايشتنى حر الصدور الحوام
 وأرضيكم حقا سيقتمونها • كما فعلوا دهرآ بسدل المقاسم
 ولو طرقتم من خراسان عسبة • وشيراز والى الملاح القوام
 لما كان منكم عند ذلك غير ما • عهدنا لكم : ذل وعض الايام
 قد طللا زاروكم فى دياركم • مسيرة علم ياخيول الصوام
 فأما سجنستان وكرمان يا • أولى وكابل لحوان بلاد المرام

وفي فارس والسوس جمع عرمرم • وفي أصبهان كل أروع علم
 فلو قد أناكم جهم لعدوكم • فرائس كالآساد فوق البهائم
 وبالبصرة الفراء والكوفة التي • تمت وبآدى واسط بالظنم
 جموع تسامى الرمل عدداً وكثرة • فإ أحد طادوه منه بسالم
 ومن دون بيت الله في مكة التي • حباهما بجمد البرايا مراحم
 محل جميع الأرض منها تيقنا • محلة سفل الخلف من فص خاتم
 دطع من الرحمن عنها بمحقها • فاهو عنها رد طرف برائم
 بها وقع الأحبوش هلكى وفيلهم • بمحسباء طير في ذرى الجوحائم
 وجمع كجمع البحر ماض عرمرم • حتى بنية البطحاء ذات المحارم
 ومن دون قبر المصطفى وسط طيبة • جموع كسود من الليل فاحم
 يقودهم جيش الملائكة على • دطاعا ودفعاً عن مصبل وصائم
 فلو قد لقيناكم لعدنكم ومائماً • كما فرق الأعصار عظم البهائم
 وبالحين المنوع فتان غارة • إذا مالتوكم كنتم كللطاعم
 وفي جانبي أرض اليمامة عصبة • معاذر أمجاد طوال البراجم
 نستفيئكم والقرمطين دولة • تقووا بيمينون النقية سازم
 خليفة حق ينصر الدين حكاه • ولايتقى في الله لومة لائم
 إلى وفد العباس تنس جلوده • بفخر عيم مزبد الموج لاعم
 ملوك جرى بالنصر طائر سدهم • فأهلا بملضى منهم ويقادم
 محلمهم في مسجد القدس أولدى • منازل يشداد محل المكارم
 وإن كان من عليا عدى وتيمها • ومن أسد هذا الصلاح المضارم
 فأهلا وسهلاً ثم نعى ومرحبا • بهم من خيار سالفين أقادم
 هم نصرُوا الإسلام نصراً مؤزراً • وهم فتحو البلدان فتح الراغم
 رويداً فومد الله بالصدق وارد • بتجريح أهل الكفر طعم الملاقم
 سنفتح قسطنطينية وذواتها • ونجملكم فوق النور القعاشم
 ونفتح أرض الصين والمند عنوة • بجيش لأرض الترك والخزر حاطم
 مواعيد الرحمن فينا صحيحة • ولينت كآمال العقول السواقم
 ونملك أقصى أرضكم وبلادكم • ونلزمكم ظل الحر أو الناعم

إلى أن ترى الأسلام قد عم حكمه • جميع الاراضى بالجيش الصوارم
 أقرون ياخذول ديننا مثلنا • بعيداً عن المقول بأدى الماسم
 تدمن مخلوق يدين لتغيره • فيالك سحاً ليس يخفى لعالم
 أنجيلكم مصنوعة قد تشابهت • كلام الأولى فيها أتوا بالظلم
 وعود صليب مازالون سجناً • له ياقول الماسلات السوام
 تدننون تضلالا بصلب الحكم • يايدى يهود أرذلين لاسم
 إلى ملة الأسلام توحيد ربنا • فادين ذى دين لها يتقاوم
 وصدق رسالات الله جاء بالهدى • محمد الاقنى برفع الظالم
 وأذ عنت الأملاك طوعا لدينه • ببرهان صدق طاهر فى المواسم
 كادان فى صنعاء مالك دولة • وأهل عمان حيث رط الجهاضم
 وسائر أملاك اليمانيين أسلوا • ومن بلد البحرين قوم القهازم
 أجاوا لدين الله لا من غفافة • ولا رغبة بمغلى بها كف مادم
 فخوا عرى التيجان طوعا ورغبة • بحق يقين بالبراهين فاحم
 وحياه بالنصر المبكين لله • وصير من عداه تحت المناسم
 فقير وحيد لم تمنه عشيرة • ولا دفعوا عنه شقية شام
 ولا عنده مال عتيد لناصر • ولا دفع مرهوب ولا لاسالم
 ولا وعد الأنصار مالا يخصهم • بل كان مصوما لأقدر عاصم
 ولم تنهه قط قوة أسر • ولا مكنت من جسده يد ظالم
 كما يفترى إفكا وزورا وضلة • على وجه عيسى منكم كل لاطم
 على أنكم قد قتلوا هو ربكم • فيالضلال فى القيامة عثم
 أبى الله أن يدمى له ابن وصاحب • متلقى دعة الكفر حالة تادم
 ولكنه عبيد نبي رسول مكرم • من الناس مخلوق ولا قول زاعم
 أيلعلم وجه الرب ؟ تبا لدينكم • لقد قتم فى قولكم كل ظالم
 وكم آية أبدى النبي محمد • وكم علم أبداء للشرك حاطم
 تساوى جميع الناس فى نصرته • بل لكل فى إعطائه حال خادم
 ضرب وأحبوش وفرس وبربر • وكرديهم قد فاز قنح المراحم
 وقبط وانباط وخزر وديلم • وروم رموكم دونه بالقواصم

أبو كثر أسلاف لهم فتمنوا * فأبوا بحظ في السعادة لازم
 به دخلوا في ملة الحق كلهم * ودانوا لاحكام الاله الوازم
 به صح تفسير المنام القى أنى * به دانيال قبله ختم حاتم
 وهند وسند أسلوا وتدينوا * يدين الهدى رفض لدين الاعاجم
 وشقى له بدر السموات آية * وأشبع من صاع له كل طاعم
 وسالت عيون المادى وسط كنه * فأروى به جيشاً كثيراً همام
 وجاء بما تفضى القول بصدقه * ولا كضاء غير ذات قوائم
 عليه سلام الله ماخر شارق * تقبه ظلاء أسعم قاتم
 براهينه كالشمس لامثل قولكم * وتخليطكم في جوهر وأاتم
 لنا كل علم من قديم ومحدث * وأنتم حمير داميات الحازم
 أنتم بشر بارد متخاذل * ضيف ممالى النظم جم البلاءم
 فدوكتها كالقند فيه زمرد * ودر ويقوت باحكام حاكم

وفيه عزل ابن أبى الشوارب عن القضاء وهضت سجلاته وأبطلت أحكامه مدة أيامه ، وولى
 القضاء حوضه أبو بشر عمر بن أكرم بن رزق ، ورفع عنه ما كان يعمل ابن أبى الشوارب في كل سنة
 وفي ذى الحجة منها استسقى الناس لتأخر المطر - وظف في كاون الثاني - فلم يسقوا . وحكى ابن
 الجوزى في المنتظم عن ثابت بن سنان المورخ قال : حدثني جماعة من أثق بهم أن بعض بطارقة
 الأرمن أفند في سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة إلى ناصر الدولة بن حمدان رجلين من الأرمن
 ملتصقين ستهما خمس وعشرون سنة ، ملتحمين ومهما أبوهما ولهما سرتان وبعطان ومعدتان
 وجوعهما وربهما يختلفان ، وكان أحدهما يميل إلى النساء والآخر يميل إلى الطنان ، وكان يقع
 بينهما خصومة وتشاجر ، وربما يخلف الآخر لا يكلم الآخر فيمكث كذلك أياماً ثم يصطلحان ،
 وهبها ناصر الدولة أنى درهم وخلع عليهما وطمعها إلى الاسلام فيقال لهما أسلما . وأراد أن يبعثهما
 إلى بغداد ليراهما الناس ثم رجع عن ذلك ، ثم إنهما رجعا إلى بلدهما مع أبيهما فاعتل أحدهما ومات
 وأنتم ريعه وبقي الآخر لا يمكنه التخلص منه ، وقد كان اتصال ما بينهما من الغصيرين ، وقد كان
 ناصر الدولة أراد فصل أحدهما عن الآخر وجع الأطباء لذلك فلم يمكن ، فلما مات أحدهما حار أبوهما
 في فصله عن أخيه فاتفق اعتلال الآخر من غمه وتنت أخيه فات غما فدفنا جميعا في قبر واحد .

ومن توفي فيها من الأعيان عمر بن أكرم بن أحمد بن حيان بن بشر أبو بشر الأسدى ، ولد
 سنة أربع ومائتين ، وولى القضاء في زمن المطيع نياحة عن أبى السائب عتبة بن عبيد الله ،

ثم ولي قضاء القضاة ، وهو أول من ولي قضاء القضاة من الشافعية سوى أبي السائب ، وكان جيند السيرة في القضاء . توفي في ربيع الأول منها .

(ثم دخلت سنة ثلاث وخسين وثلاثمائة)

في عاشر المحرم منها علمت الرافضة عزاء الحسين كما تقدم في السنة الماضية فاقنتل الروافض وأهل السنة في هذا اليوم قتالا شديدا ، وانتهيت الأروال . وفيها عصى نجا غلام سيف الدولة عليه ، وذلك أنه كان في العام الماضي قد صادر أهل حران وأخذ منهم أموالا جزيلة فتمرد بها ونهب إلى أنز بيجان وأخذ طائفة منها من يد رجل من الأعراب يقال له أبو الورد ، وقتله وأخذ من أمواله شيئا كثيرا ، وقويت شوكته بسبب ذلك ، فصار إليه سيف الدولة فأخذه وأمر بقتله قتل بين يديه ، وألقيت جثته في الأنهار . وفيها جاء الهمستق إلى المصيصة فحاصرها وقب سورها فدافعه أهلها فأحرق رستاتها وقتل من حولها خمسة عشر ألفا وعلوا فسادا في بلاد أذنة وطرسوس ، وكر واجعا إلى بلاده . وفيها قصد معز الدولة الموصل وجزيرة ابن عمر فأخذ الموصل وأقام بها ، فراسله في الصلح صاحبها فاصطلحا على أن يكون الحل في كل سنة ، وأن يكون أبو تغلب بن ناصر الدولة ولي عهد أبيه من بعده ، فأجاب معز الدولة إلى ذلك ، وكر واجعا إلى بغداد بما جرت له خطوط كثيرة استقصاها ابن الأثير . وفيها ظهر رجل ببلاد الديلم وهو أبو عبد الله محمد بن الحسين من أولاد الحسين بن علي ، ويعرف بابن الراسي ، فالتف عليه خلق كثير ، ودعا إلى نفسه وتسعى بالمهدى ، وكان أصله من بغداد وعظم شأنه بتلك البلاد ، وهرب منه ابن الناصر المملوك . وفيها قصد ملك الروم وفي صحبته الهمستق ملك الأرمن بلاد طرسوس فحاصرها مدة ثم غلب عليهم الأسعار وأخذهم الوفاء فأت كثير منهم فكروا راجعين ، (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا) وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) وكان من عزهم يريدون أن يستعزفوا على البلاد الإسلامية كلها ، وذلك لسوء حكمائها وفساد عقائدهم في الصحابة فسلم الله ورجعوا خائبين . وفيها كانت وقعة الحنار ببلاد صقلية ، وذلك أنه أقبل من الروم خلق كثير ، ومن الفرنج ما يقارب مائة ألف ، فبعث أهل صقلية إلى المعز الفاطمي يستعجده ، فبعث إليهم جيوشا كثيرة في الأسطول ، وكانت بين المسلمين والمشركين وقعة عظيمة صبر فيها الفريقان من أول النهار إلى العصر ، ثم قتل أمير الروم موبل ، وفرت الروم وانهمزوا هزيمة قبيحة فقتل المسلمون منهم خلقا كثيرا وسقط الفرنج في واد من الماء عميق فغرق أكثرهم وركب الباقون في المراكب ، فبعث الأمير أحمد صاحب صقلية في آثارهم مراكب أخر قتلوا أكثرهم في البحر أيضا ، وغنموا في هذه الغزوة كثيرا من الأموال والحياوات والأمتعة والأسلحة ، فكانت في جملة ذلك سيف مكتوب عليه : هذا سيف هندی زقه مائة وسبعون مثقالا ، طال لما قوتل به بين يدي

رسول الله ﷺ ، فبشوا به في جملة نجف إلى المزمز الفاطمي إلى إفريقية . وفيها قصصت القرامطة مدينة طبرية ليأخذوها من يد الأخشيذ صاحب مصر والشام ، وطلبوا من سيف الدولة أن يمدم بحديد يتخنون منه سلاحاً ، فقلع لهم أبواب الرقة - وكانت من حديد صامت - وأخذ لهم من حديد الناس حتى أخذ أواق الباعة والأسواق ، وأرسل بذلك كله إليهم ، فأرسلوا إليه يقولون اكنفينا . وفيها طلب معز الدولة من الخليفة أن يأذن له في دخول دار الخلافة ليتفرج فيها فأذن له فدخلها ، فبست الخليفة خادمه وصاحبه معه فطافوا بها وهو مسرع خائف ، ثم خرج منها وقد خاف من غائلة ذلك وخشى أن يقتل في دهايلها ، فتصدق بمشرة آلاف لما خرج شكراً لله على سلامته ، وازداد حبا في الخليفة الطيع من يومئذ ، وكان في جملة ما رأى فيها من المجائب صنم من نحاس على صورة امرأة حسناء جدياً ، وحوها أصنام صفار في هيئة الخدم لما كان قد أتى بها في زمن المعتز فأقيمت هناك ليتفرج عليها الجوارى والنساء ، فهم معز الدولة أن يطلبه من الخليفة ثم ارتأى فترك ذلك .

وفي ذى الحجة منها خرج رجل بالكوفة فادعى أنه علوي ، وكان يتبرقع نفسى المتبرقع وغلظت فتلته وبعد صيته ، وذلك في غيبة معز الدولة عن بغداد واشتد له بأمر الموصل كما تقدم ، فلما رجع إلى بغداد اختفى المتبرقع وذهب في البلاد فلم يفتج له أمر بعد ذلك .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ بكار بن أحمد ﴾

ابن بكار بن بيان بن بكار بن درستويه بن عيسى القرى ، روى الحديث عن عبد الله بن أحمد وعنه أبو الحسن الحلي ، وكان ثقة أفرا القرآن أزيد من ستين سنة رحمه الله . توفى في ربيع الأول منها وقد جاوز السبعين وقارب الثمانين ، ودفن بمقبرة الخيزران عند قبر أبي حنيفة .

﴿ أبو إسحاق الجهمي ﴾

وفد سنة خمسين ومائتين ، وسمع الحديث وكان إذا سئل أن يحدث يقسم أن لا يحدث حتى يجاوز المائة فأمر الله نفسه وجاوزها فسمع . توفى عن مائة سنة وثلاثين سنة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ﴾

في عاشر المحرم منها عملت الشيعة مأتمهم وبدعتهم على ما تقدم قبل ، وغلقت الأسواق وعلقت المسوح ، وخرجت النساء سافرات ناضرات شعورهن ، ينحن ويطعن وجوههن في الأسواق والأزقة على الحسين ، وهذا تكاف لا حلية إليه في الاسلام ، ولو كان هذا أمراً محموداً لفعله خير القرون وصدر هذه الأمة وخيرتها وهم أولى به (لو كان خيراً ما سبقونا إليه) وأهل السنة يقتدون ولا يبتنعون ، ثم تسلمت أهل السنة على الرافض فكبسوا مسجدهم مسجد براكا الذي هو عرش الرافض وقتلوا بعض من كان فيه من القومة . وفيها في رجب منها جاء ملك الروم بميش كثيف إلى

المبيصة فأخذها قسراً وقتل من أهلها خلقاً ، واستاق بقيتهم مه أسارى ، وكاثوا قريباً من مائتي ألف إنسان ، فأنافه وإنا إليه راجعون . ثم جاء إلى طرسوس فسأل أهلها منه الأمان فأمنهم وأسلم بالجلد عنها والانتقال منها ، واتخذ مسجداً الأعظم اسطبلا غليوه وحرق المنبر وقل قتاده إلى كنائس بلده ، وتصر بعض أهلها معه لعنه الله . وكان أهل طرسوس والمبيصة قد أصابهم قبل ذلك بلاء وغلاء عظيم ، ووباء شديد ، بحيث كان يموت منهم في اليوم الواحد ثمانمائة نفر ، ثم دهمهم هذا الأمر الشديد فانتقلوا من شهادة إلى شهادة أعظم منها . وعزم ملك الروم على المقام بطرسوس ليكون أقرب إلى بلاد المسلمين ، ثم عن له فسار إلى القسطنطينية وفي خدمته المستق ملك الأرمن لعنه الله . وفيها جعل أمر تفسير الحجيج إلى قنصل الطالبيين وهو أبو أحمد الحسن بن موسى الموسوي ، وهو والد الرضى والمرضى ، وكتب له منشور بالثبابة والحجيج .

وفيها توفيت أخت من الدولة فركب الخليفة في طيارة وجاء لمزائه قبل من الدولة الأرض بين يديه وشكر سميح إليه ، وصدقاته عليه . وفي ثاني عشر ذي الحجة منها حملت الروافض عبيد خديرم على المائدة الجارية كما تقدم . وفيها تغلب على إنطاكية رجل يقال له رشيق النسيي بمساعدة رجل يقال له ابن الأهوازي ، وكان يضمن الطواحين ، فأعطاه أموالاً عظيمة وأطعمه في أخذ إنطاكية ، وأخبره أن سيف الدولة قد اشتغل عنه بما فارقه وهجز عن الرجوع إلى حلب ، ثم تم لهما ما راماه من أخذ إنطاكية ، ثم زكبا منها في جيوش إلى حلب فجزت بينهما وبين نائب سيف الدولة حروب عظيمة ، ثم أخذ البلد ونحصر النائب بالقلمة وجاءته فحمة من سيف الدولة مع غلام له اسمه بشارة ، فانهزم رشيق فسقط عن فرسه فابتدره بعض الأعراب فقتله وأخذ رأسه وجاء به إلى حلب ، واستقل ابن الأهوازي سائراً إلى إنطاكية ، فأقام رجلاً من الروم اسمه دزبر فسماه الأمير ، وأقام آخر من العلويين ليحمله خليفة وسماه الأستاذ . قصده نائب حلب وهو قرعويه فاقنتلا قتالا شديداً فهزمه ابن الأهوازي [واستقر بالناحية ، فلما عاد سيف الدولة إلى حلب لم يبق بها إلا ليلة واحدة حتى سار إلى إنطاكية فالتقاء ابن الأهوازي فاقنتلا قتالا شديداً ثم انهزم دزبر وابن الأهوازي] ^(١) وأمرأ فقتلها سيف الدولة .

وفيها فار رجل من القرامطة اسمه مروان كان يحفظ الطرقات لسيف الدولة ، فارتطمص فلكها وما حولها ، فقصده جيش من حلب مع الأمير بدر فاقنتلا معه فرماه بدر بسهم مسموم فأصابه ، واتفق أن أسر أصحاب مروان بدرأ فقتله مروان بين يديه صبراً ومات مروان بعد أيام وتفرق عنه أصحابه . وفيها عصى أهل مسجستان أميرهم خلف بن أحمد ، وذلك أنه حج في سنة ثلاث وخمسين

واستخلف عليهم طاهر بن الحسين ، قطع في الملك بعده واستمال أهل البلد ، فلما رجع من الحج لم يسلمه البلد وعصى عليه ، فذهب إلى بخارا إلى الأمير منصور بن نوح الساماني فاستجده ، فبعث معه جيشا فاستنجد البلد من طاهر وسلمها إلى الأمير خلف بن أحمد . وقد كان خلف عالماً محباً للعلماء . فذهب طاهر فجمع جموعاً ثم جاء فحاصر خلفاً وأخذ منه البلد . فرجع خلف إلى الأمير منصور الساماني فبعث معه من استرجع له البلد ثانية وسلمها إليه ، فلما استقر خلف بها وتمكن منها منع ما كان يخله من الهدايا والتحف والخلع إلى الأمير منصور الساماني ببخارا ، فبعث إليه جيشاً فتحصن خلف في حصن يقال له حصن إبراك ، فنازله الجيش فيه تسع سنين لم يقدر وا عليه ، وذلك لمناعة هذا الحصن وصوبته وحق خندقه وارتفاعه ، وسيأتي ما آل إليه أمر خلف بعد ذلك . وفيها قصدت طائفة من الترك بلاد الخزر فاستنجد أهل الخزر بأهل خوار زم فقالوا لهم : لو أسلمتم لنصرناكم . فأسلموا إلا ملكهم ، فقاتلوا معهم الترك فأجلوم عنها ثم أسلم الملك بعد ذلك وقلع الحمد والمئة .

ومن توفي فيها من الأعيان . (المتنبي الشاعر المشهور) أحمد بن الحسين بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفي الشاعر المعروف بالمتنبي ، كان أبوه يعرف بعبدان السقا وكان يسقي الماء لأهل الكوفة على بمر له ، وكان شيخاً كبيراً . وعبدان هذا قال ابن ما كولا والخطيب : هو بكسر العين المهمة وبمدح ياء مثناة من نحت ، وقيل بفتح العين لا كسرهما ، والله أعلم . كان مولد المتنبي بالكوفة سنة ست وثلثمائة ونشأ بالشام بالبادية فطلب الأدب ففاق أهل زمانه فيه ، ولزم جناب سيف الدولة بن حمدان وامتدحه وحظي عنده ، ثم صار إلى مصر وامتدح الأخشيدي ثم هجره وهرب منه ، وورد بغداد فامتدح بعض أهلها ، وقدم الكوفة وامتدح ابن العميد فوصله من جهته ثلاثون ألف دينار ، ثم سار إلى فارس فامتدح عضد الدولة بن بويه فأطلق له أموالاً جزيلة تقارب مائتي ألف درهم ، وقيل بل حصل له منه نحو من ثلاثين ألف دينار ، ثم دس إليه من يأسه أيما أحسن عطايا عضد الدولة بن بويه أو عطايا سيف الدولة بن حمدان ؟ فقال : هذه أجزل وفيها تكلف ، وتلك أقل ولكن عن طيب نفس من معطيها ، لأنها عن طبيعة وهذه عن تكلف . فذكر ذلك لعضد الدولة فتعظيم عليه ودس عليه طائفة من الأعراب فوقعوا له في أثناء الطريق وهو راجع إلى بغداد ، ويقال إنه كان قد هجر مقدمهم ابن فاتك الأسدي . وقد كانوا يقطعون الطريق . فلهمذا أوعز إليهم عضد الدولة أن يتعرضوا له فيقتلوه ويأخذوا له ما معه من الأموال ، فأتوا إليه ستون راكباً في يوم الأربعاء وقد بقي من رمضان ثلاثة أيام ، وقيل بل قتل في يوم الأربعاء لخمس بقين من رمضان ، وقيل بل كان ذلك في شعبان ، وقد نزل عند عين تحت شجرة أنجاص ، وقد وضعت سفرته ليتفدى ، ومعه ولده محسن وخمسة عشر غلاماً له ، فلما رآهم قال : هلموا يا وجوه العرب إلى القداء ، فلما لم يكلموه أحس بالشر فقهض إلى

سلاحه وخيله فتواقتوا ساعة قتل ابنه محسن وبعض غلمانة وأراد هو أن يهزم . فقال له مولى له : أين تنهب وأنت القاتل :

فأخيل والليل والبيداء تعرفني * والطنن والضرب والقرطاس والقلم

قال له : ويحك قتلتي ، ثم كر راجعا فطمنه زعيم القوم برمح في عنقه فقتله . ثم اجتمعوا عليه فطمنوه بالرمح حتى قتلوه وأخذوا جميع ما معه ، وذلك بالقرب من النعانية ، وهو آيـب إلى بغداد ، ودفن هناك وله من العمر ثمان وأربعون سنة . وذكر ابن عسـا كر أنه لما نزل تلك المنزلـة التي كانت قبل منزلته التي قتل بها ، سأله بعض الأعراب أن يعطيهم خمسين درهماً ويخبرونه ، ففزع الشح والكبر ودعوى الشجاعة من ذلك . وقد كان المتنبي جفا النسب صليبية منهم ، وقد ادعى حين كان مع بني كلب بأرض السـاوة قريبا من حمص أنه علوى ، ثم ادعى أنه نبي يوسى إليه ، فاتبـه جماعة من جهتهم وصفاتهم ، وزعم أنه أنزل عليه قرآن فن ذلك قوله : « والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفي خسار ، امض على سـلتك واقف أثر من كان قبلك من المرسلين ، فإن الله قانع بك من ألحد في دينه ، وضل عن سبيله » وهذا من خـلالاته وكثرة هنيائه وفشاره ، ولولزم قافية مدحه النافق بالثناق ، والهـياء بالكـتب والشقاق ، لكان أشعر الشعراء ، وأفصح النـصحاء ولكن أراد يجهله وقلة عقله أن يقول ما يشبه كلام رب العالمين الذي لو اجتمعت الجن والانس والخلائق أجمعون على أن يأتوا بسورة مثل سورة من أقصر سورة لما استطاعوا . ولما اشتهر خبره بأرض السـاوة وأنه قد التفت عليه جماعة من أهل النباوة ، خرج إليه فاقب حمص من جهة بني الأخشيد وهو الأمير لؤلؤ بيض الله وجهه ، فقاتله وشرده فقتله ، وأسر مـنموماً مدحوراً ، وسجن دهرآ طويلا ، فرض في السجن وأشرف على التلف ، فاستحضره واستتابه وكتب عليه كتابا اعترف فيه بطلان ما ادعاه من النبوة ، وأنه قد قاب من ذلك ورجع إلى دين الاسلام ، فأطلق الأمير سراحه فكان بعد ذلك إذا ذكر له هذا يمجده إن أمكنه وإلا اعتز منه واستنجا ، وقد اشتهر بلغة تـدل على كذبه فيما كان ادعاه من الافك والبهتان ، وهى لفظة المتنبي ، العالة على الكـتب وقلة الحمد والمنة وقد قال بعضهم بهجوه :

أى فضل لشاعر يطلب الا * فضل من الناس بكرة وعشيا

حاش حينما يبيع في الكوفة الما * وحينما يبيع ماء الحيا

وللمتنبي ديوان شعر مشهور ، فيه أشعار رائعة ومعان ليست بمسبوقه ، بل مبتكرة شائقة . وهو في الشعراء المحدثين كثرى القيس في المتقدمين ، وهو عندى كما ذكر من له خبرة بهذه الأشياء مع تقدم أمره : وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزى في منتظمه قطعاً رائعة استحسبها من شعره ، وكذلك الحافظ

ابن عساکر شيخ إقليبه ، فما استحسنه ابن الجوزى قوله :

عزيز آسى من داؤه الحق النجل • عياه به مات المحبون من قبل
فن شاء فلينظر إلى فنظري • نذير إلى من ظن أن الهوى سهل
جری جها مجرى دمی في مفاسلي • فأصبح لي من كل شغل بها شغل
ومن جسدی لم يترك السقم شجرة • فما فوقها إلا وفا له فصل
كأن رقيقاً منك مد مسامی • عن العنل حتى ليس يدخلها العنل
كأن سهاد الأيل يشق مقلی • فبينهما في كل هجر لنا وصل
ومن ذلك قوله :

كشفت ثلاث فوائب من شعرها • في ليلة فأرت ليالى أربما
واستقبلت قر الماء بوجهها • فأرتني الصبرين في وقت معا
ومن ذلك قوله :

ما نال أهل الجاهلية كلهم • شعري ولا سمعت بسعري بابل
وإذا أتتك منق من ناقص • فهي الشهادة لي بأني كامل
من لي بهم أهيل عصر يدعى • أن يحسب الهندي منهم بأقل
ومن ذلك قوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى • عدوا له ما من صداقته به
وله وإذا كانت النفوس كباراً • تعبت في مرادها الأجسام
وله ومن مصعب الدنيا طويلا تقلبت • على عيبيه يرى صدقها كنها
وله خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به • في طلعة الشمس ما يفنيك عن زحل
وله في مدح بعض الملوك :

تحصى الكواكب والأبصار شاخته • منها إلى الملك الميمون طأثره
قد حزن في بشرق ، تأجه قر • في درعه أسد تدعى أنظافره
حلو خلقاته شوس حقايقه • يحصى المحصى قبل أن تحصى آثاره
ومنها قوله : يامن أؤذ به فيما أؤمله • ومن أعوذ به بما أحاذره
لا يجير الناس عظماً أنت كسره • ولا يهينون عظماً أنت جابره

وقد بلغني عن شيخنا العلامة شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله أنه كان ينكر على المتلبي هذه المبالغة في مخلوق ويقول : إنما يصلح هذا لجناب الله سبحانه وتعالى . وأخبرني العلامة فحس

الدين بن القيم رحمه الله أنه سمع الشيخ تقي الدين المذكور يقول : ربما قلت هذين البيتين في السجود
أدعو الله بما تضمنناه من القل والخصوع . وما أوردته ابن عساكر للمتنبي في ترجمته قوله :

أبمين مقتر إليك وأيتنى * فأهنتني وقنفتني من حالي
لست الموم ، أنا الموم ، لأننى * أنزلت آمالي بنير الخالي

قال ابن خلكان : وهذان البيتان ليسا في ديوانه ، وقد عزاهما الحافظ الكندي إليه بسند
صحيح ومن ذلك قوله :

إذا ما كنت في شرف سروم * فلا تنزع بما دون النجوم
فظم الموت في أمر حقير * كظم الموت في أمر عظيم
وما أنا بالباقي على الحب رشوة * فبيع هوى يرجى عليه ثواب
إذا نلت منك الود فالكل حين * وكل الذى فوق التراب تراب

وقد تقدم أنه ولد بالكوفة سنة ست وثلثمائة ، وأنه قتل في رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة .
قال ابن خلكان : وقد تارق سيف الدولة بن حمدان سنة أربع وخمسين لما كان من ابن خالويه إليه ما
كان من ضربه إليه بفتاح في وجهه فأدماه ، فصار إلى مصر فامتدح كافور الأخشيذ وأقام عنده
أربع سنين ، وكان المتنبي يركب في جماعة من مماليك فتوم منه كافور فجأة ، غاف المتنبي فهرب ،
فأرسل في طلبه فأعجزه ، فقبل لكافور : ما هذا حتى تخافه ؟ فقال : هذا رجل أراد أن يكون نبياً بعد
محمد ، ألا يروم أن يكون ملكاً بديار مصر ؟ والملك أقل وأذل من النبوة . ثم صار المتنبي إلى عضد
الدولة فامتدحه فأعطاه ، إلا كثيراً ثم رجع من عنده ففرض له فاك ابن أبي الجهم الأسدي قتلته
وابنه محسن وغلامه ، فمات يوم الأربعاء لست بقين من رمضان وقيل ليلتين ، بسواد بغداد ، وقد
رثاه الشعراء ، وقد شرح ديوانه العلماء بالشعر والفتى فحواً من ستين شرحاً وجيزاً وبسيطاً .

ومن توفى فيها من الأعيان أبو حاتم البستي صاحب الصحيح .

(محمد بن حبان)

ابن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد أبو حاتم البستي صاحب الأنواع والتقايم ، وأحد الحفاظ
الكبار المصنفين المجتهدين ، رحل إلى البلدان وسمع الكثير من المشايخ ، ثم ولى قضاء بلده ومات
بها في هذه السنة وقد حاول بعضهم الكلام فيه من جهة معتقده ونسب إلى القول بأن النبوة
مكتسبة ، وهي نزعة فلفسية والله أعلم بصحة عزوها إليه وهلها عنه . وقد ذكرته في طبقات الشافعية

(محمد بن الحسن بن يقوب)

ابن الحسن بن الحسين بن مقسم أبو بكر بن مقسم المقرئ ، ولد سنة خمس ومائتين ، وسمع

الكثير من المشايخ ، روى عنه الدارقطني وغيره ، وكان من أعراف الناس بالقراءات ، وله كتاب في النحو على طريقة الكوفيين ، سماه كتاب الأنوار . قال ابن الجوزي : ما رأيت مثله ، وله تصانيف غيره ، ولكن تكلم الناس فيه بسبب فترده بقراءات لا تجوز عند الجميع ، وكان يذهب إلى أن كل مالا يخالف الرسم ويسوغ من حيث المعنى تجوز القراءة به كقوله تعالى (فلما استئشروا منه خلصوا فنجياً) أى يقتناجون . قال لوقري فنجياً من النجاة لكان قويا . وقد ادعى عليه وكتب عليه مكتوب أنه قد رجع عن مثل ذلك ، ومع هذا لم ينته عما كان يذهب إليه حتى مات . قاله ابن الجوزي .

(محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد ربه)

ابن موسى أبو بكر الشافعي ، ولد بمجبلان سنة ستين ومائتين ، وسمع الكثير ، وسكن بغداد ، وكان ثقة ثباتاً كثير الرواية ، سمع منه الدارقطني وغيره من الحفاظ ، وكان يحدث بفضايا الصحابة حين منعت الديلم من ذلك جهراً بالجامع بمدينة المنصور مخالفة لهم ، وكذلك بمسجده بباب الشام . توفي في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة رحمه الله تعالى .

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثلاثمائة)

في عاشر المحرم حلت الروافض بدعتهم الشنعاء وضالهم الصلحاء على عاداتهم ببغداد . وفيها أبلى القرامطة المجرمين من هان . وفيها قصدت الروم أمد لحاصر وهافل يقدرها عليها ، ولكن قتلوا من أهلها ثلثائة وأسرروا منهم أربع مائة ، ثم ساروا إلى نصيبين ، وفيها سيف الدولة فهم بالحرب مع العرب ، ثم تأخر مجيئ الروم فثبت مكانه وقد كادت ترتزل أركانه . وفيها وردت طائفة من جيش خراسان - وكاتوا بضمة عشر ألفا - يظهر أنهم يريدون غزو الروم ، فأكرمهم ركن الدولة بن بويه وأمنوا إليهم فنهضوا إليهم وأخذوا الديلم على غرة قاتلهم ركن الدولة فظفر بهم لأن البغلي مصرع وخيم وهرب أكرهم . وفيها خرج معز الدولة من بغداد إلى واسط لقتال عمران بن شاهين حين تفاقم الحال بشأنه ، واشتهر أمره في تلك النواحي ، أقوى المرض بمعز الدولة فاستجاب على الحرب ورجع إلى بغداد فكانت وفاته في السنة الآتية كما سذكركه - إلى حيث ألفت . وفيها قوى أمر أبي عبد الله ابن الفداي ببلاد الديلم وأظهر للنسك والعبادة ، ولبس الصوف وكتب إلى الآفاق حتى إلى بغداد يدعو إلى الجهاد في سبيل الله لمن سب أصحاب رسول الله ﷺ . وفي جمادى الآخرة نودي برفع الموارد الحشرية وأن ترد إلى ذوى الأرحام . وفيها وقع الفداء بين سيف الدولة وبين الروم فاستغنى عنهم أسارى كثيرة ، منهم ابن عمه أبو فراس بن سعيد بن حمدان ، وأبو الهيثم بن حصن القاضي ، وذلك في رجب منها . وفيها ابتداء معز الدولة بن بويه في بناء مارستان وأرسله أوقافاً جزيلة . وفيها قطعت بنو سليم السابلة على الحجيج من أهل الشام ومصر والمغرب ، وأخذوا منهم

عشرين ألف رجل بأحلامها ، وكان عليها من الأموال والأمتعة مالا يقدر كثرة ، وكان لرجل يقال له ابن الخواتمي قاضي طرسوس مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار عينا ، وذلك أنه أراد التحول من بلاد الشام إلى العراق بعد الحج ، وكنتك أراد كثير من الناس ، وحين أخفوا جالهم تركهم على برد الديار لا شيء لهم ، قتل منهم من سلم والآ كثر عطب ، فأن الله وإنا إليه راجعون . وحج بالناس الشريف أبو أحمد تقيب الطالبين من جهة العراق .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن داود ﴾

ابن علي بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو عبد الله العلوي الحسن . قال الحاكم : أبو عبد الله كان شيخ آل رسول الله ﷺ في عصره بخراسان وسيد العلوم في زمانه ، وكان من أكثر الناس صلاة وصدقة ومحبة للصحابة ، ومحبة سنة فاممته ذكر عثمان إلا قال : الشهيد ، ويبيكي . وما سمعته ذكر عائشة إلا قال : الصديقة بذت الصديقي ، حبيبة حبيب الله ، ويبيكي . وقد سمع الحديث من ابن خزيمة وطبقته ، وكان أباه بخراسان وفي سائر بلدانهم سادات نجباء حيث كانوا :

من آل بيت رسول الله منهم • لهم دانت رقاب بني معد

﴿ محمد بن الحسين بن علي بن الحسن ﴾

ابن يحيى بن حسان بن الواضح ، أبو عبد الله الأنباري الشاعر المعروف بالواضح ، كان يذكر أنه سمع الحديث من الحمالي وابن مخلد وأبي روق . روى عنه الحاكم شيئا من شعره كان أشعر من في وقته ، ومن شعره :

سقى الله باب الكرخ ربما ومنزلا • ومن حله صوب السحاب الجلل

فلو أن يأتى دمنة الدار بالكوى • وجازتها أم الرباب بمأسل

رأى عرصات الكرخ أو حل أرضها • لأمسك عن ذكر الدخول غومل

﴿ أبو بكر بن الجلابي ﴾

محمد بن عمر بن سلم بن البراء بن سبرة بن سيار ، أبو بكر الجلابي ، قاضي الموصل ، ولد في صفر سنة أربع وثمانين ومائتين ، سمع الكثير ونحجج بأبي العباس بن عقدة ، وأخذ عنه علم الحديث وشيئا من التشيع أيضا ، وكان حافظا مكثرا ، قال إنه كان يحفظ أربعمائة ألف حديث بأسانيدها ومتونها ، ويذكر بمائة ألف حديث . ويحفظ من المراسيل والمقاطيع والحكايات قريبا من ذلك ، ويحفظ أسماء الرجال وجرحهم وتسميتهم ، وأوقات وفياتهم ومنازلهم ، حتى تقدم على أهل زمانه ، وفق سائر أقرانه . وكان يجلس للاملاء فيزدحم الناس عنه منزله ، وإنا كان يملئ من حفظه إسناد

الحديث ومنته جيداً محرراً صحيحاً ، وقد نسب إلى التشيع كاستاذة ابن عقدة ، وكان يسكن بيباب البصرة مندم ، وقد مثل عنه الدارقطني فقال : خلط . وقال أبو بكر البرقاني : صاحب غرائب ، ومنه مرفوع في التشيع ، وقد حكى عنه قلة دين وشرب خمر فأنه أعلم . ولما احتضر أوصى أن تحرق كتبه فحرق ، وقد أحرق معها كتب كثيرة كانت عنده للناس ، فبئس ماعمل . ولما أخرجت جنازته كانت سكينه نائمة الرافضة تنوح عليه في جنازته .

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين وثلاثمائة ﴾

استهلّت هذه السنة والخليفة المطيع لله ، والسلطان معز الدولة بن بويه الهديلي . وفيها حلت الروافض في يوم عاشوراء عزاء الحسين على عادة ما ابتدعوه من النوح وغيره كما تقدم .

﴿ وفاة معز الدولة بن بويه الذي أظهر الرض ونصر عليه ﴾

ولما كان ثالث عشر ربيع الأول منها توفي أبو الحسن أحمد بن بويه الهديلي الذي أظهر الرض وقال له معز الدولة ، بلة القدر ، فصار لا يثبت في ممدته شيء بالكعبة ، فلما أحس بالموت أظهر التوبة وأتاب إلى الله عز وجل ، ورد كثيراً من المظالم ، وتصدق بكثير من ماله ، وأعتق طائفة كثيرة من مماليكه ، وعهد بالأمر إلى ولده بختيار عز الدولة ، وقد اجتمع ببعض العلماء فكلّمه في السنة وأخبره أن علياً زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطّاب ، فقال : والله ما سمعت بهذا قط ، ورجع إلى السنة ومتابعتها ، ولما حضر وقت الصلاة خرج عنه ذلك الرجل العالم فقال له معز الدولة : إلى أين تنهب ؟ فقال : إلى الصلاة فقال له ألا تصلي هنا ؟ قال : لا ، قال : ولم ؟ قال : لأن دارك مقصوبة . فاستحسن منه ذلك . وكان معز الدولة حليماً كريماً عاقلاً ، وكانت إحدى يديه مقطوعة ، وهو أول من أجرى الساعة بين يديه ليبيعت بأخباره إلى أخيه ركن الدولة سريعاً إلى شيراز ، وحظي عنده أهل هذه الصناعة وكان عنده في بغداد ساعيان ماهران ، وهما فضل ، وبرغوش ، يتمصب لهذا عوام أهل السنة ، ولهذا عوام أهل الشيعة ، وجرّت لهما مناصف ومواقف . ولما مات معز الدولة دفن بيباب التين في مقابر قرّيش ، وجلس ابنه لعمزاد . وأصاب الناس مطر ثلاثة أيام تباعاً ، وبمّث عز الدولة إلى رؤس الأمراء في هذه الأيام بال جزيل لتلاقي جميع الدولة على مخالفتها قبل استحكام مبايعته ، وهذا من دهائه ، وكان عمر معز الدولة ثلاثاً وخمسين سنة ، ومدة ولايته إحدى وعشرين سنة وإحدى عشر شهراً وبوين ، وقد كان نادى في أيامه برد الموارث إلى ذوى الأرحام قبل بيت المال وقد جمع بعض الناس ليلة توفي معز الدولة هاتفاً يقول :

لما بلغت أيا الحسين • مراد نفسك بالطلب

وأمنت من حدث ألياً • لي واحتجبت عن التوب

مات إليك يد الردى • وأخفت من بين الرتب

ولما مات قام بالأمر بعده ولد من الدولة فأقبل على الذهب والهبوالاشتغال بأمر النساء فتفرق
شمه واختلفت الكلمة عليه ، وطبع الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان في ملك بني
بويه ، وأرسل الجيوش الكثيرة لمحبة وشمكير ، فلما علم بذلك ركن الدولة بن بويه أرسل إلى ابنه
عضد الدولة وابن أخيه عز الدولة يستنجدهما ، فأرسلا إليه يجنود كثيرة ، فركب فيها ركن الدولة
وبعث إليه وشمكير يهدده ويوعده ، ويقول لئن قدرت عليك لأضربن بك ولأضربن ، فبعث إليه
ركن الدولة يقول : لكني إن قدرت عليك لأحسن إليك ولأضعفن عنك . فكانت الغلبة لهذا ،
فدفع الله عنه شره ، وذلك أن وشمكير ركب فرسا صعبا يتصيد عليها فحمل عليه خنزير ففترت منه
الفرس فألقته على الأرض ففرج الدم من أذنيه فمات من ساعته وتفرقت المساك . وبعث ابن
وشمكير يطلب الأمان من ركن الدولة فأرسل إليه بالمال والرجال ، ووفى بما قال من الاحسان ،
وصرف الله عنه كيد السامانية ، وذلك بصديق النية وحسن الطوية والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أبو الفرج الأصبهاني ﴾

صاحب كتاب الأغاني . واسمه علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن المهين بن عبد الرحمن بن مروان
ابن محمد بن مروان بن الحكم الأموي ، صاحب كتاب الأغاني وكتاب أيام العرب ، ذكر فيه ألفا
وسبعمائة يوم من أيامهم ، وكان شاعرا أدبيا كاتباً ، طلما بأخبار الناس وأيامهم ، وكان فيه تشيع . قال
ابن الجوزي : ومثله لا يؤثق به ، فانه يصرح في كتبه بما يوجب العشق ويهون شرب الخمر ، وربما
حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتاب الأغاني رأى فيه كل قبيح ومنكر ، وقد روى الحديث عن
محمد بن عبد الله بن بطين وخلق ، وروى عنه الدارقطني وغيره ، توفي في ذى الحجة من هذه السنة ،
وكان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين ، التي توفي فيها البحرى الشاعر ، وقد ذكر له ابن خلكان
مصنفات عديدة منها الأغاني والمزارات وأيام العرب . وفيها توفي .

﴿ سيف الدولة ﴾

أحد الأمراء الشجعان ، والملوك الكثيرى الاحسان ، على ما كان فيه من تشيع ، وقد ملك
دمشق في بعض السنين ، وأتق له أشياء غريبة ، منها أن خطيبه كان مصنف الخطب النبائية أحد
الفصحاء البلاء . ومنها أن شاعره كان المتنبي ، ومنها أن مظهره كان أبو نصر الفارابي . وكان سيف الدولة
كرما جواداً معطياً للجزيل . ومن شره في أخيه ناصر الدولة صاحب الموصل :

رضيت لك المليا ، وقد كنت أهلها • وقلت لهم : بيني وبين أخى فرق

وما كان لي منها نكول ، وإنما • تجاوزت من حق قم لك سبق

أما كنت ترضى أن أكون مصليا * إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق
وله قد جرى في جمعه دمه * قال لي كم أنت تظله
رد عنه الطرف منك * قد جرحته منك أسهمه
كيف تستطيع التجلد * من خطرات الوم توله

وكان سبب موته الفالج ، وقيل عسر البول . توفي بحلب وحمل تابوته إلى ميا قارقين فدفن بها ،
وعمره ثلاث وخمسون سنة ، ثم أظم في ملك حلب بسد ولده سيف الدولة أبو المالح الشريف ، ثم
تقلب عليه مولى أبيه قرعويه فأخرجه من حلب إلى أمه بيمقارقين ، ثم عاد إليها كما سيأتي . وذكر
ابن خلكان أشياء كثيرة مما قاله سيف الدولة ، وقيل فيه ، قال ولم يجتمع بيباب أحد من الملوك بعد
الخلفاء ما اجتمع بيبابه من الشراء ، وقد أجاز لجماعة منهم ، وقال : إنه ولد سنة ثلاث ، وقيل إحدى
وثلاثمائة وأبوه ملك حلب بسد الثلاثين والثلاثمائة ، وقبل ذلك ملك واسطا ونواحيها ، ثم تقلبت به
الأحوال حتى ملك حلب . انقضى عنها من يد أحمد بن سعيد الكلبي صاحب الأخشيد وقد قال يوماً :
أيكم يميز قولي وما أظن أحداً منكم يميز ذلك : لك جسي تله فدى لم تحله ؟ . فقال أبو فراس أخوه
بدية : إن كنت مالكا الأمر كله .

وقد كان هؤلاء الملوك رقة وهذا من أقبح القول . وفيها توفي

(كافور الأخشيد)

مولى محمد بن طنج الأخشيدى ، وقد قام بالأمر بسد مولاة لصفر ولده . تملك كافور مصر
ودمشق وقاده لسيف الدولة وغيره . وقد كتب على قبره .

أنظر إلى غير الأيام ما صنعت * أفنت قرونا بها كاتوا وما فنت
دنياهم فحكمت أيام دولتهم * حتى إذا فنت ناحت لهم وبكت

(أبو على القالى)

صاحب الأمالى ، إسماعيل بن القاسم بن عبيدون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان ،
أبو على القاضى القالى القنوى الأموى مولاهم ، لأن سليمان هذا كان مولى لعبد الملك بن مروان ،
والقالى نسبة إلى قالى قلا . ويقال إنها أردن الروم فله أعلم . وكان مولده بيمقارقين ، جزء من
أرض الجزيرة من ديار بكر ، وسمع الحديث من أبي يعلى الموصلى وغيره ، وأخذ النحو واللغة عن
ابن دريد وأبي بكر الأنبارى وفضلويه وغيرهم ، وصنف الأمالى وهو مشهور ، وله كتاب التاريخ
على حروف المعجم في خمسة آلاف ورقة ، وغير ذلك من المصنفات في اللغة ، ودخل بغداد وسمع
بها ثم ارتحل إلى قرطبة فدخلها في سنة ثلاثين وثلاثمائة واستوطنها ، وصنف بها كتباً كثيرة إلى أن

توفي بها في هذه السنة عن ثمان وستين سنة قاله ابن خلكان .

وفيهما توفي أبو علي محمد بن إلياس صاحب بلاد كرمان ومعاملها ، فأخذ عضد الدولة بن ركن الدولة بلاد كرمان ، من أولاد محمد بن إلياس - وم ثلاثة - اليسع ، وإلياس ، وسليمان ، والملك الكبير وفهمكير ، كما تقدم .

وفيهما توفي من الملوك أيضاً الحسن بن الفيرزان . فكانت هذه السنة محل موت الملوك مات فيها معز الدولة ، وكافور ، وسيف الدولة ، قال ابن الأثير : وفيها هلك كافور ملك الأرمين وبلاد الروم - يعني الممستق كما تقدم - .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ﴾

ففيها شاع الخبر ببغداد وغيرها من البلاد أن رجلاً ظهر يقال له محمد بن عبد الله وثقلب بالمهدى وزعم أنه الموعود به ، وأنه يدعو إلى الخير وينهى عن الشر ، ودعا إليه ناس من الشيعة ، وقالوا : هذا هارون من شيعتنا ، وكان هذا الرجل إذ ذاك مقبياً بمصر عند كافور الأخشيدي قبل أن يموت وكان يكرمه ، وكان من جملة المستحسنين له سبكتكين الحاجب ، وكان شيعياً فظنه عوايا ، وكتب إليه أن يقدم إلى بغداد ليأخذ له البلاد ، فترحل عن مصر فاصداً العراق فنلقاه سبكتكين الحاجب إلى قريب الأنبار ، فلما رآه عرفه وإذا هو محمد بن المستكني بالله البليسي ، فلما تحقق أنه عبادي وليس بعلوي انتفى رأييه فيه ، ففترق شمله وتمزق أمره ، وذهب أصحابه كل منذهب ، وحل إلى معز الدولة فأمته وسله إلى الطليع لله فجمع الله أمره واختفى أمره ، فلم يظهر له خير بالكلية بعد ذلك . وفيها وردت طائفة من الروم إلى بلاد أنطاكية قتلوا خلقاً من حواضرها وسبوا اثني عشر ألفاً من أهلها ورجعوا إلى بلادهم ، ولم يعرض لهم أحد . وفيها عملت الروافض في يوم عاشوراء منها المأثم على الحسين ، وفي يوم غدیر خم الهناء والسرور . وفيها في تشرين عرض للناس داء الماشري فأت به خلق كثير . وفيها مات أكثر جمال الحبيص في الطريق من العطش ، ولم يصل منهم إلى مكة إلا القليل ، بل مات أكثر من وصل منهم بعد الحج . وفيها أقتل أبو المعالی شريف بن سيف الدولة هو وخاله وابن عم أبيه أبو فراس في المعركة . قال ابن الأثير : ولقد صدق من قال : إن الملك عقيم .

وفيهما توفي من الأعيان أيضاً إبراهيم المتقي لله ، وكان قد ولي الخلافة ثم أُلجئ أن خلع من سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة إلى هذه السنة ، وألزم بيته فأت في هذه السنة ودفن ببلاده عن ستين سنة .

﴿ عمر بن جعفر بن عبد الله ﴾

ابن أبي السرى : أبو جعفر البصري الحافظ ولد سنة ثمانين ومائتين ، حدث عن أبي الفضل ابن الحباب وغيره ، وقد انتقد عليه مائة حديث وضعها . قال الفاروقني فنظرت فيها فإذا الصواب

مع عمر بن جعفر . (محمد بن أحمد بن علي بن مخلد)

أبو عبد الله الجوهري المحتسب ، ويعرف بابن الحرم ، كان أحد أصحاب ابن جرير الطبري ، وقد روى عن الكندي وغيره ، وقد اتفق له أنه تزوج امرأة فلما دخلت عليه جلس يكتب الحديث فقامت أمها فأخنت الفواة فرمت بها وثقات : هذه أضر على ابنتي من مائة ضرة . توفي في هذه السنة عن ثلاث وتسعين سنة ، وكان يصف في الحديث .

(كافور بن عبد الله الأخشيدي)

كان مولى السلطان محمد بن طنج ، اشتراه من بعض أهل مصر بثمانية عشر ديناراً ، ثم قربه وأدناه ، وخصه من بين الموالى واصطفاه ، ثم جعله أتابكاً حين ملك ولده ، ثم استقل بالأموال بعد موتها في سنة خمس وخمسين ، واستقرت المملكة باسمه فدعى له على المنابر بالديار المصرية والشامية والحجازية ، وكان شهياً شجاعاً ذكياً جيد السيرة ، مدحه الشراء ، منهم المنفى ، وحصل له منه مال ، ثم غضب عليه فجاء ورحل عنه إلى عضد الدولة ، ودفن كافور بقربه المشهورة به ، وقام في الملك بعده أبو الحسن علي بن الأخشيدي ، ومنه أخذ الفاطميون الأديعاء بلاد مصر كما سيأتي . ملك كافور ستين وثلاثة أشهر (ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة)

في عاشوراء منها عملت الروافض بدعتهم وفي يوم خم عملوا الفرح والسرور المبتدع على عاداتهم . وفيها حصل الفلاء العظيم حتى كاد أن يدمم الخبز بالكلية ، وكاد الناس أن يهلكوا . وفيها ثاث الروم في الأرض فساداً وحرقوا حصص وأفسدوا فيها فساداً عريضاً ، وسبوا من المسلمين نحو من مائة ألف إنسان فاقاه الله وإنا إليه راجعون . وفيها دخل أبو الحسين جوهر القائد الرومي في جيش كثيف من جهة المزمز الفاطمي إلى ديار مصر يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من شعبان فلما كان يوم الجمعة خطبوا للمزمز الفاطمي على منابر الديار المصرية وسائر أعمالها ، وأمر جوهر المؤذنين بالجوامع أن يؤذنوا بحمى على خير العمل ، وأن يجهز الأئمة بالتسليمة الأولى ، وذلك أنه لما مات كافور لم يبق بمصر من تجتمع القلوب عليه ، وأصابهم غلاء شديد أضعفهم ، فلما بلغ ذلك المزمز بث جوهر هذا - وهو مولى أبيه المنصور - في جيش إلى مصر . فلما بلغ ذلك أصحاب كافور هربوا منها قبل دخول جوهر إليها ، فدخلها بلا ضربة ولا طعنة ولا ممانعة ، ففعل ما ذكرنا ، واستقرت أيدي الفاطميين على تلك البلاد . وفيها شرع جوهر القائد في بناء القاهرة المزية ، وبناء القصرين عندها على ما نذكره . وفيها شرع في الامامات إلى مولاه المزمز الفاطمي . وفيها أرسل جوهر جعفر بن فلاح في جيش كثيف إلى الشام فالتقوا قتلاً شديداً ، وكان بمعشق الشريف أبو القاسم بن يعلى الهاشمي ، وكان مطاعاً في أهل الشام فحاجف عن العباسيين مدة طويلة ، ثم أكل الحال إلى أن يخطبوا للمزمز بمعشق ، وحمل الشريف أبو

القائم هذا إلى الديار المصرية ، وأمر الحسن بن طنج وجماعة من الأمراء وحملوا إلى الديار المصرية ، فحلمهم جوهر القائد إلى المز بافرقية ، واستقرت يد الفاطميين على دمشق في سنة ستين كما سيأتي وأذن فيها وفي نواحيها بجي على خير العمل أكثر من مائة سنة ، وكتب لعنة الشيعين على أبواب الجوامع بها ، وأبواب المساجد ، فآثقه وإنا إليه راجعون . ولم يزل ذلك كذلك حتى أزال ذلك دولة الإثراك والأكراد نور الدين الشهيد وصلاح الدين بن أيوب على ماسياني بيانه . وفيها دخلت الروم إلى حمص فوجدوا أكثر أهلها قد انجلوا عنها وذهبوا ، فحرقوها وأسروا ممن بقي فيها ومن حولها نحواً من مائة ألف إنسان ، فآثقه وإنا إليه راجعون . وفي ذى الحجة منها قتل عز الدولة والده ممز الدولة ابن بويه من داره إلى تربته بمقابر قرش .

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة)

في عاشر المحرم منها عملت الرافضة بدعتهم الشنماء فنقلت الأسواق وتمطلت الممايش ودارت النساء سافرات عن رجوهن ينمن على الحسين بن علي ويلطن وجوههن ، والمسوح معلقة في الأسواق والذين مدرور فيها . وفيها دخلت الروم إنطاكية فقتلوا من أهلها الشيوخ والمجانز وسبوا الصبايا والأطفال نحواً من عشرين ألفاً فآثقه وإنا إليه راجعون . وذلك كله بتدبير ملك الأرمن قنوقر لمنه الله ، وكل هذا في ذمة ملوك الأرض أهل الرض الذين قد استحوذوا على البلاد وأظهروا فيها الفساد قبحهم الله . قال ابن الجوزي : وكان قد تمرد وطفنا ، وكان هذا الخبيث قد تزوج بامرأة الملك الذي كان قبله ، ولهذا الملك المتقدم ابنان ، فأراد أن يخصبهما ويجهلها في الكنيسة لثلاث يصلحها بعد ذلك للملك ، فلما فهمت ذلك أمهما عملت عليه وسلطت عليه الأمراء فقتلوه وهو قائم وملكو عايتهم أكبر ولديها . وفي ربيع الأول صرف عن القضاء أبو بكر أحمد بن سيار وأعيد إليه أبو محمد بن معروف . قال ابن الجوزي : وفيها قصصت دجلة حتى غارت الأبار . وحج بالناس الشريف أبو أحمد النقيب ، واهض كوكب في ذى الحجة فأضات له الأرض حتى بقي له شعاع كالشمس ، ثم سمع له صوت كالرعد . قال ابن الأثير : وفي المحرم منها خطب للمز الفاطمي بدمشق عن أمر جعفر بن فلاح الذي أرسله جوهر القائد بعد أخذه مصر ، فقاتله أبو محمد الحسن بن عبد الله ابن طنج بالرملة فغلبه ابن فلاح وأسره وأرسله إلى جوهر فأرسله إلى المز وهو بافرقية . وفيها وقعت المنافرة بين ناصر الدولة بن حمدان وبين ابنة أبي تغلب ، وسببه أنه لما مات ممز الدولة بن بويه عزم أبو تغلب ومن واقته من أهل بيته على أخذ بغداد ، فقال لهم أبوهم : إن ممز الدولة قد ترك لولده عز الدولة أموالاً جزيلة فلا تقدرن عليه ما دامت في يده ، فاصبروا حتى ينقضها فانه مبدى ، فإذا أفلس فسبروا إليه فانكم تغلبونه ، فخذ عليه ولده أبو تغلب بسبب هذا القول ولم يزل بأبيه

حق سجنه بالقلمة ، فاختلف أولاده بينهم وصاروا أحزابا ، وضغفوا عما في أيديهم ، فبعث أبو تغلب إلى عز الدولة يضمن منه بلاد الموصل بألف ألف كل سنة ، واتفق موت أبيه ناصر الدولة في هذه السنة ، واستقر أبو تغلب بالموصل وملكها ، إلا أنهم فيها بينهم مختلفين متحاررين . وفيها دخل ملك الروم إلى طرابلس فأحرق كثيرا منها وقتل خلقا ، وكان صاحب طرابلس قد أخرجه أهلها منها لشدة ظله ، فأمرته الروم واستحوذوا على جميع أمواله وحواصله ، وكانت كثيرة جدا ، ثم مالوا على السواحل فملكوا ثمانية عشر بلدا سوى القرى ، وتنصر خلق كثير على أيديهم فانا لله وإنا إليه راجعون . وجاءوا إلى حمص فأحرقوا ونهبوا وسبوا ، ومكث ملك الروم شهرين يأخذ ما أراد من البلاد ويأمر من قدر عليه ، وصارت له نهاية في قلوب الناس ، ثم عاد إلى بلده ومعه من السبي نحو من مائة ألف مابين صبي وصبية ، وكان سبب عوده إلى بلاده كثرة الأمراض في جيشه واشتياقهم إلى أولادهم ، وبعث سرية إلى الجزيرة فنهبوا وسبوا ، وكان قرعويه غلام سيف الدولة قد استحوذ على حلب وأخرج منها ابن أستاذة شريف ، فسار إلى طرف وهي تحت حكمه فأبوا أن يمكنوه من الدخول إليهم ، فذهب إلى أمه بميافارقين ، وهي ابنة سعيد بن حمدان فكثت عندها حينئذ ثم سار إلى حمص فملكها ، ثم عاد إلى حلب بعد سنتين كما سيأتي ، ولما عاثت الروم في هذه السنة بالشام صانعهم قرعويه عن حلب ، وبعث إليهم بأموال وتحف ثم عادوا إلى إنطاكية فملكوها وقتلوا خلقا كثيرا من أهلها ، وسبوا عامة أهلها وركبوا إلى حلب وأبو المال شريف محاصر قرعويه بها ، فغافهم فهرب عنها فحاصرها الروم فأخذوا البلد ، وامتنعت القلعة عليهم ثم اصطلموها مع قرعويه على هدية ومال يحمله إليهم كل سنة ، وسلبوا إليه البلد ورجعوا عنه . وفيها خرج على المزدق الفاطمي وهو باقر بقة رجل يقال له أبو خزر فنهض إليه بنفسه وجنوده ، وطرده ثم عاد فاستأنه قبيل منه وصفح عنه وجاءه الرسول من جوهر يبشره بفتح مصر وإقامة الدعوة له بها ، ويطلبه إليها ، ففرح بذلك وامتنحه الشعراء من جملتهم شاعره محمد بن هاني قصيدة له أولها :

يقول بنو العباس قد فتحت مصر * قل لبي العباس قد قضى الأمر

وفيها رام عز الدولة صاحب بغداد محاصرة عمران بن شاهين الصياد فلم يقدر عليه ، فصلاه ورجع إلى بغداد . وفيها اصطلم قرعويه وأبو المال شريف ، فغلب له قرعويه بحلب وجميع معاملها فخطب للمز الفاطمي ، وكذلك حمص ودمشق ، ويخطب بمكة للطبيع بالله وللقرامطة ، وللمدينة للمز الفاطمي . وخطب أبو أحمد الموسوي بظاهرها للطبيع . وذكر ابن الأثير أن تغفور توفي في هذه السنة ثم صار ملك الروم إلى ابن الملك أقي قبله ، قال وكان يقال له الممنق ، وكان من أبناء المسلمين كان أبوه من أهل طرسوس من خيبر المسلمين يعرف بابن القنص ، فتنصر ولده هذا

وحظي عند النصارى حتى صار من أمره ما صار ، وقد كان من أشد الناس على المسلمين ، أخذ منهم بلائاً كثيرة عنوة ، من ذلك طرسوس والاذنة وعين زربة والمصيصة وغير ذلك ، وقتل من المسلمين خلقاً لا يحصى إلا الله ، وسبى منهم مالا يعلم عدتهم إلا الله ، وتصدروا أو غالبهم ، وهو الذى بعث تلك القصيدة إلى المطيع كما تقدم .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ محمد بن أحمد بن الحسين ﴾

ابن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله أبو علي الصواف ، روى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل وطبقته ، وعنه خلق منهم الدارقطني . وقال ما رأيت عيناً مثله في نحر بره ودينه ، وقد بلغ تسماً وبخاً بين سنة رحمه الله .

﴿ محارب بن محمد بن محارب ﴾

أبو العلاء الفقيه الشافعي من ذرية محارب بن دثار ، كان ثقة عالماً ، روى عن جعفر الفريابي وغيره .

﴿ أبو الحسين أحمد بن محمد ﴾

المروفي بابن القطان أحد أئمة الشافعية ، ثقة على ابن سريج ، ثم الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وتفرد برياسة المذهب بعد موت أبي القاسم الداراني ، وصنف في أصول الفقه وفروعه ، وكانت الرحلة إليه ببغداد ، ودرس بها وكتب شيئاً كثيراً . توفى في جهادى الأولى منها .

﴿ ثم دخلت سنة ستين وثلاثمائة ﴾

في طائر محرمها حملت الرافضة بدعتهم المحرمة على عاداتهم المتقدمة . وفي ذى القعدة منها أخذت القرامطة دمشق وقتلوا نائبها جعفر بن فلاح ، وكان رئيس القرامطة وأميرهم الحسين بن أحمد بن بهرام وقد أمده عز الدولة من بغداد بسلاح وعدد كثيرة ، ثم ساروا إلى الرملة فأخذوها وتحصن بها من كل باب من المغاربة نواباً . ثم إن القرامطة تركوا عليهم من يحاصرها ثم ساروا نحو القاهرة في جمع كثير من الأعراب والأخشيدة والكافورية ، فوصلوا عين شمس فاقبلتواهم وجنود جوهر القائد قتلاً شديداً ، والظفر للقرامطة وحصروا المغاربة حصراً عظيماً . ثم حملت المغاربة في بعض الأيام على مينة القرامطة فهزمتها ورجعت القرامطة إلى الشام فجندوا في حصار باقي المغاربة فأرسل جوهر إلى أصحابه خمسة عشر مراكباً ميرة لأصحابه ، فأخذتها القرامطة سوى مراكبهم أخذتها الأفرنج . وجرت خعاوب كثيرة . ومن شعر الحسين بن أحمد بن بهرام أمير القرامطة في ذلك :

زحمت رجال الغرب أتى هبتها * فدى إخن ما بينهم مطلوب

يا مصر إن لم أسق أرضك من دم * يروى تراك فلا سقائى النيل

وفيهما تزوج أبو تغلب بن حمدان بنت بختيار عز الدولة وعمرها ثلاث سنين على صدق مائة

ألف دينار ، ووقع العقد في صفر منها . وفيها استوزر مؤيد الدولة بن ركن الدولة صاحب أبا القاسم ابن عباد فأصلح أموره وساس دولته جيدا . وفيها أذن بدمشق وسائر الشام بحى على خير العمل . قال ابن عساكر في ترجمة جعفر بن فلاح نائب دمشق : وهو أول من تأمر بها عن الفاطميين ، أخبرنا أبو محمد الأصفهاني قال قال أبو بكر أحمد بن محمد بن شرام : وفي يوم الخميس لحس خلون من صفر من سنة ستين وثلاثمائة أعلن المؤذنون في الجامع بدمشق وسائر بلادهم ، وسائر المساجد بحى على خير العمل بمدحى على الفلاح ، أمرهم بذلك جعفر بن فلاح ، ولم يقدروا على مخالفته ، ولا وجدوا من المعارضة إلى طاعته بدا . وفي يوم الجمعة الثامن من جمادى الآخرة أمر المؤذنون أن يثنوا الأذان والتكبير في الإقامة مثنى مثنى . وأن يقولوا في الإقامة حى على خير العمل ، فاستعظم الناس ذلك وصبروا على حكم الله تعالى .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ سليمان بن أحمد بن أبوب ﴾

أبو القاسم الطبراني الحافظ الكبير صاحب المماجم الثلاثة : الكبير ، والأوسط ، والصغير . وله كتاب السنة وكتاب مسند الشاميين ، وغير ذلك من المصنفات المفيدة ، عمر مائة سنة . توفى بأصبهان ودفن على بابها عند قبر حمزة الصحابي . قاله أبو الفرج ابن الجوزى . قال ابن خلكان : سمع من ألف شيخ ، قال : وكانت وفاته في يوم السبت ليلتين بقيتا من ذى القعدة من هذه السنة وقيل في شوال منها ، وكان مولده في سنة ستين ومائتين فأتت وله من العمر مائة سنة .

﴿ الزها الشاعر أحمد بن السرى أبو الحسن ﴾ . الكندي الزها الشاعر الموصلى ، أروغ وفاته ابن الأثير في هذه السنة ، توفى في بغداد . وذكر ابن الجوزى أنه توفى سنة ثنتين وستين وثلاثمائة كما سيأتى . ﴿ محمد بن جعفر ﴾

ابن محمد بن الهيثم بن حران بن يزيد أبو بكر بن المنذر أصله أنبارى . سمع من أحمد بن الخليل ابن البرجلاني ، ومحمد بن العوام الرليحي ، وجعفر بن محمد الصائغ ، وأبي إسحاق الترمذى . قال ابن الجوزى وهو آخر من روى عنهم . قالوا : وكانت أصوله جيادا يحط أبيه ، وسبأه صحبها ، وقد اتفق عنه أبو عمر والبصري . توفى فجأة يوم طشوراء وقد جاوز التسعين .

﴿ محمد بن الحسن بن عبد الله أبو بكر الآجري ﴾

سمع جعفر الفرغاني ، وأبا شبيب الحراني ، وأبا مسلم الكجي وخلفا ، وكان ثقة صادقا دينيا ، وله مصنفات كثيرة مفيدة ، منها الأربعون الآجرية ، وقد حدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة ، ثم انتقل إلى مكة فأقام بها حتى مات بعد إقامته بها ثلاثين سنة رحمه الله .

﴿ محمد بن جعفر بن محمد ﴾

أبو عمرو الزاهد ، مجمع الكثير ورحل إلى الأقط المتباعدة ، ومجمع منه الحفاظ الكبار ، وكان فقيراً متقللاً يضرب الدين بقبور الفقراء ، وينتقوت برغيف وجزرة أو بصلة ، ويقوم الليل كله . توفي في جمادى الآخرة منها عن خمس وتسعين سنة .

﴿ محمد بن داود أبو بكر الصوفي ﴾

ويعرف باللقب أصله من الدينور أقام ببغداد ، ثم ارتحل وانتقل إلى دمشق ، وقد قرأ على ابن مجاهد ومجمع الحديث من محمد بن جعفر الخرائطي ، صاحب ابن الجلاء ، واللقاق . توفي في هذه السنة وقد جاوز المائة

﴿ محمد بن الفرحاني ﴾

ابن زروية المروزي الطبيب ، دخل بغداد وحدث بها عن أبيه بأحاديث منكدة ، روى عن الجنيد وابن مبرزوق ، قال ابن الجوزي : وكان فيه ظرف ولباقة ، غير أنهم كانوا يهيمونه بوضع الحديث .

﴿ أحمد بن الفتح ﴾

ويقال ابن أبي الفتح الخفائي ، أبو العباس النجاشي ، إمام جامع دمشق . قال ابن عساكر : كان طابلاً صالحاً ، وذكر أن جماعة جاؤا لزيارته فسمعوه يتأوه من وجع كان به ، فأفكروا عليه ذلك ، فلما خرج إليهم قال لهم : إن آه اسم من تستروح إليه الأعلى ، قال فراد في أعينهم وعظموه . قلت : لكن هذا الذي قاله لا يؤخذ عنه مسلماً إليه فيه ، بل يحتاج إلى نقل صحيح عن المعصوم ، فإن أسماه الله تعالى توفيقه على الصحيح .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة ﴾

في عشر المحرم منها عملت الروافض بدعتهم كما تقدم ، وفي المحرم منها أغارت الروم على الجزيرة وديار بكر قتلوا خلقاً من أهل الرها ، وساروا في البلاد كذلك يقتلون ويأسرون وينمنون إلى أن وصلوا نصيبين ففعلوا ذلك ، ولم يبق من تلك النواحي أبو تغلب بن جردان متروكاً شيئاً ، ولا دافع عنهم ولاه قوة ، فعند ذلك ذهب أهل الجزيرة إلى بغداد وأرادوا أن يدخلوا على الخليفة المطيع لله وغيره يستصرونه ويستمرخونه ، فرأى لهم أهل بغداد وجاؤهمهم إلى الخليفة فلم يمكنهم ذلك ، وكان يختار بين ممر الهولة مشغولاً بالصعيد فنهبت الرسل وراعه فبعث الحاجب سبكتكين يستنفر الناس ، فتهيئ خلق كثير من العامة ، وكتب إلى تغلب أن يعد الميرة والاقامة ، فأظهر السرور والفرح ، ولما تجهزت العامة للفرقة وقت بينهم فتنة شديدة بين الروافض وأهل السنة ، وأحرق أهل السنة دور الروافض في الكرخ وقالوا : الشر كله منكم ، وفارciarون ببغداد يأخذون أموال الناس ، وتناقض النقيب أبو أحمد الموسوي والوزير أبو الفضل الشيرازي ، وأرسل يختار بين ممر الهولة

إلى الخليفة يطلب منه أموالا يستعين بها على هذه الغزوة، فيمث إليه يقول : لو كان الخراج يجيئ إلى لدفت منه ما يحتاج المسلمون إليه ، ولكن أنت تصرف منه في وجوه ليس بالمسلمين إليها ضرورة وأما أنا فليس عندي شيء أرسله إليك . فتددت الرسل بينهم وأغلظ بختيار للخليفة في الكلام وتهدده فاحتاج الخليفة أن يحصل له شيئا فباع بعض ثياب بدنه وشيئا من أثاث بيته ، ونقض بعض مقوف داره وحصل له أربعمائة ألف درهم فصرفها بختيار في مصالح نفسه وأبطل تلك الغزاة ، فنقم الناس للخليفة وساءم ما فعل به ابن بويه الراضى من أخذه مال الخليفة وتركه الجهاد ، فلا جزاء الله خيرا عن المسلمين . وفيها تسم أبو تغلب بن حمدان قلعة مارددين فنقل حواصلها وما فيها إلى الموصل ، وفيها اصطلع الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان وركن الدولة بن بويه وابنه عضد الدولة على أن يحملوا إليه في كل سنة مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار ، وتزوج بابنة ركن الدولة ، فحمل إليه من الهدايا والتمتع مالا يعد ولا يحصى . وفي شوال منها خرج المعز الفاطمي بأهله وحاشيته وجنوده من المدينة المنصورة من بلاد المغرب فأصدا البلاد المصرية ، بعد ما مهد له مولاة جوهر أمرها وبني لها بها القصرين ، واستخلف المعز على بلاد المغرب ونواحيها وصقلية وأعمالها نوابا من جهته وحزبه وأنصاره من أهل تلك البلاد ، واستصحب معه شاعر محمد بن هاني الأندلسي ، فتوفي في أثناء الطريق ، وكان قدوم المعز إلى القاهرة في رمضان من السنة الآتية على ما سيأتي . وفيها حج بالناس الشريف أبو أحمد الموسوي النقيب على الطالبين كلهم .

وفيها توفي من الأعيان (سعيد بن أبي سعيد الجنابي)

أبو القاسم القرمطي المجري ، وقام بالأمر من بعده أخوه أبو يعقوب يوسف ، ولم يبق من سلالة أبي سعيد سواه (عثمان بن عمر بن خفيف)

أبو عمر القرطبي المعروف بالدرج ، روى عن أبي بكر بن أبي داود وعنه ابن زرقويه ، وكان من أهل القراءات والفقه والدراية والعبادة والسيرة الجليلة ، وكان يعد من الابدال . توفي يوم الجمعة في رمضان منها (علي بن إسحاق بن خلف)

أبو الحسين القنطاري الشاعر المعروف بالمراعي . ومن شعره :

قم فبن شاشتين • أصبعا مصطحبين • جمعا بعد فراق • فجما منه يبين
ثم عادا في سرور • من صدود آمنين • بهما روح ولكن • ركبت في بدنين

(أحمد بن سهل)

ابن شداد أبو بكر الحرشي ، جمع أبا خليفة وجعفر الفرياني ، وابن أبي الفوارس وابن جرير وغيرهم ، وعنه الدارقطني وابن زرقويه وأبو نسيم . وقد ضمنه البرقاني وابن الجوزي وغيرهم .

(ثم دخلت سنة ثنتين وستين وثلاثمائة)

في طائر محرما علمت الروافض من النياحة وتعليق الموح وغلق الأسواق ما تقدم قبلها . وفيها اجتمع الفقيه أبو بكر الرازي الحنفي وأبو الحسن علي بن عيسى الرمازي وابن الفدا الحنبلي بمر الدولة بختيار بن بويه وحرضوه على غزو الروم فبعث جيشاً لقتالهم فأظفروه الله بهم ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وبعثوا برؤسهم إلى بغداد فسكنت أفض الناس . وفيها سارت الروم مع ملكهم لحصار آمد وعليها هز مرد غلام أبي الهيثم بن حمدان ، فكتب إلى أبي تغلب يستنصره فبعث إليه أخاه أبا القاسم هبة الله ناصر الدولة بن حمدان ، فاجتمعا لقتاله فلقياه في آخر يوم من رمضان في مكان ضيق لا مجال للخييل فيه ، فاقتلوا مع الروم قتالا شديداً فزمت الروم على الفرار فلم يقدروا فاسترحبهم القتل وأخذ الدمستق أسيراً فأودع السجن فلم يزل فيه حتى مرض ومات في السنة الثالثة ، وقد جمع أبو تغلب الأطباء له فلم ينفعه شيء . وفيها أحرق الكرخ ببغداد وكان سببه أن صاحب الموقوفة ضرب رجلاً من العامة فمات فثار عليه العامة وجماعة من الأتراك ، فهرب منهم فدخل داراً فأخرجوه مسجوناً وقتلوه وحرقوه ، فركب الوزير أبو الفضل الشيرازي - وكان شديد التمسك بالنسب - وبعث حاجبه إلى أهل الكرخ فألقى في دودم النار فاحترقت طائفة كثيرة من الدور والأموال من ذلك ثلثمائة دكان وثلاثة وثلاثون مسجداً ، وسبعة عشر ألف إنسان . فهد ذلك عزله بختيار عن الوزارة وولاه أحمد بن بويه ، فتمسك الناس من ذلك ، وذلك أن هذا الرجل كان وضعياً عند الناس لحرمة الله ، كان أبوه فلاحاً بقرية كوثا ، وكان هو ممن ينجم عز الدولة ، كان يقدم له الطعام ويحمل منديل الزفر على كتفه ، إلى أن ولي الوزارة ، ومع هذا كان أشد ظمناً لقرية من التي قبله ، وكثر في زمانه الميكرؤون ببغداد ، وفسدت الأمور . وفيها وقع الخلاف بين عز الدولة وبين حاجبيه سيكتكين ثم اصطلحا على دخن . وفيها كان دخول المزمع الفاطمي الديار المصرية وصحبته توابيت آباءه ، فوصل إلى الإسكندرية في شعبان ، وقد تلقاه أعينان مصر إليها ، فخطب الناس هنالك خطبة بليغة ارتجالا ، ذكر فيها فضلهم وشرفهم ، وقد كتب يقال فيها : إن الله أغاث الرعايا بهم وبمولتهم . وحكى قاضي بلاد مصر وكان جالساً إلى جنبه فقال : هل رأيت خليفة أفضل مني ؟ فقال له لم أر أحداً من الخلفاء سوى أمير المؤمنين . فقال له : أحجبت ؟ قال نعم . قال : وزرت قبر الرسول ؟ قال : نعم . قال : وتبين أبي بكر وعمر ؟ قال تحجرت ما أقول فإذا ابنه المزمع كبار الأمراء قتل : شغلني عنهما رسول الله كما شغلني أمير المؤمنين عن السلام على ولي العهد من بعده ، ونهضت إليه وسلبت عليه ورجعت فانفسح المجلس إلى غيره . ثم سار من الإسكندرية إلى مصر فدخلها في الخامس من رمضان من هذه السنة فقول القهريين ، قيل : إنه لؤلؤ ما دخل إلى نخل ملكه خير مناجاة شكر الله

عز وجل ، ثم كان أول حكومة انتهت إليه أن امرأة كافور الأخشيدي ذكرت أنها كانت أودعت رجلا من اليهود الصواغ قباه من لؤلؤ منسوج بالذهب ، وأنه جعلها ذلك ، فاستحضره وقرره فجحد ذلك وأنكره . فأمر أن تحضر داره ويستخرج منها ما فيها ، فوجدوا القباء بعينه قد جعله في جرة ودفنه في بعض المواضع من داره ، فسلمه المزمز إليها ووفره عليها ، ولم يتعرض إلى القباء قدسنته إليه فأبى أن يقبله منها فاستحسن الناس منه ذلك . وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » .

وفيهما توفي من الأعيان (السري بن أحمد بن أبي السري) أبو الحسن الكندي الموصل ، الرضا الشاعر له مدائح في سيف الدولة بن حمدان وغيره من الملوك والأمراء ، وقد قدم بغداد فمات بها في هذه السنة ، وقيل في سنة أربع وقيل خمس وقيل ست وأربعمين . وقد كان بينه وبين محمد بن سعيد معاداة ، وادعى عليه أنه سرق شعره ، وكان مغنياً ينسج على ديوان كشاجم الشاعر ، وربما زاد فيه من شعر الخالدين ليكثر حجمه . قال ابن خلكان : والسري الرضا هذا ديوان كبير جدا وأنشد من شعره .

يلقى الندى برقيق وجه مسفر * فإذا التقى الجمعان عاد صفيقا
رحب المنازل ما أقام ، فزمرى * في جحش ترك القضاء مضيقا

(محمد بن هاني)

الأندلسي الشاعر استصحبه المزمز الفاطمي من بلاد القيروان حين توجه إلى مصر ، فمات ببعض الطريق ، وجد مقتولا على حافة البحر في رجب منها ، وقد كان قوى النظم إلا أنه كثره غير واحد من العلماء في مبالغته في مدحه الخلق ، فمن ذلك قوله يمدح المزمز :

ما شئت لاما شامت الأقدار * فاحكم فأنت الواحد القهار
وهذا من أكبر الكفر . وقال أيضاً قبحه الله وأخزاه :

* ولعللا زاحمت تحت ركابه جبريلا *

ومن ذلك قوله - قال ابن الأثير ولم أرها في شعره ولا في ديوانه - :

جل بزيادة جل المسيح * بها وجل آدم ونوح

جل بها الله ذو المال * فكل شيء سواء ربح

وقد اعترض عنه بعض المتعصبين له . قلت : هذا الكلام إن صح عنه فليس عنه اعتذار ، لا في الدار الآخرة ولا في هذه الدار . وفيها توفي .

(إبراهيم بن محمد)

ابن شجنونة بن عبد الله المزكي أحد الحفاظ أفق على الحديث وأهل أموال الجزية ، وأجمع

الناس بتخريجيه ، وعقد له مجلس للاملاء بليسا بور ، ورجل وصع من المشايخ غربا وشرقا ، ومن مشايخه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وكان يحضر مجلسه خلق كثير من كبار المحدثين ، منهم أبو العباس الأصم وأضرابه ، توفي عن سبع وستين سنة .

﴿ سميد بن القاسم بن خالد ﴾

أبو عمرو البردعي أحد الحفاظ ، روى عنه البارقي وغيره .

﴿ محمد بن الحسن بن كوثين علي ﴾

أبو بحر البرهاري ، روى عن إبراهيم الحربي وتمام والباغندي والكديمي وغيرهم ، وقد روى عنه ابن زرقويه وأبو نعيم وانتخب عليه الدارقطني ، وقال : اقتصرنا على ما خرجته له فقد اختلط صحيح سماعة بناسه . وقد تكلم فيه غير واحد من حفاظ زمانه بسبب تخليطه وغفلته واتهمه بعضهم بالكذب أيضا .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ﴾

فيها في عاشوراء عملت البدعة الشنماء على عادة الروافض ، ووقت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والرافضة ، وكلا الفريقين قليل عقل أو عديمه ، بعيد عن السداد ، وذلك أن جماعة من أهل السنة أركبوا امرأة ومعهما عائشة ، وتسمى بمضهم بطلمعة ، وبمضهم بالزبير ، وقالوا : نقاتل أصحاب علي ، قتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير ، وعاث العيارون في البلد فسادا ، ونهبت الأموال ، ثم أخذ جماعة منهم قتلوا وصلبوا فسكنت الفتنة . وفيها أخذ بخنيار بن ممر الدولة الموصل ، وزوج ابنته بآب أبي تغلب بن حمدان . وفيها وقعت الفتنة بالبصرة بين الديلم والأتراك ، فقويت الديلم على الترك بسبب أن الملك فيهم قتلوا منهم خلقا كثيرا ، وجبوسا رؤسهم ونهبوا كثيرا من أموالهم . وكتب عز الدولة إلى أهل إني سأكتب إليكم أني قدمت فإذا وصل إليكم الكتاب فأظهروا النوح واجلسوا لهزاء ، فإذا جاء سبكتكين لهزاء فقبضوا عليه فانه ركن الأتراك ورأسهم . فلما جاء الكتاب إلى بغداد بذلك أظهروا النوح وجلسوا لهزاء ففهم سبكتكين أن هذه مكيدة فلم يقر بهم ، وتحقق المداواة بينه وبين عز الدولة ، وركب من فوره في الأتراك فحاصر دار عز الدولة يومين ، ثم أنزل أهلها منها ونهب ما فيها وأحدرهم إلى دجلة وإلى واسط مننيين ، وكان قد عزم على إرسال الخليفة المطيع معهم ، فنوئل إليه الخليفة ففعا عنه وأقره بداره ، وقويت شوكة سبكتكين والأتراك ببغداد ، ونهبت الأتراك دور الديلم ، وخلع سبكتكين على رؤس العامة ، لأنهم كانوا معه على الديلم ، وقويت السنة على الشيعة وأحرقوا الكرخ . لأنه محل الرافضة - ثانيا ، وظهرت السنة على يدي الأتراك ، وخلع المطيع وولى ولده على ما سندر إن شاء الله تعالى .

﴿ خلافة الطالع وخلع المطيع ﴾

ذكر ابن الأثير أنه لما كان الثالث عشر من ذى القعدة ، وقال ابن الجوزى : كان ذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من ذى القعدة من هذه السنة ، خلع المطيع لله وذلك لفالج أصابه فنقل لسانه ، فسأله سبكتكين أن يخلع نفسه وبولى من بعده ولده الطالع ، فأجاب إلى ذلك فمقدت البيعة للطالع بدار الخلافة على يدي الحاجب سبكتكين ، وخلع أبوه المطيع بعد تسع وعشرين سنة كانت له في الخلافة ، ولكن تعوض بولاية ولده . واسم الطالع أبو بكر عبد الكريم بن المطيع أبي القاسم ، ولم يل الخلافة من اسمه عبد الكريم سواء ، ولا من أبوه حى سواء ، ولا من كنيته أبو بكر سواء وسوى أبى بكر الصديق رضى الله عنه . ولم يل الخلافة من بنى العباس أسن منه ، كان عمره لما تولى ثمانيا وأربعين سنة ، وكانت أمه أم ولد اسمها غيث ، قميش يوم ولى . ولما بويع ركب وعليه البردة وبين يديه سبكتكين والجليش ، ثم خلع من الفد على سبكتكين خلع الملوك ولقبه ناصر الدولة ، وعقد له الامارة . ولما كان يوم الأضحى ركب الطالع وعليه السواد ، فخطب الناس بعد الصلاة خطبة خفيفة حسنة . وحكى ابن الجوزى فى منتظمه أن المطيع لله كان يسمى بعد خلمه بالشيخ الفاضل .

﴿ ذكر الحرب بين المعز الفاطمى وبين الحسين بن أحمد الترمطى ﴾

لما استقر المعز الفاطمى بالديار المصرية وابتقى فيها القاهرة والتصرين وتأكد ملكه ، سار إليه الحسين بن أحمد الترمطى من الأحساء فى جمع كثيف من أصحابه ، والتف معه أمير العرب ببلاد الشام وهو حسان بن الجراح الطائى ، فى حرب الشام بكاملهم ، فلما سمع بهم المعز الفاطمى أسقط فى يده لكثرتهم ، وكتب إلى الترمطى يستنيله ويقول : إنما دعوة آياتك كانت إلى آياتى قديما ، فدعوتنا واحدة ، ويذكر فيه فضله وفضل آيائه ، فرد عليه الجواب : وصل كتابك الذى كثر تفضيله وقل تحصيله ونحن سائرون إليك على إثره والسلام . فلما انتهوا إلى ديار مصر عاؤا فيها قتلا ونهباً وفسادا وخلا المعز فيها يصنع وضعف جيشه عن مقاومتهم ، فهدل إلى المكيكة والخديمة ، فراسل حسان بن الجراح أمير العرب ووعده بمائة ألف دينار إن هو خفل بين الناس ، فبعث إليه حسان يقول أن ابست إلى بما التزمت وتعال بن مملك ، فاذا لقيتنا انهزمت بن مى فلا يبقى للترمطى قوة فتأخذنه كيف شئت . فأرسل إليه بمائة ألف دينار فى أكياسها ، ولكن أكثرها زغل ضد ب النحاس وألبسه ذهباً وجعله فى أسفل الأكياس ، وجعل فى رؤسها الدنانير اغلالة ، ولما بعثها إليه ركب فى إثرها فى جيشه فالتقى الناس فانهزم حسان بن معه ، فضعف جانب الترمطى وقوى عليه الفاطمى فكسره ، وانهزمت القرامطة ورجعوا إلى أذربط فى أذل حال وأرذله ، وبعث المعز فى آكازم القائد أبأ محمود بن إبراهيم فى عشرة آلاف فارس ، ليحسم مادة القرامطة ويطفىء نارهم عنه .

ذكر ملك المزمز الفاطمي دمشق وانزاعه إياها من الترامطة

لما انهزم القرمطي بعت المزمزية وأمر عليهم ظالم بن موهوب القميلي ، فجازا إلى دمشق فقتلها من الترامطة بعد حصار شديد واعتقل متوليها أبا الهيجاء القرمطي وابنه ، واعتقل رجلا يقال له أبو بكر من أهل نابلس ، كان يتكلم في الفاطميين ويقول : لو كن معي عشرة أسهم لزميت الروم بواحد ورميت الفاطميين بتسعة . فأمر به فسلخ بين يدي المزمز وحشى جلده قتنا وصلب بعد ذلك . ولما فرغ أبو محمود القائد من قتال الترامطة أقبل نحو دمشق فخرج إليه ظالم بن موهوب فتلقيه إلى ظاهر البلد وأكرمه وأنزله ظاهر دمشق ، فأفسد أصحابه في النوبة ونهبوا الفلاحين وقطعوا الطرقات ، فتحول أهل النوبة إلى البلد من كثرة النهب ، وجىء بجماعة من القتل فألقوا فكثرت الضجيج ، وغلقت الأسواق ، واجتمعت العامة للقتال ، والتقوا مع المغاربة فقتل من الفريقين جماعة وانهزمت العامة غير مرة ، وأحرقت المغاربة حامية باب الفراديس ، فاحترق شئ كثير من الأموال والدور ، وطال القتال بينهم إلى سنة أربع وستين وأحرقت البلد مرة أخرى بعد عزل ظالم بن موهوب وتولية جيش بن صصامة بن أخت أبي محمود فجهه الله ، وقطعت القنوات وسائر المياه عن البلد ، ومات كثير من الفقراء في الطرقات من الجوع والمطش ، ولم يزل الحال كذلك حتى ولي عليهم الظواشي ريان الخادم من جهة المزمز الفاطمي ، فسكنت النفوس والله الحمد .

فصل

ولما قويت الأتراك ببغداد بحير بختيار بن مزمز الدولة في أمره وهو مقيم بالأهواز لا يستطيع الدخول إلى بغداد ، فأرسل إلى عمه ركن الدولة يستنجده فأرسل إليه بسكر مع وزيره أبي الفتح بن العميد ، وأرسل إلى ابن عمه عضد الدولة بن ركن الدولة فأبطأ عليه وأرسل إلى عمران بن شاهين فلم يجبه ، وأرسل إلى أبي تغلب بن حمدان فأظهر نصره وإنما يريد في الباطن أخذ بغداد ، وخرجت الأتراك من بغداد في جحفل عظيم ومعهم الخليفة المطيع وأبوه ، فلما انتهوا إلى واسط توفي المطيع وبعد أيام توفي سبكتكين ، فغلا إلى بغداد والتف الأتراك على أمير يقال له الفسكين ، فاجتمع ثعلهم والتقوا مع بختيار فضعف أمره جدا وقوى عليه ابن عمه عضد الدولة فأخذ منه ملك العراق وتمزق شمله ، وتفرق أمره . وفيها خطب للمزمز الفاطمي بالحرمين مكة والمدينة النبوية . وفيها خرج طائفة من بني هلال وطائفة من العرب على الحجاج قتلوا منهم خلقا كثيرا ، وعطلوا على من بقي منهم الحج في هذا العام . وفيها انتهى تاريخ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة وأوله من سنة خمس وتسعين ومائتين ، وهي أول دولة المنتصر . وفيها كانت زلزلة شديدة بواسطة ، وحج بالناس فيها الشريف أبو أحمد الموسوي ، ولم يحصل لأحد حج في هذه السنة سوى من كان معه على درب

المراق ، وقد أخذ الناس على طريق المدينة قم حبيب .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ العباس بن الحسين ﴾

أبو الفضل السراجي الوزير لعز الدولة بختيار بن معز الدولة بن يويه ، وكان من الناصرين للسنة المتعصين لها ، عكس مذهبهم ، فزله وولى محمد بن بقة البلبا كما تقدم ، وحبس هذا قتل في محبسه في ربيع الآخر منها ، من تسع وخمسين سنة ، وكان فيه ظلم وحيف فآله أعلم .

﴿ وأبو بكر عبد العزيز بن جعفر ﴾

الفيقيه الحنبلي المعروف بفلام ، أحد مشاهير الخنابة الأعيان ، ومن صنف وناظر ، وسمع الحديث من أبي القاسم البغوي وطبقته ، ومات وقد عدا الثمانين . قال ابن الجوزي : وله المتع في مائة جزء ، والشافي في ثمانين جزء ، وزاد المسافر . والخلاف مع الشافعي وكتاب القولين ومختصر السنة ، وغير ذلك في التفسير والأصول .

﴿ علي بن محمد ﴾

أبو الفتح البستي الشاعر المشهور ، له ديوان جيد قوى ، وله في المطابقة والمجانسة اليد الطولى ، وميتكرات أولى . وقد ذكر ابن الجوزي له في منتظمه من ذلك قطعة كبيرة مرتبة على حروف المعجم ، من ذلك قوله :

إذا قمعت بيمسور من القوت * بقيت في الناس حراً غير محقوت
يا قوت بوى إذا مادر خلقت لى * فليست آسى على در وياقوت
وقوله : يا أيها السائل عن منهي * ليقتدى فيه بمنهاجى
منهاجى الحق وقع الهوى * فهل لمنهاجى من هاجى
وقوله : أفد طبعك المكدود بلجد زاحة * نجم ، وعلاه بشئ من المزح
ولكن إذا أعطيت ذلك فليكن * بمقدار ما تملى الطعام من الملح

﴿ أبو فراس بن حمدان الشاعر ﴾

له ديوان مشهور . استنابه أخوه سيف الدولة على حران ومنبج ، قاتل مرة الروم فأسرده ثم استنقذه سيف الدولة ، وافترق موته في هذه السنة عن ثمان وأربعين سنة ، وله شعر رائق ومعاتى حسنة ، وقد رثاه أخوه سيف الدولة فقال :

لأره رهن مصائب لا تنقض * حتى يوارى جسمه في رمسه
فوجل يلقى الردى في أهله * وسجل يلقى الأذى في نفسه
فلما قلما كان عنده رجل من العرب قال قل في مناعها قال الأعرابي :

من يتقى العمر فليتخذ • صبراً على قد أحياه .
ومن يمر يلق في نفسه • ما يتحناه لأعدائه
كذا ذكر ابن السامعي هذين البيتين من شعر سيف الدولة في أخيه أبي فراس ، وذكرها ابن
الجوزي من شعر أبي فراس نفسه ، وأن الأعرابي أجازهما بالبيتين المذكورين بعدهما . ومن شعر
أبي فراس :
سيفتدي قومي إذا جد جدم • وفي القيلة الظلماء يقتد البدر
ولوسد غيري ما سدت اكتفوا • به وما فعل النسر الرقيق مع الصقر
وقوله من قصيدة :

إلى الله أشكو إتنا بمنازل • تحكم في آسادهن كلاب
فليتك تملو والحياة حريرة • وليتك ترضى والاثام غضاب
وليت القى بيني وبينك عامر • وبينى وبين المالين خراب
ثم دخلت سنة أربع وستين وثلاثمائة

فيها جاء عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه إلى واسط ومعه وزير أبيه أبو الفتح بن العميد ،
فهرب منه الفتيكين في الأتراك إلى بغداد ، فسار خلفهم قتل في الجانب الشرقي منها ، وأمر بختيار
أن يتزل على الجانب الغربي ، وحصر الترك حصراً شديداً ، وأمر أمراء الأعراب أن ينفذوا على
الأطراف ويقطعوا عن بغداد الميرة الواصلة إليها ، فقلت الأسعار وامتنع الناس من المعاش من
كثرة العيارين والنهب ، وكيس الفتيكين البيوت لطلب الطعام واشتد الجال ، ثم التفت الأتراك
وعضد الدولة فكسروهم وهربوا إلى تكريت واستحوذ عضد الدولة على بغداد وما والاها من
البلاط ، وكانت الترك قد أخرجوا معهم الخليفة فردة عضد الدولة إلى دار الخلافة مكرماً ، ونزل هو
بدار الملك وضمف أمر بختيار جداً ، ولم يبق معه شيء بالسكية ، فأغلق بابه وطرده الحجة والكتاب
من بابه واستغنى عن الامارة ، وكان ذلك بمشورة عضد الدولة ، فاستعطفه عضد الدولة في الظاهر ،
وقد أشار عليه في الباطن أن لا يقبل فلم يقبل . وترددت الرسل بينهما فغصم بختيار على الامتناع
ظاهراً ، فأزم عضد الدولة بنفسه وأظهر للناس أنه إنما يضل هذا عجزاً منه عن القيام بأعباء الملك
فأمر بالقبض على بختيار وعلى أهله وأخوته ، فرح بنفسه الخليفة الطائع ، وأظهر عضد الدولة من
تظيم الخلافة ما كان دارساً ، وجدد دار الخلافة حتى صار كل عمل منها آتسماً ، وأرسل إلى الخليفة
بالأموال والأتمعة الحسنة المزينة وقتل المفسدين من مرقة الترك وشطار العيارين .
قال ابن الجوزي : وفي هذه السنة عظم البلاد بالعيارين ببغداد ، وأحرقوا سوق باب الشعير ،
وأخذوا أموالاً كثيرة ، وركبوا الخيول وتلقبوا بالقواد ، وأخذوا الخمر من الأسواق والمزوب ،

وعظمت الخنة بهم جدا واستفحل أمرهم ، حتى أن رجلا منهم أسود كان مستضعفا نجح فيهم وكثر ماله حتى اشترى جارية بألف دينار ، فلما حصلت عنده حاولها عن نفسها فأبت عليه فقال لها : ماذا تكرهين مني ؟ قالت : أكرهك كلك . فقال : فأتجعين ؟ قالت تبيعني . فقال : أو خير من ذلك ؟ فحملها إلى القاضي فأعتقها وأعطاه ألف دينار وأطلقها ، فتسحب الناس من حله وكرمه مع فسقه وقوته . قال : وورد الخبر في الحرم بأنه خطب للمز الفاطمي بمكة والمدينة في الموسم ، ولم يخطف للطنائع . قال : وفي رجب منها غلت الأسمار ببغداد حتى بيع الكر الدقيق الحواري بمائة ونيف وسبعين دينارا . قال : وفيها اضمحل أمر عضد الدولة بن بويه وتفرق جنده عنه ولم يبق معه سوى ببغداد وحدها ، فأرسل إلى أبيه يشكو له ذلك ، فأرسل يومه على الفدر بان عه بختيار ، فلما بلغه ذلك خرج من بغداد إلى فارس بعد أن أخرج ابن عه من السجن وخلع عليه وأعاده إلى ما كان عليه ، وشرط عليه أن يكون نائبا له بالعراق يخطف له بها ، وجعل معه أخاه أبا إسحاق أمير الجيوش لضعف بختيار عن تدبير الأمور ، واستمر ذاهبا إلى بلاده ، وذلك كله عن أمر أبيه له بذلك ، وغضبه عليه بسبب غدره بان عه وتكرار مكاتباته فيه إليه . ولما سار ترك بعده وزير أبيه أبا الفتح بن العميد ، ولما استقر عز الدولة بختيار ببغداد وملك العراق لم يف لابن عه عضد الدولة بشئ مما قال ، ولما كان التزم ، بل تمادى على ضلاله القديم ، واستمر على مشبه الذي هو غير مستقيم ، من الرضى وغيره .

قال : وفي يوم الخميس لشرخون من ذى القعدة تزوج الخليفة الطائع شاه باز بنت عز الدولة على صداق مائة ألف دينار ، وفي سابع ذى القعدة عزل القاضي أبو الحسن محمد بن صالح بن أم شيخان وقلعه أبو محمد معروف . وإمام الحج فيها أصحاب الفاطمي ، وخطب له بالحرمين دون الطائع وأله سبحانه أعلم .

(ذكر أخذ دمشق من أيدي الفاطميين)

ذكر ابن الأثير في كتابه أن الفتيكين غلام معز الدولة الذي كان قد خرج عن طاعته كما تقدم ، والتف عليه عساكر وجيوش من الديلم والترك والأعراب ، نزل في هذه السنة على دمشق ، وكان عليها من جبة الفاطميين ريان الخادم ، فلما نزل بظواهرها خرج إليه كبراء أهلها وشيوخها فذكروا له مام فيه من الظلم والغش وخالفه الاعتقاد بسبب الفاطميين ، وسألوه أن يصمم على أخذها ليستقدها منهم ، ففند ذلك صمم على أخذها ولم يزل حتى أخذها وأخرج منها ريان الخادم وكسر أهل الشربها ، ورفع أهل الخيل ، ووضع في أهلها السبل وقع أهل اللحم والهو ، وكف أيدي الأعراب الذين كانوا قد علوا في الأرض فسادا ، وأخذوا عملة المرج والنوطة ، ونهبوا أهلها . ولما استسلمت للأموار على يديه وصلح أمر أهل الشام كتب إليه المز الفاطمي يشكر سمية ويطلبه إليه

ليخلع عليه ويجهله فأقبيا من جهته ، فلم يجبه إلى ذلك ، بل قطع خطبته من الشام وخطب لطلائع
العباسي ، ثم قصد صيدا وبها خاق من المناربة عليهم ابن الشيخ ، وفيهم ظالم بن موهوب العقيلي الذي
كان نائباً على دمشق للمز الفاطمي ، فأساء بهم السيرة ، فخاصهم ولم يزل حتى أخذ البلد منهم ، وقتل
منهم نحو من أربعة آلاف من سراتهم ، ثم قصد طبرية ففعل بأهلها مثل ذلك ، فعند ذلك عزم المز
الفاطمي على المسير إليه ، فبينما هو يجمع له العساكر إذ توفي المز في سنة خمس وستين كما سيأتي ، وقام
بمعه ولده المزب ، فاطمان عند ذلك الفتكين بالشام ، واستفعل أمره وقويت شوكته ، ثم اتفق أمر
المصريين على أن يمشوا جوهر القائد لقتاله وأخذ الشام من يده ، فعند ذلك حلف أهل الشام
لأفتكين أنهم معه على الفاطميين ، وأنهم فاصحون له غير تاركيه وجاء جوهر فحصر دمشق سبعة أشهر
حصرًا شديدًا ورأى من شجاعة الفتكين ما بهره ، فلما طال الحال أشار من أشار من الدماشق على
الفتكين أن يكتب إلى الحسين بن أحمد الترمطي وهو بالحساء ، ليجي إليه ، فلما كتب إليه أقبل
لنصره ، فلما سمع به جوهر لم يمكنه أن يبقى بين عدوين من داخل البلد وخارجها ، فارتحل قاصدا
الرملة فنبهه الفتكين والترمطي في نحو من خمسين ألفا ، فتواقفوا عند نهر الطواحين على ثلاث فراسخ
من الرملة ، وحصروا جوهر بالرملة فضايق حاله جدا من قلة الطعام والشراب ، حتى أشرف هو ومن
معه على الهلاك ، فسأل من الفتكين على أن يجمع هو وهو على ظهور الخيل ، فأجابه إلى ذلك ، فلم
يزل يترقب أن أن يطلقه حتى يذهب بمن معه من أصحابه إلى أستاذة شاكراً له ثنيا عليه الخير ،
ولا يسمع من الترمطي فيه . وكان جوهر داهية - فأجابه إلى ذلك فقدمه الترمطي وقال : الرأي أنا
كننا نحصرهم حتى يموتوا عن آخرهم فانه يذهب إلى أستاذة ثم يجمع العساكر ويأتينا ، ولا طاقة لنا
به . وكان الأمر كما قال ، فانه لما أطلقه الفتكين من الحصر لم يكن له دأب إلا أنه حث المزب على
الخروج إلى الفتكين بنفسه ، فأقبل في جحافل أمثال الجبال ، وفي كثرة من الرجال والعمد
والأثقال والأموال ، وعلى مقدمته جوهر القائد . وجمع الفتكين والترمطي الجيوش والأعراب
وصاروا إلى الرملة فاقبلوا في محرم سنة سبع وستين ، ولما تواجها رأى المزب من شجاعة الفتكين
ما بهره ، فأرسل إليه يرض عليه إن أطاعه ورجع إليه أن يجهله مقدم عساكره ، وأن يحسن إليه
غاية الاحسان . فترجل أفتكين عن فرسه بين الصفيين وقبل الأرض نحو المزب ، وأرسل إليه
يقول : لو كان هذا القول سبق قبل هذا الحال لأمكنني وصارعت وأطعت ، وأما الآن فلا . ثم
ركب فرسه وحل على ميسرة المزب ففرق سهمها وبدد خيلها ورجلها ، فبرز عند ذلك المزب من
القلب وأمر الميمنة فحملت حملة صادقة فانهزم الترمطي وبقية الشاميين وركبت المناربة أفضيتهم
يقتلون ويأسرون من شاءوا ، وتحول المزب فقتل خيام الشاميين بمن معه ، وأرسل السرايا وراهم ،

وجعل لا يؤتى بأسير إلا خلع على من جاء به ، وجعل لمن جاءه الفتيكين مائة ألف دينار ، فاتفق أن
الفتيكين عطش عطشا شديدا ، فاجتاز بفرج بن دغفل ، وكان صاحبه ، فاستسقاء فسقاء وأنزله
عنده في بيوته ، وأرسل إلى العزيز يخبره بأن طلبته عنده ، فليجمل المال إلى وليأخذ غريمه ، فأرسل
إليه بمائة ألف دينار وجاء من قلعه منه ، فلما أحيط بالفتيكين لم يشك أنه مقتول ، فما هو إلا أن
حضر عند العزيز أكرمه غاية الأكرام ، ورد إليه حواصله وأمواله لم يقد منها شيئا ، وجعله من أخص
أصحابه وأمرائه ، وأنزله إلى جانب منزله ، ورجع به إلى الديار المصرية مكرما معظما ، وأقطعه هناك
أقطاعات جزيلة ، وأرسل إلى القرمطى أن يقدم عليه ويكرمه كما أكرم الفتيكين ، فامتنع عليه وخاف
منه ، فأرسل إليه بشر بن ألف دينار ، وجعلها له عليه في كل سنة ، يكف بها شره ، ولم يزل الفتيكين
مكرما عند العزيز حتى وقع بينه وبين الوزير ابن كلس ، فعمل عليه حتى سقاه سما فمات ، وحين علم
العزيز بذلك غضب على الوزير وحجسه بضما وأويعين يوما ، وأخذ منه خمسمائة ألف دينار ثم رأى
أن لا غنى به عنه فأعاده إلى الوزارة . وهذا ملخص ما ذكره ابن الأثير .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ سبكتكين الحجاب التركي ﴾

مولى المذاهبى وحاجبه ، وقد ترقى في المراتب حتى آل به الأمر إلى أن قلعه الطالع الامارة
وخلع عليه وأعطاه اللواء ، ولقبه بنور الدولة ، وكانت مدة أيامه في هذا المقام شهرين وثلاثة عشر
يوما ، ودفن ببغداد وداره هي دار الملك ببغداد ، وهي دار عظيمة جدا ، وقد اتفق له أنه سقط مرة
عن فرسه فانكسر صلبه فداواه الطبيب حتى استقام ظهرو وقدر على الصلاة إلا أنه لا يستطيع
الركوع ، فأعطاه شيئا كثيرا من الأموال ، وكان يقول للطبيب : إذا ذكرت وجي ومداداك لي
لا أقدر على مكافئك ، ولكن إذا تذكرت وضمت قدميك على ظهري اشتد غصبي منك . توفي
ليلة الثلاثاء لسبع بقين من المحرم منها ، وقد ترك من الأموال شيئا كثيرا جدا ، من ذلك ألف ألف
دينار وعشرة آلاف ألف درهم ، وصندوقان من جوهر ، وخمسة عشر صندوقا من البلور ، وخمسة
وأربعين صندوقا من آنية الذهب ، ومائة وثلاثون كوكبا من ذهب ، منها خسون وزن كل واحد
ألف دينار ، وستائة مركب من فضة وأربعة آلاف ثوب من ديباج ، وعشرة آلاف ديبقى وعتابي ،
وثلاثمائة عدد مكمومة من الفرش ، وثلاثة آلاف فرس وألف جمل وثلاثمائة غلام وأربعون خادما وذلك
غير ما أودع عند أبي بكر البزار . وكان صاحبه .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمائة ﴾

فيها قسم ركن الدولة بن بويه بمالكة بين أولاده عند ما كبرت سنه ، فجعل لولده عضد الدولة
بلاد فارس وكرمان وأرجان ، ولولده مؤيد الدولة الرى وأصبهان ، ولنضر الدولة همدان والدينور ،

وجعل ولده أبا العباس في كنف عضد الدولة وأوصاه به . وفيها جلس قاضى القضاة ببغداد أبو محمد ابن معروف في دار عز الدولة لفصل الحكومات عن أمره له بذلك ، فحكم بين يديه بين الناس وفيها حج بالناس أمير المصريين من جبة العزيز الفاطمي بعد ما حاصر أهل مكة ولقوا شدة عظيمة ، وغلت الأسعار بها جدا . وفيها ذكر ابن الأثير أن يوسف بلنكين نائب المزمز الفاطمي على بلاد إفريقية ذهب إلى سبنة فأشرف عليها من جبل فطل عليها فجعل يتأمل من أين يحاصرها ، فحاصرها نصف يوم فخافه أهلها خوفا شديدا ، ثم انصرف عنها إلى مدينة هناك يقال لها بصرة في المغرب ، فأمر بدمها ونهبها ، ثم سار إلى مدينة برغواطة وبها رجل يقال له عيسى بن أم الأنصار ، وهو ملكها ، وقد اشتدت الحنة به لسعره وشبهته وادعى أنه نبي فطاعوه ، ووضع لهم شريعة يقتلون بها ، فقاتلهم بلنكين فزهمهم وقتل هذا الفاجر ونهب أموالهم وسبي ذراريهم فلم يرسى أحسن أشكالا منهم فيها ذكره أهل تلك البلاد في ذلك الزمان .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن جعفر بن محمد بن سلم ﴾ أبو بكر الحنبلي ، له مسند كبير ، روى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل وأبي عبد الله الكجي وخلق ، وروى عنه الدارقطني وغيره ، وكان ثقة وقد تارب التسمين .

﴿ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابي ﴾ المؤرخ فيها ذكره ابن الأثير في الكامل .

﴿ الحسين بن محمد بن أحمد ﴾

أبو علي المامرجسي الحافظ ، رحل وسمع الكثير وصنف مسندا في ألف وثلاثمائة جزء ، بطرقة وعلاء ، وله المنازى والقبائل ، وخرج على الصحيح وغيره ، قال ابن الجوزي : وفي بيته وسلفه تسعة عشر محدثا ، توفي في رجب منها .

﴿ أبو أحمد بن عدى الحافظ ﴾

أبو عبد الله بن محمد بن أبي أحمد الجرجاني - أبو أحمد بن عدى - الحافظ الكبير المفيد الامام العالم الجوال النقال الرحال ، له كتب الكامل في الجرح والتعديل ، لم يسبق إلى مثله ولم يلحق في شكله . قال حمزة عن الدارقطني : فيه كفاية لازداد عليه . ولد أبو أحمد بن عدى في سنة سبع وسبعين ومائتين وهي السنة التي توفى فيها أبو جاتم الرازي ، وتوفى ابن عدى في جمادى الآخرة من هذه السنة .

﴿ المزمز الفاطمي ﴾

باني القاهرة معد بن إسماعيل بن سعيد بن عبد الله أبو تميم المدعى أنه فاطمي ، صاحب البدار المصرية ، وهو أول من ملكها من الفاطميين ، وكان أولا ملكا ببلاد إفريقية وما والاها من بلاد المغرب ، فلما كان في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، بعث بين يديه جوهرًا قائدًا فأخذ له بلاد مصر من

كافور الأخشيدي بعد حروب تقدم ذكرها ، واستقرت أيدي الفاطميين عليها ، فبنى بها القاهرة وبنى منزل الملك وهما القصران ، ثم أظم جوهر الخطبة للمز الفاطمي في سنة ثنتين وثلاثمائة ثم قدم المز بعد ذلك ومعه جحافل من الجيوش ، وأمراء من المغاربة والأكابرة ، وحين نزل الاسكندرية تلقاه وجوه الناس تغلبهم بها خطبة بليغة ادعى فيها أنه ينصف المظلوم من الظالم ، واقتصر فيها بنسبه وأن الله قد رحم الأمة بهم ، وهو مع ذلك متلبس بالرفض ظاهرا وباطنا كما قاله القاضي الباقلاني إن مذهبهم الكفر المحض ، واعتقادهم الرفض ، وكذلك أهل دولته ومن أطاعه ونصره ووالاه ، قبحهم الله وإياه . وقد أحضر إلى بين يديه الزاهد العابد الورع الناسك التقى أبو بكر التابلسي ، فقال له المز بلغني عنك أنك قلت لو أن مائة أسهم لميت الروم بقسمة ورميت المصريين بسهم ، فقال ما قلت هذا ، فظن أنه رجع عن قوله فقال : كيف قلت ؟ قال : قلت ينبغي أن نرميك بقسمة ثم نرميهم بالناشر . قال : ولم ؟ قال : لأنكم غيرتم دين الأمة وقتلتم الصالحين وأطفأتم نور الألية ، وادعيتهم ما ليس لكم . فأمر بإشهاره في أول يوم ثم ضرب في اليوم الثاني بالسياط ضربا شديدا مبرحا ثم أمر بإساخته في اليوم الثالث ، فجئى يهودى فجعل يسلمحه وهو يقرأ القرآن قال اليهودى : فأخذتني رقة عليه ، فلما بلغت تلقاه قلبه طمته بالسكين فأت رحمة الله . فكان يقال له الشهيد ، وإليه ينسب بنو الشهيد من أهل تابلس إلى اليوم ، ولم تزل فيهم بقايا خير ، وقد كان المز يقبه الله فيه شهامة وقوة حزم وشدة عزم ، وله سياسة ، وكان يظهر أنه يميل وينصر الحق ولكنه كان مع ذلك منجما يعتمد على حركات النجوم ، قال له منجمه : إن عليك قطعا - أى خروفا - في هذه السنة فتوارى عن وجه الأرض حتى تنقضى هذه المدة . فعزل له سردابا وأحضر الأمراء وأوصام بولده نزار ولقبه المز بـ ز وفوض إليه الأمر حتى يعود إليهم ، فباليوم على ذلك ، ودخل المز ذلك السرداب فتوارى فيه سنة فكانت المغاربة إذا رأوا سحابة فارس منهم له عن فرسه وأومأ إليه بالسلام ظانين أن المز في ذلك الغمام ، (فاستخف قومه فأطاعوه إتهم كانوا قوما فاسقين) ثم برز إليهم بعد سنة وجلس في مقام الملك وحكم على عادته أياما ، ولم تطل مدته بل عاجله القضاء المحتوم ، ونال رزقه المقسوم ، فكانت وفاته في هذه السنة ، وكانت أيامه في الملك قبل أن يمك مصر وبعد ما ملكها ثلاثا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام ، منها بمصر سنتان وتسعة أشهر والباقي ببلاد المغرب ، وجملة عمره كلها خمسة وأربعون سنة وستة أشهر ، لأنه ولد بأفريقية في عاشر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة وكانت وفاته بمصر في اليوم السابع عشر من ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة وهي هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين وثلاثمائة ﴾

فيها توفي ركن الدولة بن علي بن بويه وقد جاوز التسعين سنة ، وكانت أيام ولايته نيفا وأربعين

سنة ، وقبل موته بسنة قسم ملكه بين أولاده كما ذكرنا ، وقد عمل ابن العميد مرة ضيافة في داره وكانت حافلة حضرها ركن الدولة وبنوه وأعيان الدولة ، فهدر ركن الدولة في هذا اليوم إلى ابنه عضد الدولة وخلع عضد الدولة على إخوته وسائر الأمراء الأقيسة والآكية على عادة الديلم ، وحفوه بالريحان على علاتهم أيضاً ، وكان يوماً مشهوداً . وقد كان ركن الدولة قد أسن وكبر وتوفى بعد هذه الأولية بقليل في هذه السنة ، وكان حلياً وقوراً كثير الصدقات محباً للعلماء فيه بر وكرم وإيثار ، وحسن عشرة ورياسة ، وحنو على الرعية وعلى أقراره . وحين تمكن ابنه عضد الدولة قصد المراق ليأخذها من ابن عمه بختيار لسوء سيرته ورداءة سربرته ، فالتقوا في هذه السنة بالأهواز فهزمه عضد الدولة وأخذ أقالمه وأمواله ، وبعث إلى البصرة فأخذها وأصلح بين أهلها حبي ربيعة ومضر ، وكان بينهما خاف متقادم من نحو مائة وعشرين سنة ، وكانت مضر تمل إليه وربيعة عليه ، ثم اتفق الحيان عليه وقويت شوكته ، وأخذ بختيار وقبض على وزيره ابن بقية لأنه استحوذ على الأمور دونه ، وجبى الأموال إلى خزائنه ، فاستظهر عضد الدولة بما وجهه في الخزانين والحواصل لابن بقية ولم يبق له منها بقية . وكذلك أمر ركن الدولة بالقبض على وزير أبي الفتح بن العميد لموجبة تقدمت منه إليه ، وقد سلف ذكرها . ولم يبق لابن العميد أيضاً في الأرض بقية ، وقد كانت الأكابر تنقبه . وقد كان ابن العميد من الفسوق والمصيان بأوفر مكان ، فغاثت المقادير ونزل به غضب السلطان ، ونحن نعوذ بالله من غضب الرحمن .

وفي منتصف شوال منها توفي الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب بلاد خراسان وبخارى وغيرها ، وكانت ولايته خمس عشر سنة ، وقام بالأمر من بعده ولده أبو القاسم نوح ، وكان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، ولقب بالمتصور .

وفيها توفي الحاكم وهو المستنصر بالله بن الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي ، وقد كان هذا من خيار الملوك وعلماهم ، وكان عالماً بالفتنة والخلاف والتواريخ عجا للعلماء محسناً إليهم . توفي وله من العمر ثلاث وستون سنة وسبعة أشهر ، ومدة خلافته منها خمسة عشر سنة وخمسة أشهر ، وقام بالأمر من بعده ولده هشام وله عشر سنين ولقب بالمؤيد بالله ، وقد اختلف عليه في أيامه واضطربت الرعايا عليه وحيس مدة ثم أخرج وأعيد إلى الخلافة ، وقام بأعباء أمره حاجبه المتصور أبو طاهر محمد بن أبي طاهر المعافري ، وابناه المظفر والناصر ، فساسوا الرعايا جيذا وعدلوا فيهم وغزوا الأعداء واستمر لهم الحال كذلك نحواً من ست وعشرين سنة . وقد ساق ابن الأثير هنا قطعة من أخبارهم وأطال . وفيها رجع ملك حلب إلى أبي المالئ شريف بن سيف الدولة بن حمدان ، وذلك أنه لما مات أبوه وقام هو من بعده تغلب قرعويه مولاهم واستولى عليهم سار إليه فأخرجه منها خائفاً يترقب ،

ثم جاء فنزل حماء وكانت الروم قد خربت حصن فسي في عمارتها وترميمها وسكنها ، ثم لما اختلفت الأمور على قرويه كتب أهل حلب إلى أبي المالح هذا وهو يخصص أن يأتيهم ، فسار إليهم فحاصر حلب أربعة أشهر فافتتحها وامتنت منه القلعة وقد تحصن بها نكجور ، ثم اصطلع مع أبي المالح على أن يؤمنه على نفسه ويستنيبه بمحصن ، ثم انتقل إلى نيازة دمشق وإليه تنسب هذه المزرعة ظاهر دمشق التي تعرف بالقصر النكجوري .

﴿ ذكر ابتداء ملك بني سبكتكين ﴾

والد محمود صاحب غزنة . وقد كان سبكتكين مولى الأمير أبي إسحاق بن البتكين صاحب جيش غزنة وأعمالها للسامانية ، وليس هذا بحاجة من الدولة ، ذاك توفي قبل هذه السنة كما تقدم ، وأما هذا فإنه لما مات مولاه لم يترك أحداً يصلح للملك من بعده لامن ولده ولا من قومه ، فاصطلع الجيش على مبايعة سبكتكين هذا لصلاحه فيهم وخبره وحسن سيرته ، وكان عقله وشجاعته وديانته ، فاستقر الملك في يده واستمر من بعده في ولده السعيد محمود بن سبكتكين ، وقد غزا هذا بلاد الهند وفتح شيئاً كثيراً من حصونهم ، وغنم أموالاً كثيرة ، وكسر من أصنامهم ونزورهم أمراً هائلاً ، وأبشر من معه من الجيوش حرباً عظيمة هائلة ، وقد قصد جيبال ملك الهند الأعظم بنفسه وجنوده التي تسم السهول والجبال ، فكسره مرتين وردم إلى بلادهم في أسوأ حال وأردأ بال . وذكر ابن الأثير في كتابه أن سبكتكين لما التقى مع جيبال ملك الهند في بعض الغزوات كان بالقرب منهم عين في عقبة فاغوروك وكان من طاعتهم أنها إذا وضعت فيها نجاسة أو قتلوا كفهرت السماء وأرعدت وأبرقت وأمطرت ، ولا تزال كذلك حتى تظهر تلك العين من ذلك الشيء الذي ألقى فيها ، فأمر سبكتكين بإلقائه نجاسة فيها . وكانت قريبة من نحو المدو . فلم يزالوا في رعدو وبروق وأمطار وصواعق حتى ألجأهم ذلك إلى الهرب والرجوع إلى بلادهم خائبين هارين ، وأرسل ملك الهند يطلب من سبكتكين الصلح فأجاب بعد امتناع من ولده محمود ، على مال جزيل يحمله إليه ، وبلاد كثيرة يسلمها إليه ، وخسين فيلا ودرهائن من رؤس قومه يتركها عنده حتى يقوم بما التزمه من ذلك .

﴿ أبو يعقوب بن سيف ﴾

وفيها توفي

ابن الحسين الجنابي ، صاحب هجر ومقدم القرامطة ، وقام بالأمر من بعده ستة من قومه وكانوا يسمون بالسادة ، وقد اتفقوا على تدبير الأمر من بعده ولم يختلفوا فشيء حالم . وفيها كانت وفاة .

﴿ الحسين بن أحمد ﴾

ابن سعيد الجنابي أبو محمد القرمطي . قال ابن عساكر : واسم أبي سعيد الحسين بن بهرام ، ويقال ابن أحمد ، يقال أصلهم من الفرس ، وقد تغلب هذا على الشام في سنة سبع وخسين وثلاثمائة ثم عاد

إلى الأحساء بعد سنة ثم عاد إلى دمشق في سنة ستين ، وكسر جيش جعفر بن فلاح ، أول من ناب بالشام عن المنز الفاطمي قتله ، ثم توجه إلى مصر فحاصرها في مستهل ربيع الأول من سنة إحدى وستين ، واستمر محاصرها شهراً ، وقد كان استخلف على دمشق ظالم بن موهوب ثم عاد إلى الأحساء ثم رجع إلى الزمة فتوفي بها في هذه السنة ، وقد جاوز التسعين ، وهو يظهر طاعة عبد الكريم الطائغ لله الباسي ، وقد أورد له ابن عساكر أشعاراً رائعة ، من ذلك ما كتب به إلى جعفر بن فلاح قبل وقوع الحرب بينهما وهي من أغل الشعر :

الكتب معذرة والرسل مخبرة • والحق منيع والخير محمود
والحرب ساكنة والخليل صافنة • والسلم مبتذل والظل ممدود
فإن أنيتم فقبول إنا نكم • وإن أبيتم فهذا الكور مشدود
على ظهور المنايا أو يردن بنا • دمشق والبلد مسدود ومردود
إني امرؤ ليس من شأني ولا أبري • بلبل يرن ولا ناي ولا عود
ولا اعتكاف على خر وخمرة • وذات دل لها فنجح وتفنيد
ولا أبيت بطين البطن من شيع • ولي رفيق خيص البطن بمجهود
ولا ناسمت في الدنيا إلى طمع • يوما ولا غرتي فيها المواعيد
ومن شعره أيضاً :

يا ساكن البلد المنيف تمرزاً • بقلعه وحصونه وكهونه
لا عز إلا للعزيز بنفسه • وبجيلة وبرجه وسيوونه
وبقبة بيضاء قد ضربت على • شرف انخيام يجاره وضيوونه
قوم إذا اشتد الوفا أردى العدا • وشقى النفوس بضربه وزهونه
لم يجمل الشرف التليد لنفسه • حتى أفاد تليده بطريقه

وفيها تملك قابوس بن وشمكير بلاد جرجان وطبرستان وتلك النواحي . وفيها دخل الخليفة الطائغ بشاه ياربنت عز الدولة بن بويه ، وكان عرساً حافلاً . وفيها حجت جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان في تجميل عظيم ، حتى كان يضرب المثل بمجها ، وذلك أنها عملت أربعمائة عمل وكان لا يدري في أيها هي ، ولما وصلت إلى الكعبة نثرت عشرة آلاف دينار على الفقراء والمجاورين ، وكست المجاورين بالحرمين كلهم ، وأغنت أموالاً جزيلة في ذهابها وإليها . وحج بالناس من العراق الشريف أحمد بن الحسين بن محمد العلوي ، وكذلك حج بالناس إلى سنة ثمانين وثلاثمائة ، وكانت الخطبة بالحرمين في هذه السنة لفاطمين أمهات مصر دون الباسيين .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿إسماعيل بن نجيد﴾

ابن أحمد بن يوسف أبو عمرو السلي ، صاحب الجنيذ وغيره ، وروى الحديث وكان ثقة ، ومن جيد كلامه قوله : من لم تهلك رؤيته فليس بهنوب . وقد احتاج شيخه أبو عثمان مرة إلى شيء فسال أصحابه فيه فجاءه ابن نجيد بكيس فيه ألفا درهم فقبضه منه وجعل يشكره إلى أصحابه ، فقال له ابن نجيد بين أصحابه : يا سيدي إن المال الذي دفعته إليك كان من مال أمي أخذته وهي كارهة فأنا أحب أن ترده إلى حتى أردّه إليها . فأعطاه إيّاه ، فلما كان الليل جاء به وقال أحب أن تصرفها في أمرك ولا تذكرها لأحد . فكان أبو عثمان يقول : أنا أجتني من همة أبي عمرو بن نجيد رحمهم الله تعالى .

﴿الحسن بن بويه﴾

أبو علي ركن الدولة عرض له قولنج فأت في ليلة السبت الثامن والعشرين من المحرم منها ، وكانت مدة ولايته أربعاً وأربعين سنة وشهراً وتسعة أيام ، ومدة عمره ثمان وسبعون سنة ، وكان حليماً كريماً

﴿محمد بن إسحاق﴾

ابن إبراهيم بن أفلح بن رافع بن رافع بن إبراهيم بن أفلح بن عبد الرحمن بن ربيعة بن رافع أبو الحسن الأنصاري الزرق ، كان قتيب الأنصار ، وقد جمع الحديث من أبي القاسم البغوي وغيره ، وكان ثقة يعرف أيام الأنصار ومناقبهم ، وكانت وفاته في جمادى الآخرة منها .

﴿محمد بن الحسن﴾

ابن أحمد بن إسماعيل أبو الحسن السراج ، سمع يوسف بن يعقوب القاضي وغيره ، وكان شديد الاجتهاد في العبادة . صلى حتى أقصد ، وبكى حتى حمى ، توفي يوم عاشوراء منها .

﴿القاضي منذر البلوطي﴾

رحمه الله قاضي قضاة الأندلس ، كان إماماً علماً فصيحاً خطيباً شاعراً أديباً ، كثير الفضل ، جامعاً لصنف من الخير والتقوى والزهّد ، وله مصنفات واختيارات ، منها أن الجنة التي سكنها آدم وأهبط منها كانت في الأرض وليست بالجنة التي أعدها الله لعباده في الآخرة ، وله في ذلك مصنف مفرد ، له وقع في النفوس وعليه حلالة وطلاوة ، دخل يوماً على الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي وقد فرغ من بناء المدينة الزهراء وقصورها ، وقد بقي له فيها قصر عظيم منيف ، وقد زخرف بأنواع الدهانات وكسى السطور ، وجلس عنده رؤس دولته وأمرأؤه ، فجاءه القاضي فجلس إلى جانبه وجعل الحاضرون يثنون على ذلك البناء ويمدحونه ، والقاضي ما كت لا يتكلم ، فالتفت إليه الملك وقال : ما تقول أنت يا أبا الحكم ؟ فبكى القاضي وانحدرت دموعه على لحيته وقال : ما كنت أظن أن الشيطان أخزاه الله بيلغ منك هذا المبلغ المضح المهلك ، المهلك لصاحبه في الدنيا والآخرة ، ولا أنك تتمكنه .

من قيادك مع ما آفك الله وفضلك به على كثير من الناس ، حتى أتاك منازل الكافرين والفاسقين . قال الله تعالى (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سفكاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفاً) الآية . قال : فوجم الملك عند ذلك وبكى وقال : جزاك الله خيراً ، وأكثرت في المسلمين مثلك . وقد قعط في بعض السنين فأمره الملك أن يستقي للناس ، فلما جاءت الرسالة مع البريد قال للرسول : كيف تركت الملك ؟ فقال تركته أخشع ما يكون وأكثره دعاء وتضرعاً . فقال القاضي : سقيم والله ، إذا خضع جبار الأرض رحم جبار السماء . ثم قال لنفلاحة : ناد في الناس الصلاة . فجاء الناس إلى محل الاستسقاء وجاء القاضي منفر فصعد المنبر والناس ينظرون إليه ويسمعون ما يقول ، فلما أقبل عليهم كان أول ما خاطبهم به قال : (سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم) ثم أعادها مراراً فأخذ الناس في البكاء والتعجب والتوبة والالتابة ، فلم يزالوا كذلك حتى سقوا ورجعوا بخوضون الماء .

﴿ أبو الحسن علي بن أحمد ﴾

ابن المرزبان الفقيه الشافعي ، تفقه بأبي الحسين بن القطان وأخذ عنه الشيخ أبو حامد الاسفراييني . قال ابن خلكان : كان ورعاً زاهداً ليس لأحد عنده مظلة ، وله في المذهب وجه ، وكان له درس ببغداد . توفي في رجب منها .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وستين وثلاثمائة ﴾

فبها دخل عضد الدولة إلى بغداد وخرج منها عز الدولة بختيار وأتبعه عضد الدولة وأخذ منه الخليفة فاستغفاه فأعفاه ، وسار عضد الدولة وراه فأخذته أسيراً ، ثم قتل سريعاً وتصرمت دولته واستقر أمر عضد الدولة ببغداد ، وخلع عليه الخليفة الخلع السلية والأسورة والطق ، وأعطاه لواءين أحدهما ذهب والآخر فضة ، ولم يكن هذا لغیره إلا لأولياء العهد ، وأرسل إليه الخليفة بنصف سنه ، وبعث عضد الدولة إلى الخليفة أموالاً جزيلة من الذهب والفضة واستقرت يده على بغداد وما والاها من البلاد ، ووزلت بغداد مراراً في هذه السنة ، وزادت دجلة زيادة كثيرة غرق بسببها خلق كثير ، وقيل لعضد الدولة إن أهل بغداد قد قتلوا كثيراً بسبب الطاعون وما وقع بينهم من الفتن بسبب الرفض والسنة وأصابهم حريق وغرق ، قال : إنما يبيح الشر بين الناس هؤلاء القمصا والواظ ، ثم رسم أن أحداً لا يقص ولا يعظ أن سائر بغداد ولا يسأل سائل باسم أحد من الصحابة ، وإنما يقرأ القرآن فمن أعطاه أخذ منه . فعمل بذلك في البلد ، ثم بلغه أن أبا الحسين بن معمر الواعظ - وكان من الصالحين - لم يترك الوعظ بل استمر على عادته ، فأرسل إليه من جاء به ،

وتحول عضد الدولة من مجلسه وجلس وحده لتلاييد من ابن ممون إليه بين الدولة كلام يكرهه ، وقيل لابن ممون إذا دخلت على الملك فتواضع في الخطلاب وقبّل التراب . فلما دخل دار الملك وجده قد جلس وحده لتلاييد من ابن ممون في حقه كلام بمحضرة الناس يؤثر عنه . ودخل الحالج بين يديه يستأذن له عليه ودخل ابن ممون وراه ، ثم استفتح القراءة بقوله (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) الآية . ثم التفت بوجه نحو دار عز الدولة ثم قرأ (ثم جعلناكم خلافت في الأرض من بعدهم لننظروم كيف تعملون) ثم أخذ في مخاطبة الملك ووعظه فبكى عضد الدولة بكاء كثيراً ، وجزاء خيرا . فلما خرج من عنده قال للعاجب : اذهب غدا ثلاثة آلاف درهم وعشرة أثواب وادفنها له فان قبلها جثتي برأسه ، قال الحالج : فجيته قتلتي : هذا أرسل به الملك إليك . فقال : لا حاجة لي به ، هـنـه فبابي من عهد أبي منذ أربعين سنة كلما خرجت إلى الناس لبستها ، فاذا رجعت طويتها ، ولي دار آكل من أجرتها تركها لي أبي ، فانا في غنية عما أرسل به الملك . قتلتي : فرقها في قراء أهلك . فقال : قراء أهله أحق بها من قراء أهلي ، وأقرر إليهم منهم . فرجعت إلى الملك لأشاوره وأخبره بما قال ، فسكت ساعة ثم قال : الحمد لله الذي سلمه منا وسلمنا منه . ثم إن عضد الدولة أخذ ابن بنية الوزير لعز الدولة فأمر به فوضع بين قوائم الفيلة فتعبطه بأرجلها حتى هلك ، ثم صلب على رأس الجسر في شوال منها ، فراه أبو الحسين بن الأبنباري بأبيات يقول فيها :

علو في الحياة وفي المات • بحق أنت إحدى المعجزات
 كأن الناس حولك حين قاموا • وفود نذاك أيام الصلات
 كأنك واقف فيهم خطيباً • وكلهم وقوف للصلاة
 مدحت يديك نهم احتفاء • كدهما إليهم بالميات
 وهي قصيدة طويلة أورد كثيرا منها ابن الأثير في كامله .

﴿ صفة مقتل عز الدولة بختيار بن معز الدولة وأخذ الموصل وأعمالها ﴾

لما دخل عضد الدولة بغداد وتسلمها خرج منها بختيار ذليلاً طريداً في فل من الناس ، ومن حزمه أن ينهب إلى الشام فيأخذها ، وكان عضد الدولة قد حلفه أن لا يتعرض لأبي تغلب لمودة كانت بينهما ومراسلات ، فخلف له على ذلك ، وحين خرج من بغداد كان معه حمدان بن ناصر الدولة ابن حمدان فحسن لعز الدولة أخذ بلاد الموصل من أبي تغلب ، لأنها أطيب وأكثر مالا من الشام وأقرب إليه ، وكان عز الدولة ضعيف العقل قليل الدين ، فلما بلغ ذلك أبا تغلب أرسل إلى عز الدولة يقول له : لنن أرسلت إلى ابن أخي حمدان بن ناصر الدولة أغنيتك بنفسي وجيشي حتى أخذك ملك بغداد من عضد الدولة ، وأردك إليها . ففند ذلك أمسك حمدان وأرسله إلى عمه أبي تغلب

فسجنه في بعض القلاع وبلغ ذلك عضد الدولة وأنها قد اعتقا على حربه فركب إليهما بجيشه وأراد إخراج الخليفة الطالع منه فاستغاه فأعافاه ، فذهب إليهما فالتقى بهما فكسرها وهزمها ، وأخذ عز الدولة أسيرا وقتله من فوره ، وأخذ الموصل وساملتها ، وكان قد حمل معه ميرة كثيرة ، وشردها أباً تغلب في البلاد وبعث وراءه السرايا في كل وجه ، وأقام بالموصل إلى أواخر سنة ثمان وستين ، وفتح ميافاوقين وأمد وغيرهما من بلاد بكر وريمية ، وتسلم بلاد مضر من أيدي نواب أبي تغلب ، وأخذ منهم الرحبة ورد بقيتها على صاحب حلب سعد الدولة بن سيف الدولة ، وتسلط على سعد الدولة ، وحين رجع من الموصل استناب عليها أبا الوفا ، وصاد إلى بغداد فتلقاه الخليفة ورؤس الناس إلى ظاهر البلد ، وكان يوما مشهوداً .

ومما وقع من الحوادث فيها الواقعة التي كانت بين الميزين المزمز الفاطمي وبين الفتيكين غلام معز الدولة صاحب دمشق فهزمه وأسره وأخذه معه إلى الديار المصرية مكرماً معظماً كما تقدم ، وتسلم العزيز دمشق وأعمالها ، وقد تقدم بسط ذلك في سنة أربع وستين .

وفيهما خلع على القاضي عبد الجبار بن أحمد المنزلي بقضاء قضاة الري وما نعت حكم مؤيد الدولة بن ركن الدولة ، وله مصنفات حسنة ، منها دلائل النبوة وعد الأدلة وغيرها . وحجج بالناس فيها نائب المصريين وهو الأمير باديس بن زبيري أخو يوسف بن بلكين . ولما دخل مكة اجتمع إليه القصوص وسألوا منه أن يُصنّفهم الموسم هذا العام بما شاء من الأموال . فأظهر لهم الاجابة إلى ما سألوا وقال لهم : اجتمعوا كلكم حتى أضمنكم كلكم ، فاجتمع عنده بضع وثلاثون حرامياً ، فقال : هل بقي منكم أحد ؟ فخلعوا له إنه لم يبق منهم أحد . فأخذ عند ذلك بالقبض عليهم وبقطع أيديهم كلهم ، ولما ما فعل . وكانت الخطبة في الحجاز لفاطمين دون المباسين .

ومن توفي فيها من الأعيان الملك عز الدولة .

(بختيار بن بويه الديلمي)

ملك بعد أبيه وعمره فوق العشرين سنة بقليل ، وكان حسن الجسم شديد البطش قوى القلب ، يقال إنه كان يأخذ بقوائم النور الشديد فيلقيه في الأرض من غير أحران ، ويقصد الأسود في أماكنها ، ولكنه كان كثير الهوى والغلب والأقبال على الفئات ، ولما كره ابن عمه بيلاد الأهواز كان في جملة ما أخذ منه أمره أن يبعه حباً شديداً لآلئها بالعيش إلا معه ، فبعث يترفق له في رده إليه ، وأرسل إليه بتحف كثيرة وأموال جزيلة وجاريتين عوادتين لاقية لهما ، فرد عليه الغلام المذكور فكثير تمنيف الناس له عند ذلك وسقط من أعين الملوك ، فانه كان يقول : ذعاب هبنا الغلام متى أشد على من أخذ بغداد من يدى ، بل وأرض العراق كلها . ثم كان من أمره بعد ذلك

أن ابن عمه أسره كما ذكرنا وقتله سريراً ، فكانت مدة حياته ستاً وثلاثين سنة ، ومدة دولته منها إحدى وعشرين سنة وشهور ، وهو الذى أظهر الرفض ببغداد وجرى بسبب ذلك شرور كما تقدم .

﴿ محمد بن عبد الرحمن ﴾

أبو بكر القاضى المعروف بابن قريمة ، ولى القضاء بالسندية ، وكان فصيحاً يأتى بالكلام المسجوع من غير تكلف ولا تردد ، وكان جميل المعاشرة ومن شعره :

لى حيلة فى من ينه * م وليس فى الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقو * ل تخيلنى فيه قليه

وكان يقول للرجل من أصحابه إذا تمأشيا : إذا تقدمت بين يديك فأتى حاجب وإن تأخرت فواجب .
توفى يوم السبت لعشرين من جمادى الآخرة منها .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستين وثلاثمائة ﴾

فى شعبان منها أمر الطائع لله أن يدعى لمعضد الدولة بعد الخليفة على المنابر ببغداد ، وأن يقرب الدهاب على بابه وقت الفجر وبعد المغرب والشاه . قال ابن الجوزى : وهذا شئ لم يتفق لغيره من بنى بويه ، وقد كان مع الدولة سأل من الخليفة أن يضرب الدهاب على بابه فلم يأذن له ، وقد اقتنع عز الدولة فى هذه السنة وهو مقيم بالموصل أكثر بلاد أنى تغلب بن حمدان ، كما مد والرجة وغيرهما ، ثم دخل بغداد فى سلخ ذى القعدة فتلقاه الخليفة والأعيان إلى أثناء الطريق .

﴿ ذكر ملك قسام التراب لدمشق فيها ﴾

لما ذهب الفتنكين إلى ديار مصر نهض رجل من أهل دمشق يقال له قسام التراب ، كان الفتنكين يقربه ويدينه ، ويأمنه على أسرارهم ، فاستحوذ على دمشق وطاوعه أهلها وقصدته عساكر العزيز من مصر فحاصروه فلم يتمكنوا منه ، وجاء أبو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان فحاصره فلم يقدر أن يدخل دمشق ، فأنصرف عنه خائباً إلى طبرية ، فوقع بينه وبين بنى عقيل وغيرهم من العرب حروب طويلة ، آل الحال إلى أن قتل أبو تغلب وكانت معه أخته وجيلة امرأته وهى بنت سيف الدولة ، فردتا إلى سعد الدولة بن سيف الدولة بجلب ، فأخذ أخته وبثت بجميعة إلى بغداد فحبست فى دار وأخذ منها أموال جزيلة . وأما قسام التراب هذا - وهو من بنى الحارث بن كعب من اليمن - فإنه أقام بالشام فسد خلقها وقام بمصلحتها مدة ستين عديدة ، وكان مجلسه بالجامع يجتمع الناس إليه فيأمرهم وينهاهم فيمتثلون ما يأمر به . قال ابن عساكر : أصله من قرية تلفيتا ، وكان تراباً . قلت والمامة يسمنه قسيم الزبال ، وإنما هو قسام ، ولم يكن زبالاً بل تراباً من قرية تلفيتا بالقرب من قرية منين ، وكان بدو أمره أنه انتهى إلى رجل من أحداث أهل دمشق يقال له أحمد بن المظفر ، فكان من

حينئذ تم استحوذ على الأمور وغلب على الولاة والأمراء إلى أن قدم بملكتهين التركي من مصر في يوم الخميس السابع عشر من المحرم سنة ست وسبعين وثلاثمائة ، فأخذها منه وأخفى قدام الزراب مدة ثم ظهر فأخذه أسيراً وأرسله مقيداً إلى الديار المصرية ، فأطلق وأحسن إليه وأطام بها مكرماً .

وعن توفى فيها من الأعيان . ﴿ العتيق ﴾

صاحب الحمام والدار المنسوبتين إليه بدمشق بمحلة باب البريد ، واسمه أحمد بن الحسن العتيق ابن ضمن بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، الشريف أبو القاسم الحسين العتيق ، قال ابن عساكر : كان من وجوه الأشراف بدمشق وإليه تلسب الدار والحمام بمحلة باب البريد . وذكر أنه توفى يوم الثلاثاء لأربع خلون من جمادى الأولى منها ، وأنه دفن من القند وأغلقت البلدة لأجل جنازته ، وحضرها نكجور وأصحابه - يعني نائب دمشق - ودفن خارج باب الصنوبر . قلت : وقد اشترى الملك الظاهر بيبرس داره وبناها مدرسة ودار حديث وتربة وبها قبره ، وذلك في حدود سنة سبعين وستائة كما سيأتي بيانه .

﴿ أحمد بن جعفر ﴾

ابن مالك بن شبيب بن عبد الله أبو بكر بن مالك القطيعي - من قطيعة الفتيق ببغداد - راوى مسند أحمد عن ابنه عبد الله ، وقد روى عنه غير ذلك من مصنفات أحمد ، وحدث من غيره من المشايخ ، وكان ثقة كثير الحديث ، حدث عنه الدارقطني وابن شاهين والبرقاني وأبو نعيم والحاكم ، ولم يمتنع أحد من الرواية عنه ولا التفثوا إلى ما طعن عليه بعضهم وتكلم فيه ، بسبب غرق كتبه حين غرقت القطيعة بالماء الأسود ، فاستحدث بعضها من نسخ أخرى ، وهذا ليس بشيء ، لأنها قد تكون معارضة على كتبه التي غرقت والله أعلم . ويقال إنه تغير في آخر عمره فكان لا يدرى ما جرى عليه ، وقد جاوز التسعين . ﴿ تميم بن المعز الطائفي ﴾

وهو كان يكنى ، وقد كان من أكابر أمراء دولة أبيه وأخيه العزيز ، وقد اعتقت له كاتبة غريبة وهي أنه أرسل إلى بغداد فاشترت له جارية مقيمة بمبلغ جزيل ، فلما حضرت عنده أضاف أصحابه ثم أمرها ففنت - وكانت تحب شخصاً ببغداد - :

وبداه من بعد ما انتقل الهوى * برق تآلق من هنا لمانه

يبدو لحاشية الهواء ودونه * صعب القدرى متنع أركانه

فيذا لينظر كيف لاح فلم يطق * نظراً إليه وشده أشجانه

فالنار ما اشتعلت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

ثم غنته أبياتاً غزرها فاشتد طرب تميم هذا وقال لها : لا بد أن تسأليني حاجة ، قالت : عافيتك .

قال : ومع المافية . قالت : تردني إلى بغداد حتى أغني بهذه الأبيات ، فوجم لك ثم لم يجد بداً من الوفاء لها بما سألت ، فأرسلها مع بعض أصحابه فأحجبها ثم سار بها على طريق العراق ، فلما أمسوا في الليلة التي يدخلون فيها بغداد من صبيحتها ذهب في الليل فلم يدر أين ذهبت ، فلما سمع تيم خبرها شق عليه ذلك وتألم ألماً شديداً ، وندم ندماً شديداً حيث لا يتفقه الندم .

﴿ أبو سعيد السمرقاني ﴾

النحوي الحسن بن عبد الله بن المرزبان . القاضى ، سكن بغداد وولى القضاء بها نيابة ، وله شرح كتاب سيبويه ، وطبقات النحاة . روى عن أبي بكر بن دريد وغيره ، وكان أبوه مجوسياً ، وكان أبو سعيد هذا عالماً بالغة والنحو والقراءات والفرائض والحساب وغير ذلك من فنون العلم ، وكان مع ذلك زاهداً لا يأكل إلا من عمل يده ، كان ينسخ في كل يوم عشرين رقعة بشرة دراهم ، تكون منها نفقته ، وكان من أهل الناس بنحو البصريين ، وكان يلتحل منهج أهل العراق في الفقه ، وقرأ القراءات على ابن مجاهد ، والفقه على ابن دريد ، والنحو على ابن السراج وابن المرزبان ، ونسبه بعضهم إلى الاعتزال وأنكره آخرون . توفى في رجب منها عن أربع وعشرين سنة ، ودفن بمقبرة الخيزران .

﴿ عبد الله بن إبراهيم ﴾

ابن أبي القاسم الريماني ، ويعرف بالأنباري ، رحل في طلب الحديث إلى الآفاق ووافق ابن عدى في بعض ذلك ، ثم سكن بغداد وحديث بها عن أبي يعلى والحسن بن سفيان وابن خزيمة وغيرهم ، وكان ثقة ثبتاً ، له مصنفات ، زاهداً روى عنه البرقي وأثنى عليه خيراً ، وذكر أن أكثر أدم أهله الخبز المأدوم بمرق البقالا ، وذكر أشياء من ثقله وزهده وورعه . توفى عن خمس وتسعين سنة .

﴿ عبد الله بن محمد بن ورقاء ﴾

الأمير أبو أحمد الشيباني من أهل البيوتات والحشمة ، بلغ التسعين سنة ، روى عن ابن الأحرابي أنه أنشد في صفة للنساء :

هي الضلع الموجع لست تقيها • ألا إن تقويم الضلوع انكسارها

أيجمن ضمناً واقتداراً على الفتى • أليس محبباً ضعفها واقتدارها ؟

قلت : وهذا المعنى أخذه من الحديث الصحيح : « إن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن استمنت بها استمنت بها وفيها عوج » .

﴿ محمد بن عيسى ﴾

ابن عمرو بن الجلودى راوى صحيح مسلم عن إبراهيم بن محمد بن سفيان الثقفي عن مسلم بن الحجاج وكان من الزهاد ، يأكل من كسب يده من النسخ وبلغ ثمانين سنة .

(ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمائة)

في الحرم منها توفي الأمير عمر بن شاهين صاحب بلاد البليطحة منذ أربعين سنة ، تغلب عليها وعجز عنه الأمراء والملوك والخلفاء ، وبشوا إليه الجنود والسرايا والجيوش غير مرة ، فكل ذلك يغلبها ويكسرها ، وكل ماله في تمكن وزيادة وقوة ، ومنكث كذلك هذه المدة ، ومع هذا كله مات على فراشه خفأً ، فلا تلمت أعين الجبناء . وقام بالأمر من بعده ولده الحسن بن عمر بن شاهين ، وكاد ينتزع الملك من يده ، فأرسل إليه سرية حافلة من الجنود فكسروا الحسن بن عمر بن شاهين ، وكاد أن يتلفهم بالكلية حتى أرسل إليه عضد الدولة فصلح له على مال يحمله إليه في كل سنة ، وهنا من العجائب الغريبة . وفي صفر قبض على الشريف أبي أحمد الحسن بن موسى الموسوي قتيب الطالبيين ، وقد كان أمير الحج مدة سنين ، اتهم بأنه فضى الأسرار وأن عز الدولة أودع عنده عقداً ثميناً ، ووجدوا كتاباً بخطه في إنشاء الأسرار فأنكر أنه خطه وكان مزوراً عليه ، واعترف بالمقد فأخذ منه وعزل عن النقابة وولوا غيره ، وكان مظلوماً . وفي هذا الشهر أيضاً عزل عضد الدولة قاضي القضاة أبا محمد بن معروف وولى غيره . وفي شعبان منها ورد البريد من مصر إلى عضد الدولة بمراسلات كثيرة فرد الجواب بما مضى من صدق النية وحسن الطوية ، ثم سأل عضد الدولة من الطالع أن يجد عليه الخلع والجواهر ، وأن يزيد في إنشاء تاج الدولة ، فأجابته إلى ذلك ، وخلع عليه من أنواع الملابس ما لم يتمكن معه من تهليل الأرض بين يدي الخليفة ، وفوض إليه ما وراء بابه من الأمور ومصالح المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وحضر ذلك أعيان الناس ، وكان يوماً مشهوداً . وأرسل في رمضان إلى الأعراب من بني شيخان وغيرهم فغرمهم وكسروهم ، وكان أميرهم منبه ابن محمد الأسدي متحصناً بعين التمر مدة ثيف وثلاثين سنة ، فأخذ ديارهم وأموالهم .

وفي يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذى القعدة تزوج الطالع لله بنت عضد الدولة الكبرى ، وعقد العقد بمحضرة الأعيان على صدق مبلته مائة ألف دينار ، وكان وكيل عضد الدولة الشيخ أبا علي الحسين بن أحمد القارسي النحوي ، صاحب الإيضاح والتكملة ، وكان ألقى خطب خطبة العقد القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي . قال ابن الأثير : وفيها جدد عضد الدولة عمارة بغداد ومحاسنها ، وجدد المساجد والمشاهد ، وأجرى على الفقهاء الأرزاق ، وعلى الأئمة من الفقهاء والمحدثين والاطباء والحساب وغيرهم ، وأطلق الصلوات لأرباب البيوتات والشرف ، وأزم أصحاب الأملاك بعمارة بيوتهم ودورهم ، ومهد الطرقات وأطلق المكوس وأصلح الطرق للحجاج من بغداد إلى مكة ، وأرسل الصدقات للمجاورين بالحرمين . قال : وأذن لوزير نصر بن هارون - وكان نصرانياً - بعمارة البيع والأذينة وأطلق الأموال لفقراءهم .

وفيهما توفي حسويه بن حسين الكردى ، وكان قد استحوذ على نواحى بلاد الدينور وممدان ونهاوند
 مدة خمسين سنة ، وكان حسن السيرة كثير الصدقة بالحرمين وغيرهما ، فلما توفي اختلف أولاده
 من بعده وتمزق شملهم ، وتمكن عضد الدولة من أكثر بلادهم ، وقويت شوكته فى تلك الأرض .
 وفيها ركب عضد الدولة فى جنود كثيفة إلى بلاد أخيه نخر الدولة ، وذلك لما بلغه من ممالأته
 لجزء الدولة واتفاقهم عليه ، فقتل بلاد أخيه نخر الدولة وممدان والرى وما بينهما من البلاد ، وسلم ذلك
 إلى مؤيد الدولة - وهو أخوه الآخر - ليكون نائبه عليها ، ثم سار إلى بلاد حسويه الكردى فقتلها
 وأخذ حواصله وذخائره ، وكانت كثيرة جدا ، وحبس بعض أولاده وأسر بعضهم ، وأرسل إلى
 الأكراد العسكرية فأخذ منهم بعض بلادهم ، وعظم شأنه وارتفع صيته ، إلا أنه أصابه فى هذا السفر
 داء الصداغ ، وكان قد تقدم له بالموصل مثله ، وكان يكتمه إلى أن غلب عليه كثرة النسيان فلا
 يذكر الشئ إلا بعد جهد جهيد ، والدنيا لا تسر بقل ما تضر :

دار إذا ما أضحكت فى يومها * أبكت غدا ، بعداً لهما من دار

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ أحمد بن زكريا أبو الحسن القنوى ﴾

صاحب كتاب الجمل فى الأئمة وغيره ، ومن شعره قبل موته بيومين :

يا رب إن ذنوبى قد أحطت بها * حلأوبى وباعلاى وأسرارى

أنا الموحى لكفى المقر بها * فب ذنوبى لتوحيدى وإقرارى

ذكر ذلك ابن الأثير . ﴿ أحمد بن عطاه بن أحمد ﴾

أبو عبد الله الروضارى - ابن أخت أبى على الروضارى - أسند الحديث ، وكان يتكلم على
 منذهب الصوفية ، وكان قد انتقل من بغداد فأقام بصور وتوفى بها فى هذه السنة . قال : رأيت فى
 المنام كأن قائلا يقول : أى شئ أصح فى الصلاة ؟ قلت صحة القصد ، فسمعت قائلا يقول . رؤية
 المقصود باسقاط رؤية القصد أم . وقال : بحالة الاضداد ذوبان الروح ، وبحالة الأشكال تلقيح
 القول ، وليس كل من يصلح للجلاسة يصلح للوئاسة ، ولا كل من يصلح للوئاسة يؤمن على
 الأسرار ، ولا يؤمن على الأسرار إلا الأمناء فقط . وقال : الخشوع فى الصلاة علامة الفلاح . قال
 تعالى (قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) وترك الخشوع فى الصلاة علامة النفاق
 وخراب القلب . قال تعالى (إنه لا يفلح الكافرون) .

﴿ عبد الله بن إبراهيم ﴾

ابن أيوب بن ماسنى أبو محمد البزاز ، أسند الكثير وبلغ خمسا وتسعين سنة ، وكان ثقة ثبتا .

﴿ محمد بن صالح ﴾

توفى فى رجب منها

ابن على بن يحيى أبو الحسن الهامى ، يعرف بابن أم شيبان ، كان طالما غاضبا ، له تصانيف ، وقد

ولى الحكم ببغداد قديماً وكان جيد السيرة ، توفى فيها وقد جاوز السبعين وقارب الثمانين .

(ثم دخلت سنة سبعين وثلاثمائة)

فيها ورد الصاحب بن عباد من جهة مؤيد الدولة إلى أخيه عضد الدولة فتلقاه عضد الدولة إلى ظاهر البلد وأكرمه وأمر الأعيان باحترامه ، وخلع عليه وزاده في إقطاعه ، ورد منه هدايا كثيرة . وفي جمادى الآخرة منها رجع عضد الدولة إلى بغداد فتلقاه الخليفة الطائع وضرب له القبايل وزينت الأسواق . وفي هذا الشهر أيضاً وصلت هدايا من صاحب اليمن إلى عضد الدولة ، وكانت الخطبة بالحرمين لصاحب مصر ، وهو العزيز بن المزمع الفاطمي .

ومن توفى فيها من الأعيان . (أبو بكر الرازي الحنفي)

أحمد بن علي أبو بكر الفقيه الحنفي الرازي أحد أئمة أصحاب أبي حنيفة ، وله من المصنفات المفيدة كتاب أحكام القرآن ، وهو تلميذ أبي الحسن الكرخي ، وكان عبداً زاهداً ورعاً ، انتهت إليه رئاسة الحنفية في وقته ورحل إليه الطلبة من الأفاق ، وقد جمع الحديث من أبي العباس الأصم وأبي القاسم الطبراني ، وقد أراد الطائع على أن يوليئه القضاء فلم يقبل ، توفى في ذي الحجة من هذا العام ، وصلى عليه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي .

(محمد بن جعفر)

ابن محمد بن زكريا أبو بكر الوراق ، ويلقب بقندر ، كان جوالاً رحالاً ، سمع الكثير ببلاد فارس وخراسان ، وسمع البافندي وابن صاحد وابن دويد وغيرهم ، وعنه الحفاظ أبو نعيم الاصفهاني ، وكان ثقة حافظاً .

(ابن خالويه)

الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله النحوي القنوي صاحب المصنفات ، أصله من همدان ، ثم دخل بغداد فأدرك بها مشايخ هذا الشأن : كان دريد وابن بجاهد ، وأبي عمر الزاهد ، واشتغل على أبي سعيد السيرافي ثم صار إلى حلب فضلمت مكاتبه عند آل حمدان ، وكان سيف الدولة يكرمه وهو أحد جلسائه ، وله مع المتنبي مناظرات . وقد سرد له ابن خلكان مصنفات كثيرة منها كتاب ليس في كلام العرب . لأنه كان يكثر أن يقول ليس في كلام العرب كنا وكذا . وكتاب الآل تكلم فيه على أقسامه وترجم الأئمة الاثني عشر وأعرب ثلاثين سورة من القرآن ، وشرح الريدية وغير ذلك ، وله شعر حسن ، وكان به داء كانت به وفاته .

(ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة)

في ربيع الأول منها وقع حريق عظيم بالكرخ ، وفيها سرق شيء نفيس لعضد الدولة فتمجب الناس من جرأة من سرقه مع شدة هيبة عضد الدولة ، ثم مع هذا اجتهدوا كل الاجتهاد فلم يعرفوا من

أخذه . ويقال إن صاحب مصر يث من قبل ذلك فأنه أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان .

﴿الاماعيل﴾

أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس أبو بكر الاماعيلي الجرجاني الحافظ الكبير الرجال الجوال ، جمع الكثير وحديث وخرج وصنف فأنه وأجاد ، وأحسن الانتقاد والاعتقاد ، صنف كتابا على مذهب البخاري فيه فوائد كثيرة ، وعلوم غزيرة . قال الهارظي : كنت عزمت غير مرة على الرحلة إليه فلم أرزق . وكانت وفاته يوم السبت طهر رجب سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، وهو ابن أربع وسبعين سنة رحمه الله .

﴿الحسن بن صالح﴾

أبو محمد السبيعي ، جمع ابن جرير وقاسم الطرز وغيرهما ، وعنه الهارظي والبرقائي ، وكان ثقة حافظا ، كثيرا ، وكان حسرا الرواية .

﴿الحسن بن علي بن الحسن﴾

ابن الهيثم بن طهمان أبو عبد الله الشاهد ، المعروف بالباضي ، جمع الحديث وكان ثقة ، عاش سبعا وتسعين سنة ، منها خمس عشرة سنة مقيدا أعمى .

﴿عبد الله بن الحسين﴾

ابن إسماعيل بن محمد أبو بكر الضبي ، ولي الحكم ببغداد ، وكان عفيفا نزها دينيا .

﴿عبد المزير بن الحارث﴾

ابن أسد بن القيث أبو الحسن القيس القتيبي الجنبلي . له كلام ومصنف في الخلاف ، وجمع الحديث وروى عن غير واحد ، وقد ذكر الخطيب البغدادي أنه وضع حديثا . وأنكر ذلك ابن الجوزي وقال : ما زال هذا دأب الخطيب في أصحاب أحمد بن حنبل . قال : وشيخ الخطيب الذي حكى عنه هذا هو أبو القاسم عبد الواحد بن أسد المكبري لا يعتمد على قوله ، فإنه كان معتزليا وليس من أهل الحديث ، وكان يقول بأن الكفار لا يخلدون في النار . قلت : وهذا قريب فان المعتزلة يقولون بأن الكفار يخلدون في النار ، بل يقولون بتخليد أصحاب الكبائر . قال : وعنه حكى الكلام عن ابن بطة أيضا

﴿علي بن إبراهيم﴾

أبو الحسن المصري الصوفي الراحل شيخ المتصوفة ببغداد ، أصله من البصرة صاحب الشبلي وغيره ، وكان يعظ الناس بالجامع ، ثم لما كبرت سنه بنى له الرباط المقابل لجامع المنصور ، ثم عرف بصاحبه المروزي ، وكان لا يخرج إلا الجملة إلى الجمعة ، وله كلام جيد في التصوف على طريقتهم . ومات قبل ابن الجوزي عنه أنه قال : ما على مني ؟ وأي شيء لي في ؟ حتى أخاف وأرجو ، إن رحم رحم ماله ،

وإن عنب عنب ماله . توفي في ذى الحجة وقد نيف على الثمانين ، ودفن بمقبرة دارحرب من بغداد .

﴿ على بن محمد الأحنب المزور ﴾

كان قوى الخط ، له ملكة على التزوير لا يشاء يكتب على أحد كتابة إلا فعل ، فلا يشك ذلك المزور عليه أنه خطه ، وحصل للناس به بلاء عظيم ، وختم السلطان على يده مراراً فلم يقدر ، وكان يزور ثم كانت وفاته في هذه السنة .

﴿ الشيخ أبو زيد المروزي الشافى ﴾

محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد أبو زيد المروزي شيخ الشافعية في زمانه وإمام أهل عصره في الفقه والزهد والعبادة والورع ، سمع الحديث ودخل بغداد وحدث بها فسمع منه الدارقطني وغيره . قال أبو بكر البزار : حدثت الشيخ أبا زيد في طريق الحج فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة . وقد ذكرت ترجمته بكلمها في طبقات الشافعية . قال الشيخ أبو نعيم : توفي بمرور يوم الجمعة الثالث عشر من رجب من هذه السنة .

﴿ محمد بن خفيف ﴾

أبو عبد الله الشيرازي أحد مشاهير الصوفية ، صاحب الجري وابن عطلة وغيرها . قال ابن الجوزي : وقد ذكرت في كتابي المسمى بتبلييس إبليس عنه حكايات تدل على أنه كان ينهب

مذهب الإباحية ﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وثلاثمائة ﴾

قال ابن الجوزي : في الحرم منها جرى الماء الذي ساقه عضد الدولة إلى داره وبستانه . وفي صفر فتح المارستان الذي أنشأه عضد الدولة في الجانب الغربي من بغداد ، وقد رتب فيه الأطباء والخدم ، وتقل إليه من الأدوية والأشربة والمقاهير شيئاً كثيراً . وقال : وفيها توفي عضد الدولة فكنم أصحابه وفاته حتى أحضروا ولده صمصامة فولوه الأمر وراسلوا الخليفة فبعث إليه بالخلع والولاية

﴿ ذكر شيء من أخبار عضد الدولة ﴾

أبو شعاع ابن ركن الدولة أبو علي الحسين بن بويه الديلمي ، صاحب ملك بغداد وغيرها ، وهو أول من تسمى شاهنشاه ، ومنه ملك الملوك . وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أوضح اسم - وفي رواية أخرجه اسم - عند الله رجل تسمى ملك الملوك » وفي رواية « ملك الأملاك لا ملك إلا الله عز وجل » . وهو أول من ضربت له النجاذب ببغداد ، وأول من خطب له بها مع الخليفة . وذكر ابن خلكان أنه امتدحه الشراء بمدائح هائلة منهم المتنبي وغيره ، فن ذلك قول أبي الحسن محمد بن عبد الله السلمي في قصيدة له :

إليك طوى عرض البسيطة جامل • قصارى المطايا أن يلوح لها القصر
فكنت ومزى في الظلام وصارى • ثلاثة أشياء كما اجتنع النسر

وبشرت آمالي بكلك هو الوردى • ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر
وقال المتنبي أيضا :

هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى • ومنزلك الدنيا وأنت الخلاق
قال وقال أبو بكر أحمد الراجاني في قصيدة له يتناغم يلحق السلاهي أيضا وهو قوله :
لقتنه فرأيت الناس في رجل • والدهرق ساعة والأرض في دار

قال : وكتب إليه افئسكين مولى أخيه يستمدد بمجيش إلى دمشق فيقاتل به الفاطميين ، فكتب
إليه عضد الدولة « فَرَكْ عَرَكْ فصار قصارك ذلك ، فأخش فأخش فلك ، فلك بهذا تهاداً » . قال
ابن خلكان : ولقد أبدع فيها كل الابداع ، وقد جرى له من التعظيم من الخليفة ما لم يقع لغيره قبله ،
وقد اجتهد في حمارة بناد والطرقاب ، وأجرى النفقات على المساكين والمهاجيج ، وحفر الأنهار
و بنى البارستان المضدى وأدار السور على مدينة الرسول ، فعل ذلك مدة ملكه على العراق ، وهى
خمس سنين ، وقد كان عاقلاً فاضلاً حسن السياسة شديد الهيبة بعيد الهمة ، إلا أنه كان يتجاوز فى
سياسة الأمور الشرعية ، كان يجب جارية فألته عن تدبير المملكة ، فأمر بتفريقها . وبلغه أن
غلاماً له أخذ لرجل بطيخة فضر به بسيفه فقطعه نصفين ، وهذه مبالغة . وكان سبب موته الصرع .
وحين أخذ فى علة موته لم يكن له كلام سوى ثلاثة قولة تعالى (ما أغنى عنى ماله هلك عنى
ساطانيه) فكان هذا هيماء حتى مات . وحكى ابن الجوزى أنه كان يحب العلم والفصيلة ، وكان
يقراً عنه كتاب إقليدس وكتاب النحول لأبى على الفارسى ، وهو الايضاح والشككة الذى صنعه له .
وقد خرج مرة إلى بستان له فقال أود لوجاه المطر ، فنزل المطر فأنشأ يقول :

ليس شرب الراح إلا فى المطر • وغناء من جوار فى السحر
غائبات سالبات فأنهى • ناعمات فى تضاعيف الوتر
راقصات زاهرت فحل • رافلات فى أفانين الحبر
مطر بات غنجات لمن • رافضات الهم أمال الفكر
مبرزات الكاس من معلما • مسقيات الحزم من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها • ملاك الاملاك غلاب القدر^(١)
سهل الله إليه نصره • فى ملوك الأرض ملادام القصر
وأراه الخير فى أولاده • ولباس الملك فيهم بالفر

قبحه الله وقبح شره وقبح أولاده ، فانه قد اجترأ فى آياته هذه فلم يفلح بعدها ، فيقال : إنه
حين أنشد قوله غلاب القدر ، أخبده الله فأهلكه ، ويقال : إن هذه الأبيات إنما أشدت بين يديه
(١) بهامش الاصل : كذب القاتل فى لجنته . وكذا فى شره أيضا كفر .

ثم هلك عقيبها . مات في شوال من هذه السنة عن سبع أو ثمان وأربعين سنة ، وحمل إلى مشهد على فدفن فيه ، وكان فيه رفض وتشيع ، وقد كتب على قبره في تربته عند مشهد على : . هذا قبر عضد الدولة ، ونجح المملكة ، أبي شجاع بن ركن الدولة ، أحب مجاورة هذا الامام المتقي لطعمه في الخلاص (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) والحمد لله وصلواته على محمد وعترته الطاهرة . وقد تمثل عند موته بهذه الأبيات وهي للقاسم بن عبيد الله :

قتلت صنديد الرجال فلم أدع * عدوا ولم أهل على ظنه خلقا
وأخليت در الملك من كان باذلا * فشردهم غربا وشردهم شرقا
فلما بلغت النجم عزا ورفعة * وصارت رقاب الخلق أجمع لي رفا
رماني الردي سها فأخذ جرتي * فيها أنا ذا في حفرتي عطلا ملقي
فأذهبت دنياي ودينى سفاهة * فن ذا القى منى بمصرعه أشقى ؟

ثم جعل يذكر هذه الأبيات وهذه الآية (ما أغنى عنى ماله هلك عنى سلطانيه) إلى أن مات . وأجلس ابنه مصمصا على الأرض وعليه ثياب السواد ، وجاءه الخليفة معز بن واثق النساء عليه في الأسواق حاسرات عن وجوههن أياما كثيرة ، ولما انقضى الغراء ركب ابنه مصمصا إلى دار الخلافة فقلع عليه الخليفة سبع خلع وطوقه وسوره وألبسه اللثام ولقبه شمس الدولة ، وولاه ما كان يتولاه أبوه ، وكان يوما مشهودا . (محمد بن جعفر)

ابن أحمد بن جعفر بن الحسن بن وهب أبو بكر الجبري المعروف بزواج الحرمة ، سمع ابن جرير والبيهقي وابن أبي داود وغيرهم ، وعنه ابن رزقويه وابن شاهين والبرقاني ، وكان أحد المدول الثقات جليل القدر . وذكر ابن الجوزي والمطيب سبب تسميته بزواج الحرمة أنه كان يدخل إلى مطبخ أبيه بدار مولاه التي كانت زوجة المقتر بالله ، فلما توفي المقتر وبقيت هذه المرأة سالمة من الكتاب والمصادرات وكانت كثيرة الأموال ، وكان هذا غلاما شابا حدث السن يحمل شيئا من جوائح المطبخ على رأسه فيدخل به إلى مطبخها مع جملة الخدم ، وكان شابا رشيقا حركا ، فتفق على التهرمأة حتى جعلته كاتبيا على المطبخ ، ثم ترقى إلى أن صار وكيلا لست على ضياعها ، ينظر فيها وفي أموالها ، ثم آكل به الجبال حتى صارت الست تهدمه من وراء الحجاب ، ثم علقت به وأحبته وسألته أن يتزوج بها فاستصغر نفسه وخاف من غائلة ذلك فنجسها هي وأعطته أموالا كثيرة ليظهر عليه الحبسة والعبادة بما يناسبها ليتأهل لذلك ، ثم شرعت تهدي للقضاة والأكابر ، ثم عزمت على تزويجه ورضيت به عند حضور القضاة ، واعترض أولياؤها عليها فبليتهم بالمسكر والمدايا ، ودخل عليها فيكسرت به دهرها طويلا ثم ماتت قبله فورث منها نحو ثلثمائة ألف دينار ، وطال عمره بمسحها حتى كانت وفاته في هذه السنة

والله أعلم ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ﴾

فيها غلت الأسعار ببغداد حتى بلغ السكر من الطعام إلى أربعة آلاف وثمانمائة ، ومات كثير من الناس جوعاً ، وجافت الطرقات من الموتى من الجوع ، ثم تساهل الحال في ذى الحجة منها ، وجاء الخليفة بموت مؤيد الدولة بن ركن الدولة ، وأن أبا القاسم بن عباد الوزير بعث إلى أخيه نضر الدولة فولاه الملك مكانه ، فاستوزر ابن عباد أيضاً على ما كان عليه ، ولما بلغ القرامطة موت عضد الدولة قصدوا البصرة ليأخذوها مع الكوفة فلم يتم لهم ذلك ، ولكن صولحو على مال كثير فأخذوه وانصرفوا . وعمن توفي فيها من الأعيان بويه مؤيد الدولة بن ركن الدولة ، وكان ملكاً على بعض ما كان أبوه يملكه ، وكان الصاحب أبو القاسم بن عباد وزيره ، وقد تزوج مؤيد الدولة هذا ابنة عمه معز الدولة ، فمزم على عرسه سبعمائة ألف دينار ، وهذا سرف عظيم .

﴿ بلكين بن زبري بن منادى ﴾

الحمدى الصنهاجى ، ويسى أيضاً يوسف ، وكان من أكابر أمراء المعز الفاطمى ، وقد استخلفه على بلاد إفريقية حين سار إلى القاهرة ، وكان حسن السيرة ، له أربعائة حظية ، وقد بشر في ليلة واحدة بتسعة عشر ولداً ، وهو جد باديس المغربى .

﴿ سعيد بن سلام ﴾

أبو عثمان المغربى ، أصله من بلاد القيروان ، ودخل الشام وصحب أبا الخليل الأقطع ، وجاور بمكة مدة سنين ، وكان لا يظهر فى المواسم ، وكانت له كرامات ، وقد أثنى عليه أبو سليمان الخطاطب وغيره ، وزوى له أحوال صلحة رحمه الله تعالى .

﴿ عبد الله بن محمد ﴾

ابن عبد الله بن عثمان بن المختار بن محمد المرى الواسطى ، يعرف بابن السقا ، جمع عبدان وأبا يعلى الموصلى وابن أبى داود والبغوى ، وكان فهماً حافظاً ، دخل بغداد فحدث بها مجالس كثيرة من حفظه ، وكان يفضله المارغلانى وغيره من الحفاظ فلم يشكروا عليه شيئاً ، غير أنه حدث مرة عن أبى يعلى يحدث أنكره عليه ثم وجدوه فى أصله بخط الضمى ، كما حدث به ، فبرئ من عهده .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ﴾

فيها جرى الصلح بين مصامة وبين عمه نضر الدولة ، فأرسل الخليفة لنضر الدولة خلماً وتغصاً . قال ابن الجوزى : وفى رجب منها عمل عرس فى درب رباح فسقطت الدار على من فيها فهلك أكثر النساء بها ، ونفش من تحت الردم فكانت المصيبة طامة . وفيها كانت وفاة .

﴿الحافظ أبي التتح محمد بن الحسن﴾

ابن أحمد بن الحسين الأزدي الموصل المصنف في الجرح والتعديل ، وقد سمع الحديث من أبي يعلى وطبقته ، وضعفه كثير من الحفاظ من أهل زمانه ، واتهمه بعضهم بوضع حديث رواه لابن بويه ، حين قدم عليه بغداد ، فساقه بإسناد إلى النبي ﷺ « أن جبريل كان ينزل عليه في مثل صورة ذلك الأمير » . فأجازه وأعطاه درام كثيرة . والمجب إن كان هذا صحيحاً كيف راج على أحد ممن له أدنى فهم وعقل ، وقد أرخ ابن الجوزي وفاته في هذه السنة ، وقد قيل إنه توفي سنة تسع وستين .

﴿الخطيب ابن نبأة الحذاء﴾

في بطن من قضاة ، وقيل إداد الفارقي خطيب حلب في أيام سيف الدولة بن حمدان ، ولما أكثر ديوانه انطباع الجهادية ، ولم يسبق إلى مثل ديوانه هذا ، ولا يلحق إلا أن يشاء الله شيئاً ، لأنه كان فصيحاً بليغاً ديناً ورعاً ، روى الشيخ تاج الدين الكندي عنه أنه خطب يوم جمعة بخطبة المنام ثم رأى ليلة السبت رسول الله ﷺ في جماعة من أصحابه بين المقابر ، فلما أقبل عليه قال له : مرحباً بخطيب الخطباء ، ثم أوماً إلى قبور هناك فقال لابن نبأة : كأنهم يكونوا للميونة قرة ، ولم يمدوا في الأحياء مرة ، أبادم الله خلقهم ، وأسكتهم إلى أنطقهم ، وسيجدهم كما أخلقهم ، ويجمعهم كما فرقهم ، قم الكلام ابن نبأة حتى انتهى إلى قوله (يوم تكونوا شهداء على الناس) وأشار إلى الصحابة الذين مع الرسول - ويكون الرسول عليكم شهيداً) وأشار إلى رسول الله ﷺ . قال : أحسنت أحسنت أدته أدته ، تقبل وجهه وقفل في فيه - وقال : وهك الله : فاستيقظ وبه من السرور أمر كبير ، وعلى وجهه بهاء ونور ، ولم يمش بعد ذلك إلا سبعة عشر يوماً لم يستطع بطعام ، وكان يوجد منه مثل رائحة المسك حتى مات رحمه الله . قال ابن الأزرقي الفارقي : ولد ابن نبأة في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، وتوفي في سنة أربع وسبعين وثلثمائة . حكاه ابن خلكان .

﴿ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلثمائة﴾

فيها خلع الخليفة على مصمامة الدولة وسوره وطوقه وأركب على فرس يسرج ذهب ، وبين يديه جنيت مثله ، وفيها ورد الخبير بأن اثنين من سادة القرامطة وهما إسحاق وجعفر ، دخلا الكوفة في حفل عظيم فآزجحت النفوس بسبب ذلك ، وذلك لعزائمهما وشجاعتيهما ، ولأن عضيد الدولة مع شجاعته كان يهابهما ، وأقطعها أراضى من أراضى واسط ، وكذلك عز الدولة من قبله أيضاً . فجهز إليهما مصمامة جيشاً فطردهما عن تلك النواحي التي قد أكثروا فيها الفساد ، ويطل ما كان في نفوس الناس منهما . وفيها هزم مصمامة الدولة على أن يضع مكسا على الثياب اليريسميات ، فاجتمع الناس بجامع المنصور وأرادوا تعطيل الجمعة وكادت الفتنة تقع بينهم فأعفوا من ذلك .

وفي ذى الحجة ورد الخبر بموت مؤيد الدولة فجلس مصمصا للمراء ، وجاء إليه الخليفة مزياله فقام إليه مصمصا وقبل الأرض بين يديه وتخطباً في المراء بألفاظ حسنة . وفيها توفي الشيخ .

﴿ أبو علي بن أبي هريرة ﴾

واسمه الحسن بن الحسين ، وهو أحد مشايخ الشافعية ، وله اختيارات كثيرة غريبة في المنهج وقد ترجمناه في طبقات الشافعية .

﴿ الحسين بن علي ﴾

ابن محمد بن يحيى أبو أحمد النيسابوري المروفي بحسبك ، كانت تربيته عند ابن خزيمة وتلميذاً له ، وكان يقدمه على أولاده ويقر له مالا يقر لغيره ، وإذا تخلف ابن خزيمة عن مجالس السلطان بمسح حسبك مكانه . ولما توفي ابن خزيمة كان عمر حسبك ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم عمر بعده دهرًا طويلاً ، وكان من أكثر الناس عبادة وقراءة للقرآن ، لا يترك قيام الليل حضراً ولا سفراً ، كثير الصدقات والصلوات ، وكان يحكي وضوء ابن خزيمة وصلاته ، ولم يكن في الأغنياء أحسن صلاة منه رحمه الله ، وصلى عليه الحافظ أبو أحمد النيسابوري .

﴿ أبو القاسم الداركي ﴾

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد أبو القاسم الداركي أحد أئمة الشافعية في زمانه ، نزل نيسابور ثم سكن بغداد إلى أن مات بها ، قال الشيخ أبو حامد الأسفراييني : ما رأيت أفقه منه . وحكى الخطيب عنه أنه كان يسأل عن الفتوى فيجيب بعد تفكير طويل ، فربما كانت فتواه مخالفة لمنهج الشافعي وأبي حنيفة فيقال له في ذلك فيقول : ويلتكم روي فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ كذا وكذا ، فلا خذبه أولى من الأخذ بمنهج الشافعي وأبي حنيفة ، ومخالفتها أسهل من مخالفة الحديث . قال ابن خلكان : وله في المنهج وجوه جسيمة دالة على متانة علمه ، وكان يهتم بالاعتزال ، وكان قد أخذ العلم عن الشيخ أبي إسحاق المروزي ، والحديث عن جده لأنه الحسن بن محمد الداركي ، وهو أحد مشايخ أبي حامد الأسفراييني ، وأخذ عنه عامة شيوخ بغداد وغيرهم من أهل الأفاق ، وكانت وفاته في شوال ، وقيل في ذى القعدة منها ، وقد نيف على السبعين رحمه الله .

﴿ محمد بن أحمد بن محمد بن حسنويه ﴾

أبوسهل النيسابوزي ، ويعرف بالحسنوي ، كان قتيهاً شافعيًا أدبياً محدثاً مشتهراً بنفسه عمالاً يمينيه ﴿ محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح ﴾ .

أبو بكر القتيبي المالكي ، سمع من ابن أبي عروبة والباغندي وأبي بكر بن أبي داود وغيرهم ، وعنه البرقي ، وله تصانيف في شرح ملخص مالك ، وانتهت إليه رئاسة منهج مالك ، وعرضه عليه

التضاض فأبى وأشار بأبي بكر الرازي الحنفي ، فلم يقبل الآخر أيضاً . توفي في شوال منها عن ست وثمانين سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلاثمائة ﴾

قال ابن الجوزي : في عمرها كثرت الحيات في بغداد فهلك بسبب ذلك خلق كثير . ولسيع خلون من ربيع الأول - وكان يوم العشرين من تموز - وقع مطر كثير يبرق ورعد . وفي رجب غلت الأسماك جدا . وورد أنطيوخ في أنه وقع بالموصل زلّة عظيمة سقط بسببها عمران كثير ، ومات من أهلها أمة عظيمة . وفيها وقع بين مصمام الدولة وبين أخيه شرف الدولة فانتحلا فغلبه شرف الدولة ودخل بغداد فتلقاه الخليفة وهناك بالسلامة ، ثم استدعى شرف الدولة بفراش ليكمل مصمام الدولة فافق ، ومته فأكله بعد موته ، وهذا من غريب ما وقع . وفي ذي الحجة منها قبل قاضي القضاة أبو محمد ابن معروف شهادة القاضي الحافظ أبي الحسن الدارقطني ، وأبي محمد بن عقبة ، فذكر أن الدارقطني نسى على ذلك وقال : كان يقبل قولي على رسول الله ﷺ وحدي فصار لا يقبل قولي على نقي إلا مع غيره .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ﴾

في صفرها عقد مجلس بمحضرة الخليفة فيه القضاة وأعيان الدولة وجددت البيعة بين الطالع وبين شرف الدولة بن عضد الدولة وكان يوما مشهودا ، ثم في ربيعها الأول ركب شرف الدولة من داره إلى دار الخليفة وزينت البسلة وضربت البوقات والطبول والأفاديح ، فخلع عليه الخليفة وسوره وأعطاه لوازم معه ، وعقد له على ما وراء داره ، واستخلفه على ذلك ، وكان في جملة من قدم مع شرف الدولة القاضي أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف ، فلما رآه الخليفة قال :

مرحبا بالأحبة القادمينا • أوحشونا وطال ما آكسونا

فقبل الأرض بين يدي الخليفة ، ولما قضيت البيعة دخل شرف الدولة على أخته امرأة الخليفة . فبكث عندها إلى مصر والناس يلتفتونه ، ثم خرج وسار إلى داره لتهنئته . وفيها اشتد الغلاء جدا ثم لحقه فناء كثير . وفيها توفيت أم شرف الدولة - وكانت تركية أم ولد - فجاءه الخليفة فبرأه . وفيها ولد لشرف الدولة ابنان توأمان .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن الحسين بن علي ﴾

أبو حامد المروزي ، ويعرف بابن الطبري ، كان حافظا للحديث مجتهدا في العبادة ، متقنا بصيرا بالأثر ، قتيبا حنفيا ، درس على أبي الحسين للكرخي وصنف كتابا في الفقه والتاريخ ، وولى قضياه القضاة بمخراسان ، ثم دخل بغداد وقد علت سنه ، فحدث الناس وكتب الناس عنه ، منهم الدارقطني .

﴿إسحاق بن القنبر بالله﴾

توفي ليلة الجمعة لسبع عشر من ذي الحجة عن ستين سنة ، وصلى عليه ابنه القادر بالله وهو إذ ذاك أمير المؤمنين ، ودفن في تربة جدته شغب أم القنبر ، وحضر جنازته الأمراء والأعيان من جهة الخليفة وشرف الدولة ، وأرسل شرف الدولة من عزي الخليفة فيه ، واعتبر من الحضور لوجع حصل له

﴿جفر بن المكتفي بالله﴾

كان فاضلا توفي فيها أيضاً .

﴿أبو علي الفارسي النحوي﴾

صاحب الإيضاح والمصنفات الكثيرة ، ولد ببغداد ثم دخل بغداد وخدم الملوكة وحظي عند عضد الدولة بحيث إن عضد الدولة كان يقول أنا غلام أبي علي في النحو ، وحصلت له الأموال ، وقد اتهم قوم بالاعتزال وفضله قوم من أصحابه على المبرد ، ومن أخذ عنه أبو عثمان بن جني وغيره ، توفي فيها عن بضع وتسعين سنة .

﴿ستينة﴾

أمه

بليت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي ، وتكنى أم عبد الواحد ، قرأت القرآن وحفظت الفقه والفرائض والحساب والدرر والنحو وغير ذلك ، وكانت من أصل الناس في وقتها بمنزلة الشافعي ، وكانت تفتي به مع الشيخ أبي علي بن أبي هريرة ، وكانت فاضلة في نفسها كثيرة الصدقة ، مسارعة إلى فعل الخيرات ، وقد سمعت الحديث أيضا ، وكانت وقّتها في رجب عن بضع وتسعين سنة .

﴿ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة﴾

في محرّمها كثرت الغلاء والفناء ببغداد إلى شعبان كثرت الرياح والمواصف ، بحيث هدمت كثيرا من الأبنية ، وغرق شيء كثير من السفن ، واحتملت بعض الزوارق فألقته بالأرض من ناحية جوسى ، وهذا أمر هائل وخطب شامل . وفي هذا الوقت لحق أهل البصرة حر شديد بحيث سقط كثير من الناس في الطرقات وماتوا من شدّة .

﴿الحسن بن علي بن ثابت﴾

وفيها توفي من الأعيان

أبو عبد الله المقرئ ، ولد أمي ، وكان يحضر مجلس ابن الأبارى فيحفظ ما يقول وما عليه كله ، وكان طريفا حسن الزى ، وقد سبق الشاطبي إلى تصبئة حملها في القراءات السبع ، وذلك في حياة النقاش ، وكانت تصبئه جدا ، وكذلك شيوخ ذلك الزمان أذعنوا إليها .

﴿الخليل بن أحمد القاضي﴾

شيخ الحنفية في زمانه ، كان مقدما في الفقه والحديث ، مع ابن جرير والبغوي وابن صاعد وغيرهم ، ولهذا سمي باسم النحوي المتقدم .

﴿ زياد بن محمد بن زياد بن الهيثم ﴾

أبو العباس الخرخاني بقاء بن مجتمين نسبة إلى قرية من قرى قومن ، ولهم الجرجاني بجمين ،
 وهم جماعة ، ولهم الخرجاني بقاء مسجدة ثم جيم . وقد حرر هذه المواضع الشيخ ابن الجوزي في منظومه

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمائة ﴾

فيها كانت وفاة شرف الدولة بن عضد الدولة بن بويه الديلمي ، وكان قد انتقل إلى قصر من
 الدولة عن إشارة الأطباء لصحة الهواء ، وذلك لشدة ما كان يجده من الداء ، فلما كان في جادى
 الأولى تزايد به ومات في هذا الشهر ، وقد عهد إلى ابنه أبى نصر ، وجاء الخليفة في طيارة لتزيتته
 في والده فقلعه أبو نصر والترك بين يديه والديلم ، قبّل الأرض بين يدي الخليفة ، وكلّك بقية
 السكر والخليفة في الطيارة وهم يقولون الأرض إلى تاحت . وجاء الرئيس أبو الحسين على بن
 عبد العزيز من عند الخليفة إلى أبى نصر قبلته لتزيتته له في والده قبّل الأرض أيضا ثانية ، وعاد
 الرسول أيضا إلى الخليفة قبلته شكر الأمير ، ثم عاد من جهة الخليفة لتوديع أبى نصر قبّل الأرض
 ثالثا ، ورجع الخليفة . فلما كان يوم السبت طثر هذا الشهر ركب الأمير أبو نصر إلى حضرة الخليفة
 الطائع لله ومنه الأشراف والأعيان والقضاة والأمراء ، وجلس الخليفة في الرواق ، فلما وصل الأمير
 أبو نصر خلع عليه الخليفة سبع خلع أعلنهن السواد وعملة سوداء وفي عنقه طوق وفي يده سواران
 ومشى الحجاب بين يديه بالسيوف والناطق ، قبل الأرض ثانية ووضع له كرسي مجلس عليه وقرأ
 الرئيس أبو الحسن عهده ، وقسم إلى الطائع لواء فقده بيده ولقبه بهاء الدولة وضياء الله ، ثم خرج من
 بين يديه والسكر معه حتى عاد إلى دار المملكة ، وأقر الوزير أبا منصور بن صالح على الوزارة ، وخلع
 عليه . وفيها بنى جامع القطيعة - قطيعة أم جعفر - بالجانب الغربي من بغداد ، وكان أصل بناء هذا
 المسجد أن امرأة رأت في منامها رسول الله ﷺ يصلى في مكانه ، ووضع يده في جدار هناك ، فلما
 أصبحت فذكرت ذلك فوجدوا أثر الكف في ذلك الموضع ، فبنى مسجدا ثم توفيت تلك المرأة في ذلك
 اليوم ، ثم إن للشرىف أبا أحمد الموسوى جده وجعله جليما ، وصلى الناس فيه في هذه السنة .

وفيها توفى من الأعيان . ﴿ شرف الدولة ﴾

ابن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه الديلمي ، تملك بغداد بعد أبيه ، وكان يحب الخيل
 ويبغض الشر ، وأجر بترك المصادرات . وكان مرضه بالاستسقاء فتزايد به حتى كاتبت وفاته ليلة الجمعة
 الثانی من جادى الآخرة عن ثمان وعشرين سنة وخمسة أشهر ، وكانت مدّة ملكه ستين وثمانية
 أشهر ، وحمل نأوته إلى تربة أبيه بعشده على ، وكلّم فيه تشيع ورفض .

(محمد بن جعفر بن العباس)

أبو جعفر ، وأبو بكر النجار ، ويلقب غنم أيضاً ، روى عن أبي بكر النيسابوري وطبقته ، وكان فهما يفهم القرآن فهماً حسناً وهو من قتلت الناس .

(عبد الكريم بن عبد الكريم)

ابن بديل أبو الفضل الغزاعي الجرجاني قسم ببنداد وحدث بها . قال الخطيب : كانت له عناية بالقراءات وصنف أسانيدها ، ثم ذكر أنه كان يخطط ولم يكن مأموناً على ما يرويه ، وأنه وضع كتاباً في الحروف ونسبه إلى أبي حنيفة ، فكتب الدارقطني وجماعة أن هذا الكتاب موضوع لا أصل له ، فانفضح وخرج من ببنداد إلى الجبل فاشتهر أمره هناك وحبط منزلته ، وكان يسمى نفسه أولاً جيلاً ، ثم غيره إلى محمد .

(محمد بن المطرف)

ابن موسى بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن سلمة بن لياس ، أبو الحسين البزار الحافظ ، ولد في محرم سنة ثلثمائة ، ورحل إلى بلاد شق ، وروى عن ابن جرير والبقوي وخلق ، وروى عنه جماعة من الحفاظ - منهم الدارقطني - شيئاً كثيراً ، وكان يعظمه ويحبه ولا يستند بحضرته ، كان ثقة ثباتاً ، وكان قدما ينتقد على المشايخ ، ثم كانت وفاته في هذه السنة ودفن يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الأولى أو الأخرى منها . (ثم دخلت سنة ثمانين وثلثمائة من الهجرة)

فيها قلد الشريف أبو أحمد الحسن بن موسى الموسوي ثقابة الأشراف الطالبين والنظر في المظالم وإمرة الخراج ، وكتب عهداً بذلك واستخلف ولده المرتضى أبو القاسم والرضى أبو الحسين على الثقابة وخلع عليهما . وفيها تفاقم الأمر بالعباسيين ببنداد وصار الناس أحزاباً في كل محلة أمير مقدم ، واقتتل الناس وأخذت الأموال واتصلت الكيسات وأحرقت دور كبار ، ووقع حريق بالتهار في نهر الحجاج ، فاحترق بسببه شيء كثير فتناس والله أعلم .

(يعقوب بن يوسف)

وفيها توفي من الأعيان

أبو الفتوح بن كلس ، وزير العزيز صاحب مصر ، وكان شهيداً فهماً ذاهمة وتدبير وكلة نافذة عند محنومه ، وقد فوض إليه أموره في سائر مملكته ، ولما مرض عاده العزيز ووصاه الوزير بأمر مملكته ولما مات دفنه في قصره وتولى دفنه بيده وحزن عليه كثيراً ، وأغلق الديوان أياماً من شدة حزنه عليه . (ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وثلثمائة)

فيها كان القبض على الخليفة الطالع لله وخلافة القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير إسحاق ابن المعتد بالله ، وكان ذلك في يوم السبت التاسع عشر من شعبان منها ، وذلك أنه جلس الخليفة على عادته في الرواق وقعد الملك بهاء الدولة على السرير ، ثم أرسل من اجتنب الخليفة بمحامل سيفه

عن السرير ولقوه في كساء وخلوه إلى الخزانة بدار المملكة ، وتشاغل الناس بالتهيب ولم يذروا أكثر الناس ما لخطب وما انظر ، حتى أن كبير المملكة بهاء الدولة غلب الناس أنه هو الذي مسك ، فتهبت الخزان والحواصل وأشياء من أثاث دار الخلافة ، حتى أخفت ثياب الأعيان والفضة والشهود وجرت كائنة عظيمة جدا ، ورجع بهاء الدولة إلى داره وكتب على الطائع كتابا بالخلع من الخلافة ، وأشهد عليه الأشراف وغيرهم أنه قد خلع نفسه من الخلافة وسلمها إلى القادر بالله ، وتودى بذلك في الأسواق ، وسبقت الديلم والأتراك وطالبوا برسم البيعة ، وراسلوا بهاء الدولة في ذلك وطاول الأمر في يوم الجمعة ، ولم يمكنوا من البقاء له على المنبر بصريح اسمه ، بل قالوا اللهم أصلح عينك وخليفتك القادر بالله ، ثم أرضوا وجوههم وأكبرهم وأخذت البيعة له وافقت الكلمة ، وأمر بهاء الدولة بتحويل جميع ما في دار الخلافة من الأواني والأثاث وغيره إلى داره ، وأبيعت للعلماء والخاصة قتلوا وشتموا أبنيتها ، وهذا الخليفة القادر قد هرب إلى أرض البطيحة من الطائع حين كان يطلبه ، ولما رجع إلى بغداد ما نعمته الديلم من الدخول إليها حتى يعطيهم رسم البيعة ، وجرت بينهم خلوط طويلة ، ثم رضوا عنه ودخل بغداد ، وكانت مدة هربه إلى أرض البطيحة ثلاث سنين . ولما دخل بغداد جلس في اليوم الثاني جلوسا عاما إلى التهنئة وسماع المدائح والقبائد فيه ، وذلك في العشر الأخير من شوال ، ثم خلع على بهاء الدولة وقوض إليه ما وراء يابه ، وكان الخليفة القادر بالله من خيار الخلفاء وسادات العلماء في ذلك الزمان ، وكان كثير الصدقة حسن الاعتقاد ، وصنف قصيدة فيها فضائل الصحابة وغير ذلك ، فكانت تقرأ في حلق أصحاب الحديث كل جمعة في جامع المهدي ، وتجتمع الناس لسماعها مدة خلافته ، وكان ينشد هذه الأبيات يترنم بها وهي لسابق البربري :

سبق القضاء بكل ما هو كائن • والله يا هذا لرزقك ضامن
 تمنى بما تكفى وتترك ما به • تمنى كأنك للحوادث آمن
 أو ما ترى الدنيا ومصرع أهلها • فاعل ليوم فراقها يا خائن
 واعلم بأنك لا أهلك في القى • أصبحت نجمته لنفرك خازن
 يا طمر الدنيا أنمر منزلا • لم يبق فيه مع النية ساكن
 الموت شيء أنت تعلم أنه • حتى وأنت بذكره متهاون
 إن النية لا توارى من أنت • في نفسه يوما ولا تستأنن

وفي اليوم الثالث عشر من ذي الحجة - وهو يوم غدیر خم - جرت فتنة بين الرافض والسنة واقتتلوا قتل منهم خلق كثير ، واستظهر أهل باب البصرة وخرقوا أعلام السلطان ، قتل جماعة اتهموا بفعل ذلك ، وصلبوا على القنطرة ليرتدع أمثالهم . وفيها ظهر أبو اللشوح الحسين بن جعفر

المولى أمير مكة ، وادعى أنه خليفة ، وحسب نفسه الراشد بالله ، فآلاه أهل مكة وحصل له أموال من رجل أوصى له بها ، فانتظم أمره بها ، وتقلد سيفاً وزعم أنه ذو القنار ، وأخذ بيده قضيبياً زعم أنه كان رسول الله ﷺ ، ثم قصد بلاد الرملة ليستعين بعرب الشام ، فتلقوه بالرحب وقبلوا له الأرض ، وسلموا عليه بأمر المؤمنين ، وأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود . ثم إن الحاكم صاحب مصر - وكان قد قام بالأمر من بعد أبيه المزين في هذه السنة - بعث إلى عرب الشام بمطلفات وهدم من الذهب بألوف ومئات ، وكنهه إلى عرب الحجاز ، واستتاب على مكة أميراً وبعث إليه بمخسعين ألف دينار ، فانتظم أمر الحاكم وتمزق أمر الراشد ، وانسحب إلى بلاده كما بدأ منها ، وعاد إليها كما خرج عنها ، واضمححل حاله وانتقضت حياته ، وتفرق عنه رجاله .

وعن توفى فيها من الأعيان (أحمد بن الحسين بن مهران)

أبو بكر المقرئ ، توفى في شوال منها عن ست وثمانين سنة ، واتفق له أنه مات في يوم وفاته أبو الحسن المامري القيلسوف ، فرأى بعض الصالحين أحمد بن الحسين بن مهران هذا في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : أقام أبا الحسن المامري بجانبي ، وقال هذا فداؤك من النار .

(عبد الله بن أحمد بن معروف)

أبو محمد القاضي قضاة بغداد ، روى عن ابن صاعد وعنه الغلال والأزهري وغيرهما ، وكان من العلماء الثقات العقلاء الفطناء ، حسن الشكل جميل البس ، حفيظاً عن الأموال ، توفى عن خمس وسبعين سنة ، وصلى عليه أبو أحمد الموسوي ، فكبر عليه خمساً ، ثم صلى عليه ابنه بجامع المنصور فكبر عليه أربعاً ، ثم دفن في داره سلمه الله .

(جوهري بن عبد الله)

القائد بالي القاهرة ، أصله أرمني ويرف بالكاتب ، أخذ مصر بعد موت كافور الأشعبي ، أرسله مولاه المزين الفاطمي إليها في ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، فوصل إليها في شعبان منها في مائة ألف مقاتل ، ومانتي صندوق لينتقمه في حمارة القاهرة ، فبرزوا لقتاله فكسروهم وجدد الأمان لأهلها ، ودخلها يوم الثلاثاء لثمان عشرة خلت من شعبان ، فشق مصر ونزل في مكان القاهرة اليوم ، وأسس من ليلته القصرين وخطب يوم الجمعة الأتية لمولاه ، وقطع خطبة بني العباس ، وذكر في خطبته الأئمة الاثني عشر ، وأمر فأذن يحيى على خير العمل ، وكان يظهر الاحسان إلى الناس ، ويجلس كل يوم سبت مع الوزير ابن الفرات والقاضي ، واجتهد في تمكيل القاهرة وفرغ من جامعها الأزهر سريعاً ، وخطب به في سنة إحدى وستين ، وهو الذي يقال له الجامع الأزهر ، ثم أرسل جعفر بن فلاح إلى الشام فأخفها ، ثم قسم مولاه المعز في سنة اثنتين وستين كما قسم ، فقتل بالقصرين

ولم تزل منزلت عالية عنده إلى أن مات في هذه السنة ، وقام مكانه الحسين القى كان يقال له قائد القواد ، وهو أكبر أمراء الحاكم ، ثم كان قتله على يديه في سنة إحدى وأربعائة ، وقتل معه صهره زوج أخته القاضي عبد العزيز بن النعمان ، وأعلن هذا القاضي هو الذي صنف البلاغ الأكبر ، والناموس الأعظم ، القى فيه من الكفر ما لم يصل إبليس إلى مثله ، وقد رد على هذا الكتاب أبو بكر الباقلائي رحمه الله .

(ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وثلثمائة)

في عاشر محرمها أمر الوزير أبو الحسن علي بن محمد الكوكبي - ويعرف بابن المسلم - وكان قد استحوذ على السلطان - أهل الكرخ ولأب الطلق من الرافضة بأن لا يعولوا شيئاً من تلك البع التي كانوا يتماطون بها في عاشوراء : من تسليم المسوح وتعليق الاسواق والنيحة على الحسين ، فلم يفعلوا شيئاً من ذلك والله الحمد . وقد كان هذا الرجل من أهل السنة إلا أنه كان طامعاً ، رسم أن لا يقبل أحداً من الشهود بمن أحدثت عدالته بعد ابن معروف ، وكان كثيراً منهم قد بدل أموالاً جزيلة في ذلك ، فاحتاجوا إلى أن جموا له شيئاً فوقع لهم بالاستمرار ، ولما كان في جمادى الآخرة سمعت الديلم والترك على ابن المسلم هذا وخرجوا بجياعهم إلى باب الشامية وراسلوا بهاء الدولة ليسله إليهم ، لنسوء معاملته لهم ، فدافع عنه مداخلة عظيمة في أيام متعددة ، ولم يزالوا يرأسونه في أمره حتى خففه في جبل ومات ودفن بالمحرم . وفي رجب منها سلم الخليفة الطائع القى خلع إلى الخليفة القادر فأمر بوضعه في حجرة من دار الخلافة وأمر أن يجرى عليه الأرزاق والتحف والأطراف ، مما يستعمله الخليفة القادر من ما على وملبس وطيب وغيره واكل به من يحفظه ويغتمه ، وكان يمتنع على القادر في تغلقه في الماء كل والملبس ، فرتب من يحضره من سائر الأنواع ، ولم يزالوا كنفك حتى توفي وهو في السجن . وفي شوال منها ولد للخليفة القادر ولد ذكر ، وهو أبو الفضل محمد بن القادر بالله ، وقد ولاد العهد من بعده وسماه الغالب بالله ، فلم يتم له الأمر . وفي هذا الوقت غلت الأسعار ببغداد حتى بيع رطل الخبز بأربعين درهماً ، والجوز بدرهم . وفي ذي القعدة قام صاحب الصفراء الأعرابي والتزم بحماسة الحجاج في ذهابهم وإيابهم ، وأن يضطرب القادر من الجملة والبحرين إلى الكوفة ، فأجيب إلى ذلك ، وأطلقت له الخلع والأموال والأواني وغيرها .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ محمد بن المباس ﴾

ابن محمد بن محمد بن ذكرى بن يحيى بن مساذ أبو عمر القزاز المعروف بابن حيوة ، مع البغوي والباغندي وابن صاعد وخلفاء كثيراً ، وانتقد عليه الفار قلبي ومع من الأعيان ، وكان حجة ديناً متيقظاً ذا مروية ، وكتب من الكتب الكبار كثيراً بيده ، وكانت وفاته في ربيع الآخر منها وقد

﴿ أبو أحمد الصكري ﴾

الحسن بن عبد الله بن سعيد أحد الأئمة في الفقه والأدب والنحو والتوادر ، وله في ذلك تصانيف
مفيدة ، منها التصحيح وغيره ، وكان صاحب بن عباد يود الاجتماع به فاسافر إلى عسكر خلفه حتى
اجتمع به فأكرمه وراسله بالأشعار . توفي فيها وله تسعون سنة . كذا ذكره ابن خلكان . وذكره ابن
الجوزي فيمن توفي في سنة سبع وثمانين كما سيأتي .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة ﴾

فيها أمر القادر بالله بعمارة مسجد الحربية وكسوته ، وأن يجري مجرى الجوامع في الخطب وغيرها
وذلك بعد أن استغنى العلماء في جواز ذلك . قال الخطيب البغدادي : أدركت الجمعة مقام ببغداد في
مسجد المدينة ، ومسجد الرصافة ، ومسجد دار الخلافة ، ومسجد براتا ، ومسجد قطيبة أم جعفر ،
ومسجد الحربية . قال : ولم يزل الأمر على هذا إلى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، فتعطلت في
مسجد براتا . وفي جمادى الأولى فرغ من الجسر الذي بناه بهاء الدولة في مشرعة القطانين ، واجتاز
عليه هو بنفسه ، وقد زين السكان . وفي جمادى الآخرة شملت الهيكل والأتراك في نواحي البلد
لتأخر العطاء عنهم ، وغلت الأسعار وراسلوا بهاء الدولة فأزيمت عليهم .

وفي يوم الخميس الثاني من ذي القعدة تزوج الخليفة سكينه بخت بهاء الدولة على صدق مائة
ألف دينار وكان وكيل بهاء الدولة الشريف أبو أحمد الموسوي ، ثم توفيت هذه المرأة قبل دخول
الخليفة بها . وفيها ابتاع الوزير أبو نصر ساور بن أزدشير داراً بالكرك وجدد حوائطها ، ونقل إليها
كتباً كثيرة ، ووقفها على الفقهاء ، وسماها دارالعلم . وأعلن أن هذه أول مدرسة وفتت على الفقهاء ،
وكانت قبيل النظامية مدة طويلة . وفيها في أواخرها ارتفعت الأسعار وضاق الحال وجاع العيال .

﴿ وفيها توفي من الأعيان ﴾

الحسن بن شاذان بن حرب بن مهران ، أبو بكر البزار ، سمع الكثير من البخاري وابن صاعد
وابن أبي داود وابن حريز ، وعنه الفارقي والبرقي والأزهري وغيرهم ، وكان ثبتاً صحيح السماع ،
كثير الحديث ، متحريراً ورعاً . توفي عن خمس وثمانين سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ﴾

فيها عظم الخطب بأمر العيارين ، فاثروا ببغداد فساداً وأخذوا الأموال والمسلات الثقال ليلاً
ونهاراً ، وحرقوا مواضع كثيرة ، وأخذوا من الأسواق الجلبات ، وتطلبهم الشرط فلم يجد ذلك شيئاً
ولا فكروا في الدولة ، بل استمروا على ما هم عليه من أخذ الأموال ، وقتل الرجال ، وإرباب النساء
والأطفال ، في نواحي الحال . فلما تفاقم الحال بهم تطلبهم السلطان بهاء الدولة وألح في طلبهم فهربوا .

بين يديه واستراح الناس من شرم . وأظن هذه الحكايات التي يذكرها بعض الناس عن أحمد الدلف عنهم ، أو كان منهم والله أعلم .

وفي ذى القعدة عزل الشريف الموسوي وولاه عن قنابة الطالبين . وفيها رجع ركب العراق من أثناء الطريق بعد ما قامهم الحج ، وذلك أن الأصغر الاعرابي الذي كان قد تكفل بحراستهم اعترض لهم في الطريق وذكر لهم أن الدنانير التي أقطعت له من دار الخلافة كانت دراهم مطلية ، وأنه يريد من الحجيج بدلها وإلا لا يدعهم يتجاوزوا هذا المكان ، فانهم وراجموه ، فحبسهم عن السير حتى ضاق الوقت ولم يبق فيه ما يدركوا فيه الحج فرجعوا إلى بلادهم ، ولم يحج منهم أحد ، وكذلك ركب الشام وأهل اليمن لم يحج منهم أحد ، وإنما حج أهل مصر والمغرب خاصة . وفي يوم عرفة قلده الشريف أبو الحسين الزينبي محمد بن علي بن أبي تمام الزينبي قنابة العباسيين ، وقرئ عليه بين يدي الخليفة بمحضرة القضاة والأعيان .

وفيها توفي من الأعيان الصابئي الكاتب المشهور صاحب التصانيف ، وهو :

(إبراهيم بن هلال)

أبو إبراهيم بن زهرون بن حبون أبو إسحاق الحرائي كاتب الرسائل للخليفة ولزم الدولة بن بويه ، كان على دين الصابئة إلى أن مات عليه ، وكان مع هذا يصوم رمضان ويقرأ القرآن من حفظه ، وكان يحفظه حفظا حسنا ، ويستعمل منه في الرسائل ، وكاتبوا يحرضون عليه أن يسلم فلم يفعل ، وله شرح جيد قوي . توفي في شوال منها وقد جاوز السبعين ، وقد رثاه الشريف الرضي وقال : إنما رثيت فضائله ، وليس له فضائل ولا هو أهل لها ولا كرامة .

(عبد الله بن محمد)

ابن قانع بن مكرم أبو العباس البسقي الزاهد ، ورث من أبيه أموالا كثيرة فأفقتها كلها في وجوه الخير والقرب ، وكان كثير العبادة ، يقال إنه مكث سبعين سنة لم يستند إلى حائط ولا إلى شيء ، ولا اتكأ على وسادة ، وحج من نيسابور ماشيا حافيا ، ودخل الشام وأقام ببيت المقدس شهورا ، ثم دخل مصر وبلاد المغرب ، وحج من هناك ثم رجع إلى بلاده بشت ، وكان له بها بقية أموال وأملاك تصدق بها كلها ، ولما حضرته الوفاة جعل يتألم ويتوجع ، قيل له في ذلك قال : أرى بين يدي أمورا هائلة ، ولا أدري كيف أتجوم منها . توفي في الحرم من هذه السنة عن خمس وعشرين سنة ، ووليلة موته رأت امرأة أمها بعد موتها وعليها ثياب حسان وزينة قالت : يا أمه ما هذه الزينة ؟ قالت : نحن في عيد لأجل قدوم عبيد الله بن محمد الزاهد البسقي علينا رحمه الله تعالى .

﴿ علي بن عيسى بن عبيد الله ﴾

أبو الحسن النعمى المعروف بالرماني ، روى عن ابن حريد ، وكانت له يد طويلة في النحو والفقه والمنطق والكلام ، وله تفسير كبير وشهد عند ابن معروف قبله ، وروى عنه التنوخي والجمهوري ، قال ابن خلكان : والرماني نسبة إلى بيع الرمان أو إلى قصر الرمان بإسسط ، توفي عن ثمان وثمانين سنة ودفن في الشوفرية عند قبر أبي علي الفارسي .

﴿ محمد بن العباس بن أحمد بن القزاز ﴾

أبو الحسن الكاتب المحدث الثقة المأمون . قال الخطيب : كان ثقة ، كتب الكثير وجمع ما لم يجمه أحد في وقته ، بلغني أنه كتب مائة تفسير ومائة تاريخ ، وخلف ثمانية عشر صندوقاً مملوءة كتباً أكثرها بخطه سوى ما سرق له ، وكان حفظه في غاية الصحة ، ومع هذا كان له جارية تعارض منه . أي تعال ما يكتبه . رحمه الله تعالى .

﴿ محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله ﴾

أبو عبد الله الكاتب المعروف بابن المرزبان ، روى عن البغوي وابن حريد وغيرهما ، وكان صاحب اختيار وآداب ، وصنف كتباً كثيرة في فنون مستحسنة ، وهو مصنف كتاب تفضيل الكلاب على كثير من لبس الثياب ، وكان مشايخه وغيرهم يحضرون عنده ويبيتون في داره على فرش وأطعمة وقيام ذك ، وكان عضد الدولة إذا اجتاز بداره لا يجوز حتى يسلم عليه ، وكان يقف حتى يخرج إليه ، وكان أبو علي الفارسي يقول عنه : هومن عاسن الدنيا . وقال المقي : كان ثقة . وقال الأزهرى : ما كان ثقة . وقال ابن الجوزي : ما كان من الكنايين وإنما كان فيه تشيع واعتزال ويخط السماع بالإجازة ، وبلغ الثمانين سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ﴾

فيها استوزر ابن ركن الدولة بن بويه أبا العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، الملقب بالكافي ، وذلك بعد وفاة صاحب إسماعيل بن عباد ، وكان من مشاهير الوزراء . وفيها قبض بهاء الدولة على القاضي عبد الجبار وصادره بأموال جزيلة ، فكان من جملة ما بيع له في المصادرة ألف طيلسان وألف ثوب ممدى ، ولم يجمع في هذه السنة وما قبلها وما بعدها ركب العراق ، والخلبة في الحرمين للفاطميين . ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ صاحب بن عباد ﴾

وهو إسماعيل بن عباد بن عباس بن أحمد بن إدريس الطائفي ، أبو القاسم الوزير المشهور بكافي النكسة ، وزر لمؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، وقد كان من العلم والفضيلة والبراعة والكرم والاحسان إلى العلماء والقراء على جانب عظيم ، كان يبيت في كل سنة إلى بشارة

بخمسة آلاف دينار لتصرف على أهل العلم ، وله اليد الطولى فى الادب ، وله مصنفات فى فنون العلم واقتنى كتباً كثيرة ، وكانت تعمل على أربعمائة عمير ، ولم يكن فى وزراء بنى بويه مثله ولا قريب منه فى مجموع فضائله ، وقد كانت دولة بنى بويه مائة وعشرين سنة وأشهرآ ، وفتح حسين قلعة الحنوميه مؤيد الدولة ، وابنته نغر الدولة ، بصرامته وحسن تدبيره وجودته رأيه ، وكان يحب العلوم الشرعية ، ويميل إلى الفلسفة وماشابهها من علم الكلام والآراء البدعية ، وقد مرض مرة بالاسهال فكان كلما قام من المطهرة وضع عندها عشرة دنانير لتلايتبرم به الفراشون ، فكانوا يتمنون لو طالت علته ، ولما عوفي ألبس الفقراء ثوب داره ، وكان فيها ما يساوى نحواً من خمسين ألف دينار من الذهب ، وقد جمع الحديث من المشايخ الجياد الموالى الاسناد ، وعقد له فى وقت مجلس اللاملاء فاحتفل الناس لحضوره ، وحضره وجوه الأمراء ، فلما خرج إليه لبس زى الفقهاء وأشهد على نفسه بالتوبة والالتابة مما يمانيه من أمور السلطان ، وذكر للناس أنه كان يأكل من حين نشأ إلى يومه هذا من أموال أبيه وجده مما ورثه منهم ، ولكن كان يخالط السلطان وهو كاتب عما يمارسونه ، وأخذ بناء فى داره مياه بيت التوبة ، ووضع العلماء خطوطهم بصحة توبته ، وحين حدث استملى عليه جماعة لكثرة مجلسه ، فكان فى جملة من يكتب عنه ذلك اليوم القاضى عبد الجبار الحمدانى وأضرابه من رؤس الفضلاء وسادات الفقهاء والمحدثين ، وقد بحث إليه فاضى قزوين بهدية كتب سنية ، وكتب معها .

المعبدى عبد كافي الكفأة وأنه * اعقل فى وجوه القضاة

خدم المجلس الرفيع ، يكتب * منجملات ، من حسناتها مترعات

فلما وصلت إليه أخذ منها كتاباً واحداً ورد باقياها وكتب تحت البيتين .

قد قبلنا من الجميع كتاباً * ورددنا لوقها الباقيات

لست أستغنى الكثير وطبى * قول : خذ . ليس منهي قولها

وجلس مرة فى مجلس شراب فتناول الساق كأساً ، فلما أراد شربها قال له بعض خدمه : إن هذا الذى فى يدك مسموم . قال : وما الشاهد على صحة قولك ؟ قال فخر به ، قال : فبين ؟ قال فى الساق . قال ويحك لا أستحل ذلك ، قال فى دجاجة ، قال : إن التمثيل بالحیوان لا يجوز ، ثم أمر بصب ما فى ذلك القدح وقال للساق : لا تسئل بعد اليوم دارى ، ولم يقطع عنه مملوه . وقد عمل عليه الوزير أبو الفتح ابن ذى الكفایتین حتى عزله عن وزارة مؤيد الدولة فى وقت وإشهرها عوفه واستمر فيها سنة ، فبينما هو ذات ليلة قد اجتمع عنده أصحابه وهو فى أتم السرور ، قدم له فى مجلس حافل بأنواع اللذات ، وقد نظم أرباباً والمغنون يفتنونه بها وهو فى غاية الطرب والسرور والفرح ، وهى هذه الأبيات دعوت الهنا ودعوت الملا * فلما أجالا دعوت القدح

وقلت لأيام شرح الشبا * ب إلى . فهنا أوان الفرغ

إذا بلغ المرء آمله • فليس له بعدها منتزع
ثم قال لأصحابه : يا كرونى غدا إلى الصبح ، ونهض إلى بيت مناه فبا أصبح حتى قبض عليه
مؤيد الدولة وأخذ جميع ما فى داره من الخواصل والأموال ، وجهله مثله فى العباد ، وأعاد إلى وزارته
ابن عباد . وقد ذكر ابن الجوزى أن ابن عباد هذا حين حضرته الوفاة جاءه الملك نضر الدولة بن
مؤيد الدولة يورده ليوصيه فى أموره فقال له : إني موصيك أن تسترق الأمور على ما تركتها عليه ،
ولا تنهرها ، فانك إن استمرت بها نسبت إليك من أول الأمر إلى آخره ، وإن غيرها وسلكت
غيرها نسب الخير المنتقم إلى لا إليك ، وأنا أحب أن تكون نسبة الخير إليك وإن كنت أنا المشير
بها عليك . فأعجبه ذلك منه واستمر بما أوصاه به من الخير ، وكانت وفاته فى عشية يوم الجمعة لست
بقيين من صفر منها . قال ابن خلكان : وهو أول من تسمى من الوزراء بالصاحب ، ثم استعمل بعده
منهم ، وإنما سمى بذلك لكثرة محبته الوزير أبا الفضل بن المميد ، ثم أطلق عليه أيام وزارته . وقال
الصائغى فى كتابه التاجى : إنما سماه الصاحب مؤيد الدولة لأنه كان صاحبه من الصغر ، وكان إذ
ذاك يسميه الصاحب ، فلما ملك واستوزره سماه به واستمر فاشتهر به ، وسمى به الوزراء بعده ، ثم
ذكر ابن خلكان قطعة صالحة من مكارمه وفضائله وثناء الناس عليه ، وعدد له مصنفات كثيرة ، منها
كتابه المحيط فى اللغة فى سبع مجلدات ، يحتوى على أكثر اللغة وأورد من شعره أشياء منها فى البحر :
رق الزجاج وراقت البحر • وتشابها فحشا كل الأمر
فكأنما خر ولا قبح • وكأنما قبح ولا خر
قال ابن خلكان : توفى بالرى فى هذه السنة وله نحو ستين سنة وقيل إلى أصبهان رحمه الله .

﴿ الحسن بن حلد ﴾

أبو محمد الأديب ، كان شاعرا متجولا كثير المكارم ، روى عن على بن محمد بن سعيد الموصلى
وعنه الصورى ، وكان صدوقا . وهو الذى أنزل المتنبي داره حين قدم بندگان وأحسن إليه حتى قال له
المتنبي : لو كنت مادحا تاجرا لمحتك ، وقد كان أبو محمد هذا شاعرا ماهرا ، فمن شعره الجيد قوله :

شربت المعالي فير منتظر بها • كسادا ولا سوقا يقام لها أخرى
وما أنا من أهل المكسب كلما • توفرت الأمان كنت لها أخرى

﴿ ابن شاهين الواعظ ﴾

عمر بن أحمد بن عثمان بن محمد بن أيوب بن زفان ، أبو حفص المشهور ، معج الكثير وحدث
عن الباغندي وأبي بكر بن أبي داود والبغوى وابن صاعد ، وخلق . وكان ثقة أميناً ، يسكن
الجانب الشرقى من بندگان ، وكانت له المصنفات العديدة . ذكر عنه أنه صنف ثلثمائة وثلثين مصنفًا

منها التفسير في ألف جزء ، والسند في ألف وخمسمائة جزء ، والتاريخ في مائة وخمسين جزءا ، والزهد في مائة جزء . توفي في ذى الحجة منها وقد قارب التسعين رحمه الله .

✽ الحافظ الهارطقي ✽

على بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن دينار بن عبد الله الحافظ الكبير ، أستاذ هذه الصناعة ، وقبلة بمدة وبعدة إلى زماننا هذا ، جمع الكثير ، وجمع وصنف مؤلف وأجاد وأعاد ، وأحسن النظر والتعليم والانتقاد والاعتقاد ، وكان فريدا عصره ، ونسيجا وحده ، وإمام دهره في أممها الرجال وصناعة التعليل ، والجرح والتعديل ، وحسن التصنيف والتأليف ، واتساع الرواية ، والاطلاع التام في الدراية ، له كتابه المشهور من أحسن المصنفات في يابه ، لم يسبق إلى مثله ولا يلحق في شكله إلا من استمد من بحرته وعمل كمنه ، وله كتاب الملل بين فيه الصواب من الفخل ، والمتصل من المرسل والمنقطع والمضلل ، وكتاب الأفراد الذي لا يفهمه ، فضلا عن أن ينظمه ، إلا من هو من الحفاظ الأفراد ، والأئمة النقاد ، والجهابذة الجياد ، وله غير ذلك من المصنفات التي هي كالمنقود في الأجياد ، وكان من صفته موصوفا بالحفظ الباهر ، والفهم الثاقب ، والبحر الزاخر ، وجلس مرة في مجلس إسماعيل الصغار وهو على على الناس الأحاديث ، والهارطقي ينسخ في جزء حديث ، قال له بعض المحدثين في أثناء المجلس : إن سماعك لا يصح وأنت تنسخ ، قال الهارطقي : فهي للاملاء أحسن من فهمك وأحضر ، ثم قال له ذلك الرجل : أتحفظ كم أملى حديثا ؟ قال : إنه أملى ثمانية عشر حديثا إلى الآن ، والحديث الأول منها عن فلان عن فلان ، ثم ساقها كلها بأسانيدھا وألفاظها لم يحرم منها شيئا ، فتمجب الناس منه . وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري : لم ير الهارطقي مثل نفسه . وقال ابن الجوزي : وقد اجتمع له مع معرفة الحديث والعلم بالقرارات والنحو والفقه والشعر مع الإمامة والمداولة ، ومحة العقيدة ، وقد كانت وفاته في يوم الثلاثاء السابع من ذى القعدة منها ، وله من العمر سبع وسبعون سنة ويومان ، ودفن من القبة بقبرة معروف الكرخي رحمه الله .

قال ابن خلكان : وقد رحل إلى الديار المصرية فأكرمه الوزير أبو الفضل جعفر بن خنزابة وزير كافور الاخشيدى ، وساعده هو والحافظ عبد الغنى على إكمال مسنده ، وحصل للهارطقي منه مال جزيل . قال : والهارطقي نسبة إلى دار القطن وهي محلة كبيرة ببغداد ، وقال عبد الغنى بن سعيد الضرير : لم يتكلم على الأحاديث مثل علي بن الحسين في زمانه ، وموسى بن هارون في زمانه ، والهارطقي في زمانه . وسئل الهارطقي : هل رأى مثل نفسه ؟ قال : أما في فن واحد فربما رأيت من هو أفضل مني ، وأما فيما اجتمع لي من الفنون فلا . وقد روى الخطيب البغدادي عن الأمير أبي نصرهبة الله بن ماكولا قال : رأيت في المنام كأني أسأل من حال أبي الحسن الهارطقي وما آل أمره إليه في

الآخرة ، قليل لى ذاك يدعى فى الجنة الامام .

﴿ عباد بن عيسى بن عباد ﴾

أبو الحسن الطالقانى ، والده الوزير إسماعيل بن عباد المتقدم ذكره ، مع أباه خليفة الفضل بن الحجاب وغيره من البغداديين والاصفهانين والرازيين وغيرهم ، وحدث عنه ابنه الوزير أبو الفضل القاسم ، وأبو بكر بن مردويه ، ولعباد هذا كتاب فى أحكام القرآن ، وقد اتفق موته وموت ابنه فى هذه السنة رحهما الله . ﴿ عقيل بن محمد بن عبد الواحد ﴾

أبو الحسن الأحنف المكبرى الشاعر المشهور ، له ديوان مفرد ، ومن مستجاد شعره ما ذكره ابن الجوزى فى منتظمه قوله :

أقصى على من الأجل • غل المنول إذا غل
وأشد من غل العن • لصدود ألف قد وصل
وأشد من هذا وذا • طلب التوال من السفل
وقوله من أراد العز والرا • حة من م طويل • فليكن فردا فى الننا • مروى بى بالقليل
ويرى أن سدى • كافيا مما قليل • ويرى بالحزم أن الحز • م فى ترك الفضول
ويداوى مرض الوح • مدة بالصبر الجليل • لا يمارى أحدا • ما • طاش فى قال وقيل
يلزم الصمت فان الصم • مت تهذيب العقول • ينز الكبر لأهل الكبر • ر ويرضى بالخلول
أى عيش لا مرى • يصبح فى حال ذليل • بين قصص من عنو • ومدارة جهول
واعتلال من صدى • ق ونجى من ملول • واحتراس من غلن السو • مع غل المنول
ومقاسات بنىض • ومدانة ثقيل • أف من معرفة الناس • س على كل سبيل
وعام الأمر لا يد • رف سمحا من يخيل • فاذا أكل هذا كا • ن فى ظل ظليل

﴿ محمد بن عبد الله بن سكرة ﴾

أبو الحسين الهاشمى ، من ولد على بن المهدي ، كان شاعرا خليما ظريفا ، وكان ينوب فى قاية الهاشميين . فترافع إليه رجل اسمه على وامرأة اسمها عائشة يتحايان فى جل فقال هذه قضية لا أحكم فيها بشئ لتلا يعود الحال خدعة . ومن مستجاد شعره ولطيف قوله :

فى وجه إنسانة كلفت بها • أربعة ما اجتمعن فى أحد

الوجه بدر ، والصدغ غالية • والريق خر ، والنثر من برد

وله فى قوله وقد دخل حاما فسرقت لقلبه فناد إلى منزله حافيا فقال :

إليك أذن حمام ابن موسى • وإن غلق المني طيبا وحرأ

تكاثرت القصوص عليه حتى • ليحرق من يطيف به ويرى
ولم أقصد به ثوبا ولكن • دخلت محمداً وخرجت بشرا.

﴿يوسف بن عمر بن مسرور﴾

أبو الفتح القواس ، جمع البغوى وابن أبى داود وابن ساعد وغيرهم ، وعنه الغلال والمشارى
والبغدادى والتنوخى وغيرهم ، وكان ثقة ثباتاً يمد من الإبدال . قال النراقطى : كنا نتبرك به وهو
صغير . توفى لثلاث مئة من ربيع الآخر عن خمس وعشرين سنة ، ودفن بباب حرب .

﴿يوسف بن أبى سعيد﴾

السيراغى أبو محمد النحوى ، وهو الذى تم شرح أبيه لكتاب سيبويه ، وكان يرجع إلى علم ودين
وكانت وفاته فى ربيع الأول منها عن خمس وخمسين سنة .

﴿ثم دخلت سنة ست وعشرين وثلاثمائة﴾

فى محرمها كشف أهل البصرة عن قبر عتيق فاذا هم بميت طرى عليه ثيابا وسيفه ، فظنوه الزبير
ابن العوام ، فأخرجوه وكفنوه ودفنوه واتخذوا عند قبره مسجداً ، ووقف عليه أوقاف كثيرة ، وجعل
عنده خدام وقوام وفرش وتوبر . وفيها ملك الحاكم السيسى بلاد مصر بعد أبيه العزيز بن المزمز
الفاطى ، وكان عمره إذ ذاك إحدى عشرة سنة وستة أشهر ، وقام بتدبير المملكة أرجوان الخادم ،
وأمر الدولة الحسن بن صلالة ، فلما تمكن الحاكم قتلها وأقام غيرهما ، ثم قتل خلقا حتى استقام له
الأمر على ما سنده كره . وحج بالناس الأمير الذى من جهة المصريين وانعطبة لهم .

وفيها توفى من الأعيان : ﴿أحمد بن إبراهيم﴾

ابن محمد بن يحيى بن سحنويه أبو محمد بن إسحاق المزكى النيسابورى ، سمع الأصم وطبقته وكان
كثير العبادة من صغره إلى كبره ، وصام فى عمره سراً تسعا وعشرين سنة ، وقال الحاكم : وعندى
أن الملائكة لم يكتب عليه خطيئة ، توفى فى شعبان منها عن ثلاث وستين سنة .

﴿أبو طالب المكي﴾

صاحب قوت القلوب ، محمد بن على بن عطية أبو طالب المكي الواعظ المذكور ، الزاهد المتعبد
الرجل الصالح ، سمع الحديث وروى عن غير واحد . قال المتبقي : كان رجلا صلحا مجتهدا فى العبادة
وصنف كتابا سماه قوت القلوب ، وذكر فيه أحاديث لا أصل لها ، وكان يظن الناس فى جامع بغداد
وحكى ابن الجوزى أن أصله من الجبل ، وأنه نشأ بمكة ، وأنه دخل البصرة بعد وفاة أبى الحسن بن
سالم ، فأتى إلى مقاتله ، ودخل بغداد فاجتمع عليه الناس وعقد له مجلس الوعظ بها ، فغلط فى كلام
وحفظ عنه أنه قال : ليس على المخلوقين أضرار من الخلق ، فبدعه الناس وجرهوه ، وامتنع من الكلام

على الناس : وقد كان أبو طالب هذا يبيع السماع ، فدعا عليه عبد الصمد بن علي ودخل عليه فعاتبه على ذلك فأشدد أبو طالب :

فيا ليل كم فيك من متعب * وإصباح ليلتك لم تقرب

فخرج عبد الصمد مغضباً ، وقال أبو القاسم بن سرات : دخلت على شيخنا أبي طالب المكي وهو يموت فقلت له : أوص ، فقال : إذا ختم لي بخير فأنثر على جنازتي لوزاً وسكراً فقلت : كيف أعلم بذلك ؟ فقال : اجلس عندي ويدك في يدي ، فإن قبضت على يدك فأعلم أنه قد ختم لي بخير . قال ففعلت فلما حان فراقه قبض على يدي قبضاً شديداً ، فلما رفع على جنازته نثرت اللوز والسكر على نفيه . قال ابن الجوزي : توفي في جمادى الآخرة منها وقبره ظاهر في جامع الرصافة .

(العزيز صاحب مصر)

نزار بن المزمع سمع أبي تميم ، ويكنى نزار بأبي منصور ، ويلقب بالعزيز ، توفي عن اثنين وأربعين سنة منها ، وكانت ولايته بعد أبيه إحدى وعشرين سنة ، وخمسة أشهر وعشرة أيام ، وقام بالأمر من بعده ولده الحاكم قبضه الله ، والحاكم هذا هو الذي ينسب إليه الفرقة الصالحة المضلة الزنادقة الحاككية وإليه ينسب أهل وادي التيم من الدرزية أتباع هشتكر غلام الحاكم الذي بعثه إليهم يدعوهم إلى الكفر المحض فأجابوه ، لعنه الله وإلهم أجمعين ، أما العزيز هذا فإنه كان قد استوزر رجلاً نصرانياً يقال له عيسى بن نسطورس ، وآخر يهودياً اسمه ميثا ، فمز بسببهما أهل هذين الملتين في ذلك الزمان على المسلمين ، حتى كتبت إليه امرأة قصة في حاجة لها تقول فيها : بالذي أعز النصراني بعيسى بن نسطورس ، واليهود ميثا وأذل المسلمين بهما لما كشفت ظلامتي . ففند ذلك أمر بالقبض على هذين الرجلين وأخذ من النصراني ثلاثمائة ألف دينار .

وفيها توفيت بنت عضد الدولة امرأة الطائع فحملت تركتها إلى ابن أخيها بهاء الدولة ، وكان فيها جوهر كثير والله أعلم .

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلاثمائة)

فيها توفي نضر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة بن بويه ، وأقيم ولده رسم في الملك مكانه ، وكان عمره أربع سنين ، وقام خراس أبيه بتدبير الملك في الرضا . وعن توفي فيها من الأعيان أبو أحمد العسكري القنوي .

(الحسن بن عبيد الله)

ابن سعيد بن أحمد العسكري القنوي ، العلامة في فقه وثمانين ، المغيد في اللغة وغيرها ، يقال إنه كان يميل إلى الاعتزال ، ولما قدم الصاحب بن عباد هو ونضر الدولة البلية التي كان فيها أبو أحمد العسكري - وكان قد كبر وأسن - بعث إليه الصاحب رقعة فيها هذه الأبيات :

ولما أَيْمَنَ أَنْ تَزُورُوا وَقَلَمَ • ضَعَفْنَا قُوَى عَلَى الْوَحْدَانِ
 أَتَيْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ أَرْضِ تَزُورِكُمْ • فَكَمْ مِنْ مَنَزَلٍ بَكَرْنَا وَعَوَانِ
 نَتَأَشَدُّكُمْ حُلَّ مِنْ قَرَى لَتَزِيلَكُمْ • بِطُولِ جَوَارٍ لَا يَلْ جَفَانِ
 تَضَمَّنَتْ بَيْتَ ابْنِ الرَّشِيدِ كَأَنَّمَا • تَعْدُ تَشْبِيهِى بِهِ وَعَنَانِ
 أَمْ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَا أَسْتَطِيعُهُ • وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْمِيرِ وَالتَّزْوَانِ
 ثُمَّ رَكِبَ بَفَلْتِهِ تَجَامَلًا وَصَارَ إِلَى الصَّاحِبِ فَوَجَدَهُ مَشْغُولًا فِي خِيَمَتِهِ بِأَجَاةِ الْوِزَارَةِ فَصَعِدَ أَكْمَةً ثُمَّ
 نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ :

مَالِي أَرَى الْقُبَّةَ الْفِيضَاءَ مَقْفَلَةً • دُونِي وَقَدْ طَالَ مَا اسْتَفْتَحَتْ مَقْفَلُهَا
 كَأَنَّهَا جَنَّةُ الْفَرْدُوسِ مَعْرُضَةٌ • وَلَيْسَ لِي عَمَلٌ زَاكَ فَأَدْخِلْهَا
 فَلَمَّا سَمِعَ الصَّاحِبُ صَوْتَهُ نَادَاهُ : ادْخُلْهَا يَا أَبَا أَحْمَدَ فَكَانَ السَّابِقَةُ الْأَوَّلَى ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهِ أَحْسَنَ
 إِلَيْهِ . تَوَفَّى فِي يَوْمِ التَّرْوِيَةِ مِنْهَا . قَالَ ابْنُ خُلِكَانَ : وَكَانَتْ وَلادَتُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ لَسْتُ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ
 خَلَّتْ مِنْ شَوَالٍ سَنَةِ ثَلَاثَةِ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَتَوَفَّى يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَسْبَعِ خُلُونٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ
 اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَةً (عبد الله بن محمد بن عبد الله)

ابن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد بن مهران ، أبو القاسم الشاعر المعروف بابن التلّاج ، لِأَنَّهُ جَدُّهُ
 أَهْدَى لِبَعْضِ الْخُلَفَاءِ ثَلَاثًا ، فَوَقَعَ مِنْهُ ، وَقَعًا ، فَرَفَعَ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ بِالتَّلَاجِ ، وَقَدْ سَمِعَ أَبُو الْقَاسِمِ هَذَا
 مِنَ الْبَغَوِيِّ وَابْنِ صَاعِدٍ وَأَبِي دَاوُدَ ، وَحَدَّثَ عَنْ التَّنُوخِيِّ وَالْأَزْهَرِيِّ وَالْعَقِيقِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْخُفَافِ .
 قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : وَقَدْ اتَّهَمَهُ الْمُحَدِّثُونَ مِنْهُمْ الْفَهْرَقُطْنِي وَنَسَبُوهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ الْأَسْنَادَ وَيَضَعُ
 الْحَدِيثَ عَلَى الرِّجَالِ . تَوَفَّى فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ لِحَاجَةٍ .

﴿ابن زولاق﴾

الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن خلف بن راشد بن عبيد الله بن سليمان بن
 زولاق ، أبو محمد المصري الجساف ، صنف كتابًا فِي قِصَصِ مَعْرِضِيْلٍ بِهِ كِتَابُ أَبِي حَمْرٍ مُحَمَّدٍ بِنِ
 يَوْسُفَ بِنِ يَحْيَى الْكَنْدِيِّ ، إِلَى سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ . وَذِيلُ ابْنِ زَوْلَاقٍ بِنِ الْقَاضِي بَكَّارٍ
 إِلَى سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَةً ، وَهُوَ أَيْلَمُ مُحَمَّدٍ بِنِ النِّمَانِ قَاضِي الْفَاطِمِيِّينَ ، أَتَى صَنْفَ الْبَلَاغِ الَّذِي
 اتَّصِفُ بِهِ قَرْدٌ عَلَى الْقَاضِي الْبَلْقَاسِيِّ ، وَهُوَ أَخُو عَبْدِ الْمَرْيُومِ بِنِ النِّمَانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي
 أَوَاخِرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ مِنْ إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَةً .

﴿ابن بطة عبيد الله بن محمد﴾

ابن حمران ، أبو عبد الله البكيري ، المعروف بابن بطة ، أحد علماء الحنابلة ، وله التصانيف

الكثيرة الحافلة في فنون من العلوم ، مع الحديث من البغوي وأبي بكر النيسابوري وابن صاعد
وخلق في آفاق متعددة ، وعنه جماعة من الحفاظ ، منهم أبو الفتح بن أبي الفوارس ، والأزجي
والبرمكي ، وأثنى عليه غير واحد من الأئمة ، وكان من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وقد رأى
بعضهم رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله قد اختلفت على المذاهب . قال : عليك بأبي عبد الله
ابن بطة ، فلما أصبح ذهب إليه ليشروا بالثمن فحين رآه ابن بطة تبسم إليه وقال لمقبل أن يخاطبه
صدق رسول الله ﷺ ثلاث مرات . وقد تصدى الخطيب البغدادي للكلام في ابن بطة والطنين
عليه وفيه بسبب بعض الجرح في ابن بطة ألقى أسناده إلى شيخه عبد الواحد بن علي الأسدي
المعروف بابن برهان القنوي ، فانتدب ابن الجوزي لرد على الخطيب والطنين عليه أيضاً بسبب
بعض مشايخه والاتصاف لابن بطة ، فحكى عن أبي الوفا بن عقيل أن ابن برهان كان يرى منهج
مرجئة المعتزلة ، في أن الكفار لا يخلدون في النار ، وإنما قالوا ذلك لأن دوام ذلك إنما هو للثقل
ولا معنى له هنا مع أنه قد وصف نفسه بأنه غفور رحيم ، وأنه أرحم الراحمين ، ثم شرع ابن عقيل يرد
على ابن برهان . قال ابن الجوزي : فكيف يقبل الجرح من مثل هذا ؟ ثم روى ابن الجوزي
بسنده عن ابن بطة أنه سمع المعجم من البغوي ، قال : والثابت مقدم على النافي . قال الخطيب :
وحدثني عبد الواحد بن برهان قال : ثنا محمد بن أبي الفوارس روى عن ابن بطة عن البغوي عن أبي
مصعب عن مالك عن الزهري عن أنس . قال قال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل
مسلم » . قال الخطيب : وهذا باطل من حديث مالك ، والحل فيه على ابن بطة . قال ابن الجوزي :
والجواب عن هذا من وجهين : أحدهما أنه وجد بخط ابن برهان : ما حكاه الخطيب في القبح في ابن
بطة وهو شيخني أخذت عنه العلم في البداية ، الثاني أن ابن برهان قد تقدم القبح فيه بما خالف فيه
الاجماع ، فكيف قبلت القول في رجل قد حكيت عن مشايخ الطاء أنه رجل صالح مجاب الدعوة ،
نمود الله من الهوى ﴿ علي بن عبد العزيز مذكور ﴾

أبو الحسن البردعي ، زوى عن أبي حاتم وغيره ، وكان كثير المال فترك الدنيا وأقبل على
الآخرة ، فاعتكف في المسجد ، وكان كثير الصلاة والصلاة .

﴿ غفر الهوة بن بويه ﴾

علي بن ركن الهوة أبي علي الحسن بن بويه الديلمي ، ملك بلاد الري وتوابعها ، وحين مات
أخوه مؤيد الهوة كتب إليه الوزير ابن عباد بالأسراع إليه فولاه الملك بعده ، واستوزر ابن عباد
على ما كان عليه . توفي عن ست وأربعين سنة ، منها مدة ملكه ثلاث عشرة سنة وعشرة أشهر
وسبعة عشر يوماً ، وترك من الأموال شيئاً كثيراً ، من الذهب ما يقارب ثلاثة آلاف دينار ،

ومن الجواهر نحو من خمسة عشر ألف قطعة ، بقارب قيمتها ثلاثة آلاف دينار ذهباً . وغير ذلك من أبواب الذهب زنته ألف ألف دينار ، ومن الفضة زنته ثلاثة آلاف ألف درهم ، كلها آتية ، ومن الثياب ثلاثة آلاف حل ، وخزانة السلاح ألف حل ، ومن الفرس ألف وخمسمائة حل ، ومن الأمتعة مما يليق بالملك شيئاً كثيراً لا يحصر ، ومع هذا لم يصلوا ليلة موته إلى شيء من المال ولم يحصل له كفن إلا نوب من المجاورين في المسجد ، واشتغلوا عنه بالملك حتى تم لولده رسم من بعده ، فأثنى الملك ولم يتمكن أحد من الوصول إليه فربطوه في جبال وجروه على درج القلعة من تلق ربحه ، فقطع ، جزاء وفا .

﴿ ابن مسمون الواعظ ﴾

محمد بن أحمد بن إسماعيل أبو الحسين بن مسمون الواعظ ، أحد الصالحاء والعلماء ، كان يقال له الناطق بالحكمة ، روى عن أبي بكر بن داود وطبقته ، وكان له يد طول في الوعظ والتدقيق في المعاملات ، وكانت له كرامات ومكاشفات ، كان يوماً يظ على الخبر وتحت أبو الفتح بن القواس ، وكان من الصالحين المشهورين ، فمضى ابن القواس فأسبك ابن مسمون عن الوعظ حتى استيقظ ، حين استيقظ قال ابن مسمون : رأيت رسول الله ﷺ في منامك هذا ؟ قال نعم ! قال فلماذا أسكت عن الوعظ حتى لا أزعجك عما كنت فيه . وكان لرجل ابنة مريضة مدفنة فرأى أبوها رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول له : اذهب إلى ابن مسمون ليأتي منزلك فيدعو لابنتك تبرأ بأذن الله . فلما أصبح ذهب إليه فلما رآه نهض ولبس ثيابه وخرج مع الرجل ، فظن الرجل أنه ينهب إلى مجلس وعظه ، فقال في نفسه أقول له في أثناء الطريق ، فلما مر بدار الرجل دخل إليها فأحضر إليه ابنته فدعا لها وانصرف ، فبرأت من ساعتها . وبعث إليه الخليفة الطائع لله من أحضره إليه وهو مقضب عليه ، تخيف على ابن مسمون منه ، فلما جلس بين يديه أخذ في الوعظ ، وكان أكثر ما أورده من كلام على بن أبي طالب ، فبكى الخليفة حتى سمع نسيجه ، ثم خرج من بين يديه وهو مكرم ، فقبل الخليفة : رأيتك طلبت وأنت غضبان ، فقال : بلغني أنه يقتقص عليك فأردت أن أعاقبه ، فلما حضر أكثر من ذكر على فعلت أنه موفق ، فذكرني وشفي ما كان في خاطري عليه . ورأى بعضهم في المنام رسول الله ﷺ إلى جانبه عيسى بن مريم عليه السلام ، وهو يقول : أليس من أمي الأخيار أليس من أمي أصحاب الصوامع . فبينما هو يقول ذلك إذ دخل ابن مسمون فقال رسول الله ﷺ لعيسى عليه السلام : أفي أمك مثل هذا ؟ فسكت عيسى . ولما ابن مسمون في سنة ثلثمائة ، وتوفي يوم الخميس الرابع عشر من ذي القعدة في هذه السنة ، ودفن بداره . قال ابن الجوزي : ثم أخرج بعد سنتين إلى مقبرة أحمد بن حنبل وأكفاه لم تبيل رحمه الله .

﴿ آخر ملوك السلمانية نوح بن منصور ﴾

ابن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل ، أبو القاسم الساماني ، ملك خراسان وغزنة وما وراء

النهر ، ولى الملك وعمره ثلاث عشرة سنة ، واستمر في الملك إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر ، ثم قبض عليه خواصه وأجلسوا مكانه أخاه عبد الملك ، فقصد محمد بن سبكتكين فانتزع الملك من أيديهم ، وقد كان لهم الملك مائة وستين سنة ، قباد ملكهم في هذا العام ، وفاته الأمر من قبله من بعد .

﴿ أبو الطيب سهل بن محمد ﴾

ابن سليمان بن محمد بن سليمان الصملي الفقيه الشافعي إمام أهل نيسابور ، وشيخ تلك الناحية ، كان يحضر مجلسه خمسمائة محبرة ، وكانت وفاته في هذه السنة على المشهور . وقال الحافظ أبو يعلى الخليلي في الارشاد : مات في سنة ستين وأربعمائة فآله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ﴾

قال ابن الجوزي : في ذي الحجة منها سقط في بغداد برد عظيم ، بحيث جدد الماء في الحمامات ، وبول الدواب في الطرقات . وفيها جاءت رسل أبي طالب بن نغر الدولة في البيعة له ببايعة الخليفة وأمره على بلاد الرعي ولقبه مجد الدولة كنف الأمة ، وبث إليه بالطلع والأثوية ، وكذلك فضل بيدر ابن حسويه ولقبه ناصر الدين والدولة ، وكان كثير الصدقات . وفيها هرب أبو عبد الله بن جعفر المعروف بابن الوثاب ، المنتسب إلى جده الطائع ، من السجن بدار الخلافة إلى البطيحة ، فأواه صاحبها مذهب الدولة ، ثم أرسل القادر بالله في أمره فجئ به مضيقاً عليه فاعتقله ، ثم هرب من الاعتقال أيضاً فذهب إلى بلاد كيلان فادعى أنه الطائع لله ، فصدقه وياومه وأدوا إليه العشر ، وغير ذلك من الحقوق ، ثم اتفق بجي بعضهم إلى بغداد فسألوا عن الأمر فإذا ليس له أصل ولا حقيقة ، فرجموا عنه واضمحل أمره وفسد حاله ، فانهزم عنهم . وحج بالناس فيها أمير المصريين ، والخطبة بالحرمين للحاكم المبيدي قبيلة الله .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الخطابي ﴾

أبو سليمان حمد ويقال أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطابي البسقي ، أحد المشاهير الأعيان ، والفقهاء المجتهدين المكثرين ، له من المصنفات معالم السنن وشرح البخاري ، وغير ذلك . وله شعر حسن . فنه قوله :

ما دمت حيا فدار الناس كلهم • فأنما أنت في دار المدارة
من يرداري ومن لم يرد سوف يرى • عما قليل نديك للندامات
توفي بمدينة بست في ربيع الأول من هذه السنة . قاله ابن خلكان .

﴿ الحسين بن أحمد بن عبد الله ﴾

ابن عبد الرحمن بن بكر بن عبد الله الصيرفي الحافظ المطبق مع إسماعيل الصفار وابن السكك

والنجد والخلد وأبا بكر الشافعي . وعنه ابن شاهين والأزهري والبتنجي ، وحكي الأزهري أنه دخل عليه وبين يديه أجزاء كبار فجعل إذا ساق إسناداً أورد متنه من حفظه وإذا سرد متناسق إسناده من حفظه . قال : وقفت هذا مرة مراراً ، كل ذلك يورد الحديث إسناداً ومتناً كما في كتابه . قال : وكان ثقة نجسوه وتكلموا فيه . وحكي الخطيب أن ابن أبي الفوارس اتهمه بأنه يزيد في معام الشيوخ ، ويلحق رجالاً في الأحاديث ويصل المقاطيع . توفي في ربيع الأول منها عن إحدى وسبعين سنة .

﴿ مصمصة الدولة ﴾

ابن عضد الدولة صاحب بلاد فارس ، خرج عليه ابن عمه أبو نصر بن بختيار فغرب منه ونجبا في جماعة من الأكراد ، فلما وغلوا به أخذوا ما في خزائنه وحواسله ، ولحقه أصحاب ابن بختيار قتلوه وحلوا رأسه إليه ، فلما وضع بين يدي ابن بختيار قال : هذه سنة سنها أبوك . وكان ذلك في ذى الحجة من هذه السنة ، وكان حمرة يوم قتل خمساً وثلاثين سنة ، ومدة ملكه منها تسع سنين وأشهر .

﴿ عبد المزيّن يوسف الخطان ﴾

أبو القاسم ، كاتب الانشاء لعضد الدولة ، ثم وزرلابنه بهاء الدولة خمسة أشهر ، وكان يقول الشعر . توفي في شعبان منها .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن إبراهيم أبو الفتح المروفي بنفام الشبوذى ، كان عالماً بالقرامات وتفسيرها ، يقال إنه كان يحفظ خمسين ألف بيت من الشعر ، شاهده القرآن ، ومع هذا تكلموا في روايته عن أبي الحسين بن شبوذ ، وأساء المازقني القول فيه . توفي في صفر منها ، وولد سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ﴾

فيها قصد محمود بن سبكتكين بلاد خراسان فاستلب ملكها من أيدي السامانية ، وواقهم مرات متعددة في هذه السنة وما قبلها ، حتى أزال اسمهم ورممهم عن البلاد بالكلية ، واهترشت دولتهم بالكلية ، ثم صمد لقتال ملك الترك بما وراء النهر ، وذلك بعد موت الخلفان الكبير الذي يقال له قاتق ، وجرت له معهم حروب وخطوب . وفيها استولى بهاء الدولة على بلاد فارس وخوزستان ، وفيها أراحت الشيعة أن يصنعوا ما كانوا يصنعونه من الزينة يوم غدريخم ، وهو اليوم الثامن عشر من ذى الحجة فيما يزعمونه ، فقاتلهم جملة آخرون من المنتسبين إلى السنة فادعوا أن في مثل هذا اليوم حصر النبي ﷺ وأبو بكر في الغار فامتنعوا من ذلك ، وهذا أيضاً جبل من هوله ، فان هذا إنما كان في أوائل ربيع الأول من أول سني الهجرة ، فانها أقاماً فيه ثلاثاً ، وحين خرجا منه قصدوا المدينة فدخلوها بعد ثمانية أيام أو نحوها ، وكان دخولها المدينة في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ، وهذا أمر معلوم مقرر وعمر . ولما كانت الشيعة يصنعون في يوم عاشوراء مأتماً يظهر فيه الحزن على الحسين

ابن علي ، قابلهم طائفة أخرى من جبهة أهل السنة فادعوا أن في اليوم الثاني عشر من المحرم قتل مصعب بن الزبير ، فملاؤا له مأتما كما فعل الشيعة للحسين ، وزاروا قبره كما زاروا قبر الحسين ، وهذا من باب مقابلة البدعة ببدة مثلها ، ولا يرفع البدعة إلا السنة الصحيحة . وفيها وقع برد شديد مع غيم مطبق ، وريح قوية ، بحيث أثلقت شيئا كثيرا من النخيل ببغداد ، فلم يتراجع حملها إلى طائفتها إلا بعد سنتين . وفيها حج بركب العراق الشرفان الرضى والمرضى فاعتقلهما أمير الأعراب ابن الجراح فأنشأ أنفسهما منه بقسمة آلاف دينار من أموالهما فأطلقهما .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ زاهد بن عبد الله ﴾

ابن أحمد بن محمد بن عيسى السرخسي المقرئ الفقيه المحدث ، شيخ عصره بخراسان ، قرأ على ابن مجاهد ، وفتته بأبي إسحاق الروزي إمام الشافعية ، وأخذ الفقه والأدب والنحو عن أبي بكر بن الأثير . توفى في ربيع الآخر عن ست وتسعين سنة .

﴿ عبد الله بن محمد بن إسحاق ﴾

ابن سليمان بن غنم بن إبراهيم بن مروز أبو القاسم المعروف بابن حسابة ، روى عن البغوي وأبي بكر بن أبي داود وطبقتهما ، وكان ثقة مأمونا مسندا ، وقد ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين ، ومات في جمادى الأولى من هذه السنة عن تسعين سنة ، وصلى عليه الشيخ أبو حامد الاسفراييني شيخ الشافعية ، ودفن في مقابر جامع المنصور .

﴿ ثم دخلت سنة تسعين وثلاثمائة من الهجرة النبوية ﴾

فيها ظهر بأرض سجستان معدن من ذهب كانوا يحفرون فيه مثل الآبار ، ويخرجون منه ذهباً آخر . وفيها قتل الأمير أبو نصر بن بختيار صاحب بلاد فارس واستولى عليها بهاء الدولة . وفيها قتل القادر بالله القضاء بواسط وأعمالها أبا حازم محمد بن الحسن الواسطي ، وقرئ عهده بدار الخلافة ، وكتب له القادر وصية حسنة طويلة أوردتها ابن الجوزي في منتظمه ، وفيها مواعظ وأوامر ونواهي حسنة جيدة .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن أبي موسى أبو بكر الهاشمي الفقيه المالكي القاضي بالمداين وغيرها ، وخطب بجامع المنصور ، وسمع الكثير ، وروى عنه الجهم النفي ، وعنه الدارقطني الكبير ، وكان عفيفاً نزهاً ثقة ديناً . توفى في محرم هذه السنة عن خمس وسبعين سنة .

﴿ حبيب الله بن عثمان بن يحيى ﴾

أبو القاسم الدقاق ، ويعرف بابن حنيقا قال القاضي السلامة أبو علي بن الفراء - وهذا جنده - وروى بالإمام لا بالنون - حليفاً - وقد سمع الحديث سماعاً صحيحاً ، وروى عنه الأزهرى وكان ثقة

مأمونا حسن الخلق ، ما رأينا مثله في مثناه .

﴿ الحسين بن محمد بن خلف ﴾

ابن الفراء والد القاضي أبي يعلى ، وكان صالحا قديما على منعب أبي حنيفة ، أسند الحديث وروى عنه ابنه أبو حازم محمد بن الحسين .

﴿ عبد الله بن أحمد ﴾

ابن علي بن أبي طالب البغدادي ، نزيل مصر ، وحدث بها فسمع منه الحافظ عبد النبي بن سعيد المصري .

﴿ عمر بن إبراهيم ﴾

ابن أحمد أبو نصر المروفي بالكنتاني المقرئ ، ولد سنة ثلثمائة ، روى عن البغوي وابن مجاهد وابن صاعد ، وعنه الأزهرى وغيره ، وكان ثقة صالحا .

﴿ محمد بن عبد الله بن الحسين ﴾

ابن عبد الله بن هارون ، أبو الحسين الملقب ، المعروف بابن أخى ميسى ، سمع البغوي وغيره ، وعنه جماعة ، ولم يزل على كبر سنه يكتب الحديث إلى أن توفى وله تسعون سنة ، وكان ثقة مأمونا دينيا فاضلا حسن الأخلاق ، توفى ليلة الجمعة ثمان وعشرين من شعبان منها .

﴿ محمد بن عمر بن يحيى ﴾

ابن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، الشريف أبو الحسين النعماني ، الكوفي ، ولد سنة خمس عشرة ، وسمع من أبي العباس بن عقدة وغيره ، وسكن بغداد ، وكانت له أموال كثيرة وضياح ، ودخل عظيم وحشمة وافرة ، وهمة عالية ، وكان مقدما على الطالبين في وقته ، وقد صدره عضد الدولة في وقت واستحوذ على جمهور أمواله وسجنه ، ثم أطلقه شرف الدولة بن عضد الدولة ، ثم صدره بهاء الدولة بألف دينار ثم سجنه ، ثم أطلقه واستنابه على بغداد . ويقال إن خلافه كانت تساوى في كل سنة بألفي ألف دينار ، وله وجهة كبيرة جدا ، ورياسة باخخة .

﴿ الأستاذ أبو الفتح بن بزرجان ﴾

الناظر في الأمور بالقيصر المصرية في الدولة الحاكمية ، وإليه تنسب حلة بزرجان بالقاهرة ، كان أولا من غلمان العزيز بن المزمع ، ثم صار عند الحاكم فاقده الأمر مطاعا كبيرا في الدولة ، ثم أمر بقتله في القصر فصره الأمير ريدان - الذى تنسب إليه الريدانية خارج باب الفتح - بسكين في بطنه . وقبده ترك شيئا كثيرا من الأثاث والثياب ، من ذلك ألف سراويل يبدى بألف تسكة من حرير ، قاله ابن خلكان . وولى الحاكم بعده في منصبه الأمير حسين بن القائد جوهر .

﴿ الجريري المعروف بابن طرار ﴾

المعاني بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود أبو الفرج التهراني القاضى - لأنه نائب في الحكم - المعروف بابن طرار الجريري، لأنه اشتغل على ابن جرير الطبري، وسلك وراه في منعه، فنسب إليه. مع الحديث من البغوى وابن صاعد وخلق، وروى عنه جماعة، وكان ثقة مأمونا طالما فضلا كثير الآداب والتمكن في أصناف العلوم، وله المصنفات الكثيرة منها كتابه المسمى بالجليل والأنيس، فيه فوائد كثيرة جمة، وكان الشيخ أبو محمد الباقلائي أحد أئمة الشافعية يقول: إذا حضر المعاني حضرت العلوم كلها، ولو أوصى رجل بثلاث ماله لأعلم الناس لوجب أن يصرف إليه. وقال غيره: اجتمع جماعة من الفضلاء في دار بعض الرؤساء وفيهم المعاني فقالوا: هل تتناكر في فن من العلوم؟ فقال المعاني لصاحب المنزل - وكان عنده كتب كثيرة في خزانة عظيمة - مر غلامك أن يأتي بكتاب من هذه الكتب، أى كتاب كان تتناكر فيه. فتمعجب الحاضرون من تمكنه وتبحره في سائر العلوم، وقال الخطيب البغدادي: أنشدنا الشيخ أبو الطيب الطبري أنشدنا المعاني بن زكريا لنفسه:

ألا قل لمن كان لي حاسداً • أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله سبحانه • لأنك لا ترضى لي ما وهب
فجازاك حتى بأن زادني • وسد عليك وجوه الطلب
توفى في ذى الحجة من هذه السنة عن خمس وعشرين سنة، رحمه الله.

﴿ ابن فارس ﴾

صاحب المجلد، وقيل إنه توفى في سنة خمس وتسعين كما سيأتي.

﴿ أم السلامة ﴾

بنت القاضى أبي بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شحنة، أم الفتح، سمعت من محمد بن إسماعيل النضالي وغيره، وعنها الأزهري والتتوخي وأبو يعلى بن الفراء وغيرهم، وأثنى عليها غير واحد في دينها وفضلها وسيادتها، وكان مولدها في رجب من سنة ثمان وتسعين، وتوفيت في رجب أيضاً من هذه السنة عن ثنتين وتسعين سنة، رحمه الله تعالى.

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ﴾

فيها بايع الخليفة القادر بالله لولده أبي الفضل بولاية العهد من بعده، وخطب له على المنابر بعد أبيه، ولقب بالثالث بالله، وكان عمره حينئذ ثمانين سنين وشهوراً، ولم يتم له ذلك وكان سبب ذلك أن رجلاً يقال له عبد الله بن عثمان الواقفي ذهب إلى بعض الأطراف من بلاد الترك، وأدعى أن

التادر بالله جملة ولى العهد من بعده ، فغطبوا له هناك ، فلما بلغ التادر أمره بمث يتطلبه فهرب في البلاد وتفرق ، ثم أخذه بعض الملوك فسجنه في قلعة إلى أن مات ، فلهذا يادر التادر إلى هذه البيعة . وفي يوم الخميس الثامن عشر من ذى القعدة ولد الأمير أبو جعفر عبد الله بن التادر بالله ، وهذا هو الذى صارت إليه الخلافة ، وهو القائم بأمر الله . وفيها قتل الأمير حسام الدولة الملقب بن المسيب العقيلي غيلة ببلاد الأنبار ، وكان قد عظم شأنه بتلك البلاد ، ورأى الملكة فجاءه القدر المحتوم فقتله بعض غلمان الأتراك ، وقام بالأمر من بعده ولده قرواش . وحج بالناس المصريون .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ جعفر بن الفضل بن جعفر ﴾

ابن محمد بن الفرات أبو الفضل ، المعروف بابن حنابلة الوزير ، ولهمنة ثمان وثلاثمائة ببغداد ، ونزل الديار المصرية ووزرها للأمير كافور الأخشيدي ، وكان أبوه وزيراً للقتدر ، وقدم مع الحديث من محمد بن هارون الحضرمي وطبقته من البغداديين ، وكان قد جمع مجلساً من البغوى ، ولم يكن عنده ، وكان يقول : من جاءنى به أغنيته ، وكان له مجلس الاملاء بمصر ، وبسببه رحل البارقطنى إلى مصر فزل عنده وخرج له مستند ، وحصل له منه مال جزيل ، وحدث عنه البارقطنى وغيره من الأكابر . ومن مستجاد شعره قوله :

من أدخل النفس أحياءها وروحها • ولم يبت طاوياً منها على ضجر

إن الرياح إذا اشتدت عواصفها • فليس ترى سوى العالى من الشجر

قال ابن خلكان : كانت وفاته في صفر ، وقيل في ربيع الأول منها ، عن ثنتين وعشرين سنة ودفن بالقرافة ، وقيل بداره ، وقيل إنه كان قد اشترى بالمدينة النبوية داراً فجعل فيها تربة ، فلما نقل إليها تلقته الأشراف لاحتسنة إليهم ، فحملوه وحجوا به ووقفوا به بمرقات ، ثم أعادوه إلى المدينة فدفنوه بتربته ﴿ ابن الحجاج الشاعر ﴾

الحسين بن أحمد بن الحجاج أبو عبد الله الشاعر الملقب في نظمه ، يستنكف ألسان عن التلطف بها والأذنان عن الاستماع لها ، وقد كان أبوه من كبار العمال ، وولى هو حبة بغداد في أيام عز الدولة ، فاستخلف عليها نواباً سنة ، وتشاغل هو بالشعر السخيف والرأى الضعيف ، إلا أن شعره جيد من حيث اللفظ ، وفيه قوة تدل على تمكين واقتدار على سبك المعاني الطبيعية التي هي في غاية الفضيحة ، في الألفاظ الفصيحة وله غير ذلك من الأشعار المستجادة ، وقد امتدح مرة صاحب مصر فبعث إليه بالقبول . وقال ابن خلكان بأنه عزل عن حبة بغداد بأبي سعيد الأصبغى قول ضعيف لا يسمع بمثله ، فإن أبا سعيد توفى في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، فكيف يعزل به ابن الحجاج وهو لا يمكن ادعاء أن يلى الحبة بعده أبو سعيد الأصبغى ، وابن خلكان قد أربح وفاة

هذا الشاعر بهذه السنة ، و وفاة الاصطخرى بما تقدم . وقد جمع الشريف الرضى أشعاره الجيدة على حدة فى ديوان مفرد ورفاه حين توفى هو وغيره من الشعراء :

﴿ عبد العزيز بن أحمد بن الحسن الجزرى ﴾

القاضى بالحرم وحريم دار الخلافة وغير ذلك من الجهات ، كان ظاهريا على منهب داود ، وكان لطيفا ، تحاكم إليه وكيلان فبكى أحدهما فى أثناء الخصومة فقال له القاضى : أرى وكأنك ، فتأوله قهرا ثم قال له : لم يجعل إليك أن تبكى عنه . فاستضحك الناس ونهض الوكيل خجلا .

﴿ عيسى بن الوزرعى بن عيسى ﴾

ابن داود بن الجراح ، أبو القاسم البغدادى ، وكان أبوه من كبار الوزراء ، وكتب هو لأطالع أيضا ، وسمع الحديث الكثير ، وكان صحيح السماع كثير العلوم ، وكان طرفة بالناطق وعلم الأوائل فتهود به شئ من منهب الفلاسفة ، ومن جيد شعره قوله :

رب ميت قد صار بالعلم حيا • وميتى قد ماتت جهلا وغيا

فاتقوا العلم كي تنالوا خلودا • لا تمدوا الحياة فى الجهل شيا

ولد فى سنة ثنتين وثلاثمائة وتوفى فى هذه السنة عن تسع وعشرين سنة ، ودفن فى داره ببغداد .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وثلاثمائة ﴾

فى محرمها غزا بين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند فقصده ملكها جييال فى جيش عظيم فاقتلوا قتالا شديدا ، ففتح الله على المسلمين ، وانهزمت الهند ، وأسر ملكهم جييال ، وأخذوا من عنقه قلادة قيمتها ثمانون^(١) ألف دينار ، وغنم المسلمون منهم أموالا عظيمة ، وفتحوا بلادا كثيرة ، ثم إن محمودا سلطان المسلمين أطلق ملك الهند احتقارا له واستهانة به ، ليراه أهل مملكته والناس فى المنلة فحين وصل جييال إلى بلاده ألقى نفسه فى النار التى يمسونها من دون الله فاحترق ، ولنه الله . وفى ربيع الأول منها ثارت الموام على النصارى ببغداد فقبهوا كنيسةهم التى بقطيعة الدقيق وأحرقوها ، فسقطت على خلق فماتوا ، وفيهم جماعة من المسلمين رجال ونساء وضييان . وفى رمضان عنها قوى أمر الميارين وكثرت العمالات ونهبت بغداد وانتشرت الفتنة . قال ابن الجوزى : وفى ليلة الاثنين منها ثالث التهمة انقض كوكب أضاء كضوء القمر ليلة التمام ، ومضى الشماع وبقي جرمه يتموج نحو ذراعين فى ذراعين فى رأى العين ثم توارى بعد ساعة . وفى هذا الشهر قدم الحاجب من خراسان إلى بغداد ليسيروا إلى الحجاز فبلغهم عيث الأعراب فى الأرض بالفساد ، وأنه لا ناصر لهم ولا ناظر ينظر فى أمرهم ، فرجعوا إلى بلادهم ، ولم يبع من بلاد المشرق أحد فى هذه السنة . وفى يوم عرفة منها ولد لبهاء

(١) قال ابن الأثير : قوموها بمائتى ألف دينار .

الدولة ابنان توأمان فأت أحدهما بعد سبع سنين ، وأقام الآخر حتى قام بالأمر من بعده أبيه ،
ولقب شرف الدولة ، وحج المصريون فيها بالناس .

ومن توفي فيهما من الأعيان ﴿ ابن جنى ﴾

أبو الفتح [عثمان بن جنى] الموصل النحوى اللغوى ، صاحب التصانيف الفاتحة المتداولة فى
النحو واللغة ، وكان جنى عبدا روميا مملوكا لسليمان بن قهد بن أحمد الأزدى الموصلى ، ومن شعره فى
ذلك قوله :

فان أصبح بلا نسب • فعلى فى الورى نسي

على أنى أؤول إلى • قروم سادة نجيب

قيصرة إذا نطقوا • أرموا الدهر ذا الخطب

أولاك دعا النهى لهم • كفى شرطا دعاه نهي

وقد أقام ببغداد ودرس بها العلم إلى أن توفي ليلة الجمعة ليلتين خلتا من صفر منها ، قال ابن
خلكان : ويقال إنه كان أعور وله فى ذلك :

صدودك عنى ولا ذنبلى • يدل على نية فاسده

قد - وحياتك - مما بكيت • خشيت على عيني الواحد

ولولا مخافة أن لا أرا • كمالا كن فى تركها قائمه

ويقال : إن هذه الأبيات لنهره ، وكان قائمها أعور . وله فى مملوك حسن الصورة أعور قوله :

له عين أصابت كل عين • وعين قد أصابها الميون

أبو الحسن الجرجاني الشاعر الماهر .

﴿ على بن عبد المبرز ﴾

القاضي بالرى ، مع الحديث وترقى فى العلوم حتى أقر له الناس بالتفرد ، وله أشعار حسان من

ذلك قوله :

يقولون لى فيك اقتباس وإتما • وأوا رجلا عن وقف القل أصحبا

أرى الناس من دائم هان عندهم • ومن أكرمه عزة النفس أكرما

ولم أفض حق العلم إن كان كفا • بدا طبع صيرته لى سلا

إذا قيل لى هذا مطيع قلت قد أرى • ولكن نفس الحر تحمل الظما

ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى • لا أخدم من لا يقيت ولكن لا خدما

أأشقى به غرما وأجنيه ذلة • إذا فاتبع الجبل قد كان أحزما

ولو أن أهل العلم صاوه صاتهم • ولو عظموه فى النفوس لعظما

ولسكن أهاتوه ، فهان ، ودنسوا • بحياه بالأطماع حتى نجهما
ومن مستجاد شره أيضا :

ما تعلّمت لغة العيش حتى • صرت للبيت والكتاب جليسا
ليس عندي شيء ألد من ال • لم فإبتغى سواء أنيسا
ومن شره أيضا :

إذا شئت أن تستقرض المال منقفا • على شهوات النفس في زمن السر
فسل نفسك الانفاق من كنز صيرها • عليك وإنظاراً إلى زمن اليسر
فإن فأكنت كنت الفقى وإن أبت • فكل منوع بعدها واسع العذر
توفى رحمه الله في هذه السنة ، وحل تابوته إلى جرجان فدفن بها .
﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ﴾

وفيهما كانت وفاة الطائع لله على ما سذكروه . وفيها منع عميد الجيوش الشيعة من النوح على الحسين
في يوم عاشوراء ، ومنع جبهة السنة بباب البصرة وباب الشمير من النوح على مصعب بن الزبير بعد
ذلك بثمانية أيام ، فامتنع الفريقان والله الحمد والمنة . وفي أواخر الحرم خلع بهاء الدولة وزيره بأغالب
محمد بن خلف عن الوزارة وصاحده بمائة ألف دينار طشانية ، وفي أوائل صفر منها غلت الأسعار
بيفداد جدا ، وعمدت الحنطة حتى يبيع الكرم بمائة وعشرين ديناراً . وفيها برز عميد الجيوش إلى سر
من رأى واستدعى سيد الدولة أبا الحسن ، على بن مزيد ، وقرر عليه في كل سنة أربعين ألف دينار ،
فالتمز بذلك فقرره على بلاده . وفيها هرب أبو العباس الضبي وزير محمد الدولة بن نضر الدولة من
الري إلى بدر بن حسويه ، فأكرمه ، وولى بهد ذلك وزارة محمد الدولة أبو على الخطير . وفيها
استناب الحاكم على دمشق وجيوش الشام أبا محمد الأسود ثم بلغه أنه عزز رجلاً مغرباً سب أبا بكر
وعرضه الله عنهم ، وطاف به في البلاد ، وغاف من مرة ذلك فبعث إليه فمزله مكرًا وخديعة . واقطع
الحج فيها من العراق بسبب الأهراب .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ إبراهيم بن أحمد بن محمد ﴾

أبو إسحاق الطبري الفقيه المالكي ، مقدم المعدلين ببفداد ، وشيخ القراءات ، وقد جمع الكثير
من الحديث ، وخرج له الفاروق في خمسمائة جزء حديث ، وكان كريماً فضلاً على أهل العلم .

﴿ الطائع لله عبد الكريم بن المطيع ﴾

تقدم خاتمه وذكر ما جرى له ، توفى ليلة عيد الفطر منها عن خمس وأست وسبعين سنة ، منها
سبع عشرة سنة وستة أشهر وخمسة أيام خليفة ، وصلى عليه الخليفة القادر فكبر عليه خمساً ، وشهد
جنازته الأكبر ، ودفن بالرصافة .

(محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن زكريا)

أبو طاهر المخلص ، شيخ كبير الرواية ، سمع الباقى وابن صاعد وخلفاء ، وعنه البرقاوى والأزهري
والخلال والتوتخى ، وكان ثقة من الصالحين . توفى في رمضان منها عن ثمان وثمانين سنة رحمه الله .

(محمد بن عبد الله)

أبو الحسن السلاحي الشاعر المجيد ، له شعر مشهور ، ومدائح في عضد الدولة وغيره .

(ميونة)

بنت شاقولة الواعظية التي هي قرآن حافظة ، ذكرت يوما في وعظها أن زوجها الذي عليها
- وأشارت إليه - له في محبتها تلبسه منذ سبع وأربعين سنة وما تغير ، وأنه كان من غزل أمها . قالت
والثوب إذا لم يصب الله فيه لا يتغير سريما ، وقال ابنها عبد الصمد : كان في دارنا حائط يريد أن
ينقض فقلت لأخي : ألا ندمو البناء ليصالح هذا الجدار ؟ فأخفت رقعة فكتبت فيها شيئا ثم أمرتني
أن أضعها في موضع من الجدار ، فوضعتها فكش على ذلك عشرين سنة ، فلما توفيت أردت أن أستعلم
ما كتبت في الرقعة ، فحين أخذتها من الجدار سقط ، وإذا في الرقعة (إن الله يمسك السموات والأرض
أن تزولا) اللهم يمسك السموات والأرض أمسكه .

(ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثلاثمائة)

وفيها ولي بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الحسين بن أحمد بن موسى الموسوي ، قضاء القضاة
والجج والمظالم ، ونقابة الطالبين ، ولقب بالطاهر الأواحد ، وذو المناقب ، وكان التقليد له بسراج ،
فلما وصل الكتاب إلى بغداد لم يأذن له الخليفة القادر في قضاء القضاة ، فتوقف حاله بسبب ذلك .
وفيها ملك أبو العباس بن واصل بلاد البعلبكية وأخرج منها مذهب الدولة ، قصده زعيم الجيوش
ليأخذها منه ، ففر منه ابن واصل ونهب أمواله وحواصله ، وكان في جملة ما أصاب في خيمة الخزانة
ثلاثون ألف دينار ، وخمسون ألف درهم . وفيها خرج الركب العراقي إلى الحجاز في جفيل عظيم كبير
وتجمل كثير ، فاعترضهم الأسيفر أمير الأعراب ، فبعثوا إليه بشاين قارئين مجيدين كانا معهم ،
يقال لهما أبو الحسن الرضا وأبو عبد الله بن الزجاجي ، وكانا من أحسن الناس قراءة ، ليكلما في شيء
يأخذ من الحجيج ، ويطلق مرأخهم ليدركوا الحج ، فلما جلسا بين يديه قرأ جميعا عشرين بأصوات
هائلة مطربة مملوكة ، فأدهشه ذلك وأعجبه جدا ، وقال لهما : كيف عيشكما ببغداد ؟ قال : بخير
لا يزال الناس يكرمونا ويمشون إلينا بالذهب والفضة والتحف . فقال لهما : هل أطلق لك أحسنهم
بألف ألف دينار في يوم واحد ؟ قال : لا ، ولا ألف درهم في يوم واحد . قال : فإني أطلق لك ألف
ألف دينار في هذه اللحظة ، أطلق لك الحجيج كله ، ولولا كما لما قمعت منهم بألف ألف دينار . فأطلق

الحبيج كله بسببهما ، فلم يتعرض أحد من الأعراب لهم ، وذهب الناس إلى الحج سالون شاكرون
لربك الرجائيين المقربين . ولما وقف الناس بمراقت قرأ هذان الرجلان قراءة عظيمة على جبل الرحمة
فضيح الناس بالبكاء من سائر الركوب قراءتهما ، وقالوا لأهل العراق : ما كان ينبغي لكم أن تخرجوا
معهما هذين الرجائيين في سفرة واحدة ، لا خيال أن يصلبا جميعا ، بل كان ينبغي أن تخرجوا بأحدهما
وتدموا الآخر ، فإذا أصيب سلم الآخر . وكانت الحجة والخطبة للمصريين كما هي لهم من سنين
منقمة ، وقد كان أمير العراق عزم على الودع سريعاً إلى بغداد على طريقهم التي جاؤا منها ، وأن
لا يسروا إلى المدينة النبوية خوفاً من الأعراب ، وكثرة الخفارات ، فشق ذلك على الناس ، فوقف
هذان الرجلان القارئان على جادة الطريق التي منها يسدل إلى المدينة النبوية ، وقرأ (ما كان لأهل
المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) الآيات
فضيح الناس بالبكاء وأمالت النوق أعناقها نحوهما ، قال الناس بأجمعهم والأمير إلى المدينة النبوية
فزاروا وصادوا مسلمين إلى بلادهم والله الحمد والمنة . ولما رجع هذان القارئان رتبهما ولي الأمر مع أبي
بكر بن البهلول - وكان مقرراً بجيدا أيضاً - ليصلوا بالناس صلاة التراويح في رمضان ، فكثرت الجمع
وراهم الحسن ثلاثتهم ، وكانوا يطيلون الصلاة جداً ويتناوبون في الإمامة ، يترؤن في كل ركعة بقدر
ثلاثين آية ، والناس لا ينصرفون من التراويح إلا في الثلث الأول من الليل ، أو قريب النصف
منه . وقد قرأ ابن البهلول يوماً في جامع المنصور قوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم
لذكر الله وما نزل من الحق) فقبض إليه رجل صوفي وهو يتأمل فقال : كيف قلت ؟ فأعاد الآية ،
فقال الصوفي : بلى والله ، وسقط ميتا رحمه الله . قال ابن الجوزي : وكذلك وقع لأبي الحسن بن
الغشاب شيخ ابن الزها ، وكان تلميذا لأبي بكر بن الأدهي المنتقم ذكره ، وكان جيد القراءة حسن
الصوت أيضاً ، قرأ ابن الغشاب هذا في جامع الرصافة في الأحياء هذه الآية (ألم يأن للذين آمنوا)
فتواجد رجل صوفي وقال : بلى والله قد آن ، وجلس وبكى بكاء طويلاً ، ثم سكنت سكنته فإذا هو
ميت رحمه الله .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أبو علي الاسكافي ﴾

ويلقب بالموء ، وكان مقدماً عند بهاء الدولة ، فولاه بغداد فأخذ أموالاً كثيرة من اليهود ثم هرب
إلى البطيحة ، فأقام بها سنتين ، ثم قدم بغداد فولاه بهاء الدولة الوزارة ، وكان شهيداً منصوراً في الحرب
ثم قاتله بعد ذلك وقتله في هذه السنة ، عن تسع وأربعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ﴾

فيها جاد مهذب الدولة إلى البطيحة ولم يماله ابن واصل ، وقرر عليه في كل سنة لبها الدولة

خسین ألف دينار . وفيها كان غلاء عظيم بالقرية ، بحيث تمطلت الحجاز والحمامات ، وذهب خلق كثير من الفناء ، وهلك آخرون من شدة الفناء ، فسال الله حسن العافية والخلاعة آمين . وفيها أصاب الحجيج في الطريق عطش شديد بحيث هلك كثير منهم . وكانت الخطبة للمصريين .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ محمد بن أحمد بن موسى بن جعفر ﴾

أبو نصر البخاري ، المعروف بالملاحمي ، أحد الحفاظ ، قدم بغداد وحدث بها عن محمود بن إسحاق عن البخاري ، وروى عن الهيثم بن كليب وغيره ، وحدث عنه البارقي ، وكان من أعيان أصحاب الحديث . توفي ببخارى في شعبان منها ، وقد جاوز الثمانين .

﴿ محمد بن أبي إسماعيل ﴾

علي بن الحسين بن الحسن بن القاسم أبي الحسن العلوي ، ولد بهمدان ونشأ ببغداد ، وكتب الحديث عن جعفر الخليلي وغيره ، وسمع بفسابور من الأصم وغيره ، ودرس فقه الشافعي على علي بن أبي هريرة ، ثم دخل الشام فصحب الصوفية حتى صار من كبارهم ، وحج مرات على الوحدة ، توفي في محرم هذه السنة ﴿ أبو الحسين أحمد بن فارس ﴾

ابن زكريا بن محمد بن حبيب القنوي الرازي ، صاحب المجلد في اللغة ، وكان مقياً بهمدان ، وله رسائل حسان ، أخذ عنه البديع صاحب المقامات ، ومن رآه في شهره قوله :

مرت بنا هيفاء مجذولة • تركية تنمي للترك

ترنو بطرف قارغان • أضف من حجة نجوی

إذا كنت في حجة مرسلا • وأنت بها كلف مغرم

فأرسل حكماً ولا توص • وذلك الحكيم هو الهرم

وله أيضاً :

قال ابن خلكان : توفي سنة تسعين وثلاثمائة ، وقيل سنة خمس وتسعين . والأول أشهر .

﴿ ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلاثمائة ﴾

قال ابن الجوزي : في ليلة الجمعة مسهل شعبان طلع نجم يشبه الزهرة في كبره وكثرة ضوئه من يسار القبة يتسوج ، وله شعاع على الأرض كشماع القمر ، وبثت إلى النصف من ذى القعدة ، ثم غلب . وفيها ولي محمد بن الأكثاني قضاء جميع بغداد . وفيها جلس القادر بالله للأمير قهر واه بن أبي حسان وأقره في إمارة الكوفة ، ولقبه بمنعم الدولة . وفيها قلد الشريف الرضي قباة الطالبين ، ولقب بالرضي ذي الحسينين ، ولقب أخوه المرتضى ذا المجدين . وفيها غزا بين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند فانتزع منها كباراً ، وأخذ أموالاً جزيلة ، وأسر بعض ملوكهم وهو ملك كراشي حين هرب منه لما افتتحها ، وكسر أصنامها ، فألبس بمنطقته وشعبها على وسطه يحميه يمنع شديداً .

وقطع خصره ثم أطلقه إهانة له ، وإظهاراً لمظلمة الاسلام وأهله . وفيها كانت الخطبة للحاكم العبيدي ، ويجدد في الخطبة أنه إذا ذكر الخطيب الحاكم يقوم الناس كلهم لإجلاله ، وكذلك فعلوا بديار مصر مع زيادة السجود له ، وكثاوا يسجدون عند ذكره ، يسجد من هو في الصلاة ومن هو في الاسواق يسجدون لسجودهم ، لئله الله وقبحه .

ومن توفي فيها من الأعيان (أبو سعيد الاسماعيلي)

إبراهيم بن إسماعيل أبو سعيد الجرجاني ، المعروف بالاسماعيلي ، ورد بغداد والدارقطني حتى أحدث عن أبيه أبي بكر الاسماعيلي والأصم بن عدي ، وحدث عنه الخلال والتنوخي ، وكان ثقة فقيها فاضلا ، على مذهب الشافعي ، عارفا بالرؤية ، سنيا جوادا على أهل العلم ، وله ورع ورياسة إلى اليوم في بلده إلى وفاته . قال الخطيب : سمعت الشيخ أبا الطيب يقول : ورد أبو سعيد الاسماعيلي ببغداد فنقله الفقهاء وجعلوا في تولى أحدهما أبو حامد الاسفراييني ، وتولى الثاني أبو محمد الباجي ، فبعث الباجي إلى القاضي المافقي بن زكريا الجرجاني يستدعيه إلى حضور المجلس ليكمل المجلس ، وكانت الرسالة مع ولده أبي الفضل ، وكتب على يده هذين البيتين :

إذا أكرم القاضي الجليل وليه • وصاحبه ألفاه لشكر موضعا

ولى حلبة يأتي بني بذكرها • ويسأله فيها التطول أجمعا

فأجابه الجرجاني مع ولده الشيخ :

دعا الشيخ مطواجا ميمم الأمره • نواتيه طواجا حيث يرسم أمتعا

وها أنا غاد في فدفن داره • أبادر ما قد حده لي مسرعا

توفي الاسماعيلي فجأة بمرجبان في ربيع الآخر وهو قائم يصل في المحراب ، في صلاة المغرب ، فلما قرأ (إياك نعبد وإياك نستعين) فاضت نفسه فات رحمه الله .

(محمد بن أحمد)

ابن محمد بن جعفر بن محمد بن محمد بن بختيار أبو عمرو المزكي ، الحافظ النيسابوري ، ويعرف بالبحري ، رحل إلى الأفاق في طلب العلم ، وكان حافظا جيدا المذاكرة ، ثقة ثبتا ، حدث ببغداد وغيرها من البلاد ، وتوفي في شعبان عن ثلاث وسبعين سنة .

(أبو عبد الله بن منده)

الحافظ محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده أبو عبد الله الاصمغاني الحافظ ، كان ثبت الجديث والحفظ ، رحل إلى البلاد الشاسعة ، وجمع الكثير وصنف التاريخ ، والناسخ والمسنوخ . قال أبو العباس جعفر بن محمد : ما رأيت أحفظ من ابن منده ، توفي في أصفهان في صفر منها ..

﴿ ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ﴾

فيها كان خروج أبي زكوة على الحاكم العيىنى صاحب مصر . وملخص أمر هذا الرجل أنه كان من سلافة هشام بن عبد الملك بن مروان الأموى ، واسمه الوليد ، وإنما لقب بأبى زكوة لركوة كان يصحبها فى أسفاره على طريق الصوفية ، وقد جمع الحديث بالإجاز المصرية ، ثم أقام بمكة ثم رحل إلى اليمن ثم دخل الشام ، وهو فى غضون ذلك يبايع من اتخذه له ، ممن يرى عنده حمة ونهضة للقيام فى نصرة ولده هشام ، ثم إنه أقام ببيض بلاد مصر فى محلة من محال العرب ، يعلم الصبيان ويظهر التشف والعبادة والورع ، ويخرج بشئ من المفريات ، حتى خضعوا له وعظموه جدا ، ثم دعا إلى نفسه وذكر لهم أنه الذى يدعى إليه من الأمويين ، فاستجابوا له وخالطوه بأمر المؤمنين ، ولقب بالثار بأمر الله المنتصر من أعداء الله ، ودخل برقة فى جهنل عظيم ، فجمع له أهلها نحو من مائتى ألف دينار ، وأخذ رجلا من اليهود اتهم بشئ من الودائع فأخذ منه مائتى ألف دينار أيضاً ، وفتشوا الثزاهم والدنانير بألقابه ، وخطب بالناس يوم الجمعة ولعن الحاكم فى خطبته ونهاه فى ، فالتف على أبى زكوة من الجنود نحو من ستة عشر ألفا ، فلما بلغ الحاكم أمره وما أكل إليه حاله بث بمخمسائة ألف دينار وخمسة آلاف ثوب إلى مقدم جيوش أبى زكوة وهو الفضل بن عبد الله يستميله إليه ويقتنيه عن أبى زكوة ، فحين وصلت الأموال إليه رجع عن أبى زكوة وقال له : إنا لا طاعة لنا بالحاكم ، ومادمت بين أظهرنا فنحن مطلوبون بسببك ، فاختزل نفسك بلما تكون فيها . فسأل أن يبتشوا معه فارسين يوصلانه إلى الثوبة فان بينه وبين ملكها مودة وصحبة ، فأرسله ، ثم بث وراؤه من رده إلى الحاكم بمصر ، فلما وصل إليه أركبه بجلا وشهره ثم قتله فى اليوم الثانى ، ثم أكرم الحاكم الفضل وأقطعته أقطاعات كثيرة . واتفق مرض الفضل فضا به الحاكم مرتين ، فلما عوف قتله وألقه بصاحبه . وهذه مكانة التماسح . وفى رمضان منها عزل قرواش عما كتف بيده ووليه أبو الحسن على بن يزيد ، ولقب بسند الدولة . وفيها هزم عيين الدولة محمود بن سبكتكين ملك الترك عن بلاد خراسان وقتل من الأتراك خلقا كثيرا . وفيها قتل أبو العباس بن واصل وحمل رأسه إلى جهاء الدولة فطيف به بخراسان وفارس . وفيها ثارت على الحبيص وم بالطريق ربح سوداء مظلة جدا ، واعترضهم ابن الجراح أمير الأعراب فاعتاقهم عن الذهاب فقاتهم الحج فرجوا إلى بلادهم فسلطوها فى يوم التروية . وكانت الخطبة بالحرمين للمصريين . وفيها توفى من الأعيان ﴿ عبد الصمد بن عمر بن إسحاق ﴾

أبو القليم الدينورى الواظف الزاهد ، قرأ القرآن ودرس على مذهب الشافعى على أبى سعيد الإصبخى ، وسمع الحديث من النجاد ، وروى عنه الصغيرى ، وكان فقه سالحا ، يضرب به المثل فى مجاهدة النفس ، واستعمال الصدق المحض ، والتخفف والتفقه والتشف ، والأمر بالمعروف والنهى

عن النكر ، وحسن وعظه ووقه في القلوب ، جاءه يوماً رجل بمائة دينار فقال : أنا غني عنها ، قال
ختمها فزقها على أصحابك هؤلاء ، قال : ضمها على الأرض . فوضها ثم قال للجماعة . ليأخذ كل
واحد منكم حاجته منها ، فجلسوا يأخذون بقدر حاجتهم حتى أفنوها ، وجاء ولده بعد ذلك فشكى
إليه حاجتهم فقال : اذهب إلى البقال فخذ على ربيع رطل تمر . ورأه رجل وقد اشترى دجاجة وحلوا
فتسحب من ذلك فاقبته إلى دار فيها امرأة ولما أيتام فدفعها إليهم ، وقد كان ينق السم للطارين
بالأجرة ويقنات منه ، ولما حضرته الوفاة جعل يقول : سيدي لهذه الساعة خباتك . توفي يوم الثلاثاء
لسبع بقين من ذي الحجة منها ، وصلى عليه بالجامع الناصري ، ودفن بمقبرة الامام أحمد .

﴿ أبو السبلي بن واصل ﴾

صاحب سيراف والبصرة وغيرهما ، كان أولاً يخدم بالكرخ ، وكان متصوراً له أنه سيملك ،
كان أصحابه يهزؤون به ، فيقول أحدهم : إذا ملكت فأى شئ تعطيني ؟ ويقول الآخر : ولنى ، ويقول
الآخر : استخمني ، ويقول الآخر : اخلع على . فقدر له أنه تقلبت به الأحوال حتى ملك سيراف
والبصرة ، وأخذ بلاد البطيحة من مذهب الدولة ، وأخرجه منها طريداً ، بحيث إنه احتاج في أثناء
الطريق إلى أن ركب بقرة . واستحوذ ابن واصل على ما هناك ، وقصد الأهواز وهزم بهاء الدولة ، ثم
غفر به بهاء الدولة فقتله في شعبان منها ، وطيف برأسه في البلاد .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ﴾

فيها فزأ يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند ، ففتح حصونا كثيرة ، وأخذ أموالاً جزيلة
وجواهر نفيسة ، وكان في جملة ما وجد بيت طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه خمسة عشر ذراعاً مملوء
فضة ، ولما رجع إلى فزنة بسط هذه الأموال كلها في صحن داره وأذن لرسول الملك فدخلوا عليه
فأروا ما بهرم وهالم . وفي يوم الأربعاء الحادى عشر من ربيع الآخر وقع ببغداد تلج عظيم ،
بحيث بقي على وجه الأرض ذراعا ونصفا ، ومكث أسبوعاً لم ينبت ، وبلغ سقوطه إلى تكريت
والكرفة وعبادان والتهروان . وفي هذا الشهر كثرت المملات جبرة وخفية ، حتى من المساجد
والمشاهد ثم غفر أصحاب الشرطة بكثير منهم قطعوا أيديهم وكحلوم .

﴿ قصة مصحف ابن مسعود وتحريره ﴾

« على فتيا الشيخ أبي حامد الاسفراييني فيما ذكره ابن الجوزي في منتظمه »

وفي عاشر رجب جرت فتنة بين السنة والرافضة ، سببها أن بعض الهاشميين قصد أبا عبد الله محمد بن
التيمان المعروف بابن الملم - ولكن قية الشيعة - في مسجده بدرب رباح ، ففرض له بالسب قتل أصحابه له
واستغفر أصحاب الكرخ وصاروا إلى دار القاضي أبي محمد الالكافى والشيخ أبي حامد الاسفراييني ،

وجرت فتنة عظيمة ملوية ، وأحضرت الشيعة مصحفاً ذكروا أنه مصحف عبد الله بن مسعود ، وهو مخالف للمصاحف كلها ، فجمع الأشراف والقضاة والفقهاء في يوم جمعة ليلة بقيت من رجب ، وعرض المصحف عليهم فأشار الشيخ أبو حامد الأسفراييني والفقهاء بتعريقه ، ففعل ذلك بمحضر منهم ، فغضب الشيعة من ذلك غضباً شديداً ، وجعلوا يدعون ليلة النصف من شعبان على من فعل ذلك ويسبونه ، وقصد جماعة من أحبابهم دار الشيخ أبي حمزة ليؤذوه ، فانتقل منها إلى دار القطن ، وصاحوا يا حاكم يا منصور ، وبلغ ذلك الغليظة فغضب وبث أعوانه لنصرة أهل السنة ، فخرقت دور كثيرة من دور الشيعة ، وجرت خطوب شديدة ، وبث حميد الجبوش إلى بغداد لينفي عنها ابن الملم فقيه الشيعة ، فأخرج منها ثم شفع فيه ، ومنعت القصاص من التبرض لذكر والسؤال باسم الشيخين ، وعلى رضى الله عنهم ، وعاد الشيخ أبو حامد إلى داره على عادته . وفي شعبان منها زلزلت الديور زلزالا شديداً ، وسقطت منها دور كثيرة ، وهلك فئاس شئ كثير من الأثاث والأمتعة ، وهبت ريح سوداء بدقوى وتمكيت وشيراز ، فأثلثت كثيراً من المنازل والتخيل والزينون ، وقتلت خلقاً كثيراً ، وسقط بعض شيراز وقعت رجفة بشيراز غرق بسببها مراكب كثيرة في البحر . ووقع بواسط برد زنة الواحدة مائة درهم وستة دراهم ، ووقع ببغداد في رمضان - وذلك في إيار - مطر عظيم سالت منه المزاريب .

ذكر تخريب قلعة في هذه السنة

وفيها أمر الحاكم بتخريب قلعة وهي كنيسة النصارى ببيت المقدس ، وألجأ لقائمة ما فيها من الأموال والأمتعة وغير ذلك ، وكان سبب ذلك البهتان الذى يتعاطاه النصارى في يوم الفصح من النار التى يمتثلون بها ، وهى التى يوهمون جهلهم أنها نزلت من السماء ، وإتمامها مصنوعة بدهن البلسان في خيوط الأبريسم ، والرقاع المدهونة بالكبريت وغيره ، بالصنعة العظيمة التى تروج على الطعام منهم والموام ، وهم إلى الآن يستعملونها في ذلك المكان بعينه . وكذلك هم في هذه السنة عدة كنائس ببلاد مصر ، ونودي في النصارى : من أحب الدخول في دين الاسلام دخل ومن لا يدخل فليرجع إلى بلاد الروم آمن ، ومن أقام منهم على دينه فليقرم بما شرط عليهم من الشروط التى زادها الحاكم على العمرية ، من تعليق الصلبان على صدورهم ، وأن يكون الصليب من خشب زنته أربعة أرتال ، وعلى اليهود تعليق رأس المجل زنته ستة أرتال . وفي الحام يكون في جنق الواحد منهم قربة زنة خمسة أرتال ، بأجراس ، وأن لا يركبوا خيلاً . ثم بعد هذا كله أمر بإعادة بناء الكنائس التى هدمها وأذن لمن أسلم منهم في الارتداد إلى دينه . وقال تنزه مساجدنا أن يسلمها من لانية له ، ولا يعرف بلطنه ، قبحه الله .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أبو محمد الباجي ﴾

سبق ذكره ، اسمه عبد الله بن محمد الباجي البخاري الخوارزمي ، أحد أئمة الشافعية ، تفقه على أبي القاسم الهاركي ودرس مكانه ، وله معرفة جيدة بالأدب والنصاحة والشعر ، جاء مرة ليזור بمض أصحابه فلم يجده في المنزل فكتب هذه الايات :

قد حضرنا وليس تقضى التلاقي • نأل الله خير هذا الفراق

إن تئب لم أعب وإن لم تئب • غبت كأن افتراقنا باتفاق

توفى في محرم هذه السنة ، وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية .

﴿ عبد الله بن أحمد ﴾

ابن علي بن الحسين ، أبو القاسم المروفي بالصيلاقي ، وهو آخر من حدث عن ابن صاعد من الثقات ، وروى عنه الأزهري ، وكان ثقة مأمونا صالحا . توفى في رجب من هذه السنة ، وقد جاوز التسعين

﴿ البيهقي الشاعر ﴾

عبد الواحد بن نصر بن محمد ، أبو الفرج الخزومي ، الملقب بالبيهقي ، توفى في شعبان من هذه السنة ، وكان أديبا فاضلا مترسلا شاعرا مطبقا ، فن ذلك قوله :

يا من تشابه منه الخلق والخلق • فا تسافر إلا نحوهم الخلق

فورد دمي من خديك غتلس • وستم جسي من جفنيك سترق

لم يبق لي ردى أشكو هواك به • وإنما يتشكى من به ردى

﴿ محمد بن يحيى ﴾

أبو عبد الله الجرجاني ، أحد العلماء الزهاد العبادة ، المناظرين لأبي بكر الرازي ، وكان يدرس في قطيعة الربيع ، وقد فلق في آخر عمره ، وحين مات دفن مع أبي حنيفة .

﴿ بديع الزمان ﴾

صاحب المقامات ، أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد . أبو الفضل الهمناني ، الحافظ المروفي بديع الزمان ، صاحب الرسائل الراقية ، والمقامات الناقمة ، وعلى منواله نسج الحريري ، واقتنى أثره وشكر نفسه ، واعترف بفضل ، وقد كان أخذ اللغة عن ابن فارس ، ثم برز ، وكان أحد الفضلاء الفصحاء ، ويقال إنه سم وأخذه سكتة ، فدفن سريرا . ثم طش في قبره وصمموا صراخه فنبشوا عنه فاذا هو قد مات وهو آخذ على لجنته من هول القبر ، وذلك يوم الجمعة الحادى عشر من جادى الآخرة منها ، رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ﴾

فيها قتل على بن ثمال نائب الرجة من طرف الحاكم العبيدي ، قله عيسى بن خلاط الثقلي ، وملكها ، فأخرجه منها عيسى بن مرداس صاحب حلب وملكها ، وفيها صرف عمرو بن عبد الواحد من قضاء البصرة ووليه أبو الحسن بن أبي الشوارب ، فذهب الناس يهنون هذا ويمزون هذا ، فقال في ذلك المصري :

عندي حديث طريف • بمثله يتغنى • من قاضيين يمزى • هذا وهذا يهنا •
فنا يقول أكرهوني • وذاقول استرحنا • ويكننجان جميعاً • ومن يصدق منا •
وفي شعبان من هذه السنة عصفت ريح شديدة فألقت وحلا أحر في طرقات بغداد . وفيها هبت على الحجاج ريح سوداء مظلمة واعترضهم الأعراب فصدوم عن السبيل ، واعتاقوم حتى قاتهم الحج فرجوا ، وأخذت بنو هلال طائفة من حجاج البصرة فحووا من سبائة واحد ، وأخذوا منهم نحو من ألف ألف دينار ، وكانت الخطبة فيها للمصريين .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ عبد الله بن بكر بن محمد بن الحسين ﴾

أبو أحمد الطبراني ، سمع بمكة وبغداد وغيرهما من البلاد ، وكان مكرماً ، سمع منه الدارقطني وعبد الغني بن سعيد ثم أقام بالشام بالقرب من جبل عند بانياس فبهد الله تعالى إلى أن مات في ربيع الأول منها . ﴿ محمد بن علي بن الحسن ﴾

أبو مسلم كاتب الوزير بن خنزة ، روى عن البغوي وابن صاعد وابن هريذ وابن أبي داود وابن حرقمة وابن مجاهد وغيرهم ، وكان آخر من بقى من أصحاب البغوي ، وكان من أهل العلم والحديث والمعرفة والفهم ، وقد تكلم بعضهم في روايته عن البغوي لأن أصله كان غالباً مفسوداً . وذكر العنودى أنه خلط في آخر عمره . ﴿ أبو الحسن علي بن أبي سعيد ﴾

عبد الواحد بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدقي المصري ، صاحب كتاب الزيج الحاكمي في أربع مجلدات ، كان أبوه من كبار المحدثين الحفاظ ، وقد وضع لمصر تاريخاً فاق ما يرجع العلماء إليه فيه ، وأما هذا فإنه اشتغل في علم التجويم فقال من شأنه مثالا جيدا ، وكان شديد الاعتناء بعلم الزيد وكان مع هذا مغفلاً مئى الحال ، رث الثياب ، طويلاً يتمم على طرطور طويل ، ويتغلب فوقه ، ويركب حماراً ، فن رأى ضحك منه ، وكان يدخل على الحاكم فيكرمه ويذكر من تفضله ما يدل على اعتناؤه بأمر نفسه ، وكان شاعراً معطلاً ، وله شعر جيد ، فنه ما ذكره ابن خلكان :

أحل نشر الریح عند هبوبه • رسالة مشتاق إلى حبيبہ
بنفسی من تحيا النفوس بریقه • ومن طاب الدنيا به وبطليبه

يحمده جدي طائف منفي الكرا * سرى موها في جفنه من رقيه

لمرى لقد عطلت كاسى بدمه * وفييتها عنى لطلول منيه

﴿ تمى أم أمير المؤمنين القادر بالله ﴾

مولاة عبد الواحد بن المنتصر، كانت من العابدات الصالحات، ومن أهل الفضل والدين
توفيت ليلة الخميس الثامن والعشرين من شعبان منها، وصلى عليها ابنها القادر، وحملت بعد المشاء
إلى الرصافة ﴿ ثم دخلت سنة أربعمائة من الهجرة ﴾

في ربيع الآخر منها قصت دجلة قصا كثيراً، حتى ظهرت جزائر لم تفرق، وامتنع مير
السنن في أعاليها من أذنة والراشدية، فأهر بكرى تلك الأماكن، وفيها كل السور على مشهد أمير
المؤمنين على عليه السلام التي بناه أبو إسحاق الأجلاني، وذلك أن أبا محمد بن سهلان مرض فنفذ إن
حرفي ليينينه فوق. وفي رمضان أوجب الناس بالخليفة القادر بالله بأنه ملت فجلس للناس يوم جمعة
بعد الصلاة وعليه البردة وبيده القضيب، وجاء الشيخ أبو حامد الاسفراييني فقبل الأرض بين
يديه وقرأ ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ﴾ الآيات
فتباكى الناس ودعوا وانصرفوا وهم فراحا. وفيها ورد الخبر بأن الحاكم أخذ إلى دار جعفر بن محمد
الصادق بالمدينة فأخذ منها مصحفا وآلات كانت بها، وهذه الحار لم تفتح بعد موت صاحبها إلى
هذا الآن، وكان مع المصحف قصب خشب مطوق بحديد ودرقة خيزران وحريرة وسرير، حمل ذلك
كله جماعة من العلويين إلى الفيوم المصرية، فأطلق لهم الحاكم أنما كثيرة ونفقات زائدة، ورد
السري وأخذ الباقي، وقال: أنا أحق به. فردوا وهم ذامون له داعون عليه. وبني الحاكم فيها داراً
للعلم وأجلس فيها الفقهاء، ثم بعد ثلاث سنين هدمها وقتل خلقا كثيراً ممن كان فيها من الفقهاء
والمحدثين وأهل الخير. وفيها عمر الجامع المنسوب إليه بمصر وهو جامع الحاكم، وتأنق في بناؤه. وفي
ذي الحجة منها أعيد المؤيد هشام بن الحكيم بن عبد الرحمن الأموي إلى ملكه بعد خلعه وحجسه مدة
طويلة، وكانت الخليفة بالحرمين لهما ك صاحب مصر والشام.

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أبو أحمد الموسوي النقيب ﴾

الحسن بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الموسوي، والده الرضى المرتضى، ولى
تقابة الطالبين مرات نحو من خمس مرات، يزل ويمد، ثم آخر في آخر عمره، وتوفي عن سبع
وتسعين سنة، وصلى عليه ابنه المرتضى، ودفن في مشهد الحسين. وقد رثاه ابنه المرتضى في قصيدة
حسنة قوية المترع والمطلع فيها:

سلام الله تنقله الهيا * وتهديه الندو إلى الرواح

على جئت حبيب من لوى * لينبوع البعثة والصلاح
 فنى لم يرو إلا من حلال * ولم يك زاده إلا المباح
 ولا دنست له أزر زور * ولا علقت له راح براح
 خفيف الظفر من قتل الخطايا * وعريان الجوارح من جناح
 مشوق فى الأمور إلى علاها * ومدلول على باب التناج
 من القوم القدين لهم قلوب * بذكر الله عامرة النواحي
 بأجسام من التقوى مراض * لنصرتها وأديان صحاح
 ﴿الحجاج بن هرمز أبو جعفر﴾

قائب بهاء القولة على العراق ، وكان تلميذه لقتال الأعراب والأكراد ، وكان من المتقدمين فى أيام عهد الدولة ، وكانت له خبرة قامة بالحرب ، وحزمة شديدة ، وشجاعة قامة وافرة ، ورحمة عالية وآراء سديدة . ولما خرج من بغداد فى سنة ثنتين وسبعين وثلاثمائة كثرت بها الفتن . توفى بالأهواز عن مائة سنة وخمس سنين ، رحمه الله .

﴿أبو عبد الله القسى المصرى التاجر﴾

كان ذامال جزيل جدا ، اشتملت تركته على أزيد من ألف ألف دينار ، من سائر أنواع المال . توفى بأرض الحجاز ودفن بالمدينة النبوية عند قبر الحسن بن على ، رضى الله عنهم .

﴿أبو الحسين ابن الرضا المقرئ﴾

تقدم ذكره وقراءته على كبير الأعراب فى سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ، كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن وأحلام أداء رحمه الله .

﴿ثم دخلت سنة إحدى وأربعمائة﴾

فى يوم الجمعة الرابع من المحرم منها خطب بالموصل للحاكم العبيدى عن أمر صاحبه قرواش بن مقلد أبى منيع ، وذلك لقره رعيته ، وقد سرد ابن الجوزى صفة الخطبة بجزءها . وفى آخر الخطبة صلوا على آله المهدى ثم ابنه القائم ثم المنصور ، ثم ابنه المرز ، ثم ابنه العزيز ، ثم ابنه الحاكم صاحب الوقت ، وابتدأ فى الخطبة لهم ، ولاسيما لحاكم ، وكذلك تبعته أهلها من الأنبار والمدائن وغيرها . وكان سبب ذلك أن الحاكم ترددت مكاتباته ورسله وهداياه إلى قرواش يستميله إليه ، وليقبل بوجهه عليه ، حتى فعل ما فعل من الخطبة وغيرها ، فلما بلغ الخبير القادر بالله الباسى كتب يمانب قرواش على ما صنع ، وفقد بهاء القولة إلى عميد الجيوش بمائة ألف دينار لحاربة قرواش . فلما بلغ قرواشا رجع عن رأيه وندم على ما كان منه ، وأمر بقطع الخطبة لحاكم من بلاده ، وخطب قهقار على عادته .

قال ابن الجوزي :- ولحق بقين من وجب زاحت حجة زينة كثيرة واستمرت الزيادة إلى رمضان ، وبلغت أحدا وعشرين فرعا وثلاثا ، ودخل إلى أكثر دور بغداد . وفيها رجع الوزير أبو خلف إلى بغداد ولقب غفر الملك بميد الجيوش . وفيها عمى أبو الفتح الحسن بن جعفر العلوي ودعا إلى نفسه وتلقب بالراشد بالله . ولم يجمع فيها أحد من أهل العراق والخطبة لها كم .
ومن توفي فيها من الأعيان أبو مسعود صاحب الأطراف .

(إبراهيم بن محمد بن عبيد)

أبو مسعود الدمشقي الحافظ الكبير ، مصنف كتاب الأطراف على الصحيحين ، رحل إلى بلاد شق كبفداد والبصرة والكوفة وأسط وأصبهان وخراسان ، وكان من الحفاظ الصادقين ، والأمناء الضابطين ، ولم يرو إلا اليسير ، روى عنه أبو القلم وأبو ذر الهروي ، وحزرة السهمي ، وغيرهم .
توفي ببغداد في رجب وأوصى إلى أبي حامد الأسفرايني فصلى عليه ، ودفن في مقبرة جامع المنصور قريبا من السكك . وقد ترجمه ابن عساكر وأثنى عليه .

(حميد الجيوش الوزير)

الحسن بن أبي جعفر أستاذ هرمز ، ولد سنة خمسين وثلاثمائة ، وكان أبوه من حجاب عضد الدولة ، وولاه بهاء الدولة وزاوية سنة ثنتين وتسعين ، والشرو وكثيرة منقشرة ، فهد البلاد وأخاف البغداديين واستقامت به الأمور ، وأمر بعض غلمانه أن يحمل صينية فيها دراهم مكشوفة من أول بغداد إلى آخرها وأن يدخل بها في جميع الأزقة ، فان اعترضه أحد فليذهبها إليه وليعرف ذلك المكان ، فذهب الغلام فلم يعترضه أحد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ومنع الرافض النياحة في يوم عاشوراء ، وما يتعاطونه من الفرح في يوم ثامن عشر ذي الحجة الذي يقال له عيد غدیرخم ، وكان عادلا منصفا .

(خلف الواسطي)

صاحب الأطراف أيضا ، خلف بن محمد بن علي بن حميدون ، أبو محمد الواسطي ، رحل إلى البلاد وسمع الكثير ثم عاد إلى بغداد ، ثم رحل إلى الشام ومصر ، وكتب الناس عنه بانتخابه ، وصنف أطرافا على الصحيحين ، وكانت له معرفة تامة ، وحفظ جيد ، ثم عاد إلى بغداد واشتغل بالتجارة وترك النظر في العلم حتى توفي في هذه السنة ساعده الله . روى عنه الأزهری .

(أبو عبيد الهروي)

صاحب التزيين ، أحمد بن محمد بن أبي حميد المبدئي أبو عبيد الهروي القوي البارح ، كان من علماء الناس في الإديب والفن ، وكتابه التزيين ، في معرفة غريب القرآن والحديث ، يدل على إلمامه وتبحره في هذا الشأن ، وكان من تلامذة أبي منصور الأزهری . قال ابن خلكان : وقيل كان

يحب التنزه ويتناول في خلوته ما لا يجوز ، ويمتثل أهل الأدب في مجلس الفقه والطرب ، والله أعلم . ساعده الله . قال : وكانت وفاته في رجب سنة إحدى وأربعمائة ، وذكر ابن خلكان أن في هذه السنة أو التي قبلها كانت وفاة البسقي الشاعر وهو :

(علي بن محمد بن الحسين بن يوسف الكاتب)

صاحب الطريقة الأنيقة والتعجيس الأنيس ، البديع التأسيس ، والحفاقة والنظم والنثر ، وقد ذكرناه ، وما أورد له ابن خلكان قوله : من أصلح نفسه أرغم حاسده ، ومن أطلع غضبه أضاع أدبه . من سعادة جندك وقوطك عند حذك . المنية تضحك من الأمانة . الرشوة رشا الحاجات ، حد العفاف الرضى بالكفاف . ومن شعره :

إن هز أقلامه يوما ليصلها * أنساك كل كي هز علمه

وإن أمر على ريق أقلامه * أفر بالرق كتب الأنام له

وله : إذا تحدثت في قوم لتؤنسهم * بما تحدث من ماض ومن آت

فلا تعد لجديث إن طبعهم * موكل بمادة المادات

(ثم دخلت سنة اثنتين وأربعمائة)

في الحرم منها أذن غفر الملك الوزير وفاض أن يعملوا بدعهم الشنعاء ، والفغصية الصلحاء ، من الانتحاب والنوح والبنكاء ، وتعليق المسوح وأن تعلق الأسواق من الصباح إلى المساء ، وأن تدور النساء حشرات عن وجوههن ورؤوسهن ، يلطن خدودهن ، كفل الجاهلية الجلاء ، على الحسين بن علي ، فلا جزاء الله خيراً ، وسود الله وجه يوم الجزاء ، إنه جميع الدعاء . وفي ربيع الآخر أمر القادر بجماعة مسجد الكف بقطعة الحديد ، وأن يعاد إلى أحسن ما كان ، فعمل ذلك وزخرف زخرفة عظيمة جداً ، فأنشأه وإنا إليه راجعون .

(ذكر الطعن من أئمة بغداد وعلمائهم وغيرهم من البلاد في نسب الفاطميين وأتهم أديعاء كذبة)
وفي ربيع الآخر منها كتب هؤلاء ببغداد محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب الفاطميين ومملوك مصر وليسوا كذلك ، وإنا نسبهم إلى عبيد بن سعد الجرمي ، وكتب في ذلك جماعة من العلماء والقضاة والأشراف والعمول ، والصلحين والعقلاء ، والمحدثين ، وشهدوا جميعاً أن الحاكم بهمر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم ، حكم الله عليه بالبووار والغزى والدمار ، ابن معد بن إسماعيل بن عبد الله بن سعيد ، لا أسعده الله ، فإنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى ببغداد ، وتلقب بالمهدى ، وأن من تقدم من سلفه أديعاء خوارج ، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ، ولا يتملقون بسبب وأنه منزه عن باطلهم ، وأن الذي ادعوه إليه باطل وزور ، وأتهم لا يعلمون أحداً من أهل بيوتات

على بن أبي طالب توقف عن إطلاق القول في أنهم خوارج كذبة ، وقد كان هذا الانتكار لباطلهم شائعا في الحرمين ، وفي أول أمرهم بالغرب منتشرا انتشارا يمنع أن يدلس أمرهم على أحد ، أو ينهب وهم إلى تصديقهم فيما ادعوه ، وأن هذا الحاكم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار ، ملحدون زنادقة ، معطلون ، وللإسلام جاحدون ، ولذهب المجوسية والتشوية معتقدون ، قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج ، وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء ، وسبوا الأنبياء ، ولعنوا السلف ، وادعوا الربوبية . وكتب في سنة اثنتين وأربعمائة ، وقد كتب خطه في المحضر خلق كثير ، فن الملوين : المرتضى والرفعي وابن الأزرقي الموسوي ، وأبو طاهر بن أبي الطيب ، ومحمد بن محمد بن عمرو بن أبي يعلى . ومن القضاة أبو محمد بن الأكثاني وأبو القاسم الجزري ، وأبو العباس بن الشيوري . ومن الفقهاء أبو حامد الأسفرايني وأبو محمد بن الكسفي ، وأبو الحسن القدوري ، وأبو عبد الله الصيمري ، وأبو عبد الله البياضوي ، وأبو علي بن حنكل . ومن الشهود أبو القاسم التنوخي في كثير منهم ، وكتب فيه خلق كثير . هذه عبارة أبي الفرج ابن الجوزي .

قلت : وما يدل على أن هؤلاء أديعاء كذبة ، كما ذكر هؤلاء السادة العلماء ، والأئمة الفضلاء ، وأنهم لا نسب لهم إلى علي بن أبي طالب ، ولا إلى فاطمة كما يزعمون ، قول ابن عمر للحسين بن علي حين أراد الذهاب إلى العراق ، وذلك حين كتب حوام أهل الكوفة بالبيعة إليه فقال له ابن عمر : لا تنهب إليهم فاني أخاف عليك أن تقتل ، وإن جئتك قد خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا ، وأنت بضعة منه ، وإنه والله لا تتألم لا أنت ولا أحد من خلفك ولا من أهل بيتك . فهذا الكلام الحسن الصحيح المتوجه المقول ، من هذا الصحابي الجليل ، يقتضي أنه لا يلي الخلافة أحد من أهل البيت إلا محمد بن عبد الله المهدي الذي يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى بن مريم ، ورضية بهم من الدنيا ، وأن لا يدنسوا بها . ومعلوم أن هؤلاء قد ملكوا ديار مصر مدة طويلة ، فهل ذلك دلالة قوية ظاهرة على أنهم ليسوا من أهل البيت ، كما نص عليه سادة الفقهاء . وقد ضنف القاضي الباقلاني كتابا في الرد على هؤلاء وسماه كشف الأسرار وهتك الأستار ، بين فيه فضائلهم وقبائحهم ، ووضح أمرهم لكل أحد ، ووضح أمرهم يليه عن مطاوى أفعالهم ، وأقوالهم ، وقد كان الباقلاني يقول في عبارته عنهم : هم قوم يظهرون الرضا ويبطنون الكفر المحض . والله سبحانه أعلم . وفي رجب وشعبان ورمضان أجرى الوزير نضر الملك صدقات كثيرة على الفقراء والمساكين والمقيمين بالشاهد والمساجد وغير ذلك ، وزار بنفسه المساجد والمشاهد ، وأخرج خلقا من المحبوسين وأظهر نسكا كثيرا ، وعمر دارا عظيمة عند سوق الحقيق . وفي شوال عصفت ريح شديدة قصفت كثيرا من النخل وغيره ، أكثر من عشرة آلاف نخلة ، وورد كتاب من بين الهولة محمود بن

سبكتكين صاحب غزفة بأنه ركب يمشي إلى أرض العدو فجازوا بمنزلة فأعوزهم المساء حتى كادوا يهلكون من آخرهم عطشا ، فبعث الله لهم سحابة فأمرت عليهم حتى شربوا وسقوا واستقوا ، ثم توافواهم وعدوم ، ومع عدمهم نحو من سقاة فيل ، فزيموا العدو وغتوا شيئا كثيرا من الأموال والله الحمد . وفيها علت الشيعة بدعهم التي كانوا يملونها يوم غدبرخم ، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، وزيت الحوائيت وتمكنوا بسبب الوزير وكثير من الأتراك تمكنوا كثيرا .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ الحسن بن الحسن بن علي بن العباس ﴾

ابن نوبخت أبو محمد النوبختي ، ولد سنة عشرين وثلاثمائة ، وروى عن الحامل وغيره ، وعنه البرقائي وقال كان شيعيا معتزليا ، إلا أنه تبين لي أنه كان صدوقا ، وروى عنه الأزهري وقال : كان زافضيا ، ردئ المنه . وقال المتقي : كان فقيرا في الحديث ، ويذهب إلى الاعتزال والله أعلم .

﴿ عثمان بن عيسى أبو عمرو الباقلي ﴾

أحد الزهاد الكبار المشهورين ، كانت له مخلات يأكل منها يعمل يده في البواري ، ويأكل من ذلك ، وكان في غاية الزهادة والعبادة الكثيرة ، وكان لا يخرج من مسجده إلا من يوم الجمعة إلى يوم الجمعة ، لأجل صلاة الجمعة ثم يود إلى مسجده ، وكان لا يجده شيئا يشمله في مسجده ، فسأله بعض الأمراء أن يقبل شيئا ولوزينا يشمله في قناديل مسجده ، فأبى الشيخ ذلك ، ولهذا وأمثاله لما مات رأى بعضهم بعض الأموات من جيرانه في القبور فسأله عن جواره فقال : وأين هو ، لما مات ووضع في قبره سمعنا قائلا يقول : إلى الفردوس الأعلى ، إلى الفردوس الأعلى . أو كما قال : توفي في رجب منها عن سنة وثمانين سنة ﴿ محمد بن جعفر بن محمد ﴾

ابن هارون بن فروة بن فاجية ، أبو الحسن النحوي ، المعروف بابن النجار القمي الكوفي ، قدم بغداد وروى عن ابن دريد والصولي وفضلويه وغيرهم ، توفي في جمادى الأولى منها عن سبع وسبعين سنة ﴿ أبو الطيب سهل بن محمد ﴾

الصلوكي النيسابوري ، قال أبو يلى الخليلي : توفي فيها ، وقد ترجمناه في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمائة ﴾

في سادس عشر محرمها قلد الشريف الرضي أبو الحسن الموسوي قنابة الطالبيين في سائر الممالك وقرى ، فقلبه في دار الوزير نضر الملك ، بحضور الأعيان ، وخلع عليه السواد ، وهو أول طالبي خلع عليه السواد . وفيها جرى بأمر بني خلفاء أبو قلنبة قبيح الله وجماعة من رؤس قومه أسارى ، وكانوا قد اعترضوا الحجاج في السنة التي قبلها وهم راجعون ، وغرروا المناهل التي يردها الحجاج ، ووضعوا فيها الحنظل بحيث إنه مات من الحجاج من العطش نحو من خمسة عشر ألفا ، وأخذوا

يقبضهم فجعلهم رعاة لهدايهم في أسوأ حال ، وأخذوا جميع ما كان معهم ، فحين حضروا عند دار الوزير
سجنهم ومنعهم الماء ، ثم ضلّهم برون صفاء الماء ولا يقدرّون على شئ منه ، حتى ماتوا عطشا جزاء
وفاقا ، وقد أحسن في هذا الصنع اقتداء بمحدث أنس في الصحيحين . ثم بعث إلى أولئك الذين
اعتقلوا في بلاد بني خناجة من الحجاج فجئ بهم ، وقد تزوجت نسائهم وقسمت أموالهم ، فردوا
إلى أهاليهم وأموالهم . قال ابن الجوزي : وفي رمضان منها أفضّ كوكب من المشرق إلى المغرب
عليه ضوء على ضوء القمر ، وقطع قطعاً وبقى ساعة طويلة . قال : وفي شوال توفيت زوجة بعض
رؤساء النصارى ، ففرجت النوايح والصلبان معها جهاراً ، فأفكر ذلك بعض الماشعيين فضر به بعض
غلمان ذلك الرئيس النصراني بديوس في رأسه فشقّه ، فثار المسلمون بهم فانهزموا حتى لجأوا إلى
كنيسة لهم هناك ، فدخلت العامة إليها قهبراً ما فيها ، وما قرب منها من دور النصارى ، وتقبصوا
النصارى في البلد ، وقصدوا الناصح وابن أبي إسرائيل فقاتلهم فخلّتهم ، وانتشرت الفتنة ببغداد ،
ورفع المسلمون المصاحف في الأسواق ، وعطلت الجمع في بعض الأيام ، واستعانوا بالخليفة ، فأمر
باحتضار ابن أبي إسرائيل فامتنع ، فعزم الخليفة على الخروج من بغداد ، وقويت الفتنة جدا ونهبت
دور كثير من النصارى ، ثم حضر ابن أبي إسرائيل فبذل أموالا جزيلة ، فعفى عنه وسكنت
الفتنة . وفي ذي القعدة ورد كتاب بين الدولة محمود إلى الخليفة يذكر أنه ورد إليه رسول من الحاكم
صاحب مصر معه كتاب يدعو إلى طاعته فيصق فيه وأمر بتحريره ، وأجمع رسوله غليظ ما يقال .
وفيها قتل أبو نصر بن مروان الكردي آسدا ومياقارقين وديار بكر ، وخلع عليه طوق وسواران ،
ولقب بناصر الدولة ، ولم يتمكن ركب العراق وخراسان من الذهاب إلى الحج لفساد الطريق ،
وغيبية نغر الملك في إصلاح الأراضي .

وفيها عادت مملكة الأمويين ببلاد الأندلس فتولى فيها سليمان بن الحكم بن سليمان بن
عبد الرحمن الناصر الأموي ، ولقب بالمستعين بالله ، وبإيمانه الناس بقرطبة . وفيها مات بهاء الدولة بن
بويه الديلمي صاحب بغداد وغيرها ، وقام بالأمر من بعده ولده سلطان الدولة أبو شجاع . وفيها
مات ملك الترك الأعظم وأصبح إيلك الخان ، وتولى مكانه أخوه طغان خان . وفيها هلك خمس
المال قابوس بن قشقر ، أدخل بيتا باردا في الشتاء وليس عليه ثياب حتى مات كذلك ، وولى
الأمر من بعده منوچر ، ولقب فلك المال ، وخطب لمحمود بن سبكتكين ، وقد كان خمس المال
قابوس طالما باضلا أدبيا شاعرا ، فمن شعره قوله :

قل للذي بصروف الدهر عيّرنا • هل عائد الدهر إلّا من له خطر
أما ترى البحر يطفو فوقه خيف • ويستقر بأقصى قعره الدرر

فان تكن نشتت أيدي الخطوب بنا * ومنا من توالى صرفها ضرر
ففي السماء نجيم غير ذي عدد * وليس يكف إلا الشمس والقمر
ومن مستجاد شعره قوله :

خطرات ذكرك تستثير مودتي * فأحس منها في الفؤاد ديبيا
لا عضو لي إلا وفيه صباية * وكأن أعضائي خلقن قلوبا
وفيها نوفي من الأعيان ﴿ أحمد بن علي أبو الحسن الليثي ﴾

كان يكتب للقادر وهو بالطبيعة ، ثم كتب له علي ديوان الخراج والبريد ، وكان يحفظ القرآن حفظا حسنا ، مليح الصوت والتلاوة ، حسن المجالسة ، ظريف المآلى ، كثير الضحك والمجاجة ، خرج في بعض الأيام هو والشريفان الرضى والمرضى وجماعة من الأكارم لتلقى بعض الملوك ، فخرج بعض القصوص فجعلوا يرمونهم بالحراقات ويقولون : يا أزواج القحاب ، قال الليثي : ما خرج هؤلاء علينا إلا بيمين ، فقالوا : ومن أين علمت هذا ؟ قال : ولأن من أين علموا أنا أزواج قحاب .

﴿ الحسن بن حامد بن علي بن مروان ﴾

الوراق الخليلي ، كان مدرس أصحاب أحمد وقصبيهم في زمانه ، وله المصنفات المشهورة ، منها كتاب الجامع في اختلاف العلماء في أربعمائة جزء ، وله في أصول الفقه والدين ، وعليه اشتغل أبو يعلى بن الفراء ، وكان معظما في النفوس ، مقما عند السلطان ، وكان لا يأكل إلا من كسب يديه من النسيج ، وروى الحديث عن أبي بكر الشافعي ، وابن مالك القطيعي ، وغيرهما ، وخرج في هذه السنة إلى الحج فلما عاش الناس في الطريق استند هو إلى حجر هناك في الحر الشديد ، فجاءه رجل بقليل من ماء فقال له ابن حامد : من أين لك ؟ قال : ما هذا وقت سؤالك اشرب ، فقال : بلى هذا وقته عند لقاء الله عز وجل ، فلم يشرب ومات من فورده رحمه الله .

﴿ الحسين بن الحسن ﴾

ابن محمد بن حليم ، أبو عبد الله الخليلي ، صاحب المتهاج في أصول الديانة ، كان أحد مشايخ الشافعية ، وله مجرجان وحمل إلى بخارى ، وسمع الحديث الكثير حتى انتهت إليه رئاسة المحدثين في عصره ، وولى القضاء ببخارى . قال ابن خلكان : انتهت إليه الرئاسة فيها وراء التهر ، وله وجوه حسنة في المذهب ، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله .

﴿ فيروز أبو نصر ﴾

الملقب بهاء الدولة بن عضد الدولة الديلمي ، صاحب بغداد وغيرها ، وهو الذي قبض على الطائع وولى القادر ، وكان يحب المصادرات فجمع من الأموال ما لم يجمعه أحد قبله من بني بويه ،

وكان بخيلا جدا ، توفي بأرجان في جادى الآخرة منها عن فنتين وأربعين سنة وعلامة أشهر ، وكان مرضه بالصرع ، ودفن بالشهد إلى جانب أبيه .

(قابوس بن وهب)

كان أهل دولته قد تغيروا عليه فبايعوا ابنه منوهر وقتلوه كما ذكرنا ، وكان قد نظر في النجوم فرأى أن ولده يقتله ، وكان يتوهم أنه ولده دارا ، لما يرى من مخالفته له ، ولا يخطر بباله منوهر لما يرى من طاعته له ، فكان هلاكا على يد منوهر ، وقد قمنا شيئا من شعره في الحوادث .

(القاضي أبو بكر الباقلائي)

محمد بن الطيب أبو بكر الباقلائي ، رأس المتكلمين على مذهب الشافعي ، وهو من أكثر الناس كلاما وتصنيفا في الكلام ، يقال إنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة من مدة طويلا من عمره ، فانتشرت عنه تصانيف كثيرة ، منها التبصرة ، ودقائق الحقائق ، والتهديد في أصول الفقه ، وشرح الإبانة ، وغير ذلك من المجموع الكبار والصغار ، ومن أحسنها كتابه في الرد على الباطنية ، الذي سماه كشف الأسرار وعتك الأستار ، وقد اختلفوا في مذهبه في الفروع : قيل شافعي وقيل مالكي ، حكى ذلك عنه أبو ذر الهروي ، وقيل إنه كان يكتب على الفتاوى : كتبه محمد بن الطيب الحنبلي ، وهذا غريب جدا ، وقد كان في غاية الذكاء والفتنة ، ذكر الخطيب وغيره عنه أن عضد الدولة بعث في رسالة إلى ملك الروم ، فلما انتهى إليه إذا هو لا يدخل عليه أحد إلا من باب قصير كهيئة الراكع ، فظم الباقلائي أن مراده أن ينحن الداخل عليه له كهيئة الراكع لله عز وجل ، فدار مسته إلى الملك ودخل الباب بظهره يمشي إليه التهقرا ، فلما وصل إليه اغتسل فسلم عليه ، فعرف الملك ذكاه ومكانه من العلم والفهم ، فظمه . ويقال إن الملك أحضر بين يديه آلة الطرب المسماة بالأرغل ، ليستفز حيلة بها ، فلما صمها الباقلائي خاف على نفسه أن يظهر منه حركة فاقصة بمحضرة الملك ، فجعل لا يألو جهدا أن جرح رجله حتى خرج منها الدم الكثير ، فاشتغل بالألم عن الطرب ، ولم يظهر عليه شيء من النقص والخفة ، فحبب الملك من ذلك ، ثم إن الملك استكشف الأمر فإذا هو قد جرح نفسه بما أشغله عن الطرب ، فتعجب الملك وفورحمته وعلو عزيمته ، فأن هذه الآلة لا يسمعها أحد إلا طرب شاه أم أبي . وقد سأل بعض الأساقفة بمحضرة ملكهم فقال : ما فعلت زوجة نبيكم ؟ وما كان من أمرها بما ربيت به من الافاك ؟ قال الباقلائي بحيلة له على اليسيرة : هما امرأتان ذكرنا بسوء : مريم وعائشة ، فبرأهما الله عز وجل ، وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد ، وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج - يعني أن عائشة أولى بالبراءة من مريم - وكلاهما بريئة مما قيل فيها ، فان تطرق في ذهن الفاسد احتمال ريبة إلى هذه فهو إلى تلك أسرع ، وما يحمد الله منزهتان مبراأتان من السماء بوحى الله عز وجل ، عليهما السلام .

وقد سمع الباقلاني الحديث من أبي بكر بن مالك القطيعي وأبي محمد بن ملس وغيرهما ، وقد قبله المدارقاني يوما وقال : هذا يرد على أهل الأهواء بطلهم ، ودعا له . وكانت وفاته يوم السبت لسبع بقين من ذى القعدة ، ودفن بداره ثم نقل إلى مقبرة باب حرب .

✽ محمد بن موسى بن محمد ✽

أبو بكر الخوارزمي شيخ الحنفية وحقبيهم ، أخذ العلم عن أحمد بن علي الرازي ، وانتهت إليه رئاسة الحنفية ببغداد ، وكان موطئا عند الملوك ، ومن تلامذة الرضى والصيرى ، وقد سمع الحديث من أبي بكر الشافعي وغيره ، وكان ثقة دينا حسن الصلاة على طريقة السلف ، ويقول في الاعتقاد : ديننا دين المجائر ، لسنا من الكلام في شيء ، وكان فصيحاً حسن التدريس ، دعي إلى ولاية القضاء غير مرة فلم يقبل ، توفي ليلة الجمعة الثامن عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعمائة ، ودفن بداره من درب عبده .

✽ الحافظ أبو الحسن علي بن محمد بن خلف ✽
العامري القابسي مصنف التلخيص ، أصله قروي وإماما غلب عليه القابسي لأن غسه كان يتسم قابسية ، قليل لهم ذلك ، وقد كان حافظا بارعا في علم الحديث ، رجلا صالحا جليلا التقدر ، ولما توفي في ربيع الآخر من هذه السنة عكف الناس على قبره ليالي يقرؤن القرآن ويدهون له ، وجاء الشراء من كل أوب يرون ويترحمون ، ولما أجلس للمناظرة أنشد لغيره :

لسمر أنيك ما نسب الملى • إلى كرم وفي الدنيا كرم

ولكن البلاد إذا انشعرت • وصوح بنتها رعى المشيم

ثم بكى وأبكى ، وجعل يقول : أنا المشيم أنا المشيم . رحمه الله .

✽ الحافظ بن الفرضي ✽

أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الفرضي ، فاضل بكلمة ، سمع الكثير وجمع وصنف التاريخ ، وفي المؤلفات والختلاف ، ومثله النسبة وغير ذلك ، وكان علامة زمانه ، قتل شهيدا على يد البربر بفسموه وهو جريح طرح بقرأ على نفسه الحديث الذي في المصحيح « ما يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وكله يدي ، اللون لون الدم ، والرجم رجم المسك » . وقد كان سأل الله الشهادة عند أستار الكعبة فأعطاه إياها ، ومن شعره قوله :

أسير انطاليا عند بابك واقف • على وجل مما به أنت عارف .

يخاف ذنوبا لم ينسب عنك غيها • ويرجوك فيها وهو راج وخائف

ومن ذا الذي يرجي سواك ويتق • ومالك في فصل القضاء مخالف

فيا سيدي لا تحزني في صبيقتي • إذا نشرت يوم الحساب الصخائف

وكن مؤنس في ظلة التبر عند ما • يصدخو التبرني ويهجو الموالف

لثمن ضائق عنى عفوك الواسع الذى * أربحى لاسرافى فاقى تالف
 (ثم دخلت سنة أربع وأربعمائة)

فى يوم الخميس غرة ربيع الأول منها جلس الخليفة القادر فى أبهة الخلافه وأحضر بين يديه
 سلطان الدولة والحجبة ، فخلع عليه سبع خلع على العادة ، وعنه بجماعة سوداء ، وقلبه سيفاً وقاجاً
 مرصعاً ، وسوارين وطوقاً ، وعقد له لواءين بيده ، ثم أعطاه سيفاً وقال للخادم : قل له به ، فهو شرف له
 ولقبه ، يفتح شرق الأرض وغربها ، وكان ذلك يوماً مشهوداً ، حضره القضاة والأمراء والوزراء .
 وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند ففتح وقتل وسبى وغنم ، وسلم ، وكتب إلى الخليفة أن
 يولييه ما بيده من مملكة خراسان وغيرها من البلاد ، فأجاب به إلى ما سأل . وفيها عاث بنو خفاجة
 ببلاد الكوفة فبرز إليهم قائمها أبو الحسن بن يزيد قتل منهم خلقاً وأمر محمد بن بمان وجماعة من
 رؤسهم ، وانهزم الباقون ، فأرسل الله عليهم ريحاً حارة فأهلك منهم خمسمائة إنسان . وحج بالناس
 أبو الحسن محمد بن الحسن الأفسس .

وفيها توفى من الأعيان (الحسن بن أحمد)

ابن جعفر بن عبد الله المروفي بن البغدادى ، سمع الحديث ، وكان زاهداً عابداً كثير المجاهدة ،
 لا ينام إلا عن غلبة ، وكان لا يدخل الحمام ولا يتسل ثيابه إلا بجم ، وجمه الحسين بن عثمان بن
 على أبو عبد الله المقرئ الضربى المجاهدى ، قرأ على ابن مجاهد القرآن وهو صغير ، وكان آخر من بقى
 من أصحابه ، توفى فى جمادى الأولى منها ، وقد جاوز المائة سنة ، ودفن فى مقابر الزرادين .

(على بن سعيد الأسطخرى)

أحد شيوخ المعتزلة ، صنف لقادر بالله الرد على الباطنية فأجرى عليه جناية سنية ، وكان يسكن
 دواب ربيع ، توفى فى شوال وقد جاوز الثمانين .

(ثم دخلت سنة خمس وأربعمائة)

فيها منع الحاكم صاحب مصر النساء من الخروج من منازلهم ، أو أن يطلعن من الأسطحة أو من
 الطائقات ، ومنع الخفافين من حمل الخفاف لمن ، ومنعهم من الخروج إلى الحمامات ، وقتل خلقاً من
 النساء على مخالفتهم فى ذلك ، وهدم بعض الحمامات عليهم ، وجهز نساء عجماء كثيرة يستعلن
 أحوال النساء لمن يشقن أو يشقن ، بأسمائهن وأسماء من يتعرض لمن ، فن وجعنهن كذلك أطفأها
 وأهلكها ، ثم إنه أكثر من الدوران بنفسه ليلاً ونهاراً فى البلدة فى طلب ذلك ، وغرق خلقاً من الرجال
 والنساء والصبيان ممن يطاع على فسقهم ، فضاق الحال واشتد على النساء ، وعلى الفساق ذلك ، ولم
 يتمكن أحد منهن أن يصل إلى أحد إلا نادراً ، حتى أن امرأة كانت عاشقة لرجل عشقا قويا كادت
 أن تهلك بسببه ، لما حبل بينها وبينه ، فوفقت قضاى القضاة وهو مالك بن سمدة الفارقي وحلفته بحق

الحاكم لما وقف لها واستمع كلامها ، فرحها فوق لما فيكت إليه بكاء شديدا مكرها وحيلة وخداها ، وقالت له : أيها القاضي إن لي أخا ليس لي غيره ، وهو في السيق وإلى أسألك بحق الحاكم عليك لما أوصلني إلى منزله ، لأنظر إليه قبل أن يئارق الدنيا ، وأجرك على الله . فرق لها القاضي رقة شديدة وأمر رجلين كافعهما يكونان معها حتى يبلغانها إلى المنزل اتقى تريده ، فأغلقت بابها وأعطت المفتاح لجاريتها ، وذهبت معها حتى وصلت إلى منزل مشوقها ، فطرقت الباب ودخلت وقالت لها : أذهب هذا منزله فإذا رجل كانت تهواه ونجبه ويهواها ويحبها ، فقال لها : كيف قدرت على الوصول إلى ؟ فأخبرته بما احتالت به من الحيلة على القاضي ، فأعجبه ذلك من مكرها وحيلتها ، وجاء زوجها من آخر النهار فوجد بابها مغلقا وليس في بيته أحد ، فسأل الجيران عن أمرها فذكرت له جارتها ما صنعت فاستفتت على القاضي وذهب إليه وقال له : ما أريد امرأتى إلا منك الساعة ، وإلا عرفت الحاكم ، فان امرأتى ليس لها أخ بالسكية ، وإنما ذهبت إلى مشوقها ، تخاف القاضي من مرة هذا الأمر ، فركب إلى الحاكم وبكى بين يديه ، فسأله عن شأنه فأخبره بما اتفق له من الأمر مع المرأة ، فأرسل الحاكم مع ذلك الرجلين من يحضر المرأة والرجل جميعا ، على أي حال كانا عليه ، فوجدهما متمتقين سكارى ، فسألها الحاكم عن أمرها فأخذتا يمتدنان بما لا يحصى شيئا ، فأمر بتعريق المرأة في بادية وضرب الرجل ضربا مبرحا حتى أتلعه ، ثم ازداد احتياطا وشدة على النساء حتى جعلن في أضيق من جحر ضب ، ولا زال هذا دأبه حتى مات . ذكره ابن الجوزي .

وفي رجب منها ولى أبو الحسن أحد بن أبي الشوارب قضاء الحفصة بعد موت أبي محمد الألفاني . وفيها حترت الدولة مسجد الشرقية ونصب عليه الشبايك من الحديد .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ بكر بن شاذان بن بكر ﴾

أبو القاسم المقرئ الواظظ ، سمع أبا بكر الشافعي ، وجعفر الخليلي ، وعنه الأزهري والخلال ، وكان ثقة أميننا صالحا عابدا زاهدا ، له قيام ليل ، وكرم أخلاق . مات فيها عن نيف وثمانين سنة ،

ودفن بباب حرب ﴿ بدر بن حسويه بن الحسين ﴾

أبو النجم الكردى ، كان من خيار الملوك بناحية الدينور وحمدان ، وله سياسة وصدقة كثيرة ، كناه القادر بأبي النجم ، ولقبه بأمر الدولة ، وعقد له لواء وأفضه إليه ، وكانت معاملاته وبلاده في غاية الأمن والطيبة ، بحيث إذا أمسى جل أحد من المسافرين أودابته من حمله يتركها بما عليها في البرية فيرد عليه ، ولو بعد حين لا ينقص منه شيء ، ولما عانت أمراؤه في الأرض فسادا حمل لهم ضيافة حسنة ، فقدمها إليهم ولم يأثمهم بخير ، فجلسوا ينتظرون الخبز ، فلما استبطلوا سألوها عنه فقال لهم : إذا كنتم تهلكون الحوت وتظفون الزواجم ، فمن أين تؤتون بخير ؟ ثم قال لهم : لا أسمع بأحد أفسد في الأرض بعد اليوم إلا أرقط دمه . واجتاز مرة في بعض أسفاره برجل قد حمل حزمة خلب وهو

يبكى فقال له : مالك تبكى ؟ قال : إني كن معي دغيفان أريد أن أتوتهما فأخفها حتى بعض الجند ، فقال : له أتعرفه إذا رأيته ؟ قال : نعم ، فوقف به في موضع مضيق حتى مر عليه ذلك الرجل الذي أخذ دغيفيه ، قال : هذا هو ، فأمر به أن ينزل عن فرسه وأن يحمل حزمته التي احتطبها حتى يبلغ بها إلى المدينة ، فأراد أن يقتدى من ذلك مال جزيل فلم يقبل منه ، حتى تأدب به بالجيش كلهم . وكان يصرف كل جمعة عشرين ألف درهم على الفقراء والأرامل ، وفي كل شهر عشرين ألف درهم في تكفين الموتى ، ويصرف في كل سنة ألف دينار إلى عشرين نفسا يحجون عن والده ، وعن عضد الدولة ، لأنه كان السبب في تملكه ، وثلاثة آلاف دينار في كل سنة إلى الحدادين والحذائين لأجل المنقطعين من همدان وبنداد ، يصلحون الأحذية ونعال دوابهم ، ويصرف في كل سنة مائة ألف دينار إلى الحرمين صدقة على المجاورين ، وعمارة المصانع ، وإصلاح المياه في طريق الحجاز ، وحفر الآبار . وما اجتاز في طريقه وأسفاره بهاء إلا بنى عنده قرية ، وعمر في أيامه من المساجد والخلقات ما ينيف على ألفي مسجد وخان ، هذا كله خارجا عما يصرف من ديوانه من الجرايات ، والنفقات والصدقات ، والبر والصلوات ، على أصناف الناس ، من الفقهاء والقضاة ، والمؤذنين والأشراف ، والشهود والفقراء ، والمساكين والأيتام والأرامل . وكان مع هذا كثير الصلاة والدعوة . وكان له من الدواب المربوطة في سبيل الله وفي الحشر ما ينيف على عشرين ألف دابة . توفي في هذه السنة رحمه الله عن نيف وثمانين سنة ، ودفن في مشهد علي ، وترك من الأموال أربعة عشر ألف بدره ، ونيفا وأربعين بدره ، البدره عشرة آلاف ، رحمه الله .

﴿ الحسن بن الحسين بن حكان ﴾

أبو علي الهمداني ، أحد الفقهاء الشافعية ببنداد ، حتى أولا بالحديث فسمع منه أبو حامد المروزي وروى عنه الأزهرى ، وقال : كان ضعيفا ليس بشئ في الحديث .

﴿ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم ﴾

أبو محمد الأسدي المعروف بابن الأكنافى ، قاضى قضاة بنداد ، ولد سنة ست عشرة وثلثمائة وروى عن القاضي الحاملى ، ومحمد بن خلف ، وابن عقدة وغيرهم ، وعنه البرقائى والتنوخى ، يقال إنه أفق على طلب العلم مائة ألف دينار ، وكان حفيظا زها ، صين العرض . توفي في هذه السنة عن خمس وثمانين سنة ، وولى الحكم منها أربعين سنة نيابة واستقلالا ، رحمه الله .

﴿ عبد الرحمن بن محمد ﴾

ابن محمد بن عبد الله بن إدريس بن سعد ، الحافظ الاسترأبى المروفي بالأندلس ، رحل في طلب العلم والحديث ، وعنى به وجمع الأصم وغيره ، وسكن صمرقند ، وصنف لها تاريخا وعرضه على الدارقلنى فاستحسنه ، وحدث ببنداد فسمع منه الأزهرى والتنوخى ، وكان همه حافظا .

(أبو نصر عبد العزيز بن عمر)

ابن أحمد بن نبأة الشاعر المشهور ، امتنع سيف الدولة بن حمدان ، أغلنه أخو الخطيب ابن نبأة أوقعه ، وهو القاتل البيت المطروق المشهور :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره • تنوعت الأسباب والموت واحد

(عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نبأة) أبو نصر السعدي الشاعر وشعره موقوف ومن شعره قوله :

وإذا عجزت عن المدو فبارده • وامزج له إن الزاج وفق

كللاء بالنار التي هو ضدها • يعلو التضاج وطبها الاحراق

توفي فيها (عبد الغفار بن عبد الرحمن) أبو بكر الدينوري القتيبة السفياني ، وهو آخر من كان يفتي بمنهبط سفیان الثوري ببغداد ، في جامع المنصور ، وكان إليه النظر في الجامع والقيام بأمره .

توفي فيها ودفن خلف جامع الحاكم . (الحاكم النيسابوري) صاحب المستدرک ، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمويه ، بن نعيم بن الحكم ، أبو عبد الله الحاكم الضبي الحافظ ، ويعرف بابن

البيع ، من أهل نيسابور ، وكان من أهل العلم والحفظ والحديث ، ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وأول سماعه من سنة ثلاثين وثلاثمائة ، سمع الكثير وطاف الآفاق ، وصنف الكتب الكبار والصغار ،

فنها المستدرک على الصحيحين ، وعلوم الحديث والاكتليل وتاريخ نيسابور ، وقد روى عن خلق ، ومن مشايخه الدارقطني وابن أبي الفوارس وغيرهما ، وقد كان من أهل الدين والأمانة والصيانة ،

والضبط ، والتجرد ، والورع ، لكن قال الخطيب البغدادي : كان ابن البيع يميل إلى التشيع ، فحدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأرموي ، قال : جمع الحاكم أبو عبد الله أحاديث زعم أنها صحاح

على شرط البخاري وسلم ، يلزمها إخراجها في صحيحهما ، فنها حديث الطبري ، ومن كنت مولاه فلي مولاه ، فأنكر عليه أصحاب الحديث ذلك ولم يلتفتوا إلى قوله ولا موه في فعله . وقال محمد بن طاهر

المقدسي : قال الحاكم : حديث الطبري لم يخرج في الصحيح وهو صحيح ، قال ابن طاهر : بل موضوع لا يروى إلا من أسقاط أهل الكوفة من الجاهيل ، عن أنس ، فإن كان الحاكم لا يعرف هذا فهو

جاهل ، وإلا فهو معاند كتاب . وقال أبو عبد الرحمن السلمي : دخلت على الحاكم وهو مختلف من الكرامية لا يستطيع أن يخرج منهم ، قلت له : لو خرجت حديثا في فضائل معاوية لاسترحمت مما

أنت فيه ، فقال : لا يبيى من قبلي ، لا يبيى من قبلي . توفي فيها عن أربع وثمانين سنة .

(ابن كيج) هو يوسف بن أحمد بن كيج أبو القاسم القاضى ، أحد أئمة الشافعية ، وله في المنهبط وجوه غريبة وكانت له نعمة عظيمة جدا ، وولى القضاء بالدينور ليدبر بن حسويه فلما تغيرت البلاد

بعد موت بدر وثب عليه جماعة من البيارين قتلوه ليلة سبع وعشرين من رمضان من هذه السنة .

(تم الجزء الحادى عشر من البداية والنهاية يليه الجزء الثانى عشر وأوله سنة ست وأربعمائة وبالله التوفيق)

فهرس الجزء الحادى عشر من البداية والنهاية

صفحة		صفحة
٣٧	وفاة أبى زرعة المحدث الشهير وابن عليه	٢ خلافة المستعين بالله
٥٠	سنة خمس وستين ومائتين	٣ سنة تسع وأربعين ومائتين
٣٨	« ست وستين ومائتين وما فيها من الحوادث	٥ « خمسين ومائتين من الهجرة النبوية
٤٠	« سبع وستين ومائتين وما حصل فيها من	٧ سنة إحدى وخمسين ومائتين
٤٢	حرب جيش المعتز مع الزنوج	٩ تغلب محمد بن طاهر على الخليفة المستعين
٤٣	سنة ثمان وستين ومائتين	١٠ سنة ثلثين وخمسين ومائتين
٥٠	« تسع وستين ومائتين	ذكر خلافة المعتز بالله بن المتوكل بعد خلع
٤٣	« سبعين ومائتين من الهجرة النبوية	المستعين نفسه
٤٥	وفاة أحمد بن طولون صاحب مصر	١١ ذكر مقتل المستعين
٤٨	« ابن قتيبة القينورى	١٢ سنة ثلاث وخمسين ومائتين
٥٠	سنة إحدى وسبعين ومائتين	١٤ سنة أربع وخمسين ومائتين
٤٩	وفاة بوران بنت الحسن بن سهيل زوجة	١٦ موت الخليفة المعتز بن المتوكل
٥٠	الخليفة المأمون	١٧ ذكر خلافة المهتدى بالله
٥١	سنة ثلثين وسبعين ومائتين	٢٠ وفاة محمد بن كرام رئيس الفرقة الكرامية
٥١	سنة ثلاث وسبعين ومائتين	٢١ سنة ست وخمسين ومائتين
٥٢	وفاة ابن ماجه صاحب السنن	٢٢ ذكر خلع المهتدى بالله وولاية المعتز
٥٠	سنة أربع وسبعين ومائتين	٢٣ خلافة المعتز على الله
٥٣	« خمس وسبعين ومائتين	٢٨ سنة سبع وخمسين ومائتين
٥٤	وفاة أبى داود السجستانى صاحب السنن	٣٠ سنة ثمان وخمسين ومائتين
٥٦	سنة ست وسبعين ومائتين	٣١ « تسع وخمسين ومائتين
٥٧	« سبع » » »	٥٠ « ستين ومائتين من الهجرة النبوية
٥٩	وفاة أبى حاتم الرازى	٣٢ « إحدى وستين ومائتين
٦١	سنة ثمان وسبعين ومائتين	٣٣ وفاة المحدث الشهير مسلم بن الحجاج صاحب
٦٣	وفاة الناصر لدين الله أبى أحمد الموفق	الصحيح المشهور
٦٤	سنة تسع وسبعين ومائتين	٣٥ سنة ثلثين وستين ومائتين
٦٥	وفاة أمير المؤمنين المعتز على الله	٥٠ « ثلاث وستين ومائتين
٦٦	خلافة المعتض بالله	٣٦ « أربع وستين ومائتين

صحيفة	صحيفة
٦٦ وفاة الترمذى صاحب الجامع للأحاديث ١٠٤ وفاة الخليفة المكتنى بالله	٦٦
٦٧ سنة ثمانين ومائتين من الهجرة النبوية ١٠٥ خلافة المتندر بالله	٦٧
٦٨ ذكر بناء دار الخلافة في بغداد ١٠٧ سنة ست وتسعين ومائتين	٦٨
٦٩ وفاة سيويه أستاذ النعناع وترجمته ١٠٨ وفاة ابن المعتز الشاعر القى ببيع بالخلافة	٦٩
٧٠ سنة إحدى وثمانين ومائتين ١١٠ سنة سبع وتسعين ومائتين	٧٠
٧١ وفاة ابن أبي الدنيا ١١١ وفاة ابن أبي شيبة	٧١
٧٢ سنة اثنتين وثمانين ومائتين ١١٢ سنة ثمان وتسعين ومائتين	٧٢
٧٣ وفاة خارويه بن أحمد بن طولون ١١٣ وفاة أبي القاسم الجنيد شيخ الصوفية	٧٣
٧٤ سنة ثلاث وثمانين ومائتين ١١٦ سنة تسع وتسعين ومائتين	٧٤
٧٥ وفاة ابن الرومي الشاعر ١١٨ «ثلاثة من الهجرة النبوية	٧٥
٧٦ «البحرئى» ١١٩ وفاة الصنوبرى الشاعر	٧٦
٧٧ سنة أربع وثمانين ومائتين ١٢٠ سنة إحدى وثلاثين من الهجرة	٧٧
٧٨ «خمس» ١٢٢ وفاة أبي سعيد الجنابي رأس القرامطة	٧٨
٧٩ وفاة المبرد النحوى ١٢٢ سنة ثنتين وثلاثين	٧٩
٨٠ سنة ست وثمانين ومائتين ١٢٣ وفاة القاضي أبي زرعة	٨٠
٨١ ظهور أبي سعيد الجنابي رأس القرامطة ١٢٣ سنة ثلاث وثلاثين	٨١
٨٢ سنة سبع وثمانين ومائتين ١٢٥ وفاة النسائي صاحب السنن	٨٢
٨٣ «ثمان» ١٢٥ «ابن بسام الشاعر	٨٣
٨٤ «تسع» ١٢٦ سنة أربع وثلاثين	٨٤
٨٥ وفاة الخليفة المتضد بالله وترجمته ١٢٧ «خمس»	٨٥
٩٤ خلافة المكتنى بالله بن المتضد ١٢٨ «ست»	٩٤
٩٦ سنة تسعين ومائتين من الهجرة النبوية ١٣٠ «سبع»	٩٦
١٠٠ وفاة عبد الله بن أحمد بن حنبل ١٣١ «ثمان»	١٠٠
٩٧ «أبي بكر البلق» ١٣٢ «تسع» وفيها قتل الحسين بن منصور الحلاج	٩٧
١٠٠ سنة إحدى وتسعين ومائتين ١٣٥ ذكر أشياء من حيل الحلاج	١٠٠
٩٩ «ثنتين» ١٣٩ «صفا مقتل الحلاج	٩٩
١٠٠ «ثلاث» ١٤٤ سنة عشر وثلاثين	١٠٠
١٠١ «أربع» ١٤٥ وفاة ابن جرير الطبرى صاحب التاريخ	١٠١
١٠٢ «خمس وتسعين ومائتين»	١٠٢

صحيفة	صحيفة
١٤٧ سنة إحدى عشرة وثلاثمائة	١٩٣ وفاة أبي سعيد الاصطخري
١٤٨ وفاة الزجاج صاحب معاني القرآن	٠٠٠ صاحب كتاب المقد الفريد أحمد بن عبد ربه
١٤٩ سنة ثلثي عشرة وثلاثمائة	٧٩٤ ابن شفيوذ المقرئ
١٥١ وفاة علي بن الفرات الوزير	١٩٦ ابن الأنباري
١٥٢ سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة	٠٠٠ سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وفيها كانت وفاة الخليفة الراضي بالله المباسي
١٥٣ » أربع عشرة »	١٩٨ خلافة المتقي بالله
١٥٤ » خمس عشرة »	٢٠١ سنة ثلاثين وثلاثمائة
١٥٦ وفاة ابن الجصاص صاحب أحكام القرآن	٢٠٥ » إحدى وثلاثين وثلاثمائة
١٥٧ سنة ست عشرة وثلاثمائة	٢٠٧ » ثلثين »
١٥٩ » سبع »	٢٠٩ » ثلاث »
١٦٤ وفاة الكمي المتكلم	٢١٠ خلافة المستنفي بالله
٠٠٠ سنة ثمان عشرة وثلاثمائة	٢١١ سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة
١٦٦ » تسع عشرة وثلاثمائة	٢١٢ ذكر أول دولة بني بويه وحكمهم ببغداد
١٦٨ » عشرين وثلاثمائة	٠٠٠ القبض على الخليفة المستنفي بالله وخلعه
١٦٩ وفاة الخليفة المتتدر بالله وترجمته	٠٠٠ خلافة المطيع لله
١٧٠ خلافة القاهرة بالله	٢١٤ وفاة الخرق عمر بن الحسين
١٧٢ سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة	٢١٥ » الأخشيد محمد بن عبد الله بن طنج
١٧٣ ذكر ابتداء أمر بني بويه	٢١٦ سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة
١٧٧ سنة ثلثين وعشرين وثلاثمائة	٢١٩ » ست »
١٧٨ ذكر خلع القاهرة وعمل عليه	٠٠٠ وفاة الصولي الشاعر
٠٠٠ خلافة الراضي بالله	٢٢٠ سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة
١٧٩ وفاة المهدي البيدي صاحب افرقية	٢٢١ » ثمان »
١٨١ سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة	٢٢٢ وفاة المستنفي بالله
١٨٣ وفاة نفلويه النحوي	١٢٣ سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة
٠٠٠ سنة أربع وعشرين وثلاثمائة	٠٠٠ وفاة محمد القاهرة بالله أمير المؤمنين
١٨٥ وفاة جسطة الشاعر البرمي	٢٢٤ » أي نصر الفارابي
١٨٧ سنة خمس وعشرين وثلاثمائة	٠٠٠ سنة أربعين وثلاثمائة
١٨٨ » ست »	
١٩١ » ثمان »	

صحيفة	صحيفة
٢٦٦ سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة	٢٢٥ سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة
٢٦٧ » تسع »	٠٠٠ وفاة القائم بأمر الله المنصور الفاطمي
٢٦٩ » ستين »	٢٢٧ سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة
٢٧١ » إحدى وستين »	٠٠٠ » ثلاث »
٢٧٣ » ثنتين »	٢٢٨ » أربع »
٢٧٥ » ثلاث »	٢٣٠ » خمس »
٢٧٦ » خلافة الطائع وخلع المطيع	٢٣٢ سنة ست وأربعين وثلاثمائة
٠٠٠ ذكر الحرب بين المزمز الفاطمي وبين الترمطي	٠٠٠ » سبع »
٢٧٧ » ملك المزمز دمشق	٢٣٤ » ثمان »
٢٧٨ وفاة أبي فراس الشاعر	٢٣٥ » تسع »
٢٧٩ سنة أربع وستين وثلاثمائة	٢٣٧ » خمسين وثلاثمائة
٢٨٠ ذكر أخذ دمشق من أيدي الفاطميين	٢٣٩ سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة
٢٨٢ وفاة سيكتكين الحاحب التركي	٢٤٢ وفاة أبي بكر النقاش
٠٠٠ سنة خمس وستين وثلاثمائة	٢٤٣ سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة
٢٨٣ وفاة المزمز الفاطمي بالي القاهرة والأزهر	٠٠٠ وفاة النفقور ملك الأرمن وترجمته
٢٨٤ سنة ست وستين وثلاثمائة	٢٤٤ القصيدة الأرمنية
٢٨٩ » سبع »	٢٤٧ الفريدة الإسلامية في الرد على القصيدة
٢٩٠ مقتل عز الدولة بختيار	الأرمنية
٢٩٢ سنة ثمان وستين وثلاثمائة	٢٥٣ سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة
٢٩٥ » تسع »	٢٥٤ » أربع »
٢٩٧ » سبعين وثلاثمائة	٢٥٦ وفاة أبي الطيب المتنبي الشاعر وترجمته
٠٠٠ » إحدى وسبعين وثلاثمائة	٢٦٠ سنة خمس وخمسين وثلاثمائة
٢٩٩ » اثنتين »	٢٦٢ » ست »
٠٠٠ ذكر شئ من أخبار عضد الدولة	٠٠٠ وفاة عز الدولة بن بويه
٣٠٢ سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة	٢٦٣ » أبي الفرج الأصفهاني
٠٠٠ » أربع »	٠٠٠ » سيف الدولة
٣٠٣ » خمس »	٢٦٤ » كافور الاخشيدى
٣٠٥ » ست »	٠٠٠ » أبي علي القتالي
٠٠٠ » سبع »	٢٦٥ سنة سبع وخمسين وثلاثمائة

صحيفة	صحيفة
٣٠٦ سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة	٣٢٥ سنة تسع وثمانين وثلاثمائة
٣٠٧ » تسع » »	٣٢٦ سنة تسعين وثلاثمائة هجرية
٠٠٠ وفاة شرف الدولة بن عضد الدولة	٣٢٨ » إحدى وتسعين وثلاثمائة
٣٠٨ سنة ثمانين وثلاثمائة	٣٣٠ » ثنتين » »
٠٠٠ » إحدى وثمانين وثلاثمائة	٣٣١ وفاة ابن جنى النحوى
٣٠٩ القبض على الخليفة الطائع لله وخلافة	٣٣٢ سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة
القادر بالله	٠٠٠ وفاة الخليفة الطائع لله
٣١٠ وفاة جوهر القائد بالى القاهرة	٣٣٣ سنة أربع وتسعين وثلاثمائة
٣١١ سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة	٣٣٤ » خمس » »
٣١٢ » ثلاث » »	٣٣٥ » ست » »
٠٠٠ » أربع » »	٣٣٧ » سبع » »
٣١٤ سنة خمس وثمانين وثلاثمائة	٣٣٨ » ثمان » »
٠٠٠ وفاة الصاحب بن عباد	٠٠٠ قصة مصحف ابن مسعود ونحره
٣١٧ » الحافظ الماروطى	٣٣٩ ذكر تحريف قامة النصرارى ببيت المقدس
٣١٩ سنة ست وثمانين وثلاثمائة	٣٤١ سنة تسع وتسعين وثلاثمائة
٠٠٠ وفاة أبى طالب المكي صاحب قوت القلوب	٣٤٢ » أربع مائة من الهجرة النبوية
٣٢٠ » العزيز صاحب مصر وولاية ابنه الحاكم	٣٤٣ » إحدى وأربع مائة
٠٠٠ سنة سبع وثمانين وثلاثمائة	٣٤٥ » اثنتين » »
٣٢٢ وفاة نضر الدولة بن بويه	٠٠٠ ذكر الطعن فى دين ونسب النفاطميين
٣٢٣ » نوح بن منصور آخر ملوك السامانية	٣٤٧ سنة ثلاث وأربع مائة
٣٢٤ سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة	٣٥٠ وفاة القاضي أبى بكر الباقلانى
٠٠٠ وفاة الامام الخطابى صاحب معالم السنن	٣٥٢ سنة أربع وأربع مائة

تم الفهرس



البداية والنهاية

في التاريخ

للإمام الحافظ المفسر للورخ صمد الدين أبي الفداء إسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الثاني عشر



مطبعة النجادة بدمشق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ثم دخلت سنة ست وأربعمائة)

في يوم الثلاثاء مستهل المحرم منها وقعت فتنة بين أهل السنة والروافض ، ثم سكن الفتنة الوزير بفر الملك على أن تعمل الروافض بدعتهم يوم عاشوراء من تمليق المسوح والنوح . وفي هذا الشهر ورد الخيزر بوقوع وباء شديد في البصرة أعجز الحفارين ، والناس عن دفن موتاهم ، وأنه أغلقت البلد سحابة في حرّ بران . فمطرهم مطرا شديدا . وفي يوم السبت ثالث صفر تولى المرتضى نقابة الطالبين والمظالم والحج ، وجميع ما كان يتولاه أخوه الرضى ، وقرئ تقليده بمحضرة الأعيان ، وكانت يوما مشهودا . وفيها ورد الخيزر عن الحجاج بأنه هلك منهم بسبب العطش أربعة عشر ألفا ، وسلم سنة آلاف ، وأنهم شربوا بول الأبل من العطش . وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند فأخذه الأتلاء فسلكوا به على بلاد غربية فأنهوا إلى أرض قد غمرها الماء من البحر فغاض بنفسه الماء أياما وخاض الجيش حتى خلسوا بمد ما غرق كثير من جيشه ، وصاد إلى خراسان بمد جهد جديد . ولم ينجح فيها من المراق ركب لفساد البلاد من الأعراب .

وفيها توفي من الأعيان (الشيخ أبو حامد الاسفرايني)

إمام الشافعية ، أحمد بن محمد بن أحمد إمام الشافعية في زمانه ، ولد في سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وقدم بغداد وهو صغير سنة ثلاث أو أربع وستين وثلاثمائة ، فدرس الفقه على أبي الحسين ابن المزيان ، ثم على أبي القاسم الجباري ، ولم يزل يترقى به الأحوال حتى صارت إليه رئاسة

الشافعية، وعظم جاهه عند السلطان والعمام، وكان قهناً إماماً، جليلاً نبيلاً، شرح المزي في تعليقه حافلة نحواً من خمسين مجلداً، وله تعليقة أخرى في أصول الفقه، وروى عن الامام علي وغيره .
قال الخطيب : ورأيت غيرة وحضرت تدرسه بمسجد عبد الله بن المبارك ، في صدر قطيعة الربيع ، وحدثننا عنه الأزهري والخلال ، وصحمت من يذكر أنه كان يحضر تدرسه سبعمائة متفقه ، وكان الناس يقولون : لو رآه الشافعي لفرح به . وقال أبو الحسن القدوري : ما رأيت في الشافعية أفقه من أبي حامد ، وقد ذكرت ترجمته مستقصاة في طبقات الشافعية : وذكر ابن خلكان أن القدوري قال : هو أفقه ، وأنظر من الشافعي . قال الشيخ أبو إسحاق : ليس هذا مسلماً إلى القدوري فإن أبا حامد وأمثاله بالنسبة إلى الشافعي كما قال الشاعر :

نزولاً بمكة في قبائل نوفل • ونزلت بالبيداء أبعد منزل

قال ابن خلكان : وله مصنفات : التعليقة الكبرى ، وله كتاب البستان ، وهو صغير فيه غرائب قال وقد اعترض عليه بعض الفقهاء في بعض المناظرات فأثنى الشيخ أبو حامد يقول :

جفاء جرى جهراً لدى الناس وانبسط • وعثر أئى سرّاً فأكد ما فرط

ومن ظن أن يمحو جلي جفائه • خفي اعتذار فهو في أعظم الغلط

توفي ليلة السبت لاحتدي عشرة بقيت من شوال منها ، ودفن بداره بعدما صلى عليه بالصحرَاء وكان الجمع كثيراً والبيكاء غزيراً ، ثم هُل إلى مقبرة باب حرب في سنة عشر وأربعمائة . قال ابن الجوزي : وبلغ من العمر إحدى وستين سنة وأشهرًا .

﴿ أبو أحمد الفرضي ﴾

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن مهران ، أبو مسلم الفرضي المقرئ . سمع الحاملي ويوسف ابن يعقوب ، وحضر مجلس أبي بكر بن الأنباري ، وكان إماماً فقه ، ودعا وقوراً ، كثير الخير ، يقرأ القرآن كثيراً ، ثم سمع الحديث ، وكان إذا قسم على الشيخ أبي حامد الاسفراييني ، نهض إليه حافياً فنلقاه إلى باب المسجد ، توفي وقد جاوز الثمانين .

﴿ الشريف الرضي ﴾

محمد بن الطاهر أبو أحمد الحسين بن موسى أبو الحسن النحوي لقبه بهاء الدولة بالرضي ، ذي الحسينتين ، ولقب أخاه المرتضى ذي المجدين ، ولي ثقافة الطالبين ببغداد بعد أبيه ، وكان شاعراً مطبقاً ، سخي الجواد . قال بعضهم : كان الشريف في كثرة أشعاره أشعر قرطبي فن شعره المستجاد .

قوله : اشتد المزجماً شدة • مثفا المزجماً

بالقصار إن شدة • متأول السبع الطوال

ليس بالغبين عقلا • من شرى عزاً بمال
إنما يندخر المال • ل الحاجات الرجال
والفقير من جمل الأموا • ل أنمان المالى

وله أيضاً • يا طائر البان غريدا على قن • ما هاج نوحك لى يا طائر البان
هل أنت مبلغ من هام الفؤاديه • إن الطليق يودى حاجة الصائى
جناية ما جناها غير متلفنا • يوم الوداع وواشوقى إلى الجائى
لولا تذكر أيام بنى سلم • وعند رامة أو طارى وأوطانى
لما قدحت بنار الوجد فى كبدى • ولا بلغت بماء الدمع أجفائى

وقد نسب إلى الرضى قصيدة يثنى فيها أن يكون عند الحاكم العبيدى ، ويدكر فيها أباه وباليثه
كان عنده ، حين يرى حاله ومزلقته عنده ، وأن الخليفة لما بلغه ذلك أراد أن يسيره إليه ليقضى أمره
ويعلم الناس كيف حاله . قال فى هذه القصيدة :

أليس القتل فى بلاد الأحاد • ي وبمصر الخليفة الماوى
وأبوه أبى ومولاه مولا • ي إذا ضامنى البعيد القصى

إلى آخرها ، فلما سمع الخليفة القادر بأمر هذه القصيدة ارتزعج وبعث إلى أبيه الموصى يثابته ،
فأرسل إلى ابنه الرضى فأبكر أن يكون قالها بالمرّة ، والروافض من شأنهم التزوير . فقال له أبوه : فإذا
لم تكن قتلها قتل أبياتا تذكر فيها أن الحاكم بمصر دعى لانسب له ، قال : إني أخاف غائلة ذلك ،
وأصر على أن لا يقول ما أمره به أبوه ، وترددت الرسائل من الخليفة إليهم فى ذلك ، وهم ينكرون
ذلك حتى بعث الشيخ أباه حامدا للأسفرايينى والقاضى أباه بكر إليهما ، فحلف لهما بالإيمان المؤكدة أنه
ما قالها والله أعلم بحقيقة الحال . توفى فى خامس المحرم منها عن سبع وأربعين سنة ، وحضر جنازته
الوزير والقضاة ، وصلى عليه الوزير ودفن بداره بمسجد الأنبارى ، وولى أخوه المرتضى ما كان
عليه ، وزيد على ذلك أشياء ومناصب أخرى ، وقد روى الرضى أخاه بمروءة حسنة .

(ياديس بن منصور الحميرى)

أبو المزمز منافذ بن ياديس^(١) كاتب الحاكم على بلاد إفريقية وابن ثاقبها ، لقبه الحاكم بنصير
الدولة ، كان ذا همّة وسطوة وحرمة وافرة ، كان إذا هزر محاسره ، توفى فجأة ليلة الأربعاء سلخ
ذى القعدة منها ، ويقال إن بعض الصالحين دعى عليه تلك الليلة ، وعلم فى الأمر بعده وله المزمز
منافذ .

(ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة)

فى ربيع الأول منها ، احترق مشهد الحسين بن على [بكر بلاد] وأروقته ، وكان سبب ذلك

(١) فى النجوم الزاهرة : المزمز بن ياديس بن منصور بن بلكين الحميرى .

أن القومة اشعلوا شحمتين كبيرتين فالتا في الليل على التنازير، وضفت النار منه إلى غيره حتى كان ما كان. وفي هذا الشهر أيضاً احترقت دار القطن ببغداد وأما كنيسة بابل البصرة، واحترق جامع سامرا. وفيها وزد الخبز بشميت الركن الثاني من المسجد الحرام، وسقوط جدار بين يدي قبر الرسول ﷺ بالمدينة، وأنه سقطت القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس، وهذا من أقرب الانتفاعات وأعجبها. وفي هذه السنة قتلت الشيعة الذين ببلاد إفريقية ونهبت أموالهم، ولم يترك منهم إلا من لا يعرف. وفيها كان ابتداء دولة العلويين ببلاد الأندلس، ولها على بن حود بن أبي العيس العلوي، فدخل قرطبة في الحرم منها، وقتل سليمان بن الحكم الأموي، وقتل أباه أيضاً، وكان شيخاً صالحاً، وبايمه الناس وتلقب بالموكل على الله، ثم قتل في الحمام في ثامن ذي القعدة منها عن ثمان وأربعين سنة، وقام بالأمر من بعده أخوه القاسم بن حود، وتلقب بالأمون، فأقام في الملك ست سنين، ثم قام ابن أخيه يحيى بن إدريس، ثم ملك الأمويون حتى ملك أمر المسلمين على بن يوسف ابن تاشفين. وفيها ملك محمود بن سبكتكين بلاد خوارزم بعد ملكها خوارزم شاه مأمون بن مأمون وفيها استوزر سلطان الدولة أبا الحسن على بن الفضل الراهبرمزي، عوضاً عن نضر الملك، وخلع عليه. ولم ينجح أحد في هذه السنة من بلاد المغرب لفساد البلاد والظرفات.

وفيها توفي من الأعيان ﴿ أحمد بن يوسف بن دوست ﴾

أبو عبد الله البزار، أحد حفاظ الحديث، وأحد الفقهاء على مذهب مالك، كان يذكّر بحضرة الفاروق بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيقول إن الفاروق بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد تكلم في غيره بما لا يقفح فيه كبير شيء. قال الأزهري: رأيت كتبه طرية، وكان يذكر أن أصوله المتفق فرقت، وقد أملى الحديث من حفظه، والمخلص وابن شاهين حيان موجودان. توفي في رمضان من أربع وعشرين سنة.

﴿ الوزير نضر الملك ﴾

محمد بن علي بن خلف أبو غالب الوزير، كان من أهل واسط، وكان أبوه صيرفياً، فتنقلت به الأحوال إلى أن وزر لبهاء الدولة، وقد أقتنى أموالاً جزيلة، وبنى داراً عظيمة، تعرف بالفخرية، وكانت أولاً للخليفة المتقي لله، فأعقق عليها أموالاً كثيرة، وكان كريماً جواداً، كثير الصدقة، كسى في يوم واحد ألف فقير، وكان كثير الصلاة أيضاً، وهو أول من فرق الخلاوة ليسة النصف من شعبان، وكان فيه ميل إلى التشيع، وقد صدره سلطان الدولة بالأهواز، وأخذ منه شيئاً أزيد من ستمائة ألف دينار، خارجاً عن الاملاك والجواهر والمتاع، قتله سلطان الدولة، وكان عمره يوم قتل ثنتين وخمسين سنة وأشهرًا، وقيل إن سبب حلاكه أن رجلاً قتله بعض غلمانه، فاستمعت امرأة الرجل على الوزير هذا، ودفعت إليه قصصتها، وكل ذلك لا يلتفت إليها، فقالت له ذات يوم: أيها الوزير

أرأيت القصص التي رقصتها إليك ، فلم تلتفت إليها قد رفضتها إلى الله عز وجل ، وأنا أنتظر التوفيق عليها ، فلما مسك قال قد والله خرج توقيع المرأة ، فكان من أمره ما كان .
 ﴿ ثم دخلت سنة ثمان وأربع مائة ﴾

فيها وقعت فتنة عظيمة بين أهل السنة والروافض ببغداد ، قتل فيها خلق كثير من الفريقين . وفيها ملك أبو المظفر بن خاقان بلاد ما وراء النهر وغيرها ، وتلقب بشرف الدولة ، وذلك بعد وفاة أخيه طغان خان ، وقد كان طغان خان هذا ديناً فاضلاً ، يحب أهل العلم والدين ، وقد غزا الترك مرة قتل منهم مائتي ألف مقاتل ، وأسر منهم مائة ألف ، وغنم من أوائى الذهب والفضة ، وأوائى الصين شيئاً لا يهد لأحد مثله ، فلما مات ظهرت ملوك الترك على البلاد الشرقية . وفي جهادى الأولى منها ولى أبو الحسين أحمد بن مهنب الدولة على بن نصر بلاد البطائع بعد أبيه ، قتاله ابن عمه فغلبه وقتله ، ثم لم تطل مدته فيها حتى قتل ، ثم آلت تلك البلاد بعد ذلك إلى سلطان الدولة صاحب بغداد ، وطمع فيهم العامة ، قتلوا إلى واسط قتالهم مع الترك . وفيها ولى نور الدولة أبو الأغرديس ابن أبي الحسن على بن مزيد بعد وفاة أبيه . وفيها قدم سلطان الدولة إلى بغداد ، وضرب الطبل في أوقات الصلوات ، ولم يحرم بذلك عادة ، وعقد عهده على بنت قرواش على صدق خسين ألف دينار . ولم يبعج أحد من أهل العراق لفساد البلاد ، وغيث الأعراب وضعف الدولة . قال ابن الجوزى في المنتظم : أخبرنا سعد الله بن على البزار أن أبا بكر الطريشى أنبأ حبة الله بن الحسن الطبرى . قال : وفي سنة ثمان وأربع مائة استلب القائد بالله الخليفة قهه المعتزلة ، فأظهروا الرجوع وتبرؤا من الاعتزال والرفض والمقاتل الخالفة للإسلام ، وأخضت خطوطهم بذلك ، وأنهم مق خالفوا أهل فيهم من النكال والعقوبة ما ينشط به أمثالهم ، وامتنل محمود بن سبكتكين أمر أمير المؤمنين في ذلك واستن بسننه في أعماله التي استخلفه عليها من بلاد خراسان وغيرها ، في قتل المعتزلة والرافضة والاسماعيلية والقرامطة والجمية والمشية ، وصلبهم وحبسهم ونظام ، وأمر بلعنهم على المنابر ، وأبعد جميع طوائف أهل البدع ، ونظام عن ديارهم ، وصار ذلك سنة في الاسلام . وفيها توفى من الأعيان الخالجب الكبير . ﴿ شبائى أبو نصر ﴾

مولى شرف الدولة ، ولقبه بهاء الدولة بالسعيد ، وكان كثير الصدقة والاعفاف على وجوه القربا
 فمن ذلك أنه وقف دجها على المارستان وكانت تحمل شيئاً كثيراً من الزروع والثمار والخراج وبنى قنطرة الخندق والمارستان والناصرية وغير ذلك ، وللمامات دفن بقبرة الأمام أحد وأوصى أن لا يبنى عليه نغالقوه ، فمقدوا قبة عليه فسقطت بعد موته بنحو من سبعين سنة واجتمع نسوة عند قبره ينحنن يبيكن ، فلما رجس رأه عجوز منهن - كانت هى المقعدة فيهن - في المنام كان تركيا خرج إليهن من

قهره ومعه ديسو فعمل عليهن وزجرهن عن ذلك ، وإذا هو الحاجب السعيد ، فاتبته منصورة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعمائة ﴾

في يوم الخميس السابع عشر من المحرم قرى به دار الخلافة في الموكب كئيب في منعجب أهل السنة وفيه أن من قال القرآن مخلوق فهو كافر حلال الدم . وفي النصف من جادى الأولى منها قاض البحر المالح وتدفانى إلى الأبله ، ودخل البصرة بعد يومين . وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند وتواقع هو ومالك الهند فاقتل الناس قتلا عظيما ، ثم انجلت عن هزيمة عظيمة على الهند ، وأخذ المسلمون يقتلون فيهم كيف شاؤوا ، وأخذوا منهم أموالا عظيمة من الجواهر والذهب والفضة ، وأخذوا منهم مائتي فيل ، واقتصوا آثار المهزمين منهم ، وهدموا معامل كثيرة . ثم عاد إلى غزاة مؤيدا منصورا . ولم ينجح أحد من درب العراق فيها لفساد البلاد وعبث الأعراب .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ رجاء بن عيسى بن محمد ﴾

أبو العباس الأنصاري ، نسبة إلى قرية من قرى مصر يقال لما أنصنا ، قدم بغداد فحدث بها وجمع منه الحفاظ ، وكان ثقة قديما مالكيًا عدلا عند الحكام ، مرضيا . ثم عاد إلى بلده وتوفى فيها ، وقد جاوز الثمانين . ﴿ عبد الله بن محمد بن أبي علان ﴾

أبو أحمد قاضى الأهواز ، كان ذاملا ، وله مصنفات منها كتاب في معجزات النبي ﷺ ، جمع فيه ألف معجزة ، وكان من كبار شيوخ المعتزلة ، توفى فيها عن تسع وثمانين سنة .

﴿ علي بن نصر ﴾

ابن أبي الحسن ، مذهب الدولة ، صاحب بلاد البطيحة ، له مكارم كثيرة ، وكان الناس يلجئون إلى بلاده في الشدائد فيؤويهم ، ويحسن إليهم ، ومن أكبر مناقبه إحسانه إلى أمير المؤمنين القادر لما استجار به ونزل عنده بالبطائح فأرأى من الطائع ، فأواه وأحسن إليه ، وكان في خدمته حتى ولى إمرة المؤمنين ، وكان له بذلك عنده اليد البيضاء ، وقد ولى البطائح ثلاثين سنة وشهورا ، وتوفى فيها عن ثلاثين وسبعين سنة ، وكان سبب موته أنه اقتصد فافتقر زراعه فات .

﴿ عبد الله بن سعيد ﴾

ابن علي بن بشر بن مروان بن عبد العزيز ، أبو محمد الأزدي المصري ، الحافظ ، كان ظلما بالحديث وفنونه ، وله فيه المصنفات الكثيرة الشهيرة . قال أبو عبد الله الصوري الحافظ : ما رأيت عيناى مثله في معناه ، وقال الفارصلي : ما رأيت بمصر مثل شاب يقال له عبد الله ، كأنه شملة نار ، وجعل يضيء أمره ويرفع ذكره . وقد صنف الحافظ عبد الله هذا كتابا في أوهام الحاكم ، فلما وقف الحاكم عليه جعل يقرؤه على الناس ويمتدح لبدن الله بالفضل ، ويشكره ويرجع فيه إلى ما أصاب

فيه من الرد عليه ، رحمه الله ، ولد عبد النقي لثنتين بقيتا من ذى القعدة سنة ثنتين وثلاثمائة وتوفي في صفر من هذه السنة رحمه الله .

(محمد بن أمير المؤمنين)

ويكنى بابي الفضل ، كان قد جله ولي عهده من بعده ، وضربت السكة باسمه وخطب له الخطباء على المنابر ، ولقب بالغالب بالله ، فلم يقدر ذلك . توفي فيها عن سبع وعشرين سنة .

(محمد بن إبراهيم بن محمد بن يزيد)

أبو الفتح البزار الطرسوسى ، ويعرف بابن البصرى ، سمع الكثير من المشايخ ، وسمع منه الصورى بيت المقدس ، حين أقام بها ، وكان ثقة مأموناً .

(ثم دخلت سنة عشر وأربعمائة)

فيها ورد كتاب بين الدولة محمود بن سبكتكين ، يذكر فيه ما اقتتعه من بلاد الهند في السنة الخالية ، وفيه أنه دخل مدينة فيها ألف قصر مشيد ، وألف بيت للأصنام . وفيها من الأصنام شيء كثير ، ومبلغ ما على الصنم من الذهب ما يقارب مائة ألف دينار ، ومبلغ الأصنام الفضة زيادة على ألف صنم ، وعندهم صنم معظم ، يؤرخون له وبه يجباهلهم ثلثمائة ألف طم ، وقد سلبنا ذلك كله وغيره مما لا يحصى ولا يعد ، وقد غنم المجاهدون في هذه الفزوة شيئاً كثيراً ، وقد عموا المدينة بالاحراق ، فلم يتركوا منها إلا الرسوم ، وبلغ عدد القتلى من الهندو خمسين ألفاً ، وأسلم منهم نحو من عشرين ألفاً ، وأفرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثاً وخمسين ألفاً ، واعترض من الأفيال ثلثمائة وست وخمسين فيلاً ، وحصل من الأموال عشرون ألف ألف درهم ، ومن الذهب شيء كثير . وفي ربيع الآخر منها قرى عهد أبى الفوارس ولقب قوام الدولة ، وخلع عليه خلماً حملت إليه بولاية كرمان ، ولم يهج في هذه السنة أحد من العراق .

ومن توفي فيها من الأعيان الأصغر الذى كان يخضر الحجاج .

(أحمد بن موسى بن مردويه)

ابن فورك ، أبو بكر الحافظ الأصهبائى ، توفي في رمضان منها .

(هبة الله بن سلامة)

أبو القاسم الضرير المقرئ المفسر ، كان من أعلم الناس وأحفظهم للتفسير ، وكانت له حلقة في جامع المنصور ، روى ابن الجوزى بسنده إليه قال : كان لنا شيخ قرأ عليه فات بعض أصحابه قرأه في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : ضرتلى . قال : فما كان حاله مع منكرو وتكبير ؟ قال : لنا أجلسنا وسألنا لى ألهمنى الله أن قلت : بحق أبى بكر وعمر دعائى ، فقال أحدهما للآخر : قد أقسم بمظلمين فدعه ، تركائى وذعبا .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى عشرة وأربع مائة ﴾

فيها عم الحاكم بمصر ، وذلك أنه لما كان ليلة الثلاثاء ليلتين بقيتا من شوال قد الحاكم بن المرن
الفاطمي صاحب مصر ، فاستبشر المؤمنون والمسلمون بذلك ، وذلك لأنه كان جبارا عنيدا ، وشیطانا
مريدا . ولندكر شيئا من صفاته القبيحة ، وسيرته المملوءة ، أخزاه الله .

كان كثير التلون في أقواله وأحكامه وأقواله ، جاثرا ، وقد كان يروم أن يسمى الإلهية كما ادعاه
فرعون ، فكان قد أمر الرعية إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمه أن يقوم الناس على أقدامهم صفوا ،
إعظاما لذكوره واحتراما لاسمه ، فلذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين ، وكان قد أمر
أهل مصر على الخصوص إذا قاموا عند ذكره خروا سجدا له ، حتى إنه ليسجد بسجودهم من في
الأسواق من الرعاع وغيرهم ، ممن كان لا يصلح الجملة ، وكانوا يتركون السجود لله في يوم الجمعة وغيره
ويسجدون للحاكم ، وأمر في وقت لأهل الكتائب بالخروج في دين الإسلام كرها ، ثم أذن لهم في
العود إلى دينهم ، وخرّب كنائسهم ثم عمرها ، وخرّب الكتلة ثم أعادها ، وابقى المدارس . وجعل فيها
الفتهاء والمشايخ ، ثم قتلهم وأخرجها ، وأزعم الناس ينلق الأسواق نهارا ، وقتلها ليلا ، فامتثلوا ذلك
دعرا طويلا ، حتى اجتاز مرة برجل يعمل التجارة في أثناء النهار . فوقف عليه فقال : ألم أنكم ؟ فقال :
يا سيدي لما كان الناس يمشون بالنهار كانوا يسرون . بالليل ، ولما كانوا يمشون بالليل سهروا بالنهار
فهذا من جملة السهر ، فقبضهم وتركهم . وأعاد الناس إلى أمرهم الأول ، وكل هذا تغيير لرسوم ، واختبار
لطاعة العامة له ، لير في ذلك إلى ما هو أشد وأعظم منه . وقد كان يعمل الحسبة بنفسه فكان يدور
بنفسه في الأسواق على حمار له . وكان لا يركب إلا حمارا . فن وجدته قد غش في معيشة أمر عبدا أسود
معه يقال له مسعود ، أن يعمل به الفاحشة العظمى ، وهذا أمر مشكر ملعون ، لم يسبق إليه ، وكان قد منع
النساء من الخروج من منازلهن وقطع شجر الأعتاب حتى لا يتخذ الناس منها خرا ، ومنعهم من طبخ
اللوخية ، وأشياء من الرهونات التي من أحسنها منع النساء من الخروج ، وكراهة الخمر ، وكانت العامة
تبغضه كثيرا ، ويكتبون له الأوراق بالشتم البالغة له ولأسلافه ، في صورة قصص ، فإذا قرأها ازداد
غيظا وحقنا عليهم ، حتى إن أهل مصر حملوا صورة امرأة من ورق بفضيها وإزارها . وفي يدها قصة من
الشم والهن والمخالفة شيء كثير ، فلما رأها غلبها امرأة ، فذهب من ناحيتها وأخذ القصة من يدها فقرأها
فراى ما فيها ، فأغضبته ذلك جدا ، فأمر بقتل المرأة ، فلما تحققها من ورق ازداد غيظا إلى غيظه ،
ثم لما وصل إلى القاهرة أمر السودان أن ينهبوا إلى مصر فيحرقوها وينهبوا ما فيها من الأموال والمتاع
والحریم ، فذهبوا فامتنلوا ما أمرهم به ، هاتلهم أهل مصر قتلا شديدا ، ثلاثة أيام ، والتار فعل في
الدور والحریم ، وهو في كل يوم قبضه الله ، يخرج فيقف من بسيد وينظر ويبيك ويقول : من أمر

هؤلاء العبيد بهذا ثم اجتمع الناس في الجوامع ورفعوا المصاحف وصاروا إلى الله عز وجل ، واستفتاوا به ، فرق لهم الترك والمشاركة وانحازوا إليهم ، وقتلوا معهم عن حريمهم ودورهم ، وتناقم الحال جدا ، ثم ركب الحاكم لعمه الله ففصل بين الفريقين ، وكف العبيد عنهم ، وكان يظهر التنصل مما قله العبيد وأنهم ارتكبوا ذلك من غير علمه ، وإذنه ، وكان ينفذ إليهم السلاح ويمنحهم على ذلك في الباطن ، وما أنجلي الأمر حتى استرق من مصر نحو ثلثها ، ونهب قريب من نصفها ، وسبيت نساء وبنات كثيرة وفصل معهن الفواحش والمنكرات ، حتى أن منهن من قتلت نفسها خوفا من العار والفضيحة ، واشترى الرجال منهم من سعى لهم من النساء والحريم . قال ابن الجوزي : ثم ازداد ظلم الحاكم حتى عن له أن يدعى الربوبية ، فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون : يا واحد يا أحد يا يحيى يا يحيى قبضهم الله جميعا .

﴿ صفة مقتله لعمه الله ﴾

كان قد تعدى شره إلى الناس كلهم حتى إلى أخته ، وكان يتهمها بالفاحشة ، ويسمها أغلظ الكلام ، فتبرمت منه ، وعملت على قتله ، فراسلت أكبر الأمراء ، أميراً يقال له ابن دواس ، فتوافقت هي وهو على قتله ودماره ، وتواطأ على ذلك ، فجهز من غنمه عبيدين ، أسودين شهبين ، وقال لهما : إذا كانت القيلة الغلانية فكونا في جبل المقطم ، ففي تلك القيلة يكون الحاكم هناك في الليل لينظر في النجوم ، وليس معه أحد إلا ركباني وصبي ، فاقفلا واقتلها معه ، وافقوا الحال على ذلك . فلما كانت تلك القيلة قال الحاكم لأمه : على في غنمه القيلة قطع عظيم ، فإن فجوت منه عرت نحواً من ثمانين سنة ، ومع هذا فأتاني حواصلي إليك ، فإن أخوف ما أخاف عليك من أخق ، وأخوف ما أخاف على نفسي منها ، فنقل حواصله إلى أمه ، وكان له في صناديق قريب من ثلثة ألف دينار ، وجواهر أخرى ، فقالت له أمه : يا مولانا إذا كان الأمر كما تقول فارحني ولا تركب في ليلتك هذه إلى موضع وكان يحبها . قال : أفعل ، وكان من عادته أن يدور حول القصر كل ليلة ، فدارم عاد إلى القصر ، فنام إلى قريب من ثلث الليل الأخير ، فاستيقظ وقال : إن لم أركب القيلة فاضت نفسي ، فنار فركب فرس صاحبه صبي وركباني ، وصعد الجبل المقطم فاستقبله ذاك العبدان فأنزلاه من مركوبه ، وقطعا يديه ورجليه ، وبقر بطنه ، فأتيا به مولاهما ابن دواس ، فحمله إلى أخته فدفنته في مجلس دارها ، واستندعت الأمراء والأكابر والوزراء وقد أطمعته على الجلية ، فبايعوا لوفد الحاكم أبي الحسن على ، ولقب بالظاهر لأعزازهم الله ، وكان يمشق ، فاستدعت به وجعلت تقول للناس : إن إلحاًكم قالي : إنه ينبغي عنكم سبعة أيام ثم يعود ، فطمأن الناس ، وجعلت ترسل ركابين إلى الجبل فيصعدونه ، ثم يرجعون فيقولون تركناه في الموضع الغلاني ، ويقول الذين يمدم لأمه : تركناه في موضع كذا وكذا . حتى أطمأن الناس وقدم ابن أخيها واستصحب معه من دمشق ألف ألف دينار ، وألني ألف درهم ، فحين وصل ألبسته

تاج جد أبيه المزم ، وحلة عظيمة ، وأجلسته على السرير ، وبأية الأشراف والرؤساء ، وأطلق لهم الأموال ، وخاضت على ابن دواس خلة سلية هائلة ، وعملت عزاء أخيه الحاكم ثلاثة أيام ، ثم أرسلت إلى ابن دواس طائفة من الجند ليكونوا بين يديه بسيوفهم وقروا في خدمته ، ثم يقولوا له في بعض الأيام : أنت قاتل مولانا ، ثم يبرونه بسيوفهم ، فقتلوا ذلك ، وقتلت كل من اطاع على سرها في قتل أخيه ، فظلمت هيبتها وقويت حرمتها ونبتت دولتها . وقد كان عمر الحاكم يوم قتل سبعاً وثلاثين سنة ، ومدة ملكه من ذلك خمساً وعشرين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة اثنى عشرة وأربعمائة ﴾

فيها تولى القاضي أبو جعفر أحمد بن محمد السمناقي الحسبة والمواشي ببغداد ، وخلع عليه السواد وفيها قالت جماعة من العلماء والمسلمين لذلك الكبير عيب الهولة ، محمود بن سبكتكين : أنت أكبر ملوك الأرض ، وفي كل سنة تفتح طائفة من بلاد الكفر ، وهذه طريق الحج ، قد تعطلت من مدة ستين وفتحك لها أوجب من غيرها . فتقدم إلى قاضي القضاة أبي محمد الناصحي أن يكون أمير الحج في هذه السنة ، ويشت معه بثلاثين ألف دينار للأعراب ، غير ما جيز من الصدقات ، فصار الناس بصحبته ، فلما كانوا ينفذ اعترضهم الأعراب فصلبهم القاضي أبو محمد الناصحي بمسدة آلاف دينار ، فامتنعوا وصمم كبيرهم - وهو جاز بن هادي - على أخذ الحجيج ، وركب فرسه وجل جولة واستنهض شياطين العرب ، فتقدم إليه غلام من عمرقند [يقال له ابن عفان] فرماه بسهم فوصل إلى قلبه فسقط ميتاً ، وانهرزت الأعراب ، وسلك الناس الطريق فحبسوا ورجعوا سالمين والله الحمد والمنة .

﴿ أبو سعد الماليني ﴾

أحمد بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن حفص ، أبو سعد الماليني ، ومالين قرية من قرى هراة ، كان من الحفاظ المكثرين الرأخين في طلب الحديث إلى الآفاق ، وكتب كثيراً ، وكان ثقة صدوقاً صالحاً ، مات بمصر في شوال منها .

﴿ الحسن بن الحسين ﴾

ابن محمد بن الحسين بن رامين القاضي ، أبو محمد الاسترأباني ، نزل بغداد وحدث بها عن الإمام علي وغيره ، كان شافعيًا كبيراً ، فاضلاً صالحاً .

﴿ الحسن بن منصور بن غالب ﴾

الوزير الملقب ذا المادتين ، ولد بسيراف سنة ثلاث وخسين وثلاثمائة ، ثم صار وزيراً ببغداد ثم قتل وصودر أبوه على ثمانين ألف دينار .

﴿الحسين بن عمرو﴾

أبو عبد الله الفزال ، سمع النجاد والخلدي وابن السماك وغيرهم . قال الخطيب : كتبت عنه وكان ثقة صالحا كثير البكاء عند الذكر .

﴿محمد بن عمر﴾

أبو بكر المنبري الشاعر ، كان أدبيا ظريفا ، حسن الشعر ، فن ذلك قوله :
إني نظرت إلى الزما * ن وأهل نظراً كفاي
فرقتهم وعرفتهم * وعرفت عزى من هوائ
فذلك أطرح الصد * بى فلا أراه ولا برائ
وزهدت فيها في يدي * ودونه نيل الأمان
فتمسجوا لمغالب * وهب الإقامى للأداني
وانسل من بين الرجا * م فإله في الغلب ثاني

قال ابن الجوزي : وكان متصوفا ثم خرج عنهم وضمهم بقصائد ذكرتها في تلييس إبليس توفي يوم الخميس ثاني شهر جمادى الأولى منها .

﴿محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد﴾

ابن روقي بن عبد الله بن يزيد بن خالد ، أبو الحسن البزار ، المعروف بابن رزقويه . قال الخطيب : هو أول شيخ كتبت عنه في سنة ثلاث وأربعمائة ، وكان يذكر أنه درس القرآن ودرس الفقه على منذهب الشافعي ، وكان ثقة صدوقا كثير السماع والكتابة ، حسن الاعتقاد ، جميل المنهج ، مديما لتلاوة القرآن ، شديدا على أهل البيع ، وأكب دهرآ على الحديث ، وكان يقول : لا أحب الدنيا إلا لذكر الله وتلاوة القرآن ، وقراءتي عليكم الحديث ، وقد يئس بعض الأشراف إلى العلماء بذهب فقبلوا كلهم غيره ، فإنه لم يقبل شيئا ، وكانت وفاته يوم الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى منها ، عن سبع وعشرين سنة ، ودفن بالقرب من مقبرة معروف الكرخي .

﴿أبو عبد الرحمن السلي﴾

محمد بن الحسين بن محمد بن موسى ، أبو عبد الرحمن السلي النيسابوري ، روى عن الأعم وغيره ، وعنه مشايخ البغداديين ، كالأزهري والمشاري وغيرهما ، وروى عنه البيهقي وغيره . قال ابن الجوزي : كانت له عناية بأخبار الصوفية ، فصنف لم تفسيرا هل طريقتهم ، وسفنا وتاريخا ، وجمع شيئا وتراجم وأبوأياه ، له نيسابور دار معروفة ، وفيها صوفية وبها قبره ، ثم ذكر كلام الناس في تضعيفه في الرواية ، لحكي عن الخطيب عن محمد بن يوسف القطان أنه قال : لم يكن ثقة ، ولم يكن صحيح

من الأصم شيئاً كثيراً ، فلما مات الحاكم روى عنه أشياء كثيرة جداً ، وكان يضع للصوفية الأحاديث . قال ابن الجوزي : وكانت وفاته في ثالث شعبان منها .

﴿ أبو علي الحسن بن علي الفائق النيسابوري ﴾

كان يظن الناس ويتكلم على الأحوال والمعرفة ، فن كلامه : من تواضع لأحد لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه ، لأنه خضع له بلسانه وأركانه ، فان اعتقد تقطيعه بقلبه أو خضع له به ذهب دينه كله . وقال في قوله تعالى (اذ كرمي اذ كرم) اذ كرمي وأنتم أحياء اذ كرم وأنتم أموات تحت التراب ، وقد نقل عنكم الأقارب والأحباب والأحباب . وقال : البلاء الأكبر أن تريدوا لآلئكم ، وقد تروى إلى العار والابناء ، وأشد عند قوله تعالى (فتولى عنهم وقال يا أسنى على يوسف)

جننا بليلي وهي جنت بنيرنا * وأخرى بنا جنة لا نريدها

وقال في قوله ﷺ « حنت الجنة بالمكاره » : إذا كان هذا المخلوق لا وصول إليه إلا بتحمل المشاق فالظن بمن لم يزل ؟ وقال في قوله عليه السلام « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها » . يا محبها لمن لم ير محسناً غير الله كيف لا يميل بكائنه إليه ؟ قلت : كلامه على هذا الحديث جيد والحديث لا يصح بالكلية (صريح الدلال الشاعر)

أبو الحسن علي بن عبيد الواحد ، العقيي البغدادي ، الشاعر الملحن ، المعروف بصريح الدلال ، قتيل النواحي ذي الرقعتين ، له قصيدة مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد يقول فيها :

وألف حمل من متاع تستر * أفنع للسكين من لقط النوى

من طبع الديك ولا ينبحه * طار من القدر إلى حيث انتهى

من دخلت في عينه مسلة * فله من ساعته كيف المعى

والقن شعر في الوجوه طالع * كذلك المقصة من خلف التقى

إلى أن ختمها بالبيت الذي حسد عليه وهو قوله :

من فاته العلم وأخطاه التقى * فذاك والكلب على خد سوى

قدم مصر في سنة ثنتي عشرة وأربعمائة وامتدح فيها خليفتها الظاهر لامرأاز دين الله بن الحاكم واتفقت وفاته بها في رجبها .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ﴾

فيها جرت كائنة غريبة عظيمة ، ومصيبة طمة ، وهي أن رجلاً من المصريين من أصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على أمر سواه ، وذلك أنه لما كان يوم النفر الأول طاف هذا الرجل بالبيت ، فلما انتهى إلى الحجر الأسود جاء ليقبله فضربه بدبوس كان معه ثلاث ضربات

متواليات ، وقال : إلى متى نعبد هذا الحجر ؟ ولا عهد ولا على يمنعني مما أضله ، فأتى أحدهم اليوم هذا البيت ، وجعل يرتد ، فأتاه أكثر الحاضرين وتأخروا عنه ، وذلك لأنه كان رجلا طوالا جسيما أحمر اللون أشقر الشعر ، وعلى باب الجامع جماعة من الفرسان ، وقوف لينتموه ممن يريد منعه من هذا الفعل ، وأراحه بسوء ، فقدم إليه رجل من أهل اليمن معه خنجر فوجأه بها ، وتكاثر الناس عليه فقتلوه وقطعوه قطعا ، وحرقوه بالنار ، وتبعوا أصحابه قتلوا منهم جماعة ، ونهبت أهل مكة الركب المصري ، وتعدى التهاب إلى غيرهم ، وجرت خبطة عظيمة ، وفنتة كبيرة جدا ، ثم سكن الحال بعد أن تتبع أولئك النفر الذين تماثلوا على الإلحاد في أشرف البلاد غير أنه قد سقط من الحجر ثلاث فاق مثل الأغفار ، وبدا ما تحتها أحمر يضرب إلى صفرة ، محببا مثل الخشخاش ، فأخذ بنو شيبه تلك النفاق فجنوها بلسك واذك وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت ، فاستمسك الحجر واستمر على ما هو عليه الآن ، وهو ظاهر لمن تأمله . وفيها فتح المارستان الذي بناه الوزير مؤيد الملك ، أبو علي الحسن ، وزير شرف الملك بواسط ، ورتب له الخزان والأشربة والأدوية والمقابر ، وغير ذلك مما يحتاج إليه .

وفيه توفى من الأعيان ﴿ ابن البواب الكاتب ﴾

صاحب الخط المنسوب ، علي بن هلال أبو الحسن ابن البواب ، صاحب أبي الحسين بن ميمون الواضع ، وقد أتى على ابن البواب غير واحد في دينه وأمانته ، وأما خطه وطريقته فيه فأشهر من أن نليه عليها ، وخطه أوضح تمريرا من خط أبي علي بن مقلة ، ولم يكن بعد ابن مقلة أكتب منه ، وعلى طريقته الناس اليوم في سائر الأقاليم إلا القليل . قال ابن الجوزي : توفى يوم السبت ثاني جمادى الآخرة منها ، ودفن بمقبرة باب حرب ، وقد رثاه بعضهم بأبيات منها قوله :

فقلوب التي أبهجها حرق • ولعيون التي أقرتها سر

فما لميش وقد ودعته أرج • وما لليل وقد طارقه سحر

قال ابن خلكان : ويقال له السري ، لأن أباه كان ملازما لستر الباب ، ويقال له ابن البواب وكان قد أخذ الخط عن عبد الله بن محمد بن أسد بن علي بن سعيد البزار ، وقد جمع أسد هذا على النجاد وغيره ، وتوفى سنة حشر وأربعمائة ، وأما ابن البواب فانه توفى في جمادى الأولى من هذه السنة ، وقبل في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، وقد رثاه بعضهم فقال :

استشعرت الكتاب قدك سالفا • وقضت بصحة ذلك الأيام

فذلك سؤدت الدوى كآبة • أسفعا عليك وشقت الاقلام

ثم ذكر ابن خلكان أول من كتب بالريسة ، قبيل إسماعيل عليه السلام ، وقيل أول من

كتب بالمرية من قريش حرب بن أمية بن عبد شمس ، أخنها من بلاد الحيرة عن رجل يقال له أسلم بن سدره ، وسأله عن اقتيسها ؟ فقال : من واضعها رجل يقال له مرار بن مرو ، وهو رجل من أهل الأنبار . فاصل الكتابة في العرب من الأنبار . وقال الميمم بن عدي : وقد كان لخير كتابه يسمنها المسند ، وهي حروف متصلة غير منفصلة ، وكانوا يمتعون العلماء من كتبها بجميع كتابات الناس تنتهي إلى اثني عشر صنفاً وهي العربية والحيرية ، واليونانية ، والفارسية ، والرومانية ، والبرانية ، والرومية ، والقبطية ، والبربرية ، والهندية والاندلسية ، والصينية . وقد اندرس كثير منها قتل من يعرف شيئاً منها .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ علي بن عيسى ﴾

ابن سليمان بن محمد بن أبان ، أبو الحسن الفارسي المعروف بالسكري الشاعر ، وكان يحفظ القرآن ويعرف القراءات ، وصحب أبا بكر الباقلائي ، وأكثر شعره في مدح الصحابة وذم الرافضة . وكانت وفاته في شوال من هذه السنة ودفن بالقرب من قبر معروف ، وقد كان أوصى أن يكتب على قبره هذه الآيات التي عملها وهي قوله :

فس ، يا نفس كم تمادين في تلقى • وتمشين في الفعال المصيب
راقبي الله واحذري موقف المر • ض وخافي يوم الحساب العصيب
لا تفرئك السلامة في المي • ش فان السلم رهن المطلب
كل حي فظنون ولا يد • فع كأس التون كيد الأديب
واعلمي أن للفنية وقتا • سوف يأتي مجلان غير هبوب
إن حب الصديق في موقف ال • حشر أمان للخائف المطلب

﴿ محمد بن أحمد بن محمد بن منصور ﴾

أبو جعفر البيع ، ويعرف بالعتيق ، ولد سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ، وأقام بطرسوس مدة ، وسمع بها وبغيرها ، وحدث بشي يسير .

﴿ ابن النعمان ﴾

شيخ الامامية الرافض ، والمصنف لهم ، والحاجي عن حوزتهم ، كانت له وجاعة عند ملوك الأطراف ، لميل كثير من أهل ذلك الزمان إلى التشيع ، وكان جلسته يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف ، وكان من جملة تلاميذه الشريف الرضي المرتضى ، وقد رآه بقصيدة بعد وفاته في هذه السنة ، منها قوله :

من لمضل أخرجت منه حساما • وسمان فضضت عنها ختاماً ؟
من يثير القول من بعد ما • كن همودا ويفتح الانهاما ؟

من يميز الصديق رأيا * إذا ماسل في الخلوب حساما ؟

﴿ ثم دخلت سنة أربع عشرة وأربع مائة ﴾

فيها قدم الملك شرف الدولة إلى بغداد فخرج الخليفة في الطيارة لتلقيه ، وصحبته الأمراء والقضاة والفقهاء والوزراء والرؤساء ، فلما واجهه شرف الدولة قبل الأرض بين يديه مرات والجيش واقف برمته ، والعادة في الجانبين . وفيها ورد كتاب من بين الدولة محمود بن سبكتكين إلى الخليفة يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضاً ، وأنه فتح بلادا ، وقتل خلقا منهم ، وأنه صالحه بعض ملوكهم وحمل إليه هدايا سنية ، منها فيول كثيرة ، ومنها طائر على هيئة القمرى ، إذا وضع عند الخوان وفيه سم دعت عيناه جري منها ماء ، ومنها حجر يحك ويؤخذ منه ما تحصل منه فيعطى بها الجراحات ذات الأنفواء الواسنة فيأحمرها ، وغير ذلك . وسج الناس من أهل العراق ولكن رجوا على طريق الشام لاحتياجهم إلى ذلك .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ الحسن بن الفضل بن سهلان ﴾

أبو محمد الزاهر مرزى ، وزير سلطان الدولة ، وهو أقرى بنى سور الحائر عند مشهد الحسين ، قتل في شعبان منها . ﴿ الحسن بن محمد بن عبد الله ﴾

أبو عبد الله الكشغلى الطبرى ، الفقيه الشافعى ، تفقه على أبى القاسم الداركي ، وكان فهما فاضلا صالحا زاهدا ، وهو الذى درس بعد الشيخ أبى حامد الاسفرائينى فى مسجده ، مسجد عبد الله بن المبارك . فى قطيعة الربيع ، وكان الطلبة عنده مكرمين ، اشتكى بعضهم إليه حاجة وأنه قد تأخرت عنه نفقته التى ترد إليه من أبيه ، فأخذ يده وذهب إلى بعض التجار فاستقرضه منه خمسين دينارا . قال التاجر : حتى تأكل شيئا ، فد السباط فأكلوا وقال : يا جارية هاتى المال ، فأحضرت شيئا من المال فوزن منها خمسين دينارا ودفعها إلى الشيخ ، فلما ظم إذا بوجه ذلك الطالب قد تغير ، فقال له الكشغلى : مالك ؟ فقال : يا سيدى قد سكن قلبى حب هذه الجارية ، فرجع به إلى التاجر ، فقال له : قد وقفتا فى فتنه أخرى ، فقال : وما هى ؟ فقال : إن هذا الفقيه قد هوى الجارية فأمر التاجر الجارية أن تخرج فقلبها الفقيه ، وقال ربما أن يكون قد وقع فى قلبها منه مثل الذى قد وقع فى قلبه منها ، فلما كان من قريب قدم على ذلك الطالب ففقه من أبيه ستمائة دينار ، فوفى ذلك التاجر ما كان له عليه من ثمن الجارية . والقرض ، وذلك بسفارة الشيخ . توفى فى ربيع الآخر منها وذفن بباب حرب .

﴿ على بن عبد الله بن جهم ﴾

أبو الحسن الجهمى الصوفى المبكى ، صاحب بهجة الأسرار ، كان شيخ الصوفية بمكة ، وبها توفى قال ابن الجوزى : وقد ذكر أنه كان كذابا ، ويقال إنه الذى وضع حديث صلاة الرغائب .

﴿ القاسم بن جعفر بن عبد الواحد ﴾

أبو عمر الهاشمي البصري ، فاضلها ، جمع الكثير ، وكان ثقة أميناً ، وهو راوي سنن أبي داود عن أبي علي الفولقي ، توفي فيها وقد جاوز التسعين .

﴿ محمد بن أحمد بن الحسن بن يحيى بن عبد الجبار ﴾

أبو الفرج الفاضل الشافعي ، يعرف بأبى حميدة ، روى عن النجاد وغيره ، وكان ثقة ، توفي في ربيع الأول منها ودفن بباب حرب .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

أبو جعفر البصري ، عالم الحنفية في زمانه ، وله طريقة في الخلاف ، وكان قديراً منزهداً ، بات ليلة قلقاً لما عنده من الثمر والجاجة ، ففرض له فكر في فرع من الفروع كان أشكل عليه ، فافتتح له قمام برقص ويقول : أين المالك ؟ فسألته امرأته عن خبره فأعلمها بما حصل له ، فتعجبت من شأه رحمه الله ، وكانت وفاته في شعبان منها .

﴿ حلال بن محمد ﴾

ابن جعفر بن سعدان ، أبو الفتح الحفار ، جمع إسماعيل الصفار والنجاد وأبى الصواف ، وكان ثقة توفي في صفر منها عن اثننتين وتسعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس عشرة وأربعمائة ﴾

فيها أئتم الوزير جماعة الأتراك والمولدين والشريف المرتضى ونظام الحضرة أيأ الحسن الزيلعي وقاضي القضاة أيأ الحسن بن أبي الشوارب ، والشهود ، بالمحضور لتجديد البيعة لشرف الدولة ، فطالب كل الخليفة توم أن تكون هذه البيعة لنية فاسدة من أجله ، فبعث إلى القاضي والرؤساء ينههم عن الحضور ، فاختلفت الكلمة بين الخليفة وشرف الدولة ، واضطلعوا وتصافوا ، وجددت البيعة لكل منهما من الآخر . ولم يصح فيها من ركب العراق ولا خراسان أحد ، وأتفق أن بعض الأمراء من جهة محمود بن سبكتكين شهد الموضع في هذه السنة ، فبعث إليه صاحب مصر بخلع عظيمة ليحملها للملك محمود ، فلما رجع بها إلى الملك أرسل بها إلى بغداد إلى الخليفة القادر غفرت بالنار .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن ﴾

أبو الفرج الممدل المعروف بأبى المسلمة ، ولد سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وجمع أباه وأحمد بن كامل والنجاد والجهمي ودعبلج وغيرهم ، وكان ثقة . سكن الجانب الشرقي من بغداد ، وكان يعل في أول كل سنة مجلساً في المحرم ، وكان عقلاً فاضلاً ، كثير المعروف ، داره مآلف لأهل العلم ، وحقه بأبى بكر الرازي ، وكان يصوم الدهر ، ويقرأ في كل يوم سبعاً ، ويمسح بيمنه في التهجد ، توفي في ذي القعدة منها

﴿ أحمد بن محمد بن أحمد ﴾

ابن القاسم بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان الضبي ، أبو الحسن المحاملي ، نسبة إلى المحامل التي يحمل عليها الناس في السفر ، تفقه على أبي حامد الاسفراييني ، وبرع فيه ، حتى إن الشيخ كان يقول : هو أحفظ للغة مني ، وله المصنفات المشهورة ، منها الألباب ، والأوسط والمنقح وله في الخلاف ، وعاقى على أبي حامد تعليقة كبيرة . قال ابن خلكان : ولد سنة ثمان وستين ومثلثة ، وتوفي في يوم الأربعاء للسمع يقين من ربيع الآخر منها ، وهو شاب .

﴿ عبيد الله بن عبد الله ﴾

ابن الحسين أبو القاسم الخفاف ، المعروف بابن النقيب ، كان من أئمة السنة ، وحين بلغه موت بن المعلم قبيح الشيعة رجاه شكرا . وجلس لآهنته وقال : ما بأهل أي وقت مت بعد أن شاهدت موت ابن المعلم ، ومكث دهرًا طويلا يصلي الفجر بوضوء المشاء . قال الخطيب : وسألته عن مولده فقال في سنة خمس وثلاثمائة ، وأذكر من اخلفاء المقتدر والظاهر والرضي والمنتقى والمستكني والمطيع والطالع والقادر والناصب بالله ، الذي خطب له بولاية العهد ، توفي في سلخ شعبان منها عن مائة وعشر سنين .

﴿ عمر بن عبد الله بن عمر ﴾

أبو حفص الدلال ، قال سمعت الشبلي ينشد قوله :

وقد كان شيء مسمى السرور • قديما ممحنا به ما فعل

خليل ، إن دام م النفو • من قليلا على مآزاه قتل

يؤمل دنيا تبقى له • فلت المؤمل قبل الأمل

﴿ محمد بن الحسن أبو الحسن ﴾

الاقليمي الموالي ، نائب الشريف المرتضى في إمرة الحبيص ، حج بالناس سنين متعددة ، وله فصاحة وشعر ، وهو من سلالة زيد بن علي بن الحسين .

﴿ ثم دخلت سنة ست عشرة وأربعمائة ﴾

فيها قوى أمر البليارين ببغداد ونهبوا الدورجيرة ، واستهاتوا بأمر السلطان ، وفي ربيع الأول منها توفي شرف الدولة بن بويه الفيلى صاحب بغداد والموثق وغير ذلك ، فكثرت الشرور ببغداد ونهبت الخزائن ، ثم سكن الأمر على تولية جلال الدولة أبي الطاهر ، وخطب له على المنابر ، وهو إذ ذاك على البصرة ، وخلع على شرف الملك أبي سعيد بن ما كولا وزيره ، ولقب علم الدين سعد الدولة أمين الملة شرف الملك ، وهو أول من لقب بالألقاب الكثيرة ، ثم طلب من الخليفة أن يبايع لأبي كالحجار ولي عهد أبيه سلطان الدولة ، الذي استخلف بهام الدولة عليهم ، فوقف في الجواب ثم

واقفهم على ما أرادوا ، وأقيمت الخطبة للملك أبي كالجار يوم الجمعة سادس عشر شوال منها ، ثم
تفانم الأمر ببغداد من جهة العيارين ، وكبسوا الفورليلا ونهارا ، وضربوا أهلها كما يضرب المصادرون
ويستغيث أحدهم فلا يفتأ ، واشتد الحال وهربت الشرطة من بغداد ولم تكن الأتراك شيئا ، وعملت
السرايخ على أفواه السكك فلم يند ذلك شيئا ، وأحرقت دار الشريف المرتضى فانتقل منها ، وغلت
الأسعار جدا . ولم ينج أحد من أهل العراق وخراسان .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ سبور بن ازديشير ﴾

وزر لهاء الدولة ثلاث مرات ، ووزر لشرف الدولة ، وكان كاتباً شديداً حفيظاً من الأموال ، كثير
الطير ، سليم الخاطر ، وكان إذا مع المؤذن لا يشغله شيء من الصلاة ، وقد وقف داراً للعلم في سنة
إحدى وثمانين وثلثمائة ، وجعل فيها كتباً كثيرة جدا ، ووقف عليها غلة كبيرة ، بقيت سبعين سنة
ثم أحرقت عند مجيء الملك طغرل بك في سنة خمسين وأربعمائة ، وكانت محلها بين السورين ، وقد
كان حسن المباشرة إلا أنه كان يزل حاله سرى ما خوطب عليهم من الاشر والبطر ، توفي فيها وقد قارب
التسعين .

﴿ عثمان التيسابوري ﴾

الجدائي الواعظ . قال ابن الجوزي : صنف كتباً في الوعظ من أبرد الأشياء ، وفيه أحاديث
كثيرة وموضوعة ، وكانت مرذولة ، إلا أنه كان خيراً صالحاً ، وكانت له وجهة عند الخلفاء والملوك ،
وكان الملك محمود بن سبكتكين إذا رآه قام له ، وكانت محلته حمى يعضي بها من الظلة ، وقد وقع في بلبه
نيسابور موت ، وكان ينسل الموتى محتسباً ، فنسل نحواً من عشرة آلاف ميتاً ، رحمه الله .

﴿ محمد بن الحسن بن صالحان ﴾

أبو منصور الوزير لشرف الدولة ولهباء الدولة ، كان وزير صدق جيد المباشرة حسن الصلاة ،
محافظاً على أوقاتها ، وكان عسناً إلى الشراء والعطاء ، توفي فيها عن ست وسبعين سنة .

﴿ الملك شرف الدولة ﴾

أبو علي بن بهاء الدولة ، أبي نصر بن عضد الدولة بن بويه ، أصابه مرض حار فتوفي لثمان بقين
من ربيع الآخر من ثلاث وعشرين سنة ، وثلاثة أشهر وعشرين يوماً .

﴿ التهامي الشاعر ﴾

علي بن محمد التهامي أبو الحسن ، له ديوان مشهور ، وله مرثاة في والده وكان قد مات صغيراً أولها :

حكم الدنيا في البرية جرى • ما هذه الدنيا بدار قرار

ومنها : - إلى لأرحم حامدي لخرّما • ضمت ضبورم من الاوار

فظروا صليح الله في فيضونهم • في جنة وقلوبهم في قار

ومنها في ذم الدنيا :

جبلت على كدروأنت ترومها • صفوا من الاقدار والا كدار
ومكاف الأيأم ضد طباعا • متطلب في الماء جذوة ثار
وإذا رجوت المستحيل قائما • تبني الرجاء على شفيرهار
ومنها قوله في ولده بعد موته :

جاورت أعدائي وجاور ربه • شتان بين جواره وجواري
وقد ذكر ابن خلكان أنه رآه بمضهم في المنام في هيئة حسنة فقال له بمض أصحابه : بم نلت هذا ؟
قال : بهذا البيت • شتان بين جواره وجواري •

(ثم دخلت سنة سبع عشرة وأربعمائة)

في العشرين من محرمها وقت فتنة بين الاسفهلارية وبين العيارين ، وركبت لهم الأتراك بالديابات ، كما فعل في الحرب ، وأحرقت دور كثيرة من الدور التي احتسب فيها العيارون ، وأحرق من الكرخ جانب كبير ، ونهب أهله ، وتعدى بالنهب إلى غيرهم ، وقامت فتنة عظيمة ثم خمدت الفتنة في اليوم الثاني ، وقرع على أهل الكرخ مائة ألف دينار ، مصادرة ، لاثارتهم الفتن والشروع . وفي شهر ربيع الآخر منها شهد أبو عبد الله الحسين بن علي ، الصيمري عند قاضي القضاة ابن أبي الشوارب بعد ما كان استنابه عما ذكر عنه من الاعتزال . وفي رمضان منها انقض كوكب سمع له دوى كدوى الرعد ، ووقع في سلخ شوال برد لم يمسد مثله ، واستمر ذلك إلى العشرين من ذي الحجة ، وجد الماء طول هذه المدة ، وقامى الناس شدة عظيمة ، وتأخر المطر وزيادة دجلة ، وقلت الزواعة ، وامتنع كثير من الناس عن التصرف . ولم ينج أحد من أهل العراق وخراسان في هذه السنة لفساد البلاد وضعف الدولة .

وفيهما توفي من الأعيان قاضي القضاة ابن أبي الشوارب .

(أحمد بن محمد بن عبد الله)

ابن العباس بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، أبو الحسن القرشي الأموي ، قاضي قضاة بغداد بعد ابن الأكتافى بثنتي عشرة سنة ، وكان عفيفاً نزهة ، وقد سمع الحديث من أبي عمر الزاهد وعبد الباقي بن قانع ، إلا أنه لم يحدث . قاله ابن الجوزي : وحكى الخطيب عن شيخه أبي العلاء الواسطي : أن أبا الحسن هذا آخر من ولي الحكم ببغداد ، من سلالة محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب وقد ولي الحكم من سلالة أربعة وعشرون ، منهم ولوا قضاء قضاة بغداد . قال أبو العلاء : ما رأينا مثل أبي الحسن هذا ، جلالة ونزاهة وصيانة وشراف . وقد ذكر القاضي الماوردي أنه كان له صديقاً

وصاحباً ، وأن رجلاً من خيار الناس أوصى له بمائتي دينار ، فقبلها إليه الماوردي فأبى القاضي أن يقبلها ، وجهد عليه كل الجهد فلم يقبل ، وقال له : سأنتك بالله لا تذكرن هذا لأحد مادمت حياً ، ففعل الماوردي ، فلم يخبر عنه إلا بعد موته ، وكان ابن أبي الشوارب قديراً إليها ، وإلى ما هو دونها فلم يقبلها رحمه الله . توفي في شوال منها .

﴿ جعفر بن أبيان ﴾

أبو مسلم الخثلي سمع ابن بطة ودرس قه الشافعي على الشيخ أبي حامد الاسفراييني ، وكان قه ديناً ، توفي في رمضان منها ﴿ عمر بن أحمد بن عبدويه ﴾ أبو حازم الهنلي النيسابوري ، سمع ابن نجيد والاسماعيلي ، وخلقاً ، وسمع منه الخطيب وغيره ، وكان الناس يلتفتون بأفادته وانتخابه ، توفي يوم عيد الفطر منها .

﴿ علي بن أحمد بن عمر بن حفص ﴾

أبو الحسن المقرئ المعروف بالحلي ، سمع النجاد والخلدي وابن السبكي وغيرهم ، وكان صدوقاً فاضلاً ، حسن الاعتقاد ، وتفرد بأسانيد القراءات وعلاؤه ، توفي في شعبان منها عن تسع وعشرين سنة .

﴿ صاعد بن الحسن ﴾

ابن عيسى الربي البغدادي ، صاحب كتاب الفصوص في الفنة على طريقة الثعالبي في الامالي ، صنفه للنصوريين أبي عامر ، فأجازه عليه خمسة آلاف دينار ، ثم قيل له إنه كذاب متهم ، فقال في ذلك بعض الشعراء :

قد غاص في الماء كتاب الفصوص * وهكذا كل ثقل ينوص
فلما بلغ صاعدا هذا البيت أنشد :

عاد إلى عنصره إنما * يخرج من قعر البحور الفصوص

قلت : كأنه معنى هذا الكتاب بهذا الاسم ليشاكل بالصالح للجوهري ، ولكنه كان مع فصاحته وبلاغته وعلمه متهماً بالكذب ، فلماذا رفض الناس كتابه ، ولم يشتهر ، وكان ظريفاً ما جنى سريع الجواب ، سأله رجل أمي على سبيل التهمك فقال له : ما الحر تفل ؟ فأطرق ساعة وعرف أنه أفضل هذا من عند نفسه ثم رفع رأسه إليه فقال : هو الذي يأتي نساء الميمان ، ولا يعمداً إلى غيرهن ، فاستعج ذلك الأمي وضحك الحاضرون . توفي في هذه السنة ساعده الله .

﴿ الثعالبي المروزي ﴾

أحد أئمة الشافعية الكبار ، علماً وزهداً وحفظاً وتصنيفاً ، وإليه تنسب الطريقة الخراسانية ، ومن أصحابه الشيخ أبو محمد الجويني ، والقاضي حسين ، وأبو علي السبكي ، قال ابن خلكان :

وأخذ عنه إمام الحرمين ، وفيما قاله نظر . لأن سن إمام الحرمين لا يحتمل ذلك ، فان القفال هذا مات في هذه السنة وله تسعون سنة ، ودفن بسجستان ، وإمام الحرمين ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة كما سيأتي ، وإنما قيل له القفال لأنه كان أولا يعمل الأقفال ، ولم يشتغل إلا وهو ابن ثلاثين سنة ، رحمه الله تعالى ﴿ ثم دخلت سنة ثمان عشرة وأربعمائة ﴾

في ربيع الأول منها وقع برد أهلك شيئا كثيرا من الزروع والثمار ، وقتل خلقا كثيرا من الدواب . قال ابن الجوزي : وقد قيل إنه كان في برده كل بردة رطلان وأكثر ، وفي واسط بلغت البردة أرطالا ، وفي بغداد بلغت قدر البيض . وفي ربيع الآخر سالت الاسفهلارية الفلنان الخليفة أن يزيل عنهم أبيا كاليجار ، تهاونه بأمرهم ، وفساد الأمور في أيامه ، ويولي عليهم جلال الدولة ، الذي كانوا قد عزلوه عنهم ، فما ظلم الخليفة في ذلك وكتب إلى أبي كاليجار أن يتدارك أمره ، وأن يسرع العودة إلى بغداد ، قبل أن يموت الأمر ، وألح أولئك على الخليفة في تولية جلال الدولة ، وأقاموا له الخلع ببيغداد ، وهاجم الحال ، وفسد النظام . وفيها ورد كتاب من محمود بن سبكتكين يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضا ، وأنه كسر الصنم الأعظم الذي لهم المسمى بسومنات ، وقد كانوا يعنون إليه من كل فج عريق ، كما يذلل الناس إلى الكعبة البيت الحرام وأعظم ، وينفقون عنده النفقات والأموال الكثيرة ، التي لا توصف ولا تعد ، وكان عليه من الأوقاف عشرة آلاف قرية ، ومدينة مشهورة ، وقد امتلأت خزائنه أموالا ، وعنده ألف رجل يخدمونه ، ومثلها ثوبل يملكون رؤس حبيبيه ، ومثلها رجل ينفون ويرقصون على بابه ، لما يضرب على بابه الطبول والبوقات ، وكان عنده من المجاورين ألف يأكلون من أوقافه ، وقد كان البعيد من الهند ينفق لو بلغ هذا الصنم ، وكان يوفيه طول المفاز وكثرة الموانع والآفات ، ثم استخار الله السلطان محمود لما بلغه خبر هذا الصنم وعباده ، وكثرة الهند في طريقه ، والمفاوز المهلكة ، والأرض الخطرة ، في نجش ذلك في جيشه ، وأن يقطع تلك الأحوال إليه ، فندب جيشه لذلك فأتى به ثلاثون ألفا من القنطرة ، ممن اختارهم لذلك ، سوى المتطوعة ، فسلمهم الله حتى انتهوا إلى بلد هذا الوثن ، ونزلوا بساحة عبادته ، فإذا هو بمكان بقدر المدينة الطيبة ، قال : فما كان بأسرع من أن ملكناه وقتلنا من أهله خمسين ألفا وقتلنا هذا الوثن وأوقدنا تحته النار . وقد ذكر غير واحد أن الهندو بنلوا السلطان محمود أموالا جزيلة ليرتكب لهم هذا الصنم الأعظم ، فأشار من أشار من الأمراء على السلطان محمود بأخذ الأموال وإيقاع هذا الصنم لهم ، فقال : حتى أستخير الله عز وجل ، فلما أصبح قال : إني فكرت في الأمر الذي ذكر فرأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم ؟ أحب إلى من أن يقال الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا ، ثم عزم فكسره رحمه الله ، فوجد عليه وفيه من الجواهر واللاقي والذهب والجواهر

التفيسة ما يذيف على ما بقلوه له بأضفاف مضاعفة ، وتزوج من الله له في الآخرة الثواب الجزيل الذي مثقل دائق منه خير من الدنيا وما فيها ، مع ما حصل له من الثناء الجليل الدنيوى ، فرحه الله وأكرم مشواه . وفي يوم السبت ثالث رمضان دخل جلال الدولة إلى بغداد فثقله الخليفة في دجلة في طيارة ، وسمه الأكار والأمرء ، فلما واجه جلال الدولة الخليفة قبل الأرض دفعت ، ثم سار إلى دار الملك ، وعاد الخليفة إلى داره ، وأمر جلال الدولة أن يضرب له الطبل في أوقات الصلوات الثلاث ، كما كان الأمر في زمن عضد الدولة ، وصممها وشرفها وبنائها ، وكان الخليفة يضرب له الطبل في أوقات الخمس ، فأراد جلال الدولة ذلك قتيلا له يحمل هذه المساواة الخليفة في ذلك ، ثم صمم على ذلك في أوقات الخمس . قال ابن الجوزي : وفيها وقع برد شديد حتى جمد الماء والتبذير وأحوال الدواب والمياه الكبار ، وحافظت دجلة . ولم يخرج أحد من أهل العراق .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن عبد الله ﴾

ابن عبد الصمد بن المهدي بالله ، أبو عبد الله الشاهد ، خطب له في جامع المنصور في سنة ست وثمانين وثلثمائة ، ولم يخطب له إلا بمخطبة واحدة جمعت كثيرة متعددة ، فكان إذا سمعها الناس منه ضجروا بالبكاء وخشعوا لصوته .

﴿ الحسين بن علي بن الحسين ﴾

أبو القاسم المغربي الوزير ، ولد بمصر في ذي الحجة سنة تسعين وثلثمائة ، وهرب منها حين قتل صاحبها الحاكم أباه وحمه محمدا ، وقصد مكة ثم الشام ، ووزر في عدة أماكن ، وكان يقول الشعر الحسن ، وقد تنادى به بعض الصالحين فأثبته ذلك الصالح شرا :

إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن • على حالة إلا رضيت بدونها

فاعتزل المنصب والسلطان ، وقال له بعض أصحابه : تركت المنازل والسلطان في عنفوان شبابك ؟ فأشأ يقول :

كنت في سفر الجمل والبطالة • حينما فخان مني القوم

تبت من كل مأثم ففسى • يحس بهذا الحديث ذاك القديم

بمد خمس وأربعين تم • ألا إن الآله القديم كريم

توفي بمكة في رمضان منها عن خمس وأربعين سنة ، ودفن بمشهد على .

﴿ محمد بن الحسن بن إبراهيم ﴾

أبو بكر الوراق ، المعروف بابن الخفاف ، روى عن القطيبي وغيره ، وقد اتهموه بوضع الحديث والاسانيد ، قاله الخطيب وغيره .

﴿ أبو القاسم اللالكائي ﴾

حبة الله بن الحسن بن منصور : الرازي ، وهو طبري الأصل ، أحد تلامذة الشيخ أبي حامد الاسفراييني ، كان يفهم ويحفظ ، وعنى بالحديث فصنف فيه أشياء كثيرة ، ولكن عاجلته المنية قبل أن تشتهر كتبه ، وله كتاب في السنة وشرفها ، وذكر طريقة السلف الصالح في ذلك ، وقع لنا سماعة على الحجار عاليه عنه ، توفي بالدينور في رمضان منها ، ورآه بعضهم في المنام فقال : ما فعل الله بك ؟ قال : غفري ، قال بم ؟ قال بشئ قليل من السنة أحييته :

﴿ أبو القاسم بن أمير المؤمنين القادر ﴾

توفي ليلة الأحد في جمادى الآخرة ، وصلى عليه غير مرة ، ومشى الناس في جنازته ، وحزن عليه أبوه حزناً شديداً ، وقطع الطبل أيلماً .

﴿ ابن طباطبا الشريف ﴾

كان شاعراً ، وله شعر حسن . ﴿ أبو إسحاق ﴾

وهو الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني إبراهيم بن محمد بن مهران . الشيخ أبو إسحاق الامام الملاسة ، ركن الدين الفقيه الشافعي ، المتكلم الأصولي ، صاحب التصانيف في الأصولين ، جامع الحلي في مجلدات ، والتلمية النافعة في أصول الفقه ، وغير ذلك ، وقد جمع الكثير من الحديث من أبي بكر الاسماعيلي ودعليج وغيرهما ، وأخذ عنه البيهقي والشيخ أبو الطيب الطبري ، والحاكم النيسابوري ، وأثنى عليه ، توفي يوم عاشوراء منها بليسابور ، ثم قُتل إلى بلده ودفن بمشهده .

﴿ القُدوري ﴾

صاحب الكتاب المشهور في مذهب أبي حنيفة ، أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان ، أبو الحسن القُدوري الحنفي ، صاحب المصنف المختصر ، الذي يحفظ ، كان إماماً بارعاً عالماً ، وثبتاً مناظراً ، وهو الذي تولى مناظرة الشيخ أبي حامد الاسفراييني من الحنفية ، وكان القُدوري بطريه ويقول : هو أعلم من الشافعي ، وأظن منه ، توفي يوم الأحد الخامس من رجب منها ، عن ست وخمسين سنة ، ودفن إلى جانب الفقيه أبي بكر الخوارزمي الحنفي .

﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة وأربع مائة ﴾

فيها وقع بين الجيش وبين جلال الدولة ونهبوا دار وزيره ، وجرت له أمور طويلة ، آل الحال فيها إلى اتفاقهم على إخراجه من البلد ، فهي له برغون رث ، فخرج وفي يده طير نهاراً ، فجعلوا لا يلتفتون إليه ولا يفكرون فيه ، فلما عزم على الركوب على ذلك البرغون الرث رثوا له ورقوا له ولهيئته وقبلوا الأرض بين يديه ، وانفصلت قضيته بعد فسادها . وفيها قل الرطب جدا بسبب هلاك النخل في

السنة الماضية بالبرد ، فبيع الرب كل ثلاثة أرطال بدينار جلالى ، ووقع برد شديد أيضا فأهلك شيئا كثيرا من النخيل أيضا . ولم ينج أحد من أهل المشرق ولا من أهل الديار المصرية فيها ، إلا أن قوماً من خراسان ركبوا في البحر من مدينة مكران فأتوها إلى جدة فنجوا .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ حمزة بن إبراهيم بن عبد الله ﴾

أبو الخطاب النجم ، حظى عند بهاء الدولة وعلماء النجوم ، وكان له بذلك وجاهة عنده ، حتى أن الوزراء كانوا يخافونه ويتوسلون به إليه ، ثم صار أمره طريدا بعيداً حتى مات يوم مات بالكرخ من ساحرا غريباً ، فقبرا مغلوباً ، قد ذهب ماله وجاهه وعقله .

﴿ محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد ﴾

أبو الحسن التاجر ، سمع الكثير على المشايخ المتقدمين ، وتفرّد بملو الاسناد ، وكان ذا مال جزيل يخاف من المصادرة ببغداد فانتقل إلى مصر فأقام بها سنة ، ثم عاد إلى بغداد فأتفق بمصادرة أهل محله فقتل عليه ما أقهره ، ومات حين مات ولم يوجد له كفن ولم يترك شيئا فأرسل له القادر بالله ما كفن فيه .

﴿ مبارك الأنتملى ﴾

كان ذا مال جزيل نحو ثلثمائة ألف دينار ، مات ولم يترك وارثا سوى ابنة واحدة ببغداد ، وتوفى هو بمصر .

﴿ أبو الفوارس بن بهاء الدولة ﴾

كان ظالما ، وكان إذا سكر يضرب الرجل من أصحابه أو وزيره مائة مائة مائة ، بسد أن يحلفه بالعلاق أنه لا يتأوه ، ولا يخبر بذلك أحدا . فيقال إن حاشيته معوه ، فلما مات فادوا بشمار أخيه كاليجار .

﴿ أبو محمد بن الساد ﴾

وزير كاليجار ، ولقبه من الدولة ، فلك الدولة ، رشيد الأمة ، وزير الوزراء ، عماد الملك ، ثم سلم بعد ذلك إلى جلال الدولة فاحتقله ومات فيها .

﴿ أبو عبد الله المتكلم ﴾

توفى فيها ، هكذا رأيت ابن الجوزى ترجمه مختصرا .

﴿ ابن غلبون الشاعر ﴾

عبد الحسن بن محمد بن أحمد بن غالب أبو محمد الشافعى ثم الصورى ، الشاعر المطبق ، له ديوان مملوح ، كان قد نظم قصيدة بليغة في بعض الرؤساء ، ثم أنشدها لرئيس آخر يقال له ذو النعمتين ، وزاد فيها بيتا واحدا يقول فيه :

ولك المناب كلها • ظم انتصرت على اثنتين

فأجازه جائزة سنية ، فقيل له : إنه لم يقلها فيك ، فقال : إن هذا البيت وحده بقصيدة ، وله أيضا في بخيل نزل عنده :

وأخ مسه تزولى بقرح * مثل ما مسق من الجرح
 بت ضيفا له كما حكم الله * روفى حكمه على الحرف فتح
 فابتدأى يقول وهو من الـ * سكر يالم طائع ليس يصحو
 لم تقربت ؟ قالت قال رسول الله * والقول منه نصح ونجح
 «سافروا لتقنوا» قال وقد * قال تمام الحديث «ضموا تصحوا»
 ﴿ ثم دخلت سنة عشرين وأربعمئة ﴾

فيها سقط بناحية المشرق مطر شديد ، معه برد كبار . قال ابن الجوزى : حزرت البردة
 الواحدة منه مائة وخسرون وملا ، وغاصت في الأرض نحو من ذراع . وفيها ورد كتاب من محمود
 ابن سبكتكين أنه أهل بطائفة من أهل الرى من الباطنية والروافض قتلا ذريعا ، وصلبا شنيعا ،
 وأنه اتهم أموال رئيسهم رستم بن علي الديلمي ، فحصل منها ما يقارب ألف ألف دينار ، وقد كان في
 حيازته نحو من خمسين امرأة حرة ، وقد ولعن له ثلاثا وثلاثين ولما بين ذكر وأثنى ، وكانوا يرون إباحة
 ذلك . وفي رجب منها اقتض كواكب كثيرة شديدة الضوء شديدة الصوت . وفي شعبان منها كثرت
 العملات وضعت رجال المعونة عن مقاومة العيارين . وفي يوم الاثنين منها ثمان عشر رجب ظرماه
 دجلة حتى لم يبق منه إلا القليل ، ووقفت الأرحام عن الطعن ، وتعد ذلك . وفي هذا اليوم جمع
 القضاة والعلماء في دار الخلافة ، وقرئ عليهم كتاب جمعه القادر بالله ، فيه مواظب وتقاصيل مذاهب
 أهل البصرة ، وفيه الرد على أهل البدع ، وتفسيق من قال بخلاف القرآن ، وصفة ما وقع بين بشر
 المرسي وعبد العزيز بن يحيى الكتاني من المناظرة ، ثم ختم القول بالمواظب والقول بالمعروف ، وأنهى
 عن المنكر . وأخذ خطوط الحاضرين بالمواظبة على ما مأمور . وفي يوم الاثنين غرة ذي القعدة جمعا
 أيضا كلهم وقرئ عليهم كتاب آخر طويل يتضمن بيان السنة والرد على أهل البدع ومناظرة بشر
 المرسي والكتاني أيضا ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفضل الصعابة ، وذكر فضائل أبي
 بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ولم يفرغوا منه إلا بعد العتمة ، وأخذت خطوطهم
 بمواظبة ما مأمور . وعزل خطباء الشيعة ، وولى خطباء السنة وفيه الحمد والمنة على ذلك وغيره .
 وجرت فتنة بمسجد براء ، وضربوا الخطيب السني بالآجر ، حتى كسروا أفقه وخلعوا كفته ، فانصر
 لهم الخليفة وأهان الشيعة وأذلهم ، حتى جاؤا يستدرون عما صنعوا ، وأن ذلك إنما لماعطاه السفهاء
 منهم . ولم يتمكن أحد من أهل العراق وخراسان في هذه السنة من الحج .

وعن توفي فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن أبي القين ﴾

أبو علي الزاهد ، أحد المباد والزهاد وأصحاب الأحوال ، دخل عليه بعض الوزراء قبل يده ،

فوقب الوزي بذلك فقال: كيف لا أقبل يدا ما امتدت إلا إلى الله عز وجل .

(على بن عيسى بن الفرج بن صالح)

أبو الحسن الربي النحوي ، أخذ العربية أولاً عن أبي سعيد السيرافي ، ثم عن أبي علي الفارسي ولازمه عشرين سنة حتى كان يقول : قولوا له لو صار من المشرق إلى المغرب لم يجد أحداً أعشى منه ، كان يوماً عشى على شاطئ دجلة إذ نظر إلى الشرفيين الرضي والمرضى في سفينة ، ومعهما عثمان بن جنى ، فقال لهما : من أعجب الأشياء عثمان ممكاً ، وعلى يمينه عنكا ، عشى على شاطئ الفرات . [فضحكوا وقالوا : باسم الله] توفي في الحرم منها عن ثنتين وتسعين سنة ، ودفن بباب الدبر ، ويقال إنه لم يتبع جنازته إلا ثلاثة أنفس (أسد الدولة)

أبو علي صالح بن مرداس بن إدريس الكلبي ، أول ملوك بني مرداس بحلب ، انتزعها من يدى نائبها عن الظاهر بن الحاكم المبيدي ، في ذى الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة ، ثم جاهد جيش كتيّف من مصر فاقتلوا قتل أسد الدولة هذا في سنة تسع عشرة ، وقام حفيده نصر .

(ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وأربعمائة)

فيها توفي الملك الكبير المجاهد المغازي ، فأمّ بلاد الهند محمود بن سبكتكين رحمه الله ، لما كان في ربيع الأول من هذه السنة توفي الملك المادل الكبير التاغور الم رابط ، المؤيد المنصور ، بين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين ، صاحب بلاد غزنة ومالك تلك الممالك الكبار ، وفتح أكثر بلاد الهند قهراً ، وكسر أصنامهم وندوهم وأوثانهم وهنودهم ، وسلطانهم الأعظم قهراً ، وقد مرض رحمه الله فحوا من سنين لم يضع لمج فيهما على فراش ، ولا توسد وساداً ، بل كان يشكى جالساً حتى مات وهو كذلك ، وذلك لشهامته وصرامته ، وقوة عزمه ، وله من العمر ستون سنة رحمه الله . وقد عهد بالأمر من بعده لولده محمد ، فلم يتم أمره حتى عافسه أخوه مسعود بن محمود المذكور ، فاستحوذ على ممالك أبيه ، مع ما كان يليه بمافحه هو بنفسه من بلاد الكفار ، من الرستاق الكبار والصغار ، فاستقرت له الممالك شرقاً وغرباً في تلك النواحي ، في أواخر هذا العام ، وجاءته الرسل بالسلام من كل ناحية ومن كل ذلك حمام ، وبالفتح والأكرام ، وبالظنوع التام ، وسأى ذكر أبيه في الوفيات . وفيها استحوذت السرية التي كان يشها الملك المذكور محمود إلى بلاد الهند على أكثر مدائن الهند وأكبرها مدينة ، وهي المدينة المسماة نرسي ، دخلوها في نحو من مائة ألف مقاتل ، ما بين فارس وراجل ، قهروا سوق المطر والجوهر بها نهراً كاملاً ، ولم يستطيعوا أن يحولوا ما فيه من أنواع الطيب والمسك والجواهر واللآلئ واليوياقيت ، ومع هذا لم يدرك أكثر أهل البلد بشيء من ذلك لتاسعها ، وذلك أنها كانت في غاية الكبر : طولها مسيرة منزلة من منازل الهند ، وعرضها كذلك ، وأخذوا منها من الأموال والنحف

والآثاث مالا يحد ولا يوصف ، حتى قيل إنهم اقتسموا الذهب والفضة بالكيل ، ولم يصل جيش من جيوش المسلمين إلى هذه المدينة قط ، لا قبل هذه السنة ولا بعدها ، وهذه المدينة من أكثر بلاد الهند خيراً ومالاً ، بل قيل إنه لا يوجد مدينة أكثر منها مالا وورقاً ، مع كفر أهلها وعبادتهم الأصنام ، فليسلم المؤمن على الدنيا سلام . وقد كانت محل الملك ، وأخذوا منها من الرقيق من الصبيان والبنات مالا يحصى كثرة . وفيها عملت الرافضة بدعتهم الشنعاء ، وحادتهم الصلحاء ، في يوم عاشوراء ، من تعليق المسوح ، وتعليق الاسواق ، والنوح والبكاء في الأزقة ، فأقبل أهل السنة إليهم في الحديد فاقتلوا قتلاً شديداً ، وقتل من الفريقين طوائف كثيرة ، وجرت بينهم فتن وشرور مستطيرة . وفيها مرض أمير المؤمنين القادر بالله وعهد بولاية المهدي من بعده إلى ولده أبي جعفر القائم بأمر الله ، يحضر من القضاة والوزراء والأمراء ، وخطب له بذلك ، وضرب اسمه على السكة المتعامل بها . وفيها أقبل ملك الروم من قسطنطينية في مائة ألف مقاتل ، فسار حتى بلغ بلاد حلب ، وعليها شبل الدولة نصربن صالح بن مرداس ، فقتلوا على مسيرة يوم منها ، ومن عزم ملك الروم أن يستحوذ على بلاد الشام كلها ، وأن يستردها إلى دين النصرانية ، وقد قال رسول الله ﷺ : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » وقصر هو من ملك الشام من الروم مع بلاد الروم فلا سبيل لملك الروم إلى هنا . فلما نزل من حلب كما ذكرنا أرسل الله عليهم عطاء شديداً ، وخالف بين كلمتهم ، وذلك أنه كان معه المستق ، فمال طائفة من الجيش على قتله ليستقل هو بالأمر من بعده ، ففهم الملك ذلك ففكر من فوره راجعاً ، فاتبعهم الأعراب يهبونهم ليلاً ونهاراً ، وكان من جملة ما أخذوا منهم أربعمائة غل محمل محملة أموالاً وثياباً للملك ، وهلك أكثرهم جوعاً وعطشاً ، ونهبوا من كل جانب والله الحمد والمنة . وفيها ملك جلال الدولة واسطاً واستناب عليها ولده ، وبعث وزيره أبا علي بن ماكولا إلى البطائع ففتحها ، وسار في الماء إلى البصرة وعليها نائب لأبي كاليبجار ، فهبهم البصريون فسار إليهم جلال الدولة بنفسه فدخلها في شعبان منها . وفيها جاء سيل عظيم بغزاة فهاك شيئا كثيرا من الزروع والأشجار . وفي رمضان منها تصدق مسعود بن محمود بن سبكتكين بألف ألف درهم ، وأدرأر زافا كثيرة للفقهاء والعلماء ببلادها ، على عانة أبيه من قبله ، وفتح بلادا كثيرة ، وانسمت ممالكها جدا ، وعظم شأنه ، وقويت أركانه ، وكثرت جنوده وأعوانه . وفيها دخل خلق كثير من الأكراد إلى بغداد يسرقون خيل الأتراك ليلا ، فتحصن الناس منهم فأخذوا الخيول كلها حتى خيل السلطان . وفيها سقط جسر بغداد على نهر عيسى . وفيها وقعت فتنة بين الأتراك النازلين بباب البصرة ، وبين الحميين ، فرفقوا المصاحف ورنتم الأتراك بالنشاب ، وجرت خبطة عظيمة ثم أصاح بين الفريقين . وفيها كثرت المملات ، وأخذت الدور جرة ، وكثر العيارون ولصوص

الأكراد . وفيها تمطل الحج أيضاً سوى شرفة من أهل العراق ركبو من جبال البادية مع الأعراب ، فجازوا بالحج .

ذكر من توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن عبد الله بن أحمد ﴾

أبو الحسن الواعظ ، المعروف بابن الأكرات ، صاحب كرامات ومعاملات ، كان من أهل الجزيرة فمكّن دمشق ، وكان يخط الناس بالرفادة القليلة ، حيث كان يجلس القصاص . قاله ابن عسّاك . قال : وصنف كتباً في الوعظ ، وحكى حكايات كثيرة ، ثم قال : سمعت أبا الحسن أحمد بن عبد الله أكرات الواعظ ينشد أبياتاً :

أنا ما أصنع بالذنا • ت شغل بالذنوب
إنما العيد لمن • ز يوصل من حبيب
أصبح الناس على رو • ح ويربحان وطيب
ثم أصبحت على نوح • و حزن ونحيب
فرحوا حين أهلوا • شهرهم بعد الغيب
وهلالي متوار • من وراء حجب الغيوب
فلما قلت فلما • ت غيبي ثم غيبي
وجعلت لهم والحز • ن من الدنيا نصيب
يا حياتي وحماتي • وشقايتي وطيبتي
جدد لنفسك تنظلي • منك بالرحب الرحيب

﴿ الحسين بن محمد الخليلي ﴾

الشاعر ، له ديوان شعر حسن ، عمر طويلاً ، وتوفي في هذه السنة .

﴿ الملك الكبير المادل ﴾

محمود بن سبكتكين ، أبو القاسم الملقب عين الدولة ، وأمين الملة ، وصاحب بلاد غزنة ، وما والاها ، وجيشه يقال لهم السامانية ، لأن أباه كان قد تمكك عليهم ، وتوفي سنة سبع وثلاثين وثلثمائة فتمكك عليهم بعده ولده محمود هذا ، فسار فيهم وفي سائر رعاياه سيرة عادلة ، وقام في نصر الإسلام قياماً تاماً ، وفتح فتوحات كثيرة في بلاد الهند وغيرها ، وعظم شأنه ، واقتسفت مملكته ، وأمنت رعاياه ، وطالت أيامه لمدله وجهاده يوماً أعطاه الله إياه ، وكان يحطب في سائر ممالك الخلافة القادر بالله ، وكانت رسل القاطنين من مصر تغد إليه بالكتب والهدايا لأجل أن يكون من جهتهم ، فيحرق بهم ويحرق كتبهم وهداياهم ، وفتح في بلاد الكفار من الهند فتوحات هائلة ، لم يتفق تشييده من

الملوك ولا قبله ولا بعده ، وغنم مقام منهم كثيرة لا تنحصر ولا تنضب ، من الذهب والالآى ،
والسبى ، وكسر من أصنامهم شيئا كثيرا ، وأخذ من حليتها . وقد تقدم ذلك مفصلا متفرقا فى السنين
المتقدمة من أيامه ، ومن أجل ما كسر من أصنامهم صنم يقال له سومنان ، بلغ ما تحصل من حليته
من الذهب عشرين ألف ألف دينار ، وكسر ملك الهند الأكبر الذى يقال له صينال ، وقهر ملك
الترك الأعظم الذى يقال له إريك الخان ، وأباد ملك السامانية ، وقد ملكوا العالم فى بلاد سمرقند وما
حولها ، ثم هلكوا . وبنى على جيجون جسرآ تسجى الملوك والخلفاء عنه ، غرم عليه ألفى ألف دينار ،
وهذا شئ لم يتفق لغيره ، وكان فى جيشه أربعائة فيل تقاتل ، وهذا شئ عظيم هائل ، وجرت له
فصول يطول تفصيلها ، وكان مع هذا فى غاية الديانة والعيانة وكراهة الماعصى وأهلها ، لا يحب منها
شيئا ، ولا يألفه ، ولا أن يسمع بها ، ولا يجسر أحد أن يظهر مصيبة ولا خيرا فى مملكته ، ولا غير
ذلك ، ولا يحب الملاهى ولا أهلها ، وكان يحب العلماء والمحدثين ويكرهم ويجالسهم ، ويجب أهل
الخير والدين والصلاح ، ويحسن إليهم ، وكان حنفيا ثم صار شافيا على يدى أبى بكر القتال الصغير
على ما ذكره إمام الحرمين وغيره ، وكان على مذهب الكرامية فى الاعتقاد ، وكان من جملة من
يجالسهم منهم محمد بن الميضم ، وقد جرى بينه وبين أبى بكر بن فورك منازعات بين يدى السلطان
محمود فى مسألة العرش ، ذكرها ابن الميضم فى مصنف له ، قال السلطان محمود إلى قول ابن الميضم ،
وقم على ابن فورك كلامه ، وأمر بطرده وإخراجه ، لمواقته رأى الجهمية ، وكان عادلا جيدا ، اشتكى
إليه رجل أن ابن أخت الملك يهجم عليه فى داره وعلى أهله فى كل وقت ، فيخرجه من البيت ويختل
بأمراته ، وقد حار فى أمره ، وكما اشتكاه لأحد من أولى الأمر لا يجسر أحد عليه خوفا وهيبه لذلك .
فلما سمع الملك ذلك غضب غضبا شديدا وقال للرجل ، ويحك متى جارك فأتنى فأعلمنى ، ولا تسمع
من أحد منكم من الوصول إلى ، ولوجارك فى الليل فأتنى فأعلمنى ، ثم إن الملك تقدم إلى الحجة وقال
لم : إن هذا الرجل متى جاءنى لا يمنعه أحد من الوصول إلى من ليل أو نهار ، فذهب الرجل مسرورا
داعيا ، فإكان إلا ليلة أوليلتان حتى هجم عليه ذلك الشاب فأخرجه من البيت واختل بأهله ، فذهب
بأكياء إلى دار الملك فقيل له إن الملك نائم ، قال : قد تقدم إليكم أن لا أمتنع منه ليلا ولا نهارا ،
فتبها الملك فخرج معه بنفسه وليس معه أحد ، حتى جاء إلى منزل الرجل فغظز إلى التلام وهو مع
المرأة فى فراش واحد ، وعندهما شمعة . فقد تقدم الملك فأطفأ الضوء ثم جاء فاحترأ رأس التلام
وقال للرجل : ويحك الحق بشربة ماء ، فأقام بها فشرب ثم انطلق الملك ليذهب ، فقال له الرجل :
يا لله لم أظنأت الشمة ؟ قال : ويحك إنه ابن أختى ، وإذى كرهت أن أشاهد حاله القبيح ، قال : ولم
طلبت الماء سرىآ ؟ قال الملك : إني آليت على نفسى منذ أخبرتنى أن لا أطعم طعما ولا أشرب

شراها حتى أنصرك ، وأقوم بمحك ، فكنت عطشاً تاهمه الأيام كلها ، حتى كلن ما كلن مما رأيت .
 ففعا له الرجل وأنصرف الملك راجعاً إلى منزله ، ولم يشر بذلك أحد . وكان مرض الملك محمود هذا
 بسوء المزاج ، اعتراه معه انطلاق البطن سنتين ، فكان فيها لا يسطيع على فراش ، ولا ينكح
 على شيء ، لقوة بأسه وسوء مزاجه ، وكان يستند على مخاد توضع له ويحضر مجلس الملك ، ويفصل
 على عادته بين الناس ، حتى مات كذلك في يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر من هذه السنة
 عن ثلاث وستين سنة ، ملكاً منها ثلاث وثلاثون سنة ، وخلف من الأموال شيئاً كثيراً ، من ذلك
 سبعون رطلاً من جوهر ، الجوهرة منه لها قيمة عظيمة ساعده الله . وقام بالأمر من بعده ولده محمد ، ثم
 صار الملك إلى ولده الآخر مسعود بن محمود فأشبه أباه ، وقد صنف بعض العلماء مصنفاً في سيرته وأيامه
 وقبوحاته وممالكه . ﴿ ثم دخلت سنة الثنتين وعشرين وأربعمائة ﴾

فيها كانت وفاة القائد بالله الخليفة ، وخلافة ابنه القائم بأمر الله على ما سيأتي تفصيله وبيانه .
 وفيها وقعت فتنة عظيمة بين السنة والروافض ، قويت عليهم السنة وقتلوا خلقاً منهم ، ونهبوا الكرخ
 ودار الشريف المرتضى ، ونهبت العامة دور اليهود لأنهم نسبوا إلى معاونة الروافض ، وتعدى التهب
 إلى دور كثيرة ، وانتشرت الفتنة جداً ، ثم سكنت بعد ذلك ، وفيها كثرت الصلوات وانتشرت
 المحنة بأمر الميادين في أرجاء البلد ، ونجاسوا على أمور كثيرة ، ونهبوا دوراً وأما كن سرا وجهراً ،
 ليلاً ونهاراً ، والله سبحانه أعلم .

﴿ خلافة القائم بالله ﴾

أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله ، بويع له بالخلافة لما توفي أبوه أبو العباس أحمد بن المنتصر بن
 المعتضد بن الأمين أبو أحمد الموفق بن المظفر بن المنتصر بن الرشيد بن المهدي بن المنصور ، في
 ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة من هذه السنة ، عن ست وثمانين سنة ، وعشرة أشهر
 وإحدى عشر يوماً ، ولم يمر أحد من الخلفاء قبله هذا العمر ولا بعده ، مكث من ذلك خليفة إحدى
 وأربعين سنة وثلاثة أشهر ، وهذا أيضاً شيء لم يسبقه أحد إليه ، وأمه أم ولد أمها يعني ، مولدة عبد
 الواحد بن المنتصر ، وقد كان حليماً كريماً ، عابلاً لأهل العلم والدين والصلاح ، ويأمر بالعرف وينهى
 عن المنكر ، وكان على طريفة السلف في الاعتقاد ، وله في ذلك مصنفات كانت تقرأ على الناس ،
 وكان أبيض حسن الجسم طويل الحية مريضاً يخضبها ، وكان يقوم الليل كثير الصدقة ، عاباً لسنة
 وأهلها ، مبغضاً لبيدعة وأهلها ، وكان يكثر الصوم ويكثر القراءة من إقطاعة ، يفتت منه إلى
 الجوازين بلحرمين وجامع المنصور ، وجامع الرصافة ، وكان يخرج من داره في زى العامة فيزور قبور
 الصالحين ، وقد ذكرنا طرقاً صلحاً من سيرته عند ذكر ولايته في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، وجلسوا

في عزائه سبعة أيام لنظم المصيبة به ، ولتوطيد اليمية لولده المذكور ، وأمه يقال لها قطر الندى ، أرمية
أدركت خلافتي في هذه السنة ، وكان مولده يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة إحدى وتسعين
وثلاثمائة ، ثم بويج له بمحضرة القضاء والامراء والكبراء في هذه السنة ، وكان أول من يايه المرتضى

وأشده أبياتا : فأما معنى جبل واقضى * فنك لنا جبل قد رسي

وأما لجنا يهر القام * فقد بقيت منه شمس الضحى

لنا حزن في محل السرور * فكم ضحك في محل البكا

فيا صامنا أحمده يد * لنا بعدك الصارم المنتضى

ولما حضركا لعقد البيع * عرفنا بهديك طرق الهدى

قابلتنا بوقار المشيب * كما لا وسنك من النقى

فطالبتني الأتراك برسم البيعة فلم يكن مع الخليفة شيء يعطيهم ، لأن أياه لم يترك شيئا ، وكادت
الفتنه تقع بين الناس بسبب ذلك ، حتى دفع عنه الملك جلال الدولة مالا جزيلاً لهم ، نحواً من ثلاثة
آلاف دينار ، واستوزر الخليفة أبا طالب محمد بن أيوب ، واستغنى ابن ما كولا . ولم ينجح أحد من
أهل المشرق سوى شرفة خرجوا من الكوفة مع العرب فنجوا .

وفيها توفي من الأعيان غير الخليفة * الحسن بن جعفر *

أبو علي بن ما كولا الوزير لجلال الدولة ، قتله غلام له وجارية عاملاً عليه قتلته ، عن ست

وخمسين سنة * غيب الوهاب بن علي *

ابن نصر بن أحمد بن الحسن بن هارون بن مالك بن طوق ، صاحب الرجة ، التغلبي البغدادي
أحد أئمة المالكية ، وصنفهم ، له كتاب التلقين يحفظه الطلبة ، وله غيره في الفروع والأصول ،
وقد أقام ببغداد دهرًا ، وولى قضاء داريا وما كساها ، ثم خرج من بغداد لضيق حاله ، فدخل مصر
فأكبره المغاربة وأعطوه ذهباً كثيراً ، فتبول جدا ، فأنشأ يقول متشوقاً إلى بغداد .

سلام على بغداد في كل موقف * وحق لها مني السلام مضاعف

فو الله ما فارقها عن ملالة * وإني بشعلى جانبيها لمارف

ولكنها ضاقت على بأسرها * ولم تكن الأرزاق فيها تساعف

فكانت كمثل كنت أهرى دنوه * وأخلاقه تنأى به وتخالف

قال الخطيب : سمع القاضي عبد الوهاب بن ابن السكك ، وكتب عنه ، وكان ثقة ، ولم تر
للمالكية أحداً أفقه منه . قال ابن خلكان : وعند وصوله إلى مصر حصل له شيء من المال ، وخشيت
عليه ، فمرض من أكلة اشتهاها فذكر عنه أنه كان يتقلب ويقول : لا إله إلا الله ، وعند ما عشنا متنا

قال : وله أشعار راقية فنها قوله :

وناعمة قبلها فنتبت • قالت تمالوا واطلبوا الص بالحد
 قلت إلى فديتك غصب • وملحكوا في غاصب بسوى الرد
 خنيتها وكفى عن أنيم طلاية • وإن أنت لم ترضى فالفاعل المد
 قالت قصاص يشهد العقل أنه • على كبد الجاني ألد من الشهد
 فباتت يمينى وهى هيمان خصرها • وباتت يسارى وهى واسطة العقد
 قالت ألم تخبر بأك زاهد • قلت بلى ، ما زلت أزهد فى الزهد
 وما أنشده ابن خلكان لقاضى عبد الوهلب :

بنداد دار لأهل المال طيبة • وللغالب دار الضنك والضييق
 ظلت حيران أشئى فى أرقها • كأننى مصف فى بيت زنديق

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة)

فى سادس المحرم منها استسقى أهل بنداد لتأخر المطر عن أواته ، فلم يسقوا ، وكثر الموت فى
 الناس ، ولما كان يوم عاشوراء غلغت الروافض بدقتهم ، وكثر النوح والبكاء ، وامتلأت بنك
 الطرقات والأسواق . وفى صفر منها أمر الناس بالخروج إلى الاستسقاء فلم يخرج من أهل بنداد مع
 اتساعها وكثرة أهلها مائة واحد . وفيها وقع بين الجيش وبين جلال الدولة اتفاق على غروجة إلى
 البصرة منفيا ، ورد كثيرا من جواريه ، واستبقى بعضهم معه ، وخرج من بنداد ليلة الاثنين
 سادس ربيع الأول منها . وكتب النعمان الاسفهلارية إلى الملك أبى كاليبجار ليقدم عليهم ، فلما
 قدم تمهدت البلاد ولم يبق أحد من أهل العناد والاحداد ، ونهبوا دار جلال الدولة وغيرها ، وتأخر
 مجئ أبى كاليبجار ، وذلك أن وزيره أشار عليه بعدم التقدم إلى بنداد . فأطاعه فى ذلك ، فكثر
 المياريون وعتاقم الحال ، وفسد البلد ، واقتصر جلال الدولة بحيث أن احتاج إلى أن يباع بعض ثيابه
 فى الأسواق ، وجعل أبو كاليبجار يتوهم من الأتراك ويطلب منهم وهائن ، فلم يتفق ذلك ، وطال
 الفصل فرجعوا إلى مكتبة جلال الدولة ، وأن يرجع إلى بلده ، وشروعوا ينتفرون إليه ، وخطبوا له فى
 البلد على حادته ، وأرسل الخليفة الرسل إلى الملك كاليبجار ، وكان فيمن يمش إليه القاضى أبو الحسن
 الماوردى ، فلم عليه مستوحشا منه ، وقد تحمل أمرا عظيما ، فسأل من القضاة أن يقب بالسليطان
 الأعظم مالك الأثم ، فقال الماوردى : هذا ملا سبيل إليه ، لأن السلطان العظيم هو الخليفة ،
 وكذلك مالك الأثم ، ثم اتفقوا على تلقيه بملك الدولة ، فأرسل مع الماوردى قصفا عظيمة منها ألف
 ألف دينار سابورية ، وغير ذلك من الهدايا آلاف مؤلفة ، والتحف والألطاف ، واجتمع الجند على

طلب من الخليفة قتلهم ذلك فراموا أن يقطعوا خطبته ، فلم تصل الجمعة ، ثم خطب له من الجمعة القابلة ، وتخطب البلد جدا ، وكثر الميرون . ثم في ربيع الآخر منها حلف الخليفة لجلال الدولة بخلاص النية وضمانها ، وأنه على ما يجب من الصدق وصلاح السريرة . ثم وقع بينهما بسبب جلال الدولة وشربه النبيذ وسكره . ثم اعتذروا للخليفة واصطالحا على فساد . وفي رجب غلت الأسعار جدا ببغداد وغيرها ، من أرض العراق . ولم يخرج أحد منهم .

وفيهما وقع موتان عظيم ببلاد الهند وغزنة وخراسان وجرجان والري وأصبهان ، خرج منها في أدنى مدة أربعون ألف جنازة . وفي نواحي الموصل والجليل وبغداد طرف قوى من ذلك بالجندى ، بحيث لم يفلح دار من مصاب به ، واستمر ذلك في خزيران ونعموز وآزار وأيلول وتشرين الأول والثاني ، وكان في الصيف أكثر منه في الخريف . قاله ابن الجوزي في المنتظم . وقد رأى رجل في منامه من أهل أصبهان في هذه السنة ناديا ينادى بصوت جهورى : يا أهل أصبهان سكت ، نطق ، سكت ، فالتب الرجل مذهورا فلم يدر أحد تأويلها ما هو ، حتى قال رجل بيت أبي العتاهية فقال : احذروا يا أهل أصبهان فاني قرأت في شعر أبي العتاهية قوله :

سكت الدهر زمانا عنهم • ثم أبكام دما حين نطق

فما كان إلا قليل حتى جاء الملك مسعود بن محمود قتل منهم خلقا كثيرا ، حتى قتل الناس في الجوامع . وفي هذه السنة غفر الملك أبو كاليبج بالخدم جنبل قتله ، وكان قد استخوذ على مملكته ولم يبق معه سوى الاسم ، فاستراح منه . وفيها مات ملك الترك الكبير صاحب بلاد ما وراء النهر ، وأسمه قندرخان .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿روح بن محمد بن أحمد﴾

أبو زرعة الرازي . قال الخطيب : سمع جماعة ، وفد علينا حاجا فكثبت عنه ، وكان صدوقا فها ، أديبا ، يتقنه على منب الشافعي ، وولى قضاء أصبهان . قال : وبلغني أنه مات بالكرخ سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة .

﴿علي بن محمد بن الحسن﴾

ابن محمد بن نعيم بن الحسن البصري ، المعروف بالنعميني ، الحافظ الشاعر ، التكمم القتيبة الشافعي . قال البرقي : هو كامل في كل شيء لولا بادرة فيه ، وقد سمع على جماعة ، ومن شعره قوله :

إذا أظلمت لك أكنف القتام • كفتك القناعة شيئا وريا

فكن رجلا رجلا في الثرى • وهامة همه في الثريا

أيما لثائل ذي نمة • تراه بما في يديه أيما

فإن إراقة ماء الحيا • تدون إراقة ماء الحيا

﴿عبد بن الطيب﴾

ابن سعد بن موسى أبو بكر الصياغ، حدث عن النجاد وأبي بكر الشافعي، وكان صدوقاً، حكى الخطيب أنه تزوج تسماعة امرأة، وتوفي عن خمس وتسعين سنة.

﴿علي بن هلال﴾

الكتاب المشهور، ذكر ابن خلكان أنه توفي في هذه السنة، وقيل في سنة ثلاث عشرة كما تقدم

﴿ثم دخلت سنة أربع وعشرين وأربعمائة﴾

فيها تنافس الحال بأمر المياريين، وتزايد أمرهم، وأخذوا العملات الكثيرة، وقوى أمر مقدمهم البرجي، وقتل صاحب الشرطة قبيلة، وتواترت العملات في الليل والنهار، وحرس الناس دورهم، حتى دار الخطيفة منه، وكذلك سور البلد، وعظم الخطب بهم جداً، وكان من شأن هذا البرجي أنه لا يؤذي امرأة ولا يأخذ مما عليها شيئاً، وهذه مروءة في الظلم، وهذا كاقيل • حنايك بعض الشر أهون من بعض • وفيها أخذ جلال الدولة البصرة وأرسل إليها ولده العزيز، فأقام بها الخطيفة لأبيه، وقطع منها خطبة أبي كاليبجار في هذه السنة والتي بعدها، ثم استرجعت، وأخرج منها ولده. وفيها ثارت الأتراك بالملك جلال الدولة ليأخذوا أرزاقهم، وأخرجوه من داره، ورموا عليه في المسجد، وأخرجت حريمه، فذهب في الليل إلى دار الشريف المرتضى قتلها، ثم اصطلمت الأتراك عليه وحلفوا له بالسلم والطاعة، وردوه إلى داره، وكثر المياريون واستطالوا على الناس جداً. ولم ينجح أحد من أهل العراق وخراسان لفساد البلاد.

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿أحمد بن الحسين بن أحمد﴾

أبو الحسين الواعظ المعروف بابن السكك، وله سنة ثلاثين وثلاثمائة، وسمع جعفر الخطيب وغيره وكان يخطب بجمع المنصور وجمع المهدي، ويتكلم على طريق الصوفية، وقد تكلم بعض الأئمة فيه، ونسب إليه الكذب. توفي فيها عن أربع وتسعين سنة ودفن بباب حرب.

﴿ثم دخلت سنة خمس وعشرين وأربعمائة﴾

فيها غزا السلطان مسعود بن محمود بلاد الهند، وقبض حصوناً كثيرة، وكان من جعلها أنه حاصر قلعة حصينة فخرجت من السور مجوز كبيرة صاحرة، فأخذت تكلن قبعتها ورشها من ناحية جيش المسلمين، ففرض السلطان تلك القلعة فرضاً شديداً، فأرسل من تلك القلعة فلما استقل ذاهباً عنها حوفي صافية كلمة، فرجع إلى غزنة سالماً. وفيها ولي البساسيري حامية الجانب الشرق من بغداد، لما تنافس أمر المياريين. وفيها ولي سنجان بن سيف الدولة بعد وفاة أبيه، قصد عمه قرا وانشأ فأقره

وساعده على أموره . وفيها هلك ملك الروم أرماتوس ، فملكهم رجل ليس من بيت ملكهم ، قد كان صيرفياني بعض الأحيان ، إلا أنه كان من سلالة الملك قسطنطين . وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام فهبت شيئا كثيرا ، ومات تحت الردم خلق كثير ، وانهزم من الرملة ثلثها ، وقطع جامعا قسطنطينيا ، وخرج أهلها منها هارين ، فأعلموا بظواهرها ثمانية أيام ، ثم سكن الحال فمادوا إليها ، وسقط بعض حائط بيت المقدس ، ووقع من محراب داود قطعة كبيرة ، ومن مسجد إبراهيم قطعة ، وسلت الحجرة ، وسقطت منارة عسقلان ، ورأس منارة غزة ، وسقط نصف بيسان نابلس ، وخسف قرية البارزاد وبأهلها وبقراها وغنمها ، وساخت في الأرض . وكنك قرى كثيرة هناك ، وذكر ذلك ابن الجوزي . ووقع غلاء شديد ببلاد إفريقية ، وعصفت ريح سوداء بتصنيين فألقت شيئا كثيرا من الأشجار كالنوت والجوز والتمناب ، واقتلعت قصراً مشيداً بحجارة وآجر وكلس فألقته وأهله فهلكوا ، ثم سقط مع ذلك مطر أمثال الأكف ، والزنود والأصابع ، وجزر البحر من تلك الناحية ثلاث فراسخ ، فذهب الناس خلف السمك فرجع البحر عليهم فهلكوا . وفيها كثرت الموت بالغلواتيق حتى كان يفتق الباب على من في القار كلهم موتى ، وأكثر ذلك كان ببغداد ، فأت من أهلها في شهر ذي الحجة سبعون ألفاً . وفيها وقعت الفتنة بين السنة والرافض حتى بين العيارين من الفريقين مع إينا الاحفائي وهما مقدمي عيارين أهل السنة ، منعا أهل الكرخ من ورود ماء دجلة فضايق عليهم الحال ، وقتل ابن البرجني وأخوه في هذه السنة . ولم ينج أحد من أهل الرقاق .

وفيها توفي من الأعيان (أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب)

الحافظ أبو بكر المروفي بالبرقي ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، وجمع الكثير ، ورحل إلى البلاد ، وجمع كتباً كثيرة جداً ، وكان طاملاً بالقرآن والحديث والفقه والنحو ، وله تصنيفات في الحديث حبيبة نفيسة : قال الأزهري : إذا مات البرقي ذهب هذا الشأن ، وما رأيت أحسن منه . وقال غيره : ما رأيت أعيد منه في أهل الحديث . توفي يوم الخميس مستهل رجب ، ووصل عليه أبو علي بن أبي موسى الهاشمي ، ودفن في مقبرة الجامع ببغداد ، وقد أورد له ابن عساكر من شعره :

أهل نفسى بكتب الحديث * وأجل فيه لها الموعدا

وأشغل نفسى بتصنيفه * وفخر به دائماً سرمدا

فطوراً أصنفه في الشيو * خ وطوراً أصنفه مسنداً

وأفقر البخاري فيما حوا * وصنفه جامداً مجهدا

ومسلم إذ كان زين الامام * بتصنيفه مستلماً مرشدا

ومالاً فيه سوى أنى * أراه هوى صادق المقصد

وأرجو الثواب بكتب الصلاة • على السيد المصطفى أحدا

﴿ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد ﴾

أبو العباس الأيوبردي ، أحد أئمة الشافعية ، من تلاميذ الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، كانت له حلقة في جامع المنصور لفتيا ، وكان يدرس في قطعة الربيع ، وولى الحكم بغداد نيابة عن ابن الألفي ، وقد جمع الحديث ، وكان حسن الاعتقاد ، جميل الطريقة ، فصيح اللسان ، صبوراً على الفقر ، كما أنه ، وكان يقول الشعر الجيد ، وكان كما قال تعالى (يحبهم الجاهل اغنياء من التمتع تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً) توفي في جمادى الآخرة ، ودفن بمقبرة باب حرب :

﴿ أبو علي البندنجي ﴾

الحسن بن عبد الله بن يحيى ، الشيخ أبو علي البندنجي ، أحد أئمة الشافعية ، من تلاميذ أبي حامد أيضاً ، ولم يكن في أصحابه مثله ، فقه ودرس وأفتى وحكم ببغداد ، وكان ديناً ورعاً . توفي في جمادى الآخرة منها أيضاً .

﴿ عبد الوهاب بن عبد المزين ﴾

الحارث بن أسد ، أبو الصباح التميمي ، الفقيه الحنبلي الواعظ ، مع من أبيه أثراً مسلسلاً عن علي « الحنبلين : الذي يقبل على من أعرض عنه ، والثمان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال » ، توفي في ربيع الأول ، ودفن في مقبرة أحمد بن حنبل .

﴿ غريب بن محمد ﴾

ابن مفتي سيف الدولة أبو سنان ، كان قد ضرب السكة بالعمه ، وكان ملكاً متمكناً في الدولة ، وخلف خمسمائة ألف دينار ، وقام ابنه سنان بعده ، وهوى إليه قرواش ، واستقامت أموره ، توفي بالكركخ سابور من سبعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة ﴾

في محرما كثر تردد الأعراب في قطع الطرقات إلى حواشي بغداد وما حولها ، بحيث كانوا يسلبون النساء ما عليهن ، ومن أسروه أخفوا ما معه وطالبوه بفداء نفسه ، واستفحل أمر العيارين وكثرت شروهم ، وفي مستهل صفر زادت دجلة بحيث أرتفع الماء على الضياع ذراعين ، وسقط من البصرة في مدة ثلاثة نحو من ألفي دار . وفي شعبان منها ورد كتاب من مسعود بن محمود بأنه قد فتح قنصاً عظيماً في الهند ، وقتل منهم خمسين ألفاً وأسرى تسعين ألفاً ، وغنم شيئاً كثيراً ، ووقعت فتنة بين أهل بغداد والعيارين ، ووقع حريق في أماكن من بغداد ، واتسع الخرق على الراقع ، ولم ينج أحد من هؤلاء ولا من أهل خراسان .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿أحمد بن كليب الشاعر﴾

وهو أحمد من هلك بالمشق ، روى ابن الجوزي في المنتظم بسنده أن أحمد بن كليب هذا المسكين المتفرع عشق غلاما يقال له أسلم بن أبي الجعد ، من بني خلد^(١) وكان فيهم وزارة ، أي كانوا وزراء للملوك وحجلا ، فأنشد فيه أشعارا تحدث الناس بها ، وكان هذا الشاب أسلم يطلب العلم في مجالس المشايخ فلما بلغه عن ابن كليب ما قال فيه استنحى من الناس واقطع في دارهم ، وكان لا يجتمع بأحد من الناس ، فزاد غرام ابن كليب به حتى مرض من ذلك مرضا شديدا ، بحيث عادة منه الناس ، ولا يدرون ما به ، وكان في جملة من عاده بعض المشايخ من العلماء ، فسأله عن مرضه فقال : أنتم تعلمون ذلك ، ومن أي شيء مرضي ، وفي أي شيء دوائي ، لو زارني أسلم ونظر إلى نظرة ونظرة نظرة واحدة لبرأت ، فرأى ذلك العالم من المصلحة أن يودخل على أسلم وسأله أن يزوره ولو مرة واحدة خفيا ، ولم يزل ذلك الرجل العالم بأسلم حتى أجابه إلى زيارته ، فانطلقا إليه فلما دخلا حדר به ومحتة تخبين التلثم واستنحى من الخول عليه ، وقال للرجل العالم : لا أدخل عليه ، وقد ذكرني ونوه باسمي ، وهذا مكان ريبة وتهمة ، وأنا لا أحب أن أدخل مداخل التهم ، فحرص به الرجل كل الحرص لينخل عليه فأبى عليه ، فقال له : إنه ميت لا محالة ، فإذا دخلت عليه أحييته . فقال : يموت وأنا لا أدخل منخلنا يسخط الله علي ويقضيه ، وأبى أن يدخل ، وانصرف راجعا إلى دارهم ، فسنل الرجل على ابن كليب فذكر له ما كان من أمر أسلم معه ، وقد كان غلام ابن كليب دخل عليه قبل ذلك وبشره بقدوم معشوقه عليه ، ففرح بذلك جدا ، فلما تحقق رجبوه عنه اختلط كلامه واضطرب في نفسه ، وقال لذلك الرجل الساعي بينهما : اسمع يا أبا عبد الله واحفظ عني ما أقول ، ثم أنشده :

أسلم يراحة الليل * رقا على الماتم النحيل

وصلك أشهى إلى فوادي * من رقة الخالق للجليل

فقال له الرجل : ويحك اتق الله تعالى ، ما هذه العظيمة ؟ فقال : قد كان ما سمعت ، أو قال القول ما سمعت . قال ففرج الرجل من عنده فأتوسط الفار حتى مع الصراخ عليه ، وسمع صيحة الموت وقد فارق الدنيا على ذلك . وهن زلة شفاء ، وعظيمة سلماء ، وداهية دعياء ، ولولا أن هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتها ، ولكن فيها عبرة لأولى الألباب ، وتنبية لقوى البصائر والعقول ، أن يسألوا الله رحمته وعافيته ، وأن يستعينوا بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات إنه كريم جواد .

قال الحميدي : وأنشدني أبو علي بن أحمد قال : أنشدني محمد بن عبد الرحمن لأحمد بن كليب وقد أهدى إلى أسلم كتاب النصيح لتعليب :

(١) في النجوم الزاهرة : أسلم بن أحمد بن سعيد قاضي قضاة الاندلس .

هذا كتاب النصيح • بكل لفظ مليح • وهبته لك طوعا • كما وهبتك روعي

(الحسن بن أحمد)

ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران النزاز، أحد مشايخ الحديث،
مع الكثير، وكان ثقة صدوقا، جاء يوما شاب غريب فقال له : إني رأيت رسول الله ﷺ في
المنام فقال لي : اذهب إلى أبي علي بن شاذان فسلم عليه وأقره مني السلام . ثم انصرف الشاب فبكى
الشيخ وقال : ما أعلم لي حملا أستحق به هذا غير صبري على سماع الحديث ، وصلائي على رسول
الله ﷺ كما ذكر . ثم توفي بعد شهرين أو ثلاثة من هذه الرؤيا في محرمها ، عن سبع وعشرين سنة
ودفن بباب القدير .

(الحسن بن عثمان)

ابن أحمد بن الحسين بن سورة ، أبو عمر الواظع المعروف بابن النلو ، مع الحديث من جماعة .
قال ابن الجوزي : وكان يظن ، وله بلاغة ، وفيه كرم ، وأمر معروف ونهى عن منكر ، ومن شعره
قوله : دخلت على السلطان في دار عزه • بقدر ولم أجلب بخيل ولا رجل
وقلت : انظر وما بين قري وملكم • بمقدار ما بين الولاية والزل
توفي في صفر منها وقد قارب الثمانين ، ودفن بمقبرة حرب إلى جانب ابن السكك رحمه الله .

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمائة)

في المحرم منها تكاملت قطرة عيسى التي كانت سقطت ، وكان الذي ولي مشاركة الاتفاق عليها
الشيخ أبو الحسين القدوري الحنفي ، وفي المحرم وما بعده تقام أمر العيارين ، وكبسوا الدور
وتزايد شرم جدا .

وفيها توفي صاحب مصر الظاهر أبو الحسن علي بن الحاكم الفاطمي ، وله من العمر ثلاث وثلاثون
سنة ، وقام بالأمر من بعده ولده المستنصر وعمره سبع سنين ، واسمه معد ، وكنيته أبو تميم ، وتكمل
بأعيان المملكة بين يديه الأفضل أمير الجيوش ، واسمه بدر بن عبد الله الجمالي ، وكان الظاهر هذا
قد استوزر الصاحب أبا القاسم علي بن أحمد الجرجاني ، وكان مقطوع اليدين من المرقطين ، في سنة
ثمانى عشرة ، فاستمر في الوزارة مدة ولاية الظاهر ، ثم لولاه المستنصر ، حتى توفي الوزير الجرجاني
المدكور في سنة ست وثلاثين ، وكان قد سلك في وزارته العفة العظيمة ، وكان الذي يعلم عنه القاضي
أبو عبد الله القاضي صاحب كتاب الشهاب ، وكانت علامته الحمد لله شكرًا لنعمه ، وكان الذي
قطع يديه من المرقطين الحاكم ، بلخاية ظهرت منه في سنة أربع وأربعمائة ، ثم استعمله في بعض
الأعمال سنة تسع ، فلما قد الحاكم في السابع والعشرين من شوال ، سنة إحدى عشرة ، تنقلت
بالجرجاني المدكور الأحوال حتى استوزر سنة ثمانى عشرة كما ذكرنا ، وقد جهاه بعض الشعراء

قال : يا أجماع جمع وقل • ودع الرعاة والتحامق

أأقت نفسك في النقا • توهبك فياقلت صادق

أمن الأمانة والتقى • قطعت يدك من المرافق

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن إبراهيم التميمي ﴾

ويقال التميمي أيضا - وهو لقب أيضا وليس - بنسبة إلى النيسابوري المفسر المشهور ، له التفسير الكبير ، وله كتاب الرايس في قصص الأنبياء عليهم السلام ، وغير ذلك ، وكان كثير الحديث واسع السماع ، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير ، ذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في تاريخ نيسابور ، وأثنى عليه ، وقال : هو صحيح النقل موثق به ، توفي في سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وقال غيره : توفي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرم منها ، ورويت له منامات صالحة رحمه الله . وقال السمعاني : ونيسابور كانت منصبة فأمر سابور الثاني ببنائها مدينة .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ﴾

فيها خلع الخليفة على أبي تمام محمد بن محمد بن علي الزينبي ، وقلده ما كان إلى أبيه من قنابة العباسيين والصلابة . وفيها وقت الفقرة بين الجند وبين جلال الدولة وقطعوا خطبته وخطبة الملك أبي كاليجار ، ثم أطلوا الخطبة ، واستوزر أبا المالح بن عبد الرحيم ، وكان جلال الدولة قد جمع خلقا كثيرا معه ، منهم البساسيري ، وديس بن علي بن مرقد ، وقرأش بن مقلد ، وقازل ببغداد من جانبها الغربي حتى أخذها قهرا ، واصطلع هو وأبو كاليجار فأبى جلال الدولة على يدي قاضي القضاة الماوردي ، وتزوج أبو منصور بن أبي كاليجار ابنة جلال الدولة على صداق خمسين ألف دينار واتفقت كلمتهما وحسن حال الرعية . وفيها نزل مطر بيلاد قم الصلح ومعه مملوك ووزن السمكة رطل وطلان ، وفيها يمست ملك مصر بمال لأصلاح نهر بالكوفة إن أذن الخليفة الملبس في ذلك ، فجمع الخليفة الفقهاء وسألهم عن هذا المال فأفتوا بأن هذا المال في المسلمين ، يصرف في مصالحهم . فأذن في صرفه في مصالح المسلمين . وفيها ثار المياريون ببغداد وفتحوا السجن بالجانب الشرقي ، وأخذوا منه رجلا وقتلوا من رجال الشرطة شعبة عشر رجلا ، وانتشرت الشرور في البلد جدا . ولم يجمع أحد من أهل العراق وخراسان لاختلاف الكلمة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ القنوري أحمد بن محمد ﴾

ابن أحمد بن جعفر ، أبو الحسن القنوري الحنفي البغدادي ، سمع الحديث ولم يحدث إلا بشيء يسير . قال الخطيب : كتبت عنه . وقد تقدمت وفاته ، ودفن بداره في حرب خلف .

﴿ الحسن بن شهاب ﴾

ابن الحسن بن علي ، أبو علي المكبري ، الفقيه الحنبل الشافعي ، وقد سنة خمس وثلثين وثلثمائة

جمع من أبي بكر بن مالك وغيره ، وكان كما قال البرقاني همة أمينا ، وكان يسترزق من الوراقة - وهو النسخ - يقال إنه كان يكتب ديوان المتنبي في ثلاث ليال فيبسمه بمائتي درهم ، ولما توفي أخذ السلطان من تركته ألف دينار سوى الأملاك ، وكان قد أوصى بثلاث ماله في متفحة الخنابة ، فلم تصرف

﴿ لطف الله أحمد بن عيسى ﴾

أبو الفضل الهاشمي ، وثي القضاء والخطابة بنرب ربحان ، وكان ذا لسان ، وقد أضر في آخر عمره ، وكان يروي حكايات وأناشيد من حفظه ، توفي في صغر منها .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن علي بن موسى بن عبد المطلب ، أبو علي الهاشمي ، أحد أئمة الخنابة وفضلهم .

﴿ محمد بن الحسن ﴾

ابن أحمد بن علي أبو الحسن الأهوازي ، ويعرف بابن أبي علي الأصهبائي ، ولد سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ، وقدم بغداد وخرج له أبو الحسن النعماني أجزاء من حديثه ، فسمعا منه البرقاني ، إلا أنه بان كذبه ، حتى كان بعضهم يسميه جراب الكذب ، أقام ببغداد سبع سنين ، ثم عاد إلى الأهواز فأت بها

﴿ ميار الديلمي الشاعر ﴾

ميار بن مرزويه أبو الحسين الكاتب الفارسي ، ويقال له الديلمي ، كان مجوسياً فأسلم ، إلا أنه سلك سبيل الرافضة ، وكان ينظم الشعر القوي الفحل في مذاهبهم ، من سب الصحابة وغيرهم ، حتى قال له أبو القاسم بن برهان : يا ميار انتقلت من زاوية في النار إلى زاوية أخرى في النار ، كنت مجوسياً فأسلمت فصرت تسب الصحابة ، وقد كان منزله بنرب رياح من الكرخ ، وله ديوان شعر مشهور ، فمن مستجاد قوله :

أستنجد الصبر فيكم وهو مغلوب * وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب
وأبتنى عندكم قلباً سمحت به * وكيف يرجع شيء وهو موهوب
ما كنت أعرف مقدار حبكم * حتى هجرت وبعض الحجر تأديب
ولم يبار أيضاً : أجارتنا بالفور والركب منهم * أيلم خال كيف بات النيم
رحلتهم وجر القلب فينا وفيكم * سواء ولكن ساهرون وتوهم
فبتتم عنا ظاعنين وخلفوا * قلوباً بأت أن تعرف الصبر عنهم
ولما خلى التوديع عما حنونه * ولم يبق إلا نظرة لي نغم
بكيت على الزادى وحرمت ماله * وكيف به ماء وأكثر دم

قال ابن الجوزي : ولما كان شعره أكثره جيذا اقتصرت على هذا القدر . توفي في جمادى

أبو الحسين المعروف بالحاجب ، كان من أهل الفضل والأدب والدين ، وله شعر حسن ، فنه قوله :

يا ليلة سلك الزما • ن في طيها كل مسلك
إذ ترقى روى المسر • ة مدركا ما ليس يدرك
والبدر قد فضح الزما • ن وسره فيه مهتك
وكأنما زهر النجو • م يلعبها شعل تحرك
والنبيب أحيانا يلو • ح كأنه ثوب ممسك
وكان نجيد الريا • ح لليلة ثوب مفرك
وكان نشر المسك • ينفع في النسيم إذا تحرك
وكأنما المنثور مصفر • القدرى ذهب مسبك
والنور يسم في الريا • ض كان نظرت إليه مسرك
شارطت نفسى أن أفر • م بمحتها والشرط أملك
حتى تولى الليل • نهز ما وجاه الصبح يضحك
وذا الفتى لو أنه • في طيب العيش يترك
والهجر يحسب عمره • فاذا أله الشيب فنك

الطبيب الفيلسوف ، الحسن بن عبد الله بن سينا الرئيس ، كان بارعا في الطب في زمانه ، كان أبوه من أهل بلخ ، وانتقل إلى بخارى ، واشتغل بها قرأ القرآن وأهنته ، وهو ابن عشر سنين ، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة وإقليدس والجسطى ، ثم اشتغل على أبي عبد الله الناطلي الحكيم ، فبرع فيه وفاق أهل زمانه في ذلك ، وتردد الناس إليه واشتغلوا عليه ، وهو ابن ست عشرة سنة ، وطالع بعض الملوك السامانية ، وهو الأمير نوح بن نصر ، فأعطاه جائزة سنوية ، وحكه في خزانة كتبه ، فرأى فيها من المجائب والحماض ما لا يوجد في غيرها ، فيقال إنه عزا بعض تلك الكتب إلى نفسه ، وله في الآليات والطبيعات كتب كثيرة ، قال ابن خلكان : له نحو من مائة مصنف ، صغار وكبار ، منها القانون ، والشفاء ، والنجاة ، والإشارات ، وسلامان ، وإنسان ، وحى بن يقظان ، وغير ذلك . قال وكان من فلاسفة الاسلام ، أورد له من الأشعار قصيدته في نفسه التي يقول فيها :

هبطت إليك من المقام الأرفع • ووطاء ذات تمزز وتنع
محبوبة عن كل مقلّة عارف • وهى التي سمرت ولم تتبرقع

وصلت على كره إليك وربما • كرهت فراقك وهي ذات تمنع
وهي قصيدة طويلة وله :

اجعل قبضاك كل يوم مرة • واحتر طعابا قبل هضم طعام
واحفظ منيك ما استنطعت فاته • ماء الحياة براق في الارحام

وذكر أنه مات بالقولنج في همدان ، وقيل بأصبهان ، والأول أصح ، يوم الجمعة في شهر رمضان
منها ، عن ثمان وخمسين سنة . قلت : قد حصر الفزالي كلامه في مقاصد الفلاسفة ، ثم رد عليه في
تهافت الفلاسفة في عشرين مجلساً له ، كفره في ثلاث منها ، وهي قوله بقسم العالم ، وعدم الماد
الجنائي ، وأن الله لا يعلم الجزئيات ، وبدعه في البواقى ، ويقال إنه قاب عند الموت فله أعلم .

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمائة)

فيها كان بدو ملك السلاجقة ، وفيها استولى ركن الدولة أبو طالب طغرل بك محمد بن ميكائيل بن
سلجوق ، على نيسابور ، وجلس على سرير ملكها ، وبث أخاه داود إلى بلاد خراسان فلحقها ،
وانتزعها من ثواب الملك مسعود بن محمود بن ميكائيل . وفيها قتل جيش المصريين لصاحب حلب
وهو شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس ، واستولوا على حلب وأعمالها . وفيها سأل جلال الدولة
الخليفة أن يلتب ملك الدولة ، فأجابه إلى ذلك بعد تمنع . وفيها استدعى الخليفة بالقضاة والفقهاء
وأحضر جاثليق النصارى ورأس جالوت اليهود ، وأزموا بالنصار . وفي رمضان منها لقب جلال الدولة
شاهنشاه الأعظم ملك الملوك ، بأمر الخليفة ، وخطب له بذلك على المنابر ، فنزلت العامة من ذلك
ورموا الخطباء بالأجر ، ووقعت فتنة شديدة بسبب ذلك ، واستفتوا القضاة والفقهاء في ذلك فأفتى
أبو عبد الله الصيمري أن هذه الأسماء يعتبر فيها التقصد والنية ، وقد قال تعالى (إن الله قد بث لكم
طالوت ملكاً) وقال (وكان وراءهم ملك) وإذا كان في الأرض ملوك جاز أن يكون بعضهم فوق
بعض ، وأعظم من بعض ، وليس في ذلك ما يوجب التكبر والمماثلة بين الخلق والخلق . وكتب
القاضي أبو الطيب الطبري أن إطلاق ملك الملوك جائز ، ويكون معناه ملك ملوك الأرض ، وإذا
جائز أن يقال كافي الكفاة وقاضى القضاة ، جاز أن يقال ملك الملوك ، وإذا كان في القضاة ما يدل على
أن المراد به ملوك الأرض زالت الشبهة ، ومنه قولهم : اللهم أصليح الملك ، فيصرف الكلام إلى
الخلق . وكتب التميمي الحبلى نحو ذلك ، وأما الماوردي صاحب الخواص الكبير فقد قل عنه أنه
أجاز ذلك أيضاً ، والمشهور عنه ما نقله ابن الجوزي والشيخ أبو منصور بن الصلاح في أدب المتق أن
منع من ذلك وأصر على المنع من ذلك ، مع صحته للملك جلال الدولة ، وكثرة ترعاده إليه ، ووجاهته
عنده ، وأنه امتنع من الحضور عن مجلسه حتى استمداه جلال الدولة في يوم عيد ، فلما دخل عليه ،

دخل وهو وجل خائف أن يقع به مكروها ، فلما واجهه قال له جلال الهولة : قد علمت أنه إنما منكم من مواقة الذين جوزوا ذلك مع صحبتك إياي ووجهاتك عندي ، دينك واتباعك الحق ، وإن الحق أثر عندك من كل أحد ، ولو حاييت أحدا من الناس لحاييتي ، وقد زادك ذلك عندي محبة ومحبة ، وعلو مكانة .

قلت : والذي حل القاضي الماوردي على المنع هو السنة التي وردت بها الأحاديث الصحيحة من غير وجه . قال الامام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « أخرج اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى بملك الأملاك » . قال الزهري : سألت أبا عمرو الشيباني عن أخرج اسم قال : أوضع . وقد رواه البخاري عن علي بن المدني عن ابن عيينة ، وأخرجه مسلم من طريق همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « أغبط رجل على الله يوم القيامة وأخيه رجل تسمى ملك الأملاك لا ملك إلا الله عز وجل » . وقال الامام أحمد : حدثني محمد بن جعفر حدثنا عوف عن جلاس عن أبي هريرة ، قال قال رسول الله ﷺ « اشتد غضب الله على من قتله نبي ، واشتد غضب الله على رجل تسمى بملك الأملاك ، لا ملك إلا الله عز وجل » .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الثمالي صاحب يقيمة الدهر ﴾

أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثمالي النيسابوري ، كان إماماً في الفقه والأخبار وأيام الناس ، بارعاً مفيداً ، له التصانيف الكبار في النظم والنثر والبلاغة والفصاحة ، وأكبر كتبه يقيمة الدهر في محاسن أهل مصر . وفيها يقول بعضهم :

أبيات أشعار البيتية • أبكار أفكار قديمة

ماتوا وطاشت بدم • فذلك مميت البيتية

وإنما ممي الثمالي لأنه كان رفاة يخيظ جلود الثمالب ، وله أشعار كثيرة مليحة ، وله سنة خمسين وثلاثمائة ، ومات في هذه السنة .

﴿ الأستاذ أبو منصور ﴾

عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، البغدادي الفقيه الشافعي ، أحد الأئمة في الأصول والفروع ، وكان ماهراً في فنون كثيرة من العلوم ، منها علم الحساب والفرائض ، وكان ذاملاً وثروة أفنته كله على أهل العلم ، وصنف ودرس في سبعة عشر علماً ، وكان اشتغاله على أبي إسحاق الاسفرائيني ، وأخذ عنه ناصر الروزي وغيره . ثم دخلت سنة ثلاثين وأربعمائة

فيها التقى الملك مسعود بن محمود ، والملك طغرل بك السلجوقي ، ومعه أخوه داود ، في شعبان ،

فهرزهما مسعود ، وقتل من أصحابها خلقا كثيرا . وفيها خطب شبيب بن ريان للقائم بالمبايعة بمران والرجبة وقطع خطبة الفاطمي العبيدي . وفيها خطب أبو منصور بن جلال الدولة بالملك العزيز ، وهو مقيم بواسط ، وهذا العزيز آخر من ملك بغداد من بني بويه ، لما طعنوا وغردوا وبغوا وتسموا بملك الأملاك ، فسلمهم الله ما كان أنعم به عليهم ، وجعل الملك في غيرهم ، كما قال الله تعالى (إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيره ما بأفئسهم) الآية . وفيها خلع الخليفة على القاضي أبي عبد الله بن ما كولا خلمة تشريف . وفيها وقع تلج عظيم ببغداد مقدار شهر . قال ابن الجوزي : وفي جمادى الآخرة تملك بنو ساجوق بلاد خراسان والجيل ، وتسموا الأطراف ، وهو أول ملك السلجوقية ولم يخرج أحد فيها من العراق وخراسان ، ولا من أهل الشام ولا مصر إلا القليل .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الخافظ أبو نعيم الأصبهاني ﴾

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران ، أبو نعيم الأصبهاني ، الخافظ الكبير ذو التصانيف المفيدة الكثيرة الشهيرة ، منها حلية الأولياء في مجلدات كثيرة ، دلت على اتساع روايته ، وكثرة مشايخته ، وقوة اطلاعه على مخارج الحديث ، وشعب طرقه ، وله معجم الصحابة ، وهو عندى بجمعه ، وله صفة الجنة ودلائل النبوة ، وكتاب في الطب النبوى ، وغير ذلك من المصنفات المفيدة . وقد قال الخطيب البغدادي : كان أبو نعيم يخطط المسموع له بالجاز ، ولا يوضح أحدهما من الآخر . وقال عبد العزيز النخشبي : لم يسمع أبو نعيم مسند الحارث بن أبي أسامة من أبي بكر بن خلاد بنهماء ، فحدث به كله ، وقال ابن الجوزي : سمع الكثير وصنف الكثير ، وكان يميل إلى منهج الأشعري في الاعتقاد ميلا كثيرا ، توفي أبو نعيم في الثامن والعشرين من المحرم منها عن أربع وتسعين سنة رحمه الله ، لأنه ولد فيها ذكره ابن خلكان في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة . قال وله تاريخ أصبهان . وذكر أبو نعيم في ترجمة والده أن مهران أسلم ، وأن ولاءهم لمبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب . وذكر أن معنى أصبهان وأصله بالفارسية شاهان ، أى جمع المساك ، وأن الاسكندر بنها

﴿ الحسن بن حفص ﴾

أبو الفتح العلوي أمير مكة الحسن بن الحسين ، أبو على البرجمي ، وذر لشرف الدولة قسطين ثم عزل ، وكان عظيم الجاه في زمانه ، وهو الذى بنى مارستان واسط ، ورتب فيه الأشربة والأطباق والأدوية ، ووقف عليه كفايته . توفي في هذه السنة وقد قارب الثمانين رحمه الله .

﴿ الحسين بن محمد بن الحسن ﴾

ابن على بن عبد الله المؤدب ، وهو أبو محمد الظلال ، سمع صحيح البخارى من إسماعيل بن محمد التكمشبهني ، وسمع غيره ، توفي في جمادى الأولى ودفن بباب حرب .

﴿عبد الملك بن محمد﴾

ابن عبد الله بن محمد بن بشر بن مهران ، أبو القاسم الواقفي ، سمع النجاد ودعلج بن أحمد والآجري وغيرهم ، وكان ثقة صدوقا ، وكان يشهد عند الحكام فترك ذلك رغبة عنه ورغبة من الله ، ومات في ربيع الآخر منها ، وقد جاوز التسعين ، وصلى عليه في جامع الرصافة ، وكان الجمع كثيرا حافلا ، ودفن إلى جانب أبي طالب المكي ، وكان قد أوصى بذلك .

﴿محمد بن الحسين بن خلف﴾

ابن الفراء ، أبو حازم القاضى أبو يعلى الحنبلى ، سمع الدارقطنى وابن شاهين ، قال الخطيب : كان لا بأس به ، ورأيت له أصولا سمعها فيها ، ثم إنه بلغنا أنه خلط في الحديث بمصر واشترى من الوراقين صحفا فروى منها ، وكان ينهب إلى الاعتزال . توفى بقتيس من بلاد مصر .

﴿محمد بن عبد الله﴾

أبو بكر الدينورى الزاهد ، كان حسن العيش ، وكان ابن التزوينى يثق عليه ، وكان جلال الدولة صاحب بغداد يزوره ، وقد سأله مرة أن يطلق فلان مكث الملح ، وكان مبلغه ألفى دينار فتركه من أجله ، ولما توفى اجتمع أهل بغداد لجنائزته وصلى عليه مرات ، ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى .

﴿الفضل بن منصور﴾

أبو الرضى ، ويعرف بابن الطريف ، وكان شاعرا ظريفا ومن شعره قوله :

يا قالة الشعر قد نصحت لكم • ولست أدعى إلا من النصيح
قد ذهب الدهر بالكرام • وفى ذاك أمور طويلة الشرح
أطلبون النوال من رجل • قد طبعت نفسه على الشح
وأنتم تمدحون بالحسن والظرف • وجوها فى غاية التبجح
من أجل ذا فخرمون رزقكم • لأنكم تكذبون فى المنسج
صوتوا القوافى فما أرى • أحدا يشتر فيه بالنسج
فإن شككنم فيما أقول لكم • فكذبونى بواحد سمح

﴿هبة الله بن على بن جعفر﴾

أبو القاسم بن ماكولا ، وزر جلال الدولة مرارا ، وكان حافظا للقرآن ، طارفا بالشعر والأخبار ، خفى هيبته فى جمادى الآخرة منها .

﴿أبو زيد الديوبى﴾

عبد الله بن عمر بن عيسى الفقيه الحنفى ، أول من وضع علم الخلاف وأبرزه إلى الوجود . قاله

ابن خلكان ، وكان يضرب به المثل ، والهدوس نسبة إلى قرية من أعمال بخارى ، قال : وله كتاب الأسرار والتعويج للدالة ، وغير ذلك من التصانيف والتعاليق ، قال وروى أنه ناظر قتها فيبقى كلما ألزمه أبو زيد إلزاماتيسم أو ضحك ، فأنشد أبو زيد في ذلك :

مالى إذا ألزمته حجة • فأبلى بالضحك والتهمة

إن ضحك المرء من قهه • فألب بالصحراء ما أقهه

﴿ الحوفى صاحب إعراب القرآن ﴾

أبو الحسن على بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفى النحوى ، له كتاب فى النحو كبير ، وإعراب القرآن فى عشر مجلدات ، وله تفسير القرآن أيضاً ، وكان إماماً فى المرية والنحو والأدب وله تصانيف كثيرة ، اشتهر بها الناس . قال ابن خلكان : والحوفى نسبة لناعية بمصر يقال لها الشرقية ، وقصبتها مدينة بليس ، فجميع ريفها يسمون حوف ، واحدم حوفى وهو من قرية يقال لها شبرا النخلة من أعمال الشرقية المذكورة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها زادت حجة زيادة عظيمة بحيث حملت الجسر ومن عليه فألقتهم بأسفل البلد وسدوا ، وفيها وقع بين الجند وبين جلال الدولة شغب ، وقتل من الفريقين خلق ، وجرت شرور يطول ذكرها . ووقع فساد عريض واتسع انطرق على الزائع ، ونهبت دور كثيرة جداً ، ولم يبق للملك عندم حرمة ، وضلت الأسمار . وفيها زار الملك أبوطاهر مشهد الحسين ، ومشى حافياً فى بعض تلك الأزوار . ولم يصب أحد من أهل العراق . وفيها بئث الملك أبو كاليبج وزيره العادل إلى البصرة فلحقها له .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ إسماعيل بن أحمد ﴾

ابن عبد الله أبو عبد الرحمن الضرير النخوى ، من أهل نيسابور ، كان من أعيان الفضلاء الأذكياء ، والنفقات الأمراء ، قدم بغداد حاجاً فى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، قرأ عليه الخطيب جميع صحيح البخارى فى ثلاث مجالس بروايته له عن أبى الهيثم الكشميهنى ، عن الفربرى عن البخارى ، توفى فيها وقد جاوز التسعين .

﴿ بشرى الفاتنى ﴾

وهو بشرى بن مسيس من سبى الروم ، أهداه أمراء بنى حمدان الفاتنى غلام المطيع ، فأدبه وسمع الحديث عن جماعة من المشايخ ، وروى عنه الخطيب . وقال : كان صدوقاً صالحاً ديناً ، توفى يوم عيد الفطر منها رحمه الله ﴿ محمد بن على ﴾

ابن أحمد بن يعقوب بن مروان أبو الملاء الواسطى ، وأصله من قم الصليح ، سمع الحديث وقرأ

القرأت ورواها، وقد تمكنوا في روايته في القراءات والحديث فله أعلم. توفي في جمادى الآخرة منها وقد جاوز الثمانين .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها عظم شأن السلجوقية ، وارتفع شأن ملكهم طغرل بك ، وأخيه داود ، وهما ابنا ميكائيل بن سلجوق بن بئاق ، وقد كان جدم بئاق هذا من مشايخ الترك القدماء ، الذين لهم رأى ومكينة ومكانة عند ملكهم الأعظم ، ونشأ وله سلجوق نجيباً شهياً ، قدمه الملك ولقبه شبامى ، فأطاعته الجيوش وأقاده له الناس بحيث نخوف منه الملك وأراد قتله ، فهرب منه إلى بلاد المسلمين ، فأسلم فازداد عزاً وعلواً ، ثم توفي عن مائة وسبع سنين ، وخلف أرسلان وميكائيل وموسى ، فأما ميكائيل فانه اعتنى بقتال الكفار من الأتراك ، حتى قتل شهيداً ، وخلف ولديه طغرل بك محمد ، وجعفر بك داود ، فعظم شأنهما في بنى عمهما ، واجتمع عليهما الترك من المؤمنين ، وهم ترك الإيمان الذين يقول لهم الناس تركان ، وهم السلاجقة بنو سلجوق جدم هذا ، فأخذوا بلاد خراسان بكملها بعد موت محمود بن سبكتكين ، وقد كان يتخوف منهم محمود بعض التخوف ، فلما مات وقام ولده مسعود بعدهم قاتلهم وقتلوه ممراراً ، فكانوا يهزمونهم في أكثر المواقع ، واستكمل لهم ملك خراسان بأسرها ، ثم قصد مسعود في جنود يعنق بهم الفضاء فكسروه ، وكبسه مرة داود فانهزم مسعود فاستحوذ على حواصله وخيامه ، وجلس على سريرته ، وفرق الغنائم على جيشه ، ومكث جيشه على خيولهم لا ينزلون عنها ثلاثة أيام ، خوفاً من دمه المدو ، وبئس هذا تم لهم ما راموه ، وكل لهم جميع ما أملوه ، ثم كان من سعادتهم أن الملك مسعود توجه نحو بلاد الهند لسي بها وترك مع ولده مودود جيشاً كثيفاً بسبب قتال السلاجقة ، فلما عبر الجسر الذى على سيحون نهبت جنوده حواصله ، واجتمعوا على أخيه محمد بن محمود ، وخملوا مسعوداً فرجع إليهم مسعود فقاتلهم فهزموه وأسروه ، فقال له أخوه : والله لست بقاتلك على شريعتك إلى ، ولكن اختر لنفسك أى بلد تكون فيه أنت وعيالك ، فاختار قلعة كبرى ، وكان بها ، ثم إن الملك محمد أخا مسعود جعل لولده الأسر من بعده ، وبأيع الجيش له ، وكان ولده اسمه أحمد ، وكان فيه هرج ، فاتفق هو ويوسف بن سبكتكين على قتل مسعود ليصنوه لهم الأمر ، ويتم لهم الملك ، فسار إليه أحمد من غير علم أبيه فقتله ، فلما علم أبوه ببنك غافله وعتب على ابنه عتبا شديداً ، وبعث إلى ابن أخيه يمتنر إليه ويقسم له أنه لم يعلم ببنك ، حتى كان ما كان . فكتب إليه مودود بن مسعود : رزق الله ولك المتوه عقلاً يعيش به ، قد ارتكب أمراً عظيماً ، وقدم على إراقة دم مثل والدى الذى لقبه أمير المؤمنين بسيد الملوك والسلاطين ، وستعلمون أى حيف نورطم ، وأى شر تأبستم (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) ثم سار إليهم في جنود قاتلهم قهرهم

وأُسرم ، قُتِلَ عَمَهُ مُحَمَّدًا وَابْنَهُ أَحْمَدَ وَبَنَى عَمَهُ كُلَّهُمْ ، إِلَّا عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَخَلَقًا مِنْ رُؤُوسِ أُمَرَائِهِمْ ، وَابْتَقَى قَرْيَةَ هُنَالِكَ وَسَنَاهَا قَنْحًا أَبَازًا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى غَزَاةٍ فَدَخَلَهَا فِي شَعْبَانَ ، فَأَظْهَرَ الْعَدَلَ وَسَلَكَ سِيرَةَ جَدِّهِ مُحَمَّدٍ ، فَأَطَاعَهُ النَّاسُ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ الْأَطْرَافِ بِالْإِقْدَادِ وَالِاتِّبَاعِ وَالطَّاعَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَهْلَكَ قَوْمَهُ بِيَدِهِ ، وَهَذَا مِنْ جِلَّةِ سَمَادَةِ السَّلَاجَةِ .

وَفِيهَا اخْتَلَفَ أَوْلَادُ حَمَادٍ عَلَى الْعَزِيزِ يَادِيسَ صَاحِبِ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ لِمُحَاصَرِهِمْ قَرْيَةً مِنْ سَمْتَيْنِ ، وَوَقَعَ بِإِفْرِيقِيَّةَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ غَلَاءٌ شَدِيدٌ بِسَبَبِ تَأَخُّرِ الْمَطَرِ ، وَوَقَعَ بِبَقْدَادَ قَتْلَةُ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الرَّاغُضِ وَالسَّنَةِ مِنْ أَهْلِ الْكُرْخِ ، وَأَهْلِ بَابِ الْبَصْرَةِ ، قُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ . وَلَمْ يَبْصُحْ أَحَدٌ مِنَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَخِرَاسَانَ .

وَمِنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ . ﴿ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ﴾

ابْنُ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، أَبُو يَمَلٍ الْبَصْرِيُّ الصُّوفِيُّ ، أَذْهَبَ عَمْرَهُ فِي الْأَسْفَارِ وَالتَّغْرِيبِ ، وَقَسَمَ بِبَقْدَادَ فِي سَنَةِ ثَمْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ ، فَخُذَّ بِهَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي الْحَدِيدِ الْعَمَشِيِّ ، وَأَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ جَمِيعِ النَّسَائِيِّ ، وَكَانَ ثَقَّةً صِدْقًا دِينًا حَسَنَ الشَّرِّ .

﴿ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعًا ﴾

فِيهَا مَلَكَ طُغْرُ بَلَكُ جَرَجَانَ وَطَبْرِسْتَانَ ، ثُمَّ حَادَ إِلَى نَيْسَابُورَ مَوْيِدًا مَنصُورًا . وَفِيهَا وَلَّى ظَهْرِي الدُّوَلَةَ بَنَ جَلَالُ الدُّوَلَةِ أَبِي جَسْفَرٍ بَنَ كَالُوِيَهَ بِمَدِ وَفَاةَ أَبِيهِ ، فَوَقَعَ اخْتِلَافٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُخْرِيَهَ أَبِي كَالِيَجَارَ وَكَرْسَانِيَفَ . وَفِيهَا دَخَلَ أَبُو كَالِيَجَارَ هَمْدَانَ وَدَفَعَ الْغَزَاةَ . وَفِيهَا شَعَثَ الْأَكْرَادُ بِبَقْدَادَ لِسَبَبِ تَأَخُّرِ الْمَطَرِ عَنْهُمْ . وَفِيهَا سَقَطَتْ قَطْرَةٌ بَيْنَ زُرَيْقٍ عَلَى نَهْرِ عَيْسَى ، وَكَذَلِكَ الْقَنْطَرَةُ الْكَثِيفَةُ الَّتِي تَقَابِلُهَا . وَفِيهَا دَخَلَ بِبَقْدَادَ رَجُلٌ مِنَ الْبُلْغَارِ بِرِيدِ الْحِجِّ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ كِبَارِهِمْ ، فَأَنْزَلَ بِبَدَارِ الْخَلِيفَةِ وَأَجْرَى عَلَيْهِ الْأَرْزَاقَ ، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ مَوْفُونَ مِنَ التُّرْكِ وَالصَّقَالِبَةِ ، وَأَنَّهُمْ فِي أَقْصَى بِلَادِ التُّرْكِ ، وَأَنَّهُمْ أَنْتَهَارُ يَقْصُرُ عَنْهُمْ حَتَّى يَكُونَ سِتُّ سَاعَاتٍ ، وَكَذَلِكَ اللَّيْلُ ، وَعِنْدَهُمْ عِيُونٌ وَزُرُوعٌ وَغَمَارٌ ، عَلَى غَيْرِ مَطَرٍ وَلَا سَقَى . وَفِيهَا قَرَى . الْإِعْتِقَادُ الْقَادِرِيُّ الَّتِي جَمَعَ الْخَلِيفَةُ الْقَادِرُ ، وَأَخَذَتْ خَطُوطُ الْعُلَمَاءِ وَالزَّهَادِ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ إِعْتِقَادُ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَنْ خَالَفَهُ فَسَقٌ وَكَفَرٌ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَمْرِو الْقَزْوِينِيُّ ، ثُمَّ كَتَبَ بَعْدَهُ الْعُلَمَاءُ ، وَقَدْ سَرَدَهُ الشَّيْخُ أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ الْجَوَازِيِّ بِتَابِهِ فِي مَنْتَقَلِهِ ، وَفِيهِ جَمَلَةٌ جَيِّدَةٌ مِنْ إِعْتِقَادِ السَّلَفِ .

وَمِنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ . ﴿ بَهْرَامُ بْنُ مَنَافِيَةَ ﴾

أَبُو مَنصُورٍ الْوُزَيْرُ لِأَبِي كَالِيَجَارَ ، كَانَ عَفِيفًا نَزْهًا مَيِّنًا ، عَادِلًا فِي سِيرَتِهِ ، وَقَدْ وَقَفَ خَزَانَةُ

كتب في مدينة فيروزآباد ، تشتمل على سبعة آلاف مجلد ، من ذلك أربعة آلاف ورقة بخط أبي
على وأبي عبد الله بن مقلة ^(١) .

(محمد بن جعفر بن الحسين)

المعروف بالجهرى ، قال الخطيب : هو أحد الشعراء الذين لقيناهم وسمننا منهم ، وكان يجيد القول ،
ومن شعره : يا ويح قلبي من تقلبه • أبدا نحن إلى معذبه
قالوا كنمت هواه عن جلد • لو أن لى جلد لبحث به
ما بى جننت غير مكترث • عفى ولكن من تقيبه
حسى رضاه من الحياة وما • يلقى وموى من تغضبه
(مسعود الملك بن الملك محمود)

ابن الملك سبكتكين ، صاحب غزنة وابن صاحبها ، قتله ابن عمه أحمد بن محمد بن محمود ، فانتقم
له ابنه مودود بن مسعود ، قتل قاتل أبيه وعمه وابن عمه وأهل بيته ، من أجل أبيه ، واستتب له
الأمر وحده من غير منازع من قومه كما تقدم (بنت أمير المؤمنين المتقى بالله) تأخرت مدتها حتى
توفيت في هذه السنة في رجب منها عن إحدى وتسعين سنة ، ولجريم الظاهر ، ودفنت بالرصافة .

(ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة)

فيها أمر الملك جلال الدولة أبا طاهر ببجاية أموال الجوالى ، ومنع أصحاب الخليفة من قبضها ،
فأزعج لذلك الخليفة القائم بالله ، وعزم على الخروج من بغداد . وفيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة
تبريز ، فهدمت قلعتها وسورها ودورها ، ومن دار الامارة طمة قصورها ، ومات تحت الهدم خمسون
ألفا ، وليس أهلها الموح لثمة مصابهم . وفيها استولى السلطان طغرل بك على أكثر البلاد الشرقية
من ذلك مدينة خوارزم ودهستان وطيس والرى وبلاد الجبل وكرمان وأعمالها ، وقزوین . وخطب
له في تلك النواحي كلها ، وعظم شأنه جدا ، واتسع صيته . وفيها ملك سبك بن صالح بن مرداس
حلب ، أخذها من الفاطميين ، فبعث إليه المصريون من حاربه . ولم يحج أحد من أهل العراق
وغيرها ، ولا في القوافى قبلها .

(أبو خروى)

ومن توفى فيها من الأعيان .
عبد الله بن أحمد بن محمد الحافظ المالكي ، سمع الكثير ورحل إلى الأقاليم ، وسكن مكة ، ثم
تزوج في العرب ، وكان يحج كل سنة ويقيم بمكة أيام الموسم ويسمع الناس ، ومنه أخذ المغاربة
منهيب الأشعرى عنه ، وكان يقول إنه أخذ منهيب مالك عن الباقلاني ، كان حافظا ، توفى في

(١) كذا في الاصل . وابن مقلة هو أبو على محمد بن على .

ذى القعدة .

(محمد بن الحسين)

ابن محمد بن جعفر ، أبو الفتح الشيباني المطار ، ويرف بقطيط ، سافر الكثير إلى البلاد ، ومع الكثير ، وكان شيخا غلظ رفا ، سلك طريق التصوف ، وكان يقول : لما ولدت سميت قطيطا على أساء البادية ، ثم سماني بعض أهل محمد آ .

(ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة)

فيها ردت الجوالى إلى نواب الخليفة . وفيها ورد كتاب من الملك طغرل بك إلى جلال الدولة يأمره بالاحسان إلى الرعايا والوصاة بهم ، قبل أن يحل به ما يسوءه .

(ذكر ملك أبى كالجيار بغداد بعد وفاة أخيه جلال الدولة)

وفيها توفى جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة ، فلك بغداد بعده أخوه سلطان الدولة أبو كالجيار بن بهاء الدولة ، وخطب له بها عن عملاء أمرائها ، وأخرجوا منها الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة ، فتنقل في البلاد وتسرب من مملكته إلى غيرها حتى توفى سنة إحدى وأربعين ، وحل دفن عند أبيه بمقابر قرش . وفيها أرسل الملك مودود بن مسعود عسكريا كشيئا إلى خراسان فيروز إليهم ألب أرسلان بن داود السلجوقي فاقنتلا قتالا عظيما ، وفي صفر منها أسلم من الترك الذين كانوا يطرُقون بلاد المسلمين نحو من عشرة آلاف خركة ، وضحو في يوم عيد الأضحى بمشرين ألف رأس من الغنم ، وتفرقوا في البلاد ، ولم يسلم من خطأ والتتر أحد وهم بنواحي الصين . وفيها نفى ملك الروم من القسطنطينية كل غريب له فيها دون العشرين سنة . وفيها خطب المعز أبو عميم صاحب إفريقية ببلاد الخليفة المباسي ، وقطع خطبة الفاطميين وأحرق أعلامهم ، وأرسل إليه الخليفة اتخلع والواء المنشور ، وفيه تعظيم له وثناء عليه . وفيها أرسل القائم بأمر الله أبا الحسن على بن محمد ابن حبيب الماوردي قبل موت جلال الدولة إلى الملك طغرل بك ليصلح بينه وبين جلال الدولة وأبى كالجيار ، فسار إليه فالتقاء بمرجان فقتله الملك على أربعة فراسخ إكراما للخليفة ، وأقام عنده إلى السنة الآتية . فلما قدم على الخليفة أخبره بطاعته وإكرامه لأجل الخليفة .

(الحسين بن عثمان)

وفيها توفى من الأحيان

ابن سهل بن أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف العجلي ، أبو سميد أحد الرجالين في طلب الحديث إلى البلاد المتباعدة ، ثم أقام ببغداد مدة وحدث بها ، وروى عنه الخطيب ، وقال : كان صدوقا ، ثم انتقل في آخر عمره إلى مكة فأقام بها حتى مات في شوال منها .

(عبد الله بن أبى الفتح)

أحمد بن عثمان بن الفرّج بن الأزهر ، أبو القاسم الأزهرى ، الحافظ المحدث المشهور ، ويعرف

باب السواري ، سمع من أبي بكر بن مالك وخلق يطول ذكركم ، وكان ثقة صدوقاً ، ديناً ، حسن الاعتقاد والسيرة ، توفي ليلة الثلاثاء تاسع عشر صفر منها عن ثمانين سنة وعشرة أيام .

(الملك جلال الدولة)

أبو طاهر بن بهاء الدولة بن بويه الديلمي ، صاحب العراق ، كان يحب العباد ويזורم ، ويلتصم الدعاء منهم ، وقد نكب مرات عديدة ، وأخرج من داره ، وقارة أخرجه من بغداد بالكلية ، ثم يعود إليها حتى اعتراه وجع كبده فأت من ذلك في ليلة الجمعة خامس شعبان منها ، وله من العمر إحدى وخمسين سنة وأشهر ، تولى العراق من ذلك سنة عشرة سنة وإحدى عشر شهراً والله أعلم .

(ثم دخلت سنة ست وثلاثين وأربعمائة)

فيها دخل الملك أبو كالبجار بغداد وأمر بضرب الطبل في أوقات الصلوات الخمس ، ولم تكن الملوك تفعل ذلك ، إنما كان يضرب لمعضد الدولة ثلاث أوقات ، وما كان يضرب في الأوقات الخمس إلا للخليفة ، وكان دخوله إليها في رمضان ، وقد فرق على الجند أموالاً جزيلة ، وبعث إلى الخليفة بمشرة آلاف دينار ، وخلع على مقدمي الجيوش وهم البساسيري ، والنشاورى ، والهمام أبو الققاء ، وبقية الخليفة محيي الدولة ، وخطب له في بلاد كثيرة بأمر ملوكها ، وخطب له بهمنان ، ولم يبق لنواب طغرل بك فيها أمر . وفيها استوزر طغرل بك أبا القاسم عبد الله الجرجيني ، وهو أول وزير وزر له . وفيها ورد أبو نصر أحمد بن يوسف الصاحب مصر ، وكان يهودياً فأسلم بعد موت الجرجاني . وفيها تولى هبة الطالبين أبو أحمد بن عدنان بن الرضى ، وذلك بعد وفاة عمه المرقضى . وفيها ولي القضاء أبو الطيب الطبري ، قضاء الكرخ ، مضافاً إلى ما كان يتولاه من القضاء بباب الطاق ، وذلك بعد موت القاضي الصيمري . وفيها نظر رئيس الرؤساء أبو القاسم ابن المسلم في كتاب ديوان الخليفة ، وكان عنده بمنزلة عالية . ولم يهج فيها أحد من أهل العراق .

(الحسين بن علي)

ابن محمد بن جعفر ، أبو عبد الله الصيمري نسبة إلى نهر البصرة يقال له صيمر ، عليه عدة قرى ، أحد أئمة الخنفة ، ولي قضاء المدائن ثم قضاء ربيع الكرخ ، وحدث عن أبي بكر المفيد ، وابن شاهين وغيرهما ، وكان صدوقاً وافر العقل ، جميل المباشرة ، حسن العبادة ، عارفاً بمقوق العلماء . توفي في شوال عن خمس وثمانين سنة .

(عبد الوهاب بن منصور)

ابن أحمد ، أبو الحسن المعروف بابن المشتري الأهوازي ، كان قاضياً بالأهواز^(١) ونواحها ،

(١) في ابن الأثير : قاضي خوزستان وفارس .

شافعي المذهب ، كان له منزلة كبيرة عند السلطان ، وكان صدوقا كثير المال ، حسن السيرة .

﴿ الشريف المرتضى ﴾

علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الشريف الموسوي ، الملقب بالمرتضى ، ذى الجدين ، كان أكبر من أخيه ذى الحسين وكان جليد الشعر على منعب الامامية والاعتزال ، يناظر على ذلك ، وكان يناظر عنده في كل المذاهب ، وله تصانيف في التشيع ، أصولا وفروعا ، وقد قتل ابن الجوزي أشياء من تفرداته في التشيع ، فمن ذلك أنه لا يصح السجود إلا على الأرض أو ما كان من جنسها ، وأن الاستجمار إنما يجرى في النائط لا في البول ، وأن الكنايات حرام ، وكذا ذب عن أهل الكتاب ، وما ولدوه هم وسائر الكفار من الأطعمة حرام ، وأن الطلاق لا يقع إلا بمحضرة شاهدين ، والمعلق منه لا يقع وإن وجد شرطه ، ومن تأم من صلاة العشاء حتى انتصف الليل وجب قضاؤها ، ويجب عليه أن يصبح صائما كفارة لما وقع منه . ومن ذلك أن المرأة إذا جرت شعرها يجب عليها كفارة قتل الخطأ ، ومن شق ثوبه في مصيبة وجب عليه كفارة البين ، ومن تزوج امرأة لها زوج لا يلمه وجب عليه أن يتصدق بخمسة دراهم ، وأن قطع السارق من رأس الأصابع . قال ابن الجوزي : قتلته من خط أبي الوفاء ابن عقيل . قال : وهذه مذاهب مجيبة ، تفرق الاجماع ، وأعجب منها ذم الصحابة رضي الله عنهم . ثم سرد من كلامه شيئا قبيحا في تكفير عمر بن الخطاب وعثمان وثائشة وخفصة رضي الله عنهم وأخزاهم الله وأمثاله من الأرجاس الأقياس ، أهل الرنض والارتكاس ، إن لم يكن تاب ، وقد روى ابن الجوزي قال : أنبأنا ابن ناصر عن أبي الحسن بن الطيوري قال سمعت أبا القاسم بن برهان يقول : دخلت على الشريف المرتضى وإذا هو قد حول وجهه إلى الجدار وهو يقول : أبو بكر وعمر وليا فعدلا واسترحما فرحما ، فأننا أقول ارتد بعد ما أسلما ؟ قال فسمت عنه فما بلغت عتبة داره حتى سمعت الزقعة عليه . توفي في هذه السنة عن إحدى وعشرين سنة . وقد ذكره ابن خلكان فلس عليه على عادته مع الشعراء في الثناء عليهم ، وأورد له أشعارا رائعة . قال ويقال : إنه هو الذي وضع كتاب نهج البلاغة ﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن شعيب بن عبد الله بن الفضل ، أبو منصور الروائي ، صاحب الشيخ أبي حامد الاسفراييني قال الخطيب : سكن بغداد وحدث بها ، وكتبنا عنه ، وكان صدوقا يسكن قطعة الربيع . توفي في ربيع الأول منها ، ودفن ببلب حرب .

﴿ أبو الحسين البصري المتولي ﴾

محمد بن علي بن الخطيب ، أبو الحسين البصري المتكلم ، شيخ المعتزلة والمنصر لهم ، والحامى

عن ذمهم بالتصانيف الكثيرة ، توفي في ربيع الآخر منها ، وصلى عليه القاضي أبو عبد الله الصيمري ، ودفن في الشونيزي ، ولم يرو من الحديث سوى حديث واحد ، رواه الخطيب البغدادي في تاريخه : حدثنا محمد بن علي بن الطيب قريء على هلال بن محمد بن أخي هلال الرأي ، بالبصرة وأنا جميع ، قيل له حدثكم أبو مسلم الكجي وأبو خليفة الفضل بن الحباب الجعي والنسائي والمنازي والزيقي قالوا : حدثنا القعنبي عن شعبة عن منصور عن ربيعي عن أبي مسعود البصري . قال قال رسول الله ﷺ : « إن مما أحرک الناس من كلام النبوة إذا لم تستح فاصنع ما شئت » . والنسائي اسمه محمد ، والمنازي اسمه محمد بن حامد ، والزيقي أبو علي محمد بن أحمد بن خالد البصري .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها بعث السلطان غفرل بك السلجوقي أخاه إبراهيم إلى بلاد الجبل فلما ، وأخرج عنها صاحبها كرشاف بن علاء الدولة ، فالتحق بالأكراد ، ثم سار إبراهيم إلى الدينور فلما ، وأخرج صاحبها وهو أبو الشوك ، فسار إلى حلوان فقبضه إبراهيم فلك حلوان قهرا ، وأحرق داره وضم أمواله ، فعند ذلك تجهز الملك أبو كاليجار لقتال السلاجقة الذين تمدوا على أتباعه ، فلم يمكنه ذلك لقلة الظهر ، وذلك أن الآفة اعترت في هذه السنة الخليل فات له فيها نحو من اثني عشر ألف فرس ، بحيث جافت بغداد من جيب الخليل . وفيها وقع بين الروافض والسنة ثم اتفق الفريقان على نهج دور اليهود ، وإحراق الكنيسة العتيقة ، التي لهم ، واتفق موت رجل من أكابر النصاري بواسطة فجلس أهله لزمائه على باب مسجد هناك وأخرجوا جنازته جهرا ، ومعهما طائفة من الأتراك يهرسونها ، فحملت عليهم العامة فهزموهم وأخذوا الميت منهم واستخرجوه من أكفانه فأحرقوه ، ورموا رماده في دجلة ، وعضوا إلى الدبر قهوه ، وعجز الأتراك عن دفعهم . ولم يهج فيها أحد من أهل العراق .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ فارس بن محمد بن عتاز ﴾

صاحب الدينور وغيره ، توفي في هذا الأوان .

﴿ خديجة بنت موسى ﴾

ابن عبد الله الواعظ ، وتعرف بينت البقال ، وتمكن أم سلمة ، قال الخطيب : كتبت عنها وكانت فقيرة صالحة فاضلة .

﴿ أحمد بن يوسف السليكي المنازي ﴾

الشاعر الكاتب ، وزير أحمد بن مروان الكردي ، صاحب ميافارقين وديار بكر ، كان فاضلا بارعا لبقيا ، تردد في الترمذ إلى القسطنطينية غير مرة ، وحصل كتباً عزيزة أوقفها على جامعي آمد

وميا هارقين ، ودخل يوما على أبي الملاء المرى فقال له : إني معتزل الناس وهم يؤذونني ، وتركتم لهم الدنيا ، فقال له الوزير : والآخرة أيضاً . فقال والآخرة يا قاضي ؟ قال : نعم . وله ديوان قليل النظير عز بز الوجود ، حرص عليه القاضي الفاضل فلم يقدر عليه ، توفي فيها . ومن شعره في وادي نزاعة .

وقانا لقصة الرضاء واد • وقاه مضاعف التبت الميم
نزلنا دوحه لحننا • علينا • حنو الرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظناً زلالا • ألد من المدامة فنديم
براعى الشمس أنى قابله • فيحببها ليأذن للنسيم
ترويع حصاه حالية المنارى • فتلمس جانب القصد التنظيم
قال ابن خلكان : وهذه الأبيات بديعة في بابها .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ﴾

استهلكت هذه السنة والموتان كثير في الدواب جدا ، حتى جافت بغداد . قال ابن الجوزى : وربما أحضر بعض الناس الأطباء لأجل دوابهم فيستقونها ماء الشعير ويطيّبونها . وفيها حاصر السلطان بن طغرل بك أصحابان فصالحه أهلها على مال يحصلونه إليه ، وأن يخطب له بها ، فأجابوه إلى ذلك . وفيها ملك مهمل قرميسين والدينور . وفيها تأمر على بنى خلفجة رجل يقال له رجب بن أبي منيع بن ثمال ، بعد وفاة بردان بن سلطان بن ثمال ، وهؤلاء الأعراب أكثر من يصد الناس عن بيت الله الحرام ، فلا جزام الله خيرا .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ الشيخ أبو محمد الجويني ﴾

إمام الشافعية : عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيسويه الشيخ أبو محمد الجويني ، وهو والد إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن أبي محمد ، وأصله من قبيلة يقال لها سنابس ، وجوين من نواحي نيسابور ، سمع الحديث من بلاد شق على جماعة ، وقرأ الأدب على أبيه ، وحقته بابي الطيب سهل ابن محمد الصعلوكي ، ثم خرج إلى مرو إلى أبي بكر عبد الله بن أحمد النفال ، ثم عاد إلى نيسابور وعقد مجلس المناظرة ، وكان مهيبا لا يمري بين يديه إلا الجلد ، وصنف التصانيف الكثيرة في أنواع من العلوم وكان زاهدا شديدا لا يحيط لدينه حتى ربما أخرج الزكاة مرتين . وقد ذكرته في طبقات الشافعية وذكرنا ما قاله الأئمة في مدحه ، توفي في ذى القعدة منها . قال ابن خلكان : صنف التفسير الكبير المشتمل على أنواع العلوم وله في الفقه التبصرة والتذكرة ، وصنف مختصر المختصر ، والفرق والجمع ، والسلسلة وغير ذلك ، وكان إماما في الفقه والاصول والأدب والعربية . توفي في هذه السنة ، وقيل سنة أربع وثلاثين . قاله السمعاني في الانساب ، وهو في سن الكهولة .

(ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة)

فيها اصطلح الملك طغرل بك وأبو كاليبجار ، وتزوج طغرل بك ابنته ، وتزوج أبو منصور بن كاليبجار ، ابنة الملك داود أخى طغرل بك . وفيها أسرت الأكراد سرخاب أخا أبي الشوك وأحضروه بين يدي أميرهم ينال ، فأمر بقلع إحدى عينيه . وفيها استولى أبو كاليبجار على بلاد البليحة ونجا صاحبها أبو نصر بنفسه . وفيها ظهر رجل يقال له الأصغر التنغلي ، وادعى أنه من المذكورين في الكتب ، فاستغوى خلقا ، وقصد بلادا فغنم منها أموالا هوى بها ، وعظم أمره . ثم اتفق له أسر ورجل إلى نصر الدولة بن مروان صاحب ديوبكر ، فاعتقله وسد عليه باب السجن . وفيها كان وباء شديد بالعراق والجزيرة ، بسبب جيف الدواب التي ماتت ، فأت فيها خلق كثير ، حتى خلت الأسواق وقلت الأشياء التي يحتاج إليها المرضى ، وورد كتاب من الموصل بأنه لا يصلح الجمعة من أهلها إلا نحو أربعمائة ، وأن أهل القعة لم يبق منهم إلا نحو مائة وعشرين فضا . وفيها وقع غلاء شديد أيضا ووقعت فتنة بين الروافض والسنة ببغداد ، قتل فيها خلق كثير . ولم يخرج فيها أحد من ركب العراق ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد ﴾

أبو الفضل القاضي الهشمي ، الرشيدي ، من ولد الرشيد ، ولي القضاء بسجستان ، وسمع الحديث من الخطيب . قال الخطيب : أنشدني لنفسه قوله :

قالوا اقتصد في الجود إنك منصف • عدل وذو الانصاف ليس بمجور
فأجبتهم إلى سالة مشر • لم لواء في الندي منشور
تالله إلى شائد ما قسموا • جدى الرشيد وقبلة المنصور

﴿ عبد الواحد بن محمد ﴾ بن يحيى بن أيوب أبو القاسم الشاعر المعروف بالطرز ، ومن شعره قوله

يا عبد كم لك من ذنب ومصيبة • إن كنت ناسيا فالله أحصاها
لا بد يا عبد من يوم تقوم به • ووقفة لك يدي القلب ذكرها
إذا عرضت على قلبي تذكرها • وساء غلى قتلت استغفر الله

﴿ محمد بن الحسن بن علي ﴾

ابن عبد الرحيم أبو سعد الوزير ، وزر للملك جلال الدولة ست مرات ، ثم كان موته بجزيرة ابن عمر فيها من ست وخمسين سنة .

﴿ محمد بن أحمد بن موسى ﴾

أبو عبد الله الواظع الشيرازي ، قال الخطيب : قدم ببغداد وأظهر الزهد والتقشف والورع ، وعزوف النفس عن الدنيا ، فافتتن الناس به ، وكان يحضر مجلسه خلق كثير ، ثم إنه بعد حين كان

يعرض عليه الشيء فيقبله ، فكثرت أمواله ، ولبس الثياب الناعمة ، وجرت له أمور ، وكثرت أتباعه وأظهر أنه يريد الفزوة فاتبه نفر كثير ، فسكن بظاهر البلد ، وكان يضرب له الطبل في أوقات الصلوات وسار إلى ناحية أذربيجان ، فالتف عليه خلق كثير ، وضاهاه أمير تلك الناحية ، وكانت وفاته هناك في هذه السنة . قال الخطيب : وقد حدث بغداد وكثبت عنه أحاديث يسيرة ، وحدثني بعض أصحابنا عنه بشيء يدل على ضعفه ، وأشد هو لبعضهم :

إذا ما أطعت النفس في كل لغة * نسبت إلى غير الحمى والتكرم

إذا ما أنجبت الناس في كل دفوة * دعيتك إلى الأمر القبيح المحرم

(المظفر بن الحسين)

ابن عمر بن برهان ، أبو الحسن النزال ، مع محمد بن المظفر وغيره ، وكان صدوقا .

(محمد بن علي بن إبراهيم)

أبو الخطيب الحنبلي الشاهر ، من شجرة قوله :

ما حكم الحب فهو ممثل * وما جنه الحبيب محمل

يهوى ويشكو الضيق وكل هوى * لا يتحل الجسم فهو منتحل

وقد سافر إلى الشام فاجتاز بحيرة النيمان فامتدحه أبو الفلاء المروزي بأبيات ، فأجابه مرتجلا عنها . وقد كان خشن الثينين حين سفره ، فارجع إلى بغداد إلا وهو أحمى . توفي في ذى القعدة منها ويقال إنه كان شديد الرضا بالله أعلم .

(الشيخ أبو علي السنجي)

الحسين بن شبيب بن محمد شيخ الشافعية في زمانه ، أخذ عن أبي بكر القفال ، وشرح الفروع لابن الحداد ، وقد شرحها قبله شيخه ، وقبله القاضي أبو الطيب الطبري ، وشرح أبو علي السنجي . كتاب التلخيص لابن القاسم ، شرحا كبيرا ، وله كتاب المبدوع ، ومنه أشد النزالي في الوسيط . قال ابن خلكان : وهو أول من جمع بين طريقة المراقبين والخراسانيين . توفي سنة بضع وثلاثين وأربعمائة .

ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة

في هذه السنة توفي الملك أبو كاليجار في بجادى الأولى منها ، صاحب بغداد ، مريض وهو في برية ، ففصد في يوم ثلاث مرات ، وحمل في محفة فالت ليلة الحميم ، ونبتت النملان الخرافان ، وأحرق الجوارح العظيم ، بنى العنينة التي هو فيها ، وولى بعده ابنه أبو نصر ، ونحوه الملك الزعيم ، ودخل دار الخلافة فخلع عليه الخليفة متبع بخلع ، وسوره وطوقه وجعل على رأسه التاج والعلماء السوداء ، ووضاه الخليفة ، ورجع إلى داره وجاءه الناس ليمنه . وفيها دار الشور على شيراز ، وكان دوزخ اثني عشر

ألف فراع ، وارتفاعه ثمانية أذرع ، وعرضه ستة أذرع ، وفيه أحد عشر بابا . وفيها غزا إبراهيم ابن نبال بلاد الروم فضم مائة ألف رأس ، وأربعة آلاف درع ، وقيل تسع عشرة ألف درع ، ولم يبق بينه وبين القسطنطينية إلا خمسة عشر يوما ، وحل ما قسم على عشرة آلاف حيلة . وفيها خطب للخليفة الفدين أبي العباس أحمد بن الخليفة القائم بأمر الله ، على المنابر بولاية العهد بعد أبيه ، وحجى بذلك . وفيها اقتتل الروافض والسنة ، وجرت ببغداد فتن يطول ذكرها . ولم يخرج أحد من أهل العراق . وعن توفى فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن عيسى بن المقتدر ﴾

أبو محمد العباسي ، ولد في المحرم سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة ، ومع من مؤدبه أحمد بن منصور السكري ، وأبي الأزهر عبد الوهاب الكاتب ، وكان فاضلا دينيا ، حافظا لأخبار الخلفاء ، عالما بأيام الناس صالحا ، أعرض عن الخلافة مع قدرته عليها ، وآثر بها التقادر . توفى فيها عن سبع وتسعين سنة . وأوصى أن يدفن بباب حرب ، فدفن قريبا من قبر الامام أحمد بن حنبل .

﴿ هبة الله بن عمر بن أحمد بن عثمان ﴾

أبو القاسم الواظظ المعروف بابن شاهين ، مع من أبي بكر بن ملك ، وابن ماسي والبرقاني . قال الخطيب : كتبت عنه وكان صدوقا ، ولد في سنة إحدى وخمسين وثلثمائة ، وتوفى في ربيع الآخر منها ، ودفن بباب حرب ﴿ علي بن الحسن ﴾

ابن محمد بن المنتاب أبو محمد القاسم ، المعروف بابن أبي عثمان الهذلي . قال الخطيب : مع من القاسمي وغيره ، وكان شيخا صالحا ، صدوقا دينيا ، حسن المنهج .

﴿ محمد بن جعفر بن أبي الفرج ﴾

الوزير الملقب بندي السعادات ، وزر لأبي كاليبجار بغراس وبغداد ، وكان ذا مهودة غزيرة ، مليح الشعر والتميز ، ومن محاسنه أنه كتب إليه في رجل مات عن ولد له ثمانية أشهر وله من المال ما يقارب مائة ألف دينار ، فكتب إليه الموصى ، وقيل غيره : إن فلانا قد مات وخلف ولدا عمره ثمانية أشهر . وله من المال ما يقارب مائة ألف دينار ، فان رأى الوزير أن يقترض هذا المال إلى حين بلوغ الطفل . فكتب الوزير على ظهر الورقة : المتوفى رحمه الله ، واليتم جبره الله ، والمال ثمره الله ، والساعي لمنه الله ، ولا حاجة بنا إلى مال الأيتام . اعتقل ثم قتل في رمضان منها ، عن إحدى وخمسين سنة .

﴿ محمد بن أحمد بن إبراهيم ﴾

ابن غيلان بن عبد الله بن غيلان بن حليم بن غيلان ، أخو طالب البزار ، يروى عن جماعة وهو آخر من حدث عن أبي بكر الشافعي ، كان صدوقا دينيا صالحا ، قوى النفس على كبر السن ، كان يملك ألف دينار ، وكان يصبها كل يوم في حجره فيقبلها ثم يردّها إلى موضعها ، وقد خرج له

الدارقطني الأجزاء الغيلانيات ، وهي سمانا . توفي يوم الاثنين سادس شوال منها عن أربع وتسعين سنة ، ويقال إنه بلغ المائة فآله أعلم . (الملك أبو كاليبجار)

واسمه المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة ، توفي عن أربعين سنة وأشهر ، وولى العراق نحواً من أربع سنين ، ونهبت له قلعة كان فيها من المال ما يزيد على ألف ألف دينار ، وقام بالأمر من بعده ابنه الملك الرحيم أبو نصر .

(ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وأربعمائة)

في طائر الحرم تقدم إلى أهل الكرخ أن لا يعملوا بدع النوح ، فجرى بينهم وبين أهل باب البصرة ما يزيد على الحد ، من الجراح والقتل ، وبنى أهل الكرخ سوراً على الكرخ ، وبنى أهل السنة سوراً على سوق القتلائين ، ثم تقص كل من الفريقين أبلتيه ، وحلوا الآجر إلى مواضع بالطبول والمزامير ، وجرت بينهم منازعات في ذلك ، وسخط لا تحصر ولا تنضب ، وإنشاد أشعار في فضل الصحابة . وتلبمهم ، فآله وإنا إليه راجعون . ثم وقعت بينهم فتنة يطول ذكرها ، وأحرقوا دوراً كثيرة جداً . وفيها وقعت وحشة بين الملك طغرل بك وبين أخيه ، فجمع أخوه جموعاً كثيرة فاقنتل هو وأخوه طغرل بك ، ثم أسره من قلعة قد تحصن بها ، بعد محاصرة أربعة أيام ، فاستنزله منها مقهوراً ، فأحسن إليه وأكرمه ، وأقام عنده مكرماً ، وكتب ملك الروم إلى طغرل بك في فداء بعض ملوكهم ممن كان أسره إبراهيم بن نبال ، وبذل له مالا كثيراً ، فبعثه إليه مكرماً من غير عوض ، اشترط عليه فأرسل إليه ملك الروم هدايا كثيرة ، وأمر بهجرة المسجد الأقصى بالقسطنطينية ، وأقيمت فيه الصلاة والجمعة ، وخطب فيه للملك طغرل بك ، فبلغ هذا الأمر المعجيب سائر الملوك فظلموا الملك طغرل بك تمظيلاً زائداً ، وخطب له نصر الدولة بالجزيرة . وفيها ولى مسعود بن مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين الملك بعد وفاة أبيه ، وكان صغيراً ، فحكث أياماً ثم عدل عنه إلى عمه علي بن مسعود ، وهذا أمر غريب جداً . وفيها ملك المصريون مدينة حلب وأجلوا عنها صاحبها ثمال بن صالح بن مرداس . وفيها كان بين البساسيري وبين بني عقيل حرب . وفيها ملك البساسيري الأتبار من يد قرواش فأصلح أمورهما . وفي شعبان منها سار البساسيري إلى طريق خراسان وقصد ناحية الدوران وملكها ، وقسم مالا كثيراً كان فيها ، وقد كان سمدي بن أبي الشوك قد حصنها ، قال ابن الجوزي : في ذي الحجة منها ارتفعت سحابة سوداء فزادت على ظلمة الليل ، وظهر في جوانب السماء كالنار المضئنة ، فازرعج الناس وخافوا وأخفوا في البهائم والتضرع ، فانكشف في أثناء الليل بعد ساعة ، وكانت قد هبت ريح شديدة جداً قبل ذلك ، فأتلفت شيئاً كثيراً من الأشجار ، وهدمت رواشن كثيرة في دار الخلافة ودار الملكة . ولم يهج أحد من أهل العراق .

وفيهما توفى من الأعيان . (أحمد بن محمد بن منصور)
 أبو الحسن المعروف بالعتيق ، نسبة إلى جد له كان يسمى عتيقا ، سمع من ابن شاهين وغيره ،
 وكان صدوقا . توفى في صفر منها وقد جاوز التسعين .

﴿ علي بن الحسن ﴾

أبو القاسم الملوى ويعرف بابن عبي السنة . قال الخطيب : سمع من ابن مظفر وكتب عنه ، وكان
 صدوقا دينيا حسن الاعتقاد ، يورق بالأجرة ويأكل منه ، ويصدق . توفى في رجب منها وقسجوز
 الثمانين . ﴿عبد الوهاب بن القاضي الماوردي﴾
 يكنى أبا الفار شهيد عند ابن ما كولا في سنة إحدى وثلاثين فأجاز شهادته احتراماً لأبيه ،
 توفى في المحرم منها . (الحافظ أبو عبد الله الصوري)

محمد بن علي بن عبد الله بن محمد أبو عبد الله الصوري الحافظ ، طلب الحديث بعد ما كبر
 وأسن ، ورحل في طلبه إلى الآفاق ، وكتب الكثير وصنف واستفاد على الحافظ عبد الله المصري ،
 وكتب عن عبد الله شيئا من تصانيفه ، وكان من أعظم أهل الحديث ، همه في الطلب وهو شاب
 ثم كان من أقوى الناس على العمل الصالح عزيمة في حال كبره ، كان يسرد الصوم لإبوي العيدين
 وأيام التشريق ، وكان مع ذلك حسن الخلق جميل المباشرة ، وقد ذهبت إحدى عينيه ، وكان يكتب
 بالآخرى المجلد في جزء . قال أبو الحسن الطيوري : يقال إن طعة كتب الخطيب سوى التاريخ
 مستفادة من كتب أبي عبد الله الصوري ، كان قد مات الصوري وترك كتبه اثني عشر عدلا عند
 أخيه ، فلما صار الخطيب أعطا أخاه شيئا وأخذ بعض تلك الكتب فحولها في كتبه ، ومن شعره :

تولى الشباب برهانه • وأنى الشيب بأحزانه
 قلبي لفقْدان ذا مؤلم • كتيب لهذا ووجدانه
 وإن كان ملجأ في حكمة • ولا جاء في غير إيمانه
 ولكن أرى مؤذنا بالرحمة • لفويلي من قرب إيمانه
 ولولا ذنوب تحببها • لما راعى إيمانه
 ولكن ظهري ثقيل بما • جناه شبابي بطيئانه
 فن كان يسكن شبابا مضى • ويندب طيب زمانه
 فليس بكأني وما قد ترو • ن منى لوجبة قدانه
 ولكن لما كان قد جره • على بويلات شيطانه
 فويلي وويلي إن لم يجد • على ملكي برهانه

ولم يتقدم ذنوبى وما قد • جنيت برحتى وغفرانه
 ويجهل مصرى إلى جنة • يحمل بها أهل رضوانه وغفرانه
 فان كنت مالى من طاعة • سوى حسن ظنى بأجانه
 وإلى مقر بتوجيه • عليم بمزة سلطانه
 أجالف فى ذلك أهل الهوى • وأهل الفسوق وعدوانه
 وأرجو به الفوز فى منزل • معد ميا لسانه
 ولن يجمع الله أهل الجحيم • د ومن أقر بنتيرانه
 فهذا ينجيه إيمانه • وهذا ييهو بفسرانه
 وهذا ينعم فى جنة • وذلك قرين لشيطانه
 ومن شره أيضاً :

قل لمن طاند الحديث وأضحى • غائباً أهله ومن يدعيه
 أبطل قول هذا أين لى • أم يجهل فليل خلق السفية
 أياها الذين هم حفظوا الد • ين من الترهات والغوية
 وإلى قولهم وما قد روه • راجع كل عالم وقية
 كان سبب موته أنه اقتصد فورث يده ، ودلى ما ذكر أن ريشة الفاسد كانت مسمومة لغيره
 ففعل ففعله بها ، فكانت فيها منيته ، فحمل إلى المارستان فلت به ، ودفن بمقبرة جامع المدينة ،
 وقد نيف على الستين رحمه الله تعالى .

(ثم دخلت سنة الثنتين وأربعين وأربعمائة)

فيها فتح السلطان طغرل بك أصبهان بمسحبار سنة ، فنقل إليها حواصله من الرى وجعلها دار
 إقامته ، وخرب قلعة من سورها ، وقال : إنما يحتاج إلى السور من تضعف قوته ، وإنما حصنى جسا كرى
 وسقى ، وقد كان فيها أبو منصور قرامز بن علاء الدولة أبى جعفر بن كالويه ، فأخرجه منها وأقطع له
 بعض بلادها . وفيها سار الملك الرحيم إلى الأهواز وأطاعه عسكر فارس . وفيها استولت الخوارج على
 عمان وأخربوا دار الامارة ، وأسروا أبى المظفر بن أبى كالىجار . وفيها دخلت العرب بأذن المستنصر
 الفاطمى بلاد إفريقية ، وجرت بينهم وبين المرز بن ياديس حروب طويلة ، وقاوا فى الأرض فسادا
 عدة سنين . وفيها اصطليح الروافضى والسنة ببغداد ، وذهبوا كلهم لزيارة مشهد على ومشهد الحسين ،
 وترضوا فى الكرخ على الرحابة كلهم ، وترجموا عليهم ، وهذا عجيب جدا ، إلا أن يكون من باب
 النقية ، ورخصت الأسعار ببغداد جدا . ولم ينجح أحد من أهل المراق .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ علي بن عمر بن الحسن ﴾
 أبو الحسن الحربي المعروف بالقزويني ، ولد في مستهل الحرم في سنة ستين وثلاثمائة ، وهي الليلة
 التي مات فيها أبو بكر الأتجري ، وجمع أبا بكر بن شاذان وأبا حفص بن حيويه ، وكان وافر العقل ،
 من كبار عباد الله الصالحين ، له كرامات كثيرة ، وكان يقرأ القرآن ويروي الحديث ، ولا يخرج
 إلا إلى الصلاة . توفي في شوال منها . فخلقت بتداد لوفته يومئذ ، وحضر الناس جنازته ، وكان يوماً
 مشهوداً رحمه الله . ﴿ عمر بن ثابت ﴾

الثاني النحوي الضرير . شارح اللع ، كان في غاية العلم بالنحو ، وكان يأخذ عليه . وذكر ابن
 خلكان أنه اشتغل على ابن جني ، وشرح كلامه ، وكان ملهماً في صناعة النحو ، قال ونسبته إلى
 قرية من نواحي جزيرة ابن عمر عند الجبل الجودي ، يقال لها ثمانين ، باسم الثمانين الذين كانوا مع
 نوح عليه السلام في السفينة . ﴿ قرواش بن مقلد ﴾

أبو المنيع ، صاحب الموصل والكوفة وغيرها ، كان من الجبارين ، وقد كاتبه الحاكم صاحب
 مصر في بعض الأحيان فاستأله إليه ، فغضب له بيلاده ثم تركه ، واعتذر إلى الخليفة فنهوه ، وقد جمع
 هذا الجبار بين أختين في النكاح ، ولأمته العرب ، فقال : وأى شيء علمته ؟ إنما علمت ما هو مباع في
 الشريعة ^(١) . وقد نكب في أيام المنز الفاطمي ونهبت حواصله ، وحين توفي قام بالأمر بعده ابن أخيه
 قريش بن بدران بن مقلد . ﴿ مودود بن مسعود ﴾

ابن محمود بن سبكتكين ، صاحب غزنة : توفي فيها وقام بالأمر من بعده عمه عبد الرشيد بن محمود
 ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ﴾

في صفر منها وقع الحرب بين الروافض والسنة ، فقتل من الفريقين خلق كثير ، وذلك أن
 الروافض نصبوا أبراجاً وكتبوا عليها بالذهب : محمد وعلى خير البشر ، فمن رضى فقد شكر ، ومن أبى
 فقد كفر . فأكرت السنة إقرا ن على مع محمد ﷺ في هذا ، فنشبت الحرب بينهم ، واستمر القتال
 بينهم إلى ربيع الأول ، فقتل رجل هاشمي فدفن عند الإمام أحمد ، ورجع السنة من دفنه فتهبوا
 مشهد موسى بن جعفر وأحرقوا ضريح موسى وعبد الجواد ، وقبور بني بويه ، وقبور من هناك من الوزراء
 وأحرق قبر جعفر بن النصور ، ومحمد الأمين ، وأمه زبيدة ، وقبور كثيرة جداً ، وانتشرت الفتنه
 ونجاوزوا الحدود ، وقد تأبلهم أولئك الرافضة أيضاً بمخاسد كثيرة ، وهايموا قبوراً قديمة ، وأحرقوا
 من فيها من الصالحين ، حتى هموا بقبر الإمام أحمد ، فغضبهم النقيب ، وخاف من غائلة ذلك ، وتسلسل
 على الرافضة عيار يقال له القطيبي ، وكان يتبع رؤسهم وكبارهم فيقتلهم جهاراً وغيباً ، وعظمت الحنة
 بسببه جداً ، ولم يقدر عليه أحد ، وكان في غاية الشجاعة والبأس والمكر ، ولما بلغ ذلك ديس بن
 (١) وفي النجوم الزاهرة : خبروني ، ما الذي نسمع له مما تبيحه الشريعة ؟ فهذا من ذاك .

على بن يزيد - وكان رافضياً - قطع خطبة الخليفة ، ثم رُسل فأعادها . وفي رمضان منها جاءت من الملك طغرىك رسل شكر للخليفة على إحسانه إليه بما كان يمت له من الخلع والتقليد ، وأرسل إلى الخليفة بمشرين ألف دينار ، وإلى الحاشية بخمسة آلاف ، وإلى رئيس الرؤساء بألفي دينار ، وقد كان طغرىك حين عمر الرى وغرب فيها أما كن وجد فيها دنانير كثيرة من الذهب والجوهر ، فمظم شأنه بذلك ، وقوى ملكه بسببه .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ محمد بن محمد بن أحمد ﴾

أبو الحسن الشاعر البصري ، نسبة إلى قرية دون عكبرا يقال لها بصري باسم المدينة التي هي أم حوران ، وقد سكن بئداد ، وكان متكلماً مطبوعاً له نوادر ، ومن شعره قوله :

نرى الدنيا وشهوتها فنصبوا • وما يخلو من الشهوات قلب
فلا يفررك زخرف ما تراه • وعيش لين الاعطاف رطب
فضول العيش أكثرها هموم • وأكثر ما يضرك ما تحب
إذا ما بلغة جاءتك عفوا • نغناها فالتنى مرعى وشرب
إذا اتفق القليل وفيه سلم • فلا تُرد الكثير وفيه حرب

﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة ﴾

فيها كتبت تذكرة الخلفاء المصريين وأنهم أدياء كذبة لا نسب لهم صحيحة إلى رسول الله ﷺ ، نسجاً كثيرة ، وكتب فيها الفقهاء والقضاة والأشراف . وفيها كانت زلازل عظيمة في نواحي أرجان والأهواز وتلك البلاد ، تهدم بسببها شيء كثير من العمران وشرفات القصور ، وحكي بعض من يئند قوله أنه أفرج إخوانه وهو يشاهد ذلك ، حتى رأى السماء منه ثم عاد إلى حاله لم يتغير . وفي ذى القعدة منها جهدت الحرب بين أهل السنة والرافض ، وأحرقوا أما كن كثيرة ، وقتل من الفريقين خلائق ، وكتبوا على مساجد : محمد وعلى خير البشر ، وأذوا يحيى على خير العمل ، واستمرت الحرب بينهم ، وتسلط القطيعي الميار على الروافض ، بحيث كان لا يقر لهم معه قرار ، وهذا من جملة الأقدار .

وفيها توفي من الأعيان . ﴿ الحسن بن علي ﴾

ابن محمد بن علي بن أحمد بن وهب بن شبل بن قرة بن واقد ، أبو علي التميمي الواعظ ، المعروف بابن المنهب ، ولد سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وسمع مسند الامام أحمد من أبي بكر بن مالك القطيعي عن عبد الله بن الامام أحمد ، عن أبيه ، وقد سمع الحديث من أبي بكر بن ماسي وابن شاهين والدارقطني وخلق ، وكان ديناً خيراً ، وذكر الخطيب أنه كان صحيح السماع لمسند أحمد بن القطيعي

غير أنه ألقى اسمه في أجزاء . قال ابن الجوزي : وليس هذا يندرج في سماعه ، لأنه إذا تحقق سماعه جاز أن يالحق اسمه فيما تحقق سماعه له ، وقد علب عليه الخطيب أشياء لا حاجة إليها .

(على بن الحسين)

ابن محمد ، أبو الحسن المروفي بالشاشي البغدادي ، وقد أقام بالبصرة واستحوذ هو وجمعه على أهلها ، وحمل أشياء من الحيل يوم بها أنه من ذوى الأحوال والمكاشفات ، وهو في ذلك كاذب قبيح الله وقبح عمه ، وقد كان مع هذا رافضياً خبيثاً قوطياً ، توفي في هذا العام فله الحمد والشكر والالعام .

(القاضي أبو جعفر)

محمد بن أحمد بن أحمد ، أبو جعفر السمناني القاضي ، أحد المتكلمين على طريقة الشيخ أبي الحسن الأشعري ، وقد سمع النراقط وغيره ، كان طاماً فاضلاً سعيًا ، تولى القضاء بالوصل ، وكان له في داره مجلس للمناظرة ، وتوفي لما كف بصره بالوصل وهو قاضيه ، في ربيع الأول منها وقد بلغ خمساً وثمانين سنة ، ساعده الله .

(ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة)

فيها تجدد الشر والقتال والحريق بين السنة والرافض ، ونسرى الأمر وتفاقم الحال . وفيها وردت الأخبار بأن المزمع القاضي عازم على قصد المراق . وفيها قتل إلى الملك طغر بك أن الشيخ أبا الحسن الأشعري يقول بكذا وكذا ، وذكر بشئ من الأمور التي لا تليق بالدين والسنة ، فأمر بلعنه ، وصرح أهل نيسابور بتكفيره من يقول ذلك ، فضج أبو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن من ذلك ، وضفت رسالة في شكاية أهل السنة لما فاهم من الحجة ، واستدعى السلطان جماعة من رؤس الأشاعرة منهم القشيري فأنهلهم عما أنهى إليه من ذلك . فأنكروا ذلك ، وأن يكون الأشعري قال ذلك . فقال السلطان : نحن إنما لنا من يقول هذا . وجرت فتنة عظيمة طويلة . وفيها استولى قولا بسور الملك أبي كاليجار على شيراز ، وأخرج منها أخاه أبا منجد ، وفي شوال سار البساسيري إلى أكراد وأحراب أقصدوا في الأرض قهبرهم وأخذ أموالهم . ولم ينجح فيها أحد من أهل المراق . وفيها توفي من الأعيان

(أحمد بن عمر بن روح)

أبو الحسن النهرواني ، كان ينظر في العيار بدار الضرب ، وله شعر حسن ، قال : كنت يوماً على شاطئ النهر وان ، فسمعت رجلاً يتغنى في ضفينة منخلدة يقول :

وما ظلموا شوي قتلى • فهان على ما طلبوا

قال فاستوقفته وقلت : أحبب إليه فقير . فقال :

على قتل الأخ • في التمدد : بلجنا غلبوا

والمجران من حنفي * طيب النوم قد سلبوا
وما طلبوا سوى قتلى * فهان على ما طلبوا

﴿إسماعيل بن علي﴾

ابن الحسين بن محمد بن زنجويه ، أبو سعيد الرازي ، المعروف بالسنان ، شيخ المعتزلة ، سمع الحديث الكثير وكتب عن أربعة آلاف شيخ ، وكان عالماً عارفاً فاضلاً ، اعتزله ، ومن كلامه : من لم يكتب الحديث لم يتفرغ بملاوة الاسلام ، وكان حنفي المذهب ، عالماً بالخلاف والفرائض والحساب وأسماء الرجال ، وقد ترجمه ابن عساكر في تاريخه فأطنب في شكره والثناء عليه .

﴿عمر بن الشيخ أبي طالب المكي﴾

محمد بن علي بن عطية ، سمع أباه وابن شاهين ، وكان صدوقاً يكنى بأبي جعفر .

﴿محمد بن أحمد﴾

ابن عثمان بن الفرج الأزهر ، أبو طالب المعروف بابن السوادى ، وهو أخو أبي القاسم الأزهرى توفى عن ثيف وثمانين سنة .

﴿محمد بن أبي تمام﴾

الزبلي نقيب النقباء ، قام ببغداد بعد أبيه مقامه بالنقابة .

﴿ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمائة﴾

فيها غزا السلطان طغرل بك بلاد الروم بعد أخذه بلاد أذربيجان ، ففتح من بلاد الروم وسهى وعمل أشياء حسنة ، ثم عاد سالماً فأقام بأذربيجان سنة . وفيها أخذ قريش بن بدران الأنبار ، وخطب بها وبلغ لصل طغرل بك ، وأخرج منها ثواب البساسيرى . وفيها دخل البساسيرى بغداد مع بغي خفاجة من الرقعة ، وظهرت منه آثار التفرقة والخلافة ، فراسله الخليفة لتطيب نفسه ، وخرج في ذى الحجة إلى الأنبار فأخذها ، وكان معه ديبس بن علي بن يزيد ، وخرب أما كن وحرق غيرها ثم أذن له الخليفة في الدخول إلى بيت التوبة ليخلع عليه ، فجاء إلى أن حاضى بيت التوبة قبل الأرض وانصرف إلى منزله ، ولم يدبر ، فتويع الوحشة . ولم ينج أحد من أهل العراق فيها .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿الحسين بن جعفر بن محمد﴾

ابن داود ، أبو عبد الله السلمسى ، سمع ابن شاهين وابن حيويه والمارعطقى ، وكان ثقة مأموناً مشهوراً بإصطناع المعروف ، وفصل الظاهر ، وانقاد الفقهاء ، وكثرة الصدقة ، وكان قد أريد على الشهادة بأبي ذلك ، وكان له في كل شهر عشرة دنانير نفقة لأهله .

(عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن)

أبو عبد الله الأصماني ، المعروف بابن البان ، أحد تلامذة أبي حامد الاسفرايني ، ولي قضاء الكرخ ، وكان يصل بالناس التراويح ، ثم يقوم بعد انصرافهم فيصل إلى أن يطلع الفجر ، وربما أفضى الشهر عنه ولم يسطع إلى الأرض رحمه الله .

(ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمائة)

فيها ملك طبربك بغداد ، وهو أول ملوك السلجوقية ، ملكها وبلاد العراق . وفيها تأكست الوحشة بين الخليفة والباسيري ، واشتكت الأتراك منه ، وأطلق رئيس الرؤساء عبارته فيه ، وذكر قبيح أفضاله ، وأنه كاتب المصريين بالطاعة ، وخلع ما كان عليه من طاعة الباسيين ، وقال الخليفة وليس إلا إهلاكه . وفيها غلت الأسعار بنواحي الأهواز حتى بيع الكر بشيراز بألف دينار . وفيها وقعت الفتنة بين السنة والرافضة على المأذنة ، فقتلوا قتالا مستمرا ، ولا تمكن الدولة أن يصبروا بين الفريقين . وفيها وقعت الفتنة بين الأشاعرة والحنابلة ، فتوى جانب الحنابلة قوة عظيمة ، بحيث إنه كان ليس لأحد من الأشاعرة أن يشهد الجمعة ولا الجماعات .

قال الخطيب : كان أرسلان التركي المعروف بالباسيري قد عظم أمره واستفحل ، لعدم أقرانه من مقدمي الأتراك ، واستولى على البلاد وطار اسمه ، وخافته أمراء العرب والعجم ، ودعى له على كثير من المنابر المراقية والأهواز ونواحيها ، ولم يكن للخليفة قطع ولا وصل دونه ، ثم صح عند الخليفة سوء عقيدته ، وشهد عنده جماعة من الأتراك أنه ظلم على نهب دار الخلافة ، وأنه يريد القبض على الخليفة ، فمند ذلك كاتب الخليفة محمد بن ميكائيل بن سلجوق الملقب بطبربك يستنفضه على المسير إلى العراق ، فانفض أكثر من كان مع الباسيري وعادوا إلى بغداد سريعا ، ثم أجمع رأيهم على قصد دار الباسيري وهي الجانب الغربي فأحرقوها ، وهدموا أبايتها ، ووصل السلطان طبربك إلى بغداد في رمضان سنة سبع وأربعين ، وقد تلقاه إلى أثناء الطريق الأمراء والوزراء والحجاب ، ودخل بغداد في أبهة عظيمة جدا ، وخطب له بها ثم بسط له للرحيم ، ثم قطعت خطبة الملك الرحيم ، ورفع إلى القلعة منتلا عليه ، وكان آخر ملوك بني بويه ، وكانت مدة ولايتهم قريب المائة والعشرين سنة ، وكان ملك الرحيم لبغداد ست سنين وعشرة أيام ، ونزل طبربك دار المملكة بعد الفراغ من محاربتها ، ونزل أصحابه دور الأتراك وكان معه ثمانية أفيلة ، ووقعت الفتنة بين الأتراك والعامية ، ونهب الجانب الشرقي بكهله ، وجرت خبطة عظيمة . وأما الباسيري فانه فر من الخليفة إلى بلاد الرحبة وكتب إلى صاحب مصر بأنه على إقامة الدعوى له بالعراق ، فأرسل إليه بولاية الرحبة ونيابته بها ، ليكون على أهبة الأمر التي يريد .

وفي يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة قلد أبو عبد الله محمد بن علي الهاشماني قضاء القضاة ، وغلغ عليه به ، وذلك بعد موت ابن ما كولا ، ثم خلغ الخليفة على الملك طغرل بك بعد دخوله بغداد بيوم ، ورجع إلى داره وبين يديه الهياكل والبوقات .

وفي هذا الشهر توفي ذخيرة الدين أبو العباس محمد بن الخليفة القائم بأمر الله ، وهو ولي عهد أبيه فظلمت الرزية به . وفيها استولى أبو كلثم علي بن محمد الصليحي الهاشماني على أكثر أعمال اليمن ، وخطب للفاطميين ، وقطع خطبة العباسيين . وفيها كثرت فساد الفز ونهبوا دواب الناس حتى بيع الثور بخمسة قرايريط . وفيها اشتد التلاذ بحكمة وعدست الأقوات ، وأرسل الله عليهم جرادا فتعوضوا به عن الطعام . ولم ينجح أحد من أهل المراق .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن علي ﴾

ابن جعفر بن علي بن محمد بن دلف بن أبي دلف السعدي قاضي القضاة ، المعروف بابن ما كولا الشافعي ، وقد ولي القضاء بالبصرة ، ثم ولي قضاء القضاة ببغداد سنة عشرين وأربعمائة في خلافة المعتز ، وأقره ابنه القائم إلى أن مات في هذه السنة ، عن تسع وسبعين سنة ، منها في القضاء سبعم وعشرون سنة ، وكان صينادينا لا يقبل من أحد هدية ولا من الخليفة ، وكان يذكر أنه سمع من أبي عبد الله بن منعم ، وله شعر حسن فنه :

تصباني برهة من بعد شيب • فإضفى المشيب عن التصابي
وسود طارضيه بلون خضب • فلم ينفعه تسويد الخضاب
وأبدى للأحبة كل لطف • فازادوا سوى فرط اجتناب
سلام الله عودا بعد بدئ • على أيام ريمان الشباب
تولى عزمه يوما وأبقى • بقلبي حسرة ثم اكتساب

﴿ علي بن الحسن بن علي ﴾

ابن محمد بن أبي الفهم أبو القاسم التنوخي ، قال ابن الجوزي : وتوخ اسم لعدة قبائل اجتمعوا بالبحرين ، ويحالفوا على التناصر والتآزر ، فسماوا تنوخا . ولد بالبصرة سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وسمع الحديث سنة سبعين ، وقبلت شهادته عند الحكماء في حديثه ، وولى القضاء ببلدان وغيرها ، وكان صدوقا محتاطا ، إلا أنه كان يميل إلى الاعتزال والرفض .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ﴾

في يوم الخميس ثمان بقين من المحرم عقد الخليفة على خديجة بنت أخي السلطان طغرل بك على صدق مائة ألف دينار ، وحضر هذا العقد عميد الملك الكندوي ، ووزر طغرل بك ، وبقية الملوك

وقاضى القضاء الدماغاني والمالودي ، ورئيس الرؤساء ابن المسلمة . فلما كان شعبان ذهب رئيس
الرؤساء إلى الملك طربل بك وقال له : أمير المؤمنين يقول لك قال الله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا
الامانات إلى أهلها) وقد أمرني أن أهل الوديمة إلى داره المزينة ، فقال : السمع والطاعة ، فذهبت
أم الخليفة لدار الملك لاستدعاء العروس ، فقامت معها وفي خدمتها الوزير عبيد الملك والحشم ،
فدخلوا داره وشافه الوزير الخليفة عن عمها وسأله العلف بها والاحسان إليها ، فلما دخلت إليه قبلك
الأرض مراراً بين يديه ، فأدناها إليه وأجلسها إلى جانبه ، وأفاض عليها خلماً سنياً وتاجاً من جوهر
ثمين ، وأعطاهما من الثمينة ثوباً ديباجاً ، وقصبات من ذهب ، وطاسة ذهب قد نبت فيها الجوهر
والياقوت والنفير وزج ، وأقطعها في كل سنة من ضياعه ما يقل اثنا عشر ألف دينار ، وغير ذلك .
وفيها أمر السلطان طربل بك ببناء دار الملك المضدية غرقت بحال كثيرة في عمارتها ، ونهيت العامة
أخشاباً كثيرة من دوز الأتراك ، والجانب التركي ، وباعوه على الخيازين والطباخين ، وغيرهم .

وفيها رجع غلاء شديد على الناس وخوف ونهب كثير ببغداد ، ثم أعقب ذلك فناء كثير بحيث دفن
كثير من الناس بغير غسل ولا تكفين ، وغلت الأثرية وما تحتاج إليه المرضى كثيرا ، واعتري
الناس موت كثير ، واغبر الجو وفسد الهواء . قال ابن الجوزي : وعم هذا الوباء والقلا مكة والحجاز
وديوار بكر والموصل وبلاد بكر وبلاد الروم وخراسان والجلال والدنيا كلها . هذا لفظه في المنتظم . قال :
وورد كتاب من مصر أن ثلاثة من القصوص قهبوا بعض الدور فوجدوا عند الصباح موتى أحدم
على باب النقب ، والثاني على رأس الدرجة ، والثالث على الثياب التي كورها ليأخذها فلم يمل .

وفيها أمر رئيس الرؤساء بنصب أعلام سود في الكرخ ، فارتفع أهلها لذلك ، وكان كثير الأذية
لرافضة ، وإنما كان يدافع عنهم حميد الملك الكندي ، وزير طربل بك . وفيها هبت ريح شديدة
وارتفعت سحابة ترابية وذلك حمي ، فأظلمت الدنيا ، واحتاج الناس في الأسواق وغيرها إلى السرج .
قال ابن الجوزي : وفي العشر الثاني من جمادى الآخرة ظهر وقت السحر كوكب له ذؤابة طولها في
رأى العين نحو من عشرة أذرع ، وفي عرض نحو الذراع ، ولبث كذلك إلى النصف من رجب ، ثم
اضمحل . وذكروا أنه طلع مثله بمصر فلكت وخطب بها للمصريين . وكذلك بغداد المطلع فيها ملك
وخطب بها للمصريين . وفيها أزم الروافض بترك الأذان يحيى على خير العمل ، وأمروا أن ينادى مؤذنينهم
في أذان الصبح ، بعد حي على الفلاح : الصلاة خير من النوم ، مرتين ، وأزيل ما كان على أبواب
المساجد ومساجدهم من كتابة : محمد وعلى خير البشر ، ودخل المفشون من باب البصرة إلى باب
الكرخ ، يشدون بالقصائد التي فيها مدح الصحابة ، وذلك أن توه الرافضة اضمحل ، لأن بني بويه
كانوا حكاما ، وكانوا قروا ونصرتهم ، فزالوا وبادوا ، وذهبت دولتهم ، وجاء بعدهم قوم آخرون

من الأتراك السلجوقية الذين يحبون أهل السنة ويوالونهم ويرفون قديهم ، والله المحمود ، أبداً على طول المدى . وأمر رئيس الرؤساء الوالى بقتل أبي عبد الله بن الجلاب شيخ الروافض ، لما كان نظاهر به من الرضى والتوفى به ، قتل على باب دكانه ، وهرب أبو جعفر الطوسي ونهت داره .

وفىها جاء البساسيرى قبحة الله إلى الموصل وسه نور الدولة ديس ، فى جيش كثيف ، فاقفلت مع صاحبها قرىش ونصره قتلش بن عم طفرليك ، وهو جد ملوك الروم ، فهزمهما البساسيرى ، وأخذ البلد فها ، فغلب بها المصريين ، وأخرج كاتبه من السجن ، وقد كان أظهر الاسلام فلما منه أنه ينفعه ، فلم ينفعه قتل ، وكذلك خلب للمصريين فيها بالكوفة واسط وغيرها من البلاد . وعزم طفرليك على المسير إلى الموصل المناجزة البساسيرى قناه الخليفة عن ذلك لضيق الحال وغلاء الأسعار ، فلم يقبل فخرج بجيشه قاصدا الموصل بمحافل عظيمة ، وسه الفيلة والمنجنقات ، وكان جيشه لكثرتهم يتهبون القرى ، وربما سطوا على بعض الحريم ، فكتب الخليفة إلى السلطان ينهاء عن ذلك ، فبث إليه يتندر لكثرة من معه ، وافق أنه رأى رسول الله ﷺ فى المنام فسلم عليه فأعرض عنه ، فقال : يا رسول الله لأى شئ تعرض عني ؟ قال : يحملك الله فى البلاد ثم لا ترفق بخلقه ولا تخاف من جلال الله عز وجل . فاستيقظ مذموراً وأمر وزيره أن ينادى فى الجيش بالعدل ، وأن لا يظلم أحد أحدا . ولما اقترب من الموصل فتح دونها بلاداً ، ثم فتحها وسلمها إلى أخيه داود ، ثم سار منها إلى بلاد بكر ففتح أما كن كثيرة هناك .

وفىها ظهرت دولة الملتين ببلاد المغرب ، وأظهروا إعزاز الدين وكلة الحق واستولوا على بلاد كثيرة منها سجلماسة وأعمالها والسوس ، وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها ، وأول ملوك الملتين رجل يقال له أبو بكر بن عمر ، وقد أقام بسجلماسة إلى أن توفى سنة ثنتين وستين كحسبى بيانه ، ثم ولى بعده أبو نصر يوسف بن تاشفين ، وتلقب بأمرير المؤمنين ، وقرى أمره ، وعلا قدره ببلاد المغرب . وفىها أزم أهل القلعة بلبس الفيار ببضاد ، عن أمر السلطان . وفىها ولد لتخيرة الدين بعد موته من جارية له ولد ذكر ، وهو أبو القاسم عبد الله المقتدى بأمر الله . وفىها كان الغلاء والقضاء أيضاً مستمرين على الناس ببضاد وغيرها من البلاد ، على ما كان عليه الأمر فى السنة الماضية ، فافقه وإنا إليه راجعون . ولم يحج أحد من أهل العراق فيها .

وفىها توفى من الأعيان ﴿ على بن أحمد بن على بن سلك ﴾

أبو الحسن المودب ، المعروف بالغالى ^(١) ، صاحب الأمالى ، وفاة قرية قريبة من لينج ، أقام

(١) لأن صاحب الامالى اسمه أبو على اسماعيل بن القاسم ووفاته سنة ٦٥٦ هـ . فجملة صاحب الامالى خطأ بلا شك وانما هو الغالى بالغاء كافى النجوم الزاهرة .

بالبصرة مدة ، وجمع بها من عمر بن عبد الواحد الهاشمي وغيره ، وقدم ببغداد فاستوطنتها ، وكان ثقة في نفسه ، كثير الفضائل . ومن شعره الحسن :

لما تبدلت المجالس أوجهاً * غير الذين عهدت من علمائها
ورأيتها محفوفة بسوى الأولى * كانوا ولادة ضوورها وفنائها
أنشئت بيتاً سائراً متقدماً * واليمين قد شرقت بجاري مائها
أما الخيام فاتها كخيامهم * وأرى نساء الحى غير نساءها
ومن شعره أيضاً : تصدر للتدريس كل مهوس * بليد تسمى بالفتية المدرس
لحق لأهل العلم أن يشتملوا * ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

(محمد بن عبد الواحد بن محمد الصباغ)

الفتية الشافعي ، وليس بصاحب الشامل ، ذاك متأخر وهذا من تلاميذ أبي حامد الاسفرايني ، كانت له حلقة للفتوى بجامعة المدينة ، وشهد عند فاضل القضاة الداماني الحنفي قبله ، وقد جمع الحديث من ابن شاهين وغيره ، وكان ثقة جليل القدر .

﴿ هلال بن الحسن ﴾

ابن إبراهيم بن هلال ، أبو الخير الكاتب الصافي ، صاحب التاريخ ، وجد أبو إسحاق الصافي صاحب الرسائل ، وكان أبوه صائغاً أيضاً ، أسلم هلال هنا متأخراً ، وحسن إسلامه ، وقد سمع في حال كفره من جماعة من المشايخ ، وذلك أنه كان يتردد إليهم يطلب الأدب ، فلما أسلم فنه ذلك ، وكان ذلك سبب إسلامه على ما ذكره ابن الجوزي : بسنده معلولاً ، أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام مراراً يدعو إلى الله عز وجل ، ويأمره بالدخول في الإسلام ، ويقول له : أنت رجل عاقل ، فلم تمنع دين الإسلام الذي قامت عليه الدلائل ؟ وأراه آيات في المنام شاهداً في اليقظة ، فنها أنه قال له : إن امرأتك حامل بولد ذكر ، فسمه محمداً ، فولدت ذكراً ، فسمه محمداً ، وكناه أبا الحسن ، في أشياء كثيرة سردها ابن الجوزي ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكان صدوقاً . توفي عن تسعين سنة ، منها في الإسلام نيف وأربعون سنة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة ﴾

فيها كان الغلاء والفتنة مستمرين ببغداد وغيرها من البلاد ، بحيث خلت أكثر الدور وسدت على أهلها أبوابها بما فيها ، وأهلها موتى فيها ، ثم صار المار في الطريق لا يلتقي الواحد بمداً الواحد وأكل الناس الجيف والنتن من قلة الطعام ، ووجد مع امرأة تغذ كلب قد أخضر وشوى رجل صبية

في الأتون وأكلها ، وقيل وسقط طائريته من حائط فاحتوشته خمسة أنفس فالتسوه وأكلوه ، وورد
 كتاب من بخاري أنه مات في يوم واحد منها ومن معاملتها ثمانية عشر ألف إنسان ، وأحصى من مات
 في هذا الوباء من تلك البلاد إلى يوم كتب فيه هذا الكتاب بألف ألف ، وخمسة آلاف وخمسين ألف
 إنسان ، والناس يمرون في هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقا فارغة وطرقات خالية ، وأربابا معلقة ، ووحشة
 وعدم أنس . حكاه ابن الجوزي . قال : وجاء الخبر من أذربيجان وتلك البلاد بالوباء العظيم ، وأنه لم
 يسلم من تلك البلاد إلا المدد اليسير جدا . قال : ووقع وباء بالأهواز وباط وأعمالها وغيرها ، حتى طبق
 البلاد ، وكان أكثر مسبب ذلك الجوع ، كان الفقراء يشون الكلاب وينبشون القبور ويشون
 الموتى يأكلونهم ، وليس الناس شغل في الليل والنهار إلا غسل الأموات ونهبهم ودقهم ، فكان
 يحضر الحفير فيدفن فيه المشرون والثلاثون ، وكان الإنسان بينا هو جالس إذا انشق قلبه عن دم
 المبهجة ، فيخرج منه إلى النعم قطرة فيموت الإنسان من وقته ، وتب الناس وتصدقوا بأكثر أموالهم
 فلم يجدوا أحدا يقبل منهم ، وكان القمير تمرض عليه الدناير الكثيرة والدرام والنياب فيقول : أنا
 أريد كسرة أريد ما يسد جوعي ، فلا يجد ذلك ، وأراق الناس الحور وكسروا آلات اللهو ، ولزموا
 المساجد لعبادة وقراءة القرآن ، وقل دار يكون فيها خير إلا مات أهلها كلهم ، ودخل على مريض له
 سبعة أيام في النزاع فأشار بيده إلى مكان فوجدوا فيه خاية من خير فأراقوها فأت من وقته بسهولة ،
 ومات رجل في مسجد فوجدوا معه خمسين ألف درهم ، فمضت على الناس فلم يقبلها أحد فتركت
 في المسجد تسعة أيام لا يريدها أحد ، فلما كان بعد ذلك دخل أربعة ليأخذوها فأتوا جليها ، فلم
 يخرج من المسجد منهم أحد حتى ، بل ماتوا جميعا . وكان الشيخ أبو محمد عبد الجبار بن محمد يشتغل
 عليه سبعمائة متقة ، فأت وماتوا كلهم إلا اثني عشر نفرا منهم ، ولما اصططح السلطان ديبس بن علي
 رجع إلى بلاده فوجدتها خرابا لقتله أهلها من الطاعون ، فأرسل رسولا منهم إلى بعض النواحي فقتلوه
 طائفة فقتلوه وشووه وأكلوه .

قال ابن الجوزي : وفي يوم الأربعاء لسبع شعبان من جمادى الآخرة احترقت قلعة عيسى وسوق
 الطعام والكينيس ، وأصحاب السقط وباب الشمير ، وسوق المطارين وسوق الروس والآطالين
 وانخشاين والجزارين والتارين ، والقطيعة وسوق مخول ونهر الزنجاج وسوقة غالب والصغار بن
 والصباغين وغير ذلك من المواضع ، وهذه مصيبة أخرى إلى ما بالناس من الجوع والتلاذ والفناء ،
 ضنف الناس حتى حلفت النار فعملت أعمالها ، فأن الله وإنا إليه راجعون . وفيها أكثر العياريون
 يفتدوا ، وأخذوا الأموال جهارا ، وكبسوا الدور ليلا ونهارا ، وكبست دار أبي جعفر الطوسي متكلما
 الشيعة ، وأحترقت كتبه ومآثره ، ودقاره التي كان يستعملها في خلافته وبسته ، ويهدو إليها أهل

ملته ونحلته ، والله الحمد . وفيها دخل الملك طغريك بنمادكاً إليها من الموصل فتلقاء الناس والكبراء إلى أثناء الطريق ، وأحضر له رئيس الرؤساء خلعة من الخليفة مرصعة بالجواهر فلبسها ، وقبل الأرض ثم بعد ذلك دخل دار الخلافة ، وقد ركب إليها فرسا من مراكب الخليفة ، فلما دخل على الخليفة إذا هو على سرير طويله سبعة أذرع ، وعلى كتفه البردة النبوية ، ويده القضب ، وقبل الأرض وجلس على سرير دون سرير الخليفة ، ثم قال الخليفة لرئيس الرؤساء : قل له أمير المؤمنين حامد لسميك شاكر لفضلك ، آفس يقربك ، وقد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده ، فائق الله فيها ولاك ، واجتهد في عمارة البلاد وإصلاح العباد ونشر العدل وكف الظلم ، فسرله حميد الدولة ما قال الخليفة فقام وقبل الأرض وقال : أنا خادم أمير المؤمنين وعبد ، ومتصرف على أمره ونهيه ، ومتشرف بما أهلى له واستخدمني فيه ، ومن الله أستمد المعونة والتوفيق . ثم أمره الخليفة أن ينهض للباس الخلعة فقام إلى بيت في ذلك البهو ، فأفيض عليه سبع خلع وتاج ، ثم عاد فجلس على السرير بعد ما قبل يد الخليفة ، ورأى تقبيل الأرض فلم يتمكن من التناج ، فأخرج الخليفة مسيفا فقلبه إياه وخرطب بملك الشر والفرج ، وأحضرت ثلاثة أولية فقد منها الخليفة لواء بيده ، وأحضر المهد إلى الملك ، وقرى بين يديه بمحضرة الملك وأوصاه الخليفة بتقوى الله والعدل في الرعية ، ثم نهض فقبل يد الخليفة ثم وضعها على عياله ، ثم خرج في أبهة عظيمة إلى داره وبين يديه الحجاب والجيش بكاله ، وجاء الناس للسلام عليه ، وأرسل إلى الخليفة بتحف عظيمة ، منها خمسون ألف دينار ، وخمسون غلاما أنراكا ، بمراكبهم وسلاحهم ومناظيرهم وخمسةائة ثوب أنواعا ، وأعطى رئيس الرؤساء خمسة آلاف دينار ، وخمسين قطعة فاش وغير ذلك .

وفيها قبض صاحب مصر على وزيره أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن البازري ، وأخذ خطه بثلاثة آلاف دينار ، وأحيط على ثمانين من أصحابه ، وقد كان هذا الوزير قتيبا حنيفيا ، يحسن إلى أهل العلم وأهل الأنزوين ، وقد كان الشيخ أبو يوسف القزويني يثق عليه ويمدحه .
ومن توفي فيها من الأعيان . (أحمد بن عبد الله بن سليمان) .

ابن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحرث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمه بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أبو العلاء الممرى التنوخي الشاعر ، المشهور بالزندقة ، الفقي ، صاحب الدواوين والمصنفات في الشعر والفقه ، ولد يوم الجمعة عند غروب الشمس ثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وأصابه جدرى وله أربع سنين أو سبع ، فذهب بصره ، وقال الشعر وله إحدى عشرة أو ثلثا عشرة سنة ، ودخل

بنداد سنة تسع وتسعين وفلاحة ، فأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ثم خرج منها طريقاً منزلاً ، لأنه سأل سؤالا بشعر يدل على قلة دينه وعلمه وعقله فقال :

تناقض فاننا إلا السكوت له • وأن نموذ بمولاتنا من النار

يد يمحس مشين عسجد وديت • ما بالها قطعت في ربيع دينار

وهذا من إفكك يقول : البعد دينها خمسمائة دينار ، فالكم تقطعونها إذا سرت ربيع دينار ، وهذا من قلة عقله وعلمه ، وعي بصيرته . وذلك أنه إذا جنى عليها يناسب أن يكون دينها كثيرة لينزجر الناس عن العدوان ، وأما إذا جنت هي بالسرقة فيناسب أن تقل قيمتها ودينها لينزجر الناس عن أموال الناس وتصاب أموالهم ، ولهذا قال بعضهم : كانت ثمينة لما كانت أمانة ، فلما خانت هانت . ولما عزم الفقهاء على أخذه بهذا وأمثاله هرب ورجع إلى بلده ، ولزم منزله فكان لا يخرج منه . وكان يوماً عند الخليفة وكان الخليفة يكره المتنبي ويضع منه ، وكان أبو العلاء يحب المتنبي ويرفع من قدره ويمدحه ، فجرى ذكر المتنبي في ذلك المجلس فنهض الخليفة ، فقال أبو العلاء : لو لم يكن للمتنبي إلا قصيدته التي أولها • لك يا منازل في القلوب منازل • لكفاه ذلك . فنضب الخليفة وأمر به فحسب برجله على وجهه وقال : أخرجوا عن هذا الكلب . وقال الخليفة : أتدرون ما أراد هذا الكلب من هذه القصيدة ؟ وذكره لها ؟ أراد قول المتنبي فيها :

وإذا أتتكم منمقي من ناقص • فبى الدليل على أى كمل

وإلا فالمتنبي له قصائد أحسن من هذه ، وإنما أراد هذا . وهذا من فرط ذكاء الخليفة ، حيث ثلجه لهذا . وقد كان المعري أيضاً من الأذكياء ، ومكث المعري حساً وأربعين سنة من عمره لا يأكل اللحم ولا البين ولا البيض ، ولا شيئاً من حيوان ، على طريقة البراهمة الفلاسفة ، ويقال إنه اجتمع براهب في بعض الصوامع في مجيئه من بعض السواحل آواه الليل عنده ، فشككه في دين الاسلام ، وكان يتنقذ بالنبات وغيره ، وأكثر ما كان يأكل العنبر ويحلى باللبس وبالنبت ، وكان لا يأكل بحضرة أحد ، ويقول : أكل الاحمى عورة ، وكان في غاية الذكاء المفرط ، على ما ذكره ، وأما ما ينقلونه عنه من الأشياء المكنوبة المختلفة من أنه وضع تحت سريره درهم فقال : إما أن تكون السماء قد انخفضت مقدار درهم أو الأرض قد ارتفعت مقدار درهم ، أى أنه شعر بارتفاع سريره عن الأرض مقدار ذلك الدرهم الذى وضع تحته ، فهذا لا أصل له . وكذلك يذكرن عنه أنه مرقى بعض أسفاره فكان فطاطماً رأسه قليل له في ذلك قال : أما هنا شجرة ؟ قالوا : لا ، فنظروا فإذا أصل شجرة كانت هناك في الموضع الذى فطاطماً رأسه فيه ، وقد قطعت ، وكان قد اجنازها قديماً مرة فأمره من كان معه بمطاطاة رأسه لما جازوا تحتها ، فلما مر بها المرة الثانية فطاطماً رأسه خوفاً من أن يصيبه شيء منها ، فهذا

لا يصح . وقد كان ذكياً ، ولم يكن زكياً ، وله مصنفات كثيرة أكثرها في الشعر ، وفي بعض أشعاره ما يدل على زندقته ، وأحلامه من الدين ، ومن الناس من يمتنر عنه ويقول : إنه إنما كان يقول ذلك مجوناً ولسباً ، ويقول بلسانه ما ليس في قلبه ، وقد كان بلطنه مسلماً . قال ابن عقيل لما بلغه : وما الذي أُلجأ أن يقول في دار الاسلام ما يكفره به الناس ؟ قال : والمتناقضون مع قلة عقلهم وعلمهم أجود سياسة منه ، لأنهم حافظوا على قبائهم في الدنيا وستروها ، وهذا أظهر الكفر الذي تسلط عليه به الناس وزندقوه ، والله يعلم أن ظلمه كباطنه . قال ابن الجوزي : وقد رأيت لأبي العلاء المعري كتاباً سماه الفصول والغايات ، في معارضة السور والآيات ، على حروف المعجم في آخر كلماته وهو في غاية الركاكة والبرودة ، فصبحت من أحمى بصره وبصيرته . قال : وقد نظرت في كتابه المسمى لزوم مالا يلزم ، ثم أورد ابن الجوزي من أشعاره الدالة على استهتاره بدين الاسلام أشياء كثيرة فن ذلك قوله :

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل * وترزق مجنوناً وترزق أحقاً
فلا ذنب يارب السماء على امرئ * رأى منك مالا يشتهي فتزندقاً
وقوله ألا إن البرية في ضلال * وقد نظر اليبس لما اعتراها
تقدم صاحب التوراة موسى * وأوقع في انخسار من افتراها
فقال رجاله وحى أناه * وقال الناظرون بل افتراها
وما حجبى إلى أحجار بيت * كروس الحجر تشرف في فراها
إذا رجع الحليم إلى حجاجه * نهلون بالمناهب وازدراها
وقوله عنت الخنيقة والنصارى اهتمت * ويهود جارت والمجوس مضلة
اثنتان أهل الأرض ذو عقل بلا * دين وآخر خودين ولا عقل له
وقوله فلا تحسب مقال الرسل حقاً * ولكن قول زور سطره
فكان الناس في عيش رغيد * لجأوا بالهال فكسروه
وقلت أنا معارضة عليه :

فلا تحسب مقال الرسل زوراً * ولكن قول حق بلغوه
وكان الناس في جهل عظيم * لجأوا بالبيان فأوضحوه
وقوله إن الشرائع ألقت بيننا إحنا * وأورقتنا أغانين المداوات
وهل أبيع نساء الروم عن عرض * فحرب إلا بأحكام النبوات
وقوله وما حمدي لأدم أو بليه * وأشهد أن كلهم خسيس

- وقوله أفيقوا أفيقوا يا غواة قاتما • دياتكم مكرآ من القنما
 وقوله صرف الزمان مفرق الالفين • فاحكم إلى بين ذاك وبين
 نهيت عن قتل النفوس لعددا • وبشت تفضها مع الملكين
 وزعمت أن لما معداداً ثانياً • ما كان أغناها عن الحاليين
 وقوله ضحكنا وكان الضحك مناسفاة • وحق لسكان البسيطة أن يبكروا
 نحلطنا الأيام حتى كأنتا • زجاج ولكن لا يعود له سبك
 وقوله أمور تستخف بها علوم • وما يدري الفتى لمن الثبور
 كتاب محمد وكتاب موسى • وإيحيى ابن مريم والزبور
 وقوله قالت معاشر لم يبعث إلهمكم • إلى البرية عيساهوا ولا موسى
 وإنما جعلوا الرحمن مأكلة • وصيروا دينهم في الناس ظموسا

وذکر ابن الجوزی وغيره أشياء كثيرة من شعره تدل على كفره ، بل كل واحدة من هذه الأشياء تدل على كفره وزندقته وأخلاقه ، ويقال إنه أوصى أن يكتب على قبره :

هذا جناة أبى حل • وما جنيت على أحد

معناه أن أباه بتزوجه لأمه أوقفه في هذه الفارة ، حتى صار بسبب ذلك إلى ما إليه صار ، وهو لم يمين على أحد بهذه الجناية ، وهذا كله كفر وإلحاد فيحبه الله . وقد زعم بعضهم أنه أقنع عن هذا كله وتاب منه ، وأنه قال قصيدة يستنفر فيها من ذلك كله ، ويتنصل منه ، وهي القصيدة التي يقول فيها :

يا من يرى مد البعوض جناحها • في ظلمة الليل البهيم الأليل
 ويرى مناط عروقها في نحرها • والمخ في تلك العظام النسل
 امنن على بتوبة تمحو بها • ما كان مني في الزمان الأول

توفي في ربيع الأول من هذه السنة بكرة الثمان ، عن ست وعشرين سنة إلا أربعة عشر يوماً ، وقد رثاه جماعة من أصحابه وتلاميذه ، وأنشئت عند قبره ثمانون مرثاة ، حتى قال بعضهم في مرثاة له

إن كنت لم ترق القماء زهادة • فلقد أرقك اليوم من جفنى دما

قال ابن الجوزي : وهؤلاء الذين زووه والذين اعتقدوه : إما جهال بأمره ، وإما ضلال على منهجه وطريقه . وقد رأى بعضهم في النوم رجلاً ضريراً على مائة جتان مدليتان على صدره ، رافقتان رؤسهما إليه ، وهما ينشان من لحمه ، وهو يستغيث ، وقائل يقول : هذا المرء الملحد . وقد ذكره ابن خلكان فرجع في نسبه على حاله في الشعراء ، كما ذكرنا . وقد ذكره من المصنفات كتباً كثيرة ، وذكر أن بعضهم وقف على الجمل الأول بعد المائة من كتابه المسى بالأيك والفصون ،

وهو المعروف بالمدن والدنف ، وأنه أخذ العربية عن أبيه واشتغل بحلب على محمد بن عبد الله بن ساعد النحوي ، وأخذ عنه أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي ، والخطيب أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي ، وذكر أنه مكث خساً وأربعين سنة لا يأكل اللحم على طريقة الحكماء ، وأنه أوصى أن يكتب على قبره : هذا جناه أبي علي * وما جئيت على أحد

قال ابن خلكان : وهذا أيضاً متعلق باعتقاد الحكماء ، فاتهم يقولون اتخاذ الولد وإخراجه إلى هذا الوجود جنابة عليه ، لأنه يتعرض للحوادث والآفات . قلت : وهذا يدل على أنه لم يتغير عن اعتقاده ، وهو ما يقتضيه الحكماء إلى آخر وقت ، وأنه لم يقلع عن ذلك كما ذكره بعضهم ، والله أعلم بظواهر الأمور وبواطنها ، وذكر ابن خلكان أن عبته التي كانت ثائثة وعليها بياض ، وعينه اليسرى غائرة ، وكان قصفاً ثم أورد من أشعاره الجيدة أبياتاً فيها قوله :

لا تطلين بألّة لك رتبة * قلم البليغ بنير جدم منزل

سكن السما كان السماء كلامها * هذا له رمح وهذا أعزل

(الأستاذ أبو عثمان الصابوني)

إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن عامر بن عابد النيسابوري ، الحافظ الواعظ المفسر ، قدم دمشق وهو ذاهب إلى الحج فسمع بها وذكر الناس ، وقد ترجمه ابن عساكر ترجمة عظيمة ، وأورد له أشياء حسنة من أقواله وشعره ، فمن ذلك قوله :

إذا لم أصب أموالكم وتوالمكم * ولم أمل المعروف منكم ولا البرا

وكنتم عبيداً فلتنى أنا عبده * فمن أجل ماذا أتمسك البدن الحر ؟

وروى ابن عساكر عن إمام الحرمين أنه قال : كنت أتردد وأنا بمكة في المذاهب فرأيت النبي

ﷺ وهو يقول : عليك باعتقاد أبي عثمان الصابوني . رحمه الله تعالى .

(ثم دخلت سنة خمسين وأربعمائة)

فيها كانت فتنة الخليفة البساسيري ، وهو أرسلان التركي ، وذلك أن إبراهيم بنال أخا الملك طغريك ترك الموصل الذي كان قد استملكه أخوه عليها ، وعمل إلى ناحية بلاد الجبل ، فاستدعاه أخوه وخلع عليه وأصلح أمره ، ولكن في غضون ذلك ركب البساسيري ومعه قريش بن بردان أمير العرب إلى الموصل فأخذها ، وأخرب قلعتها ، فسار إليه الملك طغريك سريعاً فاستردها وهرب منه البساسيري وقريش خوفاً منه ، فتبعهما إلى نصيبين ، وفارقه أخوه إبراهيم ، وعصى عليه ، وهرب إلى همدان ، وذلك بإشارة البساسيري عليه ، فسار الملك طغريك وراء أخيه وترك عساكره وراءه فتفرقوا وقل من لحقه منهم ، ورجعت زوجته الخاتون ووزيره الكندي إلى بغداد ، ثم جاء الخليفة

بأن أخاه قد استظهر عليه ، وأن طر بك محصور بهمنان ، فارتفع الناس لذلك ، واضطربت بغداد ، وجاء الخبر بأن البساسيري على قصد بغداد ، وأنه قد اقترب من الأنبار ، قوى عزم الكندري على الهروب ، فأرادت الخاتون أن قبض عليه فتحول عنها إلى الجانب الغربي ، ونهبت داره وقطع الجسر الذي بين الجانبين ، وركبت الخاتون في جهور الجيش ، وذهبت إلى همدان لأجل زوجها ، وسار الكندري ومعه أنوشروان بن تومان وأم الخاتون المذكورة ، ومعها بقية الجيش إلى بلاد الأهواز ، وبقيت بغداد ليس بها أحد من المقاتلة ، فعزم الخليفة على الخروج منها ، وليته فعل ، ثم أحب داره والتمام مع أهله ، فكثرت فيها اغترارا ودعة ، ولما خلى البلد من المقاتلة قبل الناس : من أراد الرحيل من بغداد فليذهب حيث شاء ، فارتفع الناس وبكى الرجال والنساء والأطفال ، وعبر كثير من الناس إلى الجانب الغربي ، وبلغت المعبرة دینارا ودينارين لعدم الجسر . قال ابن الجوزي : وطاف تلك القيلة على دار الخليفة نحو عشرين بركات مجتمعات يصحن صياحاً مزججاً ، وقيل لرئيس الرؤساء المصلحة أن الخليفة يرتحل لعدم المقاتلة فلم يقبل ، وشرعوا في استخدام طائفة من العوام ، ودفع إليهم سلاح كثير من دار المملكة ، فلما كان يوم الأحد الثامن من ذي القعدة من هذه السنة جاء البساسيري إلى بغداد ومعه الرايات البيض المصرية ، وعلى رأسه أعلام مكتوب عليها اسم المستنصر بالله أبو نجيم معد أمير المؤمنين ، فتلقاه أهل الكرخ الراضة وسألوه أن يجتاز من عندهم ، فنزل الكرخ وخرج إلى مشرعة الزاوي ، فغلب بها والناس إذ ذاك في جماعة وضرب شديد ، ونزل قرش بن بدران في نحو من مائتي فارس على مشرعة باب البصرة ، وكان البساسيري قد جمع البصريين وأطمعهم في نهب دار الخلافة ، ونهب أهل الكرخ دور أهل السنة بياب البصرة ، ونهبت دار قاضي القضاة الدامغانى ، وتملك أكثر السجلات والكتب الحكيمية ، وبيعت للمطارين ، ونهبت دور المتعلمين بخدمة الخليفة ، وأعطت الروافض الأذان بجي على خير العمل ، وأذن به في سائر تواجي بغداد في الجماعات والجماعات وخطب ببغداد للخليفة المستنصر المبيدى ، على منابرها وغيرها ، وضربت له السكة على الذهب والفضة ، وحوصرت دار الخلافة ، فحاجف الوزير أبو القاسم بن المسلة الملقب برئيس الرؤساء ، بمن معه من المستخدمين دونها فلم يقد ذلك شيئاً ، فركب الخليفة بالسواد والبردة ، وعلى رأسه القواء وبيعت سيف مصلت ، وحوله زمرة من الباسيين والجواري حاسرات عن وجوههن ، فشرارت شعورهن ، معهن المصاحف على رؤس الرماح ، وبين يديه الخدم بالسيف ، ثم إن الخليفة أخذ خضاماً من أمير العرب قرش لينعمه وأهله ووزيره ابن المسلة ، فأمنه على ذلك كله ، وأنزله في خيمة ، فلامسه البساسيري على ذلك ، وقال : قد حملت ما كان وقع الاتفاق عليه بيني وبينك ، من أنك لا تثبت برأى دوى ، ولا أنا دونك ، ومهما ملكنا بيني وبينك . ثم إن البساسيري أخذ القاسم بن مسلة

فويجئ تويجاً مفضحاً ، ولأمله لوما شديداً ، ثم ضربه ضرباً مبرحاً ، واعتقله مهاباً عنده ، ونهبت العامة دار الخليفة ، فلا يحصي ما أخفوا منها من الجواهر والنفائس ، والديباج والذهب والفضة ، والنياب والأثاث ، والقباب وغير ذلك ، مما لا يحصى ولا يوصف . ثم اتفق رأى البساسيري وقريش على أن يسيروا الخليفة إلى أمير حديثة عانة ، وهو مهارش بن مجلى النسوى ، وهو من بنى عم قریش بن بدران ، وكان رجلاً فيه دين وله مروءة . فلما بلغ ذلك الخليفة دخل على قریش أن لا يخرج من بغداد فلم يند ذلك شيئاً ، وسيره مع أصحابهما في هودج إلى حديثة عانة ، فكان عند مهارش حولا كاملاً ، وليس معه أحد من أهله ، فحكى عن الخليفة أنه قال لما كنت بمدينة عانة قتل ليلة إلى الصلاة فوجئت في قلبي حلاوة المناجاة ، ثم دعوت الله عز وجل بما سئلت ، ثم قلت : اللهم أهدني إلى وطني ، واجمع بيني وبين أهلي وولدي ، ويسر اجتماعنا ، وأعذر ورض الانس زاهراً ، وربع القرب عامراً ، وفلفل الزما وبرج الجفا ، قال : فسمعت قائلاً على شاطئ الفرات يقول : نعم نعم ، فقلت : هذا رجل يخاطب آخر ، ثم أخذت في السؤال والابتهال ، فسمعت ذلك الصائح يقول : إلى الحول إلى الحول ، فقلت : إنه هاتف أنطقه الله بما جرى الأمر عليه ، وكان كذلك ، فخرج من داره في ذى القعدة من هذه السنة ، ورجع إليها في ذى القعدة من السنة المقبلة ، وقد قال الخليفة القائم بأمر الله في عدة مقامه بالحديثة شعراً يذكر فيه حاله فنه :

سأمت ظنوني فبين كنت آمله • ولم يحل ذكر من واليت في خلدي
 نملوا من صروف الدهر كلهم • فما أرى أحداً يحنو على أحد
 فما أرى من الأيام إلا موعداً • ففى أرى ظفري بذاك الموعد
 يومى يمر وكلما قضيته • علت نفسى بالحديث إلى غد
 أقبح بنفس تستريح إلى المنى • وعلى مطامها نروح وتقتدى

وأما البساسيري وما اعتمده في بغداد : فإنه وكب يوم عيد الأضحى وألبس الخطباء والمؤذنين البياض ، وكذلك أصحابه ، وعلى رأسه الأتوية المصرية ، وخطب للخليفة المصرى ، والروافض في غاية السرور ، والأذان يسائر العراق يحى على خير العمل ، واتفق البساسيري من أعيان أهل بغداد انتقاماً عظيماً ، وغرق خلقاً ممن كان يدايه ، ويسط على آخرين الأرزاق ممن كان يحبه وبوابه ، وأظهر السدل . ولما كان يوم الاثنين ليلتين بقيتا من ذى الحجة أحضر إلى بين يديه الوزير ابن المسلة الملقب رئيس الرؤساء ، وعليه جبة صوف ، وطرطور من لبد أحمر ، وفي رقبته خنقة من جلود كالتماويذ ، فأركب جملاً أحمر وطيف به في البلد ، وخلفه من يصفه بقلمة جلد ، وحين اجتاز بالكرخ نثروا عليه خلقان المداسات ، وبصقوا في وجهه ولعنوه وسبوه ، وأوقف بإزاء دار الخلافة وهو

في ذلك ينلو قوله تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتمزج من تشاء وتقدر على كل شيء قدير) ثم لما فرغوا من التطواف به جئ به إلى المسكر فألبس جلد ثور بقرنيه ، وعلق بكلوب في شديقه ، ورفع إلى الخشبة ، فجعل يضطرب إلى آخر التهارفات رحمه الله . وكان آخر كلامه أن قال : الحمد لله الذي أحياني سعيدا ، وأماتني شهيدا . وفيها وقع برد بأرض العراق أهلك كثيرا من النلات ، وقتل بعض الفلاحين ، وزادت دجلة زيادة كثيرة ، وزلزلت بغداد في هذه السنة قبل الفتنه بشهر زلزالا شديدا ، قهدمت دور كثيرة ، ووردت الأخبار أن هذه الزلزلة اتصت بهمنان وواسط ، ومكرت ، وعانة ، وذكر أن الطواحين وقتت من شدتها . وفيها كثرت الوباء ببغداد حتى كانت المصائم تختلف عن الرؤس ، وخلفت عمامة الشيخ أبي نصر الطيب ، وطيلسانه وهو ذاهب إلى صلاة الجمعة .

وفي أواخر السنة خرج السلطان طغرل بك من همدان فقاتل أخاه واتصر عليه ، وفرح الناس وتباشروا بذلك ، ولم يظهروا ذلك خوفا من البساسيري ، واستنجد طغرل بك بأولاد أخيه داود . وكان قد مات - على أخيه إبراهيم فغلبوه وأسروه في أوائل سنة إحدى وخمسين ، واجتمعوا على صهم طغرل بك ، فسار بهم نحو العراق ، فكان من أمرهم ما سيأتي ذكره في السنة الآتية إن شاء الله . وفيها توفي من الأعيان . ﴿ الحسن بن محمد أبو عبد الله الوبي ﴾

الفرضي ، وهو شيخ الحربي ، وكان شافعي المنصب ، قتل في بغداد في فتنة البساسيري ، ودفن في يوم الجمعة يوم عرة منها . ﴿ داود أخو طغرل بك ﴾
وكان الأكبر منهم ، توفي فيها وقام أولاده مقلبه .

﴿ أبو الطيب الطبري ﴾

الفتية ، شيخ الشافعية ، طاهر بن عبد الله بن طاهر بن حمزة ولد بأمل طبرستان سنة ثمان وأربعين وثلثمائة ، جمع الحديث بمرجان من أبي أحمد النطري ، وبليسا بور من أبي الحسن المرسجي ، وعليه درس الفتية أيضا وعلى أبي علي الزجالي ، وأبي القاسم بن كنج ، ثم اشتغل ببغداد على أبي حامد الاسفرايني ، وشرح المختصر وفروع ابن الحداد ، وصنف في الأصول والجلد ، وغير ذلك من العلوم الكثيرة النافعة ، وجمع ببغداد من الفارصقي وغيره ، وولى القضاء بريح الكرخ بعد موت أبي عبد الله الصيمري ، وكان ثقة دينا ورعا ، علما بأصول الفتية وفروعه ، حسن انخلق سليم الصدر مواظبا على تعليم العلم ليلا ونهارا . وقد ترجمته في طبقات الشافعية ، وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي عنه - وكان شيخه ، وقد أجلسه بعده في الحلقة - أن أبا الطيب أسلم خاله - وكان متقللا من الدنيا فقيرا - عند خفاف ليصلحه له فأبى عليه فكان كلما مر عليه أخذه فمسه في الماء وقال : أيها الشيخ الساعة

أصلحه ، فقال الشيخ : أسلمته لتصلحه ولم أسلمه لتعلمه السبلحة . وحكى ابن خلكان أنه كان له ولأخيه حاملة واحدة ، وقيص واحد ، إذا لبسهما هذا جلس الآخر في البيت لا يخرج منه ، وإذا لبسهما هذا احتاج الآخر أن يقعد في البيت ولا يخرج منه ، وإذا غسلاهما جلسا في البيت إلى أن يبيسا وقد قال في ذلك أبو الطيب :

قوم إذا غسلوا ثياب جملهم * لبسوا البيوت إلى فراغ الفاسل
وقد توفي في هذه السنة عن مائة سنة وستين ، وهو صحيح العقل ، والفهم ، والأعضاء ، يفتى ويشتغل إلى أن مات ، وقد ركب مرة سفينة فلما خرج منها ففر ففزة لا يستطيعها الشباب فقبل له :
ما هذا يا أبا الطيب ؟ فقال : هذه أعضاء حفظناها في الشبية تنفعا في الكبر رحمه الله .

﴿ القاضي الماوردي ﴾

صاحب الحاوي الكبير ، علي بن محمد بن حبيب ، أبو الحسن الماوردي البصري ، شيخ الشافعية ، صاحب التصانيف الكثيرة في الأصول والفروع والتفسير والأحكام السلطانية ، وأدب الدنيا والدين . قال : بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة ، يعني الاقتناع . وقد ولي الحكم في بلاد كثيرة ، وكان حلياً وقوراً أديباً ، لم ير أصحابه فزاعه يوماً من الدهر من شدة تحزره وأدبه ، وقد استعصيت ترجمته في العبقريات ، توفي عن ست وثمانين سنة ، ودفن بباب حرب .

﴿ رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلمة ﴾

علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر ، وزير القائم بأمر الله ، كان أولاً قد جمع الحديث من أبي أحمد الفرضي وغيره ، ثم صار أحد الممدلين ، ثم استكتبه القائم بأمر الله واستوزره ، ولقبه رئيس الرؤساء ، شرف الوزراء ، جمال الوزراء ، كان متضلماً بعلوم كثيرة مع سداد رأي ، وفور عقل ، وقد مكث في الوزارة ثلثي عشرة سنة وشهراً ، ثم قتله البساسيري بعد ما شهره كما تقدم ، وله من العمر ثلثان وخمسون سنة وخمسة أشهر .

﴿ منصور بن الحسين ﴾

أبو الفوارس الأسدي ، صاحب الجزيرة ، توفي فيها وأقاموا ولده بعده .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ﴾

استهل هذه السنة وبغداد في حكم البساسيري ، يخطب فيها لصاحب مصر الناطلي ، واغلبية المبالى بمصدينة عانة ، ثم لما كان يوم الاثنين ثاني عشر صفر أحضر القضاة أبا عبد الله الهاماني وجماعة من الوجوه والأعيان والأشراف ، وأخذ عليهم البيعة لصاحب مصر المستنصر الناطلي ، ثم دخل دار الخلافة وهؤلاء المذكورون معه وأمر بنقض تاج دار الخلافة ، فنقض بعض الشراريف ، ثم

قيل له إن التبع في هذا أكثر من المصلحة . ففكره ، ثم ركب إلى زيارة المشهد بالكوفة ، وهزم على عبور نهر جعفر ليسوق إلى الحائر لوفاء نذر كان عليه ، وأمر بأن تنقل جثة ابن مسلمة إلى ما يقارب الحرم الظاهري ، وأن تنصب على دخلة . وكتبت إليه أم الخليفة - وكانت مجوزاً كبيرة قد بلغت التسعين وهي محتفية في مكان - تشكو إليه الحاجة والفقر وضيق الحال ، فأرسل إليها من نقلها إلى الحرم ، وأخضعها جاريتين ، ورتب لها كل يوم اثني عشر رطلا من خبز ، وأربعة أرطال من لحم .

فصل

ولما خلاص السلطان طنرليك من حصره بهمنان وأسر أخاه إبراهيم وقتله ، وتمكن في أمره ، وطابت نفسه ، ولم يبق له في تلك البلاد منازع ، كتب إلى قريش بن بدران يأمره بأن يعيد الخليفة إلى وطنه ، وداره وتوعده على أنه إن لم يفضل ذلك وإلا أحل به بأساً شديداً ، فكتب إليه قريش يتلطف به ويدخل عليه ، ويقول : أنا مملوك على البساسيري بكل ما أقدر عليه ، حتى يمكنك الله منه ، ولكن أخشى أن أفسد في أمر يكون فيه على الخليفة مفسدة ، أو تبذر إليه هادرة سوء يكون على عارها ، ولكن سأعمل على ما أمرتني به بكل ما يمكنني ، وأمر برد امرأة الخليفة خاتون إلى دارها وقرارها ، ثم إنه راسل البساسيري بعود الخليفة إلى داره ، وخوفه من جهة الملك طنرليك ، وقال له فيما قال : إنك دعوتنا إلى طاعة المستنصر الفاطمي ، وبيننا وبينه ستائة فرسخ ، ولم يأتنا رسول ولا أحد من عنده ، ولم يفكر في شيء مما أرسلنا إليه ، وهذا الملك من ورائنا المرصاد ، قريب منا ، وقد جاءني منه كتاب عنوانه : إلى الأمير الجليل علم الدين أبي المالقي قريش بن بدران ، مولى أمير المؤمنين ، من شاهنشاه العظيم ملك المشرق والمغرب طنرليك ، أبي طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق ، وعلى رأس الكتاب السلامة السلطانية بخط السلطان . حسبي الله ونعم الوكيل . وكان في الكتاب : والآن قد سرت بنا المقادير إلى هلاك كل عدو في الدين ، ولم يبق علينا من المهمات إلا خمسة سيدتنا ومولاتا القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، وإطلاع أهبه إمامته على سرير عزه ، فإن الذي يلزمننا ذلك ، ولا فسحة في التقصير فيه ساعة من الزمان ، وقد أقبلنا بجنود المشرق وخبوينا إلى هذا المهم العظيم ، وتريد من الأمير الجليل علم الدين إيانة النجح الذي وفق له وتفرد به ، وهو أن يتم وفاءه من إقامته وخدمته ، في باب سيدتنا ومولاتا أمير المؤمنين ، إما أن يأتي به مكرماً في عزه وإمامته إلى موقف خلافة من مدينة السلام ، ويشتمل بين يديه متولياً أمره ومنفذاً حكمه ، وشاهراً سيفه وقلبه ، وذلك المراد ، وهو خليفتنا وتلك الخدمة بعض ما يجب له ، ونحن نؤتيك الرأق بأسرها ونصفي لك مشارع برها وبحرها ، لا يظفوها حافر خيل من خيول المعجم

شبراً من أراضي تلك المملكة ، لإلمتسكاً لمأوتك ومظاهرتك ، وإما أن تحافظ على شخصه الغالي بنحو يله من القاعة إلى حين نحظى بخدمته ، فليمتثل ذلك ويكون الأمير الجليلي خبيراً بين أن يلقانا أوقيم حيث شاء فنولية العراق كلها ، ونستخلفه في الخدمة الامامية ، ونعرف أعيننا إلى الممالك الشرقية ، فبمتنالا تقتضى إلا هذا .

فبعد ذلك كتب قريش إلى مهوش بن مجلى الذى عنده الخليفة يقول له : إن المصلحة تقتضى تسليم الخليفة إلى ، حتى آخذنى ولك به أماناً ، فامتنع عليه مهارش وقال قد غرني البساسيري ووعدنى بأشياء لم أرها ، ولست بمرسله إليك أبداً ، وله في عتقى أمان كثيرة لأغدرها ، وكان مهارش هذا رجلاً صالحاً ، فقال للخليفة : إن المصلحة تقتضى أن نسير إلى بلد بدر بن مهمل ، وننظر ما يكون من أمر السلطان طغربك ، فان ظهر دخلنا بغداد ، وإن كانت الأخرى نظراً لأنفسنا ، فاق أخشى من البساسيري أن يأتينا فيحصرونا . فقال له الخليفة : افضل ما فيه المصلحة . فساروا في الحادى عشر من ذى القعدة إلى أن حصلوا بقلمة تل عكبرا ، فتلقتهم رسل السلطان طغربك بالهدايا التي كان أنفنها ، وجاءت الأخبار بأن السلطان طغربك قد دخل بغداد ، وكان يوماً مشهوداً ، غير أن الجيش نهباو البلد غير دار الخليفة ، وصودر خلق كثير من التجار ، وأخذت منهم أموال كثيرة ، وشرعوا في عمارة دار الملك ، وأرسل السلطان إلى الخليفة مراكب كثيرة من أنواع الخيل وغيرها ، وسمراق وملابس ، وما يليق بالخليفة في السفر ، أرسل ذلك مع الوزير عبيد الملك الكندري ، ولما انتهوا إلى الخليفة أرسلوا بتلك الآلات إليه قبل أن يصلوا إليه ، وقالوا : اضربوا السراق وليلبس الخليفة ما يليق به ، ثم نجى ، ونحن نستأذن عليه فلا يأذن لنا إلا بعد ساعة طويلة ، فلما ضلوا ذلك دخل الوزير ومن معه قبلوا الأرض بين يديه ، وأخبروه بسرور السلطان بإسلامته ، وبما حصل من العود إلى بغداد ، وكتب عبيد الملك كتاباً إلى السلطان يله بصفة ماجرى ، وأحب أن يضع الخليفة علامته في أعلا الكتاب ليكون أقر لعين السلطان ، وأحضر الوزير دوائه ومعه سيف وقال : هذه خدعة السيف والقلم ، فأحبب الخليفة ذلك ، وترحلوا من منزلهم ذلك بعد يومين ، فلما وصلوا النهر وان خرج السلطان لتلقى الخليفة ، فلما وصل السلطان إلى سراق الخليفة قبل الأرض صبح مرات بين يدي الخليفة ، فأخذ الخليفة خدعة فوضهها بين يديه فأخذها الملك قبلها ، ثم جلس عليها كما أشار الخليفة ، وقدم إلى الخليفة الحبل الباقوت الأحمر الذى كان لبني بويه ، فوضه بين يديه ، وأخرج اثنتى عشرة حبة من لؤلؤ كبار ، وقال أرسلان خاتون - يعنى زوجة الملك - نخدم الخليفة ، وسأله أن يسحب بهذه المنبحة ، وجعل يلتفت من تأخره عن الحضرة بسبب عصيان أخيه فقتله ، واتفق موت أخى الأكبر أيضاً ، فاشتغلت بترتيب أولاده من بعده ، وأنا شاكر لمهارش بما كان منه من خدمة

أمير المؤمنين ، وأنا ذاهب إن شاء الله خلف الكلب البساسيري ، فأقتله إن شاء الله ، ثم أدخل الشام وأقبل بصاحب مصر ما ينبغي أن يجازى به من سوء المقاومة ، فعاد له الخليفة ، وأعطى الخليفة للملك سيفاً كان معه ، لم يبق معه من أمور الخلافة سواه ، واستأذن الملك لبقية الجيش أن يتحصنوا بالخليفة ، فرفضت الأمستار عن جوانب الحركات ، فلما شاهد الأتراك الخليفة قبلوا الأرض ، ثم دخلوا بغداد يوم الاثنين لخمس بقين من ذي القعدة ، وكان يوماً مشهوداً : الجيش كله معه والقضاة والأعيان والسلطان أخذ باجرام بقلته ، إلى أن وصل باب الحجرة ، ثم إنه لما وصل الخليفة إلى دار مملكته استأذنه السلطان في القهلب وراه البساسيري ، فأرسل جيشاً من فاحة الكوفة ليعنوه من الدخول إلى الشام ، وخرج هو والناس في التامع والمشرين من الشهر . وأما البساسيري فإنه مقبم بواسط في جمع غلات وأمور ربهيتها لقتال السلطان ، وعنده أن الملك طغريك ومن عنده ليسوا بشيء يخاف منه ، وذلك لما يريد الله تعالى من إهلاكه إن شاء الله .

﴿ صفة مقتل البساسيري وأخذه على يدى السلطان طغريك ﴾

لما سار السلطان وراه وصات الدرية الأولى فلقوه بأرض واسط ومعه ابن يزيد ، فأقتلوا هنالك وأنزهم أصحابه عنه ، ونجبا البساسيري بنفسه على فرس ، فقبضه بعض الفلمن فرمى فرسه بنشابة فألقته إلى الأرض ، فجاء الضلام فضر به على وجهه ولم يعرفه ، وأمره واحد منهم يقال له كسكين ، فخر رأسه وحمله إلى السلطان ، وأخذت الأتراك من جيش البساسيري من الأموال ما همزوا عن حمله ، ولما وصل الرأس إلى السلطان أمر أن يذهب به إلى بغداد ، وأن يرفع على رمح ، وأن يطاق به في الحال ، وأن يطوف معه الهدايا واليوقات والنفاطون ، وأن يخرج الناس والنساء للفرجة عليه ، ففعل ذلك ، ثم نصب على الطيارة تجاه دار الخليفة ، وقد كان مع البساسيري خلق من البغادة خرجوا معه ، غافلين أنه سيمود إلى بغداد ، فهلكوا ونهبت أموالهم ، ولم ينج من أصحابه إلا القليل ، وفر ابن يزيد في ناس قليل إلى البليحة ، ومعه أولاد البساسيري وأمههم ، وقد سلبتهم الأعراب فلم يتركوا لهم شيئاً . ثم استؤمن لابن يزيد من السلطان ودخل معه بغداد ، وقد نهبت المساكن ما بين واسط والبصرة والأهواز ، وذلك لكثرة الجيش وانتشاره وكثافته . وأما الخليفة فإنه حين عاد إلى دار الخلافة جعل لله عليه أن لا ينأى على وطاه ولا يأتيه أحد بطعام إذا كان صائماً ، ولا يخدمه في وضوئه وغسله أحد ، بل يتولى ذلك كله بنفسه لنفسه ، وعاهد الله أن لا يؤذى أحداً من آذاه ، وأن يصنع عن من ظلمه ، وقال : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .

وفيها تولى الملك ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بلاد حران بعد وفاة أبيه ، بتقرب ربه طغريك ، وكان له من الأخوة سليمان وقاروت بك ، ويقرى ، فتزوج طغريك بأم سليمان .

وفيهما كان بمكة رخص لم يسمع عنله ، بيع التمر والبركل مائتي وطل بدينار . ولم يحج أحد من أهل العراق فيها ﴿ ترجمة أرسلان أبو الحارث البساسيري التركي ﴾

كان من ممالك بهاء الدولة ، وكان أولاً ملوكاً لرجل من أهل مدينة بسا ، فنسب إليه قبيل له البساسيري ، وتلقب بالملك المظفر ، ثم كان مقدماً كبيراً عند الخليفة القائم بأمر الله ، لا يقطع أمراً دونه ، وخطب له على منابر العراق كلها ، ثم طغى وبنى وتمرد ، وغتا وخرج على الخليفة والمسلمين ودعا إلى خلافة الفاطميين ، ثم انقضى أجله في هذه السنة ، وكان دخوله إلى بغداد بأهله في سادس ذي القعدة من سنة خمسين وأربعمائة ، ثم اتفق خروجهم منها في سادس ذي القعدة أيضاً من سنة إحدى وخمسين ، بعد سنة كاملة ، ثم كان خروج الخليفة من بغداد في يوم الثلاثاء الثاني عشر من كانون الأول ، واتفق قتل البساسيري في يوم الثلاثاء الثامن عشر من كانون الأول ، بعد سنة شمسية ، وذلك في ذي الحجة منها . ﴿ الحسن بن الفضل ﴾

أبو علي الشرمقي المؤدب المقرئ الحافظ للقرآن والقراءات ، واختلافها ، كان ضيق الحال قرأه شيخه ابن الصلاف ذات يوم وهو يأخذ أوراق الخس من حجة ويأكلها ، فأعلم ابن المسلمة بحاله ، فأرسل ابن المسلمة خلافاً له وأمره أن يذهب إلى الخزانة التي له بمسجده فيتخذ لها مفتاحاً غير مفتاحه ، ثم كان كل يوم يضع فيها ثلاثة أرطال من خبز السميد ، ودجاجة ، وحلاوة السكر ، فظن أبو علي الشرمقي أن ذلك كرامة أكرمه الله بها ، وأن هذا الطعام الذي يجده في خزانته من الجنة ، فكنهه زماناً وجعل يشده :

من أطلوه على سر قباح به • لم يأمنوه على الأسرار ما علنا

وأبسدوه فلم يظفر بجرهم • وأبدلوه فكان الأئس إحصا

فلما كان في بعض الأيام ذاكره ابن الصلاف في أمره ، وقال له فيها قال : أراك قد سمحت فما هذا الأمر ، وأنت رجل قدير ؟ فجعل يلوح ولا يصرح ، ويكنى ولا يفصح ، ثم ألع عليه فأخبره أنه يجد كل يوم في خزانته من طعام الجنة ما يكفي ، وأن هذا كرامة أكرمه الله بها ، فقال له : ادع لابن المسلمة فإنه الذي يضل ذلك ، وشرح له صورة الحال ، فكسره ذلك ولم يسجبه .

﴿ علي بن محمود بن إبراهيم بن ملجزة ﴾

أبو الحسن الروزي ، شيخ الصوفية ، وإليه ينسب الرباط الروزي ، وقد كان بفي لأبي الحسن شيخه ، وقد صحب أبا عبد الرحمن السلمي ، وقال : صحبت ألف شيخ ، وأحفظ عن كل شيخ حكاية توفي في رمضان من خمس وثمانين سنة .

﴿ محمد بن علي ﴾

ابن الفتح بن محمد بن علي بن أبي طالب الحربي ، المعروف بالشاري ، لطول جسده ، وقد سمع الدارقطني وغيره ، وكان ثقة ديناً صالحاً ، توفي في جمادى الأولى منها ، وقد نيف على الثمانين

﴿ الولي القزفي ﴾

الحسين بن محمد بن عبد الله أبو عبد الله الوقي ، نسبة إلى وني قرية من أعمال جهنجان ، القزفي شيخ الحربي ، وهو أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم ، كان الوقي إماماً في الحسب والفرائض ، وانتفع الناس به ، توفي فيها ببغداد شهيداً في فتنة البساسيري والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة الثلاثين وخمسين وأربعمائة ﴾

في يوم الخميس السابع عشر من صفر ، دخل السلطان بغداد مرجعه من واسط ، بعد قتل البساسيري ، وفي يوم الحادي والعشرين جلس الخليفة في داره وأحضر الملك طغرل بك ، وممسطا عظيمًا فأكل الأمراء منه والعامّة ، ثم في يوم الخميس ثاني ربيع الأول عمل السلطان ممسطاً للناس ، وفي يوم الثلاثاء تاسع جمادى الآخرة قدم الأمير عبد الله بن خزيمة الدين بن أمير المؤمنين القائم بأمر الله . وعنه ، وله من العمر يومئذ أربع سنين ، صحبة أبي الفنائم ، فتلقاه الناس إجلالاً لجدّه ، وقد ولي الخلافة بعد ذلك ، وصحى المعتزدي بأمر الله . وفي رجب وقف أبو الحسن محمد بن هلال المتأبّي دار كتب ، وهي دار يشارع ابن أبي عوف من غربي بغداد ، ونقل إليها ألف كتاب ، عوضاً عن دار ازدشير التي أحرقت بالكرخ . وفي شعبان ملك محمود بن نصر حلب وقلعتها فامتدحه الشعراء . وفيها ملك عطية بن مرداس الرجة ، وذلك كله منتزع من أيدي الفاطميين . ولم ينجح أحد من أهل العراق فيها ، غير أن جماعة اجتمعوا إلى الكوفة وذهبوا مع الخفراء .

﴿ أبو منصور الجبلي ﴾

ومن توفي فيها من الأعيان . من تلاميذ أبي حامد ، ولي القضاء بباب الطالق . وبجرم دار الخلافة ، وسمع الحديث من جماعة . قال الخطيب : وكنتنا عنه وكان ثقة .

﴿ الحسن بن محمد ﴾

ابن أبي الفضل أبو محمد النسوي ، الوالي ، وسمع الحديث ، وكان ذكياً في صناعة الولاية ، ومعرفة التهم والمتهومين من الغرماء ، بلطيف من الصليح ، كما نقل عنه أنه أوقف بين يديه جماعة اتهموا بسرقة فأنّى بكوز يشرب منه ، فرمى به فارتفع الواقفون إلا واحداً ، فأمر به أن يقر ، وقال السارق يكون جريثاً قوياً ، فوجد الأمر كذلك ، وقد قتل مرة رجلاً في ضرب بين يديه فادعى عليه عند القاضي أبي الطيب ، فحكم عليه بالقصاص ، ثم فادى عن نفسه بمال جزيل حتى خلاص .

﴿ محمد بن عبيد الله ﴾

ابن أحمد بن محمد بن موسى ، أبو الفضل البزار ، انتهت إليه رئاسة القضاة المالكيين ببغداد ، وكان من القراء الجليدين ، وأهل الحديث المستدين ، سمع ابن حبانة والمخلص وابن شاهين ، وقد قبل شهادته أبو عبد الله الدامغانى ، وكان أحد المعدلين .

﴿ قطر الندى ﴾

ويقال الدجى ، ويقال علم ، أم الخليفة القائم بأمر الله ، كانت عجوزاً كبيرة ، بلغت التسعين ، وهى التى احتاجت فى زمان البساسيرى فأجرى عليها رزقا ، وأخدمها جاريتين ، ثم لم تمت حتى أقر الله عليها بولدها ، ورجوعه إليها ، واستمر أمرهم على ما كانوا عليه ، ثم توفيت فى هذه السنة ، فحضر ولدها الخليفة جنازتها ، وكانت حافلة جدا .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ﴾

فبها خطب الملك طغرل بك ابنة الخليفة ، فأنزعج الخليفة من ذلك ، وقال : هذا شئ لم يجر العادة بمثله ، ثم طالب شيئا كثيرا كهيئة الفرار . من ذلك ما كان لزوجته التى توفيت من الاقتطاعات بأرض واسعة ، وثلاثمائة ألف دينار ، وأن يقيم الملك ببغداد لا يرحل عنها ولا يوماً واحدا ، فوقع الاتفاق على بعض ذلك ، وأرسل إليها بمائة ألف دينار مع ابنة أخيه داود زوجة الخليفة ، وأشياء كثيرة من آنية الذهب والفضة ، والنثار والجواري ، ومن الجواهر ألبان ومائتى قطعة ، من ذلك سبعمائة قطعة من جوهر ، ووزن القطعة ما بين الثلاث مثاقيل إلى المثقال ، وأشياء أخرى . فتمنع الخليفة لفوات بعض الشروط ، فغضب حميد الملك الوزير فحذومه السلطان ، وجرت شروطه فاقضت أن أرسل السلطان كتابا يأمر الخليفة بالتنازع ابنة أخيه السيد أرسلان خاتون ، ونقلها من دار الخلافة إلى دار الملك ، حتى تنفصل هذه القضية ، فعزم الخليفة على الرحيل من بغداد ، فأنزعج الناس لذلك ، وجاء كتاب السلطان إلى رئيس شحنة بغداد يرشقه يأمره بعدم المراقبة وكثرة السف فى مقابلة رد أصحابه بالحرمان ، ويحزم على نقل الخاتون إلى دار المملكة ، وأرسل من يحملها إلى البلد التى هو فيها ، كل ذلك غضبا على الخليفة . قال ابن الجوزى : وفى رمضان منها رأى إنسان من الزمنى رسول الله ﷺ فى المنام وهو قائم ومعه ثلاثة أقفص ، فجاءه أحدهم فقال له : ألا تقوم ؟ فقال : لا أستطيع ، أنا رجل مقعد ، فأخذ بيده فقال قم فقام واتبه ، فاذا هو قد برأ وأصبح يمشى فى حوائجه . وفى ربيع الآخر استوزر الخليفة أبا الفتح منصور بن أحمد بن دارست الأهوازي ، وخلع عليه وجلس فى مجلس الوزارة . وفى جمادى الآخرة ليلتين بقيتا منه كسفت الشمس كسوفاً عظيماً ، جميع القرص قلب ، فكث الناس أربع ساعات حتى بدت النجوم وآوت الطيور إلى أوكارها ، وترك الطيران

لشدّة الظلمة . وفيها ولي أبو تميم بن ممر الدولة بلاد إفريقية . وفيها ولي ابن نصر الدولة أحد بن
 مروان الكردي ديار بكر . وفيها ولي قرش بن يدوان بلاد الموصل ونصيبين . وفيها خلع على طراد
 ابن محمد الزبني الملقب بالكامل نقابة الطالبين ، ولقب المرتضى . وفيها ضمن أبو إسحاق بن علاه
 اليهودي ، ضياع الخليفة من صرصر إلى أواثي ، كل سنة ستة وثمانين ألف دينار ، وسبع عشرة ألف
 كر من غلة . ولم ينج أحد من أهل العراق هذه السنة .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن مروان ﴾

أبو نصر الكردي ، صاحب بلاد بكر وميا فارقين ، لقبه القادر نصر الدولة ، وملك هذه البلاد
 ثنتين وخمسين سنة ، وتتمتع تمام لم يقع لأحد من أهل زمانه ، ولا أدركه فيه أحد من أقرانه ، وكان
 عنده خمسمائة سرية سوى من يخدمه ، وعنده خمسمائة خادم ، وكان عنده من المنليات شيء كثير
 كل واحدة مشترها خمسة آلاف دينار ، وأكثر ، وكان يحضر في مجلسه من آلات اللهو والأواثي
 ما يساوي مائتي ألف دينار ، وتزوج بـمئة من بنات الملوك ، وكان كثير المهادنة للملوك ، إذا قصد
 مدو أرسل إليه بمقدار ما يصلحه به ، فيرجع عنه .

وقد أرسل إلى الملك طغرل بك هدية عظيمة حين ملك العراق ، من ذلك جبل من بقوت كل لبن بويه
 اشتراه منهم بشيء كثير ، ومائة ألف دينار ، وغير ذلك ، وقد وزر له أبو القاسم المرعي مرتين ،
 ووزر له أيضاً أبو نصر محمد بن محمد بن حمير ، وكانت بلاده آمن البلاد ، وأطيعها وأكثرها عدلاً ،
 وقد بلغه أن الطيور تنجوع فتجتمع في الشتاء من الجيوب التي في القرى فيصطادها الناس ، فأمر بفتح
 الأهرام وإلقاء ما يكفيها من الغلات في مدة الشتاء ، فكانت تكون في ضيافته طول الشتاء مدة
 عمره ، توفي في هذه السنة وقد غارب الثمانين . قال ابن خلسكان : قال ابن الأزرقي في تاريخه : إنه
 لم يصادر أحداً من رعيته سوى رجل واحد ، ولم تكن صلاة مع كثرة مبشرته للذات ، وكان له
 ثلاثمائة وستون حظية ، يبيت عند كل واحدة ليلة في السنة ، وخلف أولاداً كثيرة ، ولم يزل على
 ذلك إلى أن توفي في التاسع والعشرين من شوال منها .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة ﴾

فيها وردت الكتب الكثيرة من الملك طغرل بك يشكون قلة إنصاف الخليفة ، وعدم مواظبته
 له ، ويذكروا أسدائه إليه من الخيل والتمتع إلى ملوك الأطراف ، وقاضي القضاة البامغاني ، فلما رأى
 الخليفة ذلك ، وأن الملك أرسل إلى نوابه بالاحتياط على أموال الخليفة ، كتب إلى الملك ببجي إلى
 ما سأل ، فلما وصل ذلك إلى الملك فرح فرحاً شديداً ، وأرسل إلى نوابه أن يطلقوا أملاك الخليفة ،
 واتفقت الكلمة بعد أن كادت تنفرق ، فوكل الخليفة في المقد . فوقع المقد بمدينة جبرين بمصر

الملك طغرل بك ، وحمل سباطاً عظيماً ، فلما جرى بالوكلة قام لها الملك وقبل الأرض عند رؤيتها ، ودعا الخليفة دعاء كثيراً ، ثم أوجب المقد على صداق أربع مائة ألف دينار ، وذلك في يوم الخميس الثالث عشر من شعبان من هذه السنة ، ثم بنت ابنة أخيه الخاتون زوجة الخليفة في شوال بنحت كثيرة ، وجواهر وذهب كثير ، وجواهر عديدة ثمينة ، وهدايا عظيمة لأُم الروس وأهلها ، وقال الملك جبهة قناس : أنا عبد الخليفة ما بقيت ، لا أملك شيئاً سوى ما على من الثياب ، وفيها عزل الخليفة وزيره واستوزر أبا نصر محمد بن محمد بن جبير ، استقلمه من ميافارقين ، وفيها عم الرخص جميع الأرض حتى يبيع بالبصرة كل ألف رطل تمر ثمان قراريط ، ولم يبيع فيها أحد .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ نبال بن صالح ﴾

معز الدولة ، صاحب حلب ، كان حليماً كريماً وقوراً . ذكر ابن الجوزي أن الفرائش تقدم إليه ليفسل يده فصدمت بلبلة الإبريق فنيته فسقطت في الطلست ، ففنا عنه ﴿ الحسن بن علي بن محمد ﴾

أبو محمد الجوهري ، ولد في شعبان سنة ثلاث وستين ، وسمع الحديث على جماعة ، وتفرد بمشايخ كثيرين ، منهم أبو بكر بن مالك القليبي ، وهو آخر من حدث عنه ، توفي في ذي القعدة منها ﴿ الحسين بن أبي زيد ﴾

أبو علي الديلم . قال رأيت رسول الله ﷺ في المنام . قتلت : يا رسول الله ادع الله أن يميتني على الإسلام . فقال : وعلى السنة ﴿ سعد بن محمد بن منصور ﴾

أبو الحسن الجرجاني ، كان رئيساً قديماً ، وجه رسولاً إلى الملك محمود بن سبكتكين في حدود سنة عشر ، وكان من الفقهاء العلماء ، تخرج به جماعة ، وروى الحديث عن جماعة ، وعقد له مجلس المناظرة ببلدان كثيرة ، وقتل ظمأً باستراذ في رجب منها رجة الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة ﴾

فيها دخل السلطان طغرل بك بغداد ، وعزم الخليفة على تلقيه ، ثم ترك ذلك وأرسل وزيره أبا نصر عوضاً عنه ، وكان من الجيش أذية كثيرة قناس في الطريق ، وقرضوا للحريم حتى جموا على النساء في الحمامات ، تغلصن منهم العامة بعد جهد . فأن الله وإنا إليه راجعون .

﴿ ذكر دخول الملك طغرل بك على بنت الخليفة ﴾

لما استقر السلطان ببغداد أرسل وزيره حميد الملك إلى الخليفة يطالبه بنقل ابنته إلى دار المملكة فتمنع الخليفة من ذلك وقال : إنكم إنما سألتهم أن يعقد المقد فقط يحصلوا التشريف والتزيم لها بعدو المطالبة ، فتردد الناس في ذلك بين الخليفة والملك ، وأرسل الملك زياحة على النقد مائة ألف دينار

ومائة وخمسين ألف درهم ، ونحفاً آخر ، وأشياء لطيفة ، فلما كان ليلة الاثنين الخامس عشر من صفر زفت السيدة ابنة الخليفة إلى دار المملكة ، فضربت لها السراقات من دجلة إلى دار المملكة ، وضربت القناديل والبوقات عند دخولها إلى الدار ، فلما دخلت أجلس على سرير مكلل بالذهب ، وعلى وجها برقع ، ودخل الملك طربك فوقف بين يديها قبل الأرض ، ولم تقم له ولم تره ، ولم يجلس حتى انصرف إلى صحن الدار ، والحجاب والأثراك يرقصون هناك فرحاً وسروراً ، وبث لها مع الخاتون زوجة الخليفة عقدين فاخرين ، وقطعة يا قوت حراء ، كبيرة هائلة ، ودخل من اللند قبل الأرض وجلس على سرير مكلل بالفضة بإزائها ساعة ، ثم خرج وأرسل لها جواهر كثيرة ثمينة وفرجة نسج بالذهب مكلل بالحب ، وما زال كذلك كل يوم يتدخل ويقبل الأرض ويجلس على سرير بإزائها ، ثم يخرج عنها ويمت بالتحف والمسايا ، ولم يكن منه إليها شيء ، مقدار سبعة أيام ، وبعد كل يوم من هذه الأيام السبعة ساطعاً هائلاً ، وخلع في اليوم السابع على جميع الأمراء ، ثم عرض له سفر واعتراه مرض فاستأذن الخليفة في الانصراف بالسيدة معه إلى تلك البلاد ، ثم يعود بها ، فأذن له بعد تمتع شديد ، وحزن عظيم ، فخرج بها وليس معها من دار الخلافة سوى ثلاث نسوة ، برسم خنمها ، وقد تأملت واللتها لقد بها ألماً شديداً ، وخرج السلطان وهو مريض مدنف مأبوس منه ، فلما كانت ليلة الأحد الرابع والعشرين من رمضان جاء الخبير بأنه توفي في ثامن الشهر ، فثار الميانون فقتلوا العبيد وسبوا من أصحابه ، ونهبوا الأموال ، وجعلوا يأكلون ويشربون على القتل نهاراً ، حتى السليخ الشهر وأخذت البيعة بعده لولده أخيه سليمان بن داود ، وكان طربك قد نص عليه وأوصى إليه ، لأنه كان قد تزوج بأمة ، واتقنت الكلمة عليه ، ولم يبق عليه خوف إلا من جهة أخى سليمان ، وهو الملك عضد الدولة ألب أرسلان ، وعهد بن داود ، فان الجيش كانوا يميلون إليه ، وقد خطب له أهل الجبل ومعه نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق وزيره ، ولما رأى الكندري قوة أمره خطب له بالرى ، ثم من بعده لأخيه سليمان بن داود .

وقد كان الملك طربك حلياً كثير الاحتمال ، شديد الكتمان لئلا يحس ، يحافظ على الصلوات ، وعلى صوم الاثنين والخميس ، مواظباً على لبس البياض ، وكان عمره يوم مات سبعين سنة ، ولم يترك ولداً ، وملك بمحضرة القائم بأمر الله سبع سنين وإحدى عشر شهراً ، وأثنى عشر يوماً ، ولما مات اضطربت الأحوال وانتقضت بعده جداء ، وعالت الأهراب في سواد بغداد وأرض العراق ، ينهبون ، وقنذرت الزراعة إلا على المخاطرة ، فآزعج الناس قلبه .

وفيها كانت زلزلة عظيمة بواسطة أرض الشام ، فهدمت قطعة من سور طرابلس . وفيها وقع بالناس موتان بالجدري والفضأة ، ووقع بمصر وباء شديد ، كان يخرج منها كل يوم ألف جنازة . وفيها

ملك الصليحي صاحب اليمن مكة ، وجلب الاخوات إليها ، وأحسن إلى أهلها . وفي أوائلها طلبت الست أرسلان زوجة الخليفة النقلة من عنده إلى عها ، وذلك لما هجرها وبارت عنده ، فبمها مع الوزير الكندري إلى عها ، فلما وصلت إليه كان مريضاً مدفاً ، فأرسل إلى الخليفة يمتب عليه في تهاونه بها ، فكتب الخليفة إليه ارجعاً :

ذهبت شرقي وولي الغرام • وارفع الجبابرة مالا يرام

أذهبت مني الليالي جديدا • والليالي يضعف والأيام

فلي ما عهدته من شبابي • وعلى الثغانيات مني السلام

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ زهير بن علي بن الحسن بن حزام ﴾

أبو نصر الخزاعي ، ورد بغداد وبقته على الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، وجمع بالبصرة سنين أبي داود على القاضي أبي عمر ، وحدث بالكثير ، وكان يرجع إليه في الفتاوى ، وحل المشكلات ، وكانت وفاته بمرخص فيها . ﴿ سعيد بن مروان ﴾

صاحب آمد ، ويقال إنه سم ، فانتقم صاحب ميا فارقين من سمه ، فقطعه قطعاً .

﴿ الملك أبو طالب ﴾

محمد بن ميكائيل بن سلمجوق طبرلي ، كان أول ملوك السلاجقة ، وكان خيراً مصلحاً ، محافظاً على الصلاة في أول وقتها ، يديم صيام الاثنين والخميس ، حلياً عن أساء إليه ، كنوماً للاسرار سعيداً في حركاته ، ملك في أيام مسعود بن محمود عامة بلاد خراسان ، واستناب أخاه داود وأخاه لأمه إبراهيم بن نبال ، وأولاد إخوته ، على كثير من البلاد ، ثم استدعاه الخليفة إلى ملك بغداد كما تقدم ذلك كله مبسوطاً . توفي في ثامن رمضان من هذه السنة ، وله من العمر سبعون سنة ، وكان له في الملك ثلاثون سنة ، منها في ملك العراق ثمان سنين إلا ثمانية عشر يوماً .

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربع مائة ﴾

فيها قبض السلطان ألب أرسلان على وزيره حميد الملك الكندري ، وسجنه ببيته ثم أرسل إليه من قتله ، واعتمد في الوزارة على نظام الملك ، وكان وزير صدق ، يكرم العلماء والفقراء ، ولما حصى الملك شهاب الدولة قتلش ، وخرج عن الطاعة ، وأراد أخذ ألب أرسلان ، خاف منه ألب أرسلان فقال له الوزير : أيها الملك لا تخف ، فإني قد استنمت لك جنداً ما يبرزوا عسكرياً إلا كسروه ، كأننا ما كان . قال له الملك : من هم ؟ قال : جنود يدعون لك وينصرونك بالتوجه في صلواتهم وخلواتهم ، وهم العلماء والفقراء الصالحاء . فطابت نفس الملك بذلك ، فحين التقى مع قتلش لم ينظره أن كسره ، وقتل خلقاً من جنوده ، وقتل قتلش في المعركة ، واجتمعت الكرامة على ألب أرسلان .

وفيها أرسل ولده ملكشاه ووزيره نظام الملك هذا في جنود عظيمة إلى بلاد الكرخ ، ففتحوا حصوناً كثيرة ، وغنوا أموالاً جزية ، وفرح المسلمون بنصرهم ، وكتب كتاب ولده على ابنة الخان الأعظم صاحب ما وراء النهر ، وزفت إليه ، وزوج ابنه الآخر بابنة صاحب غزنة ، واجتمع شمل الملكين السملجوق والمحمودى .

وفيها أذن ألب أرسلان لابنة الخليفة في الرجوع إلى أبيها ، وأرسل معها بعض القضاة والأمراء فدخلت بغداد في تيجل عظيم ، وخرج الناس لينظروا إليها ، فدخلت ليلاً ، ففرح الخليفة وأهلها بذلك ، وأمر الخليفة بالبقاء لألب أرسلان على المنابر في الخطب ، فقيل في القضاء : اللهم وأصلح السلطان المظلم ، عضد الدولة ، وتاج الملة ، ألب أرسلان أبا شجاع محمد بن داود ، ثم أرسل الخليفة إلى الملك بالغلج والتقياد مع الشريف قتيب النقياء ، طراد بن محمد ، وأبي محمد التميمي ، وموفق الخادم واستقر أمر السلطان ألب أرسلان على العراق . قال ابن الجوزى : وفي ربيع الأول شاع في بغداد أن قوماً من الأكراد خرجوا يتصيدون فأروا في البرية خيلماً سوداً ، سموها لعلماً شديداً ، وهو يلا كثيراً ، وقالوا يقول : قد مات سيدك ملك الجن ، وأى بلد لم يلطم به عليه ، ولم يقم له مأتم فيه . قال : ففرج النساء المواهر من حريم بغداد إلى المقابر يلطمن ثلاثة أيام ، ويخرقن ثيابهن وينشرن شعورهن ، وخرج رجال من الفساق يضلون ذلك ، وفعل هذا براسط وخوزستان وغيرها من البلاد ، قال : وهذا من الحق لم ينقل مثله . قال ابن الجوزى : وفي يوم الجمعة ثلث عشر شعبان هجم قوم من أصحاب عبد الصمد على أبي علي بن الوليد ، المدرس للمعتزلة فسبوه وشتموه لامتناعه من الصلاة في الجامع ، وتدرسه الناس بهذا المنهب ، وأهاتوه وجروه ، ولعنن المعتزلة في جامع المنصور ، وجلس أبو سعيد بن أبي حمزة وجعل يلعن المعتزلة . وفي شوال ورد الخبر أن السلطان غزا بلخاً عظيماً فيه ستمائة ألف دنليز ، وألف ييمة ودير ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر خمسمائة ألف إنسان .

وفي ذى القعدة حدث بالناس وباء شديد ببغداد وغيرها من بلاد العراق ، وغلت أسعار الأدوية ، وقتل الترهندي ، وزاد الحر في تشارين ، وفسد الهواء ، وفي هذا الشهر خلق على أبي التتائم المعمر بن محمد بن حبيب الله العلوى بقباة الطالبيين ، ولولاية الحج والمظالم ، ولقب بالظاهر ذى المناقب ، وقرئ تقليد في الموكب . وحج أهل العراق في هذه السنة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ ابن حزم الظاهري ﴾

هو الأمام الحافظ العلامة ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معد بن سفيان بن يزيد ، مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموى ، أصل جده من فارس ، أسلم وخلف المذكور ، وهو أول من دخل بلاد المغرب منهم ، وكانت بلده قرطبة ، فولد ابن

حزم هذا بها في سلخ رمضان ، سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، قرأ القرآن واشتغل بالعلوم النافعة الشرعية ، وبرز فيها وفق أهل زمانه ، وصنف الكتب المشهورة ، يقال إنه صنف أربعمائة مجلد في قريب من ثمانين ألف ورقة ، وكان أديباً طليعاً شاعراً فصيحاً ، له في الطب والمنطق كتب ، وكان من بيت وزارة ورئاسة ، ووجاهة ومال وثروة ، وكان مصاحباً للشيخ أبي عمر بن عبد البر النخعي ، وكان مناوئاً للشيخ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ، وقد جرت بينهما منازعات يطول ذكرها . وكان ابن حزم كثير الرقعة في العلماء بلسانه وقلمه ، فأوردته ذلك حقداً في قلوب أهل زمانه ، وما زالوا به حتى بغضوه إلى ملوكهم ، فطردوه عن بلاده ، حتى كانت وفاته في قرية له في شعبان من هذه السنة وقد جاوز التسعين . والعجب كل العجب منه أنه كان ظاهراً حارثاً في الفروع ، لا يقول : بشئ من القياس لا الجلي ولا غيره ، وهذا الذي وضعه عند العلماء ، وأدخل عليه خطأ كبيراً في نظره وتصرفه . وكان مع هذا من أشد الناس تأويلاً في باب الأصول ، وآيات الصفات وأحاديث الصفات ، لأنه كان أولاً قد تزلزل من علم المنطق ، أخذه عن محمد بن الحسن المنحجي الكنتاني القرطبي ، ذكره ابن ماكولا وابن خلكان ، ففسد بذلك حاله في باب الصفات .

﴿ عبد الواحد بن علي بن برهان ﴾

أبو القاسم النحوي ، كان شرس الأخلاق جداً ، لم يلبس سراويل قط ولا غطى رأسه ولم يقبل عطاء لأحد ، وذكر عنه أنه كان يقبل المردان من غير ريبة . قال ابن عقيل : وكان على منهج مرجئة المثزلة وينفي خلود الكفار في النار ، ويقول : دوام العقاب في حق من لا يجوز عليه التثني لوجه له ، مع ما وصف الله به نفسه من الرحمة ، ويتأول قوله تعالى (خالدين فيها أبداً) أي أبداً من الآباد . قال ابن الجوزي : وقد كان ابن برهان يفتح في أصحاب أحمد ويخالف اعتقاد المسلمين لأنه قد خالف الأجماع ، ثم ذكر كلامه في هذا وغيره والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة ﴾

فيها سار جماعة من المراق إلى الحج بخفارة ، فلم يتمكنهم السير فسدلوا إلى الكوفة ورجعوا . وفي ذي الحجة منها شرع في بناء المدرسة النظامية ، وهض لأجلها دور كثيرة من مشرعة الزوايا ، وباب البصرة . وفيها كانت حروب كثيرة بين تميم بن الزبير وباديس ، وأولاد حداد ، والعرب والمغاربة بصنهاء وزناة . وحج بالناس من بغداد النقيب أبو القاسم .

وفيها كان مقتل حميد الملك الكندري ، وهو منصور بن محمد أبو نصر الكندري ، وزير طغرليك ، وكان مسجوناً سنة ثمانية ، ولما قتل حمل دفن عند أبيه بقرية كندرة ، من عمل طرليث ، وليست بكندرة التي هي بالقرب من قزوين . واستحوذ السلطان على أمواله وحواصله ، وقد كان

ذكيًا فصيحًا شاعرًا ، لديه فضائل جمة ، حاضر الجواب سريع . ولما أرسله طغريك إلى الخليفة يطلب ابنته ، وامتنع الخليفة من ذلك وأنشد مثلاً بقول الشاعر : ما كل ما يتنى المرء يدركه * فأجابه الوزير تمام قوله : تبحر الرياح بما لا يشتهي السفن * فسكت الخليفة وأطرق . قتل عن نيف وأربعين سنة . ومن شعره قوله :

إن كان في الناس ضيق عن منافق * فالوت قد وسع الدنيا على الناس

مضيت والشامت المنبون يتبعني * كل لكس النايا شارب حامى

وقد بنته الملك طغريك يخطب له امرأة خوارزم شاه فتزوجها هو ، فغصاه الملك وأمره على عمله فدفن ذكراً بخوارزم ، وسفع دمه حين قتل بمرور الرود ، ودفن جسده بقرية ، وحمل رأسه فدفن بنيسابور ، ونقل جثته رأسه إلى كرمان ، وأنا أشهد أن الله جامع الخلائق إلى ميقات يوم معلوم أين كانوا ، وحيث كانوا ، وعلى أى صفة كانوا سبحانه وتعالى .

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة)

في يوم عاشوراء أغلق أهل الكرخ دكاكينهم وأحضروا نساء ينحن على الحسين ، كما جرت به عادتهم السالفة في بدعتهم المتقدمة المخالفة ، فحين وقع ذلك أنكرته العامة ، وطلب الخليفة أبا التثائم وأنكر عليه ذلك . فاعتذر إليه بأنه لم يعلم به ، وأنه حين علم أزاله ، وتردد أهل الكرخ إلى الدوران يمتنرون من ذلك ، وخرج التوقيع بكفر من سب الصحابة وأظهر البدع . قال ابن الجوزي : في ربيع الأول ولديباب الأزعج صبية لها رأسان ووجهان ورقبتان وأربع أيدي ، على بدن كامل ثم ماتت . قال : وفي جمادى الآخرة كانت بخراسان زلزلة مكثت أياماً ، تصدعت منها الجبال ، وهلك جماعة ، وخسف بمدينة قري ، وخرج الناس إلى الصحراء وأقاموا هناك ، ووقع حريق بنهر يمل فاحترق مائة دكان وثلاثة دور ، وذهب للناس شيء كثير ، ونهب بعضهم بعضاً . قال ابن الجوزي وفي شعبان وقع قتال بدمشق فأحرقوا داراً كانت قريبة من الجامع ، فاحترق جامع دمشق . كذا قال ابن الجوزي : والصحيح المشهور أن حريق جامع دمشق إنما هو في ليلة النصف من شعبان سنة إحدى وستين وأربعمائة بعد ثلاث سنين مما قال ، وأن غلمان الفاطميين اقتتلوا مع غلمان العباسيين فألقبت نار بدار الامارة ، وهى الخضراء ، فاحترقت وتمدى حريقها حتى وصل إلى الجامع فسقطت مقوفه ، وبادت زخرفته ، وتلف رخامه ، وبقي كأنه خزبة ، وبادت الخضراء فصارت كوماً من تراب بعد ما كانت في غاية الاحكام والاثان ، وطيب القناه ، ونزهة المجالس ، وحسن المنظر ، فهى إلى يومنا هذا لا يسكنها لرداءة مكانها إلا سفلة الناس وأسقاطهم ، بعد ما كانت دار الخلافة والملك والامارة ، منذ أسسها معاوية بن أبى سفيان ، وأما الجامع الأموى فإنه لم يكن على وجه الأرض

شيء أحسن منه ولا أبهى منظرا ، إلى أن احترق فبقى خرابا مدة طويلة ثم شرع الملوك في تعجيدمه وتزييمه ، حتى بلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب ، ولم يزالوا في تحصين معالنه إلى زماننا هذا ، قماثل وهو بالنسبة إلى حاله الأول كلا شيء ، ولا زال التحصين فيه إلى أيام الأمير سيف الدين بككزوين عبد الله الناصري ، في حدود سنة ثلاث وسبعائة ، وما قبلها وما بعدها يسير .

وفيهما رخصت الأسعار ببغداد رخصا كثيرا ، وقصمت دجلة قصما بينا . وفيها أخذ الملك ألب أرسلان العهد بالملك من بعده لولده ملكشاه ، ومضى بين يديه بالفناشية والأمرأاء يمشون بين يديه ، وكان يوما مشهودا . وحج بالناس فيها نور الهدى أبو طالب الحسين بن نظام الحضرتين الزينبي وجاور بمكة .

وفيهما توفي من الأعيان . ﴿ الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي ﴾

أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى أبو بكر البيهقي ، له التصانيف التي سارت بها الركبان إلى سائر الأمصار ، ولد سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وكان أوحدا أهل زمانه في الاتقان والحفظ والفقه والتصنيف ، كان قريبا محمدا أصوليا ، أخذ العلم عن الحاكم أبي عبد الله النيسابوري ، وسمع على غيره شيئا كثيرا ، وجمع أشياء كثيرة فافضة لم يسبق إلى مثلها ، ولا يدرك فيها ، منها كتاب السنن الكبير ، ونصوص الشافعي كل في عشر مجلدات ، والسنن الصغير ، والآثار ، والمدخل ، والآداب وشعب الإيمان ، والخلافات ، ودلائل النبوة ، والبعث والنشور ، وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغار المفيدة ، التي لا تسمى ولا تداني ، وكان زاهدا متقللا من الدنيا ، كثير العبادة والورع ، توفي بنيسابور ، وهمل تابوته إلى بيهقي في جمادى الأولى منها .

﴿ الحسن بن غالب ﴾

ابن علي بن غالب بن منصور بن صلوك ، أبو علي التميمي ، ويعرف بابن المبارك المقرئ ، صاحب ابن ميمون ، وقرأ القرآن على حروف أنكرت عليه ، وجرب عليه الكتب ، إما عمدا وإما خطأ ، واتهم في رواية كثيرة ، وكان أبو بكر التزويني ممن يشكر عليه ، وكتب عليه محضر بعثه الاقراء بالحرروف المنكرة ، قال أبو محمد السمرقندي كان كذابا ، توفي فيها من ثنتين وثمانين سنة ، ودفن عند إبراهيم الحرق . قال ابن خلكان : أخذ الفقه عن أبي الفتح نصر بن محمد العمري المروزي ، ثم غلب عليه الحديث واشتهر به ، ورحل في طلبه .

﴿ القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي ﴾

محمد بن الحسن بن محمد بن خلف بن أحمد الفراء القاضي ، أبو يعلى شيخ الحنابلة ، ومحمد منزههم في الفروع ، ولد في محرم سنة ثمانين وثلثمائة ، وسمع الحديث الكثير ، وحدث عن ابن حبان . قال

ابن الجوزي : وكان من سادات العلماء الثقات ، وشهد عند ابن ما كولا وابن الهيثماني قبلاه ، وتولى النظر في الحكم بحريم الخلافة ، وكان إماماً في الفقه ، له التصانيف الحسان الكثيرة في مناهج أحد ، ودرس وأفنى سنين ، و انتهت إليه رئاسة المنهج ، وانتشرت تصانيفه وأصحابه ، وجمع الامامة والفقه والصدق ، وحسن الخلق ، والتعب والتشرف والتشوق ، وحسن السمعة ، والصمت عما لا ينبغي توفي في العشرين من رمضان منها من ثمان وسبعين سنة ، واجتمع في جنازته القضاة والأيمن ، وكان يوماً حاراً ، فأفطر بعض من أتبع جنازته ، وترك من البنين عبيد الله أبا القاسم ، وأبا الحسين وأبا حازم ، و رآه بمضهم في المنام فقال : ما فضل الله بك ؟ فقال : رحمتي وغفري وأكرمى ، ورفع منزلي ، وجعل يمد ذلك بأصبعه ، فقال : بالعلم ؟ فقال : بل بالصدق .

﴿ ابن سيده ﴾

صاحب المحكم في اللغة ، أبو الحسين علي بن إسماعيل المروسي ، كان إماماً حافظاً في اللغة ، وكان ضريب البصر ، أخذ علم العربية واللغة عن أبيه ، وكان أبوه ضريباً أيضاً ، واشتغل علي أبي الملا صاعد البغدادي ، وله المحكم في مجلدات عديدة ، وله شرح الحاشية في ست مجلدات ، وغير ذلك ، وقرأ على الشيخ أبي حمر الطلمنكي كتاب الغريب لأبي عبيد سرداً من حفظه ، فتعجب الناس لذلك ، وكان الشيخ يقابل بما يقرأ في الكتاب ، فسمع الناس بقرائنه من حفظه ، توفي في ربيع الأول منها وله ستون سنة ، وقيل إنه توفي في سنة ثمان وأربعين ، والأول أصح ، والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وخسين وأربعمائة ﴾

فيها بنى أبو سعيد المستوفى الملقب بشرف الملك ، مشهد الامام أبي حنيفة ببغداد ، وعقد عليه قبة ، وعمل بإزائه مدرسة ، فسفل أبو جعفر بن البيانى زائراً لأبي حنيفة فأئند :

ألم تر أن العلم كان مضيقاً • فجئته هنا المتيق في العهد

كذلك كانت هذه الأرض ميتة • فألشرها جود العميد أبي السعد

وفيها هبت ريح حارة فأت بسببها خلق كثير ، وورد أن ببغداد تلف شجر كثير من اليمون والارج . وفيها احترق قبر مرف الكرخي ، وكان سببه أن القيم طبخ له ماء الشعير لمرضه فتعدت النار إلى الأخشاب فاحترق المشهد . وفيها وقع غلاء وفناء بدمشق وحلب وحران ، وأعمال خراسان بكاملها ، ووقع الفناء في الدواب : كانت تلتفتخ رؤسها وأعينها حتى كان الناس يأخذون حر الوحش بالأيدى ، وكانوا يأخذون من أكملها .

قال ابن الجوزي في المنتظم : وفي يوم السبت عاشر ذي القعدة جمع العميد أبو سعيد الناس ليحضروا الدرس بالنظامية ببغداد ، وعين لتدريسها ومشيختها الشيخ أبا إسحاق الشيرازي ، فلما

تكمّل اجتماع الناس وجاء أبو إسحاق ليدرس لقيه فقيه شاب فقال : يا سيدى تنغب تدرس فى مكان مفسوب ؟ فامتنع أبو إسحاق من الحضور ورجع إلى بيته ، فأقيم الشيخ أبو نصر الصباغ فى درس ، فلما بلغ نظام الملك ذلك تقيظ على العيد وأرسل إلى الشيخ أبى إسحاق فردّه إلى التدريس بالنظامية ، فى ذى الحجة من هذه السنة ، وكان لا يصلّى فيها مكتوبة ، بل كان يخرج إلى بعض المساجد فيصلّى ، لما بلغه من أنها مفسوبة ، وقد كان مدة تدريس ابن الصباغ فيها عشرين يوماً ، ثم عاد أبو إسحاق إليها . وفى ذى القعدة من هذه السنة قتل الصليحي أمير اليمن وصاحب مكة قتله بعض أمراء اليمن ، وخطب لقتلهم بأمر الله العباسى . وفيها حج بالناس أبو الفنائم النقيب .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ محمد بن إسماعيل بن محمد ﴾

أبو على الطرسوسى ، ويقال له المراقى ، لظرفه وطول مقامه بها ، سمع الحديث من أبى طاهر الخفص ، وفتقه على أبى محمد الباقر ، ثم على الشيخ أبى حامد الاسفراينى ، وولى قضاء بلدة طرسوس وكان من الفقهاء الفضلاء المبرزين .

﴿ ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة من الهجرة النبوية ﴾

قال ابن الجوزى : فى جمادى الأولى كانت زلزلة بأرض فلسطين ، أهلكت بلد الرملة ، ودمت شرايف من مسجد رسول الله ﷺ ، ولحقت وادى الصفر وخيبر ، وانثقت الأرض من كنوز كثيرة من المال ، وبلغ حسها إلى الرحبة والكوفة ، وجاء كتاب بعض التجار فيه ذكر هذه الزلزلة وذكر فيه أنها خسفت الرملة جميعاً حتى لم يسلم منها إلا داران قط ، وهلك منها خمس عشرة ألف نسمة ، وانثقت صخرة بيت المقدس ، ثم عادت فالتأمت ، وغار البحر مسيرة يوم ، وساخ فى الأرض وظهر فى مكان الماء أشياء من جواهر وغيرها ، ودخل الناس فى أرضه يلتقطون ، فرجع عليهم فأهلك كثير آ منهم ، أو أكثرهم . وفى يوم النصف من جمادى الآخرة قرئ الاعتقاد القادرى الذى فيه منذهب أهل السنة ، والانكار على أهل البلع ، وقرأ أبو مسلم الكجى البخارى المحدث كتاب التوحيد لابن خزيمة على الجماعة الحاضرين . وذكر بمحضر من الوزير ابن جبير وجماعة الفقهاء وأهل الكلام ، واعترفوا بالمواقفة ، ثم قرئ الاعتقاد القادرى على الشريف أبى جعفر بن المعتدى بالله بباب البصرة ، وذلك لسماحه له من الخليفة القادر بالله مصنفه .

وفيها عزل الخليفة وزره أبا نصر محمد بن محمد بن جبير ، الملقب بغير العولة ، وبث إليه يماثبه فى أشياء كثيرة ، فاعتذر منها وأخذ فى الترفق والتذلل ، فأجيب بأن يرحل إلى أى جهة شاء ، فاختار ابن مزيد فباع أصحابه أملاكهم وطلقوا نساءهم وأخذ أولاده وأهله وجاء ليركب فى سفينة لينعذر منها إلى الخلّة ، والناس يتباكون حوله لبيكائه ، فلما اجتاز بدار الخلافة قبل الأرض دفعت

والخليفة في الشباك ، والوزير يقول يا أمير المؤمنين ارحم شيقي وغريبي وأولادي ، فأعيد إلى الوزارة بشناعة ديبس بن مزيد ، في السنة الآتية ، وامتنحه الشراء ، وفرح الناس برجوعه إلى الوزارة وكان يوماً مشهوداً .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ عبد الملك بن محمد بن يوسف بن منصور ﴾

الملقب بالشيخ الأجل ، كان أوحده زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمبادرة إلى فعل الخيرات ، واصطناع الأيادي عند أهلها ، من أهل السنة ، مع شدة القيام على أهل البدع ولعنهم ، واقتتاد المستورين بالبر والصدقة ، وإخفاء ذلك جهده وطاقته ، ومن غريب ما وقع له أنه كان يصل إنساناً في كل يوم بعشرة دنانير ، كان يكتب بها ماله إلى ابن رضوان ، فلما توفي الشيخ جاء الرجل إلى ابن رضوان فقال : ادفع إلى ما كان يصرف لي الشيخ ، فقال له ابن رضوان : إنه قد مات ولا أصرف لك شيئاً ، فجاء الرجل إلى قبر الشيخ الأجل فقرأ شيئاً من القرآن ودعا له وترحم عليه ، ثم التفت فإذا هو بكافد فيه عشرة دنانير ، فأخذها وجاء بها إلى ابن رضوان فذكر له ما جرى له ، فقال : هذه سقطت مني اليوم عند قبره فخذها ولك عندي في كل يوم مثلاً . توفي في نصف المحرم منها عن خمس وستين سنة ، وكان يوم موته يوماً مشهوداً ، حضره خلق لا يمل عددهم إلا الله عز وجل ، فرحمه الله تعالى .

﴿ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ﴾

قتله الشيعة ، ودفن في مشهد على ، وكان مجاوراً به حين أحرقت داره بالكرخ ، وكتبه ، سنة ثمان وأربعين إلى محرم هذه السنة فتوفي ودفن هناك .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة ﴾

في ليلة النصف من شعبان منها كان حريق جامع دمشق ، وكان سببه أن خلعان الفاطميين والعباسيين اختصموا فألقيت نار بدار الملك ، وهي الخضراء المناخعة للجامع من جهة القبلة ، فاحترقت ، وسرى الحريق إلى الجامع فسقطت سقوفه وتناثرت فصوصه المنحبة ، وتغيرت معالمه ، وتقلعت السيفساء التي كانت في أرضه ، وعلى جدرانه ، وتبدلت بضدها ، وقد كانت سقوفه منحبة كلها ، والجلونات من فوقها ، وجدرانها منحبة ملونة مصورة فيها جميع بلاد الدنيا ، بحيث إن الإنسان إذا أراد أن يتفرج في إقليم أو بلد وجده في الجامع مصوراً كهيئة ، فلا يسافر إليه ولا يمتنى في طلبه ، فقد وجده من قرب الكعبة ومكة فوق الحراب والبلاد كلها شرقاً وغرباً ، كل إقليم في مكان لائق به ، ومصور فيه كل شجرة مثمرة وغير مثمرة ، مصور مشكل في بلدانه وأوطانه ، والستور مرصاة على أبوابه النافذة إلى الصحن ، وعلى أصول الحيطان إلى مقدار الثلث منها ستور ، وبقي الجدران

بالفصوص الملوثة ، وأرضه كلها بالفصوص ، ليس فيها بلاط ، بحيث إنه لم يكن في الدنيا بناء أحسن منه ، لا قصور الملوك ولا غيرها ، ثم لما وقع هذا الحريق فيه تبدل الحال الكامل بضده ، وصارت أرضه طينا في زمن الشتاء ، وغباراً في زمن الصيف ، محفورة مهجورة ، ولم يزل كنفك حتى بلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب ، بعد الستمائة سنة من الهجرة ، وكان جميع ما سقط منه من الرخام والفصوص والأخشاب وغيرها ، مودعاً في المشاهد الأربعة ، حتى فرغها من ذلك كمال الدين الشهر زوري ، في زمن العادل نور الدين محمود بن زنكي ، حين ولده نظره مع القضاء ونظر الأوقاف كلها ، ونظر دار الضرب وغير ذلك ، ولم تزل الملوك يجهد في محاسنه إلى زماننا هذا ، فنقارب حاله في زمن تنكيز نائب الشام ، وقد تقدم أن ابن الجوزي أوحى ما ذكرنا في سنة ثمان وخمسين ، وتبعه ابن الساعي أيضاً في هذه السنة ، وكنفك شيخنا الذهبي مؤرخ الاسلام ، وغير واحد . والله أعلم .

وفيها قُتلت الخبابة على الشيخ أبي الوفاء عليل ، وهو من كبارهم ، بترده إلى أبي علي بن الوليد المتكلم المعتزلي ، واتهموه بالاعتزال ، وإنما كان يتردد إليه ليحيط علماً بمذهبه ، ولكن شرقة الحموى فشرق شرقة كادت روحه تخرج معها ، وصارت فيه نزعة منه ، وجرت بينه وبينهم فتنة طويلة وتأذى بسببها جماعة منهم ، وما سكنت الفتنة بينهم إلى سنة خمس وستين ، ثم اصطلعوا فيها بينهم ، بعد اختصام كبير .

وفيها زادت حجة على إحدى وعشرين فراعاً حتى دخل الماء مشهد أبي حنيفة . وفيها ورد الخبر بأن الأفشين دخل بلاد الروم حتى انتهى إلى غورية ، فقتل خلقاً وغنم أموالاً كثيرة . وفيها كان رخص عظيم في الكوفة حتى بيع السمك كل أر بعين رطلاً بحبة . وفيها حج بالناس أبو الفنائم العلوي وعن توفي فيها من الأعيان .

(الفوراني صاحب الآيات)

أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفوراني ، المروزي ، أحد أئمة الشافعية ، ومصنف الآيات التي فيها من النقول الثرية ، والأقوال والأوجه التي لا توجد إلا فيها ، كان بصيراً بالأصول والفروع ، أخذ الفقه عن الثعالبي ، وحضر إمام الحرمين عنده وهو صغير ، فلم يلتفت إليه ، انصار في نفسه منه ، فهو يخطئه كثيراً في النهاية . قال ابن خلكان : فقي قال في النهاية : وقال بعض المصنفين كذا وغلط في ذلك وشرع في الوقوع فيه فراحه أبو القاسم الفوراني . توفي الفوراني في رمضان منها بمرور ، عن ثلاث وسبعين سنة ، وقد كتب تلميذه أبو سعد عبد الرحمن بن محمد المأمون المدي المدرس بالنظامية بعد أبي إسحاق وقبل ابن الصباغ ، وبمعه أيضاً ، كتاباً على الآيات ، فسماه : تمة الآيات ، انتهى فيه إلى كتاب الحدود ومات قبل إتمامه ، فتمه أسعد المجلي وغيره ، لم يلحقوا شأوه ولا حمله ، وعموه تمة التمة .

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة)

قال ابن الجوزي : فن الحوادث فيها أنه كان على ثلاث ساطت في يوم الثلاثاء الحادى عشر من جمادى الأولى ، وهو ثامن عشرين آذار ، كانت زلزلة عظيمة بالرملة وأعمالها ، فذهب أكرها وأنهدم سورها ، وعم ذلك بيت المقدس ونابلس ، وانقضت إيليا ، وجعل البحر حتى انكشفت أرضه ، ومشى ناس فيه ثم عاد وتغير ، وأنهدم إحدى زوايا جامع مصر ، وتبعت هذه الزلزلة في ساعتها زلزلتان آخرتان . وفيها توجه ملك الروم من قسطنطينية إلى الشام في ثلثائة ألف مقاتل ، قتل على منبج وأحرق القرى ما بين منبج إلى أرض الروم ، وقتل رجالهم وسبى نساءهم وأولادهم ، وفرح المسلمون بحلب وغيرها منه فرحا عظيما ، فأقام ستة عشر يوما ثم رده الله خاسئا وهو حدير ، وذلك لقلة ما معهم من الميرة وهلاك أكثر جيشه بالجوع ، والله الحمد والمنة .

وفيها ضاقت النفقة على أمير مكة فأخذ الذهب من أستار الكعبة والمذاب وباب الكعبة ، فضرب ذلك دراهم ودنانير ، وكذا فعل صاحب المدينة بالقناديل التي في المسجد النبوي . وفيها كان غلاء شديد بمصر فأكلوا الجيف والميتات والكلاب ، فكان يباع الكلب بخمسة دنانير ، وماتت الفيلة فأكلت ميتاتها ، وأقيمت الدواب فلم يبق لأصاحب مصر سوى ثلاثة أفراس ، بعد أن كان له المدد الكثير من الخيل والدواب ، ونزل الوزير يوما عن بئله ففعل التلام عنها لضعفه من الجوع فأخذها ثلاثة نفر فذبحوها وأكلوها فأخذوا فصلبوا فاصبحوا إلا وعظامهم باقية ، قد أخذ الناس لحومهم فأكلوها ، وتظهر على رجل يقتل الصبيان والنساء ويدفن رؤسهم وأطرافهم ، ويبيع لحومهم ، فقتل وأكل لحمه ، وكانت الأعراب يقدمون بالطعام يبيعونه في ظاهر البلد ، لا يتجسرون يدخلون لثلا يخطف وينهب منهم ، وكان لا يجسر أحد أن يدفن ميتة نهارا ، وإنما يدفنه ليلا خفية ، لثلا ينش فيؤكل . واحتاج صاحب مصر حتى باع أشياء من نفائس ما عنده ، من ذلك إحدى عشر ألف درع ، وعشرون ألف سيف محلي ، وثمانون ألف قطعة بلور كبار ، وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباغ القديم ، وبيعت ثياب النساء والرجال وغير ذلك بأرخص ثمن ، وكذلك الأملاك وغيرها ، وقد كان بعض هذه النفائس للخليفة ، مما نهب من بغداد في وقعة البساسيري .

وفيها وردت التفاد من الملك ألب أرسلان إلى الخليفة . وفيها اسم ولي العهد ابن الخليفة على الدنانير والدرهم ، ومنع التعامل بغيرها ، وسمى المضروب عليه الأمير . وفيها ورد كتاب صاحب مكة إلى الملك ألب أرسلان وهو يفرسان يخبره بأزمة الخطبة بمكة لقائم بأمر الله والسلطان ، وقطع خطبة المصريين ، فأرسل إليه ثلاثين ألف دينار وخلمة سفينة ، وأجرى له في كل سنة عشرة آلاف دينار . وفيها تزوج حميد الدولة ابن جيهرب بابتنة نظام الملك بالرى . وحج بالناس أبو الفنائم الملوى ،

وفيها توفي من الأعيان والشاهير . ﴿ الحسن بن علي ﴾

ابن محمد أبو الجواز الواسطي ، سكن بغداد دهرًا طويلا ، وكان شاعرا أديبا ظريفا ، ولد سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة ، ومات في هذه السنة عن مائة وعشر سنين . ومن مستجاد شعره قوله وأحسرتني من قولها • قد خان عهدي ولها • وحق من صبرني • وقفا عليها ولها ماخطرت بمخاطري • إلا كفتني ولها ﴿ محمد بن أحمد بن سهل ﴾

المعروف بابن يشران النحوي الواسطي ، ولد سنة ثمانين وثلاثمائة ، وكان عالما بالأدب ، وانتهت إليه الرحلة في اللغة ، وله شعر حسن ، فنه قوله :

يا شائدآ للقصور مهلا • أقصر قصر الفنى المات
لم يجمع ثمل أهل قصر • إلا قصارام الشتات
وإنما العيش مثل ظل • منتقل ماله ثبات
ودعهم ولي الدنيا مودعة • ورحت مالى سوى ذكراهم وطر
وقلت يالذي يبنى لبينهم • كأن صفو حياتي بدم كمر
لولا تملل قلبي بالرجاء لهم • ألفتني إن حدوا بالعيس ينفطر
يأليت عيسهم يوم النوى نمرت • أوليتها لقضواري بالفلا جزر
ياساعة للبين أنت الساعة اقتربت • يالوعة البين أنت النار تستمر
طلبت صديقا في البرية كلها • فأعيا طلابي أن أصيب صديقا
بلى من محي بالصديق مجازه • ولم يك في معنى الوداد صدوقا
فطلقت ود المألين ثلاثة • وأصبحت من أسرار الحفاظ طليقا

وفيها أقبل ملك الروم أرماتوس في جحافل أمثال الجبال من الروم والكرخ والفرنج ، وعدد عظيم وعقد ، ومعه خمسة وثلاثون ألفا من البطارقة ، مع كل بطريق مائتا ألف فارس ، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفا ، ومن الفزاة الذين يسكنون القسطنطينية خمسة عشر ألفا ، ومعه مائة ألف نقاب وحفار ، وألف روز جارى ، ومعه أربعمائة مجلبة تحمل النمال والمسامير ، وألفا مجلبة تحمل السلاح والسروج والفرادات والمتاجيق ، منها منجنيق عدة ألف ومائتا رجل ، ومن عزمه قبحة الله أن يبديد الاسلام وأهله ، وقد أقطع بطارقته البلاد حتى ببغداد ، واستوصى نائبها بالخليفة خيرا ، فقال له : ارتق بذلك الشيخ فإنه صاحبنا ، ثم إذا استوتقت ممالك العراق وخراسان لهم مالوا على الشام وأهله ميلة واحدة ، فاستمادوه من أيدي المسلمين ، والقدر يقول (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون)

فالتقاء السلطان ألب أرسلان في جيشه وم قريب من عشرين ألفاً ، بمكان يقال له الزهرة ، في يوم
الأربعاء خمس بقين من ذى القعدة ، وخاف السلطان من كثرة جند ملك الروم ، فأشار عليه الفقيه
أبو نصر محمد بن عبد الملك البخارى بأن يكون وقت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال حين يكون الخطباء
يدعون للمجاهدين ، فلما كان ذلك الوقت وتوافى الفريقان وتواجه الفتيان ، نزل السلطان عن فرسه
وسجد لله عز وجل ، ومرغ وجهه في التراب ودعا الله واستصره ، فأنزل نصره على المسلمين ، ومنهم
أكتافهم قتلوا منهم خلقا كثيرا ، وأمر ملكهم أرماتوس ، أسره غلام رومى ، فلما أوقف بين يدى
الملك ألب أرسلان ضربه بيده ثلاث مقارع وقال : لو كنت أنا الأسير بين يديك ما كنت تفعل ؟
قال : كل قبيح ، قال : فما غنك بي ؟ قال : إما أن تحتل وتشرى في بلادك ، وإما أن تغزو
وتأخذ الفداء وتعيدنى . قال : ما عزمت على غير العفو والفداء . فأنقضى نفسه منه بألف ألف دينار
 وخمسمائة ألف دينار . فقام بين يدى الملك وسقاه شربة من ماء وقيل الأرض بين يديه ، وقبل
الأرض إلى جهة الخليفة لإجلالا وإكراما ، وأطلق له الملك عشرة آلاف دينار ليتجهز بها ، وأطلق
معه جماعة من البطارقة وشيعة فرسجا ، وأرسل معه جيشا يحفظونه إلى بلاده ، ومعهم راية مكتوب
عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فلما انتهى إلى بلاده وجد الروم قد ملكوا عليهم غيره ، فأرسل
إلى السلطان يستنزل إليه ، وبث من الذهب والجواهر ما يقارب ثلاثمائة ألف دينار ، وتزهد ولبس
الصوف ثم استناب بملك الأرمن فأخذه وكفه وأرسله إلى السلطان يتقرب إليه بذلك .

وفيها خطب محمود بن مرداس لقائم السلطان ألب أرسلان ، فبعث إليه الخليفة بالغلج والمدايا
والتحف ، والمهد مع طراد . وفيها حج بالناس أبو الفتح الملوى ، وخطب بمكة لقائم ، وقطعت
خطبة المصريين منها ، وكان يخطب لهم فيها من نحو مائة سنة ، فاقطع ذلك .
وفيها توفى من الأعيان . (أحمد بن على)

ابن ثابت بن أحمد بن مهدى ، أبو بكر الخطيب البشادى ، أحد مشاهير الحفاظ ، وصاحب
تاريخ بغداد وغيره من المصنفات المدينة المفيدة ، نحو من ستين مصنفا ، ويقال بل مائة مصنف .
فاته أعلم . ولد سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، وقيل سنة ثنتين وتسعين ، وأول سماعه سنة ثلاث
وأربعائة . ونشأ ببغداد ، وثقه على أبى طالب الطبرى وغيره من أصحاب الشيخ أبى حامد
الاسفرائينى ، وسمع الحديث الكثير ، ورحل إلى البصرة ونيسابور وأصبهان وهمدان والشام والحجاز ،
وسمى الخطيب لأنه كان يخطب بدرب ريجان ، وسمع بمكة على القاضي أبى عبد الله محمد بن سلامة
التضاوى ، وقرأ صحيح البخارى على كريمة بنت أحمد فى خمسة أيام ، ورجع إلى بغداد وحفظ عند
الوزير أبى القاسم بن مسلمة ، ولما ادعى اليهود الخليفة أن معهم كتابا نبويا فيه إسقاط الجزية

عنهم أوقف ابن مسلمة الخطيب على هذا الكتاب . قال : هذا كذب ، وقال له : وما الدليل على كذبه ؟ قال : لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر ، وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة ، وإنما أسلم معاوية يوم الفتح ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد مات قبل خيبر عام الخندق سنة خمس . فأعجب الناس ذلك . وقد سبق الخطيب إلى هذا النقل ، سبقه محمد بن جرير كما ذكرت ذلك في مصنف مفرد ، ولما وقعت فتنة البساسيري ببغداد سنة خمس خرج الخطيب إلى الشام فأقام بمشقه بالمأذنة الشرقية من جامعها ، وكان يقرأ على الناس الحديث ، وكان جمهوري الصوت ، يسمع صوته من أرجاء الجامع كلها ، فاتفق أنه قرأ على الناس يوماً فضائل العباس فنثار عليه الروافض من أتباع الفاطميين ، فأرادوا قتله فقتلهم بالشرف الزينبي فأجاره ، وكان مسكنه بدار العقبي . ثم خرج من دمشق فأقام بمدينة صور ، فكتب شيئاً كثيراً من مصنفات أبي عبد الله الصوري بخطه كان يستمرها من زوجته ، فلم يزل مقياً بالشام إلى سنة ثنتين وستين ، ثم عاد إلى بغداد فحدث بأشياء من مسوغاته ، وقد كان سأل الله أن يملك ألف دينار ، وأن يحدث بالتاريخ بجامع المنصور ، فملك ألف دينار أو ما يقاربها ذهباً ، وحين احتضر كان عنده قريب من مائتي دينار ، فأوصى بها لأهل الحديث ، وسأل السلطان أن يمضى ذلك ، فإنه لا يترك وارثاً ، فأجيب إلى ذلك ، وله مصنفات كثيرة مفيدة ، منها كتاب التاريخ ، وكتاب الكفاية ، والجامع ، وشرف أصحاب الحديث ، والمتفق والمفترق ، والسابق واللاحق ، وتلخيص المتشابه في الرسم ، وفضل الوصل ، ورواية الآباء عن الأبناء ، ورواية الصحابة عن التابعين ، واقتضاء العلم للعمل ، والعقبة والفتنة ، وغير ذلك . وقد سرد ابن الجوزي في المنتظم . قال ويقال : إن هذه المصنفات أكثرها لأبي عبد الله الصوري ، أو ابتدأها فتممها الخطيب ، وجعلها لنفسه ، وقد كان الخطيب حسن القراءة فصيح اللفظ عارفاً بالأدب يقول الشعر ، وكان أولاً يتكلم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، فانتقل عنه إلى مذهب الشافعي ، ثم صار يتكلم في أصحاب أحمد ويقدم فيهم ما أمكنه ، وله مسائل عجيبة في فقههم ، ثم شرع ابن الجوزي يلتصر لأصحاب أحمد ويذكر مثالب الخطيب ودسائسه ، وما كان عليه من محبة الدنيا والميل إلى أهلها بما يطول ذكره ، وقد أورد ابن الجوزي من شعره قصيدة جيدة المطلع حسنة المخرج أولها قوله :

لمبرك ما شجاني رسم دار * وقتت به ولا رسم المفااتي
ولا أثر الخيلام أراق حمي * لأجل تذكري عهد الفوااتي
ولا ملك الهوى يوماً قيادي * ولا عاصيته فتني عنائي
ولم أطمع في وكم قتيل * له في الناس ما تحصي دعائي

عرفت فله بفوى التصابي • وما يلقون من ذل الهوان
 طلبت أخاً صحيح الود عظمي • سليم النيب محفوظ اللسان
 فلم أعرف من الاخوان إلا • فظافا في التباعد والتناهي
 وعالم دهرنا لا خير فيهم • ترى صوراً تروق بلامساي
 ووصف جميعهم هذا فما أن • أقول سوى فلان أو فلان
 ولما لم أجد حراً يراي • على ما قلب من صرف الزمان
 صبرت تكراً لقراع دهرى • ولم أجزع لما منه دهانى
 ولم ألك في الشدائد مستكيناً • أقول لما ألا كنى كنانى
 ولكنى صليب المود عود • ريبط الجأش بجمع الجنان
 أبى النفس لا أختار رزقا • ينجى بغير سبى أو سنانى
 فز فى لظى باغيه يهوى • ألد من الملة فى الجنان

وقد ترجمه ابن عساكر فى تاريخه ترجمة حسنة كعادته وأورد له من شعره قوله :

لا يفتطن أخا الدنيا لخرقها • ولا لفته عيش عجالت فرحا

فأدهر أسرع شئ فى قلبه • وفله بين الخلق قد وهما

كم شارب حسلا فيه منيته • وكم مقلد سيقا من قر به ذمها

توفى يوم الاثنين ضحى من ذى الحجة منها ، وله ثلثان وسبعون سنة ، فى حجرة كان يسكنها
 بدرب السلسلة ، جوار المدرسة النظامية ، واحتفل الناس بمجازته ، وحل نمشه فبين حمل الشيخ أبو
 إسحاق الشيرازى ، ودفن إلى جانب قبر بشر الحافى ، فى قبر رجل كان قد أعدمه لنفسه ، فستل أن
 يتركه لخطيب فشح به ولم تسمع نفسه ، حتى قال له بعض الحافىين : يا لله عليك لو جلست أنت
 والخطيب إلى بشر أيكما كان يجلسه إلى جانبه ؟ قال : الخطيب ، قيل له : فاصبح له به ، فوهبه منه
 فدفن فيه رحمه الله وسامحه ، وهو من قبل فيه وفى أمثاله قول الشاعر :

ما زلت تدأب فى التاريخ مجتهداً • حتى رأيتك فى التاريخ مكتوباً

(حسان بن سعيد)

ابن حسان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن
 الوليد الخزرجى المنبجى ، كان فى شبابه يجمع بين الزهد والتجارة حتى ساد أهل زمانه ، ثم ترك ذلك ،
 وأقبل على العبادة والزهد والبر والصلة والصدقة وغير ذلك ، وبناء المساجد والرباطات ، وكان السلطان
 يأتى إليه ويتبرك به ، ولما وقع الفلاء كان يعمل كل يوم شيئاً كثيراً من الخبز والأطعمة ، ويتصدق به

وكان يكسو في كل سنة قريبا من ألف قدير ثيابا وجبلا ، وكذلك كان يكسو الأرامل وغيرهن من النساء ، وكان يجيز البنات الأيتام وبنات الفقراء ، وأسقط شيئا كثيرا من المكوس والوظائف السلطانية عن بلاد نيسابور ، وقرأها وهو مع ذلك في غاية التبذل والثياب والأطمار ، وترك الشهوات ولم يزل كذلك إلى أن توفي في حسنة السنة ، في ليلة مروه الروز ، فتمده الله برحمته ، ورفع درجته ، ولا يخيب الله له سعيًا .

(أمين بن محمد بن الحسن بن حمزة)

أبو علي الجعفرى قتيه الشيعة في زمانه (محمد بن وشاح بن عبد الله) أبو علي مولى أبي تمام محمد بن علي بن الحسن الزينبي ، مع الحديث ، وكان أدبيا شاعرا ، وكان ينسب إلى الاعتزال والرفض ، ومن شعره قوله :

حملت المعصاة الضعف أوجب حلها • على ولا أتى فعلت من الكبير
ولكننى ألزمت قضى حلها • لأعلمها أن المقيم على سفر
(الشيخ الأجل أبو عمر عبد البر النخعي)

صاحب التصانيف الملية الهائلة ، منها التمهيد ، والاستذكار ، والاستيعاب ، وغير ذلك .
(ابن زيدون) الشاعر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون أبو الوليد ، الشاعر الماهر الأندلسي القرطبي ، انفصل بالأمر المعتمد بن عباد ، صاحب إشبيلية ، فحظى عنده وصار مشاورا في منزلة الوزير ، ثم وزره ولولاه أبي بكر بن أبي الوليد ، وهو صاحب القصيدة الفراقية التي يقول فيها :

بنم وبنا فابنتل جوافحننا • شوقا إليكم ولا جفت مآقينا
تسكاد حين تنالكم ضائرنا • يقضى عليها لولانا سينا
عالت لبعنكم أماننا فنبت • سودا وكانت بكم بيضا لياينا
بالاس كنا ولا نخشى تفرقنا • واليوم نحن ولا يرجى تلاقينا
وهي طويلة وفيها صنعة قوية مبيجة على البكاء لكل من قرأها أو سمعها ، لأنه ما من أحد إلا هارق خلا أو حبيبا أو نسيبا ، وله أيضا :

يبنى وبينك ما لو شئت لم يضع • سر إذا ذاعت الامرار لم ينفع
يا بالما حظه متى ولو بذلت • لي الحياة يحظى منه لم أبغ
يكفئك أنك لو حلت قلبي ما • لاستطيع قلوب الناس يستطع
ه احتمل واستطل أصبر وعزهن • وول أقبل وقل ناعم ومر أطعم

توفي في رجب منها واستمر ولده أبو بكر وزيراً للمتمدن بن عباد ، حتى أخذ ابن ياسين قرطبة من يده في سنة أربع وثمانين ، قتل يومئذ . قال ابن خلكان .

﴿ كريمة بنت أحمد ﴾

ابن محمد بن أبي حاتم المروزي ، كانت طلة سالمة ، سمعت صحيح البخاري على الكشميري ، وقرأ عليها الأئمة كالخطيب وأبي المظفر السمعاني وغيرهما .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة ﴾

فيها قام الشيخ أبو إسحاق اللخريزي مع الخنابلة في الإنكار على المفسدين ، والذين يبيعون الحور ، وفي إبطال المواجرات وهن البنات ، وكتبوا إلى السلطان في ذلك فجاءت كتبه في الإنكار . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد أرغمت لها الأرض ست مرات . وفيها كان غلاء شديد وموتان ذريع في الحيوانات ، بحيث إن بعض الرعاة بفارس قام وقت الصبح ليسرح بقتله فذاهن قسمتين كلهن ، وجاء سبيل عظيم وبرد كبار أتلف شيئا كثيرا من الزروع والثمار بفارس . وفيها تزوج الأمير عمدة الدين ولد الخليفة بأبنة السلطان ألب أرسلان « سمرق خاتون » وذلك بليسا بور ، وكان وكيل السلطان نظام الملك ، ووكيل الزوج حميد الدولة ابن جهور ، وحين عقد العقد نثر على الناس جواهر نفيسة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ ذكرنا بن محمد بن حميد ﴾

أبو منصور النيسابوري ، كان يزعم أنه من سلالة عثمان بن عفان ، وروى الحديث عن أبي بكر بن المذهب ، وكان ثقة . توفي في الحرم منها وقد قارب الثمانين .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله ، أبو الحسن الهاشمي ، خطيب جامع المنصور ، كان ممن يلبس القلائص الطوال ، حدث عن ابن زرقويه وغيره ، روى عنه الخطيب ، وكان ثقة عدلا شهد عند ابن الهاماني وابن ماكولا قبلاه توفي عن ثمانين سنة ودفن بقرب قبر بشر الحافي .

﴿ محمد بن أحمد بن شاره ﴾

ابن جعفر أبو عبد الله الأصمغاني ، ولي القضاء بسجيل ، وكان شافعيًا ، روى الحديث عن أبي عمرو بن مهدي ، توفي ببغداد ونقل إلى سجيل من عمل واسط ، وألف سبعه أظم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة ﴾

في يوم الخميس حادي عشر الحرم حضر إلى الديوان أبو الوفاء علي بن محمد بن عقيل الثقفي الحنبلي ، وقد كتب على نفسه كتابا يتضمن توبته من الاعتزال ، وأنه رجع عن اعتقاده كون الخلاص

من أهل الحق والخير ، وأنه قد رجع عن الجزء الذي عمله في ذلك ، وأن الحلاج قد قتل بإجماع علماء أهل عصره على زندقته ، وأنهم كانوا مصيبين في قتله وما رموه به ، وهو غطلى ، وأشهد عليه جماعة من الكتاب ، ورجع من الديوان إلى دار الشريف أبي جعفر فسلم عليه وصاحبه واعتنر إليه ، فظمه

(وفاة السلطان ألب أرسلان ومات ولده ملكشاه)

كان السلطان قد سار في أول هذه السنة يريد أن يغزو بلاد ما وراء النهر ، فاتفق في بعض المنازل أنه غضب على رجل يقال له يوسف الخوارزمي ، فأوقف بين يديه فشرع يماثبه في أشياء صدرت منه ، ثم أمر أن يضرب له أربعة أوتاد ويصلب بينها ، فقال للسلطان : يا مخنث ومثلى يقتل هكذا ؟ فاحتد السلطان من ذلك وأمر بإرساله وأخذ القوس فرماه بسهم فأخطاه ، وأقبل يوسف نحو السلطان فقبض السلطان عن السرير خوفاً منه ، فنزل عنه فمتر فوقه فأدركه يوسف فضر به بضخمير كان معه في خاصرته قتله ، وأدرك الجيش يوسف فقتلوه ، وقد جرح السلطان جرحاً منكراً ، فتوفي في يوم السبت ثامن ربيع الأول من هذه السنة ، ويقال إن أهل بخارى لما اجتاز بهم نهب عسكره أشياء كثيرة لهم ، فدعوا عليه فبلاك .

ولما توفي جلس ولده ملكشاه على سرير الملك وقام الأمراء بين يديه ، فقال له الوزير نظام الملك : تسلم أيها السلطان ، فقال : ألا كبر منكم أبي والأوسط أخى والأصغر ابني ، وسأفعل معكم ما لم أسبق إليه . فأمسكوا فأعاد القول فأجابوه بالسمع والطاعة . وقام بأهباء أمره الوزير نظام الملك فزاد في أرزاق الجنود سبعمائة ألف دينار ، وسار إلى مرو فدفعوا بها السلطان ، ولما بلغ موته أهل بغداد أقام الناس له المزاء ، وغلقت الأسواق وأظهر الخليفة الجزع ، وغلخت ابنة السلطان زوجة الخليفة فبأبها ، وجلست على الثراب ، وجاءت كتب ملكشاه إلى الخليفة يتأسف فيها على والده ، ويسأل أن تقام له الخليفة بالراق وغيرها . فعزل الخليفة ذلك ، وخلع ملكشاه على الوزير نظام الملك خلعاً سليماً ، وأعطاه مئضراً كثيرة ، من جعلها عشرون ألف دينار ، ولقبه بأتابك الجيوش ، ومعناه الأمير الكبير الوالد ، فسار سيرة حسنة ، ولما بلغ فلورت موت أخيه ألب أرسلان ركب في جيوش كثيرة فاصدا قتال ابن أخيه ملكشاه ، فالتقيا فاقنتلا فانهزم أصحاب فلورت وأسر هو ، فأبى ابن أخيه ثم اعتقله ثم أرسل إليه من قتله .

وفيها جرت فتنة عظيمة بين أهل الكرخ وباب البصرة والقلايين فاقنتلوا قتل منهم خلق كثير ، واحترق جانب كبير من الكرخ ، فانتقم المتولون لأهل الكرخ من أهل باب البصرة ، فأخذ منهم أموالاً كثيرة جنابة لهم على ما صنعوا . وفيها أقيمت الدعوة العباسية ببني القميس . وفيها ملك صاحب ممرقند وهو محمد التكين مدينة ترمذ . وفيها حج بالناس أبو التقيم المولوى .

وفيه توفى من الأعيان . ﴿ السلطان ألب أرسلان ﴾

الملك بسلطان العالم ، ابن داود جفري بك ، بن ميكائيل بن سلجوق التركي ، صاحب الملك المتسعة ، ملك بمصر معه طغر بك سبع سنين وستة أشهر وأياماً ، وكان عادلاً يسير في الناس سيرة حسنة ، كر بما رحباً ، شفوفاً على الرعية ، رفيقاً على الفقراء ، باراً بأهله وأصحابه ومماليكه ، كثير الدعاء بدوام النعم به عليه ، كثير الصدقات ، يتصدق الفقراء في كل رمضان بخمسة عشر ألف دينار ، ولا يعرف في زمانه جناية ولا مصادرة ، بل كل من يقنع من الرعية بالخراج في قسطنطين ، رقا بهم . كتب إليه بعض السعاة في نظام الملك وزيره وذكر ماله في مملكه فاستدعاه فقاتل له : خذ إن كان هذا صحيحاً فهدب أخلاقك وأصلح أحوالك ، وإن كذبوا فاغفر له ذلته ، وكان شديد الحرص على حفظ مال الرعايا ، باغته أن غلاماً من غلمانه أخذ إزاراً لبعض أصحابه فصلبه فارتدع سائر المماليك به خوفاً من سطوته ، وترك من الأولاد ملكشاه وإلياز ونكشرو وجرى برس وأرسلان وازغو وسارة وعائشة و بنتا أخرى ، توفى في هذه السنة عن إحدى وأربعين سنة ، ودفن عند والده بالري رحمه الله .

﴿ أبو القاسم القشيري ﴾

صاحب الرسالة ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد المطلب بن طلحة ، أبو القاسم القشيري ، وأمه من بني سليم ، توفى أبوه وهو طفل قرأ الأثر والعربية ، وصحب الشيخ أبا علي الدقاق ، وأخذ الفقه عن أبي بكر بن محمد الطوسي ، وأخذ الكلام عن أبي بكر بن فورك وصنف الكثير ، وله التفسير والرسالة التي ترجم فيها جماعة من المشايخ الصالحين ، وحج بحجة إمام الحرمين وأبي بكر البيهقي ، وكان يعظ الناس ، توفى ببغداد في هذه السنة عن سبعين سنة ، ودفن إلى جانب شيخه أبي علي الدقاق ، ولم يدخل أحد من أهله بيت كتبه إلا بعد سنين ، احتراماً له ، وكان له فرس يركبها قد أهديت له ، فلما توفى لم تأكل حلفاء حتى نفقت بعده يسير فانت ، ذكره ابن الجوزي ، وقد أثنى عليه ابن خلكان ثناء كثيراً ، وذكر شيثان من شره من ذلك قوله :

سقى الله وقتاً كنت أخلو بوجهك • ونثر الهوى في روضة الألس ضاحك

أقنا زماناً والعيون قريرة • وأصبحت يوماً والجفون سواك

وقوله لو كنت ساحة بيننا ما بيننا • وشهدت حين فرأنا التوديعا

أيقنت أن من الدعوى محدثاً • وعلمت أن من الحديث دموماً

وقوله ومن كان في طول الهوى خالق سادة • فاني من ليلي لها غير ذاتي

وأكثر شيء نلت من وصلها • أماني لم تضدق كخطئة بارقي

﴿ ابن صرير ﴾

الشاعر اسمه علي بن الحسين بن علي بن الفضل ، أبو منصور الكاتب المعروف بابن صرير
وكان نظام الملك يقول له أنت صرير لا صرير ، وقد هجاه بعضهم . قال :

لئن لقب الناس قديماً بأهلك • وسوءه من شعبة صريرا

فأنك تنثر ما صره • عقوباً له وتسميه شعرا

قال ابن الجوزي : وهذا ظلم فاحش فإن شعره في غاية الحسن ، ثم أورد له أبياتاً حسناً فمن ذلك :

أيُّ أحاديث ليمان وساكته • أن الحديث عن الاحباب أمار

أفتش الريح عنكم كلما فطعت • من نحو أرضكم مسكا ومعطار

قال : وقد حفظ القرآن وجمع الحديث من ابن شيران وغيره ، وحدث كثيراً ، وركب يوماً دابة
هو والله تفسطاً بالشونيزية عنها في بئر فانا فسدنا ببرر ، وذلك في صفر من هذه السنة ، قال ابن
الجوزي : قرأت بخط ابن عقيل صرير جارتاً بالرصافة ، وكان يلبد بالالحاد ، وقد أورد له ابن خلكان
شيئاً من أشعاره ، وأثنى عليه في فنه والله أعلم بحاله .

﴿ محمد بن علي ﴾

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله ، أبو الحسين ، ويعرف بابن العريف ، ولد
سنة سبعين وثلاثمائة وجمع الدار قطعي ، وهو آخر من حدث عنه في الدنيا ، وابن شاهين وتفرد عنه ،
وجمع خلقاً آخرين ، وكان ثقة ديناً كثير الصلاة والصيام ، وكان يقال له راهب بن هاشم ، وكان
غزير العلم والمقل ، كثير التلاوة ، وقيق القلب غزير اللمعة ، وقد رحل إليه الطلبة من الآفاق ،
ثم قل سمعه ، وكان يقرأ على الناس ، وذهبت إحدى عينيه ، وخطب وله ست عشرة سنة ، وشهد
عند الحكم سنة ست وأربعمائة ، وولى الحكم سنة تسع وأربعمائة ، وأقام خطيباً بجامع المنصور
وجامع الرصافة ستاً وسبعين سنة ، وحكم ستاً وخمسين سنة ، وتوفي في سلخ ذي القعدة من هذه السنة
وقد جاوز تسعين سنة ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً ، ورثت له منامات صالحة حسنة ، رحمه الله
وسامحه ورحمنا وسامحنا ، إنه قريب مجيب ، رحيم وودود .

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة ﴾

في صفر منها جلس الخليفة جلوساً طاماً وعلى رأسه حفيته الأمير عدة الدين ، أبو القاسم عبد الله
ابن المهدي بالله ، وعمره يومئذ ثمانى عشرة سنة ، وهو في غاية الحسن ، وحضر الأمراء والكبراء
فقد الخليفة بيده لزاله السلطان ملكشاه ، كثير الزلم يومها ، وهذا الناس بعضهم بعضاً بالسلمة .

﴿ غرق بغداد ﴾

في جمادى الآخرة نزل مطر عظيم وسيل قوى كثير ، وسالت دجلة وزادت حتى غرقت جانباً كبيراً من بغداد ، حتى خاض ذلك إلى دار الخلافة ، فخرج الجوارى حلسرات عن وجوههن ، حتى صرن إلى الجانب الغربى ، وهرب الخليفة من مجلسه فلم يجد طريقاً يسلكه ، فحمل بعض الخدم إلى التاج ، وكان ذلك يوماً عظيماً ، وأمرأ هائلاً ، وهلك للناس أموال كثيرة جداً . وماتت نعت الردم خلق كثير من أهل بغداد والغرباء وجاء على وجه السيل من الاخشاب والأحطاب والوحوش والحيات شيء كثير جداً ، وسقطت دور كثيرة في الجانبين ، وغرقت قبور كثيرة ، من ذلك قبر الخيزران ومقبرة أحمد بن حنبل . ودخل الماء من شيايبك المارستان المضدى وأتلف السيل في الموصل شيئاً كثيراً ، وصدم سور منجار فهدمه : وأخذ يابه من موضعه إلى مسيرة أربعة فراسخ . وفي ذى الحجة منها جاءت ريح شديدة في أرض البصرة فأنهض منها نحو من عشرة آلاف نخلة . ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن الحسن السمناني ﴾

الحنفى الأشعرى . قال ابن الجوزى : وهذا من التريب ، تزوج فاضى القضاة ابن الدامغانى ابنته وولاه نيابة القضاة ، وكان ثقة نبيلاً من ذوى الهيئات ، جاوز الثمانين .

﴿ عبد العزيز بن أحمد بن علي ﴾

ابن سليمان ، أبو محمد الكنانى الحافظ الدمشقى ، سمع الكثير ، وكان يعلى من حفظه ، وكتب عنه الخطيب حديثاً واحداً ، وكان معظماً ببلده ، ثقة نبيلاً جليلاً .

﴿ الملوودية ﴾

ذكر ابن الجوزى أنها كانت عجوزاً سالحة من أهل البصرة تمط النساء بها ، وكانت تكتب وتقرأ ، ومكثت خمسين سنة من عمرها لا تفطر تهاراً ولا تنام ليلاً ، وتفتت بخبز الباقلا ، وتأكل من التين اليابس لا الرطب ، وشيئاً يسيراً من العنب والزيت ، وربما أكلت من اللحم اليسير ، وحين توفيت تبع أهل البلد جنازتها ودفنت في مقابر الصالحين .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة ﴾

في صفر منها مرض الخليفة القائم بأمر الله مرضاً شديداً انتفخ منه حلقه ، وامتنع من الفصد ، فلم يزل الوزير يغر الدولة عليه حتى اقتصد وأصلح الحال ، وكان الناس قد انزعجوا فخرجوا بمافيته وجاء في هذا الشهر سيل عظيم فأسى الناس منه شدة عظيمة ، ولم تكن أكثر أبنية بغداد تكاملت من التفرق الأول ، فخرج الناس إلى الصحراء فجلسوا على رؤس التلّول تحت المطر ، ووقع وباء عظيم بالرجبة ، فمات من أهلها قريب من عشرة آلاف ، وكذلك وقع بواسط والبصرة ونحو رستنان وأرض خراسان وغيرها والله أعلم .

﴿ حفة موت الخليفة القائم بأمر الله ﴾

لما اقتصد في يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب من بواسير كانت تمتاده من عام الفرق ، ثم نام بعد ذلك فأنفجر فصاده ، فاستيقظ وقد سقطت قوته ، وحصل الاياس منه ، فاستدعى بمفيدة وولى عهده عدة الدين أبي القاسم عبد الله بن محمد بن القائم ، وأحضر إليه القضاة والفقهاء وأشهدهم عليه ثانيا بولاية العهد له من بعده ، فشهدوا ، ثم كانت وقاته ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان عن أربع وتسعين سنة ، وعمانية أشهر ، وعمانية أيام ، وكانت مدة خلافته أربعاً وأربعين سنة وعمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً ، ولم يبلغ أحد من العباسيين قبله هذه المدة ، وقد جاوزت خلافة أبيه قبله أربعين سنة ، فكان مجموع أيامهما خمساً وعشرين سنة وأشهرًا ، وذلك صقارم لدولة بني أمية جميعها ، وقد كان القائم بأمر الله جليلاً مليحاً حسن الوجه ، أبيض مشرباً بحمرة ، فصيحاً ورعاً زاهداً ، أديباً كاتباً بليغاً ، شاعراً ، كما تقدم ذكر شيء من شعره ، وهو بمدينة عانة سنة خمسين ، وكان عادلاً كثير الاحسان إلى الناس رحمه الله . وغسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الحنظلي عن وصية الخليفة بذلك ، فلما غسله عرض عليه ما هنالك من الأثاث والأموال ، فلم يقبل منه شيئاً ، وصلى على الخليفة في صبيحة يوم الخميس المذكور ، ودفن عند أجداده ، ثم قتل إلى الرصافة ، فقبره بزار إلى الآن ، وغلفت الأسواق لموته ، وعلفت المسوح ، وفاحت عليه نساء الهاشميين وغيرهم ، وجلس الوزير ابن جبير وابنه لفرار على الأرض ، وخرق الناس ثيابهم ، وكان يوماً عصيباً ، واستمر الحال كذلك ثلاثة أيام ، وقد كان من خيار بني العباس ديناً واعتقاداً ودولة ، وقد امتحن من بينهم بفطنة البساسيري التي اقتضت إخراجهم من داره ومفارقة أهله وأولاده ووطنه ، فأقام بمدينة عانة سنة كاملة ثم أعاد الله تعالى عليه نعمته وخلافته . قال الشاعر :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم • إذ هم قريش وإذ ما ملهم بشر

وقد تقدم له في ذلك سلف صالح كما قال تعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) وقد ذكرنا ملخص ما ذكره المفسرون في سورة ص ، وبسطنا الكلام عليه في هذه القصة العباسية والفننة البساسيرية في سنة خمسين ، وإحدى وخمسين ، وأربعين .

﴿ خلافة المعتدى بأمر الله ﴾

وهو أبو القاسم عدة الدين عبد الله بن الأمير ذخيرة الدين أبي القاسم محمد بن الخليفة القائم بأمر الله بن التاجر العباسي ، وأمه أرمنية تسمى أرجوان ، وتدعى قرعة العين ، وقد أدركت خلافة ولدها هذا ، وخلافة ولديه من بعده ، المستظهر والمسترشد . وقد كان أبوه توفي وهو حمل ، فحين ولد ذكرًا فرح به جده والمسلمون فرحاً شديداً ، إذ حفظ الله على المسلمين بقاء الخلافة في البيت القادرى ، لأن

من عداهم كانوا يقبضون في الاسواق ، ويختلطون مع العوام ، وكانت القلوب تنفر من تولية مثل أولئك الخلالة على الناس ، ونشأ هنا في حجر جده القائم بأمر الله يريه بما يليق بأمنائه ، ويدربه على أحسن السجاياء لله الحمد ، وقد كان المقتدى حين ولي الخلافة عمره عشرين سنة ، وهو في غاية الجلال خلقا وخلقا ، وكانت بينه يوم الجمعة الثالث عشر من شعبان من هذه السنة ، وجلس في دار الشجرة ، بقميص أبيض ، وعملة بيضاء لطيفة ، وطرحه قصب أحمره ، وجاء الوزراء والأمراء والأشراف ووجوه الناس قبايصة ، فكان أول من بايحه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الحنبل ، وأنشده قول الشاعر :

• إذا سيد منا مضى قام سيد •

ثم أرتج عليه فلم يدر ما به ، فقال الخليفة • قول بما قال الكرام فعول • وبايحه من شيوخ العلم الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، والشيخ أبو نصر بن الصباغ ، الشافعيان ، والشيخ أبو محمد القمي الحنبل ، وبرز فصلى بالناس العصر ثم بعد ساعة أخرج تابوت جده يسكن ووقار من غير صراخ ولا نوح ، فصرى عليه وحل إلى المقبرة ، وقد كان المقتدى شهبا شجاعا أيامه كلها مباركة ، والرزق دار والخلافة معظلة جدا ، وتماضت السواحل له ، وتضاوت بين يديه ، وخطاب له بالحرمين وبيت المقدس والشام كلها ، واسترجع المسلمون الزوايا أنطاكية من أيدي المدعو ، ومرت بغداد وغيرها من البلاد ، واستوزر ابن جبير ثم أبا شعاع ، ثم أمد ابن جبير وقاضيه الداماني ، ثم أبو بكر الشافعي ، وهؤلاء من خيار القضاة والوزراء لله الحمد .

وفي شعبان منها أخرج المفسدات من الطواشي من بغداد ، وأمرهن أن ينادين على أنفسهن بالمار والنضيحة ، وخرب الحارات ودور الزواني والمخاني ، وأسكن الجانب الغربي مع القل والصنار ، وخرب أبرجة الحمام ، ومنع القصب بها ، وأمر الناس باحتراز عوراتهم في الحمامات ومنع أصحاب الحمامات أن يصرفوا فضلاتها إلى حجلة ، وألزمهم بحفر آبار لتلك المياه القنطرة صيانة لماء الشرب . وفي شوال منها وقت نار في أماكن ممتدة في بغداد ، حتى في دار الخلافة ، فأحرق شيئا كثيرا من الدور والقبالكين ، ووقع بواسط حريق في تسعة أماكن ، واحترق فيها أربعة وعشرون دارا وستة خانات ، وأشياء كثيرة غير ذلك ، فأن الله وإنا إليه راجعون .

وفيها حل الرصد للسلطان ملكشاه اجتمع عليه جماعة من أعيان المنجمين وأفتى عليه أموالا كثيرة ، وبقى دارا حتى مات السلطان فيقل .

وفي ذي الحجة منها أهدت الخطب للمصريين وقطعت خطبة المياسيين ، وذلك لما قوى أمر صاحب مصر بمداها كان ضيفا بسبب غلاء بلده ، فلما رخصت تراجع الناس إليها ، وطالب البشير بها ، وقد كانت الخطبة للمياسيين بمكة منذ أربعين سنة وخمسة أشهر ، ومستعود كما كانت على ماسياني

بيانه في موضعه ، وفي هذا الشهر أنجبل أهل السواد من شدة الوياه وقلة ماء حجلة وتقصها . وحج بالناس الشريف أبو طالب الحسيني بن محمد الزينبي ، وأخذ البيعة للخليفة المقتدى بالحرمين .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ الخليفة القائم بأمر الله ﴾

عبد الله ، وقد ذكرنا شيئاً من ترجمته عند وفاته .

﴿ الداودي ﴾

راوى صحيح البخارى ، عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود ، أبو الحسن ، بن أبي طلحة الداودي ، ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، سمع الكثير وتفقّه على الشيخ أبي حامد الاسفرايينى ، وأبى بكر التتال ، ومحبب أبا على الدقاق وأبى عبد الرحمن السلى ، وكتب الكثير ودرس وأفتى وصنف ، ووعظ الناس . وكانت له يد طولى في النظم والنثر ، وكان مع ذلك كثير الذكر ، لا يفتقر لسانه عن ذكر الله تعالى ، دخل يوماً عليه الوزير نظام الملك نجاش بين يديه فقال له الشيخ : إن الله قد سلطك على عبادك فأنظر كيف تحببه إذا سألك عنهم . وكانت وفاته ببوشع في هذه السنة وقد جاوز التسعين . ومن شعره الجيد القوى قوله :

كان في الاجتماع بالناس نور • ذهب النور واذلهم الظلام

فسد الناس والزمان جميعاً • فلى الناس والزمان السلام

﴿ أبو الحسن على بن الحسن ﴾

ابن على بن أبي الطيب البخارزى الشاعر المشهور ، اشتغل أولاً على الشيخ أبي محمد الجويني ثم ترك ذلك وهدى إلى الكتابة والشعر ، فثاق أقرانه ، وله ديوان مشهور فنه :

ولمى لأشكولسع أصداءك النى • عقاربها فى وجنتيك نجوم

وأبكى لمر النثر منك ولى أب • فكيف نديم الضحك وهو يتيم

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة ﴾

قال ابن الجوزى : جاء جراد في شعبان يصدد الرمل والحصى ، فأكل الغلات وآذى الناس ، وجاعوا فطمعن الخروب بدقيق الفخن فأكلوه ، ووقع الوياه ، ثم منع الله الجراد من الفساد ، وكان يمر ولا يضر ، فرخصت الأسمار . قال : ووقع غلاء شديده بدمشق واستمر ثلاث سنين . وفيها ملك نصر ابن محمود بن صالح بن مرداس مدينة منبج ، وأجلى عنها الروم وقلع الحمد والمثنة في ذى القعدة منها . وفيها ملك الألبيس مدينة دمشق ، وانهزم عنها الملح بن حيدر نائب المستنصر البيهقى إلى مدينة بانياس ، وحطب فيها المقتدى ، وقطعت خطبة المصريين عنها إلى الآن وقلع الحمد والمثنة . فاستمدى المستنصر نائبه فحبسه عنده إلى أن مات في السجن .

قلت : الأقباس هذا هو أنس بن أوف الخوارزمي ، ويلقب بالملك العظيم ، وهو أول من استعاد بلاد الشام من أيدي الفاطميين ، وأزال الأذان منها يحيى على خير العمل ، بعد أن كان يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام ، مائة وستين ، كان على أبواب الجوامع والمساجد مكتوب لنعمة الصحابة رضى الله عنهم ، فأمر هذا السلطان المؤذنين والمخطيئة أن يقرضوا عن الصحابة أجمعين ، ونشر المدل وأظهر السنة : وهو أول من أسس القلعة بدمشق ، ولم يكن فيها قبل ذلك معقل يلتجئ إليه المسلمون من العدو ، فبناها في محلها هذا التي هي فيها اليوم ، وكان موضعها بباب البلد يقال له باب الحديد ، وهو تجاه دار رضوان منها ، وكان ابتداء ذلك في السنة الآتية ، وإنما أكملها بعده الملك المنصور تنش بن ألب أرسلان السلجوقي كما سيأتى بيانه . وحج بالناس فيها مقطع الكوفة . وهو الأمير السكيني جنغل التركي ، ويعرف بالطويل ، وكان قد شرد خفاجة في البلاد وقهرم ، ولم يصحب معه سوى ستة عشر تركيا ، فوصل إلى مكة سالماً ، ولما نزل ببعض دورها كبسه بعض البعيث فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وهزمهم هزيمة شنيعة ، ثم إنه بعد ذلك إنما كان ينزل بالزاهر . قاله ابن السامى في تاريخه ، وأعيدت الخطبة في هذه السنة للعباسيين في ذى الحجة منها ، وقطعت خطبة المصريين والله الحمد والمنة .

ومن توفى فيها من الأعيان .

(محمد بن على)

ابن أحمد بن عيسى بن موسى ، أبو تمام ابن أبي القاسم بن القاضي أبي على الهاشمي ، تقيب الهاشميين ، وهو ابن عم الشريف أبي جعفر بن أبي موسى التقي الحنبلي ، روى الحديث وجمع منه أبو بكر بن عبد الباقي ، ودفن بباب حرب .

(محمد بن القاسم)

ابن حبيب بن عبدوس ، أبو بكر الصفار من أهل نيسابور ، جمع الحاكم وأبا عبد الرحمن السلمي وخلفاء ، وتفق على الشيخ أبي محمد الجويني ، وكان يخطفه في حلقته .

(محمد بن محمد بن عبد الله)

أبو الحسين البيضاوي الشافعي ، ختن أبي الطيب الطبري على ابنته ، جمع الحديث وكان ثقة خيراً ، توفي في شبان منها ، وتقدم للصلاة عليه الشيخ أبو نصر بن الصباغ ، وحضر جنازته أبو عبد الله اللهاماني مأموماً ، ودفن بداره في قطيعة الكرخ .

(محمد بن نصر بن صالح)

ابن أبي حطب ، وكان قد ملكها في سنة تسع وخسين ، وكان من أحسن الناس شكلاً وفلاً .

(مسعود بن الحسن)

ابن الحسين بن عبد الرزاق بن جعفر البياضي الشاعر ومن شمره :

ليش لي صاحب معين سوى • يل إذا طال بالصدود عليا
أنا أشكو بعد الحبيب إليه • وهو يشكو بعد الصباح إلينا
يا من لبست لهجره طول الضنا • حتى خفيت إذا عن المواد
وأنست بالسهر الطويل فأنسيت • أجهن عيني كيف كان رقادي
إن كان يوسف بالجمال مقطع • أيدي فأنت مفتت الأكباد

﴿ الواحدي المفسر ﴾

علي بن حسن بن أحمد بن علي بن بويه الواحدى ، قال ابن خلكان : ولا أخرى هذه النسبة إلى ماذا ، وهو صاحب التفسير الثلاثة : البسيط ، والوسيط والوجيز . قال : ومنه أخذ الغزالي أسماء كتبه . قال : وله أسباب النزول ، والتجوير في شرح الأسماء الحسنى ، وقد شرح ديوان المتنبي ، وليس في شروحه مع كثرتها مثله . قال : وقد رزق السعادة في تصانيفه ، وأجمع الناس على حسنها وذكرها المدرسون في دروسهم ، وقد أخذ التفسير عن الثمالى ، وقد مرض مدة ، ثم كانت وفاته بليسا بورى جمادى الآخرة منها ﴿ ناصر بن محمد ﴾

ابن علي أبو منصور التركي الصافرى ، وهو والد الحافظ محمد بن ناصر ، قرأ القرآن ، وسمع الكثير ، وهو الذى تولى قراءة التلويح على الخطيب بجامع المنصور ، وكان غريضا صبيحا ، مات شابا دون الثلاثين سنة فى ذى القعدة منها ، وقد رثاه بعضهم بقصيدة طويلة أوردتها كلها فى المنتظم ابن الجوزى .

﴿ يوسف بن محمد بن الحسن ﴾

أبو القاسم الهمداني ، سمع وجمع وصنف وانتشرت عنه الرواية ، توفى فى هذه السنة وقد قارب التسعين .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة ﴾

فيها كان ابتداء عمارة قلعة دمشق ، وذلك أن الملك المظفر أنسز بن أوف الطوارزى لما انتزع دمشق من أيدي البيهقيين فى السنة الماضية ، شرع فى بناء هذا الحصن المنيع بدمشق فى هذه السنة وكان فى مكان القلعة اليوم أحد أبواب البلد ، باب يعرف بباب الحديد ، وهو الباب المقابل لدار رضوان منها اليوم ، داخل البركة البرانية منها ، وقد أرفق بعض أبرجتها فلم يتكامل حتى انتزع ملك البلد منه الملك المظفر تلج الملوك تلش بن ألب أرسلان السلجوقى ، فأكملها وأحسن حمارتها ، وابقى بها دار رضوان للملك ، واستمرت على ذلك البناء فى أيام نور الدين محمود بن زنگى ، فلما كان الملك صلاح الدين بن يوسف بن أيوب جدد فيها شيئا ، وابقى له قائمه ابن مقدم فيها دارا هائلة للملكة ، ثم إن الملك العادل أخا صلاح الدين ، أقسم هو وأولاده أبرجتها ، فبنى كل ملك منهم برجاً منها جده وعلاه وأطله وأكده . ثم جدد الملك الظاهر بيبرس منها البرج الغربى القبلى ،

ثم أبقي بمعه في دولة الملك الأشرف خليل بن المنصور ، قاله الشجاعى ، الطارمة الشالية والقبه الزرقاء وما حولها ، وفي الحرم منها مرض الخليفة مرضا شديدا فأرجف الناس به ، فركب حتى رآه الناس جبهة فسكنوا ، وفي جمدى الآخرة منها زادت دجلة زيادة كثيرة ، إحدى وعشرين ذراعا ونصفا ، فقتل الناس أموالهم وخيف على دار الخلافة ، فقتل ثابت القائم بأمر الله ليلا إلى التراب بالرصافة . وفي شوال منها وقعت الفتنة بين الخناطة والأشعرية . وذلك أن ابن التشيرى قدم بغداد فجلس يتكلم في النظامية وأخذ يتم الخناطة وينسبهم إلى التجسيم ، وساعده أبو سعد الصوفى ، ومال معه الشيخ أبو إسحاق الشيرازى ، وكتب إلى نظام الملك يشكو إليه الخناطة ويسأله المعونة عليهم ، وذهب جماعة إلى الشريف أبى جعفر بن أبى موسى شيخ الخناطة ، وهو فى مسجده ، فدافع عنه آخرون ، واقتتل الناس بسبب ذلك وقتل رجل خياط من سوق التبن ، وجرح آخرون ، وثارت الفتنة ، وكتب الشيخ أبو إسحاق وأبو بكر الشاشى إلى نظام الملك فى كتابه إلى نضر الدولة ينكر ما وقع ، ويكره أن يسلب إلى المدرسة التى بناها شىء من ذلك . وعزم الشيخ أبو إسحاق على الرحلة من بغداد غضبا مما وقع من الشر ، فأرسل إليه الخليفة يسكنه ، ثم جمع بينه وبين الشريف أبى جعفر وأبى سعد الصوفى ، وأبى نصر بن التشيرى ، عند الوزير ، فأقبل الوزير على أبى جعفر يظلمه فى النعال والقتال ، وقام إليه الشيخ أبو إسحاق فقال : أنا ذلك الذى كنت تعرفه وأنا شاب ، وهذه كتبى فى الأصول ، ما أقول فيها خلافا للأشعرية ، ثم قبل رأس أبى جعفر ، فقال له أبو جعفر : صدقت ، إلا أنك لما كنت قهيرا لم تظهر لنا ما فى نفسك ، فلما جاء الأعوان والسلاطون وخواجه برك - يعنى نظام الملك - وشبعت ، أبديت ما كن مخفيا فى نفسك . وقام الشيخ أبو سعد الصوفى وقبل رأس الشريف أبى جعفر أيضا وتلف به ، فالتفت إليه منضبا وقال : أيها الشيخ أما الفقهاء إذا تكلموا فى مسائل الأصول فلمهم فيها مدخل ، وأما أنت فصاحب لهو وسعيا وتغيير ، فن زاحك منا على باطلك ؟ ثم قال : أيها الوزير أى تصلح بيننا ؟ وكيف يقع بيننا صلح ونحن نوجب ما نفتقد وهم يحرمون ؟ ويكرهون ؟ وهذا جد الخليفة القائم والقادر قد أظهرنا اعتقادهما قناس على رؤس الأشهاد على منهج أهل السنة والجماعة والسلف ، ونحن على ذلك كما وافق عليه الرافقون واخراسانيون ، وقرىء على الناس فى الدواوين كلها ، فأرسل الوزير إلى الخليفة يلعب بما جرى ، فجاء الجواب بشكر الجماعة وخصوصا الشريف أبى جعفر ، ثم استدعى الخليفة أبى جعفر إلى دار الخلافة للسلام عليه ، والتبرك بدعائه . قال ابن الجوزى : وفى ذى القعدة منها كثرت الأمراض فى الناس ببغداد واسط والدواة وورد الخبير بأن الشام كذلك . وفى هذا الشهر أزيلت المنكرات والبنايا ببغداد ، وهرب الفساق منها . وفيها ملك حلب نصر بن محمود بن مرداس بمدة وفاة أبيه . وفيها تزوج

الأمير علي بن أبي منصور بن قرامز بن علاء الدولة بن كلويه السلت أرسلان خاتون بنت داود عم
السلطان ألب أرسلان ، وكانت زوجة القائم بأمر الله . وفيها حاصر الأقباس صاحب دمشق مصر
وضيق على صاحبها المستنصر بالله ، ثم كر راجعاً إلى دمشق . وحج بالناس فيها الأمير جنفل
التركي ^(١) قطع الكوفة .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ اسفندوست بن محمد بن الحسن أبو منصور الهلبلي ﴾
الشاعر ، لقي أبا عبد الله بن الحاج وصيد المزين بن نباتة وغيرهما من الشعراء ، وكان شيعياً
فتاب ، وقال في قصيدة له في ذلك قوله في اعتقاده :

وإذا مثلت من اعتقادي قلت ما • كانت عليه مذاهب الأبرار
وأقول خير الناس بعد محمد • ضيقه وأنيسه في النار
ثم الثلاثة بعده خير الوري • أكرم بهم من سادة أطهار
هذا اعتقادي والذي أرجو به • فوزي وعنتي من عذاب النار
﴿ طاهر بن أحمد بن بإشاذ ﴾

أبو الحسن البصري النحوي ، سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فلت من ساعته
في رجب من هذه السنة . قال ابن خلكان : كان بمصر إمام عصره في النحو ، وله المصنفات المفيدة
من ذلك مقبضته وشرحها وشرح الجمل للزجاجي . قال : وكانت وظيفته بمصر أنه لا تكتب الرسائل
في ديوان الانشاء إلا عرضت عليه فيصلح منها ما فيه خلل ثم تنفذ إلى الجهة التي عينت لها ، وكان
له على ذلك مألوم وراتب جيد . قال فاتفق أنه كان يأكل يوماً مع بعض أصحابه طعاماً فجاءه قط فرموا
له شيئاً فآخذه وذهب سريعاً ، ثم أقبل فرموا له شيئاً أيضاً فأنطلق به سريعاً ثم جاء فرموا له شيئاً أيضاً
فلموا أنه لا يأكل هذا كله فتقبضوه فاذا هو ينهب به إلى قط آخر أعمى في سطح هناك ، فتمسجوا من
ذلك ، فقال الشيخ : يا سبحان الله هذا حيوان بهم قد ساق الله إليه رزقه على يد غيره أفلا يرزقني
وأتعبه وأعبد . ثم ترك ما كان له من الراتب وجمع خواشيه وأقبل على العبادة والاشتغال والملازمة
في غرفة في جامع عمرو بن العاص ، إلى أن مات كاذباً كرنا . وقد جمع تعليقاته في النحو وكان قرييماً
خسة عشر مجلداً ، فأصحابه كابن برى وغيره ينقلون منها ويتفتنون بها ، ويسمونها تعليقات الغرفة .
﴿ عبد الله بن محمد بن عبد الله ﴾

ابن عمر بن أحمد بن الجميع بن محمد بن يحيى بن معبد بن هزارمرد ، أبو محمد الصريفي ،
ويعرف بابن المعلم ، أخذ مشايخ الحديث المستدين المشهورين ، تفرد فيه عن جماعة من المشايخ لعلول
(٧) يعني هو نكل . كذا بهامش نسخة الأستانة .

عمره ، وهو آخر من حدث بإجماعه يات من ابن حبانة من أبي القاسم البغوي عن علي بن الجعد ، وهو
ساجعا ، ورحل إليه الناس بسببه ، وجمع عليه جماعة من الحفاظ منهم الخطيب ، وكان ثقة محمود
الطريقة ، صافى الطوية ، توفي بمرقطين في جمادى الأولى عن خمس وخمسين سنة .

﴿ حيان بن خلف ﴾

ابن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان أبو مروان القرطبي ، مولى بني أمية ،
صاحب تاريخ المغرب في ستين مجلداً ، أنشأ عليه الحفاظ . أبو علي النعماني في فصاحته وصدقته
وبلاغته . قال : وصحته يقول : التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة ، والتهنئة بعد ثلاث إغراء
بالمصيبة . قال ابن خلكان : توفي في ربيع الأول منها ، وراه بعضهم في المنام فسأله عن حاله فقال
غفر لي . وأما التاريخ فتدتمت عليه ، ولكن الله بطلعه أظنني وعفا عني .

﴿ أبو نصر السجزي الوابلي ﴾

نسبة إلى قرية من قرى سجستان يقال لها وابل ، سمع الكثير وصنف وخرج وأقام بالحرم ، وله
كتاب الآيات في الأصول ، وله في الفروع أيضا . ومن الناس من كان يفضل في الحفاظ على الصوري
﴿ محمد بن علي بن الحسين ﴾

أبو عبد الله النخعي ، المعروف بابن سكتة ، ولد سنة تسعين وثلاثمائة ، وكان كثير السماع ،
ومات عن تسع وسبعين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة من الهجرة ﴾

قال ابن الجوزي : في ربيع الأول منها وقعت صاعقة بمحلة النوبة من الجانب الغربي ، على
مخاضين في مسجد فأحرقت أعاليها ، وصعد الناس فأطفأوا النار ، ونزلوا بالسف وهو يشتعل نارا .
قال : وورد كتاب من نظام الملك إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي في جواب كتابه إليه في شأن
الحنابلة ، ثم سرده ابن الجوزي وضمنه : أنه لا يمكن تغيير المذاهب ولا نقل أهلها عنها ، والغالب
على تلك الناحية هو مذهب الإمام أحمد ، ومحل معروف عند الأئمة والناس ، وقد رزاه معلوم في السنة .
في كلام طويل . قال : وفي شوال منها وقعت فتنة بين الحنابلة وبين قهات النظامية ، وحمل لكل
من الفريقين طائفة من الدوام ، وقتل بينهم نحو من عشرين قتيلاً ، وجرح آخرون ، ثم سكنت
الفتنة . قال : وفي ناسع عشر شوال وفد للخليفة المقتدي وله المستظهر أبو العباس أحمد ، وزينت
البلاد وجلس الوزير لهناء ، ثم في يوم الأحد السادس والعشرين من شوال ولده له ولد آخر وهو أبو
محمد هارون . قال : وفيها ولي تاج الدولة أرسلان الشام وحاصر حلب . وحج بالناس جنتل فقطع
الكوفة ، وذكر ابن الجوزي أن الوزير ابن جهر كان قد عمل منبراً هائلاً لتعلم عليه الخطبة بمكة ،

لحين وصل إليها إذا الخطيبة قد أعييت المصريين ، فكسر ذلك المنبر وأحرق .

ومن توفى فيها من الاعيان ﴿ أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب ﴾

ابن أحمد أبو بكر البربوعي المقرئ آخر من حدث عن أبي الحسين بن محمود وقد كان ثقة متعبداً حسن الطريقة ، كتب عنه الخطيب وقال : كان صدوقاً . توفى في هذه السنة عن سبع وثمانين سنة .

﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن أحمد بن عبد الله أبو الحسن ابن النور البزاز ، أحد المسندين المعبرين تفرد بلسخ كثيرة عن ابن حبان عن البغوي عن أشياخه ، كنفخة هديبوكامل بن طلحة وعمرو بن زرارة وأبي السكن البكري ، وكان مشكراً متبعراً وكان يأخذ على إسماعيل حديث طالت بن عبادة ديناراً ، وقد أفناه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي بمجواز أخذ الأجرة على إسماعيل الحديث ، لاشتغاله به عن الكسب . توفى عن تسع وثمانين سنة .

﴿ أحمد بن عبد الملك ﴾

ابن علي بن أحمد ، أبو صالح المؤذن النيسابوري الحافظ ، كتب الكثير وجمع وصنف ، كتب عن ألف شيخ ، وكان يخط ويؤذن ، مات وقد جاوز الثمانين .

﴿ عبد الله بن الحسن بن علي ﴾

أبو القاسم بن أبي محمد الحلال ، آخر من حدث عن أبي حفص الكنائي ، وقد جمع الكثير ، روى عنه الخطيب ووثقه ، توفى عن خمس وثمانين سنة ودفن بباب حرب

﴿ عبد الرحمن بن منده ﴾

ابن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم أبو القاسم بن أبي عبد الله الامام ، جمع أباه وابن مردويه وخلقاً في أقاليم شتى ، سافر إليها وجمع شيئاً كثيراً ، وكان ذا وقار وصحت حسن ، واتباع للسنن وفهم جيد ، كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يضاف في الله لومة لائم ، وكان مسند ابن محمد الريماني يقول : حفظ الله الاسلام به ، وببمد الله الانصارى المروى . توفى ابن منده هذا بأصبهان عن سبع وثمانين سنة ، وحضر جنازته خلق كثير لا يحصون إلا الله عز وجل

﴿ عبد الملك بن محمد ﴾

ابن عبد العزيز بن محمد بن مظفر بن علي أبو القاسم الهمداني أحد الحفاظ الفقهاء الأولياء ، كان يلقب ببجير وقد جمع الكثير ، وكان يكثر لعلية وقرأ لم ، توفى بالري في الحرم من هذه السنة ، ودفن إلى جانب إبراهيم الخواص .

﴿ الشريف أبو جعفر الحنبلي ﴾

عبد الغالب بن عيسى بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطالب الهاشمي بن أبي موسى الحنبلي الملبس ، كان أحد الفقهاء العلماء العباده الزهاد المشهورين بالعبادة والنضل والعبادة والقيام في الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، واشتغل على القاضي أبي يعلى بن الفراء ، وزكاه شيخه عند ابن الدماغاني قبله ، ثم ترك الشهادة بعد ذلك ، وكان مشهوراً بالصلاح والعبادة ، وحين احتضر الخليفة القائم بأمر الله أوصى أن ينسبه الشريف أبو جعفر هذا وأوصى له بشئ كثير ، ومال جزيل ، فلم يقبل من ذلك شيئاً ، وحين وقعت الفتنة بين الحنابلة والاشعرية بسبب ابن القشيري اعتقل هو في دار الخلافة مكرماً معظماً ، يدخل عليه الفقهاء وغيرهم ، ويقبلون يده ورأسه ، ولم يزل هناك حتى اشتكى فأذن له في السير إلى أهل قنوق عندم ليلة الخميس النصف في صفر منها ، ودفن إلى جانب الأمام أحمد ، فأنفخت المملاة قبره سوقاً كل ليلة أرماء يترددون إليه ويقرؤون الختمات عنده حتى جاء الشتاء ، وكان جملة ما قرئ عليه وأحصى له عشرة آلاف ختمه والله أعلم .

﴿ محمد بن محمد بن عبد الله ﴾

أبو الحسن البياضوي ، أحد الفقهاء الشافعيين بربيع الكرخ ودفن عند والده .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ﴾

فيها ملك السلطان الملك المظفر تاج الملوك تثن بن ألب أرسلان السلجوقي دمشق وقتل ملكها إقسيس ، وذلك أن إقسيس بعث إليه يستنجد على المصريين ، فلما وصل إليه لم يركب لتلقيه فأمر بقتله فقتل لساعته ، ووجد في خزانته حجر ياقوت أحمر وزنه سبعة عشر مثقالاً ، وستين حبة لؤلؤ كل حبة منها أزيد من مئة مثقال ، وعشرة آلاف دينار ومائتي مئزر ذهب وغير ذلك . وقد كان إقسيس هذا هو أئمز بن أوف الخوارزمي ، كان يلقب بالمظفر ، وكان من خيار الملوك وأجودهم سيرة ، وأصحهم سريرة ، أزال الرضا عن أهل الشام ، وأبطل الأذان يحيى على خير العمل ، وأمر بالترضى عن الصحابة أجمعين . وغرر بدمشق القلعة التي هي معقل الاسلام بالشام الحروس ، فرحمه الله وبل بالرحمة تراء ، وجعل جنة الفردوس مأواه . وفيها عزل الوزير ابن جبير بشارة نظام الملك ، بسبب ممالأته على الشافعية ، ثم كاتب المقتدى نظام الملك في إعادته فأعيد ولده وأطلق هو . وفيها قدم سمد الدولة جوهر أسيدياً إلى بغداد ، وضرب الطبول على يابه في أوقات الصلوات ، وأساء الأدب على الخليفة ، وضرب طوالات الخليل على باب الفردوس ، فكوتب السلطان بأمره فجاء الكتاب من السلطان بالانكار عليه . وحج بالناس مطلق الكوفة تجنل التبري أنابه الله .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿سعد بن علي﴾

ابن محمد بن علي بن الحسين أبو القاسم الزنجاني ، وحل إلى الآفاق ، ومع الكثير ، وكان إماماً حافظاً متعبداً ، ثم اقتلع في آخر عمره بمكة ، وكان الناس يجبرون به . قال ابن الجوزي : ويقبلون يده أكثر مما يقبلون الحبر الأسود .

﴿سليم بن الجوزي﴾

نسبة إلى قرية من قرى دجيل ، كان عابداً زاهداً يقال إنه مكث مدة يتقوت كل يوم بزبينة ، وقد سمع الحديث وقرئ عليه رحمه الله .

﴿عبد الله بن فحمون﴾

أبو أحمد الفقيه المالكي القيرواني ، توفي ببغداد ودفن بباب حرب والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة﴾

فيها ملك محمود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة قلاعاً كثيرة حصينة من بلاد الهند ، ثم حاد إلى بلاده سالماً قائماً . وفيها ولد الأمير أبو جعفر بن المقدسي بالله ، وزيلت له بغداد . وفيها ملك الموصل الأمير شرف الدولة مسلم بن قریش بن بدران المظلي بعد وفاة أبيه . وفيها ملك منصور بن مروان بلاد بكر بعد أبيه . وفيها أمر السلطان بتغريق ابن علان اليهودي ضامن البصرة ، وأخذ من خزانته أربعمائة ألف دينار ، فضمن بخارتكين البصرة بمائة ألف دينار ومائة فرس في كل سنة . وفيها فتح عبيد الله بن نظام الملك تكريت . وحج بالناس جنقل التركي وقطعت خطبة المصريين بمكة وخطب للمقتدي والسلطان ملكشاه السلجوقي .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿عبد الملك بن الحسن بن أحمد بن حبرون﴾

أبو نصر سمع الكثير وكان زاهداً عابداً ، يسرد الصوم ، ويحتم في كل ليلة ختمة رحمه الله .

﴿محمد بن محمد بن أحمد﴾

ابن الحسين بن عبيد العزيز بن مهران المكبري ، سمع هلال الخفاري ، وابن زرقويه والحامضي وغيرهم ، وكان فاضلاً جيد الشعر ، فن شعره قوله :

أطيل فكري في أي كاس * مضوا قداماً وفينن خلفونا

هم الأحياء بعد الموت ذكرا * ونحن من الحول الميتونا

توفي في رمضان منها وله سبعون سنة .

﴿هياج بن عبيد الله﴾

الخطيب الشامي ، سمع الحديث وكان أوحداً زماناً زاهداً ، وقها واجتهداً في العبادة ، أقام بمكة مدة

يفق أهلها ويهتجر في كل يوم ثلاث مرات على قدميه ، ولم يلبس فلان منذ أقام بمكة ، وكان يزور قبر النبي ﷺ مع أهل مكة ماشيا ، وكذلك كان يزور قبر ابن عباس بالطائف ، وكان لا يدخر شيئا ، ولا يلبس إلا قيصا واحدا ، ضربه بعض أمراء مكة في بعض فتن الروافض فاشتكى أياما ومات ، وقد نيف على الثمانين رحمه الله ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة ﴾

فيها استولى تكش أخو السلطان ملك شاه على بعض بلاد خراسان . وفيها أذن للوفاط في الجلوس للوعظ ، وكانوا قد منعوا في فتنه ابن التشيرى . وفيها قبض على جماعة من الفتيان كانوا قد جعلوا عليهم رئيسا يقال له عبد القادر الهافى ، وقد كانوا من الأقطار ، وكان الساعى له رجلا يقال له ابن رسول ، وكانوا يهتجون عند جامع براتا ، نجف من أمرهم أن يكونوا عمالين للمصريين ، فأمر بالقبض عليهم . وحج بالناس جنفل .

وعمّن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن عمر ﴾

ابن محمد بن إسماعيل ، أبو عبد الله بن الأخضر المحدث ، سمع على بن شاذان ، وكان على مذهب الظاهرية ، وكان كثير التلاوة حسن السيرة ، منتظلا من الدنيا قنوعا ، رحمه الله .

﴿ الصليحي ﴾

المتناب على اليمن ، أبو الحسن على بن محمد بن على الملقب بالصليحي ، كان أبوه قاضيا باليمن ، وكان سنيا ، ونشأ هذا فتعلم العلم وبرع في أشياء كثيرة من العلوم ، وكان شيعيا على مذهب القرامطة ، ثم كان يدل بالحبيص مدة خمس عشرة سنة ، وكان اشتهر أمره بين الناس أنه سبب لك اليمن ، فنجم ببلاد اليمن بعد قتله نجاح صاحب تهامة ، واستنحذ على بلاد اليمن بكلمها في أقصر مدة ، واستنقذ له الملك بها سنة خمس وخمسين ، وخطب للمستنصر المبيدى صاحب مصر ، فلما كان في هذا العام خرج إلى الحج في ألفى فارس ، فاعترضه سميد بن نجاح بالموسم ، في نفر يسير ، فقاتلهم قتل هو وأخوه واستنحذ سميد بن نجاح على مملكته وحواصله ، ومن شعر الصليحي هذا قوله :

أنكمت بيض الهند صحر رماحهم * فروسهم عرض التثار نثار
وكذا الملا لا يتجلبج نكاحها * إلا بحيث تطلق الأعمار

﴿ محمد بن الحسين ﴾

ابن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشَّيْلِي ، أبو على الشاعر البغدادي ، أسند الحديث بوله الشعر الرائق فنه قوله : لا تظهرن لساذل أو عاذر * حاكَيْتُ في السراء والضراء
فلرحمة المرجعين مرارة * في القلب مثل شامة الأعداء

وله أيضاً يفتى البخيل بجمع المال مدته • وللحوادث والوراث ما يدع
كدودة القز ما تبنيه يخنقها • وغيرها بالذي تبنيه يلتفع

(يوسف بن الحسن)

ابن محمد بن الحسن ، أبو القاسم العسكري ، من أهل خراسان من مدينة زنجبان ، ولد سنة خمس
وتسعين وثلاثمائة ، وافته على أبي إسحاق الشيرازي ، وكان من أكبر تلاميذه ، وكان عابداً ورعاً
خاشعاً ، كثير البكاء عند الذكر ، مقبلاً على العبادة ، مات وقد قارب الثمانين .

(ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة)

فيها ولي أبو كامل منصور بن نور الدولة ديبس ما كان يليه أبوه من الأعمال ، وخلع عليه
السلطان والخليفة . وفيها ملك شرف الدولة مسلم بن قريش حران ، وصالح صاحب الرها . وفيها
فتح تلقش بن ألب أرسلان صاحب دمشق مدينة أنططوس . وفيها أرسل الخليفة ابن جهير إلى
السلطان ملك شاه يتزوج ابنته فأجابته أنها بملك ، بشرط أن لا يكون له زوجة ولا سرية
سواها ، وأن يكون سبعة أيام عندها ، فوقع الشرط على ذلك .

(وفيها توفي من الأعيان .) (داود بن السلطان بن ملك شاه)

فوجد عليه أبوه وجداً كثيراً ، بحيث إنه كاد أومر أن يقتل نفسه ، ففهم الامراء من ذلك ،
وانتقل عن ذلك البلد وأمر النساء بالنوح عليه . ولما وصل الخبر لبغداد جلس وزير الخليفة لهزم .

(القاضى أبو الوليد الباجي)

سليمان بن خلف بن سعد بن أبواب النجيب الأندلسي الباجي الفقيه المالكي ، أحد الحفاظ
المكثريين في الفقه والحديث ، سمع الحديث ورحل فيه إلى بلاد المشرق سنة ست وعشرين وأربعمائة ،
فسمع هناك الكثير ، واجتمع بأئمة ذلك الوقت ، كالقاضي أبي الطيب الطبري ، وأبي إسحاق
الشيرازي ، وجاور بمكة ثلاث سنين مع الشيخ أبي ذر الهروي ، وأقام ببغداد ثلاث سنين ،
وبالوصل سنة عند أبي جعفر السمناني قاضياً ، فأخذ عنه الفقه والأصول ، وسمع الخطيب البغدادي
وسمع منه الخطيب أيضاً ، وروى عنه هذين البيتين الحسنين .

إذا كنت أعلم علماً يقينا • بأن جميع حياتي كساعة

فلم لا أكون كضيف بها • وأجلها في صلاح وطاعة

ثم عاد إلى بلده بعد ثلاث عشرة سنة ، وتولى القضاء هناك ، ويقال إنه تولى قضاء حلب أيضاً ،
قاله ابن خلكان . قال : وله مصنفات عديدة منها المنتقى في شرح الموطأ ، وإحكام الفصول في أحكام
الأصول ، والجرح والتعديل ، وغير ذلك ، وكان مولده سنة ثلاث وأربعمائة ، وتوفي ليلة الخميس بين

إحدى وعشرين وأربعمائة . قال : وقد كان الخطيب البغدادي صنف كتاب المؤتلف جمع فيه بين كتابي الفاروق وعبد الثنى بن سعيد في المؤتلف والمختلف ، فجاء ابن ماكولا وزاد على الخطيب وسماه كتاب الأكال ، وهو في غاية الأفادة ورفع الالتباس والضبط . ولم يوضع مثله ، ولا يحتاج هذا الأمير بسده إلى فضيلة أخرى ، ففيه دلالة على كثرة اطلاعه وضبطه ونحريه وإتقانه . ومن الشمر المنسوب إليه قوله :

قوض خيامك عن أرض تهن بها * وجانب القل إن القل يجنب
وارحل إذا كان في الأوطان منتصا * فالنذل الرطب في أوطانه حطب

(ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة)

فيها عزل حميد الدولة بن جبير عن وزارة الخلافة فسار بأهله وأولاده إلى السلطان ، وقصدوا نظام الملك وزير السلطان ، ففقد لولاه نحر الدولة على بلاد ديار بكر ، فسار إليها بالغلج والكوسات والمساكر ، وأمر أن ينتزعها من ابن مروان ، وأن يحطب لنفسه وأن يذكر اسمه على السكة ، فما زال حتى انتزعها من أيديهم ، وياد ملكهم على يديه كما سيأتي بيانه ، وسد وزارة الخلافة أبو الفتح مظفر ابن رئيس الرؤساء ، ثم عزل في شعبان واستوزر أبو شجاع محمد بن الحسين ، ولقب ظهر الدين ، وفي جمادى الآخرة ولي مؤيد الملك أبا سعيد عبد الرحمن ابن المأمون ، المتولى تدريس النظامية بعد وفاة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي . وفيها عصى أهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش ، فجاء فحاصرها ففتحها وهدم سورها وصلب قاضيها ابن حلبه وابنيه على السور . وفي شوال منها قتل أبو المحاسن بن أبي الرضا ، وذلك لأنه وشى إلى السلطان في نظام الملك ، وقال له سلمهم إلى حتى أستخلص لك منهم ألف ألف دينار ، فعمل نظام الملك مباطا هائلا ، واستحضر غلمانهم وكأوا ألوفاً من الأتراك ، وشرع يقول للسلطان : هذا كله من أموالك ، وما وقتته من المدارس والربط ، وكله شكره لك في الدنيا وأجره لك في الآخرة ، وأمولي وجميع ما أملك بين يديك ، وأنا أقنع بقرعة وزاوية ، ففند ذلك أمر السلطان بقتل أبي المحاسن ، وقد كان حاضياً عنده ، وخصيصاً به وجهاً لديه ، وعزل أباه عن كتابة الطغراء وولاهما مؤيد الملك . وحج بالناس الأمير جنفل التركي مقطع الكوفة . ومن توفى فيها من الأعيان :

(الشيخ أبو إسحاق الشيرازي)

إبراهيم بن علي بن يوسف الفيرزياباذي ، وهي قرية من قرى طرس ، وقيل هي مدينة خوارزم ، شيخ الشافعية ، ومدرس النظامية ببغداد ، ولد سنة ثلاث وقيل ست وتسعين وثلاثمائة ، وافته بغارس على أبي عبد الله البيضاوي ، ثم قدم بغداد سنة خمس عشرة وأربعمائة ، فتتبعه على التقاضي أبي الطيب الطاهري ، وسمع الحديث من ابن شاذان والبرقائي ، وكان واحداً عابداً ورعاً ، كبير القدر معظماً محترماً

إماما في الفقه والأصول والحديث ، وفنون كثيرة ، وله المصنفات الكثيرة النافعة ، كالمهذب في المذهب ، والتلبيه ، والنكت في الخلاف ، والهمع في أصول الفقه ، والتبصرة ، وطبقات الشافعية وغير ذلك . قلت : وقد ذكرت ترجمته مستقصاة مطولة في أول شرح التنبيه ، توفي ليلة الأحد الحادى والعشرين من جمادى الآخرة في دار أبي المظفر بن رئيس الرؤساء ، وغسله أبو الوفاء بن عقيل الحنبلى وصلى عليه بباب الفردوس من دار الخلافة ، وشهد الصلاة عليه المفتى بأمر الله ، وتقدم الصلاة عليه أبو الفتح المظفر ابن رئيس الرؤساء ، وكان يومئذ لابسا ثياب الوزارة ، ثم صلى عليه مرة ثانية بجامع القصر ، ودفن بباب إبرز في تربة مجاورة للقنحية رحمة الله تعالى ، وقد امتنحه الشراء في حياته و بعد وفاته ، وله شعر رائق ، فما أنشد ابن خلكان من شعره قوله :

سألت الناس عن خل وفى • قالوا ما إلى هنا سبيل

تمسك إن ظفرت بذيل حر • فإن الحر في الدنيا قليل

قال ابن خلكان : ولما توفي عمل الفقهاء عزاهم بالنظامية ، وعين مؤيد الملك أبا سعد المتولى مكانه ، فلما بلغ الخبر إلى نظام الملك كتب يقول : كان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة لأجله ، وأمر أن يدرس الشيخ أبو نصر بن الصباغ في مكانه .

﴿ طاهر بن الحسين ﴾

ابن أحمد بن عبد الله القواس ، قرأ القرآن وسمع الحديث وحقه على القاضي أبي الطيب الطبرى وأفنى ودرس ، وكانت له حلقة بجامع المنصور للمناظرة والفتوى ، وكان ورعا زاهدا ملازما لمسجده خمسين سنة ، توفي عن ست وعشرين سنة ، ودفن قريبا من الامام أحمد ، رحمه الله وإنا .

﴿ محمد بن أحمد بن إسماعيل ﴾

أبو طاهر الأنبارى الخطيب ، ويعرف بابن أبي الصغر ، طاف البلاد وسمع الكثير ، وكان ثقة صالحا فاضلا مابدا ، وقد سمع منه الخطيب البغدادي ، وروى عنه مصنفاته ، توفي بالأنبار في جمادى الآخرة عن نحو من مائة سنة ، رحمه الله .

﴿ محمد بن أحمد بن الحسين بن جراحة ﴾

أحد الرؤساء ببغداد ، وهو من قوى الثروة والروعة ، كان يميز ماله بثلاثمائة ألف دينار ، وكان أصله من عكبرا فسكن بغداد ، وكانت له بها دار عظيمة تشتمل على ثلاثين مسكنا مستقلا ، وفيها حمام وبستان ، ولها بلان ، على كل باب مسجد ، إذا أذن المؤذن في إحداها لا يسمع الآخر من اتساعها ، وقد كانت زوجة الخليفة القائم حين وقعت فتنة البساسيري في سنة خمسين وأربعمائة ، نزلت عنده في جوارحه ، فبعث إلى الأمير قريش بن بدران أمير العرب بشرة آلاف دينار ،

ليحى له داره ، وهو الذى بنى المسجد المعروف به ببغداد ، وقد ختم فيه القرآن ألوف من الناس ، وكان لا يفارق زى التجار . وكانت وفاته فى عشرين ذى القعدة من هذه السنة ، ودفن فى التربة المجاورة لتربة التزوينى ، رحمه الله وإيانا آمين .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة ﴾

فيها كانت الحرب بين غفر الدولة بن جبير و زبر الخليفة وبين ابن مروان صاحب ديار بكر ، فاستولى ابن جبير على ملك العرب وسبى حريمهم وأخذ البلاد ومعه سيف الدولة صدقة بن منصور ابن ديبس بن على بن يزيد الأندلسى ، فافتدى خلقا من العرب فشكره الناس على ذلك ، وامتدحه الشراء . وفيها بعت السلطان عبيد الدولة ابن جبير فى عسكر كثيف ومعه قسم الفولة أقنقر جد بنى أناتك ملوك الشام والموصل ، فسار إلى الموصل فلكوها . وفى شعبان منها ملك سليمان بن قتلش أنطاكية ، فأراد شرف الدولة مسلم بن قريش أن يستقنحها منه ، فهزمه سليمان وقتله ، وكان مسلم هذا من خيار الملوك سيرة ، له فى كل قرية وال وقاض وصاحب خبر ، وكان يملك من السندية إلى منبج . وولى بعده أخوه إبراهيم بن قريش ، وكان مسجونا من سنين فأطلق وملك . وفيها ولد السلطان سنجر بن ملكشاه فى العشرين من رجب بسنجار . وفيها عصى تمكش أخو السلطان فأخذه السلطان فسلبه وسجنه . وحج بالناس فى هذه السنة الأمير جواز بكير الحسناوى ، وذلك لشكوى الناس من شدة سوء جنفل بهم ، وأخذ المكوسات منهم ، سافر مرة من الكوفة إلى مكة فى سبعة عشر يوما .

﴿ أحمد بن محمد بن دويست ﴾

أبو سعد النيسابورى ، شيخ الصوفية ، له رباط بمدينة نيسابور يدخل من باب الجمل براكيه ، وحج مرات على التجريد على البحرين ، حين انقطعت طريق مكة ، وكان يأخذ جماعة من الفقراء ويتوصل من قبائل العرب حتى يأتى مكة ، توفى فى هذه السنة وقد جاوز التسعين ، رحمه الله وإيانا ، وأوصى أن يخلفه ولده إسماعيل فأجلس فى مشيخة الرباط .

﴿ ابن الصباغ ﴾

صاحب الشامل ، عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر ، الامام أبو نصر ابن الصباغ ، ولد سنة أربعمائة وفتح ببغداد على أبى الطيب الطبرى حتى طاق الشافعية بال عراق ، وصف المصنفات المفيدة ، منها الشامل فى المنهج ، وهو أول من درس بالنظامية ، توفى فى هذه السنة ودفن بداره فى الكرخ ، ثم نقل إلى باب حرب رحمه الله ، قال ابن خلكان : كان قتيبه الرايقين ، وكان يضامى أبا إسحاق ، وكان ابن الصباغ أعلم منه بالمنهج ، وإليه الرحلة فيه ، وقد صنف الشامل فى الفقه والعمدة فى أصول الفقه ، وتولى تدريس النظامية أولا ، ثم عزل بعد عشرين

يوماً بالشيخ أبي إسحاق ، فلما مات الشيخ أبو إسحاق تولاهما أبو سعد المتولى ، ثم عزل ابن الصباغ
 بآبن المتولى ، وكان ثقة حجة صالحاً ، وله سنة أربع مائة ، أضر في آخر عمره ، رحمه الله وإيانا .

﴿ مسعود بن ناصر ﴾

ابن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل ، أبو سعد السجزي الحافظ ، رحل في الحديث وجمع الكثير ،
 وجمع الكتب النفيسة ، وكان صحيح الخط ، صحيح النقل ، حافظاً ضابطاً ، رحمه الله وإيانا .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ﴾

في الحرم منها زلزلت أرجان فهلك خلق كثير من الروم ومواسيمهم . وفيها كثرت الأمراض
 بالحنى والطاهون بالمرق والحجاز والشام ، وأعقب ذلك موت الفجأة ، ثم ماتت الوحوش في البراري
 ثم تلاها موت البهائم ، حتى عزت الألبان والحمان ، ومع هذا كله وقعت فتنة عظيمة بين الرافضة
 والسنة فقتل خلق كثير فيها . وفي ربيع الأول هاجت ريح سوداء وسفت رسلاً ، وتساقطت
 أشجار كثيرة من النخل وغيرها ، ووقعت صواعق في البلاد حتى ظن بعض الناس أن القيامة قد
 قامت ، ثم انجلى ذلك وطفه الحمد . وفيها ولد الخليفة وله أبو عبد الله الحسين ، وزيلت بغداد وضربت
 الطبول والبوقات ، وكثرت الصدقات . وفيها استولى نصر الدولة ابن جهر على بلاد كثيرة ، منها
 آمد وميا فاروقين ، وجيزة ابن عمر ، واقضت بنو مروان على يد في هذه السنة . وفي ثاني عشر
 رمضان منها ولي أبو بكر محمد بن مظفر الشامي قضاء القضاة ببغداد ، بعد وفاة أبي عبد الله القامغاني ،
 وخلع عليه في الديوان . وحج بالناس جنفل ، وزار النبي ﷺ ذاهباً وآيياً . قال : أظن أنها آخر
 حجة . وكان كذلك . وفيها خرج توقيع الخليفة المقتدى بأمر الله بتجديد الأمر بالمعروف والنهي
 عن المنكر في كل محلة ، وإلزام أهل القعة بلبس النيار ، وكسر آلات الملاهي ، وإراقة الخمر ،
 وإخراج أهل الفساد من البلاد ، أمابه الله ورحمه .

وومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن الحسن ﴾

ابن محمد بن إبراهيم بن أبي أيوب ، أبو بكر الفوركى ، سبط الأستاذ أبي بكر بن فورك ،
 استوطن بغداد وكان متكلماً يخط الناس في النظامية ، فوقعت بسببه فتنة بين أهل المذاهب . قال
 ابن الجوزي : وكان مؤثراً له دنيا لا يتعاضى من لبس الحرير ، وكان يأخذ مكس الفهم ويقع المدواة
 بين الحناطة والأشامرة ، مات وقد ناف على الستين سنة ، ودفن إلى جانب قبر الأشعري بمشرفة
 الزوايا .

﴿ الحسن بن علي ﴾

أبو عبد الله المردوسي ، كان رئيس أهل زمانه ، وأكملهم مروءة ، كان خدام في أيام بني بويه
 وتأخر لهذا الحين ، وكانت الملوك تظمه وتكاتبه بعبده وخدامه ، وكان كثير الصدقة والعطبات

والبر، وبلغ من العمر خمسا وتسعين سنة، وأعد لنفسه قبرا وكفنا قبل موته بخمسة سنين.

﴿ أبو سعد المتولي ﴾

عبد الرحمن بن المأمون بن علي أبو سعد المتولي: مصنف التتمة، ومدرس النظامية بعد أبي إسحاق الشيرازي، وكان فصيحا بليغا، ماهرا بعلوم كثيرة، كانت وفاته في شوال من هذه السنة وله سنة وخمسون سنة، رحمه الله وإياها، وصلى عليه القاضي أبو بكر الشافعي.

﴿ إمام الحرمين ﴾

عبد الملك بن [الشيخ أبي محمد] عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه، أبو المال الجويني، وجو من قرى نيسابور، الملقب بإمام الحرمين، لجاورته بمكة أربع سنين، كان مولده في تسع عشرة وأربعمائة، سمع الحديث وفتقه على والده الشيخ أبي محمد الجويني، ودرس بعده في حلقته، وفتقه على القاضي حسين، ودخل بغداد وفتقه بها، وروى الحديث وخرج إلى مكة لجاور فيها أربع سنين، ثم عاد إلى نيسابور فسلم إليه التدريس والخطابة والوعظ، وصنف نهاية المطلب في دراية المذهب، والبرهان في أصول الفقه، وغير ذلك في علوم شتى، واشتغل عليه الطلبة ورحلوا إليه من الأقطار، وكان يحضر مجلسه ثلاثمائة متفقه، وقد استقصيت ترجمته في الطبقات، وكانت وفاته في الخامس والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة، عن سبع وخمسين سنة، ودفن بداره ثم نقل إلى جانب والده. قال ابن خلكان: كانت أمه جارية اشتراها والده من كسب يده من اللدخ، وأمرها أن لا تدع أحدا يرضعه غيرها، فاتفق أن امرأة دخلت عليها فأرضعته مرة فأخذته الشيخ أبو محمد فنكسه ووضع يده على بطنه ووضع أصبعه في حلقه ولم يزل به حتى قام مائى بطنه من لبن تلك المرأة. قال: وكان إمام الحرمين ربما حصل له في مجلسه في المناظرة فتور ووقفة فيقول: هذا من آثار تلك الرضة. قال: ولما عاد من الحجاز إلى بلده نيسابور سلم إليه الحراب والخطابة والتدريس وجلس التذكير يوم الجمعة، وبقي ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع، وصنف في كل فن، وله النهاية التي ما صنف في الإسلام مث لها. قال الحافظ أبو جعفر: سمعت الشيخ أبا إسحاق الشيرازي يقول لإمام الحرمين: يا مفيد أهل المشرق والمغرب، أنت اليوم إمام الأمة. ومن تصانيفه الشامل في أصول الدين، والبرهان في أصول الفقه، وتلخيص التقریب، والارشاد، والعقيدة النظامية، وغياث الأمم^(١) وغير ذلك مما سماه ولم يتمه. وصلى عليه وله أبو القاسم وغفلت الأسواق وكسر تلاميذه أقلامهم. وكانوا أربعمائة. وبخارهم، ومكثوا كذلك سنة، وقد رثى بمرأى كثيرة فمن ذلك قول بعضهم:

(١) عبد ابن خلكان من تصانيف إمام الحرمين «مغيث الخلق في اختيار الحق» ولكن لو كان هذا الكتاب من وفاته لذكره ابن كثير وهو متأخر من ابن خلكان. فهذا الكتاب منسوس على إمام الحرمين.

قلوب المالين على المقاتل * وأبلم الورى شبه القبالي
أشهر فخصن أهل العلم يوماً * وقد مات الامام أبو الممالى
(محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد)

أبو علي بن الوليد ، شيخ المعتزلة ، كان مدرساً لهم فأفكر أهل السنة عليه ، فزعم بيته خسين
سنة إلى أن توفي في ذى الحجة منها ، ودفن في مقبرة الشونبزي ، وهذا هو الذي تناظر هو والشيخ
أبو يوسف القزويني المتزلي المفسر في إياحة الوليدان في الجنة ، وأنه يباح لأهل الجنة وطء الوليدان
في أدبارهم ، كما حكى ذلك ابن عقيل عنهما ، وكان حاضرها ، قال هذا إلى إياحة ذلك ، لأنه مأمون
المفسدة هنالك ، وقال أبو يوسف : إن هذا لا يكون لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ومن أين لك أن
يكون لهم أدبار ؟ وهذا المصو - وهو الدبر - إنما خلق في الدنيا لحاجة العباد إليه ، لأنه مخرج
للأذى عنهم ، وليس في الجنة شيء من ذلك ، وإنما فضلات أكلهم عرق يفيض من جلودهم ، فإذا
هم ضرر فلا يحتاجون إلى أن يكون لهم أدبار ، ولا يكون لهذه المسألة صورة بالكلية . وقد روى هذا
الرجل حديثاً واحداً عن شيخه أبي الحسين البصري بسنده المتقنم ، من طريق شعبة عن منصور
عن ربي عن أبي مسعود البدرى أن رسول الله ﷺ قال : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » وقد
رواه القعنبي عن شعبة ، ولم يرو عنه سواء ، قيل : إنه لما رحل إليه دخل عليه وهو يبول في البالوعة
فسأله أن يحدته فامتنع ، فروى له هذا الحديث كالأعظ له به ، والتزم أن لا يحدته بغيره ، وقيل :
لأن شعبة مر على القعنبي قبل أن يشتغل بلم الحديث - وكان إذ ذاك يعانى الشراب - فسأله أن
يحدته فامتنع ، فسل مكيماً وقال : إن لم يحدني وإلا قتلتك ، فروى له هذا الحديث ، قتال وأتاب ،
ولزم مالكاً ، ثم فاته السماع من شعبة فلم يتفق له عنه غير هذا الحديث فله أعلم .

(أبو عبد الله الدامغانى القاضى)

محمد بن علي بن الحسين بن عبد الملك بن عبيد الوهلب بن حمويه الدامغانى ، قاضى القضاة
ببغداد ، مولده في سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، فتقه بها على أبي عبد الله الصيرى ، وأبى الحسن
القدورى ، وسمع الحديث منهما ومن ابن النخوع وأخطيب وغيرهم ، وبرع في الفقه ، وكان له عقل
وافر ، وتواضع زائد ، وانتهت إليه رئاسة الفقهاء ، وكان فصيحاً كثير العبادة ، وقد كان فقيراً في
ابتداء طلبه ، عليه أملارثة ، ثم صارت إليه الرئاسة والقضاء بعد ابن ماكولا ، في سنة تسع وأربعين
وكان القائم بأمر الله يكرمه ، والسلطان طغرل بك ينظمه ، وبأشر الحكم ثلاثين سنة في أحسن سيرة ،
وغاية الأمانة والديانة ، مرض أياماً يسيرة ثم توفي في الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة ،
وقد هاجر الثمانين ، ودفن بداره بدرج العلاليين ، ثم نقل إلى مشهد أبى حنيفة رحمه الله .

(محمد بن علي بن المطلب)

أبو سمد الأديب ، كان قد قرأ النحو والأدب واللغة والسير وأخبار الناس ، ثم أقبل عن ذلك كله ، وأقبل على كثرة الصلاة والصدقة والصوم ، إلى أن توفي في هذه السنة عن ست وثمانين سنة ، رحمه الله .

(محمد بن طاهر الملبس)

ويعرف بابن الرجيحي ، تفقه على ابن الصباغ ، وناب في الحكم ، وكان محمود الطريقة ، وشهد عند ابن الهائماني قبله .

(منصور بن ديبس)

ابن علي بن مزيد ، أبو كامل الأمير بعد سيف الدولة ، كان كثير الصلاة والصدقة ، توفي في رجب من هذه السنة ، وقد كان له شعر وأدب ، وفيه فضل ، فمن شعره قوله :

فإن أنا لم أحمل عظميا ولم أقد * لهما ولم أصبر على كل مظلم
ولم أحجز الجاني وأمنع جوره * غداة أنادى للفخار وأتسى
فلا نهضت لي همة عربية * إلى المجد ترقى بي ذرى كل محرم

(هبة الله بن أحمد بن السبي)

[قاضي الحرم بنهر معل ، و] مؤدب الخليفة المقتدى بأمر الله ، سمع الحديث ، وتوفي في محرم هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، وله شعر جيد ، فنه قوله :

رجوت الثمانين من خالقي * لما جاء فيها عن المصطفى
بلغنيها فشكرا له * وزاد ثلاثا بها إخوة
وإني منتظر وهمة * لينجزه لي فعل أهل الوفا

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة)

وفيها كانت الزقمة بين تمش صاحب دمشق وبين سليمان بن قتيلش صاحب حلب وأنطاكية وتلك الناحية ، فانهزم أصحاب سليمان وقتل هو نفسه بمنجمر كانت معه ، فسار السلطان ملكشاه من أسبهان إلى حلب فملكها ، وملك ما بين ذلك من البلاد التي مر بها ، مثل حران وإرها وقلعة جبر ، وكان جبر شيخا كبيرا قد همى ، وله ولطان ، وكان قطع الطريق يلجأون إليها فيتحصنون بها ، فراسل السلطان سابق بن جبر في تسليمها فامتنع عليه ، فنصب عليها المناجيق والفرادات ففتحها وأمر بقتل سابق ، قتلت زوجته : لا تقتله حتى تقتلني معه ، فألقاه من رأسها فتكسر ، ثم أمر بتوسيطهم بعد ذلك فألقت المرأة نفسها وراءه فسلمت ، فلما بعث الناس قتالت : كرهت أن يصل إلى التركي فيبقى ذلك عارا على ، فاستحسن منها ذلك ، واستناب السلطان على حلب قسم الدولة اقتسقر التركي وهو جد نور الدين الشهيد ، واستناب على الرحبة وحران والزقة وسروج والخابور :

محمد بن شرف الدولة مسلم وزوجه بأخته زليخا خاتون ، وعزل نحر الدولة بن جبير عن ديار بكر ، وسلمها إلى المييد أبي علي البليخي ، وخلع على سيف الدولة صدقة بن ديبس الأمدى ، وأقره على عمل أبيه ، ودخل بغداد في ذي القعدة من هذه السنة ، وهي أول دخلة دخلها ، فزار المشاهد والقبور ودخل على الخليفة فقبل يده ووضعها على عينيه ، وخلع عليه الخليفة خلما سنية ، وفوض إليه أمور الناس ، واستعرض الخليفة أمراه ونظام الملك واقف بين يديه ، يعرفه بالأمرأه واحدا بعد واحد ، باسمه وكم جيشه وأقطاعه ، ثم أقاض عليه الخليفة خلما سنية ، وخرج من بين يديه فنزل بمدينة النظامية ، ولم يكن رآها قبل ذلك ، فاستحسنها إلا أنه استصغرها ، واستحسن أهلها ومن بها وحمد الله وسأل الله أن يجعل ذلك خالصاً لوجه الكريم ، ونزل بمخزاة كتبها وأملى جزءاً من مسموعاته ، فسمه المحدثون منه ، وورد الشيخ أبو القاسم علي بن الحسين الحنفى الدوبسى إلى بغداد في تمجل عظيم ، فرتبه مدرساً بالنظامية بعد أبي سعد المتولى .

وفي ربيع الآخر فرقت المنارة بجامع القصر وأذن فيها ، وفي هذه السنة كانت زلازل هائلة بالعراق والجزيرة والشام ، فهدمت شيئا كثيراً من العمران ، وخرج أكثر الناس إلى الصحراء ثم عادوا . وحج بالناس الأمير خوارزمكين الحسنى ، وقطعت خطبة المصريين من مكة والمدينة ، وقلمت الصنائع التي على باب الكعبة التي عليها ذكر الخليفة المعري ، وجند غيرها عليها ، وكتب عليها اسم المعتدى . قال ابن الجوزي : وظهر رجل بين السندية واسط يقطع الطريق وهو مقطوع اليد اليسرى ، يفتح القفل في أسرع مدة ، وينوص دجلة في غوصتين ، ويقفز القفزة خمسة وعشرين ذراعاً ، ويتساق الحيطان الملس ، ولا يقدر عليه أحد ، وخرج من العراق سالماً . قال : وفيها توفي فقير في جامع المنصور فوجد في مرقمته سبائة دينار مغربية ، أى مصحلاً نجاراً ، من أحسن الذهب . قال وفيها حل سيف الدولة صدقة سباطا لسلطان جلال الدولة أبي الفتح ملكشاه ، اشتمل على ألف رأس من الغنم ، ومائة جمل وغيرها ، ودخله عشرون ألف من السكر ، وجعل عليه من أصناف الطيور والوحوش ، ثم أردفه من السكر شئ كثير ، فتناول السلطان بيده منه شيئاً يسيراً ، ثم أشار فذهب عن آخره ، ثم انتقل من ذلك المكان إلى سراق عظيم لم ير مثله من الحرير ، وفيه خمسمائة قطعة من الفضة ، وألوان من تماثيل الند والمسلك والنبير وغير ذلك ، فدفعه سباطا خاملاً فأكل السلطان حينئذ وحل إليه عشرين ألف دينار ، وقدم إليه ذلك السراق بما فيه بكالة ، وانصرف والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الأمير جعفر بن سابق القشيري ﴾

الملقب بسابق الدين ، كان قد تملك قلعة جبير مدة طويلة فنسبت إليه ، وإنما كان يقال لها

قبل ذلك البوشرية ، نسبة إلى غلام النعمان بن المنذر ، ثم إن هذا الأمير كبير وحى ، وكان له ولدان
يقلطان الطريق ، فاجتاز به السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي وهو ذاهب إلى حلب
فأخذ القلعة وقتله كما تقدم .

﴿ الأمير جنفل قتلغ ﴾

أمير الحاج ، كان مقطعا للكوفة وله وقعات مع العرب أعربت عن شجاعته ، وأرعبت قلوبهم
وشتمتهم في البلاد شتم منذر ، وقد كان حسن السيرة محافظا على الصلوات ، كثير التلاوة ، وله آثار
حسنة بطريق مكة ، في إصلاح المصانع والاماكن التي تحتاج إليها الحاج وغيرهم ، وله مدرسة على
الحنفية بمشهد بولس بالكوفة ، وبنى مسجدا بالجانب الغربي من بغداد على دجلة ، بمشرفة الكرخ .
توفي في جمادى الأولى منها رحمة الله ، ولما بلغ نظام الملك وفاته قال : مات ألف رجل ، والله أعلم .

﴿ علي بن فضل المشاجي ﴾

أبو علي النحوي المغربي ، له المصنفات الفالة على علمه وفزارة فهمه ، وأسند الحديث . توفي
في ربيع الأول منها ودفن بباب إربز .

﴿ علي بن أحمد التستري ﴾

كان مقدم أهل البصرة في المال والجاه ، وله مراكب تعمل في البحر ، قرأ القرآن وجمع الحديث
وتفرد برواية سنن أبي داود . توفي في رجب منها .

﴿ يحيى بن إسماعيل الحسيني ﴾

كان فقيها على منهب زيد بن علي بن الحسين ، وعنده معرفة بالأصول والحديث .

﴿ ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة ﴾

في المحرم منها قتل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين رجلا بمحلة
بالديباج الرومي ، غالبا أواني الذهب والفضة ، وعلى أربع وسبعين بغلة بمحلة بأنواع الديباج الملكي
وأجرباسها وقلانسها من الذهب والفضة ، وكان على ستة منها اثنا عشر صنموقا من الفضة ، فيها أنواع
الجواهر والخطى ، وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرسا عليها مراكب الذهب ، مرسعة بالجواهر ،
ومهد عظيم بمحلل بالديباج الملكي عليه صفائح الذهب مرصع بالجواهر ، وبعث الخليفة لتلقيهم الوزير
أبأشجاع ، وبين يديه نحو من ثلاثمائة موكبية غير المشامل ثلثمائة خاتون امرأة السلطان تركان
خاتون ، حمات الخليفة ، وسألها أن تحمل الوديمة الشريفة إلى دار الخلافة ، فأجابت إلى ذلك ، فحضر
الوزير نظام الملك وأعيان الأمراء وبين أيديهم من الشموع والمشاعل مالا يحصى ، وجاءت نساء
الأميرات كل واحدة منهن في جماعتها وجوارحها ، وبين أيديهن الشموع والمشاعل ، ثم جاءت
الخاتون ابنة السلطان زوجة الخليفة بصد الجميع ، في محفة بمحلة ، وعليها من الذهب والجواهر مالا

نحصى قيمته ، وقد أحاط بالحفة مائتا جارية تركية ، بالراكب المزينة المعجية مما يبهرن الأبصار ،
فدخلت دار الخلافة على هذه الصفة ، وقد زين الحرم الطاهر وأشعلت فيه الشموع ، وكانت ليلة
مشهودة للخليفة ، هائلة جدا ، فلما كان من الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان ومد سباطا لم ير مثله ،
عم الحاضرين والقائمين ، وخلع على الخاتون زوجة السلطان أم الروس ، وكان أيضا يوما مشهودا ،
وكان السلطان متغيبا في الصيد ، ثم قدم بعد أيام ، وكان الدخول بها في أول السنة ، ولدت من الخليفة
في ذى القعدة ولدا ذكرا زينت له بغداد . وفيها ولد للسلطان ملكشاه ولد سماء محمودا ، وهو القى
ملك بعده . وفيها جعل السلطان ولده أباشجاع أحمد ولي العهد من بعده ، ولقبه ملك الملوك ، عضد
الدولة ، ونجح الملة ، عدة أمير المؤمنين ، وخطب له بذلك على المنابر ، ونثر الذهب على الخطباء عند
ذكر اسمه . وفيها شرع في بناء التاجية في باب إبرز وعملت بستان وفرست النخيل والفواكه هناك
وعمل سور بأمر السلطان ، والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ إسماعيل بن إبراهيم ﴾

ابن موسى بن سعيد ، أبو القاسم النيسابوري ، رحل في الحديث إلى الآفاق حتى جاوز ماوراء
النهر ، وكان له حظ وافر في الأدب ، وسرعة الرؤية ، توفي بنيسابور في جمادى الأولى منها .

﴿ طاهر بن الحسين البندنجي ﴾

أبو الوفا الشاعر ، له قصيدتان في مدح نظام الملك إحداهما مسجدة والأخرى غير منقوطة ، أولها :
لأموا ولو علوا ما ألوم ما لأموا • ورد لوهم هم والام
توفي بيلده في رمضان عن ثيف وسبعين سنة .

﴿ محمد بن أمير المؤمنين المقتدى ﴾

عرض له جدرى فأت فيها وله تسع سنين ، غزن عليه والده والناس ، وجلسوا الغزاة ، فأرسل
إليهم يقول : إن لنا في رسول الله أسوة حسنة ، حين توفي ابنه إبراهيم ، وقال الله تعالى (والذين إذا
أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) ثم هزم على الناس فأنصروا .

﴿ محمد بن محمد بن زيد ﴾

ابن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو الحسن
الحسيني ، الملقب بالرفضي ذي الشرفين ، ولد سنة خمس وأربعمائة ، وسمع الحديث الكثير ، وقرأ
بنفسه على الشيوخ ، وصحب الحفاظ أبا بكر الخطيب ، فصارت له معرفة جيدة بالحديث ، وسمع عليه
الخطيب شيئا من مروياته ، ثم انتقل إلى ممرقند وأملى الحديث بأصبهان وغيرها ، وكان يرجع إلى
عقل كامل ، وفضل وصدوق ، وكانت له أموال جزيلة ، وأمالك متسعة ونعمة وافرة ، يقال إنه ملك

أربعين قرية ، وكان كثير الصدقة والبر والصلة للعلماء والفقراء ، وبلغت زكاة ماله الصامت عشرة آلاف دينار غير المشور ، وكان له بستان ليس للملك مثله ، فطلبه منه ملك ما وراء النهر ، واسمه الخضر بن إبراهيم ، طرية ليتزده فيه ، فأبى عليه وقال : أعيرته إياه ليشرب فيه الخمر بعد ما كان مأوى أهل العلم والحديث والدين ؟ فأعرض عنه السلطان وحقد عليه ، ثم استدعاه إليه ليستشيريه في بعض الأمور على المادة ، فلما حصل عنده قبض عليه وسجنه في قلعة ، واستحوذ على جميع أملاكه وحواصله وأمواله ، وكان يقول : ما تحققت صحة نسبي إلا في هذه المصادرة : فأبى ربيت في النعم فكنت أقول : إن مثلي لا بد أن يبتلى ، ثم منعه الطعام والشراب حتى مات رحمه الله .

﴿ محمد بن هلال بن الحسن ﴾

أبو الحسن الصابي ، الملقب بفارس النعمة ، جمع أباه وابن شاذان ، وكانت له صدقة كثيرة ، ومرووف ، وقد ذيل على تاريخ أبيه القى ذيله على تاريخ ثابت بن سنان ، الذى ذيله على تاريخ ابن جرير الطبرى ، وقد أنشأ داراً ببغداد ، ووقف فيها أربعة آلاف مجلد ، في فنون من العلوم ، وترك حين مات سبعين ألف دينار ، ودفن بمشهد على .

﴿ هبة الله بن على ﴾

ابن محمد بن أحمد بن الجلبى أبو نصر ، جمع خطباً ووعظاً ، وسمع الحديث على مشايخ هدينة ، وتوفى شاباً قبل أوان الرواية . ﴿ أبو بكر بن عمر أمير الملتئين ﴾

كان في أرض فرغانة ، اتفق له من التاموس مالم يتفق لغيره من الملوك ، كان يركب معه إذا سار لقتال عدو خسمائة ألف مقاتل ، كان يستمد طاعته ، وكان مع هذا يقيم الحدود ويحفظ محارم الاسلام ، ويحوط الدين ويسير في الناس سيرة شرعية ، مع صحة اعتقاده ودينه ، وموالاة الدولة العباسية ، أصابته نشابة في بعض غزواته في حلقه قتلته في هذه السنة .

﴿ فاطمة بنت على ﴾

المؤدبة الكاتبة ، وتعرف ببنت الأقرع ، سمعت الحديث من أبى عمر بن مهدى وغيره ، وكانت تكتب المنسوب على طريقة ابن البواب ، ويكتب الناس عليها ، وبخطها كانت الهدنة من الديوان إلى ملك الروم ، وكتبت مرة إلى حميد الملك الكندى رقعة فأعطها ألف دينار ، توفيت في الحرم من هذه السنة ببغداد ، ودفنت بباب إبرز .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ﴾

فيها كانت قتن عظيمة بين الروافض والسنة ببغداد ، وجرت خطوب كثيرة . وفي ربيع الأول أخرجت الأتراك من حريم الخلافة ، فكان في ذلك قوة للخلافة . وفيها ملك مسعود بن

الملك المؤيد بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد غزنة بعد أبيه . وفيها فتح ملكشاه مدينة معرقند . وحج بالناس الأمير خوارتكين .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن السلطان ملكشاه ﴾

وكان ولي عهد أبيه . توفي وعمره إحدى عشرة سنة ، فكث الناس في العزاء سبعة أيام لم يركب أحد فرساً ، والناس ينحن عليه في الأسواق ، وسود أهل البلاد التي لأبيه أبوابهم .

﴿ عبد الله بن محمد ﴾

ابن علي بن محمد ، أبو إسماعيل الأنصاري المروى ، روى الحديث وصنف ، وكان كثير السير بالليل ، وكانت وفاته بهرات في ذي الحجة من ست وثمانين سنة . وحج بالناس فيها الوزير أبو أحمد ، واستتاب ولده أبا منصور وقيب النقباء طراد بن محمد الزيلي .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وأربعمائة ﴾

في الحرم درس أبو بكر الشاشي في المدرسة الناجية بباب إبرز ، التي أنشأها صاحب تاج الدين أبو الفنائم على الشافعية . وفيها كانت قتل عظيمة بين الروافض والسنة ، ورفضوا المصاحف ، وجرت حروب طويلة ، وقتل فيها خلق كثير ، قتل ابن الجوزي في المنتظم من خط ابن عقيل أنه قتل في هذه السنة قريب من مائتي رجل ، قال : وسب أهل الكرخ الصحابة وأزواج النبي ﷺ ، فلمنة الله على من فعل ذلك من أهل الكرخ ، وإنما حكيت هنا ليعلم ما في طوايا الروافض من الخبث والبغض لدين الاسلام وأهله ، ومن العداوة الباطنة الكامنة في قلوبهم ، لله ولرسوله وشريعته . وفيها ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وطائفة كبيرة من تلك الناجية ، بعد حروب عظيمة ، ووقعت هائلة . وفيها استولى جيش المصريين على عدة بلاد من بلاد الشام . وفيها عرت منارة جامع حلب . وفيها أرسلت الخاتون بنت السلطان امرأة الخليفة تشكو إلى أبيها إعراض الخليفة عنها ، فبعث إليها أبوها الطواشي صواب والأمير مران ليرجعاها إليه ، فأجلب الخليفة إلى ذلك ، وبعث معها بالنقيب وجماعة من أعيان الأمراء ، وخرج ابن الخليفة أبو الفضل والوزير فشيماها إلى النهر وان ذلك في ربيع الأول ، فلما وصلت إلى عند أبيها توفيت في شوال من هذه السنة ، بأصبهان ، فعمل عزاهابغداد سبعة أيام ، وأرسل الخليفة إلى السلطان أميرين لتزيمته فيها . وحج بالناس خوارتكين .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ عبد الصمد بن أحمد بن علي ﴾

المعروف بطاهر ، النيسابوري الحافظ ، رحل وسمع الكثير ، وخرج ، وعاجله الموت في هذه السنة

﴿ علي بن أبي يَمَلَى ﴾

بهمنان وهو شاب .

أبو القاسم الديوبسي ، مدرس النظامية بعد المتولي ، سمع شيئا من الحديث ، وكان قتيها ماهرا ،

وجدياً بأهرا

﴿عاصم بن الحسن﴾

ابن محمد بن علي بن عاصم بن مهران ، أبو الحسين العاصمي ، من أهل الكرخ ، سكن باب الشمر
ولد سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، وكان من أهل الفضل والأدب ، وسمع الحديث من الخطيب وغيره ،
وكان ثقة حافظاً ، ومن شعره قوله :

لحقني على قوم بكاططة • ودعتهم والركب معترض
لم تترك الدبريات مذ بعدوا • لي مقلة تروى وتقتضض
رحلوا فسمي واكف هطل • جار وقلبي حشوه مرض
وتروضوا لا ذقت قدوم • حتى ومالي عنهم عوض
أقرضتهم قلبي على ثقة • منهم فاردوا الذي أقرضوا

﴿محمد بن أحمد بن حامد﴾

ابن عبيد ، أبو جعفر البخاري المتكلم المعتزلي ، أقام ببغداد وتعرف بقاضي حلب ، وكان حنفي
المنهج في الفروع ، معتزلياً في الأصول ، مات ببغداد في هذه السنة ، ودفن بباب حرب .

﴿محمد بن أحمد بن عبد الله﴾

ابن محمد بن إسماعيل الأصباهي ، المعروف بمسرفة ، أحد الحفاظ الجوالين الرحالين ، سمع الكثير
وجمع الكتب ، وأقام بهجرة ، وكان صالحاً كثير العبادة ، توفي بليسابور في ذى الحجة من هذه السنة
والله أعلم . ﴿تم دخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة﴾

في المحرم منها ورد إلى الفقيه أبي عبد الله الطبري منشور نظام الملك بتدريس النظامية ، فدرس
بها ، ثم قدم الفقيه أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي في ربيع الآخر منها بمنشور بتدريسها فاتفق
الحال على أن يدرس هذا يوماً وهذا يوماً ، وفي جمادى الأولى دم أهل البصرة رجل يقال له بلبا ،
كان ينظر في النجوم ، فاستغوى خلقاً من أهلها وزعم أنه المهدي ، وأحرق من البصرة شيئاً كثيراً ،
من ذلك دار كتب وقتت على المسلمين لم يرق الإسلام مثلاً ، وأتلف شيئاً كثيراً من الدوايب
والمصانع وغير ذلك . وفيها خلع على أبي القاسم طراد الزينبي بنقابة العباسيين بعد أبيه . وفيها
استغنى على مولى الصبيان أن يمنوا من المساجد صيانة لها ، فأفتوا بمنعهم ، ولم يُستثنَ منهم سوى
رجل كان قتيها شافعي يدرى كيف تصان المساجد ، واستدل المفتي بقوله عليه الصلاة والسلام «سدا
كل خوخة الاخوة أبي بكر» وحجج بالناس بخار تمكين على العادة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿الوزير أبو نصر بن جبور﴾

ابن محمد بن محمد بن جهور غيد الدولة أحد مشاهير الوزراء ، وزر القاسم ، ثم لولاه المقتدى ، ثم

عزل ملكشاه السلطان زولى ولده نقر الفولة ديار بكر وغيرها ، مات بالموصل وهي بلده التي ولد بها وفيها كان مقتل صاحب الجين الصليبي وقد هدم ذكره .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة ﴾

في المحرم منها كتب النجم القى أحرق البصرة إلى أهل واسط يدعوهم إلى طاعته ، ويذكر في كتابه أنه المهدي صاحب الزمان القى . يأمر بالعرف وينهى عن المنكر ، وينهى الخلق إلى الحق ، فان أطمع أمتهم من العذاب ، وإن عدتم خسف بكم ، فآمنوا بالله وبالإمام المهدي . وفيها ألزم أهل القعة بليس الغيار وبشد الزنار ، وكذلك نساؤهم في الحمامات وغيرها . وفي جادى الأولى قسم الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي من أصحابه إلى بغداد على تدريس النظامية ، ولقبه نظام الملك زين الدين شرف الأئمة . قال ابن الجوزي : وكان كلامه مقبولا ، وذكاؤه شديدا . وفي رمضان منها عزل الوزير أبو شعاع عن وزارة الخلافة فأئشده عند عزله :

تولاهما وليس له عدو • وفارقها وليس له صديق

ثم جاءه كتاب نظام الملك بأن يخرج من بغداد ، فخرج منها إلى عدة أما كن ، فلم تطعه ، فزم على الحج ، ثم طابت نفس النظام عليه فبعث إليه يسأله أن يكون عديده في ذلك ، وتاب ابن الموصل في الوزارة ، وقد كان أسلم قبل هذه المباشرة في أول هذه السنة . وفي رمضان منها دخل السلطان ملكشاه بغداد ومع الوزير نظام الملك ، وقد خرج لتلقيه قاضي القضاة أبو بكر الشافعي ، وابن الموصل والمسلماني ، وجاءت ملوك الأطراف إليه للسلام عليه ، منهم أخوه تاج الدولة قش صاحب دمشق ، وإبناؤه قسيم الدولة أقسنقر صاحب حلب . وفي ذى القعدة خرج السلطان ملكشاه وابنه وابن ابنته من الخليفة في خلق كثير من الكوفة . وفيها استوزر أبو منصور بن جيهري وهي التوبة الثانية لوزارته للمقتدى ، وخلع عليه ، وركب إليه نظام الملك فيها في داره بيلب العامة ، وفي ذى الحجة حمل السلطان الميلاذ في حجة ، وأشاعت نيران عظيمة ، وأوقدت شعور كثيرة ، وجمعت المطربات في السمرات ، وكانت ليلة مشهودة محببة جدا ، وقد نظم فيها الشعراء الشعر ، فلما أصبح التهار من هذه الليلة جرى يانصيب النجم القى حرق البصرة وأدعى أنه المهدي ، وبحولا على جمل ينفذاد وجعل يسب الناس والناس يلعنونه ، وعلى رأسه طرطورة بدع ، والهدرة تأخذهم من كل جانب ، فظافوا به بغداد ثم صلب بهم ذلك . وفيها أمر السلطان ملكشاه جلال الفولة بملارة جامعته المنسوب إليه بظاهر السور . وفي هذه السنة ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بعد صاحب بلاد المغرب كثير آ من بلاد الأندلس ، وأمر صاحبها الممتدعين عباد وصجنوا وأهلكه ، وقد كان الممتدع هذا موصوفا بالكرم والأدب والحلم ، حسن السيرة والعشرة والاحسان إلى الرعية ، والرفق بهم ، فحزن الناس

عليه ، وقال في مصابه الشعراء فأكثروا . وفيها ملكت الفرنج مدينة صقلية من بلاد المغرب ، ومات ملكهم ققام ولهم مقامه فسار في الناس سيرة ملوك المسلمين ، حتى كأنه منهم ، لما ظهر منه من الاحسان إلى المسلمين . وفيها كانت دلائل كثيرة بالشام وغيرها ، فهبت بيافا كثيرا ، من جملة ذلك تسعون برجاً من سور إفلاكية ، وهلك تحت المدم خلق كثير . وحج بالناس خمارتكين .
 (عبد الرحمن بن أحمد)

أبو طاهر ولد بأصبهان ، وتلقه بمرقند ، وهو الذي كان سبب فتحها على يد السلطان ملك شاه ، وكان من رؤساء الشافعية ، وقد جمع الحديث الكثير . قال عبد الوهاب بن منه : لم ترقبها في وقتنا أنصف منه ، ولا أعلم . وكان فصيح اللمعة كثير المروءة عزيز النعمة ، توفي ببغداد ، ومشي الوزراء والكبراء في جنازته ، غير أن النظام ركب واعتنق بكبر سنه ، ودفع إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وجاء السلطان إلى التربة . قال ابن عقيل : جلست بكرة العزاء إلى جانب نظام الملك والملوك قيام بين يديه ، اجترأت على ذلك بالعلم . حكاه ابن الجوزي .

(محمد بن أحمد بن علي)

أبو نصر المروزي ، كان إماماً في القراءات ، وله فيها المصنفات ، وسافر في ذلك كثيراً ، واتفق له أنه فرق في البحر في بعض أسفاره ، فبينما الموج يرفعه ويضمه إذ نظر إلى الشمس قد زالت ، فنوى الوضوء وانفس في الماء ثم صعد فاذا خشية فركبها وصلى عليها ، وورقة الله السلامة ببركة امتثاله للأمر ، واجتهاده على العمل ، وطاش بعد ذلك دحرا ، وتوفي في هذه السنة ، وله نيف وتسعون سنة .
 (محمد بن عبد الله بن الحسن)

أبو بكر الناصح الفقيه الحنفي المناظر المتكلم المعتزلي ، ولى القضاء بئيسابور ، ثم عزل لجنونه وكلامه وأخته الرشا ، وولى قضاء الري ، وقد جمع الحديث ، وكان من أكابر العلماء . توفي في رجب منها .
 (أرئق بن ألب التركاني)

جد الملوك الاريقية الذين هم ملوك ماردین ، كان شهما شجاعا طالى الهمة ، تغلب على بلاد كثيرة وقد ترجمه ابن خلكان وأخرج وفاته بهذه السنة .

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة)

فيها أمر السلطان ملكشاه ببناء سور سوق المدينة المروقة بطبرليک ، إلى جانب دار الملك ، وجدد خاناتها وأسواقها ودورها ، وأمر بتجديد الخيام الذي تم على يد هارون الخادم ، في سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، ووقف على نصب قبيلته بنفسه ، ومنجه إبراهيم حاضر ، وقتلت أخشاب خيام سامرا ، وشرع نظام الملك في بناء دار له هائلة ، وكذلك تلج الملوك أبو القاسم ، شرع في بناء دار

هائلة أيضاً ، واستولطوا بغداد . وفي جمادى الأولى وقع حريق عظيم ببغداد في أماكن شتى ،
فأطلقى حتى هلك الناس شئ كثير ، فاعمرها بقدر ما حرق وما غرموا . وفي ربيع الأول خرج
السلطان إلى أصبهان ، وفي صحبته وفد الخليفة أبو الفضل جعفر ، ثم عاد إلى بغداد في رمضان ، فبينما
هو في الطريق يوم عاشوراء عدا صبي من القليل على الوزير نظام الملك ، بمس أن أقطر ، فضربه
بسكين قضى عليه بمساعة ، وأخذ الصبي الدبلي قتل ، وقد كان من كبار الوزراء وخيار الأمراء
وسند ذكر شيئاً من سيرته عند ذكر ترجمته ، وقدم السلطان بغداد في رمضان بيلة غير سالمة ، فلقاه
الله في نفسه ما تمنه لأعدائه ، وذلك أنه لما استقر ركابه ببغداد ، وجاء الناس لسلام عليه ، والتهنئة
بقدمه ، وأرسل إليه الخليفة يهنئه ، فأرسل إلى الخليفة يقول له : لا بد أن تنزل لي عن بغداد ،
وتتحول إلى أي البلاد شئت . فأرسل إليه الخليفة يستنظره شهراً ، فرد عليه : ولا ساعة واحدة ،
فأرسل إليه يتوسل في إقظاره عشرة أيام ، فأجاب إلى ذلك بعد تمنع شديد ، فما استتم الأجل حتى
خرج السلطان يوم عيد الفطر إلى الصيد فأصابته حمى شديدة ، فانتصد فقام منها حتى مات قبل
العشرة أيام والله الحمد والمنة . فاستحوذت زوجته زينة خاتون على الجيش ، وضبطت الأموال
والأحوال جيداً ، وأرسلت إلى الخليفة تسأل منه أن يكون فيها محمود ملكاً بعد أبيه ، وأن يخطب
له على المنابر ، فأجابها إلى ذلك ، وأرسل إليه بالعلم ، وبمسيرتها وبهبتها مع وزيره حميد الدولة
ابن جهر ، وكان عمر الملك محمود هذا يومئذ خمس سنين ، ثم أخذته والته في الجيوش وسارت به نحو
أصبهان ليتوطد له الملك ، فدخلوها وتم لهم مرادهم ، وخطب لهذا الغلام في البهان حتى في الحرمين ،
واستوزر له تاج الملك أبا التمسك المزداني بن خسرو ، وأرسلت أمه إلى الخليفة تسأله أن تكون
ولايات الهمال إليه ، فامتنع الخليفة وواجهه التزالي على ذلك ، وأقنى الملاء بما هو ذلك ، منهم المتطبب
ابن محمد الحنفي ، فلم يعمل إلا بقول التزالي ، وانحاز أكثر جيش السلطان إلى ابنه الآخر بركيارق
فبايروه وخطبوا له بالري ، وانفردت الخاتون وولها ومعهم شرعة قليلة من الجيش والخاصية ،
فأنقذت فيهم ثلاثين ألف ألف دينار لقتال بركيارق بن ملكشاه ، فالتقوا في ذي الحجة فكانت
الخاتون هي المهزومة ومعها ولها . وفي صحيح البخاري « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . وفي ذي
القعدة اعترضت بنو خضاعة الحبيج مقاتلهم من في الحبيج من الجند مع الأمير خوارزميين ،
فهمزوم ، ونهبت أموال الأعراب والله الحمد والمنة . وفيها جاء برّد شديد عظيم بالبصرة ، وزن
الواحدة منها خمسة أرتال ، إلى ثلاثة عشر رطلاً ، فأتلفت شيئاً كثيراً من النخيل والأشجار ، وجاء
ربيع حارص فاصف فأتى عشرات الألوف من النخيل ، فأتاه وإنا إليه راجعون (وما أصابكم من
بصيبة فما كبست أيديكم ويفوق عن كثير) وفيها ملك تلج الدولة قش صاحب دمشق مدينة حمص ،

وقلعة خزنة ، وقلعة طايه ، ومعه قسم الدولة أقنقر ، وكان السلطان قد جهز سرية إلى اليمن بحسبة سعد كهرائين الدولة وأمير آخر من التركان ، فدخلها وأساء فيها السيرة فتوفي سعد كهرائين يوم دخوله إليها في مدينة عدن والله الحمد والمنة .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ جعفر بن يحيى بن عبد الله ﴾

أبو الفضل التميمي ، المعروف بالحكك المكسي ، رحل في طلب الحديث إلى الشام والعراق وأصبهان وغير ذلك من البلاد ، وسمع الكثير وخرج الأجزاء ، وكان حافظاً متقناً ، ضابطاً أديباً ، ثقة صدوقاً ، وكان يرأس صاحب مكة ، وكان من ذوى الهيئات والمروءات ، قارب الثمانين ، رحمه الله

﴿ نظام الملك الوزير ﴾

الحسن بن علي بن إسحاق ، أبو علي ، وزير الملك ألب أرسلان وله ملكشاه تسعا وعشرين سنة ، كان من خيار الوزراء ، وله بطوس سنة ثمان وأربعمائة ، وكان أبوه من أصحاب محمود بن سبكتكين ، وكان من الدهاقين ، فأشغل له هذا ، قرأ القرآن وله إحدى عشرة سنة ، وأشغله بالعلم والقراءات والتفقه على مذهب الشافعي ، وسمع الحديث والفتنة والنحو ، وكان على الهمة ، فحصل من ذلك طرقاً صالحاً ، ثم ترقى في الراتب حتى وزير السلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ثم من بعده الملكشاه تسعاً وعشرين سنة ، لم ينسكب في شيء منها ، وبني المدارس النظامية ببغداد ونيسابور وغيرهما ، وكان مجلسه طمراً بالفقهاء والعلماء ، يبحث بقضي مهم غالب نهاره ، قيل له : إن هؤلاء شغلوك عن كثير من المصالح ، فقال : هؤلاء جمال الدنيا والآخرة ، ولو أجلستهم على رأسي لما استكثرت ذلك ، وكان إذا دخل عليه أبو القاسم التشييري وأبو المعالى الجويني قام لهما وأجلسهما معه في المقعد ، فإذا دخل أبو علي الفارندي قام وأجلسه مكانه ، وجلس بين يديه ، فموتب في ذلك فقال : إنهما إذا دخلا على قال : أنت وأنت ، يطروني ويظلموني ، ويقولوا في ما ليس في ، فأزداد بهما ما هو مركوز في نفس البشر ، وإذا دخل على أبو علي الفارندي ذكرني عيوي وظلي ، فألكسر فأرجع عن كثير من الذي أنا فيه . وكان يحافظ على الصلوات في أوقاتها ، لا يشغله بصد الأذان شغل عنها وكان يواظب على صيام الاثنين والخميس ، وله الأوقاف الدارة ، والصدقات البارة

وكان يظلم الصوفية تعظيماً عظيماً ، فموتب في ذلك ، فقال : بينا أنا أخدم بعض الملوك جاءني يوما إنسان فقال لي : إلى متى أنت تخدم من تأكله الكلاب غداً ؟ أخدم من تنفعك خدمته ، ولا تخدم من تأكله الكلاب غداً . فلم أفهم ما يقول ، فاتفق أن ذلك الأمير سكر تلك الليلة فخرج في أثناء الليل وهو نمل ، وكانت له كلاب تفترس الثرياء بالليل ، فلم تعرفه فزقته ، فأصبح وقد أكلته الكلاب ، قال : فانا أطلب مثل ذلك الشيخ . وقد جمع الحديث في أما كن شقي ببغداد وغيرها ،

وكان يقول : إني لأعلم بأني لست أهلا للرواية ولكني أحب أن أربط في قطار قلة حديث رسول الله ﷺ ، وقال أيضا : رأيت ليلة في المنام إبليس قتلته : ويحك خلقتك الله وأمرتك بالسجود له مشاققة فأبيت ، وأنا لم يأمرني بالسجود له مشاققة وأنا أسجد له في كل يوم مرات ، وأنشأ يقول :

من لم يكن لوصول أهلا • فكل إحسانه ذنوب

وقد أجلسه المعتدي مرة بين يديه وقال له : يا حسن ، رضى الله عنك برضا أمير المؤمنين عنك ، وقد ملك أوطا من الترك ، وكان له بنون كثيرة ، وزر منهم خمسة ، وزر ابنه أحمد للسلطان محمد بن ملك شاه ، ولا مير المؤمنين المسترشد بالله ،

وخرج نظام الملك مع السلطان من أصبهان قاصداً بندگان في مستهل رمضان من هذه السنة ، فلما كان اليوم المأثر اجتاز في بعض طريقه بقرية بالقرب من نهاوند ، وهو يساره في حفرة ، فقال : قد قتل هنا خلق من الصحابة زمن عمر ، فطوبى لمن يكون عندهم ، فاتفق أنه لما أنظر جماعه صبي في هيئة مستغيث به ووجه قصة ، فلما انتهى إليه ضرب به بسكين في فؤاده وهرب ، وهتر بطئ الخليفة فأخذ قتل ، ومكث الوزير ساعة ، وجماعه السلطان يعودوه قتل وهو عنده ، وقد اتهم السلطان في أمره أنه هو الذي مالا عليه ، فلم تطل مدته بعده سوى خمسة وثلاثين يوما ، وكان في ذلك حيرة لأولى الألباب . وكان قد عزم على إخراج الخليفة أيضا من بندگان ، فاتفق له ما عزم عليه ، ولما بلغ أهل بندگان موت النظام حزنا عليه ، وجلس الوزير والرؤساء للرزاء ثلاثة أيام ، وراثه الشعراء بقصائد ، منهم مقاتل بن عطية قال :

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة • بقيمة صانها الرحمن من شرف

حزت فلم تعرف الأيام قيمتها • فرحها خيرة منه إلى المصنف

وأثنى عليه غير واحد حتى ابن عقيل وابن الجوزي وغيرهما رحمه الله .

(عبد الباقي بن محمد بن الحسين)

ابن داود بن باقيا ، أبو القاسم الشاعر ، من أهل الحريم الظاهري ، ولد سنة عشر وأربعمائة ، وكان ماهرا ، وقد رماه بعضهم باعتقاد الأوائيل ، وأنكر أن يكون في السياه نهر من ماء أو نهر من لبن ، أو نهر من سحر ، أو نهر من حسل ، يعنى في الجنة ، وما سقط من ذلك قطرة إلى الأرض إلا هذا الذي هو يخرق البيوت ويهشم الحيطان والسقوف ، وهذا الكلام كثر من قائله ، قلعه عنه ابن الجوزي في المنتظم ، وحكى بعضهم أنه وجد في كفته مكتوبا حين مات هذين البيتين .

نزلت بجوار لا ينجيب ضيفه • أرجى نجاتي من عذاب جهنم

وإلى على خوف من الله وأثق • بأنامه والله أكرم منم

﴿ مالك بن أحمد بن علي ﴾

ابن إبراهيم ، أبو عبد الله البانياسي الشامي ، وقد كان له اسم آخر سمته به أمه «علي أبو الحسن» فقلب عليه ما سماه به أبوه ، وما كناه به ، سمع الحديث على مشايخ كثيرة ، وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن الصلت ، هلك في حريق سوق الرميحيين ، وله ثمانون سنة ، كان ثقة عند المحدثين .

﴿ السلطان ملكشاه ﴾

جلال الدين والدولة ، أبو الفتح ملكشاه ، ابن أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق نفاق التركي ، ملك بعد أبيه وامنتد مملكته من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد الصين ، وراسله الملوك من سائر الأقاليم ، حتى ملك الروم وألجزر والبلان ، وكانت دولته صارمة ، والطرق في أيامه آمنة ، وكان مع عظمته يقف للساكن والضعيف ، والمرأة ، فيقضي حوائجهم ، وقد حر المارات الهائلة ، وبنى القناطر ، وأسقط المكوس والضرائب ، وحفر الأنهار الكبار ، وبنى مدرسة أبي حنيفة والسوق ، وبنى الجامع الذي يقال له جامع السلطان ببغداد ، وبنى منارة القرون من صيوذه بالكوفة ، ومثلها فيما وراء النهر ، وضبط ما صاده بنفسه في صيوذه فكان ذلك نحواً من عشرة آلاف صيد ، فتصدق بمشرة آلاف حرم ، وقال : إني خائف من الله تعالى أن أكون أزهدت نفس حيوان كثير ما كله ، وقد كانت له أفعال حسنة ، وسيرة صالحة ، من ذلك أن فلاناً انتهى إليه أن غلاماً له أخذوا له حمل بطيخ ، ففتشوا فإذا في خيمة الحاجب بطيخ لخلوه إليه ، ثم استدعى بالحاجب فقال : من أين لك هذا البطيخ ؟ قال : جاء به الغلمان ، فقال : أحضرم ، فذهب وأمرهم بالحرب فأحضروه وسله للفلاح ، وقال : خذ بيده فإنه مملوكي ومملوك أبي ، وإياك أن تفارقه ، ثم رد على الفلاح الحبل البطيخ ، ففرج الفلاح يحمله ويده الحاجب ، فاستنقذ الحاجب نفسه من الفلاح بثلاثمائة دينار . ولما توجه لقتال أخيه تنش اجتاز بطوس فدخلها لزيارة قبر علي بن موسى الرضى ، ومعه نظام الملك ، فلما خرجا قال للنظام : بم دعوت الله ؟ قال : دعوت الله أن يظفرك على أخيك . قال : لكني قلت اللهم إن كان أخي أصليح للمسلمين فظفري بي ، وإن كنت أنا أصليح لهم فظفري به ، وقد سار بمسركه من أصهبان إلى أنطاكية فما عرف أن أحداً من جيشه ظلم أحداً من الرعية ، وكانوا مئين ألوف ، واستمدى إليه مرة تركاني أن رجلاً اقتضى بكارة ابنته وهو يريد أن يمكنه من قتله ، فقال له : يا هذا إن ابنتك لو شادت ما مكنته من نفسها ، فإن كنت لا بد فاعلا فاقتلها معه ، فسكت الرجل ، فقال له الملك : أو تفضل خيراً من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : فإن بكارتها قد ذهبت ، فزوجها من ذلك الرجل وأنا أمرها من بيت المال كفتابتهما ، ففعل . وحكى له بعض الوعاظ أن كسرى اجتاز يوماً في بعض أسفاره بقرية وكان منفرداً من جيشه ، فوقف على باب دار فاستسقى فأخرجت إليه جارية إمارة

فيه ماء قصب السكر بالثلج ، فشرب منه فأعجبه فقال : كيف تصنون هذا ؟ فقالت : إنه سهل علينا
اعتصاره على أيدينا ، فطلب منها شربة أخرى فنحبت لتأنيبه بها فوقع في فسه أن يأخذ هذا
المكان منهم ويعوضهم عنه غيره ، فأبطأت عليه ثم خرجت وليس معها شيء ، فقال : مالك ؟
فقال : كأن نية سلطاننا تغيرت علينا ، فتصر على اعتصاره - وهي لا تعرف أنه السلطان - قال :
اذهي فإني الآن تهدرين عليه ، وغير نيتي إلى غيرها ، فنحبت وجاءته بشربة أخرى سريعاً
فشربها وانصرف . فقال له السلطان : هذه تصلح لي ولكن قص على الرعية أيضاً حكاية كسرى
الأخرى حين اجتاز بيستان وقد أصابته صفراء في رأسه وعطش ، فطلب من تلطوره عنقوداً من
حصرم ، فقال له التلطور : إن السلطان لم يأخذه منه ، فلا أقدر أن أعطيك منه شيئاً . قال : فسحب
الناس من ذكاه الملك وحسن استحضاره هذه في مقابلة تلك . واستعبده رجلان من الفلاحين على
الأمر بخارتكين أنه أخذ منهما مالا جزيلاً وكسر ثنيتهما ، وقال : معننا بمسك في العالم ، فإن
أقصدنا منه كما أمرك الله وإلا استعدينا عليك الله يوم القيامة ، وأخذنا بركابه ، فزل عن فرسه وقال
لهما : خذا بكى واسحباني إلى دار نظام الملك ، فهالبا ذلك ، فزما عليهما أن يفعلا ، فعلا ما أمرهما
به ، فلما بلغ النظام بجى السلطان إليه خرج مسرعاً فقال له الملك : إلى إنيما قلدتك الأمر لتنصف
المظالم ممن ظلمه وفكتب من فوره فزل خارتكين وحل أقطاعه ، وأن يرد إليهما أموالهما ، وأن
يقلما ثنيتيه إن قامت عليه البينة وأمر لها الملك من عنده بمائة دينار ، وأسقط مرة بعض المكوس ،
فقال له رجل من المستوفين : يا سلطان العالم ، إن هذا القى أسقطته يعدل سبائة ألف دينار وأكثر ،
فقال : ويحك إن المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والبلاد بلادهم ، وإنما أردت أن يبقى هذا لي عند
الله ، ومن نازعني في هذا ضربت عنقه . وغننه امرأة حسناء فطرب وناقت نفسه إليها ، فهم بها
فقالت : أيها الملك إني أخبر على هذا الوجه الجليل من النار ، وبين الحلال والحرام كلمة واحدة ،
فاستدعي القاضي فزوجه بها .

وقد ذكر ابن الجوزي عن ابن عقيل أن السلطان ملك شاه كان قد فسدت عقيدته بسبب
معاشرته لبعض الباطنية ثم اتصل من ذلك وراجع الحق . وذكر ابن عقيل أنه كتب له شيئاً في إثبات
الصانع ، وقد ذكرنا أنه لما رجع آخر مرة إلى بغداد فزما على الخليفة أن يخرج منها ، فاستنظره
عشرة أيام فرض السلطان ومات قبل انقضاء المشرة أيام ، وكانت وفاته في ليلة الجمعة النصف من
شوال من سبع وثلاثين سنة وخمسة أشهر ، وكان مدة ملكه من ذلك تسع عشرة سنة وأشهر ،
ودفن بالشويزي ، ولم يهل عليه أحد لسكتان الأمر ، وكان مرضه بالحي ، وقيل إنه سم ، والله أعلم .

﴿باني التاجية ببنداد﴾

المرزبان بن خسرو ، تاج الملك ، الوزير أبو القنائم باني التاجية ، وكان مدرسها أبو بكر الشاشي وبنى تربة الشيخ أبي إسحاق ، وقد كان السلطان ملكشاه أراد أن يستوزره بعد نظام الملك فأتى سرياً ، فاستوزر لولده محمود ، فلما قهره أخوه بركيارق قتله غلمان النظام وقطعوه إرباً إرباً في ذى الحجة من هذه السنة .

﴿هبة الله بن عبد الوارث﴾

ابن علي بن أحمد نوري ، أبو القاسم الشيرازي ، أحد الرحالين الجوالين في الآفاق ، كان حافظاً ثقة ديناً ورعاً ، حسن الاعتقاد والسيرة ، له تاريخ حسن ، ورجل إليه الطلبة من بنداد وغيرها والله أعلم .

﴿ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة﴾

فيها قدم إلى بنداد رجل يقال له أردشير بن منصور أبو الحسين العبادي ، مرجه من الحج ، فنزل النظامية فوعظ الناس وحضر مجلسه الفزالي مدرس المكان ، فاذحم الناس في مجلسه ، وكثروا في المجالس بعد ذلك ، وترك كثير من الناس ما يشبههم ، وكان يحضر مجلسه في بعض الأحيان أكثر من ثلاثين ألفاً من الرجال والنساء ، وطلب كثير من الناس وزموا المساجد ، وأرقت الحُجُور وكسرت الملاهي ، وكان الرجل في نفسه صالحاً ، له عبادات ، وفيه زهد وافر ، وله أحوال صالحة ، وكان الناس يزدحمون على فضل وضوئه ، وربما أخذوا من البركة التي يتوضأ منها ما لا يبركة ، وقتل ابن الجوزي أنه اشتى مرة على بعض أصحابه توتاً شامياً وعلجاً فطاف البلاد بكاله فلم يجد ، فرجع فوجد الشيخ في خلوة فسأل هل جاء اليوم إلى الشيخ أحد ؟ فقيل له جاءت امرأة قالت إني فزلت ببدي غزلاً وبسته وأنا أحب أن أشتري للشيخ طرفة فامتنع من ذلك فبكت فرحها ، وقال : اذهبي فاشتري ، فقالت ماذا تشتهي ؟ قال : ماشئت ، فنهبت فأتته بتوت شامى وعلج فأكله . وقال بعضهم : دخلت عليه وهو يشرب مرقة فقلت في نفسي : لينة أعطاني فضله لأشربه لحفظ القرآن فتناولني فضله فقال : اشربي على تلك النية ، قال : فرزقني الله حفظ القرآن . وكانت له عبادات ومجاهدات ، ثم اتفق أنه تكلم في بيع القراضة بالصحيح فنع من الجلوس وأخرج من البلد .

وفيها خطب تثن بن ألب أرسلان لنفسه بالسلطنة ، وطلب من الخليفة أن يغضب له بالعراق فحصل التوقف عن ذلك بسبب أخيه بركيارق بن ملكشاه ، فسار إلى الرجبة وفي صحبته وطاعته أفسنقر صاحب حلب ، وبوران صاحب الرها ، ففتح الرجبة ، ثم سار إلى الموصل فأخذها من يد صاحبها إبراهيم بن قريش بن بدران ، وهزم جيوشه من بني عقيل ، وقتل خلقاً من الأمراء صبراً ، وكذلك أخذ ديار بكر ، واستوزر الكافي بن غرالمولة بن جهر ، وكذلك أخذ همدان وخراسان وفتح أخذ ييجان واستغفل أمره ، ثم فارقه الأميران أفسنقر وبوران فسارا إلى الملك بركيارق وبقى تثن

وحده ، فقطع فيه أخوه بركيارق فرجع تنش فلحقه قسم الدولة اقتسمر بوران بيب حلب فسكرهما وأسر بوران واقتسمر فصلهما وبث برأس بوران فطيف به حران والزها وملكا من بعده . وفيها وقعت الفتنة بين الروافض والسنة ، وانتشرت بينهم شرور كثيرة ، وفي ثاني شعبان ولد الخليفة ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي المباس ، أحد بن المستظهر ، ففرح الخليفة به وفي ذي القعدة دخل السلطان بركيارق بغداد ، وخرج إليه الوزير أبو منصور بن جبير ، وهناك عن الخليفة بالتقدم . وفيها أخذ المستنصر العبيدي مدينة صور من أرض الشام . ولم ينجح فيها أحد من أهل الرارق .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ جعفر بن المقتدى بالله ﴾

من الخاتون بات السلطان ملكشاه ، في جمادى الأولى ، وجلس الوزير لرءاء والدولة ثلاثة ،

أيام . ﴿ سليمان بن إبراهيم ﴾

ابن محمد بن سليمان ، أبو سمود الأصماني ، سمع الكثير وصنف وخرج على الصحيحين ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث ، سمع ابن مردويه وأبا نعيم والبرقي ، وكتب عن الخطيب وغيره ، توفي في ذي القعدة من تسع وثمانين سنة .

﴿ عبد الواحد بن أحمد بن الحسن ﴾

الدمشقي ، أبو سعد النقيع الشافعي ، صاحب أبا إسحاق الشيرازي ، وروى الحديث ، وكان مؤلفاً لأهل العلم ، وكان يقول : ماشى قدمي هاتين في لغة قط ، توفي في رجب منها ودفن بباب حرب

﴿ علي بن أحمد بن يوسف ﴾

أبو الحسن المكارى ، قدم بغداد ونزل برباط القوري ، وكانت له أربطة قد أنشأها ، سمع الحديث وروى عنه غير واحد من الحفاظ ، وكان يقول : رأيت رسول الله ﷺ في المنام في الزوجة فقلت : يا رسول الله أوصني ، قال : عليك باعتقاد أحمد بن حنبل ، ومنهيب الشافعي ، وإليك وبجالة أهل البيع . توفي في الحرم منها . ﴿ علي بن محمد بن محمد ﴾

أبو الحسن الخطيب الأنباري ، ويعرف بابن الأخضر ، سمع أبا عبد الرضى ، وهو آخر من حدث عنه ، توفي في شوال منها عن خمس وتسعين سنة :

﴿ أبو نصر علي بن هبة الله المعروف بابن ما كولا ﴾

[ولد سنة ثنتين وأربعمائة ، وسمع الكثير وكان من الحفاظ ، وله كتاب الاكمال في المؤلفات والمختلف ، جمع بين كتاب عبد النبي وكتاب الفارطاني وغيرهما ، وزاد عليهما أشياء كثيرة ، بهمة حسنة مفيدة قافة ، وكان نحوياً مبرزاً ، فصيح العبارة حسن الشعر . قال ابن الجوزي : وسمعت

شيخنا عبد الوهاب بطن في دينه ويقول : الملم يحتاج إلى دين . وقيل في خوزستان في هذه السنة أو التي بعدها ، وقد جاوز الثمانين . كذا ذكره ابن الجوزي ^(١) .

﴿ ثم خلت سنة سبع وعثمانين وأربعمائة ﴾

فيها كانت وفاة الخليفة المقتدى وخلافة ولده المستظهر بالله .

﴿ صفة موته ﴾

لما قدم السلطان بركيارق بغداد ، سأل من الخليفة أن يكتب له بالسلطنة كتابا فيه المهد إليه فكتب ذلك ، وهيئت الخلع وعرضت على الخليفة ، وكان الكتاب يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم ثم قدم إليه الطعام فتناول منه على العادة وهو في غاية الصعة ، ثم غسل يده وجلس ينظر في المهد بدما وقع عليه ، وعنده قهرمانة تسمى شمس النهار ، قالت : فظهر لي وقال : من هؤلاء الأشخاص الذين قد دخلوا علينا بنير إذن ؟ قالت : فالتفت فلم أر أحدا ، ورأيت قد تغيرت حالته واسترخت يده ورجلاه ، وأنحلت قواه ، وسقط إلى الأرض . قالت : فظننت أنه غشى عليه ، فخلعت أزرار ثيابه فإذا هو لا يجيب داعيا ، فأغلقت عليه الباب وخرجت فأعلت ولي المهد بذلك ، وجاء الأمراء ورؤس الدولة يزورونه بأبيه ، وهنثونه بالخلافة ، فبايروه .

﴿ ذكر شيء من ترجمة المقتدى بأمر الله ﴾

هو أمير المؤمنين المقتدى بالله ، أبو عبد الله بن الخيرة ، الأمير ولي المهد أبي العباس أحمد ، ابن أمير المؤمنين القائم بأمر الله ، بن القادر بالله العباسي ، أمه أم ولد اسمها أرجوان أرمنية ، أدركت خلافة ولدها وخلافة ولده المستظهر ولده المسترشد أيضا ، وكان المقتدى أبيض حلو الشبائل ، صمرت في أيامه محال كثيرة من بغداد ، ونفى عن بغداد المنقيات وأرباب الملاهي والمعاصي ، وكان غيوراً على حريم الناس ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، حسن السيرة ، رحمه الله ، توفي يوم الجمعة رابع عشر المحرم من هذه السنة ، وله من العمر ثمان وثلاثون سنة وثمان شهور وتسعة أيام ، خلافته من ذلك تسع عشرة سنة وثمان شهور إلا يومين ، وأخفى موته ثلاثة أيام حتى توطلت البيعة لابنه المستظهر ، ثم صلى عليه ودفن في تربتهم والله أعلم .

﴿ خلافة المستظهر بأمر الله أبي العباس ﴾

لما توفي أبوه يوم الجمعة أحضره ولده من العمر ست عشرة سنة وشهران ، فبوع بالخلافة ، وأول من بايحه الوزير أبو منصور ابن جبير ، ثم أخذ البيعة له من الملك ركن الدولة بركيارق بن ملكشاه ثم من بقية الأمراء والرؤساء ، وتمت البيعة فؤخذ له إلى ثلاثة أيام ، ثم أظهر التباوت يوم

الثلاثة الثامن عشر من الحرم ، وصلى عليه ولده الخليفة ، وحضر الناس ، ولم يحضر السلطان ، وحضر أكثر أمراءه ، وحضر الفزالي والشاشي وابن عقيل ، وبايعوه يوم ذلك ، وقد كان المستظهر كريم الأخلاق حافظاً للقرآن فصيحاً بليغاً شاعراً مطبقاً ، ومن لطيف شعره قوله :

أذاب حر الجوى في القلب ما جمدا * يوماً مددت على رسم الإبداع يدنا
فكيف أسلك نهج الاصطبار وقد * أرى طرائق من بهوى الهوى قددا
قد أخلف الوعد بدو قد شفت به * من بعد ما قد وفى دهرنا بما وعدا
إن كنت أنقض عهد الحب في خلدي * من بعد هذا فلا عاقبتك أبدا

وفوض المستظهر أمور الخلافة إلى وزيره أبي منصور حميد الدولة بن جبير ، فديرها أحسن تدبير ، ومهد الأمور أتم تمهيد ، وسلس الرضا ، وكان من خيار الوزراء . وفى ثالث عشر شعبان عزل الخليفة أباً بكر الشاشي عن القضاء ، وفوضه إلى أبي الحسن ابن الداماني . وفيها وقعت فتنة بين السنة والروافض فأحرقت محال كثيرة ، وقتل ناس كثير ، فأناله وإنا إليه راجعون . ولم ينج أحد لاختلاف السلاطين . وكانت الخليفة للسلطان بركيارق ركن الدولة يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم وهو اليوم الذى توفى فيه الخليفة المتتدى بعد ما علم على توقيعه .

ومن توفى فيها من الأعيان . (آتسنقر الأتابك)

الملقب قسيم الدولة السلجوقي ، ويعرف بالخلاب ، صاحب حلب وديار بكر والجزيرة . وهو جد الملك نور الدين الشهيد بن زنكي بن آتسنقر ، كان أولاً من أخص أصحاب السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي ، ثم ترقى منزلته عنده حتى أعطاه حلب وأعمالها بإشارة الوزير نظام الملك وكان من أحسن الملوك سيرة وأجودهم سريرة ، وكانت الرعية منه فى أمن وورع وعدل ، ثم كان موته على يد السلطان تاج الدولة تنش صاحب دمشق ، وذلك أنه استعان به وبصاحب حران والرها على قتال ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه ، ففرا عنه وتركاه ، فهرب إلى دمشق ، فلما تمكن ورجعا قاتلها ببواب حلب قتلها وأخذ بلادها إلا حلب فلما استقرت لولد آتسنقر زنكي فيها بعد ، وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وخمسة مائة . وذكر ابن خلكان أنه كان يملوكا للسلطان ملكشاه ، هو وبوزان صاحب الرها ، فلما ملك تنش حلب استنابه بها فقصى عليه قصصه وكان قد ملك دمشق أيضاً فقاتله قتله فى هذه السنة فى جمادى الأولى منها ، فلما قتل دفنه ولده عماد الدين زنكي ، وهو أبو نور الدين ، فقبره بحلب أدخله إليها من فرق الصور ، فدفنه بها .

(أمير الجيوش بدر الجالى)

صاحب جيوش مصر ومدير الملك الفاطمية ، كان عاقلاً كريماً محباً للملأ ، ولهم عليه رسوم دارة

تمكن في أيام المستنصر تمكنا عظيما ، ودارت أزمة الأمور على آرائه ، وفتح بلادا كثيرة ، وامتدت
أيلمه وبعده صيته وامتدحته الشراء . ثم كانت وفاته في ذى القعدة منها ، وقام بالأمر من بعده ولده
الأفضل

﴿ الخليفة المقتدى ﴾

وقد تقدم شيء من ترجمته .

﴿ الخليفة المستنصر الفاطمي ﴾

سعد أبو تميم معد بن أبي الحسن علي بن الحاكم ، استمرت أيامه ستين سنة ، ولم يتفق هذا خليفة قبله
ولا بعده ، وكان قد عهد بالأمر إلى ولده نزار ، فغلبه الأفضل بن بدر الجمالي بسد موت أبيه . وأمر
الناس فبايعوا أحمد بن المستنصر أخاه ، ولقبه بالمستلي ، فهرب نزار إلى الاسكندرية فجمع الناس
عليه فبايعوه ، وتولى أمره القاضي الاسكندرية : جلال الدولة بن حمار ، فقصده الأفضل فحاصره وقتلهم
نزار وهرمهم الأفضل وأسر القاضي ونزار ، قتل القاضي وحبس نزار بين حيطين حتى مات ، واستقر
المستلي في الخلافة ، وعمره إحدى وعشرون سنة .

﴿ محمد بن أبي هاشم ﴾

أمير مكة ، كانت وفاته فيها عن نيف وتسعين سنة .

﴿ محمود بن السلطان ملكشاه ﴾

كانت أمه قد عقدت له الملك ، وأفتت بسببه الأموال ، فقاتله بركيارق فكسره ، ولزم بلده
أصبهان ، فأت بها في هذه السنة ، وحمل إلى بغداد فدفن بها بالتربة النظامية ، كان من أحسن الناس
وجها ، وأظرفهم شكلا ، توفي في شوال منها ، وماتت أمه الخاتون تركيان شاه في رمضان ، فأفحل
نظامه ، وكانت قد جمعت عليه المساكر ، وأسندت أزمة أمور المملكة إليه ، وملكت عشرة آلاف
مملوك تركي ، وأفتت في ذلك قريبا من ثلاثة آلاف ألف دينار ، فأفحل النظام ولم تحصل على
طائل ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها قدم يوسف بن أبق للتركاني من جهة تنش صاحب دمشق إلى بغداد لأجل إقامة الدهوى له
ببغداد ، وكان تنش قد توجه لقتال أخيه بنساحية الرى ، فلما دخل رسوله ببغداد هابوه وخافوه
واستطاع الخليفة قهره وقبل الأرض بين يدي الخليفة ، وتأهب أهل بغداد له ، وخافوا أن ينهبهم ،
فبينما هو كذلك إذ قدم عليه رسول أخيه فأخبره أن تنش قتل في أول من قتل في الوقعة ، وكانت
وفاته في سابع عشر صفر من هذه السنة ، فاستفحل أمر بركيارق ، واستقل بالأمور . وكان دقاق بن
تنش مع أبيه حين قتل ، فسار إلى دمشق فملكها ، وكان نائب أبيه عليها الأمير ساوئكين ،

واستوزر أبا القاسم الخوارزمي ، وملك عبد الله بن تثن مدينة حلب ، ودر أمر مملكته جناح الدولة ابن اتكين ، ورضوان بن تثن صاحب مدينة حماه ، وإليه تنسب بنو رضوان بها . وفي يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الأول منها خطب لولي العهد أبي المنصور الفضل بن المستظهر ، ولقب بنخيرة الدين . وفي ربيع الآخر خرج الوزير ابن جبير فاختط سورا على الحرم ، وأذن للعوام في الممل والتفرج فأظهروا منكرات كثيرة ، وسخافات عقول ضميعة ، وعملاوا أشياء منكرة ، فبست إليه ابن عقيل رقة فيها كلام غليظ ، وإنكار بغض . وفي رمضان خرج السلطان بركيارق فصد عليه فداوى ، فلم يتمكن منه ، فسك فموجب فأقر على آخرين فلم يقرأ قتل الثلاثة . وجاء الطواشي من جهة الخطيفة مهنأه بالسلافة . وفي ذي القعدة منها خرج أبو حامد الغزالي من بغداد متوجها إلى بيت المقدس فأركا لندريس النظامية ، زاهدا في الدنيا ، لابساً خشن الثياب بدمعها ، وقلب عنه أخوه في التدريس ثم حج في السنة التالية ثم رجع إلى بلده ، وقد صنف كتب الإحياء في هذه المدة ، وكان يجتمع إليه خلق الكثير كل يوم في الرباط فيسمونه . وفي يوم عرفة خلق على القاضي أبي الفرج عبد الرحمن بن هبة الله بن البسقي ، ولقب بشرف القضاة ، ورد إلى ولاية القضاء بالحريم وغيره . وفيها اصطلى أهل الكرخ من الرافضة والسنة مع بقية الحال ، وزاوروا وتواصلوا وتواكلوا ، وكان هذا من المسائب ، وفيها قتل أحمد بن خاقان صاحب سمرقند ، وسببه أنه شهد عليه بالزندقة فخنق وولى مكانه ابن غه مسعود . وفيها دخل الأتراك إفريقية وهدروا ببسقي بن تميم بن المز بن باديس ، وقبضوا عليه ، وملكوا بلاده وقتلوا خلقا ، بعد ما جرت بينه وبينهم حروب شديدة ، وكان مقدمهم رجل يقال له شاه ملك ، وكان من أولاد بعض أمراء المشرق ، فقدم مصر وخدم بها ثم هرب إلى المغرب ، وبمه جماعة ففعل ما ذكر . ولم ينج أحد من أهل العراق فيها .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن أحمد بن خيرون ﴾

أبو الفضل المعروف بابن الباقلاني ، سمع الكثير ، وكتب عنه الخطيب ، وكانت له معرفة جيدة ، وهو من الثقات ، وقبله الدهاقاني ، ثم صار أميناً له ، ثم ولى إشراف خزانة الثلاث . توفي في رجب عن ثنتين وثمانين سنة . ﴿ تثن أبو المظفر ﴾

تاج الدولة بن ألب أرسلان ، صاحب دمشق وغيرها من البلاد ، وقد تزوج امرأة على ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه ، ولكن قدر الله وماتت ، وقد قال المتنبي :

ولله سر في علاك وإيما • كلام المدي ضرب من الهناني

قال ابن خلكان : كان صاحب البلاد الشرقية فاستجده أنسز في محاربة أمير الجيوش من جهة صاحب مصر ، فلما قدم دمشق لنجدته وخرج إليه أنسز ، أمر بمسكه وقتله ، واستحوذ هو على دمشق

وأعمالها في سنة إحدى وسبعين ، ثم حارب أندر قتلته ، ثم تحارب هو وأخوه بركيارق بيلاد
الري ، ففكره أخوه وقتل هو في المعركة ، وتلك ابنة رضوان حلب ، وإليه تنسب بنو رضوان
بها ، وكان ملكه عليها إلى سنة سبع وخمسين وخمسة ، سمته أمه في عقود عنب ، فقام من
بعده ولله تاج الملك بوري أربع سنين ، ثم ابنه الآخر خمس الملك إسماعيل ثلاث سنين ، ثم قتلته
أمه أيضا ، وهي زمرد خاتون بنت جاولي ، وأجلست أخاه شهاب الدين محمود بن بوري ، ففك
أربع سنين ، ثم ملك أخوه محمد بن بوري طركين سنة ، ثم تملك غير الدين أثنى من سنة أربع
وثلاثين إلى أن انتزع الملك منه نور الدين محمود زنكي كما سيأتي . وكان إياك المسافر بمشق أيام
أثنى ميين الدين ، الذي تنسب إليه الميمنية بالفور ، والمدرسة المعينة بمشق .

﴿ رزق الله بن عبد الوهاب ﴾

ابن عبد المزيز أبو محمد التميمي أحد أئمة القراء والفقهاء على مذهب أحمد ، وأئمة الحديث ، وكان
له مجلس لاهظه ، وحلقة لفتوى بجامع المنصور ، ثم بجامع القصر ، وكان حسن الشكل عجباً إلى العامة
له شعر حسن ، وكان كثير العبادة ، فصيح العبارة ، حسن المناظرة . وقد روى عن آباءه حديثاً
مسلسلاً عن علي بن أبي طالب أنه قال : هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل . وقد كان ذا واجهة
عند الخليفة ، ينفذ في مهام الرسائل إلى السلاطين . توفي يوم الثلاثاء النصف من جمادى الأولى من
هذه السنة ، من عمان وعثمان سنة ، ودفن بداره بباب المراتب بإذن الخليفة ، وصلى عليه ابنه أبو الفضل

﴿ أبو يوسف القزويني ﴾

عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار الشيخ ، شيخ المعتزلة ، قرأ على عبد الجبار بن أحمد
الهمداني ، ورحل إلى مصر ، وأقام بها أربعين سنة ، وحصل كتباً كثيرة ، وصنف تفسيراً في
سبعمائة مجلد ، قال ابن الجوزي : جمع فيه المعجب ، وتكامل على قوله تعالى (واتبعوا ما تلاوا الشياطين
على ملك سليمان) في مجلد كامل . وقال ابن عقيل : كان طويل اللسان بالعلم تارة ، وبالشعر أخرى ،
وقد سمع الحديث من أبي عمر بن مهدي وغيره ، ومات ببغداد عن ست وتسعين سنة ، وما تزوج إلا
في آخر عمره .

﴿ أبو شعاع الوزير ﴾

محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم ، أبو شعاع ، الملقب بظهر الدين ، الروفراوري
الأصل الأهوازي المولد ، كان من خيار الوزراء كثير الصدقة والاحسان إلى العلماء والفقهاء ، وسمع
الحديث من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغيره ، وصنف كتباً ، منها كتابه الذي ذيله على
تجارب الأمم . ووزر للخليفة المنتدى وكان يملك سبعمائة ألف دينار ، فأفقه في سبيل الخيرات
والصدقات ، ووقف الوقوف الحسنة ، وبنى المشاهد ، وأكثر الانعام على الأراذل والأيتام . قال

له رجل : إلى جانبنا أرملة لها أربعة أولاد وهم امرأة وجيلع ، فبث إليهم مع رجل من خاصته نقعة وكوة وطعاماً ، ونزع عنه ثيابه في البرد الشديد ، وقال : والله لا ألبسها حتى ترجع إلى بخيرهم ، فذهب الرجل مسرطاً بما أرسله على يديه إليهم ، ثم رجع إليه فأخبره أنهم فرحوا بذلك ودعوا للوزير ، فسر بذلك وليس ثيابه . وجئ إلى مرة بقطائف سكرية فلما وضعت بين يديه تنصص عليه بمن لا يقدر عليها ، فأرسلها كلها إلى المساجد ، وكانت كثيرة جداً ، فأطعمها الفقراء والمساكين وكان لا يجلس في الديوان إلا وعنده الفقهاء ، فإذا وقع له أمر مشكل سألم عنه فحكم بما يقنونه ، وكان كثير التواضع مع الناس ، خاصتهم وطبقتهم ، ثم عزل عن الوزارة فسار إلى الحج وجاور بالمدينة ثم مرض ، فلما تقل في المرض جاء إلى الحجرة النبوية فقال : يا رسول الله قال الله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوفىوا الله نوابها رجاء) وها أنا قد جئتك أستغفر الله من ذنوبي وأرجو شفاعتك يوم القيامة ، ثم مات من يومه ذلك رحمه الله ، ودفن في البقيع .

﴿ القاضي أبو بكر الشافعي ﴾

محمد بن المظفر بن بكران الحموي أبو بكر الشافعي ، ولد سنة أربع مائة وثمانين ، وتلقاه ببلده ، ثم حج في سنة سبع عشرة وأربعمائة ، وقدم بغداد فتلقاه على أبي الطيب الطبري وسمع بها الحديث ، وشهد عند ابن الهماماني قبله ، ولزم مسجده خمساً وخمسين سنة ، يقرئ الناس ويقتهم ، ولما مات الهماماني أشار به أبو شعاع الوزير فولاه الخليفة المقتدى القضاء ، وكان من أنزه الناس وأعفهم ، لم يقبل من سلطان عطية ، ولا من صاحب هدية ، ولم يغير ملبسه ولا مأكله ، ولم يأخذ على القضاء أجراً ولم يستنب أحد ، بل كان يباشر القضاء بنفسه ، ولم يحب خلوة ، وقد كان يضرب بعض المنكرين حيث لا بينة ، إذا قامت عنده قرائن التهمة ، حتى يقرؤا ، ويذكر أن في كلام الشافعي ما يدل على هذا . وقد صنف كتاباً في ذلك ، ونصره ابن عقيل فيما كان يتامله من الحكم بالقرائن ، واستشهد له بقوله تعالى (إن كان قبضه قد من قبل) الآية . وشهد عند سراج من كبار الفقهاء والمتأخرين يقال له المشطبي بن أحمد بن أسامة الفرغاني ، فلم يقبله ، لما رأى عليه من الحرير وخاتم الذهب ، فقال له المدي : إن السلطان ووزيره نظام الملك يلبسان الحرير والذهب ، قال القاضي الشافعي : والله لو شها عندى على باقة بقلة ما قبلتهما ، ولرددت شهادتهما . وشهد عنده مرة فقيه فاضل من أهل منعبه فلم يقبله ، فقال : لأى شيء ترد شهادتي وهي جائزة عند كل حاكم إلا أنت ؟ قال له : لا أقبل لك شهادة ، فإني رأيتك تنفصل في الحمام مريئاً غير مستور المورة ، فلا أقبلك . توفي يوم الثلاثاء طاهر شعبان من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة ، ودفن بالقرب من ابن شريح .

﴿ أبو عبد الله الحميدي ﴾

محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد ، الأندلسي ، من جزيرة يقال لها برقة قريبة من الأندلس ، قدم بغداد فسمع بها الحديث ، وكان حافظاً مكثراً أديباً ماهرًا ، عفيفاً نزهاً ، وهو صاحب الجمع بين الصحيحين ، وله غير ذلك من المصنفات ، وقد كتب مصنفات ابن حزم والخطيب ، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي الحجة ، وقد جاوز التسعين ، وقبره قريب من قبر بشر الحافي ببغداد .

﴿ هبة الله ابن الشيخ أبي الوفاء بن عقيل ﴾

كان قد حفظ القرآن وتفقه وظهر منه نجابة ، ثم مرض فأفق عليه أبوه أموالاً جزيلة فلم يند شيئا فقال له ابنه ذات يوم : يا أبت إنك قد أكثرت الأدوية والأدعية ، والله في اختيار فدهني واختيار الله في ، قال أبوه : فعلت أنه لم يوفق لهذا الكلام إلا وقد اختير المحظوظ والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة ﴾

قال ابن الجوزي في المنتظم : في هذه السنة حكم جهلة المنجمين أنه سيكون في هذه السنة طوفان قريب من طوفان نوح ، وشاع الكلام بذلك بين العوام وخافوا ، فاستدعى الخليفة المستظهر ابن عشبون المنجم فسأله عن هذا الكلام فقال : إن طوفان نوح كان في زمن اجتمع في بحر الحوت الطوالع السبعة ، والآن قد اجتمع فيه ستة ولم يجتمع معها زحل ، فلا بد من وقوع طوفان في بعض البلاد ، والأقرب أنها ببغداد . فتقدم الخليفة إلى وزيره بإصلاح المسيلات والمواضع التي يخشى انفجار الماء منها ، وجعل الناس ينتظرون ، فجاء الخبر بأن الحاجج حصلوا بوادي المنقرب بعد نضجة فأقام سيل عظيم ، فأنجا منهم إلا من تعلق برؤس الجبال ، وأخذ الماء الجبال والرجال والرحال ، فغلب الخليفة على ذلك المنجم وأجرى له جارية . وفيها ملك الأمير قوام الدولة أبو سعيد كرتوتا مدينة الموصل ، وقتل شرف الدولة محمد بن مسلم بن قريش ، وغرقه بعد حصار تسعة أشهر . وفيها ملك تميم بن المعز الغرقي مدينة قابس وأخرج منها أخاه عمر ، فقال خطيب موصلة في ذلك آياتاً .

ضحك الزمان وكان يلقي عابساً • لما فتحت بحد سيفك قابساً
وأثمتها بكراً وما أمهرتها • إلا قنا وصوارما وفوارساً
الله يعلم ما جنيت نمارها • إلا وكان أبوك قبلاً غارساً
من كان في زرق الأستخاطباً • كانت له قلل البلاد مراراً

وفي صفر منها درس الشيخ أبو عبد الله الطبري بالنظامية ، وولاه إياها نضر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق . وفيها أغارت خلفaje على بلاد سيف الدولة صدقة بن مزيد بن منصور بن ديبس وقصدوا شهد الحسين بالحر ، وتظاهروا فيه بالنكرات والفساد ، فكبسهم فيه الأمير صدقة المذكور ،

قتل منهم خلقا كثيرا عند الضريح . ومن العجائب أن أحدهم ألقى نفسه وفرسه من فوق السور فلم وصلت فرسه . وحج بالناس الأمير خمارتكين الحسناقي .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله ﴾

أخو أبي حكيم الخوري ، وخير : إحدى بلاد فارس ، سمع الحديث وثقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وكانت له معرفة بالرفايع والأدب واللغة ، وله مصنفات ، وكان مرضى الطريقة ، وكان يكتب المصاحف بالأجرة ، فبينما هو ذات يوم يكتب وضع القلم من يده واستند وقال : والله لئن كان هذا موتا إنه لطيب ، ثم مات .

﴿ عبد المحسن بن علي بن أحمد الشننجي ﴾

التاجر ، ويعرف بابن شهداء مكة ، بغدادي ، سمع الحديث الكثير ، ورحل وأكثر عن الخطيب وهو بصور ، وهو الذي ساهل إلى العراق ، فلما أهدى إليه الخطيب تاريخ بغداد بخطه ، وقد روى عنه في مصنفااته ، وكان يسميه عبدا لله ، وكان ثقة .

﴿ عبد الملك بن إبراهيم ﴾

ابن أحمد أبو الفضل المعروف بالهمداني ، ثقة على الملوذي ، وكانت له يدلولى في العلوم الشرعية والحساب وغير ذلك ، وكان يحفظ فريب الحديث لأبي عبيد والجمل لابن فارس ، وكان عفيفا زاهدا ، طلبه المعتزدي ليؤليه فاضى القضية فأبى أشد الأباء ، واعتزله بالمعز وعلمو السن ، وكان غريفا لطيفا ، كان يقول : كان أبي إذا أراد أن يؤدبني أخذ المصايبه ثم يقول : توبت أن أشرب ولقي تأديبا كما أمر الله ، ثم يفربنى . قال : وإلى أن ينوى ويشتم التوبة كنت أهرب . توفى في رجب منها ودفن عند قبر ابن شريح . ﴿ محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور ﴾

أبو بكر الباق ، ويعرف بابن الحاضرة ، كان مروفاً بالأفاد وجودة القراءة وحسن الخط ومهمة النقل ، جمع بين علم القراءات والحديث ، وأكثر عن الخطيب وأصحابه الخلفاء . قال : لما فرقت بغداد فرقت دارى وكنتى فلم يبق لى شئ ، فاحتجت إلى النسخ فكسبت صحيح مسلم فى تلك السنة سبع مرات ، فثبت فرايت ذات ليلة كأن القيامة قد قامت وقال يقول أين ابن الحاضرة ؟ فبحث فأدخلت الجنة فلما دخلتها استلقيت على قفلى ووضعت إحدى رجلى على الأخرى وقلت : استرح من النسخ ، ثم استيقظت والقلم فى يدى والنسخ بين يدى .

﴿ أبو المظفر السمعاني ﴾

منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد ، أبو المظفر السمعاني ، الحافظ ، من أهل مرو ، ثقة أولا على أبيه فى منزهة أبي حنيفة ، ثم انتقل إلى منزهة الشافعي فأنحس عن أبي إسحاق وابن

الصباغ ، وكانت له يد طول في فنون كثيرة ، وصنف التفسير وكتاب الانتصار في الحديث ،
والبرهان والقواطع في أصول الفقه ، والاصطلاح وغير ذلك ، ووعظ في مدينة نيسابور ، وكان يقول :
ما حفظت شيئا فستيتي ، وسئل عن أخبار الصفات فقال : عليكم بدين المجاز وصبيان الكتائب ،
وسئل عن الاستواء قال :

جثنائي لتطأ سر سعدى • تجدائي بسر سعدى شجيحا

إن سعدى لنية المثنى • جئت عفة ووجها صبيحا

توفي في ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن في مقبرة مروحة الله تعالى وإياها آمين .

﴿ ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة من الهجرة ﴾

فيها كان ابتداء ملك الخوارزمية ، وذلك أن السلطان بركيارق ملك فيها بلاد خراسان بعد
مقتل عمه أرسلان أرغون بن ألب أرسلان وسلمها إلى أخيه المعروف بالملك سنجر ، وجعل إناكبة
الأمير قاج ، ووزيره أبو الفتح علي بن الحسين الطغرثي ، واستعمل على خراسان الأمير جشبي بن
البرشاق ، فولى مدينة خوارزم شالبا يقال له محمد بن أنوشبتيكين ، وكان أبوه من أمراء السلاجقة ،
ونشأ هو في أدب وفضيلة وحسن سيرة ، ولما ولي مدينة خوارزم لقب خوارزم شاه ، وكان أول
ملوكهم ، فأحسن السيرة وطامل الناس بالجميل ، وكذلك ولده من بعده اثنتان جري على سيرة أبيه ،
وأظهر العدل ، فحفظ عند السلطان سنجر وأحبه الناس ، وارتفعت منزلته . وفيها خطب الملك رضوان
ابن ناج الملك تتش للخليفة الفاطمي المستمل ، وفي شوال قتل رجل باطني عند باب النووي كان قد
شهد عليه عدلان أحدهما ابن عقيل أنه دعاها إلى مذهبه فجعل يقول آتقونني وأنا أقول لا إله إلا
الله ؟ فقال ابن عقيل قال الله تعالى (فصارأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) الآية وما بعدها ،
وفي رمضان منها قتل برشواحد أكبر الأمراء وكان أول من تولى شحنة بغداد . وحج بالناس
فيها خمارتكيين الحسنائي ، وفي يوم طشوراء كبست دار بهاء الدولة أبو نصر بن جلال الدولة أبي طاهر
ابن بويه لأموه ثبنت عليه عند القاضي فأريق دمه ونقضت داره وحمل مكانها مسجدان للحنفية
والشافعية ، وقد كان السلطان ملكشاه قد أقطعه المداين وديرا قول وغيرهما .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن الحسن ﴾

ابن علي بن زكريا بن دينار ، أبو يعلب العبدي البصري ، ويعرف بابن الصواف ، ولد سنة
أربعمائة ، وسمع الحديث ، وكان زاهدا متصوفا ، وفقها مدرسا ، ذا حمت وثار ، وسكينة ودين ، وكان
علامة في عشرة علوم ، توفي في رمضان منها من تسعين سنة رحمه الله .

﴿المعمرين محمد﴾

ابن المعمر بن أحمد بن محمد، أبو الغنائم الحسيني، مع الحديث، وكان حسن الصورة كريم الأخلاق كثير التبعة، لا يعرف أنه آذى مسلماً ولا شتم صاحباً. توفي عن نيف وستين سنة، وكان شقيقاً لثنتين وثلاثين سنة، وكان من سادات قریش، وتولى بعده ولده أبو الفتح حيدرة، ولقب بالرضى ذي الفخرين، ورواه الشراء بأبيات ذكرها ابن الجوزي.

﴿يحيى بن أحمد بن محمد بن علي البستي﴾

مع الحديث ورحل فيه، وكان ثقة صالحاً صدوقاً أديباً، عمر مائة سنة وثماني عشرة سنة وثلاثة أشهر، وهو مع ذلك صحيح الخواس، قرأ عليه القرآن والحديث، رحمه الله وإيانا آمين.

﴿ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة﴾

في جمادى الأولى منها ملك الأفرنج مدينة إنطاكية بعد حصار شديد، بموافاة بعض المستنفلين على بعض الأبراج، وهرب صاحبها بإفيسيان في فريسير، وترك بها أهله وماله، ثم إنه ندم في أثناء العار بقى ندماً شديداً على ما فعل، بحيث إنه غشى عليه وسقط عن فرسه، فذهب أصحابه وتركوه فجاء راعي غنم قطع رأسه وذهب به إلى ملك الأفرنج، ولما بلغ الخبر إلى الأمير كربوقا صاحب الموصل جمع مائة كثريرة، واجتمع عليه دقاق صاحب دمشق ووجنح القوالة صاحب حمص وغيرهما، وسار إلى الأفرنج فالتقوا معهم بأرض إنطاكية فهزمهم الأفرنج وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأخذوا منهم أموالاً جزيلة، فأنفذ الله وإنا إليه راجعون. ثم سارت الأفرنج إلى مرة النعمان فأخذوها بعد حصار فلا حول ولا قوة إلا بالله. ولما بلغ هذا الأمر الفظيع إلى الملك بركيارق شق عليه ذلك وكتب إلى الأمراء ببغداد أن يتجهزوا هم والوزير ابن جبير، لقتال الأفرنج، فبرز بعض الجيش إلى ظاهر البلد بالجانب الغربي ثم انفضحت هذه العزيمة لأنهم بلغتهم أن الأفرنج في ألف ألف مقاتل فلا حول ولا قوة إلا بالله. وحج بالناس فيها خوارتكين.

﴿ومن توفي فيها من الأعيان طراد بن محمد بن علي﴾

ابن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عباس، أبو الفوارس بن أبي الحسن بن أبي القاسم بن أبي تمام، من ولد زيد بن بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، وهي أمولده عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن عبد الله بن عباس، مع الحديث الكثير، والكتب الكبير، وفرد بالرواية عن جماعة، ورحل إليه من الأتقي وأسلى الحديث في بلدان شتى، وكان يحضر مجلسه العلماء والسادات وحضر أبو عبد الله الدامغانى مجلسه، وبأشر قهابة الطالبيين مدة طويلة، وتوفي عن نيف وتسعين سنة، ودفن

في مقابر الشهداء رحمه الله ﴿المظفر أبو الفتح ابن رئيس الرؤساء أبي القاسم﴾
ابن المسلة كانت داره مجماً لأهل العلم والدين والأدب ، وبها توفي الشيخ أبو إسحاق
الشيرازي ، ودفن عند الشيخ أبي إسحاق في تربته .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة ﴾ - وفيها أختت الفرنج بيت المقدس
لما كان ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة ، أختت الفرنج
لنهم الله بيت المقدس شرفه الله ، وكاتوا في نحو ألف ألف مقاتل ، وقتلوا في وسطه أزيد من ستين
ألف قتيل من المسلمين ، وجاسوا خلال الديار ، وتبروا ما علوا تتبيرا . قال ابن الجوزي : وأخذوا
من حول الصخرة اثنين وأربعين قنديلا من فضة ، زنة كل واحد منها ثلاثة آلاف وسبعمائة درهم ،
وأخذوا تنوراً من فضة زنته أربعون رطلا بالشام ، وثلاثة وعشرين قنديلا من ذهب ، وذهب
الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق ، مستغيثين على الفرنج إلى الخليفة والسلطان ، منهم
القاضي أبو سعد الهروي ، فلما سمع الناس ببغداد هذا الأمر القطيع هالهم ذلك وتباكوا ، وقد نظم أبو
سعد الهروي كلاماً قرئ في الديوان على المنابر ، فارتفع بكاء الناس ، ونشب الخليفة الفقهاء إلى الخروج
إلى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد ، فخرج ابن عقيل وغير واحد من أعيان الفقهاء فساروا في
الناس فلم ينفذ ذلك شيئاً ، فافقه وإنا إليه راجعون ، قال في ذلك أبو المظفر الأبيوردي شراً :

مزجنا دماً بالدموع السواجم • فلم يبق منا عرضة للراجم
وشر سلاح المرء جمع برقه • إذا الحرب شبت نارها بالصوامر
فأبها بقى الإسلام إن وراءكم • وقائم يلحقن القدرى بالناسم
وكيف تنام العين ملء جفونها • على حفوات أيقظت كل نائم
وإخوانكم بالشام يضحى مقيلم • ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم • فميرون ذيل انفضض فعل المسالم

ومنها قوله :

وبين اختلاس العطن والضرب وقته • تظل لها الولدان شيب التوادم
وتلك حروب من يتب عن غارها • ليسلم يقرع بعدها سن نادم
سَلَكْنَ بأيدي المشركين قواضيا • ستغد منهم في السكلى والجلجم
يكاد لمن المستجير بطيبة • ينادى بأعلا الصوت يا آل هاشم
أرى أمي لا يشرعون إلى العدا • رماحهم والدين واهي الصائم
ويجتنبون النار خوفاً من الردى • ولا يصحبون المار ضربة لازم

أرضى صناديد الأعراب بالأذى * وينضى على ذل كآلة الأعاجم
فليتيمو إذ لم ينودوا حمية * عن الدين ضنوا غيره بالحارم
وإن زهدوا في الأجر إذ حس الوضي * فهلا أتوه رغبة في المنام

وفيها كان ابتداء أمر السلطان محمد بن ملكشاه ، وهو أخو السلطان سنجر لأبيه وأمه ، واستفحل إلى أن خطب له بغداد في ذى الحجة من هذه السنة . وفيها سار إلى الرى فوجد زبيدة خاتون أم أخيه بركيارق فأمر بخنقها ، وكان عمرها إذ ذاك ثنتين وأربعين سنة ، في ذى الحجة منها وكانت له مع بركيارق خمس وقعات هائلة . وفيها غلت الأسعار جدا ببغداد ، حتى مات كثير من الناس جوعا ، وأصابهم وباء شديد حتى عجزوا عن دفن الموتى من كثرتهم .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ السلطان إبراهيم بن السلطان محمود ﴾

ابن مسعود بن السلطان محمود بن سبكتكين ، صاحب غزنة وأطراف الهند ، وعدا ذلك ، كانت له حرمة وأبهة عظيمة ، وهيبة وأفرة جدا ، حكى الكيا الهراس حين بشه السلطان بركيارق في رسالته إليه عما شاهدته عنده من أمور السلطنة في ملبسه وجمسه ، وما رأى عنده من الأموال والسعادة الدنيوية ، قال : رأيت شيئا عجيباً ، وقد وعظ به حديث « لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا » فيكى . قال : وكان لا يبنى لنفسه منزلاً إلا بنى قبله مسجداً أو مدرسة أورياطاً . توفى في رجب منها وقد جاوز التسعين ، وكانت مدة ملكه منها ثنتين وأربعين سنة .

﴿ عبد الباقي بن يوسف ﴾

ابن علي بن صالح ، أبو تراب البرامى ، ولد سنة إحدى وأربعمائة وعقعه حل أبي الطيب الطبرى وصمم الحديث عليه وعلى غيره ، ثم أقام بفسابور ، وكان يحفظ شيئا كثيرا من الحكايات والملح ، وكان صبوراً متقللاً من الدنيا ، على طريقة السلف ، جاءه منشور بقضاء همدان فقال : أنا منتظر منشوراً من الله عز وجل ، على يدى ملك الموت بالتعمود عليه ، والله جلوس ساعة في هذه المسلة على راحة القلب أحب إلى من ملك المراقين ، وتعلم مسألة لطالب أحب إلى مما على الأرض من شيء ، والله لا أفصح قلب يلقى بالدنيا وأهلها ، وإعمالهم دليل ، فمن لم يله علمه على الزهد في الدنيا وأهلها لم يحصل على طائل من العلم ، ولوعلم ما علم ، فأما ذلك ظاهراً من العلم ، والعلم النافع وراء ذلك ، والله لو قطعت يدى ورجلى وقلمت عيني أحب إلى من ولاية فيها انقطاع عن الله والدار الآخرة ، وما هو شبيب فوز المتقين ، وسعادة المؤمنين . توفى رحمه الله في ذى القعدة من هذه السنة عن ثلاث وتسعين سنة رحمه الله آمين .

﴿ أبو القاسم ابن إمام الحرمين ﴾

قتله بعض الباطنية بفسابور رحمه الله ورحم أباه .

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة﴾

في صفر منها دخل السلطان بركيارق إلى بغداد، ونزل بدار الملك، وأعيست له الخطبة، وقطعت خطبة أخيه محمد، وبث إليه الخليفة هدية هائلة، وفرح به العوام والنساء، ولكنه في ضيق من أمر أخيه محمد، لأقبال الدولة عليه، واجتماعهم إليه، وقلة ما معه من الأموال، ومطالبة الجند له بأرزاقهم، فزم على مصادرة الوزير ابن جبير، فالتجأ إلى الخليفة فتمه من ذلك، ثم اتفق الحال على المصالحة عنه بمائة ألف وستين ألف دينار، ثم سار فالتقى هو وأخوه محمد بمكان قريب من همدان فهزمه أخوه محمد ونجاهو بنفسه في خمسين فارساً، وقتل في هذه الرقعة سعد الدولة جوهر آيين الخادم، وكان قديم الهجرة في الدولة، وقد ولي شحنة بغداد، وكان حلياً حسن السيرة، لم يتمد ظم أحد ولم ير خادماً ما رأى، من الحشمة والحزمة وكثرة الخدم، وقد كان يكثر الصلاة بالليل، ولا يجلس إلا على وضوء، ولم يمرض مدة حياته ولم يصدع قط، ولما جرى ما جرى في هذه الرقعة ضعف أمر السلطان بركيارق، ثم تراجع إليه جيشه وانضاف إليه الأمير داود في عشرين ألفاً، فالتقى هو وأخوه مع أخيه سنجر فهزمهم سنجر أيضاً وهرب في شرذمة قليلة، وأسر الأمير داود فقتله الأمير برفش أحد أمراء سنجر، فضعف بركيارق وتفرقت عنه رجاله، وقطعت خطبته من بغداد في رابع عشر رجب وأعيست خطبة السلطان محمد. وفي رمضان منها قبض على الوزير عيسد الدولة بن جبير، وعلى أخويه زعيم الرؤساء أبي القاسم، وأبي البركات الملقب بالكافي، وأخذت منهم أموال كثيرة، وحبس بدار الخلافة حتى مات في شوال منها. وفي ليلة السابع والعشرين منه قتل الأمير بلكبابك سرمرز رئيس شحنة أصفهان، ضربه باطلي بسكين في خصره وقد كان يتحرز منهم كثيراً، وكان يدبر نعت يمايه سوى هذه الليلة، ومات من أولاده في هذه الليلة جماعة، خرج من داره خمس جناز من صبيحتها. وفيها أقبل ملك الفرنج في ثلاثمائة ألف مقاتل فالتقى معه ستكين ابن انشمند طايلو، إنابك دمشق الذي يقال له أمين الدولة، واقف الأمينية بدمشق وبيصرى، لا التي ببلبك، فهزم الأفرنج وقتل منهم خلقاً كثيراً، بحيث لم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف، وأكثرهم جرحى - يعني الثلاثة آلاف - وذلك في ذي القعدة منها، ولحقهم إلى ملطية فلكها وأسر ملكها وقه الحمد. وحج بالناس الأمير التوتناش التركي وكان شافى المنعب.

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿عبد الرزاق الفرزوي الصوفي﴾

شيخ رباط عتلب، حج مرات على التجريد، مات وله نحو مائة سنة، ولم يترك كتباً، وقد قالت له امرأته لما احتضر: منفضح اليوم. قال: لم؟ قالت له: لأنه لا يوجد لك كفن، فقال لها: لو تركت كتبنا لفضحت، وعكسه أبو الحسن البسطامي شيخ رباط ابن الحلبان، كان لا يلبس إلا الصوف

شتاء وصيفاء ، ويظهر الزهد ، وحين توفي وجد له أربعة آلاف دينار مدفونة ، فتمسج الناس من حالهما فرحم الله الأول وسامح الثاني .

﴿ الوزير عبيد الدولة بن جبير ﴾

محمد بن أبي نصر بن محمد بن جبير الوزير ، أبو منصور ، كان أحد رؤساء الوزراء ، خدم ثلاثة من الخلفاء ، وزر لاثنتين منهم ، وكان حليفاً قليل المجلة ، غير أنه كان يشكلم فيه بسبب الكبر ، وقد ولى الوزارة مرات ، يزل ثم يمد ، ثم كان آخرها هذه المرة حبس بدار الخلافة فلم يخرج من السجن إلا ميتاً ، في شوال منها .

﴿ ابن جزلة الطيب ﴾

يحيى بن عيسى بن جزلة صاحب المنهاج في الطب ، كان نصرانياً ثم كان يتردد إلى الشيخ أبي علي بن الوليد المغربي يشتغل عليه في المنطق ، وكان أبو علي يدعو إلى الإسلام ويوضح له الدلالات حتى أسلم وحسن إسلامه ، واستخلفه اللهاماني في كتب السجلات ، ثم كان يطلب الناس بعد ذلك بلا أجر ، وربما ركب لهم الأدوية من ماله تبرأ ، وقد أوصى بكتبه أن تكون وقفاً يشهد أبي حنيفة رحمه الله وإياها آمين ،

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة ﴾

فيها عظم الخطب بأصهبان ونواحيها بالباطنية قتل السلطان منهم خلقاً كثيراً ، وأبيحت ديورم وأموالهم للامة ، ونودي فيهم إن كل من قدرتم عليه منهم فاقتلوه وخذوا ماله ، وكانوا قد استحوذوا على قلاع كثيرة ، وأول قلعة ملكوها في سنة ثلاث وعشرين ، وكان الذي ملكها الحسن بن صباح ، أحد دعاتهم ، وكان قد دخل مصر وتعلم من الزنادقة الذين بها ، ثم صار إلى تلك النواحي ببلاد أصهبان ، وكان لا يدعو إليه من الناس إلا غيباً جاهلاً ، لا يعرف بينه من شمله ، ثم يطعمه السل بالجوز والشونيز ، حتى يحرق مزاجه ويضد دماغه ، ثم يذكر له أشياء من أخبار أهل البيت ، ويكنب له من أقاويل المرافضة الضلال ، أنهم ظلموا ومنعوا حقهم الذي أوجب الله لهم ورسوله ، ثم يقول له فإذا كانت الخوارج تهمل بنى أمية لعلى ، فأنت أحق أن تقاتل في نصرته إمامك علي بن أبي طالب ، ولا يزال يسقيه السل وأمثاله ويرقيه حتى يستجيب له ويصير أطوع له من أمه وأبيه ، ويظهر له أشياء من الحرقرة والتبرئيات والحيل التي لا تروج إلا على الجهال ، حتى التفت عليه بشر كثير ، وجم غفير ، وقد بعث إليه السلطان ملكشاه يتهده وينهاه عن ذلك ، وبعث إليه بتلوى العلماء ، فلما قرأ الكتاب بحضرة الرسول قال لمن حوله من الشباب : إني أريد أن أرسل منكم رسولا إلى مولاه ، فشرأبت وجوه الحاضرين ، ثم قال لشاب منهم : أقتل نفسك ، فأخرج سكيناً

فضرب بها غلصته فسقط ميتا ، وقال لا آخر منهم : ألقى فضك من هذا الموضع ، فرمى نفسه من رأس القلعة إلى أسفل خندقها فتقطع . ثم قال لرسول السلطان : هذا الجواب . فنها امتنع السلطان من مراسلته . هكذا ذكره ابن الجوزي ، وسيأتي ما جرى للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس وما جرى له مع ستان صاحب الايوان مثل هذا إن شاء الله تعالى .

[وفي شهر رمضان أمر الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وأن لا يُبيض وأن يصل فيه التراويح وأن يجهر بالبسملة ، وأن يمنع النساء من الخروج ليلا للفرجة . وفي أول هذه السنة دخل السلطان بركيارق إلى بغداد فغلب له بها ثم لحقه أخواه محمد وسنجر فدخلوها وهو مريض فميرا في الجانب الغربي قطعت خطبته وخطب لها بها ، وهرب بركيارق إلى واسط ، ونهب جيشه ما اجتازوا به من البلاد والأراضي ، قتل بعض العلماء عن ذلك ووعظه فلم يقد شيئا . وفي هذه السنة ملكت الفرنج قلاعاً كثيرة منها : قيسارية وسروج ، وسار ملك الفرنج كندر - وهو الذي أخذ بيت المقدس - إلى عكا فحاصرها فجاءه سهم في عنقه فمات من فوره لسه الله .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن عبد الواحد بن الصباح ، أبو منصور ، سمع الحديث وتفق على القاضى أبي الطيب الطبرى ثم على ابن عمه أبي نصر بن الصباح ، وكان فيها فاضلا كثير الصلاة يصوم الدهر ، وقدولى القضاء بربع الكرخ والحسبة بالجانب الغربي .

﴿ عبد الله بن الحسن ﴾

ابن أبي منصور أبو محمد الطيسى ، رحل إلى الأفاق وجمع وصنف ، وكان أحد الحفاظ المكثرين ثقة صدوقا طابا بالحديث ورعا حسن الخلق .

﴿ عبد الرحمن بن أحمد ﴾

ابن محمد أبو محمد الرزاز السرخسى ، نزل مرو وسمع الحديث وأملى ورحل إليه العلماء ، وكان حافظا لمنهج الشافعى متدينا ورعا ، رحمه الله .

﴿ عزيز بن عبد الملك ﴾

منصور أبو المالى الجلبى القاضى الملقب سيد له ، كان شافعى فى الفروع أشرفيا فى الأصول ، وكان حاكما يباب الأزعج ، وكان بينه وبين أهل باب الأزعج من الخنابلة شتآن كبير ، سمع رجلا ينادى على حماره ضائع فقال : يدخل باب الأزعج ويأخذ بيد من شاء . وقال يوما لفتيق طراد الزينى : لو حلف إنسان أنه لا يرى إنسانا فرأى أهل باب الأزعج لم يثبت . فقال له الشريف : من يكثر قوماً أربعين يوماً فهو منهم . ولهذا لما مات فرحوا بموته كثيرا .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن عبد الباقي بن الحسن بن محمد بن طوق ، أبو الفضائل الربيعي الموصلي ، فقهه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وسمع من القاضي أبي الطيب الطبري ، وكان فقه صالحا كتب الكثير .

﴿ محمد بن الحسن ﴾

أبو عبد الله المرادي ، نزل أوان وكان مقرئا فقيها صالحا ، له كرامات ومكاشفات ، أخذ عن القاضي أبي يعلى بن الفراء الحديث وغيره . قال ابن الجوزي : بلغني أن ابنا له صغيرا طلب منه غزالا وألح عليه ، فقال له : يا بني غدا يأتيك غزال . فلما كان الغد أتت غزال فصاروت تتلحح الباب بقرنها حتى فتحت ، فقال له أبوه : يا بني أتتلك الغزال .

﴿ محمد بن علي بن عبيد الله ﴾

ابن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان ، أبو نصر الموصلي القاضي ، قدم بغداد سنة ثلث وتسعين ، وحدث عن عمه بالأربعين الودعانية ، وقد سرقها عمه أبو الفتح بن ودعان من زيد بن رفاعه الهاشمي ، فركب لها أسانيد إلى من بعد زيد بن رفاعه ، وهي موضوعة كلها ، وإن كان في بعضها معاني صحيحة والله أعلم .

﴿ محمد بن منصور ﴾

أبو سعد المستوفي شرف الملك الخوارزمي ، جليل القدر ، وكان متعبا لأصحاب أبي حنيفة ، ووقف لهم مدرسة بمر ، ووقف فيها كتب كثيرة ، وبنى مدرسة ببغداد عند باب الطاق ، وبنى القبة على قبر أبي حنيفة ، وبنى أربعة في المغلوز ، وعمل خيرا كثيرا ، وكان من آكل الناس ما كلاً ومشربا ، وأحسنهم ملبسا ، وأكثرهم مالا ، ثم نزل العمالة بمدحنا كله ، وأقبل على العبادة والاشتغال بنفسه إلى أن مات .

﴿ محمد بن منصور القسري ﴾

المعروف بمسند خراسان ، قدم بغداد أيام طغرل بك وحدث عن أبي حفص عمر بن أحمد بن مسرور ، وكان كثير الرغبة في الخير ، وقف بمر ومدرسة على أبي بكر بن أبي المغفر السعدي وورثته . قال ابن الجوزي : فهم يتولونها إلى الآن ، وبنى ببنيسابور مدرسة ، وفيها تربته . وكانت وفاته في شوال من هذه السنة .

﴿ نصر بن أحمد ﴾

ابن عبد الله بن البطران الخطابي البزار القاري . ولد سنة ثمان وتسعين وثلاثة ، وسمع الكثير وتفرد عن ابن زرقويه وغيره ، وطال عمره ، ورحل إليه من الآفاق ، وكان صحيح السماع [(١)] .

(١) زيادة من المصرية .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة ﴾

في ثالث المحرم منها قبض على أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالسكا المراسمي ، وعزل عن تدريس النظامية ، وذلك أنه رماه بعضهم عند السلطان بأنه باطنى ، فشهد له جماعة من العلماء - منهم ابن عقيل - ببراءته من ذلك ، وجاءت الرسالة من دار الخلافة يوم الثلاثاء بخلصه . وفيها في يوم الثلاثاء الحادى عشر من المحرم جلس الخليفة المستظهر بدار الخلافة وعلى كتفيه البردة والتعذيب بيده ، وجاء الملكان الأخوان محمد وسنجر أبناء ملكشاه ، قتيلا الأرض وخلع عليهما الخلع السلطانية ، على محمد سيفاً وطوقاً وسوار لؤلؤ وأفراساً من مرا كبه ، وعلى سنجر دون ذلك ، وولى السلطان محمد الملك ، واستنابه في جميع ما يتعلق بأمر الخلافة ، دون ما أعلق عليه الخليفة بابه ، ثم خرج السلطان محمد في تاسع عشر الشهر فأرجف الناس ، وخرج بركيارق فأقبل السلطان محمد فالتقوا وجرت حرب كثيرة وانهمز محمد وجرى عليه مكروه شديد ، كما سيأتى بيانه . وفي رجب منها قبل القاضي أبو الحسن ابن الدائماني شهادة أبي الحسين وأبي حازم ابنى القاضي أبي يعلى ابن الفراء . وفيها قسم عيسى بن عبد الله القنوى فوعظ الناس وكان شافئياً أشعرياً ، فوقعت فتنة بين الحنابلة والأشعرية ببغداد . وفيها وقع حربى عظيم ببغداد ، وحج بالناس حميد العمري صاحب سيف الدولة صدقة بن منصور ابن دبيس ، صاحب الحلة .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أبو القاسم صاحب مصر ﴾

الخليفة الملقب بالمستعلى ، في ذى الحجة منها ، وقام بالأمر بعده ابنه على وله تسع سنين ، ولقب بالأمر بأحكام الله .

﴿ محمد بن هبة الله ﴾

أبو نصر القاضي البندنجى الفريزى الفقيه الشافعى ، أخذ من الشيخ أبي إسحاق ثم جاور بمكة أربعين سنة ، يفتى ويدرس و يروى الحديث ويحج ، ومن شعره قوله :

عندتك نفسى ما تلى بطالتي • وقد مر أصحابي وأهل مودتى

أعلمد ربى ثم أفض عهد • وأترك مزى حين نمرض شهورى

وزادى قليل ما أراه مبلى • أفزاد أبكى أم لبعد مساقى ؟

﴿ ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة ﴾

فيها حاصر السلطان بركيارق أخاه محمداً بأصبهان ، فضاقت على أهلها الأرزاق ، واشتد الفلاء عندهم جداً ، وأخذ السلطان محمد أهلها بالمصادرة والحصار حولهم من خارج البلد ، فاجتمع عليهم الخوف والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، ثم خرج السلطان محمد من أصبهان هارباً

فأرسل أخوه في أثره بملوكه إياهم ، فلم يتمكن من القبض عليه ، ونجا بنفسه سلالا . قال ابن الجوزي : وفي صفر منها زيد في ألقاب قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغانى تاج الاسلام . وفي ربيع الأول قطعت الخطبة للسلطين ببغداد ، واقتص على ذكر الخليفة فيها ، والدعاء له ، ثم التقي الأخوان بركيارق وعمد ، فانهزم محمد أيضا ثم اصطالحا . وفيها ملك دقاق بن تمش صاحب دمشق مدينة الرحبة . وفيها قتل أبو المظفر الخنجندى الواعظ بالرى ، وكان قتيها شافيا مدرسا ، قتله رافضى علوى في الفتنة ، وكان حاله فاضلا ، كان نظام الملك يزوره ويعظمه . وحج بالناس خوارزميين .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن على ﴾

ابن عبد الله بن سوار ، أبو طاهر المقرئ ، صاحب المصنفات في علوم القرآن ، كان ثقة عينا مونا طالما بهذا الشأن ، قد جاوز الثمانين .

﴿ أبو المال ﴾

أحد الصالحاء الزهاد ، ذوى الكرامات والمكاشفات ، وكان كثير العبادة متقللا من الدنيا ، لا يلبس صيفا ولا شتاء إلا قميصا واحدا ، فإذا اشتد البرد وضع على كتفه مئرا ، وذكر أنه أصابته فاقة شديدة في شهر رمضان ، فزم على القهلب إلى بعض الأصحاب ليستقرض منه شيئا ، قال : فيينا أنا أريده إذا بطارق سقط على كتفى ، وقال يا أبا المال أنا الملك الغلالى ، لا تمض إليه فحين تأتيك به ، قال فبكى إلى الرجل . رواه ابن الجوزي في منتظمه من طرق عدة ، كانت وفاته في هذه السنة ، ودفن قريبا من قبر أحمد .

﴿ السيدة بنت القائم بأمر الله ﴾

أمير المؤمنين التى تزوجها طغرل بك ، ودفنت بالرصافة ، وكانت كثيرة الصدقة ، وجلس لزمائها في بيت النبوة الوزير ، والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة ﴾

فيها قصد الفرنج منهم الله الشام فقاتلهم المسلمون فقتلوا من الفرنج اثني عشر ألفا ، ورد الله الذين كفروا بضيظهم لم ينالوا خيرا ، وقد أسرفى هذه الوقعة بردويل صاحب الرها . وفيها سقطت منارة واسط وقد كانت من أحسن المنائر ، كان أهل البلد يفتخرون بها وبقبة الحجاج ، فلما سقطت سمع لأهل البلد بكاء وعويل شديد ، ومع هذا لم يهلك بسببها أحد ، وكان بناؤها في سنة أربع وثلاثمائة في زمن المقتدر . وفيها تأكد الصلح بين الأخوين السلطانيين بركيارق وعمد ، وبعث إليه بالخلع وإلى الأمير إياز . وفيها أخذت مدينة عكا وغيرها من السواحل . وفيها استولى الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور صاحب الحلة على مدينة واسط . وفيها توفى الملك دقاق بن تمش

صاحب دمشق ، فأقام مملكه طنتكين ولما له صغير آ مكانه ، وأخذ البيعة له ، وصار هو أتابكك بدير المملكة مدة بدمشق . وفيها عزل السلطان سنجر وزيره أبا الفتح الطغرائي وفناه إلى غزنة . وفيها ولي أبو نصر نظام الخصريين ديوان الإنشاء ، وفيها قتل الطبيب الماهر الحافق أبو نعيم ، وكانت له إصابات عجيبة . وحج بالناس فيها الأمير خوارتكين .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أزدشير بن منصور ﴾ أبو الحسن المبادئ الواعظ ، هدم أنه قسم بغداد فوعظ بها فأحبته العامة في سنة ست وثمانين وقد كانت له أحوال جيدة فيما يظهر والله أعلم .

﴿ إسماعيل بن محمد ﴾ ابن أحمد بن عثمان ، أبو الفرج القومسائي ، من أهل همدان ، جمع من أبيه وجده . وكان حافظا حسن المعرفة بالرجال وأنواع الفنون ، وأمونا .

﴿ الملا بن الحسن بن وهب ﴾ ابن الموصلا ، سعد الدولة ، كاتب الإنشاء ببغداد ، وكان نصرانياً فأسلم في سنة أربع وثمانين فكش في الرئاسة مدة طويلة ، فموا من خمس وستين سنة ، وكان فصيح العبارة ، كثير الصدقة ، وتوفي عن عمر طويل ﴿ محمد بن أحمد بن عمر ﴾ أبو عمر التهاوندي . قاضي البصرة مدة طويلة ، وكان قهبا ، جمع من أبي الحسن الماوردي وغيره . مولده في سنة سبع ، وقيل تسع ، وأربع مائة والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربع مائة ﴾ فيها توفي السلطان بركيارق وعهد إلى ولده الصغير ملكشاه ، وعمره أربع سنين وشهور ، وخطب له ببغداد ، وثرعند ذكره الهذلي والفرام ، وجعل أتابكك الأمير إياز ولقب بجلال الدولة ، ثم جاء السلطان محمد إلى بغداد ففرج إليه أهل الدولة ليتلقوه وصالحوه ، وكان ألقى أخذ البيعة بالصالح الكيا المراسي ، وخطبه بالجانب الغربي ، ولابن أخيه بالجانب الشرقي ، ثم قتل الأمير إياز وحملت إليه الخلع والدولة والديست ، وحضر الوزير سعد الدولة عند الكيا المراسي ، في درس النظامية ، ليرغب الناس في العلم ، وفي ثامن رجب منها أزيل الفيار عن أهل القبة الذين كانوا ألزموه في سنة أربع وثمانين وأربع مائة ، ولا يعرف ما سبب ذلك . وفيها كانت حروب كثيرة ما بين المصريين والفرنج ، قتلوا من الفرنج خلقا كثيرا ، ثم أديل عليهم الفرنج قتلوا منهم خلقا .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ السلطان بركيارق بن ملكشاه ﴾ ركن الدولة السلجوقي ، جرت له خطوب طويلة وحروب هائلة ، خطبه ببغداد ست مرات ،

ثم تنقطع الخطبة له ثم تماد ، مات وله من العمر أربع وعشرون سنة وشهوراً ، ثم قام من بعده وله ملكشاه ، فلم يتم له الأمر بسبب عمه محمد .

﴿ عيسى بن عبد الله ﴾

القاسم أبو الوليد التزوي الأشرى ، كان منصبا للأشرى ، خرج من بغداد قاصداً بلبله فتوفى بإسفرايين .

﴿ محمد بن أحمد بن إبراهيم ﴾

ابن سلفه الأصهباني ، أبو أحمد ، كان شيخاً عفيفاً ثقة ، سمع الكثير ، وهو والد الحافظ أبي طاهر السلفي الحافظ .

﴿ أبو علي الغليالي الحسين بن محمد ﴾

ابن أحمد الضمالي الأندلسي ، مصنف تقييد المهمل على الألفاظ ، وهو كتاب مفيد كثير النفع وكان حسن الخط طاماً بالغة الشعر والأدب ، وكان يسمع في جامع قرطبة ، توفي ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان ، عن إحدى وسبعين سنة .

﴿ محمد بن علي بن الحسن بن أبي الصقر ﴾

أبو الحسن الواسطي ، سمع الحديث وثقته بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وقرأ الأدب وقال الشعر . من ذلك قوله :

من قال لي جاء ولي حشمة * ولي قبول عند مولانا

ولم يمد ذلك بنفع علي * صديقه لا تكن ما كانا

﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة ﴾

في المحرم منها ادعى رجل النبوة بنواحي تهلوند ، وصحى أربعة من أصحابه بأسماء الخلفاء الأربعة فاتبه على خلافته خلق من الجبلية الرطاع ، وابعوا أملاكهم ودفعوا أثمانها إليه ، وكان كريماً يعطي من قصده ما عنده ، ثم إنه قتل بتلك الناحية . ورام رجل آخر من ولد ألب أرسلان بتلك الناحية الملك فلم يتم أمره ، بل قبض عليه في أقل من شهرين ، وكانوا يقولون ادعى رجل النبوة وآخر الملك ، فما كان بأسرع من زوال دولتهما . وفي رجب منها زادت حجة زيادة عظيمة ، فأثقلت شيئاً كثيراً من الغلات ، وغرقت دور كثيرة ببغداد . وفيها كسر طغتكين أتابك عساكر دمشق الفرنج ، وفيها مؤيداً منصوراً إلى دمشق ، وزيفت البلد زينة عجيبة مليحة ، سروراً بكسره الفرنج . وفيها في رمضان منها حاصر الملك رضوان بن نقش صاحب حلب مدينة نصيبين ، وفيها ورد إلى بغداد ملك من الملوك وصحبته رجل يقال له الفقيه ، فوخط الناس في جامع القصر . وحج بالناس رجل من أقرباء الأمير سيف الدولة صدقة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أبو الفتح الحاكم ﴾

سمع الحديث من البيهقي وغيره ، وعلق عن القاضي حسين طريقه وشكره في ذلك ، وكان قد تفقه أولا على الشيخ أبي علي السنجي ، ثم تفقه وعلق عن إمام الحرمين في الأصول بحضوره ، واستجاده وولى عليه مدة طويلة ، وناظره ، ثم ترك ذلك كله وأقبل على العبادة وتلاوة القرآن . قال ابن خلكان : وبنى للصوفية ديارا من ماله ، ولزم التعميد إلى أن مات في مستهل المحرم من هذه السنة .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن محمد بن علي بن عبد الرزاق ، أبو منصور الحنط ، أحد القراء والصلحاء ، ختم أئمة من الناس ، وسمع الحديث الكثير ، وحين توفي اجتمع العالم في جنازته اجتماعا لم يجتمع لغيره مثله ، ولم يهد له نظير في تلك الأزمان . وكان عمره يوم توفي سبعا وتسعين سنة رحمه الله ، وقد رآه الشعراء ، وراه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل بك ربك ؟ فقال : غفرت لي بتعليمي الصبيان الفاتحة .

﴿ محمد بن عبيد الله بن الحسن ﴾

ابن الحسين ، أبو الفرج البصري قاضيا ، مع أبا الطيب الطبري والماوردي وغيرهما ، ورحل في طلب الحديث ، وكان تابعا خاشعا عند الذكر . ﴿ مهارش بن مجلي ﴾ أمير العرب بمدينة غانة ، وهو ألقى أودع عنده القائم بأمر الله ، حين كانت فتنة البساسيري ، فأكرم الخليفة حين ورد عليه ، ثم جازاه الخليفة الجزاء الأوفى ، وكان الأمير مهارش هذا كثير الصدقة والصلاة ، توفي في هذه السنة عن ثمانين سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة خمسمائة من الهجرة ﴾

قال أبو داود في سننه : حدثنا حجاج بن إبراهيم حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله ﷺ « لن يميز الله هذه الأمة من نصف يوم » . حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المنيرة حدثني صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال : « إني لأرجو أن لا يميز أمتي عند ربها أن يؤخرها نصف يوم . قيل لسعد : ولم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة سنة » . وهذا من دلائل النبوة . وذكر هذه المدة لا يتنى زيادة عليها ، كما هو الواقع ، لأنه عليه السلام ذكر شيئا من أشرط الساعة لا بد من وقوعها كما أخبر سواء بسواء . وسيأتي ذكرها فيما بعد زماننا ، وبالله المستعان .

وعما وقع في هذه السنة من الطواغيت أن السلطان محمد بن ملكشاه حاصر قلاع كثيرة من حصون الباطنية ، فافتتح منها أمّاكن كثيرة ، وقتل خلقا منهم ، منها قلعة حصينة كان أبوه قد بناها بالقرب من أصبهان ، في رأس جبل منيع هناك ، وكان سبب بنائها لها أنه كان مرة في بعض صيوده

فهرب منه كلب فاتبه إلى رأس الجبل فوجده ، وكان معه رجل من رسل الروم ، قال الرومي : لو كان هذا الجبل يبلدنا لا نخذنا عليه قلمة ، فحذا هذا الكلام السلطان إلى أن ابتقى في رأسه قلمة أنفق عليها ألف ألف دينار ، ومائتي ألف دينار ، ثم استحوذ عليها بعد ذلك رجل من الباطنية يقال له أحمد بن عبدالله بن عطاه ، فتمسب المسلمون ببسبها ، فحاصرها ابنه السلطان بعد سنة حتى افتتحها ، وسلخ هذا الرجل وحشى جلده تبنا وقطع رأسه ، وطاف به في الأقاليم ، ثم قضى هذه القلمة حجرا حجرا ، وألقت امرأته نفسها من أعلى القلمة فتلفت ، وهلك ما كان معها من الجواهر النفيسة ، وكان الناس يتشاهمون بهذه القلمة ، يقولون : كان دليلها كلبا ، والمشير بها كافرا ، والمنحصن بها زنديقا . وفيها وقت حروب كثيرة بين بني خنجلة وبين بني عبادة ، قهرت عبادة خنجلة وأخذت بتأريها المنتقم منها . وفيها استحوذ سيف الدولة صدقة على مدينة تكريت بعد قتال كثير . وفيها أرسل السلطان محمد الأمير جاولى سقاوا إلى الموصل وأقطعها إيها ، فذهب فأنزعها من الأمير جكرمش بعد ما قاتله وهزم أصحابه وأسره ، ثم قتله بعد ذلك وقد كان جكرمش من خيار الأمراء سيرة وعدلا وإحسانا ، ثم أقبل قلعج أرسلان بن قلعش فحاصر الموصل فأنزعها من جاولى ، ففصل جاولى إلى الرحبة ، فأخذها ثم أقبل إلى قتال قلعج فكسره وألقى قلعج نفسه في التهر الذي للخابور فهلك . وفيها نشأت حروب بين الروم والفرنج فآقتنوا قتالا عظيما والله الحمد ، وقتل من الفريقين طائفة كبيرة ، ثم كانت الهزيمة على الفرنج والله الحمد رب الملين .

﴿ قتل نعر الملك أبو المظفر ﴾

وفي يوم عاشوراء منها قتل نعر الملك أبو المظفر بن نظام الملك ، وكان أكبر أولاد أبيه ، وهو وزير السلطان سنجر بنيسابور ، وكان صاعما ، قتله باطلي ، وكان قد رأى في تلك الليلة الحسين بن على وهو يقول له : همل إلينا وأطفر عندنا الليلة ، فأصبح متعجبا ، فنوى الصوم ذلك اليوم ، وأشار إليه بعض أصحابه أن لا يخرج ذلك اليوم من المنزل ، فخرج إلى آخر النهار فرأى شابا ينظم وفي يده رقعة فقال : ما شأنك ؟ فتأوله الرقعة فيبتا هو يقرؤها إذ ضربه بمخضجر بيده فقتله ، فأخذ الباطلي فرقع إلى السلطان فقررده فأقر على جماعة من أصحاب الوزير أنهم أسروه بذلك ، وكان كاذبا ، فقتل وقتلوا أيضا . وفي رابع عشر صفر عزل الخليفة الوزير أبا القاسم على بن جهير وخرب داره التي كان قد بناها أبوه ، من خراب بيوت الناس ، فكان في ذلك عبدة وموعظة للقوى البصائر والتهى ، واستنصب في الوزارة القاضي أبو الحسن الدامغانى ، ومعه آخر . وحج بالناس فيها الأمير نركان واسمه اليرن ، من جهة الأمير محمد بن ملكشاه .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿أحمد بن محمد بن المظفر﴾ أبو المظفر الخوافي الشافعي . قال ابن خلكان : كان أفطر أهل زمانه ، تفقه على إمام الحرمين ، وكان أوجه تلامذته ، وقد ولي القضاء بطوس ونواحها ، وكان مشهوراً بحسن المناظرة وإغمام الخصوم . قال والخوافي بفتح الخاء والواو نسبة إلى خواف ، ناحية من نواحي نيسابور .

﴿ جعفر بن أحمد ﴾

ابن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج ، أبو محمد القاري البغدادي ، ولد سنة ست عشرة وأربعمائة ، وقرأ القرآن بالروايات ، وسمع الكثير من الأحاديث النبوية ، من المشايخ والشيخات في بلدان متباينات ، وقد خرج له الحافظ أبو بكر الخطيب أجزاء مسوعاته ، وكان صحيح الثبوت ، جيد اللمح ، أديباً شاعراً ، حسن النظم ، نظم كتاباً في القراءات ، وكتاب التنبية والخرق وغير ذلك ، وله كتاب مصارع المشاق وغير ذلك ، ومن شعره قوله :

قتل الدين مجملهم • أضحوا يمينون المخابر
والحاملين لها من ال • أيدي مجتمع الأساور
لولا المخابر والمقا • لم والصحائف والدفاتر
والحافظون شريعة ال • جبعوث من خير العشار
والتأفلون حديثه عن • كابر ثبت وكابر
لأيت من يشع الضلا • ل عسا كراً تتلوعسا كرا
كل يقول مجمله • والله المظلوم ناصر
معيته أهل الحديث • أولى النهى وأولى البصائر
م حشو جنات النعيم • على الأسرة والمنابر
رقاه أحمد كلهم • من حوضه ريان صادر

وذكره ابن خلكان أشعاراً رائعة منها قوله :

ومنع شرح الشباب وقد • عنه الشيب على وفرة
يخضب بالوشمة عنتونه • يكفيه أن يكن في لحية

﴿ عبد الوهاب بن محمد ﴾

ابن حيد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد الشيرازي الفارسي ، سمع الحديث الكثير ، وفتحه وولاه نظام الملك تدريس النظامية ببغداد ، في سنة ثلاث وثمانين ، فدرس بها مدة ، وكان على الأحاديث ، وكان كثير التصحيح ، روى مرة حديث « صلاة في إثر صلاة كتاب في عليين » . قال :

كتاب في غلس . ثم أخذ يفسر ذلك بأنه أكثر لاضاعتها .

﴿ محمد بن إبراهيم ﴾

ابن عبيد الأسدي الشاعر ، لقي الخنيس التهامي ، وكان مفرغاً بما يمارض شعره ، وقد أعلم باليمن والعراق ثم بالحجاز ثم بخراسان ، ومن شعره :

قلت ثقلت إذ أتيت مرارا * قال ثقلت كللي بالأدي

قلت طولت قال بل تطولت * قلت مزقت قال حبل ودادي

﴿ يوسف بن علي ﴾

أبو القاسم الزينبي القتيبي ، كان من أهل الديانة ، حكى عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي عن القاضي أبي الطيب ، قال : كنا يوماً بجوامع المنصور في حلقة لجاء شاب خراساني فذكر حديث أبي هريرة في المار فقال الشاب : خير مقبول ، فاستلم كلامه حتى سقطت من سقف المسجد حية فهض الناس هاربين وتبعت الحية ذلك الشاب من بينهم ، فقيل له تب تب . فقال : تب ، فنهبت فلا تدري أين ذهبت . رواها ابن الجوزي عن شيخه أبي المعمر الأنصاري عن أبي القاسم هذا والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وخمسةائة من الهجرة ﴾

فيها جدد الخليفة الخلع على وزيره الجديد أبي المعالي حبة الله بن محمد بن المطلب ، وأكرمه وعظمه . وفي ربيع الآخر منها دخل السلطان محمد إلى بغداد فلقاه الوزير والأعيان ، وأحسن إلى أهلها ، ولم يتعرض أحد من جيشه إلى شيء . وقضب السلطان على صدقة بن منصور الأسدي صاحب الحلة وتكرت بسبب أنه آوى رجلاً من أعدائه يقال له أبو دلف سرحن الديلي ، صاحب ساوة ، وبث إليه ليرسله إليه فلم يفعل ، فأرسل إليه جيشاً فبرزوا جيش صدقة . وقد كان جيشه عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل ، وقتل صدقة في المعركة ، وأسر جماعة من رؤس أصحابه وأخفوا من زوجته خمسةائة ألف دينار ، وجواهر نفيسة . قال ابن الجوزي : وظهر في هذه السنة صبية حياء تتكلم على أسرار الناس ، وما في نفوسهم من الضائر والنيات ، ويبلغ الناس في أنواع الخيل عليها ليمدوا حبالها فلم يعلموا . قال ابن عقيل : وأشكل أمرها على العلماء واغواص والعوام ، حتى سألوها عن قشوش الخواتم المقلوبة الصمبية ، وعن أنواع الفصوص وصفات الأشخاص وما في داخل البنادق من المشمع والطين المختلف ، وانطرق وغير ذلك فتخبر به سواء بسواء ، حتى بالغ أحدهم ووضع يده على ذكره وسألها عن ذلك فقالت : يحمله إلى أهله وعياله . وفيها قدم القاضي غفر الملك أبو عبيد على صاحب طرابلس إلى بغداد يستنصر المسلمين على الفرنج ، فأكرمه السلطان غياث الدين محمد إكراماً زائداً ، وخلع عليه وبث معه الجيوش الكثيرة لقتال الفرنج

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ تميم بن المزين باديس ﴾

صاحب إفريقية ، كان من خيار الملوك حكاما ، وإحصاءا ، ملك ستا وأربعين سنة ، وعمر تسعا وتسعين سنة ، وترك من البنين أنهد ، من مائة ، ومن البنات ستين بنتا ، وملك من بعده ولده يحيى ، ومن أحسن ما مدح به الأمير تميم قول الشاعر :

أصح وأعلى ما سمعناه في النداء • من انظر المروى منذ قديم
أحاديث تروىها السيول عن الحيا • عن البحر عن كف الأمير تميم

﴿ صدقة بن منصور ﴾

ابن ديبس بن علي بن مزيد الأسدي ، الأمير سيف الدولة ، صاحب الحلة وتكريت وواسط وغيرها ، كان كريما عفيفا ذا ذمام ، ملجأ لكل خائف يأمن في بلاده ، وتحت جناحه ، وكان يقرأ الكتب المشككة ولا يحسن الكتابة ، وقد اتقن كتباً نفيسة جداً ، وكان لا يتزوج على امرأة قط ، ولا يتسرى على سرية حفظاً للنظام ، ولثلا يكسر قلب أحد ، وقد مدح بأوصاف جميلة كثيرة جداً . قتل في بعض الحروب ، قتله غلام اسمه برغش ، وكان له من المرتسح وخسون سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وخمسة ﴾

في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شعبان تزوج الخليفة المستظهر باللهون بنت ملكشاه أخت السلطان محمد ، على مئذنة مائة ألف دينار ، ونثر الذهب ، وكتب المقد بأصبهان . وفيها كانت الحروب الكثيرة بين الأتابك طغتكين صاحب دمشق وبين الفرنج . وفيها ملك سعيد بن حميد العمري الحلة السيفية . وفيها زادت دجلة زيادة كثيرة ففرقت الفلات فغلت الأسعار بسبب ذلك غلاء شديداً . وحج بالناس الأمير قباذ .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الحسن المولى ﴾

أبو هاشم ابن رئيس همدان ، وكان ذامال جزيلا ، صادره السلطان في بعض الأوقات بسمائة ألف دينار ، فوزنها ولم يبيع فيها عقاراً ولا غيره .

﴿ الحسن بن علي ﴾

أبو الفوارس بن الخازن ، الكاتب المشهور بالخط المنسوب . توفي في ذي الحجة منها . قال ابن خلكان : كتب بيده خمسمائة وخمسة ، مات فجأة .

﴿ الروياني صاحب البحر ﴾

عبد الواحد بن إسماعيل ، أبو الحسن الروياني ، من أهل طبرستان ، أحد أئمة الشافعية ، ولد سنة خمس عشرة وأربعمائة ، ورحل إلى الآفاق حتى بلغ ما وراء النهر ، وحصل علوئاً جمة ، وسمع

الحديث الكثير، وصنف كتاباً في المنهـب، من ذلك البحر في الفروع، وهو حافل كامل شامل للأثرائب وغيرها، وفي المثل «حدث عن البحر ولا حرج» وكان يقول: لو احترقت كتب الشافعي أمليتها من منطى، قتل ظلماً يوم الجمعة، وهو يوم طسوراء في الجامع بظليستان، قتله رجل من أهلها رحمه الله. قال ابن خلكان: أخذ الفقه عن ناصر المروزي وعلق عنه، وكان له رويات الجاه العظيم، والحزمة الوافرة، وقد صنف كتاباً في الأصول والفروع، منها بحر المنهـب، وكتاب مناصيص الامام الشافعي، وكتاب الكافي، وحلية المؤمن، وله كتب في الخلاف أيضاً.

(بجى بن على)

ابن محمد بن الحسن بن بسطام، الشيباني التبريزي، أبو زكريا، أحد أئمة اللغة والنحو، قرأ على أبي العلاء وغيره، ونُفِجَ به جماعة منهم منصور بن الجواليقي. قال ابن ناصر: وكان ثقة في النقل، وله المصنفات الكثيرة. وقال ابن خيرون: لم يكن مرضى الطريقة، توفى في جمادى الآخرة ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ببلد إبرز والله أعلم.

(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسة)

فيها أخذت الفرنج مدينة طرابلس وقتلوا من فيها من الرجال، وسبوا الحريم والأطفال، وغنموا الأمتة والأموال، ثم أخذوا مدينة جبلة بمدحها بمشرب ليل، فلا حول ولا قوة إلا بالله الكبير المتعال. وقد هرب منهم نفر الملك بن عمار، قصد صاحب دمشق طنتكين فأكرمه وأقطعه بلاداً كثيرة. وفيها وثب بعض الباطنية على الوزير أبي نصر بن نظام الملك فجرحه ثم أخذ الباطني فسقى الخمر فأمر على جماعة من الباطنية فأخذوا قتلوا. وحج بالناس الأمير قباذ.

ومن توفى فيها من الأعيان.

(أحمد بن على)

ابن أحمد، أبو بكر المروزي، كان يمسك في قميص الحيطان، ولا ينقش صورة، ولا يأخذ من أحد شيئاً، وكانت له أبلآك يلتفع منها ويتوق، وقد سمع الحديث من القاضي أبي على، وثقة عليه بشيء من الفقه، وكان إذا حج يزور القبور بمكة، فإذا وصل إلى قبر الفضيل بن عياض يخط إلى جانبه خطاً بمصاه ويقول يا رب هبنا. قبل إنه حج في هذه السنة فوقف برفات محرماً فتوفي بها من آخر ذلك اليوم، فقبل وكفن وطيف به حول البيت ثم دفن إلى جانب الفضيل بن عياض في ذلك المكان الذي كان يخطه بمصاه، وبلغ الناس وفاته ببنداد فاجتمعوا للصلاة عليه صلاة الغائب، حتى لومات بين أظهرهم لم يكن عندهم مزيد على ذلك الجمع، رحمه الله.

(عمر بن عبد الكريم)

ابن سفيويه القتيان القهقاني، رحل في طلب الحديث، ودار الدنيا، ونُفِجَ واتُخِبَ، وكان

له قبة في هذا الشأن ، وكان ثقة ، وقد صحح عليه أبو حامد النزالي كتاب الصحيحين . كانت وفاته بمرخص في هذه السنة . ﴿ محمد ويعرف بأخي حماد ﴾

وكان أحد الصلحاء الكبار ، كان به مرض مزمن ، فرأى النبي ﷺ في المنام فعوفى ، فزعم مسجدا له أربعين سنة ، لا يخرج إلا إلى الجمعة ، واقطع عن مخالطة الناس ، كانت وفاته في هذه السنة ، ودفن في زاوية بالقرب من قبر أبي حنيفة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسة ﴾

في أولها تجهز جماعة من البغاددة من الفقهاء وغيرهم ، ومنهم ابن القاغوثي ، للخروج إلى الشام لأجل الجهاد ، وقتال الفرنج ، وذلك حين بلغهم أنهم فتحوا مدائن عديدة ، من ذلك مدينة صيدا في ربيع الأول ، وكذا غيرها من المدائن ، ثم رجع كثير منهم حين بلغهم كثرة الفرنج . وفيها قدمت خاتون بنت ملكشاه زوجة الخليفة إلى بغداد فزلت في دار أخيها السلطان محمد ، ثم حمل جهازها على مائة واثنين وستين رجلا ، وسبعة وعشرين نبلا ، وزينت بغداد قدومها ، وكان دخولها على الخليفة في الليلة العاشرة من رمضان ، وكانت ليلة مشهودة . وفيها درس أبو بكر الشافعي بالنظامية مع الناجية ، وحضر عنده الوزير والأعيان . وحج بالناس قبا ، ولم يتمكن الخراسانيون من الحج من العطش وقلة الماء .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ إدريس بن حمزة ﴾

أبو الحسن الشافعي الرملي المني ، أحد فقهاء المناظرين عن مذهب الشافعي ، ثقة أولا على نصر بن إبراهيم ، ثم ببغداد على أبي إسحاق الشيرازي ، ودخل خراسان حتى وصل إلى ما وراء النهر ، وأقام بمرقند ودرس بمرستها إلى أن توفي في هذه السنة .

﴿ علي بن محمد ﴾

ابن علي بن حماد الدين ، أبو الحسن الطبري ، ويعرف بالكيا المراسي ، أحد الفقهاء الكبار ، من رؤس الشافعية ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، واشتغل على إمام الحرمين ، وكان هو والنزالي أكبر التلامذة ، وقد ولي كل منهما تدريس النظامية ببغداد ، وقد كان أبو الحسن هذا فصيحاً مجورى الصوت جميلاً ، وكان يكر لمن إبليس على كل مراقبة من مراقبي النظامية فيساوور سبع مرات ، وكانت المراقبي سبعين مراقبة ، وقد جمع الحديث الكثير ، وناظر وأفتى ودرس ، وكان من أكابر الفضلاء وصادقات الفقهاء ، وله كتاب يرد فيه على ما انفرد به الإمام أحمد بن حنبل في مجله ، وله غيره من المصنفات ، وقد اتهم في وقت بأنه عمالي الباطنية ، فترفع منه التدريس ثم شهد جماعة من العلماء ببراءته من ذلك منهم ابن عقيل ، فأعيد إليه . توفي في يوم الخميس مستهل محرم من هذه السنة من أربع وخمسين سنة

ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي . وذكر ابن خلكان أنه كان يحفظ الحديث ويناطر به ، وهو القاتل : إذا جالت فرسان الأحاديث في ميادين الكفاح ، طارت رؤس الفاييس في مهاب الرياح ، وحكى الساني عنه أنه استفتى في كنية الحديث هل يدخون في الوصية لقتناه ؟ فأجاب : نعم لقوله عليه السلام « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً بعثه الله طائفاً » . واستفتى في يزيد بن مملوكة فذكر عنه تلاعباً وفسقاً ، وجوز شتمه ، وأما النزالي فإنه خالف في ذلك ، ومنع من شتمه ولمنه ، لأنه مسلم ، ولم يثبت بأنه رضى بقتل الحسين ، ولو ثبت لم يكن ذلك مسوغاً لعنه ، لأن القاتل لا يلحق ، لا سيما وباب التوبة مفتوح ، والقدى يقبل التوبة عن عباده غفور رحيم . قال النزالي : وأما الترحم عليه فجائز ، بل مستحب ، بل نحن نترحم عليه في جملة المسلمين والمؤمنين ، عموماً في الصلوات . ذكره ابن خلكان مبسوطاً بلفظه في ترجمة الكيا هنا ، قال : والكياء كبير القدر مقدم معظم والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسةائة ﴾

فيها بعث السلطان غياث الدين جيشاً كثيراً ، محبة الأمير مودود بن زنكي صاحب الموصل ، في جملة أمراء ونواب ، منهم سكان القطي ، صاحب تبريز ، وأحمد يل صاحب مراغة ، والأمير إيلغازي صاحب مardin ، وعل الجيغ الأمير مودود صاحب الموصل ، لقتال الفرنج بالشام ، فانزحوا من أيدي الفرنج حصوناً كثيرة ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً والله الحمد ، ولما دخلوا دمشق دخل الأمير مودود إلى جامعها ليصلي فيه فجاءه باطنى في زى سائل فطلب منه شيئاً فأعطاه ، فلما اقترب منه ضربه في فؤاده فلت من ساعته ، ووجد رجل أحمى في سطح الجامع ينداد معه سكين مسموم فقيل إنه كان يريد قتل الخليفة . وفيها ولد الخليفة من بنت السلطان ولد فخر بن الملك بلباق والبوقات ، ومات له ولد وهكذا الدنيا فرضى بوفاته وجلس الوزير لهناء والمراء . وفي رمضان عزل الوزير أحمد بن النظم ، وكانت مدة وزارته أربع سنين وإحدى عشر شهراً . وفيها حاصرت الفرنج مدينة صور ، وكانت بأيدي المصريين ، عليها عز الملك الأعز من جهتهم ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، ومنهما منما جيداً ، حتى فنى ما عنده من الشباب والعدد ، فهدم طنتكين صاحب دمشق ، وأرسل إليه السدد والآلات فتوى جأشه وترحات عنه الفرنج في شوال منها . وحج بالناس أمير الجيوش قطز الخادم ، وكانت سنة مخصصة مرخصة .

ومن توفى فيها من الأعيان أبو حامد النزالي .

﴿ محمد بن محمد بن محمد ﴾

أبو حامد النزالي ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، وثقته على إمام الحرمين ، وبرع في علوم كثيرة ، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة ، فكان من أذكى العالم في كل ما يشكلم فيه ، وساد في

شبيبته حتى أنه درس بالنظامية ببغداد ، في سنة أربع وثمانين ، وله أربع وثلاثون سنة ، فحضر عنده
رؤس العلماء ، وكان ممن حضر عنده أبو الخطاب وابن عقيل ، وهما من رؤس الحنابلة ، فمعجبوا
من فصاحته وإطلاعه ، قال ابن الجوزي : وكتبوا كلامه في مصنفاتهم ، ثم إنه خرج عن الدنيا بالكلية
وأقبل على العبادة وأعمال الآخرة ، وكان يرزق من النسخ ، ورحل إلى الشام فأقام بها بمسقى
وبيت المقدس مدة ، وصنف في هذه المدة كتابه إحياء علوم الدين ، وهو كتاب عجيب ، يشتمل
على علوم كثيرة من الشرعيات ، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوف وأعمال القلوب ، لكن فيه
أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات وموضوعات ، كما يوجد في غيره من كتب الفروع التي يستدل
بها على الحلال والحرام ، فالكاتب الموضوع لقائلين والترغيب والترهيب أسهل أمراً من غيره ، وقد
شنع عليه أبو الفرج ابن الجوزي ، ثم ابن الصلاح ، في ذلك تشليماً كثيراً ، وأراد المازري أن يحرق
كتاب إحياء علوم الدين ، وكذلك غيره من المغاربة وقالوا : هذا كتاب إحياء علوم دينه ، وأمادينا
فأحياء علومه كتاب الله وسنة رسوله ، كما قد حكيت ذلك في ترجمته في الطبقات ، وقد زيف ابن شكر
مواضع إحياء علوم الدين ، وبين زيفها في مصنف مفيد ، وقد كان الغزالي يقول : أأمر جزي البضاعة
في الحديث ، ويقال إنه مال في آخر عمره إلى مباح الحديث والتحنط للصحيحين ، وقد صنف ابن
الجوزي كتاباً على الأحياء وسماه علوم الأحياء بأغاليط الأحياء ، قال ابن الجوزي : ثم أئزمه بعض
الوزراء بالنزوح إلى نيسابور فدرس بنظاميتها ، ثم عاد إلى بلده طوس فأقام بها ، وابتقى رباطاً واتخذ
داراً حسنة ، ودرس فيها بستاً أنيقاً ، وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصالح ، وكانت
وفاته في يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ودفن بطوس رحمه الله تعالى ،
وقد سأل بعض أصحابه وهو في السياق فقال : أوصني ، فقال : عليك بالإخلاص ، ولم يزل يكررها
حتى مات رحمه الله .

✽ ثم دخلت سنة ست وخمسة ✽

في جمادى الآخرة منها جلس ابن الطبري مدرساً بالنظامية وعزل عنها الشاشي . وفيها دخل
الشيخ الصالح أحد العباد يوسف بن داود إلى بغداد ، فوعظ الناس ، وكان له القبول التام ، وكان
شافعيًا تفتقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، ثم اشتغل بالعبادة والزهادة ، وكانت له أحوال صالحة ،
جاراه رجل مرة يقال له ابن السقائي مسألة فقال : له أسكت فإني أجد من كلامك رائحة الكفر ، ولما
أن سمعت على غير دين الإسلام ، فاتفق بعد حين أنه خرج ابن السقائي إلى بلاد الروم في حاجة فتنصر
هناك ، فأنقذه ، وإنا إليه راجعون . وقام إليه مرة وهو يخطب الناس ابن أبي بكر الشاشي فقال له : إن
كنت تتكلم على مذهب الأشعري وإلا فاسكت ، فقال : لامتعتما بشيئكما ، فإنا شايين ، ولم يلبثا
من الكهولة . وحج بالناس فيها أمير الجيوش بطر الخادم ، وتاهم عطش .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿صاعد بن منصور﴾

ابن إسماعيل بن صاعد ، أبو العلاء الخطيب النيسابوري ، جمع الحديث الكثير ، وولى الخطابة بعد أبيه والتدريس والتذكير ، وكان أبو المعالي الجويني يثق عليه ، وقد ولى قضاء خوارزم .

﴿محمد بن موسى بن عبد الله﴾

أبو عبد الله البلاساعلى التركى الحنفى ، ويعرف باللاشى ، أورد عنه الحافظ ابن عساكر حديثاً وذكر أنه ولى قضاء بيت المقدس ، فشكروا منه فزل عنها ، ثم ولى قضاء دمشق ، وكان غالباً فى منهج أبى حنيفة ، وهو الذى رتب الاقامة مثنى ، قال إلى أن أزال الله ذلك بدولة الملك صلاح الدين . قال : وكان قد عزم على نصب إمام حنفى بالجامع ، فامتنع أهل دمشق من ذلك ، وامتنعوا من الصلاة خلفه ، وصاروا يجمعهم فى دار الخليل ، وهى التى قبل الجامع مكان المدرسة الامينية ، وما يجاورها وحدها الطرقات الأربعة ، وكان يقول : لو كانت لى الولاية لأخنت من أصحاب الشافعى الجزية ، وكان مبغضاً لأصحاب مالك أيضاً . قال : ولم تكن سيرته فى القضاء محمودة ، وكانت وفاته يوم الجمعة الثالث عشر من جمادى الآخرة منها . قال : وقد شهدت جنازته وأنا صغير فى الجامع .

﴿المعمر بن المعمر﴾

أبو سعد بن أبى عمار الواظع ، كان فصيحاً بليغاً ماجناً ظريفاً ذكياً ، له كلمات فى الوعظ حسنة ورسائل مسوعة مستحسنة ، توفي فى ربيع الأول منها ، ودفن بباب حرب .

﴿أبو على الممرى﴾

كان عابداً زاهداً ، يتقوت بأدق شئ ، ثم عن له أن يشتغل بلم الكيباء . فأخذ إلى دار الخلافة فلم يظهر له خير بعد ذلك . ﴿زعة﴾

أم ولد الخليفة المستظهر بالله ، كانت سوداء محمضة كريمة النفس ، توفيت يوم الجمعة تانى عشر شوال منها . ﴿أبو سعد السماتى﴾

مصنف الأنساب وغيره ، وهو تاج الاسلام عبد الكريم بن محمد بن أبى المظفر المنصور عبد الجبار السماتى ، المروزى ، الفقيه الشافعى ، الحافظ المحدث ، قوام الدين أحد الأئمة المصنفين رحل وجمع الكثير حتى كتب عن أربعة آلاف شيخ ، وصنف التفسير والتاريخ والأنساب والذيل على تاريخ الخطيب البغدادى ، وذكر له ابن خلكان مصنفات عديدة جداً ، منها كتابه الذى جمع فيه ألف حديث عن مائة شيخ ، وتكلم عليها إسناداً ومتناً ، وهو مفيد جداً رحمه الله .

﴿ثم دخلت سنة سبع وخمسة﴾

فيها كانت وقعة عظيمة بين المسلمين والفرنج فى أرض طبرية ، كان فيها ملك دمشق الاتابك

طفنتكين ، ومعه صاحب سنجار وصاحب ماردين ، وصاحب الموصل ، فهزموا الفرنج هزيمة فاضحة ، وقتلوا منهم خاتماً كثيراً ، وغنموا منهم أموالاً جزيلة ، وملكوا تلك النواحي كلها ، والله الحمد والمنة ، ثم رجعوا إلى دمشق فذكر ابن الساعي في تاريخه مقتل الملك مودود صاحب الموصل في هذه السنة ، قال صلى هو الملك طفنتكين يوم الجمعة بالجوامع ، ثم خرجا إلى الصنع ويد كل واحد منهما في يد الآخر فطفر باطني على مودود قتله رحمه الله ، فيقال إن طفنتكين هو الذي ملاً عليه فله أعلم ، وجاء كتاب من الفرنج إلى المسلمين وفيه : إن أمة قتلت حميدها في يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله أن يبيدها . وفيها ملك حاب ألأرسلان بن رضوان بن نقش بمدايه ، وقام بأمر سلطنته لؤلؤ الخادم ، فلم يبق معه سوى الرزم . وفيها فتح المارستان الذي أنشأه كشتكين الخادم ببغداد . وحج بالناس زكي بن برشق .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿إسماعيل بن الحافظ أبي بكر بن الحسين البيهقي﴾
معجم الكثير وتنتل في البلاد ، ودرس بمدينة خوارزم ، وكان فاضلاً من أهل الحديث ، مرضى الطريقة ، وكانت وفاته ببغداد سنة .

﴿شجاع بن أبي شجاع﴾

فارس بن الحسين بن فارس أبو غالب القحلي الحافظ ، معجم الكثير ، وكان فاضلاً في هذا الشأن وشرع في تنسيق تاريخ الخطيب ثم غسله ، وكان يكثر من الاستغفار والتوبة لأنه كتب شعر ابن الخطيب سبع مرات ، توفي في هذا العام عن سبع وسبعين سنة .

﴿محمد بن أحمد﴾

ابن محمد بن أحمد بن إسحاق بن الحسين بن منصور بن معاوية بن محمد بن عثمان بن عتبة بن عيسى بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب ، الأموي أبو المظفر بن أبي العباس الأبيوردي الشاعر ، كان طاماً بالغة والأنساب ، معجم الكثير وصنف تاريخ أبي ورد ، وأنساب العرب ، وله كتاب في المؤتاف والختاف ، وغير ذلك ، وكان ينسب إلى الكير والتية الزائدة ، حتى كان يدهو في صلاته : اللهم ملكني مشارق الأرض ومقاريها ، وكتب مرة إلى الخليفة الخادم الماوي ، فكشط الخليفة الميم فبقت الماوي ، ومن شعره قوله :

تسكروني دهرى ولم يدروني * أحز وأحداث الزمان تهون
وظل بريني الدهر كيف اختاراه * وبت أرويه الصبر كيف يكون

﴿محمد بن طاهر﴾

ابن علي بن أحمد ، أبو الفضل المقدسي الحافظ ، ولد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، وأول سماعه

سنة ستين ، وسافر في طلب الحديث إلى بلاد كثيرة ، وسمع كثيراً ، وكان له معرفة جيدة بهذه الصناعة ، وصنف كتاباً مفيدة ، غير أنه صنف كتاباً في إباحة السماع ، وفي التصوف ، وساق فيه أحاديث منكرة جداً ، وأورد أحاديث صحيحة في غيره وقد أثني على حفظه غير واحد من الأئمة .
 وذكر ابن الجوزي في كتابه هذا القى عليه . « صفة التصوف » وقال عنه يضحك منه من رآه ، قال وكان داوود المذهب ، فن أثني عليه أثني لأجل حفظه للحديث ، وإلا فما يجرح به أولى . قال : وذكره أبو سعد السمعاني واتهمه له بفهر حجة ، بعد أن قال سألت عنه شيخنا إسماعيل بن أحمد الطلمس فأكثر الثناء عليه ، وكان مني الرأي فيه . قال وممننا أبا الفضل ابن ناصر يقول : محمد بن طاهر لا يخرج به ، صنف في جواز النظر إلى المرد ، وكان يذهب مذهب الإباحية ، ثم أورد له من شعره قوله في هذه الآيات .

دع التصوف والزهد الذي اشتغلت * به خوارج أقوام من الناس
 وبعج على دبر داريا فان به الزم * بان ما بين قيس وشام
 واشرب معتقة من كف كافرة * تسقيك خمرين من لحظ ومن كأس
 ثم استمتع رنة الأوتار من رشا * مهنف طرفه أمضى من الماس
 ففى بشر امرئ في الناس مشتهر * مدون عندهم في صدر قرطاس
 فولا لسيم بدا منكم يروحنى * لكنك محترفا من حر أنفلس
 ثم قال السمعاني : لعله قد تاب من هذا كله . قال ابن الجوزي : وهذا غير مرضى أن يذكر جرح الأئمة له ثم يتمتر من ذلك بإحتيال توبته ، وقد ذكر ابن الجوزي أنه لما احتضر جعل يردد هذا البيت .
 وما كنتم تعرفون الجفا * فمن نرى قد تعلمتم
 ثم كانت وفاته بالجانب الغربي من بغداد في ربيع الأول منها .

(أوبكر الشاشي)

صاحب المستظهيرى محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي ، أحد أئمة الشافعية في زمانه ، ولد في الحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وسمع الحديث على أبي يعلى بن الفراء ، وأبي بكر الخطيب ، وأبي إسحاق الشيرازي ، وفتقه عليه وعلى غيره ، وقرأ الشامل على مصنعه ابن الصبغ ، واختصره في كتابه الذي جمعه للمستظهر بالله ، وسماه حلية العلماء بمعرفة مذاهب الفقهاء ، ويعرف بالمستظهرى ، وقد درس بالنظامية ببغداد ثم عزل عنها وكان يشهد :

تلم يا فتى والموء غضى * وطنيك لين والطبع قابل
 فحسبك يافى شرقاً وغرباً * سكوت الحاضرين وأنت قائل

توفي سحر يوم السبت السادس عشر من شوال منها ، ودفن إلى جانب أبي إسحاق الشيرازي
بياب إربز .

﴿ المؤمن بن أحمد ﴾

ابن علي بن الحسين بن عبيد الله ، أبو نصر الساجي الملقب ، سمع الحديث الكثير ، وخرج
وكان صحيح النقل ، حسن الخط ، مشكور السيرة لطيفاً ، اشتغل في الفقه على الشيخ أبي إسحاق
الشيرازي مدة ، ورحل إلى أصبهان وغيرها ، وهو معدود من جملة الحفاظ ، لا سيما للثون ، وقد
تكلم فيه ابن طاهر . قال ابن الجوزي : وهو أحق منه بذلك ، وأين الثريا من النري ؟ توفي المؤمن
يوم السبت ثاني عشر صفر منها ، ودفن بياب حرب والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسة ﴾

فيها وقع حريق عظيم ببغداد . وفيها كانت زلزلة هائلة بأرض الجزيرة ، هدمت منها ثلاثة عشر
رجلاً ، ومن الرها بيوتاً كثيرة ، وبعض دور خراسان ، ودوراً كثيرة في بلاد شق ، فهلك من أهلها
نحو من مائة ألف ، وخسف بنصف قلعة حران وسلم نصفها ، وخسف بمدينة حمص وهلك تحت
الردم خلق كثير . وفيها قتل صاحب حلب تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان بن تقي ، قتله
خلعائه ، وقام من بعده أخوه سلطان شاه بن رضوان . وفيها ملك السلطان سنجر بن ملكشاه بلاد
خرزنة ، وخطب له بها بعد مقاومة عظيمة ، وأخذ منها أموالاً كثيرة لم ير مثلها ، من ذلك خمس تيجان
قيمة كل تاج منها ألف ألف دينار ، وسبعة عشر سريراً من ذهب وفضة ، وألف وثلاثمائة قطعة
مصابغ مرمصة ، فأقام بها أربعين يوماً ، وقرى في ملكها بهرام شاه ، رجل من بيت سبكتكين ، ولم
يخطب بها إلا أخذ من السلجوقية غير سنجر هذا ، وإما كان لها ملوك سادة أهل جهاد وشنة ، لا يحسر
أحد من الملوك عليهم ، ولا يطبق أحد مقاومتهم ، وهم بنو سبكتكين . وفيها ولي السلطان محمد
للأمير آقسنقر البرشقي الموصل وأعمالها ، وأمره بمقاتلة الفرنج ، فقاتلهم في أواخر هذه السنة فأخذ
منهم الرها وحر بها وبروج وحمص ، ونهب ماردين وأسر ابن ملكها إياز إيلغازي ، فأرسل
السلطان محمد إليه من يهدده فزمنه إلى طفتكين صاحب دمشق ، فاعتق على عصيان السلطان
محمد ، فجرت بينهما وبين نائب حصن قرجان بن قزاجة حروب كثيرة ، ثم اصطالحوا . وفيها ملكت
زوجة مرعش الأفرنجية بعد وفاة زوجها لهنما الله . وحج بالناس فيها أمير الجيوش أبو الخير عمن
الاندلس ، وشكر الناس حجهم معه .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وخمسة ﴾

فيها جهز السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه صاحب العراق جيشاً كثيراً مع الأمير برشقي
ابن إيلغازي صاحب ماردين إلى صاحب دمشق طفتكين ، وإلى آقسنقر البرشقي ليقاتلها ، لأجل

عصياتهما عليه ، وقطع خطبته ، وإذا فرغ منها حمد لقتال الفرنج . فلما اقترب الجيش من بلاد الشام هربا منه وتجهزا إلى الفرنج ، وجاء الأمير برشق إلى كفرطاب ففتحها عنوة ، وأخذ ما كان فيها من النساء والذرية ، وجاء صاحب إنطاكية ورجيل في خيالة فارس وألني وراجل ، فكبس المسلمين قتل منهم خلقا كثيرا ، وأخذ أموالا جزيلة وهرب برشق في طائفة قليلة ، وتمزق الجيش الذي كان معه شد مندر ، فأتاه الله وإنا إليه راجعون . وفي ذى القعدة منها قسم السلطان محمد إلى بغداد ، وجاء إليه طفتكين صاحب دمشق معتبرا إليه ، فغلق عليه ، ورضى عنه ، وردده إلى عمله . وفيها توفي من الأعيان .

(إسماعيل بن محمد)

ابن أحمد بن علي أبو عثمان الأصبهاني أحد الرحالين في طلب الحديث ، وقد وعظ في جامع المنصور ثلاثين مجلسا ، واستلم عليه محمد بن ناصر ، وتوفي بأصبهان .

(منجب بن عبد الله المستظري)

أبو الحسن الخادم ، كان كثير العبادة ، وقد أثنى عليه محمد بن ناصر ، قال : وقف على أصحاب الحديث وقتا

(عبد الله بن المبارك)

ابن موسى ، أبو البركات السعدي ، مع كثير ورحل فيه ، وكان فاضلا طارفا بالغة ، ودفن بباب حرب

(يحيى بن تميم بن المعز بن باديس)

صاحب إفريقية ، كان من خيار الملوك ، طوقا حسن السيرة محبا للفقراء والملاء ، وله عليهم أرزاق ، مات وله اثنتان وخمسون سنة ، وترك ثلاثين ولدا ، وقام بالأمر من بعده ولده علي .

(ثم دخلت سنة عشر وخمسة)

فيها وقع حريق ببغداد احترقت فيه دور كثير فتمنحها دار نور الهدى الزينبي ، ورباط نهر زور ودار كتب النظامية ، وسلمت الكتب لأن الفقهاء قتلوها . وفيها قتل صاحب مراغة في مجلس السلطان محمد ، قتله الباطنية ، وفي يوم طشوراء وقعت فتنة عظيمة بين الروافض والسنة بمشهد علي ابن موسى الرضا بمدينة طوس ، قتل فيها خلق كثير . وفيها سار السلطان إلى فارس بمبدأ موت نائبها خوفا عليها من صاحب كرمان . وحج بالناس بطراخادم ، وكانت سنة خصبة آمنة والله الحمد . ومن توفي فيها من الأعيان .

(عقيل بن الامام أبي الوفاء)

علي بن عقيل الحنبل ، كان شابا قد برع وحفظ القرآن وكتب وفهم المسائل جيدا ، ولما توفي صبر أبوه وشكر وأظهر التحمل ، قرأ عارى في المزاء (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا) الآية ، فبكى ابن عقيل بكاء شديدا .

﴿ علي بن أحمد بن محمد ﴾

ابن الرزاز ، آخر من حدث عن ابن مخلد بحجته الحسن بن عرفة ، وفرد بأشياء غيره . توفي فيها من سبع وتسعين سنة .
(محمد بن منصور)

ابن محمد بن عبد الجبار ، أبو بكر السمعاني ، جمع الكثير وحديث ووعظ بالنظامية ببغداد ، وأمل بمرور مائة وأربعين مجلساً ، وكانت له معرفة تامة بالحديث ، وكان أديباً شاعراً فاضلاً ، له قبول عظيم في القلوب ، توفي بمرور ثلاث وأربعين سنة .

﴿ محمد بن أحمد بن طاهر ﴾

ابن أحمد بن منصور الخازن ، قبيح الامامية ومقتبهم بالكرك ، وقد جمع الحديث من التنوخي وابن قتيبة ، توفي في رمضان منها .

﴿ محمد بن علي بن محمد ﴾

أبو بكر السوسى ، القتيبي الشافعى ، جمع الحديث ، وكانت إليه تزكية الشهود ببغداد ، وكان فاضلاً أديباً ورعاً .
(محفوظ بن أحمد)

ابن الحسن ، أبو الخطيب الكلوزانى ، أحد أئمة الحنابلة ومصنفهم ، جمع الكثير وعقده بالقاضى أبى يعلى ، وقرأ الفرائض على الوثى ، ودرس وأفتى وتلخر وصنف في الأصول والفروع ، وله شعر حسن ، وجمع قصيدة يذكر فيها اعتقاده ومنهجه يقول فيها :

دع عنك تذكر الخليل المتحد • والشوق نحو الآ تسلت انفراد

والنوح في تذكر سمدى إنما • تذكر سمدى شغل من لم يسعد

واسمع مالى إن أردت تفحصاً • يوم الحساب وخذ بقولى نهتدى

وذكر تمامها وهي طويلة ، كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة ، وصلى عليه بجامع القصر ، وجامع المنصور ، ودفن بالقرب من الامام أحمد .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسة ﴾

في رابع صفر منها انكشف القبر كسوفاً كلياً ، وفي تلك الليلة هجم الفرنج على ريف حما قتلوا خلقاً كثيراً ، ورجعوا إلى بلادهم . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد سقط منها دور كثيرة بالجانب الغربي وغلت الفلات بها جداً ، وفيها قتل لؤلؤ الخادم الذى كان استحوذ على مملكة حلب بعد موت أستاذه رضوان بن تمش ، قتله جماعة من الأتراك ، وكان قد خرج من حلب متوجهاً إلى جابر ، فنادى جماعة من مماليكه وغيرهم أرنؤب أرنؤب ، فرموه بالشباب موهمين أنهم يعيدون أرنؤباً قتلوه . وفيها كانت وفاة غياث الدين السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن

سلجوق ، سلطان بلاد العراق وخراسان وغير ذلك من البلاد الشامية . والأتابك الواسدة . كان من خيار الملوك وأحسنهم سيرة ، عادلاً رحباً ، سهل الأخلاق ، محمود العشرة ، ولما حضرته الوفاة استدعى ولده محموداً وضمه إليه وبكى كل منهما ، ثم أمره بالجلوس على سرير المملكة ، وعمره إذ ذاك أربعة عشر سنة ، فجلس وعليه التاج والسيوف وحكم ، ولما توفي أبوه صرف الخزانة إلى الدسائر وكان فيها إحدى عشر ألف ألف دينار ، واستقر الملك له ، وخطب له ببغداد وغيرها من البلاد ، ومات السلطان محمد عن تسع وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياماً . وفيها ولد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر ، صاحب حلب بمشقة .

ومن توفي فيها من الأعيان . (القاضي المرتضى)

أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري ، والد القاضي جمال الدين عبد الله الشهرزوري ، قاضي دمشق في أيام نور الدين ، اشتغل ببغداد وحققه بها ، وكان شافعي المذهب ، بارعاً ديناً ، حسن النظم ، وله قصيدة في علم النصف ، وكان يتكلم على القلوب ، وأورد قصيدته بتأنيده ابن خلكان لحسنها وفصاحتها ، وأولها :

لمعت نارهم وقد عصم الي • لويل الحادي وحار الدليل
فتأملتني وفكرى من البية • نعليل ولطف عيني كليل
وفؤادى ذاك الفؤاد المنفى • وغراى ذاك الغرام الفخيل
وله ياليل ما جئتكم زائراً • إلا وجدت الأرض تعلوى لى
ولا ثلثت العزم من بابكم • إلا نعترت باخيل
وله يا قلب إلى متى لا يفيد النصيح • دع مزحك كم جنى عليك المزح
ما جارية منك غذاها جرح • ما تشعر بالجار حتى تصحو

توفي في هذه السنة . قال ابن خلكان : وزعم عماد الدين في الخريدة أنه توفي بسد المشرين وخسبته قاله أعلم . (محمد بن سعد)

ابن بهان ، أبو علي الكاتب ، سمع الحديث وروى وعمر مائة سنة وتغير قبل موته ، وله شعر حسن ، فنه قوله في قصيدة له :

لى رزق قدره الله • نعم ورزق أوفاه
حتى إذا استوفيت منه • الذى قدرلى لا أنفاه
قال كرام كنت أغشام • فى مجلس كنت أغشاه
صار ابن بهان إلى ربه • يرحنا الله وإياه

﴿ أمير الحاج ﴾

يحيى بن عبد الله أبو الخير المستظري ، كان جواداً كريماً ممدحاً ذا رأى وفطنة ثاقبة ، وقد جمع الحديث من أبي عبد الله الحسين بن طلحة النعماني بإفادة أبي نصر الأصبهاني ، وكان يؤم به في الصلوات ، ولما قسم رسولاً إلى أصبهان حدث بها . توفي في ربيع الآخر من هذه السنة ودفن بأصبهان ﴿ ثم دخلت سنة اثنى عشرة وخمسة ﴾

فيها خطب السلطان محمد بن ملكشاه بأمر الخليفة المستظهر بالله ، وفيها سأل ديبس بن صدقة الأسد من السلطان محمود أن يرده إلى الحلة وغيرها ، مما كان أبوه يتولاه من الأعمال ، فأجاباه إلى ذلك ، فعظم وأرفع شأنه .

﴿ وفاة الخليفة المستظهر بالله ﴾

هو أبو التباس أحد بن المقتدى ، كان خيراً فاضلاً ذكياً بارعاً ، كتب الخطب المنسوبة ، وكانت أيامه يبتدع كائناً الأعياد ، وكان رافقاً في البر والخير ، مسارعاً إلى ذلك ، لا يرد مثلاً ، وكان جميل العشرة لا يصني إلى أقوال الوشاة من الناس ، ولا يثق بالمباشرين ، وقد ضبط أمور الخلافة جيداً ، وأحكمها وعلمها ، وكان لديه علم كثير ، وله شعر حسن . قد ذكرناه أولاً عند ذكر خلافة ، وقد ولى غسله ابن عقيل وابن السقي ، وصلى عليه ولده أبو منصور الفضل وكبراً ربماً ، ودفن في حجرة كان يسكنها ، ومن العجب أنه لما مات السلطان ألب أرسلان مات بعده الخليفة القائم ، ثم لما مات السلطان ملكشاه مات بعده المقتدى ، ثم لما مات السلطان محمد مات بعده المستظهر هذا ، في السادس عشر ربيع الآخر ، وله من العمر إحدى وأربعين سنة ، وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً .

﴿ خلافة المسترشد أمير المؤمنين ﴾

أبو منصور الفضل بن المستظهر ، لما توفي أبوه كما ذكرنا بربيع له بالخلافة ، وخطب له على المنابر وقد كان ولي العهد من بعده مدة ثلاث وعشرين سنة ، وكان الذي أخذ البيعة له قاضي القضاة أبو الحسن الدامغانى ، ولما استقرت البيعة له هرب أخوه أبو الحسن في سفينة ومعه ثلاثة نفر ، وقصد ديبس بن صدقة بن منصور بن ديبس بن علي بن مزيد الأسد بالخلة ، فأكرمه وأحسن إليه ، فعلق أخوه الخليفة المسترشد من ذلك ، فراسل ديبساً في ذلك مع قبيب النقيب الزينبي ، فهرب أخو الخليفة من ديبس فأرسل إليه جيشاً فأجأوه إلى البرية ، فلحقه عطش شديد ، فلقبه بدويان فسقياه ماء وحلاه إلى بغداد ، فأحضره أخوه إليه فاعتنقا وتباكيا ، وأنزله الخليفة داراً كان يسكنها قبل الخلافة ، وأحسن إليه ، وطيب نفسه ، وكانت مدة غيبه عن بغداد إحدى عشر شهراً ، واستقرت الخلافة بلا منازعة للمسترشد . وفيها كان غلاء شديد ببغداد ، واقطع النيب وعمدت الأقوات ، وتفاقم أمر

العيارين ببغداد ، ونهبوا الدور نهارا جباراً ، ولم يستطع الشرط دفع ذلك . وحج بالناس في هذه السنة الخادم .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الخليفة المستظهر ﴾
كما تقدم . ثم توفيت بدمه جدته أم أبيه المتدى .

﴿ أرجوان الأرمنية ﴾

وتدعى قرة العين ، كان لها بر كثير ، ومعروف ، وقد حجت ثلاث حجات ، وأدركت خلافة ابنها المتدى ، وخلافة ابنه المستظهر ، وخلافة ابنه المسترشد ، ورأت للمسترشد ولها .

﴿ بكر بن محمد بن علي ﴾

ابن الفضل أبو الفضل الأنصاري ، روى الحديث ، وكان يضرب به المثل في منذهب أبي حنيفة ، وثقه علي عبد العزيز بن محمد الحلواني ، وكان يذكر الفروس من أي موضع سئل من غير مطالعة ولا مراجعة ، وربما كان في ابتداء طلبه يكرر المسألة أربعمائة مرة . توفي في شعبان منها .

﴿ الحسين بن محمد بن عبد الوهاب ﴾

الزيلي ، قرأ القرآن ، وسمع الحديث ، وثقه علي أبي عبد الله الهاماني ، فروع وأفتى ودرس بمشهد أبي حنيفة ، ونظر في أوقافها ، وانتهت إليه رئاسة منذهب أبي حنيفة ، ولقب نور الهدى ، وسافر في الرصيلة إلى الموكل ، وولى نقابة الطالبين والعباسيين ، ثم استعفى بعد شهر فتولاها أخوه طراد . توفي يوم الاثنين الحادى عشر من صفر ، وله من العمر ثلثان وتسعون سنة ، وصلى عليه ابنه أبو القاسم علي ، وحضرت جنازته الأعيان والعلماء ، ودفن عند قبر أبي حنيفة داخل القبة .

﴿ يوسف بن أحمد أبو طاهر ﴾

ويعرف بابن الجزرى ، صاحب الخزن في أيام المستظهر ، وكان لا يوفى المسترشد حقه من التعميم وهوولى العهد ، فلما صارت إليه الخلافة صاحره بمائة ألف دينار ، ثم استقر غلاماً له فأوما إلى بيت فوجد فيه أربعمائة ألف دينار ، فأخذها الخليفة ثم كانت وقته بعد هذا بقليل بهذا العام .

﴿ أبو الفضل بن الخازن ﴾

كان أديباً لطيفاً شاعراً فاضلاً فن شعره قوله :

وافيت منزله فلم أر صاحباً • إلا ثلقاني بوجه ضاحك
والبشر في وجه التلام نتيجة • تقدمت ضياه وجه المالك
ودخلت جنته وزرت جميعه • فشكرت رضواناً ورأفة مالك

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسة ﴾

فيها كانت الحروب الشديدة بين السلطان محمود بن محمد وبين عمه السلطان سنجر بن ملكشاه وكان النصر فيها لسنجر ، فغلب له ببغداد في سادس عشر جمادى الأولى من هذه السنة ، وقطعت خطبة ابن أخيه في سائر أقاليمه . وفيها سارت الفرنج إلى مدينة حاب فتفتحوها عنوة وملكوها ، وقتلوا من أهلها خلقاً ، فساد إليهم صاحب ماردين إيلغازي بن أرتق في جيش كثيف ، فهزمهم ولحقهم إلى جبل قد تحصنوا به ، قتل منهم هناك مقتلة عظيمة ، والله الحد . ولم يفلت منهم إلا اليسير ، وأسر منهم مقدمهم نيفاً وتسعين رجلاً ، وقتل فيمن قتل سيرجال صاحب إنطاكية ، وحمل رأسه إلى بغداد ، قتال بعض الشعراء في ذلك وقد بالغ بمبالغة فاحشة :

قل ما تشاء صرناك المقبول • وعليك بعد الخالق التحويل

واستبشر القرآن حين نصرته • وبكى لقد رجلاه الأنجيل

وفيها قتل الأمير منكوبرس الذي كان شحنة بغداد ، وكان ظالماً غاشياً في السيرة ، قتله السلطان محمود بن محمد صبراً بين يديه لا موار : منها أنه تزوج سرية أبيه قبل انقضاء عنتها ، ونعم ما فعل وقد أراح الله المسلمين منه ما كان أغلظه وأغشمه . وفيها تولى قضاء قضاة بغداد الأكل أبو القاسم ابن علي بن أبي طالب بن محمد الزينبي ، وخلع عليه بعد موت أبي الحسن الدماغاني ، وفيها ظهر قبر إبراهيم الخليل عليه السلام وقبر ولديه إسحاق ويعقوب ، وشاهد ذلك الناس ، ولم تبطل أجسادهم ، وعندهم قتاديل من ذهب وفضة ، ذكر ذلك ابن الخازن في تاريخه ، وأطال نقله من المنتظم لابن الجوزي والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ ابن عقيل ﴾

علي بن عقيل بن محمد ، أبو الوفاء شيخ الحنابلة ببغداد ، وصاحب الفنون وغيرها من التصانيف المفيدة ، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وقرأ القرآن على ابن سبطا ، وسمع الحديث الكثير ، وتفقه بالقاضي أبي يعلى بن الفراء ، وقرأ الأديب علي ابن برهان ، والفرائض علي عبد الملك الحمداني ، والوعظ علي أبي طاهر بن الدلاف ، صاحب ابن ميمون ، والأصول علي أبي الوليد المعتزلي ، وكان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب ، فربما لأمه بعض أصحابه فلا يولوا عليهم ، فلهذا برز علي أقرانه وساد أهل زمانه في فنون كثيرة ، مع صيانة وديانة وحسن صورة وكثرة اشتغال ، وقد وعظ في بعض الأحيان فوقت فنته فترك ذلك ، وقد تمتع الله بجميع حواسه إلى حين موته ، توفي بكرة الجملة ثاني جمادى الأولى من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، وكانت جنازته حافلة جداً ، ودفن قريباً من قبر الامام أحمد ، إلى جانب الخادم مخلص رحمه الله .

﴿ أبو الحسن علي بن محمد الدماغي ﴾

قاضى القضاة ابن قاضى القضاة ، ولد في رجب سنة ست وأربعين وأربعمائة ، وولى القضاء بباب الطالق من بغداد وله من العمر ست وعشرون سنة ، ولا يعرف حاكم قضى لأربعة من الخلفاء غيره إلا شريح ، ثم ذكر إمامته وديارته وصيافته مما يدل على نفوذه ، وتقوته وقوته ، تولى الحكم أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر ، وقبره عند مشهد أبي حنيفة .

﴿ المبارك بن علي ﴾

ابن الحسين أبو سعد الحرى ، مع الحديث وثقه على منذهب أحمد ، وناظر وأفتى ودرس ، وجمع كتباً كثيرة لم يسبق إلى مثلها ، وتلقب في القضاة ، وكان حسن السيرة جميل الطريق ، سديد الأفضية ، وقد بنى مدرسة بباب الأزج وهي المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيسى الحنبلى ، ثم عزل عن القضاء وصودر بأموال جزيلة ، وذلك في سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وتوفى في الحرم من هذه السنة ودفن إلى جانب أبي بكر الخلال عند قبر أحمد .

﴿ ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة ﴾

في النصف من ربيع الأول منها كانت وقعة عظيمة بين الآخرين السلطان محمود ومسعود ابنى محمد بن ملكشاه عند عقبة اسداباذ ، فانهزم عسكر مسعود وأسر وزيره الأستاذ أبو إسماعيل وجماعة من أمرائه ، فأمر السلطان محمود بقتل الوزير أبي إسماعيل ، وقتل له نيف وستون سنة ، وله تصانيف في صناعة الكيمياء . ثم أرسل إلى أخيه مسعود الأمان واستنعمه عليه ، فلما التفتيا بكي واصطلمعا . وفيها نهب ديبس صاحب الحلة البلاد ، وركب بنفسه إلى بغداد ، ونصب خيمته بإزاء دار الخلافة ، وأظهر ما في نفسه من الضغائن ، وذكركيف طيف برأس أبيه في البلاد ، وتهدد المسترشد ، فأرسل إليه الخليفة يسكن جاشه ويصد أنه سيصلح بينه وبين السلطان محمود ، فلما قدم السلطان محمود بغداد أرسل ديبس يستأمن فأمنه وأجراه على حاله ، ثم لته نهب جسر السلطان فركب بنفسه السلطان لقتاله واستصحب معه ألف سفينة ليبحر فيها ، فهرب ديبس والتجأ إلى إربلخانزى فأقام عنده سنة ، ثم عاد إلى الحلة وأرسل إلى الخليفة والسلطان يستنفر إليهما مما كان منه ، فلم يقبلأ منه ، وجهز إليه السلطان جيشاً لحاصروه وضيقوا عليه قريباً من سنة ، وهو مجتمع في بلاده لا يقدر الجيش على الوصول إليه . وفيها كانت وقعة عظيمة بين الكرج والمسلمين بالقرب من تغليس ، ومع الكرج كنفار الفقجاق قتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً ، وغنموا أموالاً جزيلة ، وأسرُوا نحواً من أربعة آلاف أسير ، فأناله وإنا إليه راجعون . ونهب الكرج تلك النواحي وفضلوا أشياء منكرة ، وحاصروا تغليس مدة ثم ملكوها عنوة ، بعد ما أحرقوا القاضى وأخطبوا حين خرجوا إليهم يطلبون منهم الأمان ، وقتلوا عامة أهلها ، وسبوا القرية واستحرقوا على الأموال ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . وفيها أغار

جوسكين الفرنجى على خلق من العرب والتركمان قتلهم وأخذ أموالهم ، وهذا هو صاحب الزها .
وفيهما تهرمت البيارون يبتدأ وأخذوا الثور جهاراً ليلاً ونهاراً ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

وفيهما كان ابتداء ملك محمد بن تومرت ببلاد المغرب ، كان ابتداء أمر هذا الرجل أنه قسم في
حدائة سنة من بلاد المغرب فسكن التنظيمية ببغداد ، واشتغل بالعلم فحصل منه جانباً جيداً من الفروع
والأصول ، على الفزائى وغيره ، وكان يظهر التعبد والزهة والورع ، وربما كان ينكر على الفزائى
حسن ملابسه ، ولا سيما لما لبس خلع التدريس بالتنظيمية ، أظهر الانكار عليه جداً ، وكذلك على
غيره ، ثم إنه حج وعاد إلى بلاده ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويرى الناس القرآن
ويشغلهم في الله ، فطارد ذكره في الناس ، واجتمع به يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب بلاد
إفريقية ، فضلمه وأكرمه ، وسأله الهداه ، فاشتهر أيضاً بذلك ، وبعد صيته ، وليس معه إلا ركة
وعصا ، ولا يسكن إلا المساجد ، ثم جل ينقل من بلد إلى بلد حتى دخل مرا كش ومعه تلميذه
عبد المؤمن بن على ، وقد كان تسم النجابة والشهامة فيه ، فرأى في مرا كش من المنكرات أضعاف
ما رأى في غيرها ، من ذلك أن الرجال يتلثمون والنساء يمشين حاسرات عن وجوههن ، فأخذ في
إنكار ذلك حتى أنه اجتاز به في بعض الأيام أخت أمير المسلمين يوسف ملك مرا كش وما حولها ،
ومعها نساء مثلها را كبت حاسرات عن وجوههن ، فشرع هو وأصحابه في الإنكار عليهن ، وجعلوا
يضربون وجوه الدواب فسقطت أخت الملك من دابتها ، فأحضره الملك وأحضر الفقهاء فظهر عليهم
بالحجة ، وأخذ يعظ الملك في خاصة نفسه ، حتى أبكاه ، ومع هذا فغاد الملك عن بلده فشرع يشنع
عليه ويدعو الناس إلى قتاله ، فاقبمه على ذلك خلق كثير ، فجهز إليه الملك جيشاً كثيراً فبرزهم ابن
تومرت ، فضلم شأنه وارتفع أمره ، وقويت شوكته ، وتسمى بالمهدي ، وسمى جيشه جيش الموحدين
وألف كتاباً في التوحيد وعقيدة تسمى المرشدة ، ثم كانت له وقعات مع جيوش صاحب مرا كش ،
فقتل منهم في بعض الأيام نحواً من سبعين ألفاً ، وذلك بإشارة أبي عبد الله التومرتى ، وكان ذكر أنه
نزل إليه ملك وعلمه القرآن والموطأ ، وله بذلك ملائكة يشهدون به في بئر ساه ، فلما اجتاز به وكان
قد أرسد فيه رجالاً ، فلما سالم من ذلك والناس حضوره على ذلك البئر شهدوا له بذلك ، فأمر
حيثما يعلم البئر عليهم فاتوا من آخرهم ، ولهذا يقال من أمان ظلالنا ساطع عليه . ثم جهز ابن تومرت
الذى لقب نفسه بالمهدي جيشاً عليهم أبو عبد الله التومرتى ، وعبد المؤمن ، لمحاصرة مرا كش ،
فخرج إليهم أهلها فقتلوا قتالاً شديداً ، وكان في جملة من قتل أبو عبد الله التومرتى هذا الذى زعم
أن الملائكة تخاطبه ، ثم انتقموه في القتلى فلم يجدوه ، فقالوا : إن الملائكة رفته ، وقد كان عبد المؤمن
دفنه والناس في المركة ، وقتل عن معه من أصحاب المهدي خلق كثير ، وقد كان حين جبر الجيش

مريضاً مدفناً ، فلما جاءه الخير ازداد مرضاً إلى مرضه ، وساءه قتل أبي عبد الله التومرتي ، وجعل الأمر من بعده لمريد المؤمن بن علي ، ولقبه أمير المؤمنين . وقد كان شاباً حساناً عاقلاً ، ثم مات ابن تومرت وقد أتت عليه إحدى وخمسون سنة ، ومدة ملكه عشر سنين ، وحين صار إلى عبد المؤمن ابن علي الملك أحسن إلى الرعايا ، وظهرت له خيرة جيدة فأجبه الناس ، واتسعت مملكه ، وكثرت جيوشه وروعيته ، ونصب العداوة إلى تاشفين صاحب مراکش ، ولم يزل الحرب بينهما إلى سنة خمس وثلاثين ، فمات تاشفين قهراً وله من بعده ، فمات في سنة تسع وثلاثين ليلة سيع وعشرين من رمضان ، فقتل أخوه إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فسار إليه عبد المؤمن فملك تلك النواحي ، وفتح مدينة مراکش ، وقتل هنالك أمماً لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل ، قتل ملكها إسحاق وكان صغير السن في سنة ثنتين وأربعين ، وكان إسحاق هذا آخر ملوك المرابطين ، وكان ملكهم سبعين سنة . والذين ملكوا منهم أربعة : علي وولده يوسف ، وولده أبو سفيان وإسحاق ابنا علي المذكور ، فاستوطن عبد المؤمن مدينة مراکش ، واستقر ملكه بترك الناحية ، وظفر في سنة ثلاث وأربعين بذلك وهي قبيلة عظيمة نحو مائتي ألف راجل وعشرين ألف فارس مقاتل ، وهم من الشجعان الأبطال ، قتل منهم خلقاً كثيراً ، وجما غفيراً ، وسبي ذراريهم وغنم أموالهم حتى إنه بيعت الجارية الحسنة بدرهم معدودة ، وقد رأيت لبعضهم في سيرة ابن تومرت هذا مجسداً في أحكامه وإمامته ، وما كان في أيامه ، وكيف تحكم بلاد المغرب ، وما كان يتعامله من الأشياء التي تومر أنها أحوال برة ، وهي محالات لا تصدر إلا عن فجرة ، وما قتل من الناس وأزهق من الأنفس .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن عبد الوهاب بن السني ﴾

أبو البركات ، أسند الحديث وكان يعلم أولاد الخليفة المستنصر ، فلما صارت الخلافة إلى المسترشد ولاه الخزن ، وكان كثير الأموال والصدقات ، يتماهد أهل العلم ، وخلف مالا كثيراً حزر بمائتي ألف دينار ، أوصى منه بثلاثين ألف دينار لملكه والمدينة ، توفي فيها عن ست وخمسين سنة وثلاثة أشهر ، وصلى عليه الوزير أبو علي بن صدقة ، ودفن بباب حرب .

﴿ عبد الرحيم بن عبد الكبير ﴾

ابن هوازن ، أبو نصر التشيرى ، قرأ على أبيه وإمام الحرمين ، وروى الحديث عن جماعة ، وكان ذا ذكاء وقطنة ، وله خاطر حاضر جرىء ، ولسان ماهر فصيح ، وقد دخل بغداد فوعظ بها فوقع بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية ، فحس بسببها الشريف أبو جعفر بن أبي موسى ، وأخرج ابن التشيرى من بغداد لاحتفاء الفتنة فماد إلى بلده ، توفي في هذه السنة .

﴿ عبد العزيز بن علي ﴾

ابن حامد أبو حامد الدينوري ، كان كثير المال والصدقات ، ذا حشمة وثروة ووجاهة عند الخليفة ، وقد روى الحديث ووعظ ، وكان مليح الاراد حلو المنطق ، توفي بالرى والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس عشر وخمسة ﴾

فيها أقطع السلطان محمود الأمير إيلغازي مدينة ميا فارقين ، فبقيت في يد أولاده إلى أن أخذها صلاح الدين يوسف بن أيوب ، في سنة ثمانين وخمسة . وفيها أقطع آقسنقر البرشقي مدينة الموصل لقتال الفرنج ، وفيها حاصر ملك بن بهرام وهو ابن أخي إيلغازي مدينة الرها فأمر ملكها جوسكين الأفرنجي وجماعة من رؤس أصحابه وسجنهم بقلعة خربت . وفيها هبت ريح سوداء فاستمرت ثلاثة أيام فأهلك خلقا كثيرا من الناس والدواب . وفيها كانت زلزلة عظيمة بالحجاز فتضعف بسببها الركن الثاني ، وتهدم بمضه ، وتهدم شيء من مسجد رسول الله ﷺ . وفيها ظهر رجل علوي بمكة كان قد اشتغل بالنظامية في الفقه وغيره ، يأمر بالمر وف وينهى عن المنكر ، فأنبهه ناس كثير فنفاه صاحبها ابن أبي هاشم إلى البحرين . وفيها احترقت دار السلطان بأصبهان ، فلم يبق فيها شيء من الآثار والتماش والجواهر والذهب والفضة سوى الباقوت الأحمر ، وقبل ذلك بأسبوع احترق جامع أصبهان ، وكان جامعا عظيما ، فيه من الأخشاب ما يساوي ألف دينار ، ومن جملة ما احترق فيه خمسة مصحف ، من جلتها مصحف بخط أبي بن كعب ، قال الله وإنا إليه راجعون . وفي شعبان منها جاس الخليفة المسترشد في دار الخلافة في أبهة انطلاقا ، وجاء الاخوان السلطان محمود ومسعود قبلا الأرض وقتل بين يديه ، فخلع على محمود سبع خلع وطوا وسوارين وثاجا ، وأجلس على كرسي وعظه الخليفة ، وتلا عليه قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وأمره بالاحسان إلى الرعايا ، وعقد له نوادين بيده ، وقلعه الملك ، وخرجوا من بين يديه مطاعين مظهدين ، والجليل بين أيديهما في أبهة عظيمة جدا . وحج بالناس قطز الخادم .

﴿ ابن القطاع القنوي أبو القاسم علي بن جعفر بن محمد ﴾

ابن الحسين بن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب السعدي الصقلي ، ثم المصري القنوي المصنف كتاب الأنفال ، الذي برز فيه علي ابن القوطية ، وله مصنغات كثيرة ، قدم مصر في حدود سنة خمسة لما أشرفت الفرنج على أخذ صقلية ، فأكرمه المصريون وبالنوا في إكرامه ، وكان ينسب إلى التساقل في الدين ، وله شعر جيد قوى ، مات وقد جاوز الثمانين .

﴿ أبو القاسم شاهنشاه ﴾

الأفضل بن أمير الجيوش بمصر ، مدبر دولة الفاطميين ، وإليه تنسب قيسرية أمير الجيوش

بمصر ، والسامة تحول مرجوش ، وأبوه باقى الجامع ابقى بشر الاسكندرية بسوق المطارين ،
 ومشهد الرأس بمسقلان أيضاً ، وكان أبوه نائب المستنصر على مدينة صور ، وقيل على عكا ، ثم
 استبداه إليه فى فصل الشتاء فركب البحر فاستنابه على ديار مصر ، فدد الأمور بعد فسادها ،
 ومات فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وقام فى الوزارة وله الأفضل هذا ، وكان كأبيه فى الشهامة
 والصرامة ، ولما مات المستنصر أقام المستمل واستمرت الأمور على يديه ، وكان عادلا حسن السيرة ،
 موصوفا بمجودة السريرة فله أعلم ، ضربه فداوى وهو راكب قتله فى رمضان من هذه السنة ، عن
 سبع وخمسين سنة ، وكانت إمارته من ذلك بعد أبيه ثمان وعشرين سنة ، وكانت داره دار الوكالة
 اليوم بمصر ، وقد وجد له أموال عديدة جدا ، تفوق المد والاحصاء ، من القناطر المقنطرة من
 الذهب والفضة والخليل المسومة والأفنام والحراث ، والجواهر النفائس ، فانتقل ذلك كله إلى الخليفة
 الفاطمى ، فجعل فى خزانته ، وذهب جامعه إلى سواء الحساب ، على الفتل من ذلك والتقيير والقطير
 واعتاض منه الخليفة بأبى عبد الله البطشى ، ولقبه المأمون . قال ابن خلكان : ترك الأفضل من
 الذهب المين ستائة ألف ألف دينار مكررة ، ومن الفدرام مائتين وخمسين أردبا ، وسبعين ثوب
 ديباج أطلس ، وثلاثين راحلة أحقاد ذهب مرقاق ، ووداة ذهب فيها جوهرة باثني عشر ألف دينار ،
 ومائة مسار ذهب زنة كل مسار مائة مثقال ، فى عشرة مجالس كان يجلس فيها ، على كل مسار
 منديل مشدود بذهب ، كل منديل على لون من الألوان من ملابسه ، وخمسة صندوق كسوة لبس
 بدنه ، قال : وخلف من الرقيق والخليل والبنال والمرائب والمسك والطيب والخل ما لا يعلم قدره إلا
 الله عز وجل ، وخلف من البقر والجواميس والفم ما يستحى الانسان من ذكره ، وبلغ ضمان ألباتها
 فى سنة وفاته ثلاثين ألف دينار ، وترك صندوقين كبيرين مملوءين بذهب برسم النساء .

﴿ عبد الرزاق بن عبد الله ﴾

ابن على بن إسحاق الطوسى ، ابن أخى نظام الملك ، تفقه بإمام الحرمين ، وأفتى ودرس وناظر ،
 ووزر لذلك سنجر

﴿ خاتون السفريه ﴾

حظية السلطان ملكشاه ، وهى أم السلطانين محمد وسنجر ، كانت كثيرة الصدقة والاحسان إلى
 الناس ، لها فى كل سنة سبيل يخرج مع الحجاج . وفيها دين وخير ، ولم تزل تبحث حتى عرفت مكان
 أمها وأهلها ، فبعثت الأموال الجزية حتى استحضرتهم ، ولما قدمت عليها أمها كان لها عنها أربعين
 سنة لم ترها ، فأحببت أن تستلم فمهما جلست بين جواربها ، فلما سمعت أمها كلامها عرقها قامت
 إليها فاحتكتا وبكيا ، ثم أسلمت أمها على يديها جزاها الله خيرا . وقد تفردت بولادة ملكين من
 ملوك المسلمين ، فى دولة الأتراك والمجمر ، ولا يعرف لها نظير فى ذلك إلا اليسير من ذلك ، وهى

ولادة بنت العباس ، ولدت لمبد الملك الوليد وسليان ، وشاهوند ولدت لوليد يزيد وإبراهيم ، وقد وليا الخلافة أيضاً ، واختبزان ولدت للمهدى الهادي والرشيد .

﴿ الطغرائي ﴾

صاحب لامية المعجم ، الحسين بن علي بن عبد الصمد ، مؤيد الدين الأصباهي ، المميد نغر الكتاب البليغ الشاعر ، المعروف بالطغرائي ، ولي الوزارة بأربل مدة ، أورد له ابن خلكان قصيدته اللامية التي ألفها في سنة خمس وخمسة ، في بغداد ، يشرح فيها أحواله وأموره ، وتعرف بلامية المعجم أولها :

أصالة الرأي صانقتني من الخطل * وحلية الفضل زاتني لدى العطل
مجدى أخيراً ومجدى أولاً شرع * والشمس رآد الضمى كالشمس في الطفل
فيم الاقامة بازوراء ؟ لا سكنى * بها ولا نأقنى فيها ولا جمل
وقد سردها ابن خلكان بكلمها ، وأورد له غير ذلك من الشعر والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسة ﴾

في المحرم منها رجع السلطان طغر بك إلى طاعة أخيه محمود ، بعد ما كان قد خرج عنها ، وأخذ بلاد أذربيجان . وفيها أقطع السلطان محمود مدينة واسط لا آسنقر مضافاً إلى الموصل ، فسير إليها حماد الدين زنكي بن آسنقر ، فأحسن السيرة بها وأبان عن حزم وكفاية . وفي صفر منها قتل الوزير السلطان محمود أبو طالب السمرى ، قتله باغى ، وكان قد برز للسير إلى همدان ، وكانت قد خرجت زوجته في مائة جارية بمراكب الذهب ، فلما بلغن قتله رجعن حافيات حاسرات عن وجوههن ، قد هن بعد المز ، واستوزر السلطان مكانه خمس الدين الملك عثمان بن نظام الملك . وفيها التقى آسنقر وديس بن صدقة ، فهزمه ديبس وقتل خلفاً من جيشه ، فأوفى السلطان منصور بن صدقة أخا ديبس وولده ، ورفضها إلى القلعة ، فمند ذلك آذى ديبس تلك الناحية ونهب البلاد ، وجز شعره ولبس السواد ، ونهب أموال الخليفة أيضاً ، فتودى في بغداد للخروج لقتاله ، وبرز الخليفة في الجيش وعليه قباء أسود وطرحه ، وعلى كتفيه البردة ويده القضيب ، وفي وسطه منقلع حرير صيفي ، ومعه وزيره نظام الدين أحمد بن نظام الملك ، وقيب النقيب علي بن طراد الزيلعي ، وشيخ الشيوخ صدر الدين بن إسماعيل ، وتلقاه آسنقر البرشقي ومعه الجيش قبلوا الأرض ورتب البرشقي الجيش ، ووقف القراء بين يدي الخليفة ، وأقبل ديبس وبين يديه الامام يضر بن بالدقوف والحائث بالملاخي ، والتقى الفريقان ، وقد شعر الخليفة سيفه وكبر واقرب من المركة ، فحمل عنتر بن أبي المسكر على مينة الخليفة فسكرها وقتل أميرها ثم حمل مرة ثانية فكشفهم كالأولى فحمل عليه حماد

الدين زنديك ابن آقستغر فأسر عنترو وأسر معه بديل بن زائدة ، ثم انهزم عسكر ديبس وألقوا أنفسهم في الماء ، وفرق كثير منهم ، فأمر الخليفة بضرب أعناق الأسارى صبرا بين يديه ، وحصل نساء ديبس وسراويل تحت الأسر ، وعاد الخليفة إلى بغداد فدخلها في يوم طشوراء من السنة الآتية ، وكانت غيبته عن بغداد ستة عشر يوماً ، وأما ديبس فإنه نجى بنفسه وقصد غزوة ثم إلى المنتفق فمسيحهم إلى البصرة فدخلها ونهبها وقتل أميرها ، ثم خلف من البرشقي نفخح منها وسار على اليرة والتحق بالفرنج ، وحضر معهم حصار حلب ، ثم فارقه والتحق بالملك طغرل أخى السلطان محمود . وفيها ملك السلطان سهام الدين تيمراش بن إيلغازى ابن أرتق قلعة ماردين بعد وفاة أبيه ، وملك أخوه سليمان ميافارقين . وفيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قريباً من قلعة ذى القرنين . وفيها دخل جماعة من الوعاظ إلى بغداد فوعظوا بها ، وحصل لهم قبول تام من العوام . وحج بالناس قلعة الخادم .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ عبد الله بن أحمد ﴾

ابن عمر بن أبي الأشعث ، أبو محمد السرقندي ، أخو أبي القاسم ، وكان من حفاظ الحديث ، وقد زعم أن عنده منه ما ليس عند أبي زرعة الرازى ، وقد مصحح الخطيب مدة وجمع وألف وصنف ورحل إلى الآفاق ، توفى يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول بها عن ثمانين سنة .

﴿ علي بن أحمد السمرى ﴾

نسبة إلى قرية بأصبهان ، كان وزير السلطان محمود ، وكان مجاهراً بالظلم والفسق ، وأحدث على الناس مكوساً ، وجدها بعد ما كانت قد أزيلت من مدة متطاولة ، وكان يقول : قد استحييت من كثرة ظلم من لا فاصر له ، وكثرة ما أحدثت من السنين السيئة ، ولما عزم على الخروج إلى همدان أحضر المنجمين فصرخوا له تحت رمل لساعة خروجه ليكون أسرع لعودته ، فخرج في تلك الساعة وبين يديه السيوف المسالمة ، والممالك الكثيرة بالحد الباهرة ، فما أخفى عنه ذلك شيئاً ، بل جاءه باطنى فصر به قتله ، ثم مات الباطنى بسده ، ورجع نساءً بعد أن ذبح بين يديه على مراكب الذهب ، حشرات عن وجوههم ، قد أبدلن الله القل بعد العز ، وانلوف بسد الأمن ، والجزن بعد السرور والفرح ، جزاء وفاء ، وذلك يوم الثلاثاء سابع صفر ، وما أشبه حالن بقول أبي المتعبية في الخيزران وجوارها حين مات المهدي :

رحن في الوشى عليهن المسوح • كل بطاح من الناس له يوم يطوح

لتموتن ولو حمرت ما عمر نوح • فلي نفسك إن كنت لابد تنوح

﴿ الحريرى صاحب المقامات ﴾

القاسم بن علي بن محمد بن محمد بن عثمان ، نثر الدعوة أبو محمد الحريرى . مؤلف المقامات التي

سارت بفصلحتها الركبان ، وكاد يربو فيها على سحبان ، ولم يسبق إلى مثلها ولا يلحق ، ولقد سئمت وأر بعين وأر بهما تو جمع الحديث واشتغل باللقنة والنحو ، وصنف في ذلك كله ، وفاق أهل زمانه ، وبرز على أقرانه ، وأقام ببغداد وحمل صناعة الانشاء مع الكتاب في باب الخليفة ، ولم يكن ممن تنكر بديته ولا تتمكر فكرته وقر يخته . قال ابن الجوزي : صنف وقرأ الأديب واللقنة ، وفاق أهل زمانه بالقدالة والفطنة والفصاحة ، وحسن العبارة ، وصنف المقامات المعروفة التي من تأملها عرف ذلك منشأها ، وقدره وفصاحته ، وعلمه . توفي في هذه السنة بالبصرة . وقد قيل إن أبا زيد والحارث بن همام المطهر لا وجود لهما ، وإنما جعل هذه المقامات من باب الأمثال ، ومنهم من يقول أبو زيد بن سلام السروجي كان له وجود ، وكان فاضلا ، وله علم ومعرفة باللقنة فأنه أعلم . وذكر ابن خلكان أن أبا زيد كان احمد المطهر بن سلام ، وكان بصريا فاضلا في النحو واللقنة ، وكان يشتغل عليه الحريري بالبصرة ، وأما الحارث بن همام فأنه خفي بنفسه ، لما جاء في الحديث كلكم حارث وكلكم همام . كذا قال ابن خلكان . وإنما اللفظ المحفوظ « صدق الأسماء حارث وهمام » لأن كل أحد إما حارث وهو الفاعل ، أو همام من الهمة وهو الزم والخاطر ، وذكر أن أول مقامة حملها الثامنة والأربعون وهي الحرامية ، وكان سببها أنه دخل عليهم في مسجد البصرة رجل ذو طمرين فصيح اللسان ، فاستمعه فقال أبو زيد السروجي ، فقبل فيه هذه المقامة ، فأشار عليه وزير الخليفة المسترشد جلال الدين عميد الدولة أبو علي الحسن بن أبي المزبب صدقة ، أن يكمل خليفها تمام خمسين مقامة . قال ابن خلكان : كذا رأيته في نسخة بخط المصنف ، على حاشيتها ، وهو أصح من قول من قال إنه الوزير شرف الدين أبو نصر أبو شروان بن محمد بن خالد بن محمد القاشاني ، وهو وزير المسترشد أيضاً ، ويقال إن الحريري كان قد حملها أربعين مقامة ، فلما قدم بغداد ولم يصدق في ذلك لمعز الناس عن مثلها ، فامتنع بعض الوزراء أن يعمل مقامة فأخذ الدولة والقرطاس وجلس ناحية فلم يتيسر له شيء ، فلما عاد إلى بلده حمل عشرة أخرى فأنتمها خمسين مقامة ، وقد قال فيه أبو القاسم علي بن أفلق الشاعر ، وكان من جملة المكذبين له فيها :

شيخ لنا من ربيعة الفرس * يفتق عنتونه من الموص

أنطقه الله بالشان كما * رماه وسط الديوان بالخرس

ومعنى قوله بالشان هو مكان بالبصرة ، وكان الحريري صدر ديوان المشان ، ويقال إنه كان خفي الخلق ، فاتفق أن رجلا رحل إليه فزاره أزدراء فهم الحريري ذلك فأنشأ يقول :

ما أنت أول سار غره قر * ورائها أعجيبته خضرة العن

فاختر لنفسك غيري إنني رجل * مثل المبيد فاسمع في ولائري

ويقال إن الميبدى اسم حصان جواد كان في العرب فميم الخلق والله أعلم .

﴿ البغوى المفسر ﴾

الحسين بن مسعود بن محمد البغوى ، صاحب التفسير وشرح السنة والتبذيب في الفقه ، والجمع بين الصحيحين والمصابيح في الصحاح والحسان ، وغير ذلك ، اشتغل على القاضي حسين وبرع في هذه العلوم ، وكان علامة زمانه فيها ، وكان ديناً ورعاً زاهداً عابداً صالحاً . توفي في شوال منها وقيل في سنة عشر فله أعلم . ودفن مع شيخه القاضي حسين بالطالقان والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسة ﴾

في يوم عاشوراء منها عاد الخليفة من الحلة إلى بغداد مؤيداً منصوراً من قتال ديبس . وفيها زم الخليفة على ظهور أولاد أخيه ، وكانوا اثني عشر ذكراً ، فزيت ببغداد سبعة أيام بزيئة لم ير مثلها . وفي شعبان منها قدم أسعد المهيقي مدرساً بالنظامية ببغداد ، وفتواً عليها ، وصرف الباقى عنها ، ووقع بينه وبين الفقهاء فتنة بسبب أنه قطع منهم جماعة ، واكتفى بماتقى طالب منهم ، فلم يبق ذلك على كثير منهم . وفيها سار السلطان محمود إلى بلاد الكرج وقد وقع بينهم وبين التتجاق خلف قتالهم فهزمهم ، ثم عاد إلى همدان . وفيها ملك طغتكين صاحب دمشق مدينة حماة بدعوة صاحبها قراجا ، وقد كان ظلماً غاشماً . وفيها عزل تقيب الملوين وعمدت داره وهو على بن أفطس ، لأنه كان حيناً لديس ، وأضيف إلى على بن طراد هابة الملوين مع هابة المباسين .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن على بن صدقة ، التنلى ، المعروف بابن الخياط الشاعر القمشي ، الكاتب ، له ديوان شعر مشهور . قال ابن حساكر ختم به شعر الشعراء بدمشق ، شعره جيد حسن ، وكان مكثراً لحفظ الأشعار المنتقاة وأخبارهم ، وأورد له ابن خلكان قطعة جيدة من شعره من قصيدته التي لو لم يكن له سواها لكانت هي التي يقول فيها :

خذا من صبا نجد أماناً لقلبه • فقد كاد رايها يطير بلبه
ولما ذاك النسيم فاته • متى هب كان الوجد يسر خطبه
خليلى ، لو أحببتنا لعلنا • محل الهوى من مفرم القلب حصيه
تذكر والذكرى تشوق وفوا الهوى • يتوق ومن يعلق به الحب يصبه
غرام على يأس الهوى ورجائه • وشوق على بعد المزار وقربه
وفي الركب مطوى الضلوع على جوى • متى يدعه داعى الغرام يلبه
إذا خطر من جانب الرمل نفضة • تضمن منها داؤه دون محبه

وعتجب بين الأئمة مريض • وفي القلب من أعراضه مثل حبه

أغار إذا آتت في الحى أنه • حذارا وخوفا أن تكون لحيه

توفى في رمضان منها عن سبع وتسعين سنة بمشق .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان عشرة وخمسة ﴾

فيها ظهرت الباطنية بآمد قاتلهم أهلها قتلوا منهم سبعة . وفيها ردت شحنة بغداد إلى
سند الدولة برقش الزكوى وسلم إليه منصور بن صدقة آخر ديس ليسله إلى دار الخلافة ، وورد الخبر
بأن ديساً قد التجأ إلى طبرك وقد اعتقا على أخذ بغداد ، فأخذ الناس بالتأهب إلى قتالها ، وأمر
آقسنقر بالموء إلى الموصل ، فاستجاب على البصرة عماد الدين زنكي بن آقسنقر . وفي ربيع الأول
دخل الملك حسام تمش بن إيلغازي بن أرتق صاحب حلب ، وقد ملكها بعد ملكها بك بن
برام ، وكان قد حاصر قلعة منبج فجاءه سهم في حلقه فأت ، فاستجاب تمش بحلب ، ثم عاد إلى
ماردين فأخفت منه بعد ذلك ، أخضاها آقسنقر مضافة إلى الموصل ، وفيها أرسل الخليفة القاضي أبا
سعد المرؤى ليخاطب له ابنة السلطان سنجر ، وشرع الخليفة في بناء دار على حافة دجلة لأجل
العروس . وحج بالناس جمال الدولة إقبال المسترشدى .

وعن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن علي بن برهان ﴾

أبو الفتح ، ويرف بابن الحامى ، فقه على أبي الوفاء بن عقيل ، وبرع في مذهب الامام أحمد ،
مم قم عليه أصحابه أشياء ، فله ذلك على الانتقال إلى مذهب الشافعى ، فاشتغل على النزاع
والشافعى ، ويرع وساد وشهد عند الزينى قبله ، ودرس في النظامية شهراً . توفى في جمادى ودفن
بباب إبرز . ﴿ عبد الله بن محمد بن جعفر ﴾

أبو على القدامى ، جمع الحديث وشهد عند أبيه وثاب في الكرخ عن أخيه ، ثم ترك ذلك
كله ، وولى حجابة باب النبى ، ثم عزل ثم أعيد . توفى في جمادى .

﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن إبراهيم أبو الفضل الميدانى ، صاحب كتاب الأمثال ، ليس له مثله في بابيه ، له شعر جيد ،
توفى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رمضان والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسة ﴾

فيها قصد ديس والسلطان طغرل بغداد ليأخذها من يد الخليفة ، فلما اقتربا منها برز إليهما
الخليفة في جعفر عظيم ، والناس مشاة بين يديه إلى أول منزلة ، ثم ركب الناس بعد ذلك ، فلما
أستت القيلة التى يقتلون في صبيحتها ، ومن هزمهم أن ينهبوا بغداد ، أرسل الله مطراً عظيماً ،

ومرض السلطان طغرل في تلك الليلة ، ففرقت تلك الجوع ورجعوا على أعقابهم خائبين خائفين ، والتجأ ديبس وطغرل إلى الملك سنجر وسألاه الأمان من الخليفة ، والسلطان محمود ، فحبس ديبساً في قلعة ووشى واش أن الخليفة يريد أن يستأثر بالملك ، وقد خرج من بغداد إلى الان لمحاربة الأعداء ، فوقع في نفس سنجر من ذلك وأضر سوء ، مع أنه قد زوج ابنته من الخليفة . وفيها قتل القاضي أبو سعد بن نصر بن منصور المروى بهمدان ، قتلته الباطنية ، وهو الذي أرسله الخليفة إلى سنجر ليخطب ابنته . وحج بالناس طغرل الخادم .

وعن توفى فيها من الأعيان . ﴿ آتسفر البرشقي ﴾

صاحب حلب ، قتلته الباطنية - وم الفداوية - في مقصورة جعلها يوم الجمعة ، وقد كان تركياً جيد السيرة ، محافظاً على الصلوات في أوقاتها ، كثير البر والصفات إلى القراء ، كثير الاحسان إلى الرعايا ، وقام في الملك بعده والده السلطان عز الدين مسعود ، وأقره السلطان محمود على عمله .

﴿ بلال بن عبد الرحمن ﴾

ابن شريح بن عمر بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سليمان بن بلال بن رباح ، مؤذن رسول الله ﷺ ، رحل وجال في البلاد ، وكان شيعياً جهورى الصوت ، حسن القراءة ، طيب النعمة توفى في هذه السنة بسمرت قد رحمه الله .

﴿ القاضي أبو سعد المروى ﴾

أحمد ^(١) بن نصر ، أحد مشاهير التقهاء ، وسادة الكبراء ، قتلته الباطنية بهمدان فيها .

﴿ ثم دخلت سنة عشرين وخمسة ﴾

فيها ترأس السلطان محمود والخليفة على السلطان سنجر ، وأن يكونا عليه ، فلما علم بذلك سنجر كتب إلى ابن أخيه محمود ينهيه ويستميله إليه ، ويحذره من الخليفة ، وأنه لا تؤمن غائلته ، وأنه متى فرغ من دار إليك فأخذك ، فأصغى إلى قول عمه ورجع عن عزمه ، وأقبل ليندل ببغداد عامه ذلك ، فكتب إليه الخليفة ينهيه عن ذلك لغة الاقوات بها ، فلم يقبل منه ، وأقبل إليه ، فلما أرفق قدمه خرج الخليفة من داره وتجهز إلى الجانب الشرقي فشق عليه ذلك وحل الناس ، ودخل عيد الأضحي فغلب الخليفة الناس بنفسه خطبة عظيمة بليغة فصيحة جدا ، وكبر وراهم خطباء الجوامع ، وكان يوماً مشهوداً . وقد سردها ابن الجوزي بطولها ورواها عن من حضرها ، مع القاضي القضاة الزينبي ، وجماعة من المدول ، ولما نزل الخليفة عن المنبر ذبح البدينة يساه ، ودخل السراوق وتباكى الناس ودعوا للخليفة بالتزويق والنصر ، ثم دخل السلطان محمود إلى بغداد يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي

الحجة ، فتركوا في بيوت الناس وحصل للناس منهم أذى كثير في حريمهم ، ثم إن السلطان راسل الخليفة في الصلح فأبى ذلك الخليفة ، وركب في جيشه وقا تل الأتراك ومعه شزيمة قليلة من القتالة ، ولكن العامة كلهم معه ، وقتل من الأتراك خلقا ، ثم جاء عماد الدين زنكي في جيش كثيف من واسط في سفن إلى السلطان فنجمة ، فلما استشر الخليفة ذلك دعا إلى الصلح ، فوقع الصلح بين السلطان والخليفة ، وأخذ الملك يستبشر بذلك جئاً ، ويعتسر إلى الخليفة مما وقع ، ثم خرج في أول السنة الآتية إلى همدان لمرض حصل له . وفيها كان أول مجلس تكلم فيه ابن الجوزي على المنبر يعظ الناس ، وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، وحضره الشيخ أبو القاسم علي بن يعلى العلوي البلخي ، وكان نسبياً ، عليه كانت ثم أصعد المنبر فقالها ، وكان يوما مشهودا . قال ابن الجوزي : وحزر الجمع يومئذ بخمسين ألفاً ، والله أعلم . وفيها اقتتل طفتكين صاحب دمشق وأعداؤه من الفرنج قتل منهم خلقا كثيرا ، وغنم منهم أموالا جزيلة والله الحمد والمنة ،

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن محمد ﴾

أبو الفتح الطوسي النزائي ، أخو أبي حامد النزائي ، كان واعظا مفوها ، ذا حظ من الكلام والزهد وحسن التأني ، وله نكت جيدة ، ووعظ مرة في دار الملك محمود فأطلق له ألف دينار ، وخرج فإذا على الباب فرس الوزير بسرجه الذهب ، وسلاحها وما عليها من الحل ، فركبها ، فبلغ ذلك الوزير فقال : دعوه ولا يرد على الفرس ، فأخذها النزائي ، وسمع ضرة فاعورة ثن فألقى عليها رداءه فتمزق قطعاً قطعاً . قال ابن الجوزي : وقد كانت له نكت إلا أن الغالب على كلامه التخليط والأحاديث الموضوعة المصنوعة ، والحكايات الفارغة ، والمأاني الفاسدة ، ثم أورد ابن الجوزي أشياء منكورة من كلامه والله أعلم ، من ذلك أنه كان كلما أشكل عليه شيء رأى رسول الله ﷺ في اليقظة فسأله عن ذلك فدل على الصواب ، وكان يتمصب إلى بليس ويعتذر له ، وتكلم فيه ابن الجوزي بكلام طويل كثير . قال ونسب إلى محبة المردان والقول بالمشاهدة والله أعلم بصحة ذلك . قال ابن خلكان : كان واعظا مليح الوعظ حسن المنظر صاحب كرامات وإشارات ، وكان من الفقهاء ، غير أنه مال إلى الوعظ فغلب عليه ودرس بالنظامية نيابة عن أخيه لما تزهد ، واختصر إحياء علوم الدين في مجلد سماه « لباب الاحياء » وله الاخيرة في علم البصيرة ، وطاف البلاد وختم الصوفية بنفسه ، وكان مائلا إلى الاقطاع والبرائة والله أعلم بحاله .

﴿ أحمد بن علي ﴾

ابن محمد الوكيل ، المعروف بابن برهان ، أبو الفتح الفقيه الشافعي ، فقهه على النزائي وعلى الكيا المراسي ، وعلى الشافعي ، وكان بارعا في الأصول ، وله كتاب الاخيرة في أصول الفقه ، وكان يعرف

فنوناً جيدة ، مبنها . وولى تدريس النظامية ببغداد دون شهر .

﴿ بهرام بن بهرام ﴾

أبو شجاع البيهقي ، معج الحديث وبنى مدرسة لأصحاب أحمد بكرواذي ، ووقف قطعة من أملاكه على الفقهاء بها .

﴿ صاعد بن سيار ﴾

ابن محمد بن عبد الله بن إبراهيم أبو الأعلام الاسحاق الهروي الحافظ ، أحد المنقذين ، معج الحديث ونوفى بمشورج قرية على باب هراة .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسة ﴾

استهل هذه السنة والخليفة والسلطان محمود متحاربان والخليفة في السراق في الجانب الغربي ، فلما كان يوم الأربعاء رابع المحرم توصل جماعة من جند السلطان إلى دار الخلافة فحصل فيها ألف مقاتل عليهم السلاح ، قهّبوا الأموال ، وخرج الجوارى وهن حاسرات يستنئن حتى دخلن دار الخاتون . قال ابن الجوزي : وأنا رأيتهن كذلك ، فلما وقع ذلك ركب الخليفة في جيشه وجرى بالسفن واقتلبت بغداد بالصراخ حتى كأن الدنيا قد زلزلت ، وثارت العامة مع جيش الخليفة فكسروا جيش السلطان وقتلوا خلقاً من الأمراء ، وأمسروا آخرين ونهبوا دار السلطان ودار وزيره ودار طيبيه أبي البركات ، وأخذوا ما كان في داره من الودائع ، ومرت خبطة عظيمة جداً ، حتى أنهم نهبوا الصوفية ، رباط نهر جور ، وجرت أمور طويّة ، وقالت العامة من السلطان ، وجعلوا يقولون له يا باطنى تترك الفرنج والروم وتقاتل الخليفة ، ثم إن الخليفة انتقل إلى داره في سابع المحرم ، فلما كان في يوم عاشوراء تماثل الحال وطلب السلطان من الخليفة الأمان والصلح ، فلان الخليفة إلى ذلك ، وتباشر الناس بالصلح ، فأرسل إليه الخليفة هيب النقيب وقاضى القضاة ، وشيخ الشيوخ وبعضاً وثلاثين شاهداً ، فاحتبسهم السلطان عنده ستة أيام فساء ذلك الناس ، وخافوا من فتنة أخرى أشد من الأولى ، وكان برقش الزكوى شحنة بغداد يفرى السلطان بأهل بغداد لينهب أموالهم ، فلم يقبل منه ، ثم أدخل لأولئك الجماعة فأدخلوه عليه وقت المغرب فصلى بهم القاضى وقرأوا عليه كتاب الخليفة ، وقام قائماً ، وأجاب الخليفة إلى جميع ما اقترح عليه ، ووقع الصلح والتخليف ، ودخل جيش السلطان وهم في غاية الجهد من قلة الطعام عندهم في السكر ، وقالوا : لو لم يصلح لمتناجرعاً ، وظهر من السلطان حلم كثير عن النوام ، وأمر الخليفة برد ما نهب من دور الجند ، وأن من كنتم شيئاً أبيح دمّه . وبث الخليفة على بن طراد الزينى النقيب إلى السلطان سنجر ليعبد عن يده ديبساً ، وأرسل معه الخلع والاكرام ، فأكرم سنجر رسول الخليفة ، وأمر بضرب الطبول على يابه في ثلاثة

أوقات ، وظهر منه طاعة كثيرة ، ثم مرض السلطان محمود ببغداد فأمره الطبيب بالانتقال عنها إلى همدان ، فسار في ربيع الآخر فوضع شحنية ببغداد إلى حماد الدين زنكي ، فلما وصل السلطان إلى همدان بسط على شحنية ببغداد مجاهد الدين بهروز ، وجعل إليه الحلة وبث حماد الدين زنكي إلى الموصل وأعمالها . وفيها درس الحسن بن سليمان بالنظامية ببغداد . وفيها ورد أبو الفتح الاسفرايني فوعظ ببغداد ، فأورد أحاديث كثيرة منكرة جدا ، فاستقبح منها وأمر بالانتقال منها إلى غيرها فشد منه جماعة من الأكابر وردوه إلى ما كان عليه ، فوقع بسببه قتل كثيرة بين الناس ، حتى رجمه بعض العامة بالأسواق ، وذلك لأنه كان يطلق عبارات لا يحتاج إلى إيرادها ، فنفرت منه قلوب العامة وأبغضوه ، وجلس الشيخ عبد القادر الجيلي فتكلم على الناس فأعجبهم ، وأحبوه وتركوا ذلك . وفيها قتل السلطان سنجر من الباطنية اثنا عشر ألفا . وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ محمد بن عبد الملك ﴾

ابن إبراهيم بن أحمد ، أبو الحسن بن أبي الفضل الحمداني الغرضي ، صاحب التاريخ من بيت الحديث . وذكر ابن الجوزي عن شيخه عبد الوهاب أنه طعن فيه . توفي فجأة في شوال ، ودفن إلى جانب ابن شريح .

﴿ فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضالويه ﴾

صحت الخطيب وابن المسلة وغيرها ، وكانت واعظة لها رباط تهتم في الزاهدات ، وقد جمع عليها ابن الجوزي مسند الشافعي وغيره .

﴿ أبو محمد عبد الله بن محمد ﴾

ابن السيد البطليموس ، ثم التنيسي صاحب المصنفات في الفقه وغيرها ، جمع المثلث في مجلدين ، وزاد فيه على قارب شيئا كثيرا جدا ، وله شرح سقط الزند لأبي الملاء ، أحسن من شرح المصنف وله شرح أدب الكاتب لابن قتيبة ، ومن شعره الذي أورده له ابن خلكان .

أخو العلم حتى خلد بعد موته * وأوصاله نحت التراب ريم
وفوا الجبل ميت وهو ماش على الثرى * يظن من الأحياء وهو عديم

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسة ﴾

في أولها قدم رسول سنجر إلى الخليفة يسأل منه أن يخطف له على منابر بغداد ، وكان يخطف له في كل جمعة بجامع المنصور . وفيها مات ابن صدقة وزير الخليفة ، وجعل مكانه قتيب النقيب . وفيها اجتمع السلطان محمود بمه سنجر واصطالحا بعد خشونة ، وسلم سنجر ديبسا إلى السلطان محمود على أن يسترضى عنه الخليفة ويمزل زنكي عن الموصل ، ويسلم ذلك إلى ديبس ، واشتهر في ربيع الأول

بيفداد أن ديبساً أقبل إلى بفسداد في جيش كثيف ، فكتب الخليفة إلى السلطان محمود : لئن لم تكف ديبساً عن القدوم إلى بفسداد وإلا خرجنا إليه وهضمنا ما بيننا وبينك من المهرود والصلح . وفيها ملك الاتابك زنكي بن آقسنقر مدينة حلب وما حولها من البلاد . وفيها ملك تاج الملوك بوري بن طفتكين مدينة دمشق بمد وفاة أبيه ، وقد كان أبوه من ممالك ألب أرسلان ، وكان عاقلاً حازماً عادلاً خيراً ، كثير الجهاد في الفرنج رحمة الله . وفيها عمل بيفداد مصلى للعبد ظاهر باب الحلية وحوط عليه ، وجعل فيه قبلة . وحج بالناس قلز الخادم المتقسم ذكره .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن علي بن صدقة ﴾
أبو علي وزير الخليفة المسترشد ، توفي في رجب منها . ومن شعره الذي أورده ابن الجوزي وقد بالغ في مدح الخليفة فيه وأخطأ :

وجدت الوري كلاء طساورقة • وأن أسير المؤمنين زلاه
وصورت معنى المقل شخصاً مصورا • وأن أمير المؤمنين مثله
فلولا مكان الشرح والدين والتقى • قللت من الاعظام جل جلاله
﴿ الحسين بن علي ﴾

ابن أبي القاسم اللاتقي ، من أهل صرقند ، روى الحديث وحقه ، وكان يضرب به المثل في المناظرة ، وكان خيراً ديناً على طريقة السلف ، مطرحاً للتكلف أماراً بالمروف ، قسم من عند الخلفاء ملك ما وراء النهر في رسالة إلى دار الخلافة ، فقبل له ألا تخرج طملك هذا ؟ قال : لأجمل الحج تبكاً لرسالتهم ، فعاد إلى بلده فمات في رمضان من هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة رحمه الله .

﴿ طفتكين الاتابك ﴾

صاحب دمشق التركي ، أحد غلمان قلش ، كان من خيار الملوك وأعداهم وأكثرهم جهاداً للفرنج ، وقام من بعده ولده تاج الملوك بوري .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسة ﴾

في الحزم منها دخل السلطان محمود إلى بفسداد ، واجتهد في إرضاء الخليفة عن ديبس ، وأن يسلم إليه بلاد الموصل ، فامتنع الخليفة من ذلك وأبى أشد الأباء ، هذا وقد تأخر ديبس عن الدخول إلى بفسداد ، ثم دخلها وركب بين الناس فلمنوه وشتموه في وجهه ، وقسم حماد الدين زنكي فينل للسلطان في كل سنة مائة ألف دينار ، وهدايا ونهقا ، وانترم للخليفة بعثها على أن لا يولي ديبساً شيئاً وعلى أن يستمر زنكي على عمله بالموصل ، فأقره على ذلك وخلع عليه ، ورجع إلى عمله فلك حلب وحماه ، وأسر صاحبها صونج بن تاج الملوك ، فأفسدى نفسه بخمسين ألف دينار . وفي يوم الاثنين

سلخ ربيع الآخر خلع السلطان على تقيب النقيب استقلالاً ، ولا يعرف أحد من المباسين بأشر الوزراء غيره . وفي رمضان منها جاء ديبس في جيش إلى الحلة فلحقها ودخلها في أصحابه ، وكانوا ثلاثمائة فارس ، ثم إنه شرع في جمع الأموال وأخذ الثلث من القرى حتى حصل نحواً من خمسمائة ألف دينار ، واستخدم قريباً من عشرة آلاف مقاتل ، وتهاقم الحال بأمره ، وبعث إلى الخليفة يسترضيه فلم يرض عليه ، وعرض عليه أموالاً فلم يقبلها ، وبعث إليه السلطان جيشاً فهاجم إلى البرية ثم أغار على البصرة فأخذ منها حواصل السلطان والخليفة ، ثم دخل البرية فاقطع خيره . وفي هذه السنة قتل صاحب دمشق من الباطنية ستة آلاف ، وعلق رؤس كبارهم على باب القلعة ، وأراح الله الشام منهم . وفيها حاصرت الفرنج مدينة دمشق فخرج إليهم أهلها ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، وبعث أهل دمشق عبد الله الواعظ ومعه جماعة من التجار يستغيثون بالخليفة ، وهما بكسر منبر الجامع ، حتى ومدهم بأنه سيكتب إلى السلطان ليعيث لهم جيشاً يقاتلون الفرنج ، فسكنت الأمور ، فلم يبعث لهم جيشاً حتى نصرهم الله من عنده ، فإن المسلمين هزموهم وقتلوا منهم عشرة آلاف ، ولم يفلت منهم سوى أربعين نفساً لله الحمد والمنة . وقتل محمد الفرنجي صاحب إطاكية . وفيها تضبط الناس في الحج حتى ضاق الوقت بسبب فتنة ديبس ، حتى حج بهم برقش الزكري ، وكان اسمه بفالحق . وعن توفى فيها من الأعيان . ﴿ أسعد بن أبي نصر ﴾

الميهني أبو الفتح ، أحد أئمة الشافعية في زمانه ، تفقه على أبي المظفر السمعاني ، وساد أهل زمانه وبرع وتفرد من بين أقرانه ، وولى تدريس النظامية ببغداد ، وحصل له وجاهة عند الخلفاء والعلماء وعلق عنه تعليقات في اختلاف ، ثم عزل عن النظامية فسار إلى همدان فأت بها في هذه السنة رحمه الله تعالى . ﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة ﴾

فيها كانت زلزلة عظيمة بالعراق تهدم بسببها دور كثيرة ببغداد . ووقع بأرض الموصل مظهر عظيم فسقط بعضه نارا فأجيج فأحرقت دوراً كثيرة ، وخلقا من ذلك المطر ونهارب الناس . وفيها وجد ببغداد عقارب طيارة لما شوكتان ، تغاف الناس منها خوفاً شديداً . وفيها ملك السلطان سنجر مدينة صمرقند وكان بها محمد بن خاقان . وفيها ملك حماد الدين زنكي بلاداً كثيرة من الجزيرة وهاجع الفرنج ، وجرت معهم حروب طويلة ، نصر عليهم في تلك المواقف كلها لله الحمد . وقتل خلقاً من جيش الروم حين قدموا الشام ، ومنحه الشراء على ذلك ،

﴿ قتل خليفة مصر ﴾

وفي ثاني ذي القعدة قتل الخليفة الفاطمي الآخر بأحكام الله بن المستمل صاحب مصر ، قتله الباطنية وله من العمر أربع وثلاثون سنة ، وكانت مدة خلافته تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر

ونصفاً ، وكان هو المأثر من وفد عبيد الله المهدي ، ولما قتل تغلب على الفيلو المصرية غلام من غلمانه
أرمنى فاستحوذ على الأمور ثلاثة أيام حتى حضر أبو علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجالى فأقام
الخليفة الحافظ أبا الميمون عبد المجيد بن الأمير أبى القاسم بن المستنصر ، وله من العمر ثمان وخمسون
سنة ، ولما أظلم استحوذ على الأمور دونه وحصره فى مجلسه ، لا يدع أحداً يدخل إليه إلا من يريد
هو ، ونقل الأموال من القصر إلى داره ، ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد ﴾

أبو إسحاق السككي من أهل فزة ، جاوز الثمانين ، وله شعر جيد فى الأثر . فنه :

فى فنية من جيوش الترك ما تركت • فردد كراتهم صوة ولا عينا

قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة • حسنا وإن قوتلوا كانوا عافريتا

وله ليت الذى بالشق دونك خصى • يا غللى قسم الحبة بيننا

ألقى المزبر فلا أخلف ونوبه • وبروحى نظر النزال إذا دنا

وله إنما هذه الغاية متاع • والسفينة النوى من يصطفها

ما مضى فالت والمؤمل غيب • ولك الساعة التى أنت فيها

وله أيضاً : قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة • باب الدواعى والتبواث منلق

خلت الديار فلا كريم يرتجى • منه التوال ولا مليح يشق

ومن العجائب أنه لا يشترى • ويخاف فيه مع الكساد ويسرق

كانت وفاته فى هذه السنة ببلاد بلخ ودفن بها . وما أنشده ابن خلكان له :

إشارة منك تكفيننا وأحسن ما • رد السلام غداة البين بالتم

- فى إذا طاح منها المرط من دهش • وأنجل بالضم سلك المقد فى الظلم

تبسمت فأضاه الليل فالتقطت • حبلت منتثر فى ضوء منتظم

﴿ الحسين بن محمد ﴾

ابن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن
وهب القيس أبو عبد الله الشاعر المعروف بالبارع ، قرأ القراءات وسمع الحديث بوكلن طارفاً بالبحر
واللغة والأدب ، وله شعر حسن ، توفى فى هذه السنة وقد جاوز الثمانين .

﴿ محمد بن سمون بن مرجأ ﴾

أبو عامر العبدي القرشي الحافظ ، أصله من بيرةقة من بلاد المغرب وبغداد ، وسمع بها على
طراد الزبلي والحيدى وغير واحد ، وكانت له مرفة جيدة بالحديث ، وكان ينخب فى الفروع منخب

الظاهرية . توفي في ربيع الآخر في بغداد .

﴿ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسة﴾

فيها ضل ديبس عن الطريق في البرية فأمره بعض أمراء الأعراب بأرض الشام ، وحمله إلى ملك دمشق بوري بن طغتكين ، فباعه من زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل بخمسين ألف دينار فلما حصل في يده لم يشك أنه سيهلكه ، لما بينهما من العداوة ، فأكرمه زنكي وأعطاه أموالاً جزيلة وقدمه واحترمه ، ثم جاءت رسل الخليفة في طلبه فبعثه معهم ، فلما وصل إلى الموصل حبس في قلعتها. وفيها وقع بين الأخوين محمود ومسعود ، فتواجهبا لقتال ثم اصطلحا. وفيها كانت وفاة الملك محمود بن ملكشاه فأقيم في الملك مكانه ابنه داود ، وجعل له إمامك وزيراً أبيه وخطب له بأكثر البلاد.

وَمِنْ تَوَفَّى فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ ﴿١٠٠﴾ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْقَاهِرِ الصُّوفِيِّ ﴿١٠١﴾

سمع الحديث وعقته بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وكان شيخنا لطيفاً ، عليه نور العباد والعلو
قال ابن الجوزي أنشدني :

على كل حال فاجعل الحزم عدة • تقدمها بين النوائب والاهم

فان نلت خيراً نلت بهزيمة • وإن قصرت عنك الأمور فمن عذر

قال وأنشدني أيضا :

لبست ثوب الرجا والناس قدر قنوا • وقت أشكو إلى مولاي ما أجد

وقلت يا عدنى فى كل نائبة • ومن عليه لكشف الضر أعتمد

وقد مددت يدي والضرر مشتمل * إليك يا خير من مدت إليه يد

فلا تُؤدِّها يارب خائبة • فيحرق جودك روى كل من رد

﴿الحسن بن سليمان﴾

ابن عبد الله بن عبد الفتى أبو على الفقيه مدرس النظامية ، وقد وعظ بجامع القصر ، وكان يقول
 ما في الفتنة منهية ، ولا في الوعظ مبتدئ . توفي فيها وغسله القاضي أبو العباس بن الرطبي ، ودفن
 عند أبي إسحاق . رحمته الله

﴿ حماد بن مسلم ﴾

الرحي القباس، كان يذكر له أحوال ومكاشفات وأطلاع على مغيبات، وغير ذلك من المنامات، ورأيت ابن الجوزي يتكلم فيه ويقول: كان عريا من العلوم الشرعية، وإنما كان ينفق على الجبال وذكر عن ابن عقيل أنه كان ينفر منه، وكان حماد القباس يقول: ابن عقيل عدوى. قال ابن الجوزي: وكان الناس ينذرون له فيقبل ذلك، ثم ترك ذلك وصار يأخذ من المنامات وينفق على أصحابه. توفي في رمضان ودفن بالشونيزمة.

﴿ على بن المستظهر بالله ﴾

أخو الخليفة المسترشد ، توفى في رجب منها وله من العمر إحدى وعشرون سنة ، قترك ضرب الطبول وجلس الناس للمزاء أياماً . ﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن أبي الفضل الماعاني ، أحد أئمة الشافعية ، تفقه بامام الحرمين وغيره ، ورحل في طلب الحديث ، ودرس وأفتى وناظر . توفى فيها وقد جاوز التسعين ، ودفن بقرية ماهان من بلاد مرو ، ﴿ محمود السلطان بن السلطان ملكشاه ﴾

كان من خيار الملوك ، فيه حلم وإناة وصلابة ، وجلسوا للمزاء به ثلاثة أيام ساعده الله .

﴿ هبة الله بن محمد ﴾

ابن عبد الواحد بن العباس بن الحصين ، أبو القاسم الشيباني ، راوى المسند عن علي بن المهذب عن أبي بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد بن أبيه ، وقد سمع قديماً لأنه ولد سنة ثلثتين وثلثين وأربعمائة ، وباكراً به أبوه فأسمه ، ومعه أخوه عبد الواحد ، على جماعة من علمية المشايخ ، وقدرى عنه ابن الجوزى وغير واحد ، وكان ثقة ثبتاً صحيح السماع ، توفى بين الظهر والمصر يوم الأربعاء منها وله ثلاث وتسعون سنة ، رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة ﴾

فيها قسم مسعود بن محمد بن ملكشاه بغداد وقدمها قراجا الساق ، وسلمجوق شاه بن محمد ، وكل منهما يطلب الملك لنفسه ، وقسم عماد الدين زنكي لينضم إليهما فنقله الساق فهزمه فهرب منه إلى تكريت ، فقدمه نائب قلمتها نجم الدين أيوب والى الملك صلاح الدين يوسف ، فأخضع بيت المقدس كما سيأتي إن شاء الله ، حتى عاد إلى بلاده ، وكان هذا هو السبب في مصير نجم الدين أيوب إليه ، وهو يخلب ، فقدم عنده ثم كان من الأمور ما سيأتي إن شاء الله تعالى . ثم إن الملكين مسعود وسلمجوق شاه اجتمعا فاصطلحا وركبا إلى الملك سنجر فاقتتلما ، وكان جيشه مائة وستين ألفاً وكان جيشهما قريباً من ثلاثين ألفاً ، وكان جملة من قتل بينهما أربعين ألفاً ، وأسر جيش سنجر قراجا الساق فقتله صبراً بين يديه ، ثم أجلس طغرل بن محمد على سرير الملك ، وخطب له على المنابر ، ورجع سنجر إلى بلاده ، وكتب طغرل إلى ديبس وزنكي لينجبا إلى بغداد ليأخذاها ، فأقبل في جيش كثيف فيروز إليهما الخليفة فهزماه ، وقتل خلقاً من أصحابهما ، وأزاح الله شرهما عنه والله الحمد . وفيها قتل أبو علي الأفضل بن بدر الجمالي وزير الحافظ الفاطمي ، فقتل الحافظ الأموال التي كان أخذها إلى داره واستوزر بعده أبا الفتح ، يانس الحافظي ، وكتبه أمير الجيوش ، ثم احتال فقتله واستوزر ولده حسناً وخطب له بولاية المهدي . وفيها عزل المسترشد وزيره علي بن طراد الأتلي

واستوزر أتوشروان بن خالد بعد تمتع . وفيها ملك دمشق فمس الملوك إسماعيل بن بوري بن طنتكين بعد وفاة أبيه ، واستوزر يوسف بن فيروز ، وكان خيرا ، ملك بلادا كثيرة ، وأطاعه إخوته ومن توفى فيها من الأعيان . (أحمد بن عبيد الله)

ابن محمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن غثنة بن يزيد السلي ، ويعرف بأبن كادش المكبرى ، أبو العز البغدادي ، سمع الحديث الكثير ، وكان يفهم ويروي به وهو آخر من روى عن الماوردي ، وقد أثنى عليه غير واحد ، منهم أبو عبد بن الخشاب ، وكان محمد بن ناصر يهيمه ويرميه بأنه اعترف بوضع حديث فأكده أعلم . وقال عبد الوهاب الأحملي كان غلطاً ، توفى في جمادى الأولى منها . (محمد بن محمد بن الحسين)

ابن القاضي أبي يعلى بن الفراء الخنبل ، ولد في شعبان سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، سمع أباه وغيره ، وتفقّه وأظهر وأقوى ودرس ، وكان له بيت فيه مال فمدى عليه من الليل قتل وأخذ ماله ، ثم أظهر الله عز وجل على قاتله قتلوه .

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة)

في صفر منها دخل السلطان مسعود إلى بغداد فخطب له بها وخلع عليه الخليفة وولاه السلطنة ونثر الذهب والدرهم على الناس ، وخلع على السلطان داود بن محمود . وفيها جمع ديبس جمعا كثيرا بواسطة فأرسل إليه السلطان جيشا فكسروه وفرقوا فله ، ثم إن الخليفة هزم على الخرج إلى الموصل ليأخذها من زنكي ، فرض عليه زنكي من الأموال والتحف شيئا كثيرا ليرجع عنه فلم يقبل ، ثم بلغه أن السلطان مسعود قد اصطليح مع ديبس وخلع عليه ، فكر راجعا سرعا إلى بغداد سالما معظما . وفيها مات ابن الزاغوني أحد أئمة الحنابلة ، فطلب حلقته ابن الجوزي ، وكان شابا ، فحصلت لغيره ، ولكن أذن له الوزير أتوشروان في الوعظ ، فتكلم في هذه السنة على الناس في أماكن متعددة من بغداد ، وكثرت مجالسه وازدهم عليه الناس . وفيها ملك فمس الملوك إسماعيل صاحب دمشق مدينة حماه ، وكانت بيد زنكي . وفي ذي الحجة نهب التركان مدينة طرابلس وخرج إليهم القومص لعنه الله الفرنجي فهزموه وقتلوا خلقا من أصحابه ، وحاصروه فيها مدة طويلة ، حتى طال الحصار ، فانصرفوا . وفيها تولى قاسم بن أبي فليتة مكة بعد أبيه . وفيها قتل فمس الملوك أخاه سونج ، وفيها اشترى الباطنية قلعة حصن القمصوس بالشام فسكنوها وحاربوا من جاورهم من المسلمين والفرنج . وفيها اقتتل الفرنج بها بينهم قتالا شديدا فحق الله بسبب ذلك خلقا كثيرا ، وغزاهم فيها حاد الدين زنكي قتل منهم ألف قتيل ، وغنم أموالا جزيلة ، ويقال لها غزوة أسوار . وحج بالناس فيها قلن الخادم وكذا في التي بعدها وقبلها .

وتوفي فيها من الاعيان

﴿ أحمد بن سلامة ﴾

ابن عبد الله بن مخلد بن إبراهيم ، أبو العباس بن الرطبي ، ثقة على أبي إسحاق وابن الصبانغ ببغداد ، وأصبهان على محمد بن ثابت الخجندی ، ثم تولى الحكم ببغداد بالحریم والحسبة ببغداد ، وكان يؤدب أولاد الخليفة ، توفي في رجب منها ودفن عند أبي إسحاق .

﴿ أسعد بن أبي نصر بن أبي الفضل ﴾

أبو الفضل الميمني محمد الدين أحد أئمة الشافعية ، وصاحب الاختلاف والمطروقة ، وقد درس بالنظامية في سنة سبع عشرة وخمسمائة إلى سنة ثلاث وعشرين فزل عنها ، واستمر أصحابه هناك وقد تقدم في سنة سبع عشرة أنه وليها ، وأنه توفي في سنة ثلاث وعشرين . وقال ابن خلكان : توفي سنة سبع وعشرين .

﴿ ابن الزاغوني الحنبلي ﴾

علي بن عبد الله بن نصر بن السري الزاغوني ، الامام المشهور ، قرأ القراءات وجمع الحديث واشتغل بالفتى والنحو والغة ، وله المصنفات الكثيرة في الأصول والفروع ، وله يد في الوعظ ، واجتمع الناس في جنازته ، وكانت حافلة جدا .

﴿ الحسن بن محمد ﴾

ابن إبراهيم البورباري ، من قراء أصبهان ، جمع الحديث ورحل وخرج ، وله تاريخ ، وكان يكتب حسنا ويقرأ فصيحاً ، توفي بأصبهان في هذه السنة .

﴿ علي بن يعلى ﴾

ابن عوض ، أبو القاسم الصلوى الهروي ، جمع مسند أحمد من أبي الحسين ، والترمذي من أبي طاهر الأزدی ، وكان يخط الناس بليسا بور ، ثم قدم بغداد فوعظ بها ، فحصل له القبول التام ، وجمع أموالا وكتبا . قال ابن الجوزي : وهو أول من سلكني في الوعظ ، وتكلمت بين يديه وأنا صغير ، وتكلمت عند الصرافه .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن يحيى أبو عبد الله النعاني الديباجي ، وكان ببغداد يعرف بالقمي ، كان أشعري الاعتقاد ووعظ الناس ببغداد ، قال ابن الجوزي : سمعته يشهد في مجلسه قوله :

دع دعوى بحق لي أن أنوحا • لم تسع لي القنوب قلباً محبباً

أخلقت مهبتي أكف المامى • ولما لي المشيب لنياً قصبياً

كلما قلت قد برا جرح قلبي • ملد قلبي من القنوب جريباً

إنما الفوز والنعيم لمبد • جاء في الحشر آمناً مستريحاً

﴿ محمد بن محمد ﴾

ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن خلف بن حازم بن أبي يعلى بن الفراء ، الفقيه ابن الفقيه ،
والسنة سبع وخمسين وأربعمائة ، جمع الحديث وكان من الفقهاء الزاهدين الأخيار ، توفي في صفر
منها .

﴿ أبو محمد عبد الجبار ﴾

ابن أبي بكر محمد بن حديد الأزدى الصقلى الشاعر المشهور ، أنشد له ابن خلكان أشعاراً
رائعة فنها قوله :

قم هاتما من كف ذات الوشاح • قد نمت الليل بشير الصباح
ياكر إلى اللذات واركب لها • سوابق الهوى ذوات المراح
من قبل أن ترشف همس الضحا • ريق النوادي من نفور الاقحاح
ومن جملة معانيه النادرة

زادت على كحل الجفون تكملا • وتسم نصل السهم وهو قتول

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ﴾

فيها اصطلع الخليفة وزكى . وفيها فتح زنكي قلعا كثيرة ، وقتل خلقا من الفرنج . وفيها
فتح همس الملوك الشقيف ثيروت ، ونهب بلاد الفرنج . وفيها قدم سلجوق شاه بغداد قنزل بدار
المسلكة وأكرمه الخليفة وأرسل إليه عشرة آلاف دينار ، ثم قدم السلطان مسعود وأكثر أصحابه
ركب على الجبال لقتل الخليل . وفيها تولى إمرة بنى عقيل أولاد سليمان بن مهارش العقيلي ، إكراما
لجدهم . وفيها أعيده ابن طراد إلى الوزارة ، وفيها خلع على إقبال المسترشدى خلع الملوك ، ولقب
ملك العرب سيف الدولة ، ثم ركب في الخلع وحضر الديوان . وفيها قوى أمر الملك طغرل وضعف
أمر الملك مسعود .

﴿ أحمد بن علي بن إبراهيم ﴾

ومن توفي فيها من الأعيان
أبو الوفاء الفيروز آبادي ، أحد مشايخ الصوفية ، يسكن رباط الوزني ، وكان كلامه يستحلى ،
وكان ينفذ من أخبار الصوفية وسيرهم وأشعارهم شيئا كثيرا .

﴿ أبو علي الفارقي ﴾

الحسن بن إبراهيم بن مرهون أبو علي الفارقي ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وفتقه بها على
أبي عبد الله محمد بن بيان الكازروني صاحب المحاملى ، ثم على الشيخ أبي إسحاق وابن الصباغ ،
وجمع الحديث وكان يكره على المنهب والشامل ، ثم ولي القضاء بواسط ، وكان حسن السيرة جيد
السريرة ، ممتا بمقله وحواسه ، إلى أن توفي في محرم هذه السنة عن ست وسبعين سنة .

﴿عبد الله بن محمد﴾

ابن أحمد بن الحسن ، أبو محمد بن أبي بكر الشافعي ، مع الحديث وثقه على أبيه ، وناظر وأفتى وكان فاضلاً واعظاً فصيحاً مفوهاً ، شكره ابن الجوزي في وعظه وحسن نظمه ونثره ، ولفظه ، توفي في الحرم وقد تأرب الحسين ، ودفن عند أبيه .

﴿محمد بن أحمد﴾

ابن علي بن أبي بكر العطار ، ويعرف بابن الحلاج البغدادي ، مع الحديث وقرأ القراءات ، وكان خيراً زاهداً طابداً ، يتبرك بدمائه ويزار .

﴿محمد بن عبد الواحد الشافعي﴾

أبو رشيد ، من أهل آمل طبرستان ، ولد سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ، وحج وأقام بمكة ، ومع من الحديث شيئاً يسيراً ، وكان زاهداً منقطعاً عن الناس مشتتلاً بنفسه ، ركب مرة مع تجار في البحر فأوقوا على جزيرة . قال : دعوني في هذه أعبد الله تعالى ، فما نعمه فأبى إلا المقام بها . فتركوه وساروا فردتهم الريح إليهم فقالوا : إنه لا يمكن المسير إلا بك ، وإذا أردت المقام بها فارجع إليها ، فسامعهم ثم رجع إليها فأقام بها مدة ثم رحل عنها ثم رجع إلى بلده آمل فأتى بها رحمه الله ، ويقال إنه كان يقتل في تلك الجزيرة بأشياء موجودة فيها ، وكان بها ثمان يتبلغ الإنسان ، وبها عين ماء يشرب منها ويتوضأ منها ، وقبره مشهور بآمل يزار .

﴿أم الخليفة﴾

المستشهد توفيت ليلة الاثنين بعد العتمة فاسع عشر شوال منها والله سبحانه أحلم .

﴿ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة﴾

فيها كانت وفاة المسترشد وولاية الراشد ، وكان سبب ذلك أنه كان بين السلطان مسعود وبين الخليفة واقع كبير ، اقتضى الحال أن الخليفة أراد قطع الخطبة له من بغداد فاتفق موت أخيه طغرل بن محمد بن ملكشاه ، فسار إلى البلاد فلحقها ، وقوى جأشه ، ثم شرع بجميع المساكين يأخذ بغداد من الخليفة ، فلما علم الخليفة بذلك انزعج واستمد قلبه ، وقفز جماعة من رؤس الأمراء إلى الخليفة خوفاً على أنفسهم من سطوة الملك محمود ، وركب الخليفة من بغداد في جحافل كثيرة ، فبهم اقتضاه رؤس الدولة من جميع الأصناف ، فشقوا بين يديه أول منزلة حتى وصل إلى السراشق ، وبث بين يديه مقدمة وأرسل الملك مسعود مقدمة عليهم ديبس بن صدقة بن منصور ، فحزت خطوط كثيرة ، وحاصل الأمر أن الجيوشين اتفقا في طهر رمضان يوم الاثنين فقاتلوا قتالاً شديداً ، ولم يقتل من الصغين سوى خمسة أنفس ، ثم حل الخليفة على جيش مسعود فهزمهم ، ثم تراجعوا فحملوا على جيش الخليفة فهزمهم

وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأسرُوا الخليفة ، ثم نهبت أموالهم وحواصلهم ، من جملة ذلك أربعة آلاف
 ألف دينار ، وغير ذلك من الأثاث والخلع والآنية والقبض ، فأتاه و إذا إليه راجعون . وطار الخبر
 في الأقاليم بذلك ، وحين بلغ الخبر إلى بغداد انزعج الناس لذلك ، وزلزلوا زلزالا شديدا ، صورة
 ومعنى ، وجاءت العامة إلى المنابر فكسروها وامتنعوا من حضور الجماعات ، وخرج النساء في البلاد
 حاسرات ينحن على الخليفة ، وما جرى عليه من الأسر ، وتأمى بأهل بغداد في ذلك خلق كثير
 من أهل البلاد ، وتمت فتنة كبيرة وانتشرت في الأقاليم ، واستمر الحال على ذلك شهر ذى القعدة
 والشناعة في الأقاليم منتشرة ، فكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه بجنده غلب ذلك عاقبة ما وقع
 فيه من الأمر العظيم ، ويأمره أن يعيد الخليفة إلى مكانه ودار خلافته ، فامتثل الملك مسعود ذلك
 وضرب للخليفة سراق عظيم ، ونفس له فيه قبة عظيمة وتحتها سرير هائل وألبس السواد على عاتقه
 وأركبه بضع ما كان يركبه من مراكبه ، وأمسك لجام الفرس ومشى في خدمته ، والجيش كلهم مشاة
 حتى اجلس الخليفة على سريرته ، ووقف الملك مسعود قبيل الأرض بين يديه وخلع الخليفة عليه ،
 وجيء بديبس مكتوبا وعن يمينه أسيران ، وعن يساره أميران ، وسيف مسلول ونسمة بيضاء ،
 فطرح بين يدي الخليفة ماذا يرسم تطبيقا لقلبه ، فأقبل السلطان فشنع في ديبس وهو ملقى يقول
 العفوا أمير المؤمنين ، أنا أخطأت والعفو عند المقدرة . فأمر الخليفة بإطلاقه وهو يقول : لا تريب
 عليكم اليوم يغفر الله لكم . فنهض قائما وانتمس أن يقبل يد الخليفة فأذن له لقبها ، وأمرها على وجهه
 وصدره . وسأل العفو عنه وهما كان منه ، واستقر الأمر على ذلك ، وطار هذا الخبر في الآفاق وفرح
 الناس بذلك ، فلما كان مستهل ذى الحجة جاءت الرسل من جهة الملك سنجر إلى ابن أخيه يستحثه
 على الإحسان إلى الخليفة ، وأن يبادر إلى سرعة رده إلى وطنه ، وأرسل مع الرسل جيشا ليكونوا في
 خدمة الخليفة إلى بغداد ، فصحبت الجيش عشرة من الباطنية ، فلما وصل الجيش حللوا على الخليفة
 فقتلوه في خيمته وقطعوه قطعاً ، ولم يبق للناس منه إلا الرسوم ، وقتلوا معه أصحابه منهم عبيد الله بن
 سكينه ، ثم أخذ أولئك الباطنية فأحرقوا قبعهم الله ، وقيل إنهم كانوا مجهزين بقتله الله أعلم . وطار
 هذا الخبر في الآفاق فاشتد حزن الناس على الخليفة المسترشد ، وخرجت النساء في بغداد حاسرات
 عن وجوههن ينحن في الطرقات ، قتل على باب مراغة في يوم الخميس سابع عشر ذى الحجة
 وحملت أعضاؤه إلى بغداد ، وعمل عزاءه ثلاثة أيام بعد ما برع لولاه الراشد ، وقد كان المسترشد ،
 شجاعا مقداما بعيد الهمة قصبيا بليغا ، عذب الكلام حسن الإبراد ، مليح الخط ، كثير العبادة
 محببا إلى العامة والخاصة ، وهو آخر خليفة رؤى خطيباً ، قتل وعمره خمس وأربعون سنة ، وثلاثة
 أشهر ، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوما ، وكانت أمه وأولم الأتراك

رحمه الله .

﴿ خلافة الراشد بالله ﴾

أبي جعفر منصور بن المسترشد ، كان أبوه قد أخذ له العهد ثم أراد أن يخلعه فلم يقدر على ذلك لأنه لم يقدر . فلما قتل أبوه بباب مراغة في يوم الخميس السابع عشر من ذي القعدة من سنة تسع وعشرين وخمسة مائة ، بإيمه الناس والأعيان ، وخطب له على المنابر ببغداد ، وكان إذ ذاك كبيراً له أولاد ، وكان أبيض جسيماً حسن اللون ، فلما كان يوم عرفة من هذه السنة جيء بالمسترشد وصلى عليه ببيت التوبة ، وكثر الزحام ، وخرج الناس لصلاة السيد من الندوم في حزن شديد على المسترشد ، وقد ظهر الرضى قليلاً في أول أيام الراشد .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن الحسين ﴾

ابن عمرو ، أبو المظفر بن أبي بكر الشاشي ، تفقه بأبيه واختارته النية بعد أخيه ولم يبلغ سن الرواية

﴿ إسماعيل بن عبد الله ﴾

ابن علي أبو القاسم الحاكم ، تفقه بإمام الحرمين ، وكان رفيق الغزالي يحترمه ويكرمه ، وكان قتيها بارداً ، وما يدا ورطاً ، توفي بطوس ودفن إلى جانب الغزالي .

﴿ ديبس بن صدقة ﴾

ابن منصور بن ديبس بن علي بن يزيد ، أبو الأعراسندي الأمير من بيت الأميرة وسادة الأحراب ، كان شجاعاً بطلاً ، فعل الأفاعيل وتفرق في البلاد من خوفه من الخليفة ، فلما قتل الخليفة عاش بعده أربعة وثلاثين يوماً ، ثم اتهم عند السلطان بأنه قد كاتب زكي ينهيه عن القدوم إلى السلطان ، ويخونه منه ، ويأمره أن ينجو بنفسه ، فبعث إليه السلطان غلاماً أرمنياً فوجده منكساً رأسه يفكر في خيمته ، فما كلفه حتى شهر سيفه فضر به فأبان رأسه عن جنته ، ويقال بل استنطقه السلطان فقتله صبراً بين يديه فله أعلم .

﴿ طغرل السلطان بن السلطان محمد بن ملكشاه ﴾

توفي بهمنان يوم الأربعاء ثالث المحرم منها .

﴿ علي بن محمد التروچاني ﴾

كان عابداً زاهداً ، حكى ابن الجوزي عنه أنه كان يقول بأن القدرة تتلحق بالمستحيلات ، ثم أنكر ذلك ومنعه لئلا يفتقه لما يقول ، وبلغه .

﴿ الفضل أبو منصور ﴾

أمير المؤمنين المسترشد ، تقدم شيء من ترجمته والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسة ﴾

فيها وقع بين الخليفة الراشد وبين السلطان مسعود بسبب أنه أرسل إلى الخليفة يطلب منه ما كان كتبه له والده المسترشد حين أمره ، التزم له بأربائة ألف دينار ، فامتنع من ذلك وقال : ليس بيننا وبينكم إلا السيف ، فوقع بينهما الخلف ، فاستعجش السلطان بالمساكر ، واستهزئ الخليفة الأشراف ، وأرسل إلى عماد الدين زنكي فجاء والتف على الخليفة خلائق ، وجاء في غضون ذلك السلطان داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه ، فخطب له الخليفة ببغداد ، وخلع عليه وبأيمه على الملك ، فتأكدت الوحشة بين السلطان والخليفة جدا ، وبرز الخليفة إلى ظاهر بغداد ومشى الجيوش بين يديه ، كما كانوا يمامون أباه ، وذلك يوم الأربعاء سلخ شعبان ، وخرج السلطان داود من جانب آخر فلما بلغهم كثرة جيوش السلطان محمود حسن عماد الدين زنكي للخليفة أن ينهب معه إلى الموصل ، واتفق دخول مسعود إلى بغداد في غيبتهم يوم الاثنين رابع شوال ، فاستحوذ على دار الخلافة بما فيها جميعه ، ثم استنخس من نساء الخليفة وحظاياه الحل والمصلح والثياب التي للزينة ، وغير ذلك ، وجمع القضاء والقهاء ، وأبرز لهم خط الراشد أنه متى خرج من بغداد لقتال السلطان فقد خلع نفسه من الخلافة ، فأفتى من أفتى من القهاء بخلمه ، فغاص في يوم الاثنين سادس عشر شهر ذي القعدة بحكم الحاكم وقتيا القهاء ، وكانت خلافته إحدى عشر شهرا وإحدى عشر يوما ، واستدعى السلطان بعنه المفتي بن المستظهر فبوع بالخلافة عوضا عن ابن أخيه الراشد بالله .

﴿ خلافة المفتي لأمر الله ﴾

أبي عبد الله بن المستظهر ، وأمه صفراء تسمى نسبا ، ويقال لها ست السادة ، وله من العمر يومئذ أربعون سنة ، بوع بالخلافة بعد خلع الراشد بيومين ، وخطب له على المنابر يوم الجمعة لعشرين من ذي القعدة ، ولقب بالمفتي لأنه يقال إنه رأى رسول الله ﷺ وهو في المنام وهو يقول له سيصل هذا الأمر إليك فأخفف بي ، فصار إليه بعد ستة أيام قلب ينك

﴿ فائدة حسنة ينبغي التنبيه لها ﴾

ولي المفتي والمسترشد الخلافة وكانا أخوين ، وكذلك السفاح والنصور ، وكذلك الهادي والرشيد ، ابنا المهدي ، وكذلك الواثق والمتوكل ابنا المعتصم أخوان ، وأما ثلاثة إخوة فالأمين والمأمون والمعتصم بنو الرشيد ، والمعتصم والمعتز والمعتد بنو المتوكل ، والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المستنجد ، والراضي والمفتي والطبيع بنو القادر ، وأما أربعة إخوة فلم يكن إلا في بني أمية وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان ، ولما استقر المفتي بالخلافة استمر الراشد ذاهبا إلى الموصل محبة صاحبها عماد الدين زنكي ، فسنحها في ذي الحجة من هذه السنة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿محمد بن حويه﴾

ابن محمد بن حويه أبو عبد الله الجويني ، روى الحديث وكان صدوقاً مشهوراً بالعلم والزهد ، وله كرامات ، دخل إلى بغداد فلما ودعهم بالخروج منها أنشدهم :

لئن كان لي من بعد عود إليكم • نصيب لباتات النواد إليكم
وإن تكن الأخرى وفي النيب غيره • قضاء وإلا فالسلام عليكم

﴿محمد بن عبد الله﴾

ابن أحمد بن حبيب ، أبو بكر الماسري ، المعروف بابن الخباز ، سمع الحديث وكان يفظ الناس على طريق التصوف ، وكان ابن الجوزي فيمن تأدب به ، وقد أنى عليه وأشد عنه من شره :

كيف احتبالي وهذا في الهوى حالي • والشوق أمك لي من غفل عذالي
وكيف أشكو وفي حبي له شغل • يحول بين مهماتي وأشتالي

وكانت له معرفة بالفتوة والحديث ، وقد شرح كتاب الشهاب ، وقد ابقى رباطاً ، وكان عنده فيه جماعة من المتعبدين والزهاد ، ولما احتضر أوصاهم بتقوى الله عز وجل والاخلاص لله والدين ، فلما فرغ شرح في التزم وعرق جبينه فديده وقال بيننا لنهره :

هاقد بسطت يدي إليك فردها • بالفضل لا بشاة الأهداء

ثم قال : أرى المشايخ بين أيديهم الأطلاق وهم يلتظرونني ، ثم مات ، وذلك ليلة الأربعاء نصف رمضان ودفن برباطه ، ثم غرق رباطه وقبره في سنة أربعين وخمسمائة ،

﴿محمد بن الفضل﴾

ابن أحمد بن محمد بن أبي العباس أبو عبد الله الصاعدي الفراوي ، كان أبوه من ثغر فراوه ، وسكن نيسابور ، فولد له بها محمد هذا ، وقد سمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ بالآفاق ، وفتقته وأفقي وناظر وعطف ، وكان غزيراً حسن الوجه جميل الماشرة كثير التبسم ، وأملأ أكثر من ألف مجلس ، ورحل إليه الطلبة من الآفاق حتى يقال للفراوي ألف راوي ، وقيل إن ذلك كان مكتوباً في خاتمه ، وقد أسمع صحيح مسلم قريباً من عشرين مرة ، توفي في شوال منها من تسعين سنة .

﴿ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة﴾

فيها كثر موت النجاة بأصبهان فلت آلاف من الناس ، وأغلقت دور كثيرة . وفيها تزوج الخليفة بالخاتون فاطمة بنت محمد بن ملكشاه على صداق مائة ألف دينار ، فحضر آخرها السلطان مسعود العقدي وجماعة من أعيان الدولة والوزراء والأمراء ، ونثر على الناس أنواع النثار . وفيها صام أهل بغداد رمضان ثلاثين يوماً ولم يروا الهلال ليلة إحدى وثلاثين ، مع كون السماء كانت مصحبة .

قال ابن الجوزي : وهذا شيء لم يقع مثله . وفيها هرب وزير صاحب مصر وهو تاج الدولة بهرام النصراني ، وقد كان تمكن في البلاد وأساء السيرة ، فطلبه الخليفة الحافظ حتى أخذه فسجنه ثم أطلقه فترهب وترك العمل ، فاستوزر بعده رضوان بن الرميحي ولقبه الملك الأفضل ، ولم يلقب وزير قبله بهذا ، ثم وقع بينه وبين الخليفة الحافظ ، فلم يزل به الخليفة حتى قتله واستقل بتدبير أموره وحده . وفيها ملك عماد الدين زنكي عدة بلدان . وفيها طلع بالشام سحاب أسود أغلقت له الدنيا ، ثم ظهر بعده سحاب أحمر كأنه نار أضاعت له الدنيا ، ثم جاءت ريح عاصف ألقت أشجاراً كثيرة ، ثم وقع مطر شديد وسقط برد كبار . وفيها قصد ملك الروم بلاد الشام فأخذ بلاداً كثيرة من أيدي الفرنج ، وأطاعه ابن اليون ملك الأرمن .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن محمد بن ثابت ﴾

ابن الحسن أبو سعيد النخعي ، فقه على والده الإمام أبي بكر النخعي الأصهباني ، وولى تدريس النظامية ببغداد مراراً ، ويمزل عنها ، وقد سمع الحديث ووعظ ، وتوفي في شعبان منها ، وقد قارب التسعين . ﴿ هبة الله بن أحمد ﴾

ابن عمر الحريري ، يعرف بابن الطير ، سمع الكثير وهو آخر من روى عن أبي الحسن ابن زوج الحرة ، وقد حدث عنه الخطيب ، وكان ثبناً كثير السماع ، كثير الذكر والتلاوة ، متمكناً بهواه وقواه ، إلى أن توفي في جمادى الأولى من ست وتسعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وخمسة ﴾

فيها قتل الخليفة الراشد الخلو ، وذلك أنه اجتمع معه الملك داود وجماعة من كبار الأمراء ، فقصدهوا قتال مسعود بأرض مراغة فهزمهم وبدد شملهم ، وقتل منهم خلقاً صبراً ، منهم صدقة بن ديبس ، وولى أخاه محمداً مكانه على الحلة ، وهرب الخليفة الراشد الخلو ، فدخل أصبهان فقتله رجل ممن كان ينفذه من الخراسانية ، وكان قد برأ من وجع أصابه ، فقتلوه في الخامس والعشرين من رمضان ، ودفن بشهرستان ظاهر أصبهان . وقد كان حسن اللون مليح الوجه شديد القوة ميبكاً ، أمه أم ولد . وفيها كفى الحكمة رجل من التجار يقال له راسد الفارسي ، بمائة عشر ألف دينار ، وذلك لأنه لم تأتيا كسوة في هذا العام لأجل اختلاف الملوك . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببلاد الشام والجزيرة والعراق ، فانهدم شيء كثير من البيوت ، ومات تحت المهدم خلق كثير . وفيها أخذ الملك عماد الدين زنكي مدينة حمص في المحرم ، وتزوج في رمضان بالست زمرد خاتون ، أم صاحب دمشق ، وهي التي تنسب إليها الخاتونية البرانية . وفيها ملك صاحب الروم مدينة بزاغة ، وهي على ستة فراسخ من حلب ، فجاء أهلها الذين نجوا من القتل والسبي يستغيثون بالمسلمين ببغداد ، فنعت

الخطبة ببغداد ، وجرت قن طويلة . وفيها تزوج السلطان مسعود بسرى بنت ديس بن صدقة
و زينت ببغداد لذلك سبعة أيام . قال ابن الجوزى : حصل بسبب ذلك فساد عريض طويل منتشر ،
ثم تزوج ابنة عمه فزينت ببغداد ثلاثة أيام أيضا . وفيها ولد للسلطان الناصر صلاح يوسف بن أيوب
ابن شارى بقلة تمكيت .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد ﴾

أبو بكر بن أبي الفتح الدينورى الخبلى ، سمع الحديث وثقه على أبى الخطاب الكلوزانى
وأففى ودرس وناظر ، كان أسعد المبنى يقول عنه : ما اعترض أبو بكر الدينورى على دليل أحد إلا
قله ، وقد تخرج به ابن الجوزى وألشد :

تمنيت أن يمسى قتها مناظرا • بنير عياد والجنون فنون
وليس اكتساب المال دون مشقة • تلقيتها ، فالعلم كيف يكون ؟

﴿ عبد المنعم بن عبد الكريم ﴾

ابن هوازن ، أبو المظفر القشيري ، آخر من بقى منهم ، سمع أباه وأبا بكر البيهقي وغيرهما ، وسمع
منه عبد الوهاب الاعملى ، وأجاز ابن الجوزى ، وقارب التسمين .

﴿ محمد بن عبد الملك ﴾

ابن محمد بن عمر ، أبو الحسن الكرخي ، سمع الكثير في بلاد شتى ، وكان قتها مفتيا ، وثقه بأبى
إسحاق وغيره من الشافعية ، وكان شاعرا نصيبا ، وله مصنفات كثيرة منها الفصول في اعتقاد
الأئمة النحول ، يذكر فيه مذاهب السلف في باب الاعتقاد ، ويحكى فيه أشياء غريبة حسنة ، وله
تفسير وكتاب في الفقه ، وكان لا يقتن في الضجر ، ويقول : لم يصح ذلك في حديث ، وقد كان إمامنا
الشافعي يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، واضربوا بقول الحافظ . وقد كان حسن الصورة جميل
الماشرة ، ومن شعره قوله :

تمنات داره حق ولكن • خيال جماله في القلب ساكن
إذا امتلا الفؤاد به فاذا • يضر إذا خلت منه الأماكن

توفي وقد قارب التسمين . ﴿ الخليفة الراشد ﴾

منصور بن المسترشد ، قتل بأصبهان بعد مرض أصابه ، وقيل إنه سم ، وقيل قتلته الباطنية ، وقيل
قتله الفراشون الذين كانوا يلون أمره بالله أعلم . وقد حكى ابن الجوزى عن أبى بكر الصولى أنه قال
الناس يقولون كل سادس يقوم بأمر الناس من أول الاسلام لا بد أن يخلع . قال ابن الجوزى :
فتملئت ذلك فرأيتة عجبا قيام رسول الله ﷺ ثم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم الحسن ثم عليهما معاوية

ثم يزيد ومعاوية بن يزيد وصروان وعبد الملك ، ثم عبد الله بن الزبير فخلع وقتل ، ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم يزيد ثم هشام ثم الوليد بن يزيد فخلع وقتل ، ولم ينتظم لبني أمية بعدهم أرسحق قام السفاح العباسي ثم أخوه المنصور ثم المهدي ثم الهادي ثم الرشيد ثم الأمين فخلع وقتل ، ثم المأمون والمتصم والواثق والمتوكل والمنتصر ثم المستعين فخلع ثم قتل ، ثم المعتز والمهتدي والمعتمد والمتضد والمكتفي ثم المعتذر فخلع ثم أعيد فقتل ، ثم القاهر والراضي والمتقي والمكتفي والطيع ثم الطالع فخلع ، ثم القادر والقائم والقنص والمستهزئ والمستعز ثم الرشيد فخلع وقتل .

(أنوشروان من خالد)

ابن محمد القشاشي القيني ، من قرية قين من قاشان ، الوزير أبو نصر ، وزير السلطان محمود
والخليفة المسترشد، وكان حاقلاً مهيباً عظيم الخلق ، وهو الذي أزم أبا محمد الحريري بتشكيل المقامات،
وكان سبب ذلك أن أبا محمد كان جالساً في مسجد بني حرام في محلة من محال البصرة ، فدخل عليه
شيخ فوطرين فقالوا : من أنت ؟ قال أنا رجل من مروج ، يقال لي أبو زيد . فعمل الحريري
المقامة الحرامية واشتهرت في الناس ، فلما طالعها الوزير أنوشروان أعجب بها وكلف أبا محمد الحريري
أن يزيد عليها غيرها فزاد عليها غيرها إلى تمام خمسين مقالة ، فهي هذه المشهورة المتداولة بين
الناس ، وقد كان الوزير أنوشروان كرمياً ، وقد منحه الحريري صاحب المقامات .

- ألا ليت شعري والتقى لعله • وإن كان فيه راحة لأخى الكرب
 • أندرون أنى مذنتات دياركم • وشط اقترابى من جنابكم الرحب
 • أكايده شوقاً ما أزال أداره • يقلبني في الليل جنباً على جنب
 • وأذكر أيام التلاقى فأتلنى • لنذكارها بادی الاسمى طائر الحب
 • ولى حنة في كل وقت إليكم • ولا حنة الصادى إلى البارد المنعب
 • فوالله لو أنى كتمت هواكم • لما كان مكتوماً بشرق ولا غرب
 • وما شجا قلبي المعنى وشقه • رضاكم باهمال الاجابة من كتهى
 • وقد كنت لأخشى مع الذنب جفوه • قدصرت أخشاهوا وماى من ذنب
 • ولما سرى الوفد العراق فحومكم • وأهوزنى المسرى إليكم مع الركب
 • جعلت كتابي تالفاً عن ضرورى • ومن لم يجد ماء تيمم بالقرب
 • ويعضد أيضاً بضمة من جوارحى • تليبيكم عن سر حالى وتسبى
 • ولست أرى اذ كلركم بعد خيركم • بمكرمة ، حسبي اعتذاركم حسبي

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسة ﴾

فيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة جبرت فالت بسببها مائتا ألف وثلاثون ألفاً ، وصار مكاتها ماء أسود عشرة فراسخ في مثلها ، وزلزل أهل حلب في ليلة واحدة ثمانين مرة . وفيها وضع السلطان محمود مكوس كثيرة من الناس ، وكثرت الأدعية له . وفيها كانت وقعة عظيمة بين السلطان سنجر وخوارزم شاه ، فهزمه سنجر وقتل ولده في المعركة ، فحزن عليه والده حزناً شديداً . وفيها قتل صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري بن طفتكين ، قتله ثلاثة من خواصه ليلا وهو بوا من القلعة ، فأدرك اثنتان فصلباً وأفلت واحد . وفيها عزل اليهود والنصارى عن المباشرات ثم أعيدها قبل شهر وحج بالناس فيها فقلز الخادم .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ زاهر بن طاهر ﴾

ابن محمد ، أبو القاسم بن أبي عبد الرحمن بن أبي بكر السعلى المحدث الكثير ، الرجال الجوال ، جمع الكثير وأملى بجامع نيسابور ألف مجلس ، وتكلم فيه أبو سعد السمعاني ، وقال : إنه كان يضل بالصلوات . وقد رد ابن الجوزي على السمعاني بمنزلة المرض وقال : إنه كان به مرض يكثر بسببه جمع الصلوات فأنه أعلم ، بلغ خمسا وعشرين سنة توفي ببغداد في ربيع الآخر ، ودفن بمقبرته .

﴿ يحيى بن يحيى بن علي ﴾

ابن أفلح ، أبو القاسم الكاتب ، وقد خلع عليه المسترشد وكتبه جمال الملك ، وأعطاه أربعة دوا ، وكانت له دار إلى جانبهم فهم من كلهم وأنفذ مكانهم داراً هائلة ، طولها ستون ذراعاً في عرض أربع ذراعات ، وأطلق له الخليفة أخشابها وأجرها وطرازاتها ، وكتب عليها أسماءاً حسنة من نظمها ونظم غيره ، فن ذلك ما هو على باب دارها :

إن أعجب الراؤن من ظاهري • فباطني لو علموا أعجب
شد باني من كفه مزنة • يضل منها المراض الصيب
ورنحت روضة أخلاقه • في حيار نورها منهب
صدر كمي صدرى من نوره • فمما على الأيام لا تقرب

وعلى العرزم مكتوب :

ومن المروءة لفتى • ما على دار فخره
فانق من الدنيا بها • وأعمل لدار الآخرة
هاتيك وأفيت بما • وعدت وهاتى بآثره

وفي موضع آخر مكتوب :

وإذا كان جنان الخ • للأعارة من حسنهاروها
وأعطته من حادثات الزما • ن أن لا يلج به موبقا
فأضحى يلبثه على كل ما • بنى مغربا كان أو مشرقا
تظل الوفود به عكفا • وبمضى الضيوف به طرقا
بقيت له يا جمال الملو • كوكذا الفضل منها أردت البقا
وسلله فيك ريب الزما • ن ووقيت فيه القى يتقى

فما والله صدقت هذه الأماني ، بل عما قريب آتتهم الخليفة بأنه يكاتب ديسكا فأمر بخراب داره
تلك فلم يبق فيها جدار ، بل صارت خربة بمد ما كانت قررة العيون من أحسن المقام والقرار ، وهذه
حكمة الله من تقلب الليل والنهار ، وما تقهرى بمشيئة الأقدار ، وهي حكمته في كل دار بليت بالأشر
والبطار ، وفي كل لباس لبس على التيه والكبر والأشر . وقد أورد له ابن الجوزي أشعاراً حسنة
من نظمه ، وكللت من ثمره فن ذلك قوله :

دع الهوى لافس يعرفون به • قد مارسوا الحب حتى أصعبه
أدخلت نفسك فيما لست تجر به • والشئ صعب على من لا يجربه
أمن اصطبار وإن لم تستطع خلدا • فرب مدرك أمر عز مطلبه
أحن الضلوع على قلب يخبرني • في كل يوم يميني قلبه
تأرجح الريح من نهد يهيج • ولا مع البرق من نفث يطربه
هذه الخيف وهاتيك مني • فترقق أيها الحامدي بنا
واحبس الركب علينا ساعة • تنب النار وبكي الدنيا
فلما الموقف أعددت البكا • ولذا اليوم الدموع تهتن
زماننا كل وكنا جيرة • فأعاد الله ذاك الزما
بيننا يوم اختلف تلتقي • كل من غير تراضى بيننا
(ثم دخلت سنة أربع وخمسين)

فيها حاصر زنكي دمشق فخصها الأتابك معين الدين بن ملوك طنتكين ، فاتفق موت ملكها
جمال الدين محمود بن بوري بن طنتكين ، فأرسل معين الدين إلى أخيه جعفر الدين أتي ، وهو يملك
فلسكة دمشق ، فذهب زنكي إلى بملك فأخذها واستتاب عليها نجم الدين أيوب صلاح الدين .
وفيها دخل الخليفة على الخاتون فاطمة بنت السلطان مسعود ، وأغلقت بغداد أياما . وفيها نودي
لعلاء على رجل صالح فاجتمع الناس بمدرسة الشيخ عبد القادر فاتفق أن الرجل عطس فأفاق ،

وحضرت جنازة رجل آخر غيره فصلى عليه ذلك الجمع الكثير . وفيها قصمت المياه من سائر الدنيا وفيها ولد صاحب حماد تقي الدين عمر شاهنشاه بن أيوب بن شاري .

وعمن توفي فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن جعفر ﴾

ابن الفرج أبو العباس الحربي ، أحد المباد الزهاد ، جمع الحديث وكانت له أحوال صالحة ، حتى كان يقال : إنه كان يرى في بعض السنين برفات ، ولم ينجح في تلك السنة .

﴿ عبد السلام بن الفضل ﴾

أبو القاسم الجليلي ، جمع الحديث وثقته على الكيا المرامى ، وبرع في الأصول والفروع ، وغير ذلك ، وولى قضاء البصرة وكان من خيار القضاة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسة ﴾

فيها وصلت البردة والقضيب إلى بغداد ، وكثا مع المسترشد حين حرب سنة تسع وعشرين ، وخمسة غفظمها السلطان سنجر عنده حتى ردما في هذه السنة . وفيها كملت المدرسة الكمالية المنسوبة إلى كمال الدين ، أبي الفتوح حمزة بن طلحة ، صاحب المحزن ، ودرس فيها الشيخ أبو الحسن الحلبي ، وحضر عنده الأعيان .

وعمن توفي فيها من الأعيان ﴿ إسماعيل بن محمد ﴾

ابن علي ، أبو القاسم الطلعي الأصبهاني ، جمع الكثير ، ورجل وكتب وأمل بأصبهان ، قريبا من ثلاثة آلاف مجلس ، وكان إماما في الحديث والفقهاء والتفسير والفقه ، حافظا متقنا ، توفي ليلة عيد الأضحي وقد قارب الثمانين ، ولما أراد الفاسل تنحية أخوثة عن فرجه ردها بيده ، وقيل : إنه وضع يده على فرجه

﴿ محمد بن عبد الباقي ﴾

ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت بن وهب بن مسجة بن الحارث بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، جمع الحديث وتفرغ عن جماعة من المشايخ ، وأمل الحديث في جميع القصر ، وكان مشاركا في علوم كثيرة ، وقد أسرف في صفه في أيدي الروم فأرادوه على أن يتكلم بكلمة الكفر فلم يفعل ، وقلم منهم خط الروم ، وكان يقول من خدم الحبار خدمته المنابر ، ومن شره الذي أوردته له ابن الجوزي عنه وصححه منه قوله :

احفظ لسانك لا تبخ بثلاثة • سن ومال ، إن شئت ، ومنحب

فعلی الثلاثة تبخل بثلاثة • بمكفر وبمحاسد ومكذب

وقوله : لي مدة لا بد أبلغها • فإذا انقضت مت

لو طانتني الاسد ضارية • ما ضرتني ما لم يجي الوقت

قال ابن الجوزي: بلغ من العمر ثلاثاً وتسعين سنة، لم تتغير حواسه ولا عقله، توفي ثاني رجب منها. وحضر جنازته الأعيان وغيرهم، ودفن قريباً من قبر بشر.

(يوسف بن أيوب)

ابن الحسن بن زهرة، أبو يعقوب المهنائي، تفقه بالشيخ أبي إسحاق، وبرع في الفقه والمناظرة ثم ترك ذلك واشتغل بالعبادة، وصحب الصالحين، وأقام بالجلال، ثم عاد إلى بغداد فوعظ بها، وحصل له قبول. توفي في ربيع الأول ببعض قرى هراة.

﴿ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة﴾

فيها كانت حروب كثيرة بين السلطان سنجر وخوارزم شاه، فاستحوذ خوارزم على مرو بعد هزيمة سنجر ففتك بها، وأساء التدبير بالنسبة إلى القهاء الحنفية الذين بها، وكان جيش خوارزم ثلاثمائة ألف مقاتل. وفيها قتل حمق التهرز، وخلع نهر وشنعة بغداد على حجاب صباغ الحرير الرومي، وركب هو والسلطان مسعود في سفينة في ذلك النهر، وفرح السلطان بذلك، وكان قد صرف السلطان على ذلك التهر سبعين ألف دينار. وفيها حج كمال الدين طلمعة صاحب الخزن، وعاد قزهد وترك العمل ولزم داره. وفيها عقدت الجمعة بمسجد العباسيين بأذن الخليفة. وحج بالناس قلزم.

﴿إسماعيل بن أحمد بن عمر﴾

ومن توفي فيها من الأعيان. ابن الأشعث، أبو القاسم بن أبي بكر السمرقندي القمشقي ثم البغدادى، جمع الكثير وتفرد بمشايخ، وكان سماه صهيحاً، وأملى بجامع المنصور مجالس كثيرة فهو ثلاثمائة مجلس، توفي وقد جاوز الثمانين

﴿يحيى بن علي﴾

ابن محمد بن علي، أبو محمد بن الطراح المدير، ولد سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وجمع الكثير وأجمع، وكان شيخاً حسناً مهيباً كثير العبادة، توفي في رمضان منها.

﴿ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة﴾

فيها ملك عماد الدين زنكي الحديثة، وقتل آل مهارش منها إلى الموصل، ورتب فيها نوايا من جهته.

﴿ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة﴾

فيها تجهز السلطان مسعود ليأخذ الموصل والشام من زنكي، فصالحه على مائة ألف دينار، فدفع إليه منها عشرين ألف دينار، وأطلق له الباقي، وسبب ذلك أن ابنه سيف الدين غازي كان لا يزال في خدمة السلطان مسعود. وفيها ملك زنكي بعض بلاد بكر. وفيها حصر الملك سنجر خوارزم شاه، ثم أخذ منه مالا وأطلقه. وفيها وجد رجل يفسق بصبي فألقى من رأس منارة، وفي ليلة الثلاثاء الرابع

والعشرين من ذى القعدة زلزلت الأرض . وحج بالناس قطز .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ عبد الوهاب بن المبارك ﴾

ابن أحمد ، أبو البركات الأماطي ، الحافظ الكبير ، كان ثقة ديناً ورعاً ، طليق الوجه ، سهل الأخلاق ، توفى في المحرم من ست وتسعين سنة .

﴿ علي بن طراد ﴾

ابن محمد الأزيني ، الوزير العباسي ، أبو القاسم قبيب النقباء على الطائفتين ، في أيام المستظهر ، ووزير للمسترشد ، وتوفى في رمضان من ست وسبعين سنة .

﴿ الزعشري محمود ﴾

ابن عمر بن محمد بن عمر ، أبو القاسم الزعشري ، صاحب الكشاف في التفسير ، والمفصل في النحو وغير ذلك من المصنفات المفيدة ، وقد سمع الحديث وطاف البلاد ، وجاور بمكة مدة ، وكان يظهر مذهب الاعتزال ويصرح بذلك في تفسيره ، وينتشر عليه ، وكانت وفاته بمخوارزم ليلة عرفة منها ، من ست وسبعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسة ﴾

فيها أخذ المهاد زنكي الرها وغيرها من حصون الجزيرة من أيدي الفرنج ، وقتل منهم خلقاً كثيراً وسبى نساء كثيرة ، وقسم أموالاً جزيلة ، وأزال عن المسلمين كرباً شديداً . وحج بالناس قطز انعام وتنافس هو وأمير مكة قهيب الحجيج وم يطوفون .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ إبراهيم بن محمد بن منصور ﴾

ابن عمر أبو الوليد الكرخي ، ثقة بآبي إسحاق وأبي سعد المتولي ، حتى صار أواحد زمانه فقهاً وصالحاً ، مات في هذه السنة . ﴿ سعد بن محمد ﴾

ابن عمر أبو منصور البزار ، سمع الحديث وثقة بالقرائي والشاشي والمتولي والكيا ، وولى تدريس النظامية ، وكان له سمت حسن ، وفار وسكون ، وكان يوم جنازته مشهوداً ، ودفن عند آبي إسحاق .

﴿ عمر بن إبراهيم ﴾

ابن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، القرشي الملو ، أبو البركات الكوفي ، ثم البغدادى ، سمع الكثير وكتب كثيراً ، وأقام بدمشق مدة ، وكان له معرفة جيدة بالغة والحديث والتفسير والفقه والأدب ، وله تصانيف في النحو ، وكان خشن الميش ، صابراً محتسباً ، توفى في شعبان من هذه السنة عن سبع وتسعين سنة رحمه الله تعالى .

(ثم دخلت سنة أربعين وخمسة)

فيها حصر على بن ديبس أخاه محمداً ولم يزل يحاصره حتى اقتلع من يده الحلة وملكمها ، وفي رجبها دخل السلطان مسعود بغداد خوفاً من اجتماع عباس صاحب الري ، ومحمد شاه بن محمود ، ثم خرج منها في رمضان ، وحج بالناس أرجوان مملوك أمير الجيوش بسبب ما كان وقع بين قطز وأمير مكة في السنة الماضية .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن الحسن بن علي بن أحمد بن سليمان ، أبو سعد الأصماني ، ثم البغدادي ، سمع الحديث وكان على طريقة السلف ، حلوا الثمائل ، مطرح الكلفة ، وربما خرج إلى السوق بقميص وقلنسوة . وحج أحد عشر حجة ، وكان على الحديث ويكثر الصوم ، توفي بهاوند في ربيع الأول من هذه السنة ، وقد قارب الثمانين .

﴿ علي بن أحمد ﴾

ابن الحسين بن أحمد ، أبو الحسن البرزدي ، تفقه بأبي بكر الشافعي ، وسمع الحديث وأحمله ، وكان له ولأخيه قيص واحد ، إذا خرج هذا لبسه وجلس الآخر في البيت عريانا ، وكذا الآخر .

﴿ موهوب بن أحمد ﴾

ابن محمد بن الخضر ، أبو منصور الجوالقي ، شيخ الفقه في زمانه ، بأمر مشيخة الفقه بالنظامية بعد شيخه أبي زكريا التبريزي ، وكان يوم بالمتقي ، وربما قرأ الخليفة عليه شيئا من الكتب ، وكان حافلا متواضعا في ملبسه ، طويل الصمت كثير الفكر ، وكانت له حلقة يجامع القصر أيام الجمع ، وكان فيه لكمة ، وكان يجلس إلى جانبه المغربي مبر المنامات ، وكان فاضلا لكنه كان كثير التماس في مجلسه ، فقال فيهما بعض الأدباء :

بغداد عندي ذنبا لن يغفرا * عيوبها مكشوفة لن تسترا
كون الجوالقي فيها ممليا * لئلا يكون المغربي ممبرا
ماسور فكنته يقول فصاحة * ويوم يقتله يمر في الكرا

(ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وخمسة)

في ليلة مستهل ربيع الأول منها احترق القصر الذي بناه المسترشد ، وكان في غاية الحسن ، وكان الخليفة المتقي قد انتقل بجواريه وحظاياه إليه ليقيم فيه ثلاثة أيام ، فها هو إلا أن ناموا احترق عليهم القصر بسبب أن جارية أخفت في يدها فتحة فلق لها ببعض الأخشاب ، فاحترق القصر وسلم الله الخليفة وأهله ، فأصبح فمصدق بأشياء كثيرة ، وأطلق خلقا من الحبسين . وفي رجب منها وقع بين الخليفة والسلطان مسعود واقع فبعث الخليفة إلى الجوامع والمسجد فأغلقت ثلاثة أيام ، حتى

اصطلاحاً . وفي يوم الجمعة نصف ذى القعدة جلس ابن العبادى الراعظ فتكلم والسلطان مسعود حاضر ، وكان قد وضع على الناس فى البيع مكا فاحشا ، فقال فى جملة وعظه : يا سلطان العالم ، أنت تطلق فى بعض الأحيان للسفنى إذا طربت قريبا عما وضعت على المسلمين من هذا المكس ، فبهنى مفتيا وقد طربت فهب لى هذا المكس شكرا لنعم الله عليك . فأشار السلطان بيده أن قدضلت ، فضج الناس بالدهاء له ، وكتب بذلك سجلات ، ونودى فى البلد بإسقاط ذلك المكس ، وفرح الناس بذلك وبه الحمد والمنة . وفيها قل المطر جندا ، وقلت مياه الأنهار ، واقتشر جراد عظيم ، وأصاب الناس داء فى حلقهم ، فأت بملك خلائق كثيرة فأن الله وإنا إليه راجعون . وفيها قتل الملك عماد الدين زنكى بن قيم الدولة التركى صاحب الموصل ، وحلب وغيرها من البلاد الشامية والجزيرة ، وكان محاصرا قلعة جمبر ، وفيها شهاب الدين سالم بن مالك العقيلي ، فبرطل بعض ممالك زنكى حتى قتله فى الليلة الخامسة من ربيع الأول من هذه السنة . قال عماد الكاتب : كل سكرا فله أهل . وقد كان زنكى من خيار الملوك وأحسنهم سيرة وشكلا ، وكان شجاعا مقداما حازما ، خضعت له ملوك الأطراف ، وكان من أشد الناس غيرة على نساء الرعية ، وأجود الملوك مملكة ، وأرقمهم بالعاملة ، وقام بالأمر من بعده بالموصل ولهم سيف القوة ، وبهلب نور الدين محمود ، فاستعاد نور الدين هذا مدينة الرها ، وكان أبوه قد فتحها . فلما مات عصوا قهريم نور الدين . وفيها ملك عبد المؤمن صاحب المغرب وخدام ابن تومرت جزيرة الأندلس ، بعد حروب طويلة . وفيها ملكك الفرنج مدينة طرابلس الغرب ، وفيها استعاد صاحب دمشق مدينة بعلبك . وفيها جاء نجم الدين أيوب إلى صاحب دمشق فسلمه القلعة وأعطاه أمانة عنده بدمشق . وفيها قتل السلطان مسعود حاجيه عبد الرحمن بن طغرل بك وقتل عباسا صاحب الرى ، وألقى رأسه إلى أصحابه فأنزعج الناس ونهبوا خيام عباس هذا ، وقد كان عباس من الشجعان المشهورين ، قاتل الباطنية مع مخدومه جوهر ، فلم يزل يقتل منهم حتى بنى مأذنة من رؤسهم بمدينة الرى . وفيها مات تقيب النقيب بيتداد محمد بن طراد الزينى ، قتل بيده على بن طلحة الزينى . وفيها سقط جدار على ابنة الخليفة ، وكانت قد بلغت مبالغ النساء ، فأتت لحضر جنازتها الأعيان . وحج بالناس قلز اعظم .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ زنكى بن آقسنقر ﴾

تقدم ذكر شئ من ترجمته ، وهو أبو تور الدين محمود الشهيد ، وقد أظن الشيخ أبو شامة فى الروضتين فى ترجمته ، وما قيل فيه من نظم ونثر رحمه الله .

﴿ سعد الخير ﴾

محمد بن مهمل بن سعد ، أبو الحسن المغربي الأندلسى الأنصارى ، رحل وحصل كتابا نفيسة ،

وروى عنه ابن الجوزى وغيره ، وقد أوصى عند وفاته أن يصلى عليه الغزنوى ، وأن يدفن عند قبر عبد الله بن الإمام أحمد ، وحضر جنازته خلّاق من الناس .

﴿ شافع بن عبد الرشيد ﴾

ابن القاسم ، أبو عبد الله الجليل الشافعى ، فقه على الكيا وعلى الغزالي ، وكان يسكن الكرخ ، وله حلقة بجامع المنصور فى الرواق . قال ابن الجوزى وكنت أحضر حلقة .

﴿ عبد الله بن على ﴾

ابن أحمد بن عبد الله ، أبو محمد سبط أبى منصور الزاهد ، قرأ القراءات وصنف فيها ، وممع الحديث الكثير ، واقتنى الكتب الحسنة ، وأم فى مسجده نيفا وخمسين سنة ، وعلم خلقاً القرآن . قال ابن الجوزى : ما سمعت أحداً أحسن قراءة منه ، وحضر جنازته خلق كثير .

﴿ عباس شحنة الرى ﴾

توصل إلى أن ملكها ثم قتله مسعود ، وقد كان كثير الصدقات والاحسان إلى الرعية ، وقتل من الباطنية خلقاً حتى بنى من رؤسهم منارة بالرى ، وتأسف الناس عليه .

﴿ محمد بن طراد ﴾

ابن محمد الزينى ، أبو الحسن قبيب النقباء ، وهو أخو على بن طراد الوزير ، ممع الكثير من أبيه ومن معه أبى نصر وغيرهما ، وقارب السمين .

﴿ وجيه بن طاهر ﴾

ابن محمد بن محمد ، أبو بكر الشحامى ، أخو زاهر ، وقد ممع الكثير من الحديث ، وكانت له معرفة به ، وكان شيخاً حسن الوجه ، سريع الفمعة ، كثير الذكر ، جمع السماع إلى العمل إلى صدق العبجة توفى ببغداد فى هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثلثين وأربعين وخمسة ﴾

فيها ملكت الفرنج عدة حصون من جزيرة الأندلس . وفيها ملك نور الدين بن محمود زنكى عدة حصون من يد الفرنج بالسواحل . وفيها خطب للمستنجد بالله بولاية العهد من بعد أبيه المنقز . وفيها تولى حون بن يحيى بن هبيرة كتابة ديوان الزمام ، وولى زعيم الدين يحيى بن جعفر صدرية الخزن العمورة . وفيها اشتد الغلاء بفرقية وهلك بسببه أكثر الناس حتى خلت المنازل ، وأقلقت المعامل . وفيها تزوج سيف الدين غازى بنت صاحب مازدين حسام الدين ترمش بن أرئق ، بعد أن حاصره فصلحه على ذلك ، فخلعت إليه إلى الموصل بعد سنتين ، وهو مريض قد أشرف على الموت ، فلم يستغل بها حتى مات ، فتولى بعده على الموصل أخوه قطب بن مردود فتزوجها . قال ابن الجوزى :

وفي صفر رأى رجل في المنام قائلا يقول له : من زار أحمد بن حنبل غفر له . قال فلم يبق خاص ولا عام إلا زاره . قال ابن الجوزي : وعقدت يومئذ مجلسا فاجتمع فيه ألوف من الناس .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ أسعد بن عبد الله ﴾

ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله ، أبو منصور ، جمع الحديث الكثير ، وكان خيرا صالحا مجتعا بحواصه وقواه ، إلى حين الوفاة . وقد جاوز المائة بنحو من سبع سنين

﴿ أبو محمد عبد الله بن محمد ﴾

ابن خلف بن أحمد بن عمر الفخمي الأندلسي ، الرابلي الحافظ ، معنف كتاب اقتباس الأنوار والنفس الأزهرا ، في أنساب الصحابة ورواة الآثار ، وهو من أحسن التصنيفات الكبار ، قتل شهيدا صبيحة يوم الجمعة العشرين من جمادى بالبرية .

﴿ نصر الله بن محمد ﴾

ابن عبد القوي ، أبو الفتح اللاذقي المصيصي الشافعي ، فقهه بالشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي ، بصور ، وجمع بها منه ومن أبي بكر الخطيب ، وجمع ببغداد والأخبار ، وكان أحد مشايخ الشام ، قتها في الأصول والفروع ، توفي فيها وقد جاوز التسعين بأربع سنين .

﴿ هبة الله بن علي ﴾

ابن حمد بن حمزة أبو السمادات ابن الشجري النحوي ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، وجمع الحديث وانتهت إليه رئاسة النحاة . قال سمعت بينا في القم أبلغ من قول مكوبه :

وما أنا إلا المسك قد ضاع عندكم • يضيع وعند الآخر كثير يضيع

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمائة وخمسة ﴾

فيها استفتت مجير الدين بن أتابك دمشق بالملك نور الدين صاحب حلب على الفرنج ، فركب سرياً فالتقى معهم بأرض بصرى فهزمهم ، ورجع قتل على الكسوة ، وخرج ملك دمشق مجير الدين أرتق فغداه واحترمه وشاهد العماشة حرمة نور الدين حتى تمنوه . وفيها ملكك الفرنج الهيدية وهرب منها صاحبها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن منصور بن يوسف بن بليكين بأهله وخفاف على أمواله فتمزقت في البلاد ، وتمزق هو أيضاً في البلاد ، وأكلهم الأقطار ، وكان آخر ملوك بني باديس ، وكان ابتداء ملكهم في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، فدخل الفرنج إليها وخزاتها مشحونة بالحواصل والأموال والمدد وغير ذلك ، فاتاه وإنا إليه راجعون . وفيها حاصرت الفرنج وهم في سبعين ألف مقاتل ، ومعهم ملك الألمان في خلق لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، دمشق وعليها مجير الدين أرتق وأتابك مدين الدين ، وهو مدبر المملكة ، وذلك يوم السبت سادس ربيع

الأول ، فخرج إليهم أهلها في مائة ألف وفلأثنين ألفاً ، فقتلوا معهم قتالاً شديداً ، قتل من المسلمين في أول يوم نحو من مائتي رجل ، ومن الفرنج خلق كثير لا يحصون ، واستمر الحرب مدة ، وأخرج مصحف عثان إلى وسط صحن الجامع ، واجتمع الناس حوله يدعون الله عز وجل ، والنساء والأطفال مكشفي الرؤس يدعون ويقبكون ، والزماد مفروش في البلد ، فاستغاث أرتق بنور الدين محمود صاحب حلب وبأخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل ، فقصدها سرياً في نحو من سبعين ألفاً بمن انضم إليهم من الملوكة وغيرهم ، فلما سمعت الفرنج بقدم الجيش تحولوا عن البلد ، فلقمهم الجيش فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وجماً غفيراً ، وقتلوا قسيساً معهم اسمه إلياس ، وهو ألقى أغرام دمشق ، وذلك أنه افتري مناماً عن المسيح أنه وعده فتح دمشق ، فقتل لعنه الله ، وقد كادوا يأخونون البلد ، ولكن الله سلم ، وحماها بحوله وقوته . قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت صوامع وبيع وصلاوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) ومدينة دمشق لاسبيل للأعداء من الكفرة عليها ، لأنها الحلة التي أخبر رسول الله ﷺ عنها أنها مقفل الاسلام عند الملاحم والفتن ، وبها ينزل عيسى ابن مريم ، وقد قتل الفرنج خلقاً كثيراً من أهل دمشق ، ومن قتلاوا القتيه الكبير الملقب بحجة الدين شيخ المالكية بها ، أبو الحاج يوسف بن حرطاس الفندلاوي ، بأرض النهر ، ودفن بقبر باب الصغير ، وكان مجير الدين قد صالح الفرنج عن دمشق ببياناس ، فرحلوا عنها وتسلوا بانياس . وفيها وقع بين السلطان مسعود وأمراته فارقوه ، وقصدوا بغداد فاقفوا مع العامة ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً من الصغار والكبار ، ثم اجتمعوا قبال التاج وقبلوا الأرض واعتدروا إلى الخليفة عما وقع ، وساروا نحو النهر وانفتقروا في البلاد ، ونهبوا أهلها ، فغلت الأسعار بالعراق بسبب ذلك . وفيها ولي قضاء القضاة ببغداد أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن الدامغان ، بعد وفاة الزينبي . وفيها ملك سولي بن الحسين ملك الثنور مدينة غزنة ، فذهب صاحبها بهرام شاه بن مسعود من أولاد سبكتكين إلى فرغانة فاستغاث بملكها ، فجاء بجيوش عظيمة فاقطع غزنة من سولي ، وأخذ أسيراً فصلبه ، وقد كان كريماً جواداً ، كثير الصدقات .

ومن توفي فيها من الأعيان . (إبراهيم بن محمد)

ابن نهار بن حمز الثنوي الرقي ، مع الحديث وثقه بالشافعي والقرطبي ، وكتب شيئاً كثيراً من مصنفاته ، وقرأها عليه ، وصحبه كثيراً ، وكان مريباً كثير الصمت ، توفي في ذي الحجة منها وقد جاوز الثمانين . (شاهان شاه بن أيوب)

ابن شاذي ، استشهد مع نور الدين ، وهو والد الست عذار ، وأخته المنارية ، وتوفي الدين عمر واقف التقوية .

﴿ علي بن الحسين ﴾

ابن محمد بن علي الزيني ، أبو القاسم الأكل بن أبي طالب نور الهدى بن أبي الحسن نظام الحضرتين ابن تقيب النقيب أبي القاسم بن القاضي أبي تمام العباسي ، فاضى القضاة بفنداد وغيرها ، سمع الحديث ، وكان قتيماً رئيساً ، وقوراً حسن الهيئة والسمت ، قليل الكلام ، سافر مع الخليفة الراشد إلى الموصل ، وجرت له فصول ثم عاد إلى فنداد فأت بها في هذه السنة ، وقد جاوز الستين ، وكانت جنازته حافلة ﴿ أبو الحجاج يوسف بن درياس ﴾

التندلاوى ، شيخ المالكية بدمشق ، قتل يوم السبت سادس ربيع الأول قريماً من الربوة في أرض النهر ، هو والشيخ عبد الرحمن الجلبولى ، أحد الزهاد رحمهما الله تعالى ، والله سبحانه أعلم . ﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها كانت وفاة القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبقى ، فاضياً أحسن شاخ الطاء المالكية ، وصاحب المصنفات الكثيرة المفيدة ، منها الشفا ، وشرح مسلم ، ومشارك الأتوار ، وغير ذلك ، وله شعر حسن ، وكان إماماً في علوم كثيرة ، كالتقاة والحدوث والأدب ، وأيام الناس ، وله سنة ست وأربعين وأربعمائة ، ومات يوم الجمعة في جمادى الآخرة ، وقيل في رمضان من هذه السنة ، بمدينة سبته . وفيها غزا الملك نور الدين محمود بن زنكى صاحب حلب بلاد الفرنج ، قتل منهم خلقاً ، وكان فيمن قتل البرنس صاحب إنطاكية ، وفتح شيئاً كثيراً من قلاعهم وقلع الحمد . وكان قد استنجد بمعين الدين بن أتابك دمشق ، فأرسل إليه بريق من جيشه بحجة الأمير مجاهد الدين بن مروان بن ماس ، نائب صرخند فأبلوا بلاد حسناً ، وقد قاتل الشراء في هذه الغزوة أشعاراً كثيرة ، منهم ابن القيسرائى وغيره ، وقد سردها أبو شامة في الروضتين . وفي يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر استوزر للخليفة أبو المظفر يحيى بن هبيرة ، ولقب عون الدين ، وخلع عليه . وفي رجب قصد الملك شاه بن محمود فنداد ومعه خلق من الأمراء ، ومعه علي بن ديبس وجماعة من التركان وغيرهم ، وطلبوا من الخليفة أن يطلب له فائتحة من ذلك ، وتكررت المكاتبات ، وأرسل الخليفة إلى السلطان مسعود يستحثه في القدوم ، فتأدى عليه وضاق التظايق ، واتسع انطرق على الرافق ، وكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه يتوعدده إن لم يسرع إلى الخليفة ، فاجاء إلى آخر السنة ، فاقشمت تلك الشرور كلها ، وتبدلت معروراً أجمعها . وفي هذه السنة زلزلت الأرض زلزلاً شديداً ، وعموجت الأرض عشر مرات ، وقطع جبل بحلوان يوانهم الرباط التهر جورى ، وهلك خلق كثير بالبرسام ، لا يتكلم المرضى به حتى يموتوا . وفيها مات سيف الدين غازى بن زنكى صاحب الموصل ، وملك بعده أخوه قطب الدين مودود بن

زنكي ، وتزوج بامرأة أخيه التي لم يدخل بها ، اغتاتون بنت تمرناش بن إيلغازي بن أرتق ، صاحب ماردين ، فولدت له أولادا كلهم ملوكا الموصل ، وكانت هذه المرأة تضع خمارها بين خمسة عشر ملكا . وفيها سار نور الدين إلى سنجار فتحها ، فجهز إليه أخوه قطب الدين مودود جيشا ليرده عنها ، ثم اصطالحا ففوضه منها الرحبة وحصن ، واستمرت سنجار لقطب الدين ، وعاد نور الدين إلى بلده . ثم غزا فيها الفرنج قتل منهم خلقا وأسر البرنس صاحب إنطاكية ، فدحه الشراء منهم الفتح القيسراني بقصيدة يقول في أولها :

هذه الزائم لا ما تمق القضب * ونى المكرم لاما قالت الكتب
وهذه المم اللاتي متى خطبت * ثمرت خلفها الأشمار والخطب
ضاحكت يا ابن عماد الدين فروتها * براحة للمسامي دونها تعب
ما زال جدك يبني كل شاهقة * حتى يبني قبة أوتادها الشهب

وفيها فتح نور الدين حصن ظميا وهو قريب من حماه . وفيها مات صاحب مصر الحافظ لدين الله عبد المجيد بن أبي القاسم بن المستنصر ، ققام بالأمر من بعده ولده الظافر إسماعيل ، وقد كان أحد بن الأفضل بن أمير الجيوش قد استحوذ على الحافظ وخطب له بمصر ثلاثا ، ثم آخر الأمر أذن يحيى على خير العمل ، والحافظ هذا هو الذي وضع طبل القولنج الذي إذا ضرب به من به القولنج يخرج منه القولنج والريح الذي به ، وخرج بالحجاج الأمر فطر الخادم فرض بالكوفة فرجع واستخلف على الحجاج مولاة قباذ ، وحين وصوله إلى بغداد توفي بعد أيام ، فعلمت العرب في الحجاج فوقفوا لهم في الطريق وهم راجعون ، فضعف قباذ عن مقاومتهم فأخذ لنفسه أماتا وهربوا أسلم إليهم الحبيص ، فقتلوا أكثرهم وأخذوا أموال الناس ، وقتل من سلم فيمن نجيا ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها مات معين الدين بن أتابك الصاكر بدمشق ، وكان أحد ممالك طفتكين ، وهو والد الست خاتون زوجة نور الدين ، وهو واقف المدرسة المصيبة ، داخل باب الفرج ، وقبره في قبة قتلى الشامية البرانية ، بحلة المونية ، وعند دار البطيخ . وللمات معين الدين قويت شوكة الوزير الرئيس مؤيد الدولة على ابن الصوفي وأخيه زين الدولة حيدرة ، ووقعت بينهما وبين الملك مجير الدين أرتق وحشة ، اقتضت أنهما جندا من العامة والوفاء ما يقاومه فاقتتلوا فقتل خلق من الفريقين . ثم وقع الصلح بعد ذلك . وعن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن نظام الملك ﴾

أبو الحسن علي بن نصر الوزير المسترشد ، والسلطان محمود ، وقد سمع الحديث ، وكان من خيار الوزراء . ﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن الحسين الأرجاني ، فاضل تستر ، روى الحديث وكان له شعر رائق يتضمن معاني حسنة

فن ذلك قوله :

ولما بلوت الناس أطلب عندهم • أخاصة عند اعتراض الشدائد
 تطلعت في حالي رخاء وشدة • وتاديت في الأحياء من مساعد
 فلم أر فيها ساءى غير شامت • ولم أر فيها سرى غير حاسد
 فطلقت ود المالين جيمهم • ورحت فلا أوى على غير واحد
 نمتما يا فاطرى بنظرة • وأوردتما قلبي أمر الموارد
 أمضى كفا من فؤادى فانه • من البنى سوى اثنين في قتل واحد
 (والقاضى عياض بن موسى السبكي) صاحب التصانيف المفيدة ومن شعره قوله :
 الله يعلم أنى منذ لم أركم • كطلثر خاته ريش الجناحين
 ولو قدرت ركبت الريح نحوكم • فان بعدكم عني جنى حيفي
 وقد ترجمه ابن خلكان ترجمة حسنة .

(عيسى بن هبة الله)

ابن عيسى ، أبو عبد الله النقاش ، سمع الحديث ، مولده سنة سبع وخسين وأربعمائة . قال ابن
 الجوزى : وكان ظريفا خفيف الروح ، له نوادر حسنة رأى الناس ، وطشرا الأكراس ، وكان يحضر
 مجلسي ويكاتبني وأكاتبه ، كتبت إليه مرة فظفنته في الكتاب فكتب إلى : قد زدتنى في الخطأ
 حتى خشيت قصفا من الزيادة ، وله :

إذا وجد الشيخ في نفسه • نشاطا فذلك موت خفي
 ألت ترى أن ضوء السرا • ج له لمب قبل أن ينطفئ

(غزالي بن آقسنقر)

الملك سيف الدين صاحب الموصل ، وهو أخو نور الدين محمود ، صاحب حلب ثم دمشق فيما
 بعد ، وقد كان سيف الدين هذا من خيار الملوك وأحسنهم سيرة ، وأجودهم سريرة ، وأصبحهم
 صورة ، شجاعا كريما ، يذبح كل يوم لجيشه مائة من الفم ، ولماليكه ثلاثين رأسا ، وفي يوم العيد
 ألف رأس سوى البقر والدجاج ، وهو أول من حمل على رأسه سنجق من ملوك الأطراف ، وأمر
 الجند أن لا يركبوا إلا بسيف ودبوس ، وبني مدرسة بالموصل وطلعا للصوفية وأمنحه الخيصر بيص
 فأعطاه ألف دينار عينيا ، وخلمة . ولما توفي بالحمى في جمادى الآخرة دفن في مدرسته المذكورة ، وله
 من المعر أربعون سنة ، وكانت مدة ملكه بعد أبيه ثلاث سنين وخمسين يوما ، رحمه الله .

﴿ قتل الخادم ﴾

أمير الحاج مدة عشرين سنة وأكثر ، جمع الحديث وقرأ على ابن الزاغوني ، وكان يحب العلم والصدقة ، وكان الحاج مه في غاية الدعة والراحة والأمن ، وذلك لشجاعته ووجاهته عند الخلفاء والملوك ، توفي ليلة الثلاثاء الحادى عشر من ذى القعدة ودفن بالرصافة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها فتح نور الدين محمود حصن طامية ، وهو من أحصن القلاع ، وقيل فتحه في التي قبلها . وفيها قصد دمشق ليأخذها فلم يتفق له ذلك ، فغلق على ملكها بجير الدين أرتق ، وعلى وزيره ابن الصوفي ، وتقررت الخطبة بها بعد الخليفة والسلطان ، وكذلك السكة . وفيها فتح نور الدين حصن إعرزاز وأسر ابن ملكها ابن جوسليق ، وفرح السلون بذلك ، ثم أسر بعده والده جوسليق الفرنجي ، فزادته الفرحة بذلك ، وفتح بلاداً كثيرة من بلاده . وفي الحرم منها حضر يوسف الدمشقي قنبريس النظامية ، وخلع عليه ، ولما لم يكن ذلك باذن الخليفة بل بمرسوم السلطان وابن النظام ، منع من ذلك فقام بينه ولم يمد إلى المدرسة بالكلية ، وتولاها الشيخ أبو النجيب باذن الخليفة ومرسوم السلطان . قال ابن الجوزي : في هذه السنة وقع مطر باليمن كله دم ، حتى صبح ثياب الناس .

﴿ الحسن بن ذى النون ﴾

ومن توفي فيها من الأعيان
ابن أبي القاسم ، بن أبي الحسن ، أبو المناخر النيسابوري ، قدم بغداد فوعظ بها ، وجعل ينال من الأشاعرة فأحبته الخطابة ، ثم اختبروه فإذا هو معتزلي فقتلوه ، وجرت بسببه فتنة ببغداد ، وقد منع منه ابن الجوزي شيئاً من شعره ، من ذلك :

مات الكرام وعروا واقضوا وضوا • ومات من بعدهم تلك الكرامات

وخلفوني في قوم ذوى سفة • لو أبصروا طيف ضيف في الكرى ماتوا

﴿ عبد الملك بن عبد الوهاب ﴾

الحنبلي القاضى بهاء الدين ، كان يعرف منعب أبي حنيفة وأحمد ، وينالهما ، ودفن مع أبيه وجده بقبور الشهداء .

﴿ عبد الملك بن أبي نصر بن عمر ﴾

أبو المالكي الجبلي ، كان قتيها صلحاً متعبداً فقيراً ، ليس له بيت يسكنه ، وإعما بيت في المساجد المهجورة ، وقد خرج مع الحبيج فأقام بمكة يمدد ربه ويفيد العلم ، فكان أهلها يثنون عليه خيراً

﴿ القتيبي أبو بكر بن العربي ﴾

المالكي ، شارح الترمذى ، كان قتيها طاملاً ، وزاهداً طابداً ، ومعم الحديث بعد اشتغاله في

الفقه ، وصحب الفزالي وأخذ عنه ، وكان يهتم برأى الفلاسفة ، ويقول دخل في أجوافهم فلم يخرج منها والله سبحانه أعلم . (ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسة)

فيها أغلر جيش السلطان على بلاد الاسماعيلية ، قتلوا خلقا ورجوا سالفين . وفيها حاصر نور الدين دمشق شهرا ثم رحل عنها إلى حلب ، وكان الصلح على يدى البرهان البلخى . وفيها اقتتل الفرنج وجيش نور الدين فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق ، فأن الله وإنا إليه راجعون . ولما وقع هذا الأمر شق ذلك على نور الدين وتوكل الترفه وهجر القلة حتى يأخذ بالنار ، ثم إن أمراء التركان ومعهم جماعة من أهوانهم رصدوا الملك جوسليق الافرنجى ، فلم يزالوا به حتى أسروه فى بعض متصدياته فأرسل نور الدين فكبس التركان وأخذ منهم جوسليق أسيراً ، وكان من أعيان الكفرة ، وأعظم النجرة ، فأوقفه بين يديه فى أذل حال ، ثم سجنه . ثم سار نور الدين إلى بلاده فأخضعها كلها بما فيها . وفى ذى الحجة جلس ابن البيادى فى جامع المنصور وتكلم ، وعنده جماعة من الأعيان ، فكانت الحنابلة يثيرون فتنة ذلك اليوم ، ولكن لطف الله وسلم . وحينئذ ناس فيها قبيح الأرواح . ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ .

﴿ برهان الدين أبو الحسن بن على البلخى ﴾

شيخ الحنفية بدمشق ، درس بالبلخية ثم بالخانوية البرانية ، وكان طاماً علماً ، ورعاً زاهداً ، ودفن بمقابر باب الصغير .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسة ﴾

فيها توفى السلطان مسعود وقام بالأمر من بعده أخوه ملكشاه بن محمود ، ثم جاء السلطان محمد وأخذ الملك واستقر له ، وقتل الأمير خاص بك ، وأخذ أمواله وألقاه للكلاب ، وبلغ الخليفة أن واسط قد تخبطت أيضاً ، فركب إليها فى الجيش فى أبهة عظيمة ، وأصلح شأنها ، وكر على الكوفة والحلة ، ثم عاد إلى بغداد فزيلت له البلد . وفيها ملك عبد المؤمن صاحب المغرب بمجاية وهى بلاد بنى حماد ، فكان آخر ملوكهم يحيى بن عبد العزيز بن حماد ، ثم جاز عبد المؤمن جيشاً إلى صنعابة فحاصرها ، وأخذ أموالها . وفيها كانت وقعة عظيمة بين نور الدين الشهيد وبين الفرنج ، فكسروهم وقتل منهم خلقاً والله الحمد . وفيها اقتتل السلطان سنجر وملك النور علاء الدين الحسين بن الحسن أول ملوكهم ، فكسروهم وأسروهم ، فلما أحضره بين يديه قال له : ماذا كنت تصنع فى لوأستنى ؟ فأخرج قيئاً من فمها وقال : كنت أقيدك بهذا . فعق عنه وأطلقه إلى بلاده ، فسار إلى غزة فأنزعه من يد صاحبها بهرام شاه السبكيتكى ، واستخلف عليها أخاه سيف الدين فغزو به أهل البلد . وسلموه إلى بهرام شاه فصلبه ، ومات بهرام شاه قريباً فسار إليه علاء الدين فهرب خسرو بن بهرام

شاه عنها ، فدخلها علاء الدين قهبا ثلاثة أيام ، وقتل من أهلها بشراً كثيراً ، وسخر أهلها فحملوا
 تراباً في خمال إلى محلة هناك بعيدة عن البلد ، فصر من ذلك التراب قلعهم وقة إلى الآن ، وبذلك
 اقتضت دولة بني سبكتكين من بلاد غزنة وغيرها ، وقد كان ابتداء أمرهم في سنة ست وستين
 وثلاثمائة إلى سنة سبع وأربعين وخمسة ، وكانوا من خيار الملوك ، وأكثرهم جهادا في الكفرة ،
 وأكثرهم أموالا ونساء وعددا وعددا ، وقد كسروا الأصنام وأبادوا الكفار ، وجمعوا من الأموال
 ما لم يجمع غيرهم من الملوك ، مع أن بلادهم كانت من أطيب البلاد وأكثرهم ريشا وميالا ففنى جميعه
 وزال عنهم (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل
 من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) ثم ملك النور والمند وخراسان ، واتست ممالكهم
 وعظم سلطان علاء الدين بعد الأسر ، وحكى ابن الجوزي أن في هذه السنة باض ديك بيضة واحدة ،
 ثم باض بازى يبيضتين ، وباضت نمانة من غير ذكر ، وهذا شيء عجيب .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ المظفر بن أردشير ﴾

أبو منصور العبادي ، الواعظ ، مع الحديث ودخل إلى بغداد فأسلم ووعظ ، وكان الناس
 يكتبون ما يفظ به ، فاجتمع له من ذلك مجلدات . قال ابن الجوزي : لا تكاد تجد في المجلد خشن
 كلمات جيدة ، وتكلم فيه وأطال الخط عليه ، واستحسن من كلامه قوله : وقد سقط مطر وهو يفظ
 الناس ، وقد ذهب الناس إلى تحت الجدران ، فقال لا تفروا من رشاش ماء رحمة قطر من سحاب
 نعمة ، ولكن فروا من رشاش نار اقتح من زناد الغضب . توفى وقد جاوز الحسين بقليل .

﴿ مسعود السلطان ﴾

صاحب المراق وغيرها ، حصل له من التمكن والسعادة شيء كثير لم يحصل لغيره ، وجرت له
 خطوب طويلة ، كما تقدم بعض ذلك ، وقد أسرف في بعض حروبه اغليفة المسترشد كما تقدم ، توفى
 يوم الأربعاء من ربيع الثاني سنة ثمان وخمسة .

﴿ يقرب انططاط الكاتب ﴾

توفى بالنظامية ، فجاء ديوان الحشر ليأخذوا ميراثه فنعمهم الفقهاء فجرت فتنة عظيمة آل الحال
 إلى عزل المدرس الشيخ أبي التنجيب وضربه في الديوان تعزيراً .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسة ﴾

فيها وقع الحرب بين السلطان سنجر وبين الأتراك ، قتل الأتراك من جيشه خلقا كثيرا بحيث
 صارت القتلى مثل التلؤلؤ العظيمة ، وأسروا السلطان سنجر وقتلوا من كان معه من الأمراء صبرا ،
 ولما أحضروه قاموا بين يديه وقبلوا الأرض له ، وقالوا نحن حبيبك ، وكانوا عدة من الأمراء الكبار

من ممالئكم ، فأقام عندهم شهرين ثم أخذوه وساروا به فدخلوا مرو ، وهي كرمى مملكة خراسان ، فسأله بعضهم أن يجعلها له إقطاعاً ، فقال سنجر هذا لا يمكن ، هذه كرمى المملكة ، فضحكوا منه وخرطوا به قتل من سرير المملكة ودخل خاقانه ، وصال قسيرا من جهة أهلها ، وقاب عن الملك واستحوذ أولئك الأتراك على البلاد قهوبها وتركوها قلنا صفصفا ، وأفسدوا فى الأرض فسادا عريضا ، وأقاموا سليمان شاه ملكا ، فلم تطل أيامه حتى عزله ، وولوا ابن أخت سنجر اخلاقان محمود ابن كوخان ، وضرقت الأمور واستحوذ كل إنسان منهم على ناحية من تلك الممالك ، ووصلت الدولة دولا . وفيها كانت حروب كثيرة بين عبد المؤمن وبين العرب ببلاد المغرب . وفيها أخنت الفرنج مدينة هسقلان من ساحل فرزة . وفيها خرج الخليفة إلى واسطى فجعل فأصلح شأنها وعاد إلى بغداد . وحج بالناس فيها قيازا أرجوا .

وفيها كانت وفاة الشاهنشين التبريزي الشهيرين فى الزمان الأخير .

﴿ بالفردق وجبر ﴾

وهما أبو الحسن أحمد بن منير الجوزى بحلب ، وأبو عبد الله محمد بن نصير بن صغير القيسرانى الحلبي بدمشق ، وعلى بن السلاسل الملقب بالعدل وزير الظاهر صاحب مصر ، وهو باني المدونة بالإسكندرية للشافعية للمحافظ أبى طاهر السلفى ، وقد كان العادل هذا ضدهم ، كان ظالما غشوما حطوما ، وقد ترجمه ابن خلكان ﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسة ﴾

فيها ركب الخليفة المقتنى فى جيش كثيف إلى تكريت لحاصر قلعتها ، ولحق هناك جمعا من الأتراك والتركمان ، فأظفروا الله بهم ، ثم عاد إلى بغداد .

﴿ ملك السلطان نور الدين الشهيد بدمشق ﴾

وجاءت الأخبار بأن مصر قد قتل خليفها الظاهر ، ولم يبق منهم إلا صبي صغير ابن خمس شهور ، قد ولوه عليهم وبقوه الفتن ، فكتب الخليفة عهدا إلى نور الدين محمود بن زنكى بالولاية على بلاد الشام والفيطر المصرية ، وأرسله إليها . وفيها هاجت ربيع شديدة بعد الشتاء فيها تارتخاف الناس أن تكون الساعة ، وزلزلت الأرض وتغير ماء دجلة إلى الحرة ، وظهر بأرض واسط بالآرض دم لا يعرف ما سببه ، وجاءت الأخبار عن الملك سنجر أنه فى أسر الترك ، وهو فى غاية القتل والاهانة ، وأنه يبكى على نفسه كل وقت . وفيها انتزع نور الدين محمود دمشق من يد ملكها نور الدين أرتقى ، وذلك لسوء سيرته وضعف دولته ، ومحاصرة العامة له فى القلعة ، مع وزيره مؤيد الدولة على بن الصوفى ، وقتل الخادم عطام على المملكة مع ظله وغشيه ، وكان الناس يدعون ليلا ونهارا أن ينسلم بالملك نور الدين ، واتفق مع ذلك أن الفرنج أخذوا هسقلان فخرن نور الدين على ذلك ،

ولا يمكن الوصول إليهم ، لأن دمشق بينه وبينهم ، ويخشى أن يحاصروا دمشق فيشق على أهلها ، ويخاف أن يرسل مجير الدين إلى الفرنج فيخنلونه كما جرى غير مرة ، وذلك أن الفرنج لا يريدون أن يملك نور الدين دمشق فيقوى بها عليهم ولا يطيقونه ، فأرسل بين يديه الأمير أسد الدين شيركوه في ألف فارس في صفة طلب الصلح ، فلم يلتفت إليه مجير الدين ولا عده شيئا ، ولا خرج إليه أحد من أعيان أهل البلد ، فكتب إلى نور الدين بذلك ، فركب الملك نور الدين في جيشه فزل عيون الفارسيا من أرض دمشق ، ثم انتقل إلى قريب من السلب الشرقي ، ففتحها قهرا ودخل من الباب الشرقي بعد حصار عشرة أيام ، وكان دخوله في يوم الأحد عاشر صفر من هذه السنة ونهض مجير الدين في القلعة فأنزله منها وعضه مدينة حصص ودخل نور الدين إلى القلعة واستقرت يده على دمشق والله الحمد . وفادى في البلد بالأمان والبشارة بالخير ، ثم وضع عنهم المكوس وقرئت عليهم التواقيع على المنابر ، ففرح الناس بذلك وأكثروا الدماء له ، وكتب ملوك الفرنج إليه بهنونه بدمشق ويتقربون إليه ، ويتخضعون له .

وعن توفي فيها من الأميان . ﴿ الرئيس مؤيد الدولة ﴾

علي بن الصوفي وزير دمشق لمجير الدين ، وقد ثار على الملك غير مرة ، واستنفل أمره ، ثم يقع الصلح بينهما كما تقدم . ﴿ عطاء الخلد ﴾

أحد أمراء دمشق ، وقد قلب على الأمور بأمر مجير الدين ، وكان ينوب على بعلبك في بعض الأحيان ، وقد كن غلاما غلاما وهو الآن ينسب إليه مسجد عطاء خارج باب شرقي والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمسين وخمائة هجرية ﴾

فيها خرج الخليفة في تجميل إلى دموقا فحاصرها فخرج إليه أهلها أن يرسل عنهم فان أهلها قد هلكوا من الجيشين ، فأجابهم ورحل عنهم ، وعاد إلى بغداد بعد شهرين ونصف ، ثم خرج فحصر الحلة والسكوفة والجيش بين يديه ، وقال له سليمان شاه أناولي عهد سنجر ، فان قررتني في ذلك وإلا فانا كأحد الأمراء ، فوعده خيرا ، وكان يحمل الفاشية بين يدي الخليفة على كاهله ، فهد الأمور ووطئها ، وسلم على مشهد على إشارة بأصبمه ، وكانه خاف عليه فأكلة الرافض أو أن ينقذ في نفسه من القبر شيئا أو غير ذلك ، والله أعلم .

﴿ فتح بعلبك بيد نور الدين الشهيد ﴾

وفيها افتتح نور الدين بعلبك عودا على يده وذلك أن فهم الدين أيوب كان فائبا بها على البلد والتلعة فسلمها إلى رجل يقال له الضحك البقاعي ، فاستحوذ عليها وكتب فهم الدين لنور الدين ، ولم يزل نور الدين يتلطف حتى أخذ القلعة أيضا واستنسى بنجم الدين أيوب إليه إلى دمشق فأعطاه

إقطاع حسنا ، وأكرمه من أجل أخيه أسد الدين ، فإنه كانت له اليد الطولى في فتح دمشق ، وجعل الأمير شمس الدولة بوران شاه بن نجم الدين شحنة دمشق ، ثم من بعده جعل أخاه صلاح الدين يوسف هو الشحنة ، وجعله من خواصه لا يفارقه حضرا ولا سفرا ، لأنه كان حسن الشكل حسن القلب بالكرة ، وكان نور الدين يحب لعب الكرة لتأمين الخيل وتعليمها الكر والفِر ، وفي شحنة صلاح الدين يوسف يقول عرقلة [وهو حسان بن محمد الكلبي] الشاعر :

رويدكم بالعصوص الشام * فاني لكم ناصح في مقال
فاياكم وصحى النبي يوسف * رب الحيا والكمال
فذاك مقطع أيدي النسا * وهذا مقطع أيدي الرجال
وقد ملك أخاه بوران شاه بلاد اليمن فيا بعد ذلك ، وكان يلقب شمس الدولة .

ومن توفي فيها من الأعيان . (محمد بن ناصر)

ابن محمد بن علي الحافظ ، أبو الفضل البغدادي . ولد ليلة النصف من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ، وسمع الكثير ، وتفرد بشايخ ، وكان حافظا ضابطا مكثرا من السنة كثير الذكر ، سريع الذاكرة . وقد تخرج به جماعة منهم أبو الفرج ابن الجوزي ، جمع بقراته مسند أحد وغيره من الكتب الكبار ، وكان يثني عليه كثيرا ، وقد رد على أبي سعد السمعاني في قوله : محمد بن ناصر يحب أن يقع في الناس . قال ابن الجوزي : والكلام في الناس بالجرح والتعديل ليس من هذا القبيل ، وإنما ابن السمعاني يحب أن يتمصب على أصحاب الإمام أحمد ، فمؤذ بالله من سوء التصديق والتعصب . توفي محمد بن ناصر ليلة الثلاثاء الثامن عشر من شعبان منها ، عن ثلاث وثلاثين سنة ، وصلى عليه مرات ، ودفن بباب حرب .

(مجلى بن جميع أبو المال)

الخزومي الأرسوفي ثم المصري قاضيا ، الفقيه الشافعي ، مصنف الآثار وفيها غرائب كثيرة وهي من الكتب المفيدة . ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة

في المحرم دخل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه إلى بغداد وعلى رأسه الشمسية ، فلقاه الوزير ابن هبيرة وأدخله على الخليفة ، قبل الأرض وحلفه على الطاعة وصفاء النية والمناصحة والمودة ، وخلع عليه خلع الملوك ، وقرأ أن للخليفة التراق وسليمان شاه ما يشتهه من خراسان ، ثم خطب له ببغداد بعد الملك سنجر ، ثم خرج منها في ربيع الأول فقتل هو والسلطان محمد بن محمود بن ملكشاه ، فهزمه محمد وهزم عسكره ، فذهب مهزوما فلقاه نائب قطب الدين مردود بن زنكي ، صاحب الموصل ، فأمره وحجسه بقلعة الموصل ، وأكرمه مدة حبسه وخضمه ، وهذا من أغرب

الامانات . وفيها ملكت الفرنج المهدية من بلاد المغرب بعد حصار شديد . وفيها فتح نور الدين محمود بن زنكي قلعة تل حازم واقتلها من أيدي الفرنج ، وكانت من أحصن القلاع وأمنع البقاع ، وذلك بعد قتال عظيم ووقعة هائلة كانت من أكبر الفتوحات ، وامتدحه الشعراء عند ذلك . وفيها هرب الملك سنجر من الأسر و عاد إلى ملكه بمرء ، وكان له في يد أعدائه نحو من خمس سنين . وفيها ولي عبد المؤمن ملك المغرب أولاده على بلاده ، استتاب كل واحد منهم على بلد كبير ، وإقليم ملع .

(ذكر حصار بغداد)

وسبب ذلك أن السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه أرسل إلى المفتي يطلب منه أن يضطرب له في بغداد ، فلم يجبه إلى ذلك ، فسار من همدان إلى بغداد ليحاصرها ، فاجتمع الناس وحصن الخليفة البلد ، وجاء السلطان محمد فحصر بغداد ، ووقف تجارة التجار من دار الخلافة في جحفل عظيم ، ورموا نحوه النشاب ، وقامت العامة مع الخليفة قتالا شديدا بالنفط وغيره ، واستمر القتال مدة ، فبينما هم كذلك إذ جاءه الخليفة أن أخاه قد خلفه في همدان ، فأنشروا عن بغداد إليها في ربيع الأول من سنة الثنتين وخمسين ، وقررت عنه السراكر الذين كانوا معه في البلاد ، وأصاب الناس بعد ذلك القتال مرض شديد ، وموت فزيع ، واحترقت محال كثيرة من بغداد ، واستمر ذلك فيها مدة شهرين . وفيها أطلق أبو الوليد البدر بن الوزير بن هبيرة من قلعة تكريت ، وكان معتقلا فيها من مدة ثلاث سنين ، فشقاه الناس إلى أثناء الطريق ، وامتدحه الشعراء ، وكان من جملتهم الأبله الشاعر ، أنشد الوزير قصيدة يقول في أولها :

بأي لسان لوشاة ألام • وقد علموا أني سهرت وناموا ؟

إلى أن قال :

ويستكثرون الوصول لي ليلة • وقد مر عام بالصود وعام

فطرب الوزير عند ذلك . وخلع عليه ثيابه وأطلق له خمسين ديناراً ، وسج بالناس قيازا .

ومن توفي فيها من الأعيان . (على بن الحسين)

أبو الحسن الغزنوي الواعظ ، كان له قبول كثير من العامة ، وبلغت له الخاتون زوجة المستظهر رباطاً بباب الأتزع ، ووقفت عليه أوقافاً كثيرة ، وحصل له جاه عريض وازاره السلطان . وكان حسن الإرادة مليح الوعظ ، يحضر مجلسه خلق كثير وجم غفير من أصفاف الناس . وقد ذكر ابن الجوزي أشياء من وعظه ، قال وصحته يوماً يقول : حزمة حزن خير من أعدال أعمال . ثم أنشد :

كم حسر قل في الحشا • من ولد إذا نشأ • أملت فيه رشده • فما يشاء كما نشأ

قال وصحته يوماً ينشد :

يحدثنى قومى على صنقى * لألقى فى صنقى فارس
سهرت فى ليلى واستنموا * وهل يستوى الساهر والناس ؟

قال : وكان يقول : تولون اليهود والنصارى فيسبون نبيكم فى يوم عيدكم ، ثم يصبحون يجلسون إلى جانبكم ؟ ثم يقول : ألا هل بلغت ؟ قال : وكان يتشيع ، ثم سى فى منته من الوعظ ثم أخذ له ، ولكن ظهر للناس أمر العبادى ، وكان كثير من الناس يميلون إليه ، وقد كان السلطان يعظمه ويحضر مجلسه ، فلما مات السلطان مسعود ولى الفرزدق بعده ، وأهين إهانة بالغة ، فرض ومات فى هذه السنة . قال ابن الجوزى : وبلغنى أنه كان يرق فى نزعته ثم فبق وهو يقول : رضى وتسلم ، ولما مات دفن فى رباطه الذى كان فيه .

﴿ محمود بن إسماعيل بن قادوس ﴾

أبو الفتح الدميلى ، كاتب الانشا باللهيار المصرية ، وهو شيخ القاضي الفاضل ، كان يسميه ذا البلاغتين ، وذكره العماد الكاتب فى الجريدته . ومن شعره فيمن يكرر التكبير ويوسوس فى نية الصلاة فى أولها :

وقاقر النية عنيها * مع كثرة العزم والمهمة
يكبر التسعين فى مرة * كأنه يصلى على حمزة

﴿ الشيخ أبو البيان ﴾

بنا بن محمد المروف بابن الحورائى ، الفقيه الزاهد العابد الفاضل الخالص ، قرأ القرآن وكتاب التنبية على منهب الشافعى ، وكان حسن المعرفة بالغة ، كثير المطالعة ، وله كلام يؤثر عنه ، ورأيت له كتابا بخطه فيه المنظوم الذى قولها أصحابه وأتباعه بلهجة غريبة ، وقد كان من نشأته إلى أن توفى على طريقة صالحة ، وقد زاره الملك نور الدين محمود فى رباطه داخل درب الحجر ، ووقف عليه شيئا ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بقابر الباب الصغير ، وكان يوم جنازته يوما مشهودا . وقد ذكرته فى طبقات الشافعية رحمه الله .

﴿ عبد الغافر بن إسماعيل ﴾

ابن عبد القادر بن محمد بن عبد النافر بن أحمد بن سعيد ، الفارسى الحافظ ، فقهه إمام الحرمين ومجمع الكثير على جده لأنه أبى القاسم القشبرى ، ورحل إلى البلاد وأجمع ، وصنف المفهم فى غريب مسلم وغيره ، وولى خطابة نيسابور ، وكان فاضلا دينيا حافظا .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وخمسة ﴾

استهلّت هذه السنة ومحمد شاه بن محمود محاصر بندق والماسة والجند من جهة الخليفة المتقنى

يقاتلون أشد القتال ، والجمعة لا تقام لغز القتال ، والفتنة منتشرة ، ثم يسر الله بذهاب السلطان ، كما تقدم في السنة التي قبلها ، وقد بسط ذلك ابن الجوزي في هذه السنة فطول . وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام ، هلك بسببها خلق كثير لا يعلمهم إلا الله ، وتهم أكثر حلب وحمص وشيزر وحسن وكفر طاب وحسن الأكراد والاذقية والمرة وطمية وإنطاكية وطرابلس . قال ابن الجوزي : وأما شيزر فلم يسلم منها إلا امرأة وخادم لها ، وهلك الباقون ، وأما كفر طاب فلم يسلم من أهلها أحد ، وأما طامية فساحت قلعها ، وتل حران انقسم نصفين فابدى نوايس ويوتا كثيرة في وسطه . قال : وهلك من مدائن الفرنج شيء كثير ، وتهم أسوار أكثر مدن الشام ، حتى أن مكتبا من مدينة حمص هلك منهم على من فيه من الصغار فهلكوا عن آخرهم ، فلم يأت أحديسأل عن أحد منهم ، وقد ذكر هذا الفصل الشيخ أبو شامة في كتاب الروضتين مستقصى ، وذكر ما قاله الشراء من القصائد في ذلك . وفيها ملك السلطان محمود بن محمد بعد خاله منبجر جميع بلاده . وفيها فتح السلطان محمود بن زنكي حصن شيزر بعد حصار ، وأخذ مدينة بلبك ، وكان بها الضحك البقاعي ، وقد قيل إن ذلك كان في سنة حسين كما تقدم فأنه أعلم ، وقد تقدم ذلك . وفيها مرض نور الدين بفرض الشام بمرضه ثم هوى فخرج المسلمون فرحا شديدا ، واستولى أخوه قطب الدين مودود صاحب الموصل على جزيرة ابن عمر . وفيها حل الخليفة بابا لكعبة مصفعا بالذهب ، وأخذ بابا الأول لجعله لنفسه تابوتا . وفيها أغارت الاسماعيلية على حجاج خراسان فلم يبقوا منهم أحدا ، لا زاهدا ولا طالا . وفيها كان غلاء شديد بفارسان حتى أكلوا الحشرات ، وذبح إنسان منهم رجلا حلوا فطبخه وباعه في السوق ، غين ظهر عليه قتل . [وذكر أبو شامة أن فتح بايئاس كان في هذه السنة على يد نور الدين بنفسه ، وقد كان معين الدين سلهبا إلى الفرنج حين حاصروا دمشق ، فعوضهم بها ، وقبل ملكها وغنم شيئا كثيرا] . وفيها قدم الشيخ أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السنجرى ، فسموا عليه البخارى في دار الوزير ببغداد ، وحج بالناس قبازا .

ومن توفي فيها من الأئمة . ﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل ، أبو الليث النسفي من أهل حمزقد ، سمع الحديث وفتح وعظ ، وكان حسن السمت ، قدم ببغداد فوعظ الناس ، ثم عاد إلى بلده فقتله قطع الطريق رحمه الله تعالى ﴿ أحمد بن يحيى ﴾

ابن علي بن محمد ، أبو المباس المارداني الواسطي قاضيا ، سمع الحديث وكانت له معرفة تامة في الأدب واللغة ، وصنف كتباً في التاريخ وغير ذلك ، وكان ثقة صدوقا توفي ببغداد وصلى عليه بالنظامية

﴿ السلطان سنجر ﴾

ابن الملك شاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، أبو الحارث واسمه أحمد ، ولقب بسنجر ، مولده في رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وأقام في الملك نيفا وستين سنة ، من ذلك استقلالا إحدى وأربعين سنة ، وقد أسره الفزنجوا من خمس سنين ، ثم هرب منهم وعاد إلى ملكه بمرو ، ثم توفي في ربيع الأول من هذه السنة ودفن في قبة بناه لها دار الآخرة رحمه الله .

﴿ محمد بن عبد الطيف ﴾

ابن محمد بن ثابت ، أبو بكر النجدي الفقيه الشافعي ، ولي تمرس النظامية ببغداد ، وكان يناظر حسنا ويخط الناس وحوله السيوف مسلة . قال ابن الجوزي : ولم يكن ماهرا في الوخط ، وكانت حاله أشبه بالوزراء من العلماء ، وتقدم عند السلاطين حتى كانوا يصدرون عن رأيه ، توفي بأصبهان فجأة فيها .

﴿ محمد بن المبارك ﴾

ابن محمد بن انخل أبو الحسن بن أبي البقاء ، سمع الحديث وثقه على الشافعي ، ودرس وأفتى ، وتوفي في محرم هذه السنة ، وتوفي أخوه الشيخ أبو الحسين بن انخل الشافعي ذي القعدة منها .

﴿ يحيى بن عيسى ﴾

ابن إدريس أبو البركات الأنباري الواعظ ، قرأ القرآن وسمع الحديث وثقه وعظ الناس على طريقة الصالحين ، وكان يبيح من أول صعوده إلى حين نزوله ، وكان زاهدا حابدا ورعا أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، ورزق أولاداً صالحين منهم بأهل الخلفاء الأربعة ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي . وحفظهم القرآن كلهم بنفسه ، وختم خلقا كثيرا ، وكان هو وزوجته يصومان الدهر ، ويقومان الليل ، ولا ينفران إلا بعد المشاء ، وكانت له كرامات ومنامات صلحة ، ولما مات قالت زوجته : اللهم لا تصفي بعده ، فانت بمدة بخمسة عشر يوما ، وكانت من الصالحات رحمها الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ﴾

فيها كثر فساد الترك من أصحاب ابن برجم الابوابي ، فجهز إليهم الخليفة منكورس^(١) المسترشد في جيش كثيف ، فالتقوا معهم فهزموهم أقبح هزيمة ، وجازوا بالأسارى والرؤس إلى بغداد . وفيها كانت وقعة عظيمة بين السلطان محمود وبين الفزنج ، فكسروهم ونهبوا البلاد ، وأقاموا بمرو ثم طلبوه إليهم بغاف على نفسه فأرسل ولده بين يديه فأكرموه ، ثم قدم السلطان عليهم فاجتمعوا عليه وعظموه . وفيها وقت فتنة كبيرة بمرو بين فقيه الشافعية المؤيد بن الحسين ، وبين فقيه العلويين بها أبي القاسم زيد بن الحسن ، قتل منهم خلق كثير ، وأحرقت المدارس والمساجد والأسواق ، وانتهزم المؤيد

(١) كذا في الأصل وفي ابن الأثير « خطوبرس » .

الشافعي إلى بعض القلاع . وفيها ولد الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستنصر بأمر الله ، وفيها خرج المقتدى نحو الأنبار متصيداً وعبر الفرات وزار الحسين ومضى إلى واسط وعاد إلى بغداد ، ولم يكن معه الوزير . وحج بالناس فيها فباز الأرجواني . وفيها كسر جيش مصر الفرنج بأرض حسقلان كسروم كسرة نجيمة محبة الملك صالح أبو التمارات ، فارس الدين طلائع بن رزيك ، وامتنعحه الشراء . وفيها قدم الملك نور الدين من حلب إلى دمشق وقد شفى من المرض ففرح به المسلمون ، وخرج إلى قتال الفرنج ، فانهزم جيشه وبقي هو في شرملة قليلة من أصحابه في نهر السدو ، فرموم بالسهم الكثيرة ، ثم خاف الفرنج أن يكون وقوفه في هذه الشرملة قليلة خديعة لجيء كين إليهم ، ففروا منهزمين ولله الحمد .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ عبد الأول بن عيسى ﴾

ابن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق ، أبو الوقت السجزي الصوفي المروى ، راوى البخارى ومسند الدارمى ، والمنتخب من مسند عبد بن حميد ، قدم بغداد فسمع عليه الناس هذه الكتب ، وكان من خيار المشايخ وأحسنهم مهتداً وأصبرهم على قراءة الحديث . قال ابن الجوزى : أخبرني أبو عبد الله محمد بن الحسين التكريتي الصوفي قال أسندته إلى فوات ، وكان آخر ما تكلم به أن قال (يا ليت قوى يملون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) .

﴿ نصر بن منصور ﴾

ابن الحسين بن أحمد بن عبد الطالق الططار ، أبو القاسم الحرائى كان كثير المال ، يعمل من صدقاته المعروف الكثير من أنواع القربات الحسنة ، ويكثر تلاوة القرآن ، ويحافظ على الصلوات في الجماعة ، ورؤيته له منامات صالحة ، وتطرب الثمانين رحمه الله .

﴿ يحيى بن سلامة ﴾

ابن الحسين أبو الفضل الشافعي ، الحصبكي نسبة إلى حصن كيفا ، كان إماماً في علوم كثيرة من الفقه والآداب ، فاضلاً تافراً ، غير أنه كان ينسب إلى الغلو في التشيع ، وقد أورد له ابن الجوزى قطعة من نظميه ، فمن ذلك قوله في جملة قضيتة له :

تهاجموا يوم الوداع كبدي • فليس لي منذ تولوا كبدي
على الجفون رجلا وافي الحشا • نزلوا وماء عيني وردوا
وأدعى مسفوحة وكبدى • مقروحة وعلقي ما قد بدوا
وصبوتى دائمة ومقلتي • دامية ونومها مشرد
تبقى منهم غزال أعيد • يا حبيبا ذاك الغزال الأفيدي

حسانه مجرد وصرحه • حمرد وخدمه مورد
وصدغه فوق احرار خنده • مبلبل مقرب مجده
كأما فكته ورقه • مسك وخر والتاليا برد
يقمده عند القيام رده • وفي الحشامنه المقبح المتعمد
له قوام كفضيب بانه • يهتز قصداً ليس فيه أود

وهي طويلة جداً ، ثم خرج من هذا التنزل إلى مدح أهل البيت والأئمة الاثني عشر رحمهم الله

وسألي عن حب أهل البيت • هل أفر إعلانه أم أجد ؟
هيهات مزوج بلحي ودي • حبهم وهو الهدى والرشد
حيدرة والحسنان بدمه • ثم علي وابنه محمد
وجعفر الصادق وابن جعفر • موسى ويتلوه علي السيد
أعني الرضى ثم ابنه محمد • ثم علي وابنه المسدد
والحسن الثاني ويتلوه • محمد بن الحسن المفتقد
فاتهم أعتى وسادى • وإن لحاقى مشر وقندوا
أئمة أكرم بهم أئمة • أسأؤم مسرودة تغرد
م حجج الله على عباده • وم إلي منهج ومقصد
قوم لهم فضل ومجد باذخ • يعرفه المشرك والموحد
قوم لهم في كل أرض مشهد • لا بل لهم في كل قلب مشهد
قوم منى والمشران لهم • والمروقان لهم والمسجد
قوم لهم مكة والأبطح وانك • يف وجع والبقيع الترفد
ثم ذكر بلطف مقتل الحسين باللفظ عبارة إلى أن قال :

يا أهل بيت المصطفى يا • عدنى ومن على حبهم أعتد
أنتم إلى الله غداً وسيلقى • وكيف أخشى وبكم أعتضد
وليكم في الخلد حى خالد • والضد في نار لظى عطف
ولست أهواكم يينض غيركم • إلى إذا أشقى بكم لا أسعد
فلا يظن رافضى أنفى • واقته أو خارجى مفسد
محمد واخلفاء بدمه • أفضل خلق الله فيما أجد
م أسروا قواعد الدين لنا • وم بتوا أركانه وشيدوا

ومن يئن أحد في أصحابه * نخسه يوم الماد أحد
 هذا اعتقادي لازمه فخلعوا * هنا طريق فسلوكه تهتدوا
 والشائني منهى منهى * لأنه في قوله مؤيد
 اتبعته في الأصل والفرع معا * فليتبني الطالب المرشد
 إلى باذن الله تاج سابق * إذا ولى الظالم ثم المفسد
 ومن شعره أيضاً :

إذا قل مالى لم تهنئ جازعا * كثير الأذى مرمى بعض الانامل
 ولا بطراً إن جدد الله نعمة * ولو أن ما أوتى جميع الناس لى
 ﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة ﴾

فيها مرض أنخليفة المقتنى مرضاً شديداً ، ثم عوفي منه فزيت بغداد أياماً ، وتصدق بصدقات كثيرة . وفيها استعاد عبد المؤمن مدينة المهدية من أيدي الفرنج ، وقد كانوا أخفوها من المسلمين في سنة ثلاث وأربعين . وفيها قاتل عبد المؤمن خلقاً كثيراً من الغرب حتى صارت عظام القتلى هناك كالتل العظيم ، وفي صفر منها سقط برد بالمرق كبار ، زفة البردة قريب من خمسة أرطال ، ومنها ما هو تسعة أرطال بالبغدادى ، فهلك بذلك شئ كثير من الثلات ، وخرج أنخليفة إلى واسط فجتاز بسوقها ورأى جامعها ، وسقط عن فرسه فشج جبينه ، ثم عوفي . وفي ربيع الآخر زادت دجلة زيادة عظيمة ، ففرق بسبب ذلك محال كثير من بغداد ، حتى صار أكثر الدور بها تلولا ، وفقرت تربة أحمد ، وخسفت هناك القبور ، وطفئت الموى على وجه الماء . قاله ابن الجوزى : وفي هذه السنة أكثر المرض والموت ، وفيها أقبل ملك الروم في جحافل كثيرة فاصداً بلاد الشام فرداه الله خائباً نكاستاً ، وذلك لضيق حالهم من الميرة ، وأسر المسلمون ابن أخته ، وفقه الحمد . وحج بالناس فيها قيازا الأربواى .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن مالى ﴾

ابن بركة الحربى ، فمته بأبى انططاب الكلوكاى الحنبلى ، وبرع وناظر ودرس وأفنى ، ثم صار بعد ذلك شافياً ، ثم عاد حنبلياً ، ووعظ ببغداد وتوفى في هذه السنة ، وذلك أنه دخلت به راحلته في مكان ضيق فسلق قرويس سرجه في صدره فمات .

﴿ السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه ﴾

لما رجع من محاصرة بغداد إلى همدان أصابه مرض السل فلم ينجح منه ، بل توفى في ذى الحجة منها ، وقبل وفاته بأيام أمر أن يمرض عليه جميع ما يملكه ويقدر عليه ، وهو جالس في المنطرة ،

فركب الجيش بكمله وأحضرت أمواله كلها ، وعماله حتى جواريه وحظاياه ، فجعل يبيكي ويقول :
هذه العساكر لا يدفعون عني مثقال ذرة من أمر ربى ، ولا يزيدون في عمري لحظة ، ثم قدم وتأسف
على ما كان منه إلى الخليفة المقتنى ، وأهل بغداد وحصارهم وأذيتهم ، ثم قال : وهذا الخزانة والأموال
والجواهر لو قبلهم ذلك الموت منى فداء لجنت بذلك جميعه له ، وهذه الخظايا والجواري الحسن والماليك
لو قبلهم فداء منى لكننت بذلك سمحاً له . ثم قال : (ما أخفى عني ماله ذلك عني سلطانيه) ثم فرق
شيئاً كثيراً من ذلك . من تلك الحداصل والأموال ، وتوفى هن رده صغير ، واجتمعت العساكر
والأمراء على عمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه ، وكان مسجوناً بالموصل فأفرج عنه وانفقت له
السلطنة ، وخطاب له على منابر تلك البلاد سوى بغداد وال عراق . والله سبحانه أعلم .

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسة)

فيها كانت وفاة الخليفة المقتنى بأمر الله .

(أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله)

مرض بالتراقى وقبل بدمل خرج بجلعه ، فمات ليلة الأحد ثلثي ربيع الأول منها من ست
وستين سنة ، إلا ثمانية وعشرين يوماً ، ودفن بدار الخلافة ، ثم نقل إلى القرب ، وكانت خلافته
أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة وعشرين يوماً ، وكان شهياً شجاعاً مقداماً ، يباشر الأمور
بنفسه ، ويشاهد الحروب ويبيد الأموال الكثيرة لأصحاب الأخبار ، وهو أول من استبد بها العراق
منفرداً عن السلطان ، من أول أيام العهد إلى أيامه ، وتمكن في الخلافة وحكم على المسكر والأمراء ،
وقد وافق أباه في أشياء : من ذلك مرضه بالتراقى وموته في ربيع الأول ، وتقدم موت السلطان محمد
شاه قبله بثلاثة أشهر ، وكذلك أبوه المستظهر مات قبله السلطان محمود بثلاثة أشهر ، وبعد غرق
بغداد بسنة مات أبوه ، وكذلك هذا . قال عفيف الناسخ : رأيت في المنام قاتلاً يقول : إذا اجتمعت
ثلاث خاآت مات المقتنى . يعنى خمساً وخمسين وخمسة .

(خلافة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتنى)

لما توفى أبوه كما ذكرنا بربيع بالخلافة في صبيحة يوم الأحد ثلثي ربيع الأول من هذه السنة ،
بايحه أشراف بني العباس ، ثم الوزير والقضاة والعلماء والأمراء وعمره يومئذ خمس وأربعون سنة ،
وكان رجلاً صالحاً ، وكان ولى عهد أبيه من مدة مت طويلة ، ثم عمل عزاء أبيه ، ولما ذكر اسمه يوم
الجمعة في الخطبة ثارت الدرام والفتانير على الناس ، وفرح المسلمون به بعد أبيه ، وأقر الوزير
ابن هبيرة على منصبه ووهده بذلك إلى المملات ، وهزل قاضي القضاة ابن الدامغانى وولى مكانه
أبا جعفر بن عبد الواحد ، وكان شيخاً كبيراً ، له سمع بالحديث ، وباشر الحكم بالكوفة ، ثم توفى في

ذى الحجة منها . وفي شوال من هذه السنة اتفق الأتراك بيلب همدان على سليمان شاه ، وخطبوا لأرسلان شاه بن طغرل ، وفيها توفي .

﴿ الفارز خليفة مصر الفاطمي ﴾

وهو أبو القاسم عيسى بن إسماعيل الظافر ، توفي في صفر منها وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة ، ومدة ولايته من ذلك ست سنين و شهران ، وكان مدبر دولته أبو الفارزات . ثم قام بعده العاضد آخر خلفائهم ، وهو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ ، ولم يكن أبوه خليفة ، وكان يومئذ قد تاهز الاحتلام ، فقام بتدبير مملكته الملك الصالح طلائع بن رزيك الوزير ، أخذ له البيعة وزوجه بابنته ، وجيزها بمجهاز عظيم يعجز عنه الوصف ، وقد حمرت بعد زوجها العاضد ورأت زوال دولة الفاطميين على يد الملك صلاح الدين بن يوسف ، في سنة أربع وستين كما سيأتي . وفيها كانت وفاة السلطان الكبير صاحب غزنة .

﴿ خسرو شاه بن ملكشاه ﴾

ابن بهرام شاه بن مسعود بن إبراهيم بن محمود بن سبكتكين ، من بيت ملك ورياسة باذخة ، يرثونها كابراً عن كابر ، وكان من سادات الملوك وأحسنهم سيرة ، يحب العلم وأهله ، توفي في رجب منها ، وقام بعده ولده ملكشاه ، فسار إليه علاء الدين الحسين بن النور فحاصر غزنة فلم يقدر عليها ، ورجع خائباً . وفيها مات .

﴿ ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ﴾

السلجوقي بأصبهان مسموماً ، فيقال إن الوزير عون الدين بن هبيرة دس إليه من سقاه إياه والله أعلم . وفيها مات أمير الحاج .

﴿ قيازين عبد الله الأرجواني ﴾

سقط عن فرسه وهو يلعب بالكرة بميدان الخليفة ، فسال دماغه من أذنه فأت من ساعته ، وقد كان من خيار الأمراء ، فأنسف الناس عليه ، وحضر جنازته خلق كثير ، مات في شعبان منها ، فخرج بالناس فيها الأثير برغش مقطع الكوفة . وحجج الأمير الكبير شيركوه بن شاذي ، مقدم صاكر الملك نور الدين ، وتصدق بأموال كثيرة . وفيها استعفى القاضي زكي الدين أبو الحسن علي بن محمد ابن يحيى أبو الحسن القرشي من القضاء بدمشق ، فأعفاه نور الدين ، وولى مكانه القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهر زوري ، وكان من خيار القضاة وأكثرهم صدقة ، وله صدقات جارية بعده ، وكان عالماً ، وإليه ينسب الشباك الكجالي الذي يجلس فيه الحكام بعد صلاة الجمعة من المشهد الغربي بالجامع الأموي ، والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ الأمر بجهاد الدين ﴾

نزار بن مامين الكردي ، أحد مقدمي جيش الشام ، قبل نور الدين وبغده ، وقد تلب في مدينة صرخند ، وكان شهما شجاعا كثير البر والصدقات ، وهو واقف المدرسة المجاهدية بالقرب من النورية جوار الخيميين ، وله أيضا المدرسة المجاهدية داخل باب الفراديس البراني ، وبها قبره . وله السبع المجاهدي داخل باب الزيادة من الجامع بمقصورة الخضر ، توفي بداره في صفر منها ، فحمل إلى الجامع وصلى عليه ثم أعيده إلى مدرسته ودفن بها داخل باب الفراديس ، وتأسف الناس عليه .

﴿ الشيخ عدي بن مسافر ﴾

ابن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكاري ، شيخ الطائفة المدوية ، أصله من البلق غرب دمشق من قرية بيت نار ، ثم دخل إلى بغداد فاجتمع فيها بالشيخ عبد القادر والشيخ حماد البهاس ، والشيخ عقيل المنجي ، وأبي الوفاء الحلواني ، وأبي النجيب السهروردي وغيرهم ، ثم انفرد من الناس وتخل بجبل هكارو بنى له هناك زاوية واعتقه أهل تلك الناحية اعتقاداً بليفاً ، حتى أن منهم من ينزلوا كثيرا منكراً ومنهم من يجهله إلها أو شريكا ، وهذا اعتقاد فاحش يؤدي إلى انحر وج من الدين جملة . مات في هذه السنة بزاويته وله سبعون سنة رحمه الله .

﴿ عبد الواحد بن أحمد ﴾

ابن محمد بن حزة ، أبو جعفر التقي ، قاضي قضاة بغداد ، ولها بعد أبي الحسن الهاماني في أول هذه السنة ، وكان قاضياً بالكوفة قبل ذلك ، توفي في ذي الحجة منها وقد ناهز الثمانين ، وولى بعده ابنه جعفر . والفائز صاحب مصر ، وقياز قنما في الحوادث .

﴿ محمد بن يحيى ﴾

ابن علي بن مسلم أبو عبد الله الزبيدي ، ولد بمدينة زبيد باليمن سنة ثمانين تقريباً ، وقدم بغداد سنة تسع وخمسة ، فوجد وكان له معرفة بالنحو والأدب ، وكان صبوراً على الفقر لا يشكو حاله إلى أحد ، وكانت له أحوال صالحة رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسة ﴾

فيها قتل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه ، وكان عنده استهزاء وقلة مبالاة بالدين ، مدمن شرب الخمر في رمضان ، فثار عليه مدبر مملكتيه يزيدار الخادم قتلته ، وبايع بعده السلطان أرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه . وفيها قتل الملك الصالح طرس الدين أبو الفوارس طلائع ابن رزك الأرميني ، وزير الماض صاحب مصر ، ووالد زوجته ، وكان قد حجر على الماض لفسره واستحوذ على الأمور والحاشية ، ووزر بعده ولده رزك ، ولقب بالماذل ، وقد كان أبوه الصالح

كريماً أديباً ، يحب أهل العلم ويحسن إليهم ، كان من خيار الملوك والوزراء ، وقد امتدحه غير واحد من الشعراء . قال ابن خلكان : كان أولاً متولياً بمنية بنى الخصب ، ثم آل به الحال إلى أن صار وزير العاضد والناظر قبله ، ثم قام في الوزارة بعده ولده العادل رزيك بن طلائع ، فلم يزل فيها حتى انتزعها منه شاور كما سيأتي . قال : والصلح هذا هو باني الجامع عند باب زويلة ظاهر القاهرة ، قال : ومن العجائب أنه ولي الوزارة في تاسع عشر شهر وقتل من دار الوزارة إلى القرافة في تاسع عشر شهر ، وزالت دولتهم في تاسع عشر شهر آخر . قال ومن شعره ما رواه عنه زين الدين علي بن نجيب الخنبلي

مشييك قد عصى صنع الشباب • وحل الباز في وكر النراب
تنام ومقلة الحدتان يقظى • وما تلب النوائب عنك تلب
وكيف فناد عرك وهو كنز • وقد أفقت منه بلا حساب
وله كم ذا برينا الدهر من أحداثه • عبراً وفينا الصد والاعراض
نلقى المات ولينس يجرى ذكره • فينا فتذكرنا به الأمراض
ومن شعره أيضاً قوله :

أبي الله إلا أن يدوم لنا الدهر • ويخدمنا في ملكنا المزم والنصر
علمنا بأن المال تنفى ألوفه • ويبقى لنا من بعده الأجر والذكر
خلطنا الندى بالبأس حتى كائننا • سحب لديه البرق والرعد والعتقر
وله أيضاً وهو مما نظمته قبل موته بثلاث ليال :

[نحن في غفلة ونوم وللو • ت عيون يقظانة لا تنام]

قد رحلنا إلى الحمام سلينا • ليت شمري متى يكون الحمام ؟

ثم قتله غلمان العاضد في النهار غيلة وله إحدى وستون سنة ، وخلع على ولده العادل بالوزارة ورثاه حمادة التميمي بقصائد حسان ، ولما نقل إلى تربته بالقرافة سار العاضد معه حتى وصل إلى قبره فدفنه في التابوت . قال ابن خلكان : فعمل التقييه حمادة في التابوت قصيدة فجار فيها في قوله :

وكانه تابوت موسى أودعت • في جانيه سكينه ووقار

وفيه كانت قصة عظيمة بين بنى خفاجة وأهل الكوفة ، فقتلوا من أهل الكوفة خلقاً منهم الأمير قبصر وجرحوا أمير الحاج برغش جراحات ، قبض إليهم وزير الخلافة عون الدين بن هبيرة ، فقبضهم حتى أوغل خلفهم في البرية في جيش كثيف ، فبعثوا يطلبون العفو . وفيها ولي مكة الشريف عيسى بن قاسم بن أبي هاشم ، وقيل قاسم ، بن أبي فليته بن قاسم بن أبي هاشم . وفيها أمر الخليفة بإزالة الدكاكين التي تضيق الطرقات ، وأن لا يجلس أحد من الباعة في عرض الطريق ،

لثلا يضر ذلك بالمارة . وفيها وقع رخص عظيم يشداد جدا . وفيها فتحت المدرسة التي بناها ابن الشميل في المأمونية ودرس فيها أبو حكم إبراهيم بن دينار التبرواني الخنيلي ، وقد توفي من آخر هذه السنة ، ودرس بعده فيها أبو الفرج ابن الجوزي ، وقد كان عنده معيداً ، ونزل عن تدريس آخر بياب الأزج عند موته .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ حزة بن علي بن طلحة ﴾

أبو الفتح الحاجب ، كان خصيصاً عند المسترشد والمقتني ، وقد بنى مدرسة إلى جانب داره ، وحج فرجع متزهداً ولزم بيته مغلماً نحواً من عشرين سنة ، وقد امتدحه الشراء فقال فيه بعضهم :

يا عضد الاسلام يا من صحت • إلى الملا همت الفانخرة

كانت لك الدنيا فلم ترضها • ملكاً فأخلفت إلى الآخر

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسة ﴾

فيها دخلت الكرج بلاد المسلمين قتلوا خلقاً من الرجال وأسروا من القراري ، فاجتمع ملوك تلك الناحية : ايلدكز صاحب أذربيجان وابن سكلان صاحب خلاط ، وابن آقسنقر صاحب مراغة ، وساروا إلى بلادهم في السنة الآتية فتهبوا ، وأسروا ذواربهم ، واقتروا معهم فكسروهم كسرة فظيمة منكورة ، مكثوا يقتلون فيهم ويأسرون ثلاثة أيام . وفي رجب أميد يوسف القمشقي إلى تدريس النظامية بسدهزل ابن نظام الملك بسبب أن امرأة ادعت أنه تزوجها فأنكر ثم اعترف ، ف عزل من التدريس . وفيها حكمت المدرسة التي بناها الوزير ابن هبيرة ببياب البصرة ، ورتب فيها مدرساً وفتياً ، وحج بالناس أمير الكوفة برغش .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ شجاع شيخ الحنفية ﴾

ودفن عند الشهيد ، وكان شيخ الحنفية بمشهد أبي حنيفة ، وكان جيد الكلام في النظر ، أخذ عنه الحنفية . ﴿ صدقة بن وزير الواعظ ﴾

دخل بغداد ووعظ بها وأظهر تقشفاً ، وكان يميل إلى التشيع ولم الكلام ، ومع هذا كله راجع عند العوام وبعض الأمراء ، وحصل له فتوح كثير ، ابتقى منه رباطاً ودفن فيه ساعه الله تعالى .

﴿ زمرد خاتون ﴾

بنت جاولى أخت الملك دقاق بن قش لأمه ، وهي بانية الخاتونية ظاهر دمشق عند قرية صنماء بمكان يقال له تل الثعالب ، غربي دمشق ، على جانب الشرق القبل بعينماء الشام ، وهي قرية مروفة قديماً ، وأوقفها على الشيخ برهان الدين علي بن محمد البلخي الحنفي المتقزم ذكره ، وكانت زوجة الملك بوري بن طغتكين ، فولدت له ابنه فحمس الملوك إسماعيل المذكور ، وقد ملك بعد

أبيه وسار سيرته ، ومالاً الفرج على المسلمين وهم بقسليم البلد والأموال إليهم قتلوه ، وتملك أخوه وذلك بعد مراجعتها ومساعدتها ، وقد كانت قرأت القرآن ، وسمعت الحديث ، وكانت حنفية المذهب تحب العلماء والصالحين ، وقد تزوجها الابا يكي زكي صاحب حلب طمعا في أن يأخذ بسببها دمشق فلم يظفر بذلك ، بل خفيت إليه إلى حلب ثم حلت إلى دمشق بعد وفاته ، وقد دخلت بغداد وسارت من هناك إلى الحجاز ، وجاورت بمكة سنة ، ثم جاءت فأقامت بالمدينة النبوية حتى ماتت بها ودفنت بالبقيع في هذه السنة ، وقد كانت كثيرة البر والصدقات والصلاة والصوم ، قال السبط ولم تمت حتى قل ما يبدها ، وكانت تفر بل القمح والشعير وتعتق بأجرته ، وهذا من تمام الخير والسعادة وحسن الخاتمة رحها الله تعالى ، والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخسين وخمسة ﴾

فيها مات صاحب المغرب عبد المؤمن بن علي التومرتي ، وخلفه في الملك من بعده ابنه يوسف وحل أباه إلى مرا كش على صفة أنه مريض ، فلما وصلها أظهر موته فزاه الناس بإيموه على الملك من بعد أبيه ، ولقبوه أمير المؤمنين ، وقد كان عبد المؤمن هذا حازما شجاعا ، جوادا معظما لشرعية ، وكان من لا يمانف على الصلوات في زمانه يقتل ، وكان إذا أذن المؤذن وقيل الأذان يرحم الخلق في المساجد ، وكان حسن الصلاة ذا طمأنينة فيها ، كثير الخشوع ، ولكن كان سفاكا للدماء ، حتى على الذنب الصغير ، فأمره إلى الله يحكم فيه بما يشاء . وفيها قتل سيف الدين محمد بن علاء الدين الفزى ، قتله النز ، وكان صالدا . وفيها كبست الفرج نور الدين وجيشه فانهزم المسلمون لا يولى أحد على أحد ، ونهض الملك نور الدين فركب فرسه والشبعة في رجله قتل رجل كردى قطعها فصار نور الدين فنجاء ، وأدركت الفرج ذلك الكردى قتلوه رحمه الله ، فأحسن نور الدين إلى ذريته ، وكان لا يلعن ذلك له . وفيها أمر الخليفة بإجلاء بني أسد عن الحلة وقتل من تخلف منهم ، وذلك لافسادهم ومكابيتهم السلطان محمد شاه ، ونهر يرضهم له على حصار بغداد ، قتل من بني أسد أربعة آلاف ، وخرج الباقون منها ، وتسلم نواب الخليفة الحلة . وحج بالناس فيها الأمير برغش الكبير . ومن توفي فيها من الأعيان السلطان الكبير .

﴿ أبو محمد عبد المؤمن بن علي ﴾

القيسي الكوفي تلميذ ابن التومرت ، كان أبوه يعمل في الطين فاعلا ، فحين وقع نظر ابن التومرت عليه أحبه وقرص فيه أنه شجاع سعيد ، فاستصحبه فظم شأنه ، وانتفت عليه العساكر التي جمعها ابن التومرت من المصاندة وغيرهم ، وحاربوا صاحب مرا كش على بن يوسف بن تاشفين ، ملك الملثين ، واستنحوذ عبد المؤمن على وهران وتلمسان وفس وسلا وسبتة ، ثم حاصر مرا كش أحد

عشر شهراً فافتتحها في سنة ثنتين وأربعين وخمائة ، وتمهدت له الممالك هناك ، وصفا له الوقت وكان طاقلاً وقوراً شكلاً حسناً عجياً فخيراً ، توفي في هذه السنة ومكث في الملك ثلاثاً وثلاثين سنة ، وكان يسمى نفسه أمير المؤمنين رحمه الله .

(طلحة بن علي)

ابن طراد ، أبو أحمد الزينبي ، تيب النقباء ، مات فجأة وولي النقباء بعده ولده أبو الحسن علي وكان أمرد فمزل وصودر في هذه السنة .

(محمد بن عبدالكريم)

ابن إبراهيم ، أبو عبد الله المعروف بابن الأنباري كاتب الانشاء ببغداد ، كان شيخاً حسناً ظريفاً وافرد بصناعة الانشاء ، وبث رسولا إلى الملك سنجر وغيره ، وخشم الملوك والخلفاء ، وقارب التسمين . ومن شعره في محي الدنيا والصور :

يا من هجرت ولا تبالي • هل ترجع دولة الوصال
هل اطعم يا عذاب قلبي • أن ينعم في هواك باني
ما ضرك أن تمليني • في الوصل بموعده الحال
أهواك وأنت حفظ غيري • يا قاتلي فا احتيالي
أيام عنائي قبل سود • ما أشبهن باليالي
العذل فيك يملوئي • عن حباك ما لم يمل
يا ملازمني السلو عنها • الصب أنا وأنت سالي
والقول بتركها صواب • ما أحسنه لو استوى لي
طلقت فجلدي ثلاثاً • والصبوة بعد في خيالي

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمائة)

فيها قتم شاور بن مجير الدين أبو شعاع السعدي الملقب بأسير الجيوش ، وهو إذ ذاك وزير الديار المصرية بعد آل رزيك ، لما قتل الناصر رزيك بن طلائع ، وقام في الوزارة بعده ، واستفصل أمره فيها ، ثار عليه أمير يقال له الضرغام بن سوار ، وجمع له جموعاً كثيرة ، واستظهر عليه وقتل ولديه طيباً وسليمان ، وأسر الثالث وهو الكامل بن شاور ، فسجنه ولم يقتله ، ليد كانت لأبيه عنده ، وامتنور ضرغام ولقب بالمنصور ، ففرج شاور من الديار المصرية هارباً من الماضد ومن ضرغام ، ملتجئاً إلى تور الدين محمود ، وهو نازل بموسق الميدان الأخضر ، فأحسن ضيافته وأنزله بالجلوسق المذكور ، وطلب شاور منه عسكرياً ليكونوا معه ليقتح بهم الديار المصرية ، وليكون لتور الدين

ثالث منها ، فأرسل معه جيشا عليه أسد الدين شيركوه بن شادى ، فلما دخلوا بلاد مصر خرج إليهم الجيش الذين بها فاقتتلوا أشد القتال ، فهزمهم أسد الدين وقتل منهم خلقا ، وقتل ضرغام بن سوار وطيف برأسه في البلاد ، واستقر أمر شاور في الوزارة ، وتمهد حاله ، ثم اصطلح العاضدوشاور على أسد الدين ، ورجع عما كن عاهد عليه نور الدين ، وأمر أسد الدين بالرجوع فلم يقبل منه ، وعاش في البلاد ، وأخذ أموالا كثيرة ، وافتتح بلدانا كثيرة من الشرقية وغيرها ، فاستغاث شاور عليهم بملك الفرنج الذى بمسقلان ، واسمه مرى ، فأقبل في خلق كثير فتحول أسد الدين إلى بلبس وقد حصنها وشحنها بالمسدد والآلات وغير ذلك ، فحصره فيها ثمانية أشهر ، وامتنع أسد الدين وأصحابه أشد الامتناع ، فبينما هم على ذلك إذ جاءت الأخبار بأن الملك نور الدين قد اغتم غيبة الفرنج فسار إلى بلادهم قتل منهم خلقا كثيرا ، وفتح حارم وقتل من الفرنج بها خلقا ، وسار إلى بانيس ، فضد صاحب مسقلان الفرنجى ، وطلبوا من أسد الدين الصلح فأجابهم إلى ذلك ، وقبض من شاورستين ألف دينار ، وخرج أسد الدين وجيشه فساروا إلى الشام في ذى الحجة .

(وقصة حارم)

فتحت في رمضان من هذه السنة ، وذلك أن نور الدين استغاث بإسار المسلمين لجأوه من كل فج ليأخذ ثأره من الفرنج ، فالتقى معهم على حارم فكسرم كسرة عظيمة ، وأسر البرنس يميند صاحب لفظاكية ، والقوهص صاحب طرابلس ، والهلوك صاحب الروم ، وابن جوسليق ، وقتل منهم عشرة آلاف ، وقيل عشرين ألفا . وفي ذى الحجة فتح منها فتح نور الدين مدينة بانيس ، وقيل إنه إنما فتحها في سنة ستين فله أعلم . وكان معه أخوه نصر الدين أمير أميران ، فأصابه سهم في إحدى عينيه فأذهبها ، فقال له الملك نور الدين : لو نظرت لما أعد الله لك من الأجر في الآخرة لأحببت أن تنهب الأخرى . وقال لابن مدين الدين : إنه اليوم بردت جلبة والملك من فارجهنم ، لأنه كان سلمها لفرنج ، فصلحه من دمشق . وفي شهر ذى الحجة احترق قصر جيرون حريقا عظيما ، فغضر في تلك الليلة الأمراء منهم أسد الدين شيركوه ، بعد رجوعه من مصر ، وسعى سعيًا عظيما في إطفاء هذه النار وصون حوزة الجامع منها .

ومن توفي فيها من الأعيان . (جمال الدين)

وزير صاحب الموصل ، قطب الدين مودود بن زنكى ، كان كثير المعروف ، واسمه محمد بن على ابن أبى منصور ، أبو جعفر الأصهبائى ، الملقب بالجمال ، كان كثير الصدقة والبر ، وقد أثر آثارا حسنة بمكة والمدينة ، من ذلك أنه ساق عينا إلى عرفات ، وعمل هناك مصانع ، وبنى مسجد الخليف ودرجه ، وعملها بالرخام ، وبنى على المدينة النبوية سوراً ، وبنى جسراً على دجلة عند جزيرة ابن

حر بالحجر المنحوت ، والحديد والرصاص ، وبني الربط الكثيرة ، وكان يتصدق في كل يوم في بابة بمائة دينار ، ويقتدى من الأسارى في كل سنة بشرة آلاف دينار ، وكان لا تزال صدقاته وافدة إلى الفقهاء والقراء ، حيث كانوا ينفذون وغيرها من البلاد ، وقد جس في سنة ثمان وخمسين ، فذكر ابن السامى في تاريخه عن شخص كان معه في السجن أنه نزل إليه طائر أبيض قبل موته فلم يزل عنده وهو يذكر الله حتى توفي في شعبان من هذه السنة ، ثم طار عنه ودفن في رباط بناءه لنفسه بالموصل ، وقد كان بينه وبين أسد الدين شيركوه بن شاذى مواخاة وعهد أيهما مات قبل الآخر أن يحمله إلى المدينة النبوية ، لحمل إليها من الموصل على أعتاق الرجال ، فأمرهوا به على بلدة لإحصاله عليه ونزحوا عليه ، وأثثوا خيراً ، فعلموا عليه بالموصل وتكرمت وبنفاد الخلقة والكوفة وفيدو مكة وطيف به حول الكعبة ، ثم حمل إلى المدينة النبوية فدفن بها في رباط بناء شرقى مسجد النبي ﷺ قال ابن الجوزى وابن السامى : ليس بينه وبين حرم النبي ﷺ وقبره سوى خمسة عشر ذراعاً . قال ابن السامى : ولما صلى عليه بالخلقة صد شاب نشراً فأشدد :

سرى نمشه على الرقاب وطالما • سرى جوده فوق الركاب ونالها

يمر على الوادى فتلقى رماله • عليه وبالنادى فتلقى أرامه

ومن توفى بعد الحسين ﴿ ابن الخازن الكاتب ﴾

أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق أبو الفضل المعروف بابن الخازن الكاتب البغدادي الشاعر . كان يكتب جيداً فأثما ، اعتنى بكتابة الخطات ، وأكثر ابنه نصر الله من كتابة المقامات ، وجمع لابنه ديوان شعر أورد منه ابن خلكان قطعة كبيرة .

﴿ ثم دخلت سنة ستين وخمسة ﴾

في صفر منها وقت بأصبهان فتنة عظيمة بين الفقهاء بسبب المذاهب دامت أياماً ، وقتل فيها خاق كثير . وفيها كان حريق عظيم ببغداد فاحترقت محال كثيرة جداً ، وذكر ابن الجوزى أن في هذه السنة ولدت امرأة ببغداد أربع بنات في بطن واحد ، وحج بالناس فيها الأمير برغش الكبير ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ عمر بن جليقا ﴾

الطحان الذى جدد جامع القبيصة ببغداد ، واستأذن الخليفة في إقامة الجمعة فيه ، فأذن له في ذلك ، وكان قد اشترى ماحوله من القبور فأضاف ذلك إليه ، ونش المولى منها ، فقبض الله له من نبشه من قبره بعد دفنه ، جزاء وفاء .

﴿ محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد ﴾

أبو عبد الله الحراني ، كان آخر من بقي من الشهود المتبولين عند أبي الحسن الباقى ، وقد

سمع الحديث ، وكان لطيفاً ظريفاً ، جمع كتاباً سماه روضة الأقباء ، فيها تنف حسة . قال ابن الجوزى زرقته يوماً فأطالت الجلوس عنده فقلت : أقوم قد قمت ، فأشدنى :

لئن سمنت إرباما وتقللا • زيارات رقت بين قدرى
فما أبرمت إلا حيل ودى • ولا قمت إلا ظهر شكرى

(مرجان الخادم)

كان يقرأ القراءات ، وتفق لهذهب الشافى ، وكان يتعصب على الحنابلة ويكرهم ، ويمادى الوزير ابن هبيرة وابن الجوزى معاداة شديدة ، ويقول لابن الجوزى : مقصودى قلع منهبكم ، وقطع ذكركم . ولما توفى ابن هبيرة فى هذه السنة قوى على بن الجوزى وخلفه ابن الجوزى ، فلما توفى فى هذه السنة فرح ابن الجوزى فرحاً شديداً ، توفى [فى ذى القعدة منها .

(ابن التلميذ)

الطبيب الحاذق الماهر ، اسمه هبة الله بن صاعد توفى [عن خمس وتسعين سنة ، وكان موسماً عليه فى الدنيا ، وله عند الناس وجاعة كبيرة ، وقد توفى قبضه الله على دينه ، ودفن بالبيعة المتينة ، لا رحمه الله إن كان مات نصرانياً ، فانه كان يزعم أنه مسلم ، ثم مات على دينه .

(الوزير ابن هبيرة)

يحيى بن محمد بن هبيرة ، أبو المظفر الوزير للخلافة عون الدين ، مصنف كتاب الانصاح ، وقد قرأ القرآن وسمع الحديث ، وكانت له معرفة جيدة بالنحو واللغة والعروض ، وتفق على منهب الامام أحمد ، وصنف كتاباً جيداً مفيداً ، من ذلك الانصاح فى مجلدات ، شرح فيه الحديث وتكلم على مذاهب العلماء ، وكان على منهب السلف فى الاعتقاد ، وقد كان قهراً لاملاله ، ثم تعرض للخدمة إلى أن وزر للفتنى ثم لابنه المستنجد ، وكان من خيار الوزراء وأحسنهم سيرة ، وأبهدهم عن الظلم ، وكان لا يلبس الحرير ، وكان المتقنى يقول ما وزر لبنى العباس مثله ، وكذلك ابنه المستنجد ، وكان المستنجد معجباً به ، قال مرجان الخادم سمعت أمير المؤمنين المستنجد ينشد لابن هبيرة وهو بين يديه من شعره .

صفت نعمتان خصتاك وحننا • فذكرهما حق القيامة يذكر

وجودك والدنيا إليك فقيرة • وجودك والمروءة فى الناس ينكر

فلو رام يا يحيى مكانك جعفر • ويحيى لكفا عنه يحيى وجعفر

ولم أر من ينوى لك السوء يا أبا • المظفر إلا كنت أنت المظفر

وقد كان يبالغ فى إقامة الدولة العباسية ، وحسن مادة الملوك السلجوقية عنهم بكل ممكن ،

حتى استقرت اغلالة في المراق كله ، ليس للملوك معهم حكم بالكلية والله الحمد . وكان ينفذ في داره
للعلماء مجلساً للنظر فيهم وينظرون عنده ، يستفيهمهم ويستفيدون منه ، فاتفق يوماً أنه
كلم رجلاً من الفقهاء كلمة فيها بشاعة قال له : يا حمار ، ثم ندم فقال : أريد أن أقول لي كما قلت لك ،
فامتنع ذلك الرجل ، فصار على مائتي دينار . مات فجأة ، ويقال إنه سمع طيب فسم ذلك الطيب
بعد ستة أشهر ، وكان الطيب يقول سمعته فسمت . مات يوم الأحد الثاني عشر من جمادى الأولى
من هذه السنة ، عن إحدى وستين سنة ، وغسله ابن الجوزي ، وحضر جنازته خلق كثير وجم
غفير جداً ، وغلقت الأسواق ، وتباكى الناس عليه ، ودفن بالمدرسة التي أنشأها بباب البصرة
رحمه الله . وقد رثاه الشعراء بمراثي كثيرة .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وستين وخمسة ﴾

فيها فتح نور الدين محمود حصن المنيطرة [من الشام] وقتل عنده خلق كثير من الفرنج ، وفنم
أموالاً جزيلة . وفيها هرب عز الدين بن الوزير ابن هبيرة من السجن ، وسه مملوك تركي ، فنودي
عليه في البلد من رده فله مائة دينار ، ومن وجد عنده همت داره وصلب على بابها ، وذبحت
أولاده بين يديه ، فسلم رجل من الأحراب عليه فأخذ من بستان فضرب ضرباً شديداً وأعيد إلى
السجن وضيق عليه . وفيها أظهر الرافض سب الصحابة وتظاهر بأشياء منكرة ، ولم يكونوا يتمكنون
منها في هذه الأعصار المتقدمة ، خوفاً من ابن هبيرة ، ووقع بين العوام كلام فيما يتعلق بخلق القرآن .
وحج بالناس برغش .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن المباس ﴾

ابن أبي الطيب بن رستم ، أبو عبد الله الأشبهائي ، كان من كبار الصالحين البكائين ، قال :
حضرت يوماً مجلساً ماشداً وهو يشكلم على الناس فرأيت رب العزة في هذه الليلة وهو يقول لي :
وقفت على مبتدع وصممت كلامه ؟ لأحر منك النظر في الدنيا ، فأصبح لا يبصر وعيناه مشوحتان
كأنه بصير ﴿ عبد المزيّن الحسن ﴾

ابن الحباب الأغلب السعدي القاض ، أبو المصالي البصري ، المعروف بابن الجليس ، لأنه
كان يجالس صاحب مصر ، وقد ذكره العماد في الجريدة ، وقال : كان له فضل مشهور وشعر مأثور
فن ذلك قوله :

ومن عجب أن السيوف لهم • تبيض دماً والسيوف ذكور
وأعجب من ذا أنها في أكفهم • تلجج ناراً والأكف يحور

﴿ الشيخ عبد القادر الجيلبي ﴾

ابن أبي صالح أبو محمد الجيلبي ، ولد سنة سبعين وأربعمائة ، ودخل بغداد فسمع الحديث وفقه على أبي سعيد الخرمي الحنبلي ، وقد كان بنى مدرسة ففوضها إلى الشيخ عبد القادر ، فكان يشكلم على الناس بها ، ويمظلمهم ، وانتفع به الناس انتفاعا كثيرا ، وكان له مئمة حسن ، وصيت غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان فيه نزهد كثير وله أحوال صالحة ومكاشفات ، ولا يتابعه وأصحابه فيه مقالات ، ويذكرون عنه أقوالا وأفعالا ومكاشفات أكثرها مفالة ، وقد كان صالحا ورعا ، وقد صنف كتاب الفنية وفتوح الغيب ، وفيها أشياء حسنة ، وذكر فيها أحاديث ضمنية وموضوعة ، وبالجملة كان من سادات المشايخ ، [توفي] وله تسعون سنة ودفن بالمدرسة التي كانت له .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وستين وخمسمائة ﴾

فيها أقيمت الفرنج في جحافل كثيرة إلى الديار المصرية ، وساعدهم المصريون فتصرفوا في بعض البلاد ، فبلغ ذلك أسد الدين شيركوه فاستأذن الملك نور الدين في العود إليها ، وكان كثير الخلق على الوزير شاور ، فأذن له فصار إليها في ربيع الآخر ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد وقع في النفوس أنه سيملك الديار المصرية ، وفي ذلك يقول عرقلة المسمى بحسان الشاعر :

والأترك قد أزمست • مصر إلى حرب الأطراف

رب كما ملكها يوسف • الصديق من أولاد يعقوب

فلحها في عصرنا يوسف • الصادق من أولاد أيوب

من أبزل ضراب هلم العدا • حقا وضراب المراقيب

ولما بلغ الوزير شاور قدوم أسد الدين والجيش معه بسث إلى الفرنج فجاءوا من كل فج إليه ، وبلغ أسد الدين ذلك من شأنهم ، وإتمامه ألفا فارس ، فاستشار من معه من الأمراء فكلهم أشار عليه بالرجوع إلى نور الدين ، لكنثرة الفرنج ، إلا أميراً واحدا يقال له شرف الدين برغش ، فإنه قال : من خاف القتل والأسر فليقم في بيته عند زوجته ، ومن أكل أموال الناس فلا يسلم ببلادهم إلى العدو ، وقال مثل ذلك ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فزمم الله لهم فصاروا نحو الفرنج فقتلواهم وإيام قتالا عظيما ، وقتلوا من الفرنج مقتلة عظيمة ، وهزموم ، ثم قتلوا منهم خلقا لا يعلم إلا الله عز وجل ، والله الحمد .

﴿ فتح الاسكندرية على يدي أسد الدين شيركوه ﴾

ثم أشار أسد الدين بالسير [إلى الاسكندرية] فلحقها وجي أمواليها ، واستتاب عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف وطاد إلى الصعيد فلكه ، وجع منه أموالا جزية جدا ، ثم إن الفرنج

والمصريين اجتمعوا على حصار الاسكندرية ثلاثة أشهر لينتزعوها من يد صلاح الدين ، وذلك في غيبة عمه في الصعيد ، وامتنع فيها صلاح الدين أشد الامتناع ، ولكن ضاقت عليهم الأقوات وضاق عليهم الحال جداً ، فسار إليهم أسد الدين فصاله شاور الوزير عن الاسكندرية بخمسين ألف دينار ، فأجابه إلى ذلك ، وخرج صلاح الدين منها وسلمها إلى المصريين ، وعاد إلى الشام في منتصف شوال ، وقرر شاور للفرنج على مصر في كل سنة مائة ألف دينار ، وأن يكون لهم شحنة بالقاهرة ، وعادوا إلى بلادهم بعد أن كان الملك نور الدين أعقبهم في بلادهم ، وفتح من بلادهم حصونا كثيرة ، وقتل منهم خلقا من الرجال ، وأسر جأ غفيرا من النساء والأطفال ، وضم شيئا كثيرا من الأمتعة والأموال لله الحمد . وكان معه أخوه قطب الدين مودود فأطلق له الرقة فسار قتلها . وفيها في شعبان منها كان قدوم الهاد الكاتب من بغداد إلى دمشق ، وهو أبو حامد محمد بن محمد الأصمائي ، صاحب الفتح القدسي ، والبرق الشامي ، والجريدة ، وغير ذلك من المصنفات ، فأنزله قاضي القضاة كمال الدين الشير زوري بالمدرسة النورية الشافعية داخل باب الفرج ، فسلمت إليه لسكرانه بها ، فيقال لها المداية ، ثم ولى تدريسها في سنة سبع وستين بعد الشيخ الفقيه ابن عبيد ^(١) وأول من جاء للسلام عليه نجم الدين أيوب كانت له وبه معرفة من تكريت ، فامتدحه الهاد بقصيدة ذكرها أبو شامة ، وكان أسد الدين وصلاح الدين بمصر فبشره فيها بولاية صلاح الدين الديار المصرية حيث

يقول : ويستقر بمصر يوسف وبه * تقرر بعد التثنأ عين يعقوب
ويلتقي يوسف بها بأخوته * والله يجمعهم من غير تنزيب

ثم تولى حماد الدين كتابة الانشاء للملك نور الدين محمود .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ برغش أمير الحاج سنين متعمدة ﴾

كان مقدما على المسافر ، خرج من بغداد لقتال حملة التركائي فسقط عن فرسه فلت .

﴿ أبو المال الكاتب ﴾

محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون ، صاحب التذكرة الحمدونية ، وقد ولى ديوان الزمام مدة ، توفي في ذي القعدة ودفن بمقابر قریش .

﴿ الرشيد الصديق ﴾

كان يجلس بين يدي المبادئ على الكرسي ، كانت له شعبة وسمت ووقار ، وكان يمنح حضور الساعات ، ويرقص ، فاتفق أنه مات وهو رقص في بعض الساعات .

(١) بياض بنسخة الاستانة ولم يكن بالمصرية بياض .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسة ﴾

في صفر منها وصل شرف الدين أبو جعفر بن البليدى من واسط إلى بغداد ، تخرج الجيش لتلقيه والتقيبان والقاضي ، ومشي الناس بين يديه إلى الديوان فجلس في دست الوزارة ، وقرئ عهده ولقب بالوزير شرف الدين جلال الاسلام معز الدولة سيد الوزراء صدر الشرق والغرب . وفيها أفست خفاجة في البلاد ونهبوا القرى ، ففرج إليهم جيش من بغداد فهربوا في البرارى فأنحسر الجيش عنهم خوفاً من العطش ، فكروا على الجيش قتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين ، وكان قد أسر الجيش منهم خلقاً فصلبوا على الأسوار . وفي شوال منها وصلت امرأة الملك نور الدين محمود ابن زنكى إلى بغداد تريد الحج ، وهى الست عصمت الدين خاتون بنت معين الدين ، ومعها انسلم والغلام ، وفيهم صندل الخادم ، وحملت لها الامانات وأكرمت غاية الاكرام . وفيها مات قاضى قضاة بغداد جعفر ، فشنر البليد عن حاكم ثلاثا وعشرين يوماً ، حتى أزموا روح بن الحنفى قاضى القضاة في ربيع رجب .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ جعفر بن عبد الواحد ﴾

أبو البركات الثقفى ، قاضى قضاة بغداد بعد أبيه ، ولد سنة تسع وعشرين وخمسة ، وسبب وفاته أنه طلب منه مال وكله الوزير ابن البليدى كلاماً خشناً غفاف فرمى الدم ومات .

﴿ أبو سعد السمعاني ﴾

عبد الكريم بن محمد بن منصور ، أبو سعد السمعاني ، رحل إلى بغداد فسمع بها وذيل على تاريخها الخطيب البندادى ، وقد ناقشه ابن الجوزى في المنتظم ، وذكره أنه كان يتمصب على أهل مذهبه ، ويعلمن في جماعة منهم ، وأنه يترجم بعبارة طمية ، مثل قوله عن بعض الشيوخ أنها كانت عفيفة . وعن الشاعر المشهور ببحسب يبيص إنه كانت له أخت يقال لها دخل خرج ، وغير ذلك .

﴿ عبد القاهر بن محمد ﴾

ابن عبد الله أبو النجيب السهروردى ، كان يذكر أنه من سلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه سمع الحديث وفتحه وأفتى ودرس بالنظامية وابتقى لنفسه مدرسة ورباطاً ، وكان مع ذلك متصوفاً يعظ الناس ، ودفن بمدرسته .

﴿ محمد بن عبد الحميد ﴾

ابن أبي الحسين أبو الفتح الرازى ، المعروف بالعلاء العالم ، وهو من أهل حمزقند ، وكان من الفضول في المناظرة ، وله طريقة في الخلاف والجدل ، يقال لها التعلقية العالمية . قال ابن الجوزى وقد قدم بغداد وحضر مجلسه ، وقال أبو سعد السمعاني : كان يمتن شرب الخمر . قال وكان يقول ليس في الدنيا أليب من كتاب المناظرة وباطية من خمر أشرب منها . قال ابن الجوزى : ثم بلغنى عنه

أنه أقبل من شرب الخمر والمناظرة وأقبل على الفلك والخير .

(يوسف بن عبد الله)

ابن بندار النحشقي ، مدرس النظامية ببغداد ، فقهه على أسعد الميمني ، وبرع في المناظرة وكان يتعصب للأشعرية ، وقد بعث رسولا في هذه السنة إلى فتحة التركاني فأتى في تلك البلاد .

(ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسة)

فيها كان فتح مصر على يدى الأمير أسد الدين شيركوه وفيها طفت الفرنج بالبلاد المصرية ، وذلك أنهم جعلوا شاور شحنة لهم بها ، وتحكوا في أموالها وساكنتها أنفاجا أنفاجا ، ولم يبق شيء من أن يستحوذوا عليها ويخرجوا منها أهلها من المسلمين ، وقد سكنها أكثر شجعانهم ، فلما سمع الفرنج بذلك جاؤا إليها من كل فج وناحية محيطة بك عسقلان في جحافل هائلة ، فأول ما أخذوا مدينة بليس وقتلوا من أهلها خلقا وأسروا آخرين ، ونزلوا بها ونزكوا بها أقطاعهم ، وجعلوها موثلا ومقتلا لهم ، ثم ساروا قتلوا على القاهرة من ناحية باب البرقية ، فأمر الوزير شاور الناس أن يهرقوا مصر ، وأن ينقل الناس منها إلى القاهرة ، قهبوا البلد وذهب للناس أموال كثيرة جدا ، وبقيت النار تعمل في مصر أربعة وخمسين يوما ، فعند ذلك أرسل صاحبها المعاضد يستغيث بنور الدين ، وبعث إليه بشور نسائه يقول أذكرنى واستغنى نسائى من أيدي الفرنج ، والتمزم له بثلك خراج مصر على أن يكون أسد الدين مقيا بها عندهم ، والتمزم له بأقطاعات زائلة على الثلث ، فشرع نور الدين في تجهيز الجيوش إلى مصر ، فلما استشر الوزير شاور بوصول المسلمين أرسل إلى ملك الفرنج يقول قد عرفت محبتي ومودتي لكم ، ولكن المعاضد والمسلمين لا يوافقونى على تسليم البلد ، وصالحهم ليرجعوا عن البلد بألف ألف دينار ، ومجمل لهم من ذلك ثمانمائة ألف دينار ، فانشروا راجعين إلى بلادهم خوفا من عساكر نور الدين ، وطعنا في العودة إليها مرة ثانية ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . ثم شرع الوزير شاور في مطالبة الناس بالذهب الذى صالح به الفرنج وتحصيله ، وضيق على الناس مع ما ظلم من الضيق والخوف ، فغير الله مصابهم بقدم عساكر المسلمين عليهم وهلاك الوزير على يديهم ، وذلك أن نور الدين استدعى الأمير أسد الدين من حمص إلى حلب فساق إليه هذه الساقوق قطعها في يوم واحد ، فانه قام من حمص بعد أن صلى الصبح ثم دخل منزله فأصاب فيه شيئا من الزاد ، ثم ركب وقت طلوع الشمس فدخل حلب على السلطان نور الدين من آخر ذلك اليوم ، ويقال إن هذا لم يتفق لنهره إلا للصحابة ، فسر بذلك نور الدين فقدمه على العساكر وألمم عليه بما تبقى ألف دينار وأضاف إليه من الأمراء الأعيان ، كل منهم يتنقى بمسيرة رضى الله والجهاد في سبيله ، وكان من جملة الأمراء ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولم يكن مشرحا لخروجه هذا بل كان كارهيا

له ، وقد قال الله تعالى (قل اللهم ملك الملك) الآية ، وأضاف إليه ستة آلاف من التركمان ، وجعل
أسد الدين مقدماً على هذه العساكر كلها ، فسار بهم من حلب إلى دمشق ونور الدين معهم ، فجهزه من
دمشق إلى الديار المصرية ، وأقام نور الدين بدمشق ، ولما وصلت الجيوش النورية إلى الفيوم المصرية
وجدوا الفرنج قد انشروا عن القاهرة وراجعين إلى بلادهم بالصقفة الخاسرة ، وكان وصوله إليها في
سابع ربيع الآخر ، فدخل الأمير أسد الدين على العاضد في ذلك اليوم فطلع عليه خلعة سنية
فلبسها وصاد إلى مخيمه بظاهر البلد ، وفرح المسلمون بقدومه ، وأجريت عليهم الجرايات ، وحملت
إليهم التحف والكرامات ، وخرج وجوه الناس إلى المخيم خسة لأسد الدين ، وكان فيمن جاء إليه
المخيم الخليفة العاضد متذكراً ، فأمر إليه أموراً مهمة منها قتل الوزير شاور ، وقرر ذلك معه وأعظم
أمر الأمير أسد الدين ، ولكن شرع يحاطل بما كان التزامه للملك نور الدين ، وهو مع ذلك يتردد
إلى أسد الدين ، ويركب معه ، وعزم على عمل ضيافة له قتها أصحابه عن الحضور خوفاً عليه من
غائلته ، وشاوروه في قتل شاور فلم يمكنهم الأمير أسد الدين من ذلك ، فلما كان في بعض الأيام
جاء شاور إلى منزل أسد الدين فوجده قد ذهب لزيارة قبر الشافعي ، وإذا ابن أخيه يوسف هناك
فأمر صلاح الدين يوسف بالتبص على الوزير شاور ، ولم يمكنه قتله إلا بعد مشاورة همه أسد الدين
وانتهزم أصحابه فأعلموا العاضد له يبيت ينقله ، فأرسل العاضد إلى الأمير أسد الدين يطلب منه
رأيه ، فقتل شاور وأرسلوا برأسه إلى العاضد في سابع عشر ربيع الآخر ، وفرح المسلمون بذلك
وأمر أسد الدين بنهب دار شاور ، فنهبت ، ودخل أسد الدين على العاضد فاستوزره وخلع عليه
خلعة عظيمة ، ولقبه الملك المنصور ، فسكن دار شاور وعظم شأنه هناك ، ولما بلغ نور الدين خبر
فتح مصر فرح بذلك وقصده الشراء بالتهنئة ، غير أنه لم يشرح لكون أسد الدين صار وزيراً
للعاضد ، وكذلك لما انتهت الوزارة إلى ابن أخيه صلاح الدين ، فشرح نور الدين في أعمال الحيلة في
إزالة ذلك فلم يتمكن ، ولا قدر عليه ، ولا سيما أنه بلغه أن صلاح الدين استحوذ على خزانة العاضد
كحسابي بيانه إن شاء الله ، والله أعلم . وأرسل أسد الدين إلى القصر يطلب كاتباً فأرسلوا إليه القاضي
الفاضل رجاء أن يقبل منه إذا قال وأفاض فيما كانوا يؤملون ، وبث أسد الدين المال في الأعمال
وأقطع الاقطاعات ، وولى الولايات ، وفرح بنفسه أياما معدودات ، فأدركه حمى في يوم السبت الثاني
والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وكانت ولايته شهرين وخسة أيام ، فلما توفي أسد
الدين رحمه الله أشار الأمراء الشاميون على العاضد بتولية صلاح الدين يوسف الوزارة بعد همه ،
فولاه العاضد الوزارة وخلع عليه خلعة سنية ، ولقبه الملك الناصر .

(صفة الخلفة التي لبسها صلاح الدين يومئذ)

ما ذكره أبو شامة في الروضتين عامة ، بيضاء تنسب بطرف ذهب ، وثوب ديبق بطراز ذهب وجبة بطراز ذهب ، وطيلسان بطراز مذهبة ، وعقد جواهر بمشرة آلاف دينار ، وسيف محلى بخمسة آلاف دينار ، وحجزة بياض آلاف دينار ، وعليها طوق ذهب وسر فارس ذهب مجوهر ، وفي رأسها مائتا حبة جواهر ، وفي قوائمها أربعة عقود جواهر ، وفي رأسها قصبة ذهب فيها تندة بيضاء بأعلام بيض ومع الخلفة عدة بفتح ، وخيل وأشياء أخرى ، ومنشور الوزارة ملفوف بثوب أطلس أبيض ، وذلك في يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة ، من هذه السنة ، وكان يوما مشهوداً ، وسار الجيش بكامله في خدمته ، لم يتخلف عنه سوى عين الدولة اليازوقى ، وقال : لا أخدم يوسف بعد نور الدين ، ثم سار يبعثه إلى الشام فلامه نور الدين على ذلك ، وأقام الملك صلاح الدين بمصر بصفة نائب للملك نور الدين ، يخطب له على المنابر بالديار المصرية ، ويكتبه بالأمر الأسفلار صلاح الدين ، ويتواضع له صلاح الدين في السكتب والملازمة ، لكن قد التفت عليه القلوب ، وخفضت له النفوس ، واضطهد العاصد في أيلمه غاية الاضطهاد ، وارتفع قدر صلاح الدين بين العباد بذلك البلاد ، وزاد في إقطاعات الدين معه فأحبوه واحترموه وخدعوه ، وكتب إليه نور الدين ينفذه على قبول الوزارة بدون مرسومه ، وأمره أن يقيم حسب الديار المصرية ، فلم يلتفت صلاح الدين إلى ذلك وجعل نور الدين يقول في غضون ذلك : ملك ابن أيوب . وأرسل [صلاح الدين] إلى نور الدين يطلب منه أهله وإخوته وقرباته ، فأرسلهم إليه وشرط عليهم السمع والطاعة له ، فاستقر أمره بمصر وتوطأت دولته بذلك ، وكل أمره وتمكن سلطانه وقويت أركانه . وقد قال بعض الشعراء في قتل صلاح الدين لشاور الوزير

هيا لمصر حور يوسف ملكها * بأمر من الرحمن كان موقوتا

وما كان فيها قتل يوسف شاورا • بمائل لإلقتل داود جالوتا

قال أبو شامة : وقتل العاصد في هذه السنة أولاد شاور وهم شجاع الملقب بالكلبل والطاري الملقب بالمظلم ، وأخوها الآخر الملقب بفارس المسلمين ، وطيف برؤسهم ببلاد مصر .

(ذكر قتل الطواشى)

مؤمن الخليفة وأصحابه على يدى صلاح الدين ، وذلك أنه كتب من دار الخلافة بمصر إلى الفرنج ليقسموا إلى الديار المصرية ليخرجوا منها الجيوش الإسلامية الشامية ، وكان اتقى يند بالكتاب إليهم الطواشى مؤمن الخلافة ، مقدم المساكر بالقصر ، وكان حبشياً ، وأرسل الكتاب مع إنسان آمن إليه ، فصادفه في بعض الطريق من أنكر حاله ، فحمله إلى الملك صلاح الدين فقرره ، فأخرج الكتاب فنهض صلاح الدين الحال فكتمه ، واستشعر الطواشى مؤمن الدولة أن صلاح الدين قد اطلع على الأمر

فلازم القصر مدة طويلة خوفاً على نفسه ، ثم من له في بعض الأيام أن خرج إلى الصيد ، فأرسل صلاح الدين إليه من قبض عليه وقتله وحمل رأسه إليه ، ثم عزل جميع الخدام الذين يكون خدمة القصر ، واستأقب على القصر عوضهم بجاه الدين قراقوش ، وأمره أن يطالعه بجميع الأمور ، صغارها وكبارها

﴿ وقعة السودان ﴾

وذلك أنه لما قتل الطواشي مؤتمن الخلافة الحبشي ، وعزل بقية الخدام غضبوا القتل ، واجتمعوا قريباً من خمسين ألفاً ، فاقتتلوا مع جيش صلاح الدين بين القصرين ، قتل خلق كثير من الفريقين ، وكان الماضد ينظر من القصر إلى المعركة ، وقد قذف الجيش الشامي من القصر بحجارة ، وجاءهم منه سهام قتل كان ذلك بأمر الماضد ، وقيل لم يكن بأمره . ثم إن أخا الناصر نورشاه شمس الدولة - وكان حاضراً للحرب قد بعث نور الدين لأخيه ليشد أزده - أمر بأحقاق منظره الماضد ، ففتح الباب ونودي إن أسير المؤمنين بأمركم أن تخرجوا هؤلاء السودان من بين أظهركم ، ومن بلادكم ، قسوى الشاميون وضمف جاش السودان جدا ، وأرسل السلطان إلى محلة السودان المروفة بالنصورة ، التي فيها دورهم وأهلهم بباب زويلة فأحرقها ، فولوا عند ذلك مدبرين ، وركبهم السيف قتل منهم خلقا كثيراً ، ثم طلبوا الأمان فأجابهم إلى ذلك ، وأخرجهم إلى الجيزة ، ثم خرج لهم شمس الدولة نورشاه أخو الملك صلاح الدين قتل أكثرهم أيضاً ، ولم يبق منهم إلا القليل ، فملك بيوتهم خاوية بما ظلوا . وفيها افتتح نور الدين قلعة جبر وانزعها من يد صاحبها شهاب الدين مالك بن علي الثقيلي وكانت في أيديهم من أيام السلطان ملكشاه . وفيها احترق جامع حلب فجده نور الدين . وفيها مات ما روى القسوي تسلب إليه المحلة بظاهر حلب .

ومن توفي فيها من الأعيان .

﴿ سمع الله بن نصر بن سعيد الدجاجي ﴾

أبو الحسن الواظظ الحنبلي ، ولد سنة ثمانين وأربعمائة ، ومع الحديث وفقه ووعظ ، وكان لطيف الوعظ ، وقد أثنى عليه ابن الجوزي في ذلك ، وذكر أنه سئل مرة عن أحاديث الصفات تهبى عن التعرض لذلك وأنفذ :

أبي القاسم الغضبان يا نفس أن ترضى • وأنت التي صيرت طاعته فرضاً
فلا تهجرى من لا تطيقين هجره • وإن لم يلحجران خديك والأرضاً
وذكر ابن الجوزي عنه أنه قال : خفت مرة من الخليفة فهتف في هاتف في المنام وقال لي اكتب
ادفع بصبرك حادث الأيام • وتوج لطف الواحد الملأم
لا تياسن وإن تضايقت كربها • وملك ريب صروفها بسهام

فله تعالى بين ذلك فرجة • نغنى على الانعام والأوهام
 كم من نجا من بين أطراف القنا • وفريسة سلت من الضرغام
 توفى في شعبان منها عن أربع وعشرين سنة ، ودفن عند رباط الزورى ثم قتل إلى مقبرة الامام
 أحمد ﴿ شاور بن مجير الدين ﴾

أبو شعاع السعدي ، الملقب أمير الجيوش ، وزير الأمير المصرية أيام المعاضد ، وهو الذي انتزع
 الوزارة من يدى رزيك ، وهو أول من استكتب القاضي الفاضل ، استدعى به من اسكندرية من
 باب السدرة لحقل عنده وانحصر منه الكتاب بالقصر ، لما رأوا من فضله وفضيلته . وقد امتدحه
 الشعراء منهم حمارة البغنى حيث يقول :

ضجر الحديد من الحديد وشاور • من نصر دين محمد لم يضر
 حلف الزمان ليأتين بمنله • حنثت بيمينك يا زمان فكفر

ولم يزل أمره قائما إلى أن تار عليه الأمير ضرغام بن سوار فانتجأ إلى نور الدين فأرسل معه
 الأمير أسد الدين شيركوه فنصروه على عدوه ، فنكت ههنا فلم يزل أسد الدين حقا عليه حتى
 قتله في هذه السنة ، على يدى ابن أخيه صلاح الدين ، ضرب عنقه بين يدى الأمير جردك في
 السابع عشر من ربيع الآخر ، واستوزر بعده أسد الدين ، فلم تطل مدته بعده إلا شهرين وخمسة
 أيام . قال ابن خلكان : هو أبو شعاع شاور بن مجير الدين بن نزار بن عشار بن شاس بن مغيث
 ابن حبيب بن الحارث بن ربيعة بن مخيس بن أبى ذؤيب عبد الله وهو والد حليلة السعدية ، كذا
 قال ، وفيها قال نظر لقصر هذا النسب لبعد المدة والله أعلم .

﴿ شيركوه بن شادى ﴾

أسد الدين الكردي الزر زارى يوم أشرف شعوب الأكراد ، وهو من قرية يقال لها درين من أعمال
 أذربيجان ، خدم هو وأخوه نجم الدين أيوب - وكان الأكبر - الأمير مجاهد الدين نهر وزاغلام
 شحنة المراق ، فاستناب نجم الدين أيوب على قلعة تكريت ، فاتفق أن دخلها عماد الدين زنكى
 هاربا من قرابا الساقى ، فأحسننا إليه وخدمناه ، ثم اتفق أنه قتل رجلا من العامة فأخرجهما نهروزم من
 القلعة فصلا إلى زنكى بمحاب فأحسن إليهما ، ثم خطبا عند ولده نور الدين محمود ، فاستناب أيوب
 على بعلبك ، وأقره ولده نور الدين ، وصار أسد الدين عند نور الدين أكبر أمراءه ، وأخصهم عنده
 وأصلحه الرحبة وحصى مع ماله عنده من الاقطاعات ، وذلك لشهامته وشجاعته وصراسته وجهاده في
 الفرنج ، في أيام ممدودات ووقعات متبررات ، ولا سيما يوم فتح دمشق ، وأعجب من ذلك ما فعله بديار
 مصر ، بل الله بالرحمة تراء وجعل الجنة مأواه ، وكانت وفاته يوم السبت لحدة بخاتوق حصل له ، وذلك

في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة رحمه الله . قال أبو شامة : وإليه تنسب الخاقانة الأسدية بالشرق القبلي ، ثم آل الأمر من بعده إلى ابن أخيه صلاح الدين يوسف ، ثم استوسق له الملك والممالك هنالك .

﴿ محمد بن عبد الله بن عبد الواحد ﴾

ابن سليمان المعروف بابن البلي ، سمع الحديث الكثير ، وأسمع ورحل إليه وقارب التسعين .

﴿ محمد الفارقي ﴾

أبو عبد الله الواعظ ، يقال إنه كان يحفظ نهج البلاغة ويمر ألفاظه ، وكان فصيحاً بليغاً يكتب كلامه ويروى عنه كتاب يعرف بالحكم الفارقية .

﴿ المعمر بن عبد الواحد ﴾

ابن رجار أبو أحمد الأصهباني أحد الحفاظ الوعظ ، روى عن أصحاب أبي نعيم ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث ، توفي وهو ذاهب إلى الحج بالبادية رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسة ﴾

في صفر منها حاصرت الفرنج مدينة دمياط من بلاد مصر خمسين يوماً ، بحيث ضيقوا على أهلها ، وقتلوا أنما كثيرة ، جادوا إليهم بالبز والبر والبحر رجاء أن يعلكوا الديار المصرية وتخوفاً من استيلاء المسلمين على القدس ، فكاتب صلاح الدين إلى نور الدين يستنجد به عليهم ، ويطلب منه أن يرسل إليهم إمداد من الجيوش ، فانه إن خرج من مصر خلفه أهلها بسوء ، وإن قدم عن الفرنج أخذوا دمياط وجعلوها معقلاً لهم يتقنون بها على أخذ مصر . فأرسل إليه نور الدين يبعث كثيرة ، يتبع بعضها بعضاً . ثم إن نور الدين اغتم غيبة الفرنج عن بلدانهم فصعد إليهم في جيوش كثيرة فجاس خلال ديارهم ، وغنم من أموالهم وقتل وسبي شيئاً كثيراً ، وكان من جملة من أرسله إلى صلاح الدين أبوه الأمير نجم الدين أبوب ، في جيش من تلك الجيوش ، ومعه بقية أولاده ، فنلقاه الجيش من مصر ، وخرج العاضد لتلقيه إكراماً لولده ، وأقطعاه اسكندرية ودمياط ، وكذلك لبقية أولاده ، وقد أمد العاضد صلاح الدين في هذه الكائنة بألف دينار حتى انفصلت الفرنج عن دمياط ، وأجلت الفرنج من دمياط لأنه بلغهم أن نور الدين قد غزا بلادهم ، وقتل خلقاً من رجالهم ، وسبي كثيراً من نساءهم وأطفالهم وغنم من أموالهم ، فجزاه الله عن المسلمين خيراً . ثم سار نور الدين في جمادى الآخرة إلى الكرخ ليعاصرها — وكانت من أمنع البلاد — وكاد أن يفتحها ولكن بلغه أن مقدمين من الفرنج قد أقبلوا نحو دمشق ، فخاف أن يلتف عليهما الفرنج فترك الحصار وأقبل نحو دمشق فخصنها ، ولما انجلت الفرنج عن دمياط فرح نور الدين فرحاً شديداً ، وأنشد الشعراء كل منهم في ذلك قصيداً ، وقد كان

الملك نور الدين شديد الاهتمام قوى الاغتمام بذلك ، حتى قرأ عليه بعض طلبة الحديث جزءاً في ذلك فيه حديث مسلسل بالتيسم ، فطلب منه أن يتبسم ليصل التسلسل ، فامتنع من ذلك ، وقال : إني لأستحي من الله أن يراني متبسمًا والمسلمون يحاصرون الفرنج بخر ديباط . وقد ذكر الشيخ أبو شامة أن إمام مسجد أبي البرداء بالقلمعة المنصورة رأى في تلك الليلة التي أجلى فيها الفرنج عن ديباط رسول الله ﷺ وهو يقول : سلم على نور الدين وبشره بأن الفرنج قد رحلوا عن ديباط ، قتل : يا رسول الله بأى علامة ؟ قال : بعلامة ما مسجد يوم تل حارم وقال في سجوده : اللهم انصر دينك ومن هو محمود الكاتب ؟ فلما صلى نور الدين عنده الصبح بشره بذلك وأخبره بالعلامة ، فلما جاء إلى عند ذكر « من هو محمود الكاتب » اقتبض من قول ذلك ، فقال له نور الدين : قل ما أمرتك به رسول الله ﷺ . فقال ذلك : قال : صدقت ، وبكى نور الدين تصديقاً وفرحاً بذلك ، ثم كشفوا فاذا الأمر كما أخبر في المنام .

قال المهاد الكاتب : وفي هذه السنة عمر الملك نور الدين جامع داريا ، وعمر مشهد أبي سليمان الداراني بها ، وشقى بدمشق . وفيها حاصر الكرك أربعة أيام ، وطرده من هناك نجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، متوجهاً إلى ابنه بمصر ، وقد وصاه نور الدين أن يأمر ابنه صلاح الدين أن يضطرب بمصر للخليفة المستنجد بالله السامى ، وذلك أن الخليفة بمش يماثبه في ذلك . وفيها قتم الفرنج من السواحل لينموا الكرك مع تيب بن الرقيق وابن القنقري ، وكانا أشجع فرسان الفرنج ، فقصدهما نور الدين ليقابلهما فحادا عن طريقته . وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وعمت أكثر الأرض ، وتهدمت أسوار كثيرة بالشام ، وسقطت دور كثيرة على أهلها ، ولا سيما بدمشق وحمص وحماه وحلب وبلبك ، سقطت أسوارها وأكثر قلعها ، فجدد نور الدين عمارة أكثر ما وقع بهمه إلا ما كن .

وفيها توفى ﴿ الملك قطب الدين موجود بن زنكي ﴾

أخو نور الدين محمود صاحب الموصل ، وله من العمر أربعون سنة ، ومدة ملكه منها إحدى وعشر سنة ، وكان من خيار الملوك ، محباً إلى الرعية ، عطوفاً عليهم ، محسناً إليهم ، حسن الشكل . وتلك من بعده وله سيف الدين غازي من الست خاتون بنت تيمش بن إيلغازي بن أرتق أصحاب مازدين ، وكان مدبر مملكته والمنحكم فيها بغير الدين عيسى المسيح ، وكان ظالماً غاشياً . وفيها كانت حروب كثيرة بين ملوك الغرب بجزيرة الأندلس ، وكذلك كانت حروب كثيرة بين ملوك الشرق أيضاً . وحج بالناس فيها وفيها قبلها الأمير برغش الكبير ، ولم أر أحداً من أكاره الأعيان توفى فيها .

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين وخمسة ﴾

فيها كانت وفاة المستنجد وخلافة ابنه المستضيء ، وذلك أن المستنجد كان قد مرض في أول هذه السنة ، ثم عوفي فيما يبدو للناس ، فصل ضيافة عظيمة بسبب ذلك ، وفرح الناس بذلك ، ثم أدخله الطبيب إلى الحمام وبه ضعف شديد فأت في الحمام ، ويقال : إن ذلك كان بإشارة بعض الدولة على الطبيب ، استعجالاً لموته ، توفي يوم السبت بعد الظهر ثاني ربيع الآخر عن ثمان وأربعين سنة ، وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وشهراً ، وكان من خيار الخلفاء وأعلم وأرقهم بالرحا ، ومنع عنهم المكوس والضرائب ، ولم يترك بالعراق مكا ، وقد شفع إليه بعض أصحابه في رجل شريف يربو بنبل فيه عشرة آلاف دينار ، فقال له الخليفة أنا أعطيك عشرة آلاف دينار واثنى بحسبه لأريج المسلمين من شره ، وكان المستنجد أمراً طويلاً الحية ، وهو الثاني والثلاثين من العباسيين وذلك في الجبل لام باء ولهذا قال فيه بعض الأدباء :

أصبحت لب بنى العباس جلتها • إذا عدت حسب الجبل الخلفاء

وكان أماراً بالمر وف نهاء عن المنكر ، وقد رأى في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول له : قل اللهم اهدني فيمن هديت ، وفاقني فيمن فاقيت ، دعاه القنوت بتمامه . وصلى عليه يوم الأحد قبل الظهر ، ودفن بدار الخلافة ، ثم قل إلى التراب من الرصافة رحمه الله تعالى .

﴿ خلافة المستضيء ﴾

وهو أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بن المتقي ، وأمه أرمنية تدعى عصمت ، وكان مولده في شعبان سنة ست وثلاثين وخمسة . يبيع بالخلافة يوم مات أبوه بكرة الأحد تاسع ربيع الآخر ، وبأبيه الناس ، ولم يل الخلافة أحد اسمه الحسن بعد الحسن بن علي غير هذا ، وواقه في الكنية أيضاً ، وخلع يومئذ على الناس أكثر من ألف خلعة ، وكان يوماً مشهوداً ، وولى قضاء قضاء بغداد الروح ابن الحداد في يوم الجمعة حادي عشرين ربيع الآخر ، وخلع على الوزير وهو الأستاذ عضد الدولة ، وضربت على بابه القلعات ثلاثة أوقات الفجر والمغرب والعشاء ، وأمر سبعة عشر أميراً من المالك وأذن للوفاة فشكلوا بعد ما منوا مدة طويلة ، لما كان يحدث بسبب ذلك من الشرور الطويلة ، ثم كثر احتجابه ، ولما جاءت البشارة بولايته إلى الموصل قال المهدي الكاتب :

قد أضاء الزمان بالمستضيء • وارث البرد وابن عم النبي

جله بالحق والشرية والهدى • ل فيما مرحبا بهذا الهدي

فنبينا لأهل بغداد فازوا • بعد بؤس بكل عيش هن

ومضى إن كان في الزمن المظ • لم بالعود في الزمان المضى

وفيهما سار الملك نور الدين إلى الرقة فأخذها ، وكذا نصيبين والخابور وسنجار ، وسلمها إلى زوج ابنته ابن أخيه مودود بن عماد الدين ، ثم سار إلى الموصل فأقام بها أربعة وعشرين يوما ، وأقرها على ابن أخيه سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود ، مع الجزيرة ، وزوجه ابنته الأخرى ، وأمر بإعادة جامعها وتوسيعه ، ووقف على تأسيسه بنفسه ، وجعل له خطيباً ودرساً للفتة ، وولى التدريس للفتية أبي بكر البرقاني ، تلميذ محمد بن يحيى تلميذ الغزالي ، وكتب له منشوراً بذلك ، ووقف على الجامع قرية من قرى الموصل ، وذلك كله بإشارة الشيخ الصالح المبارك عمر الملا ، وقد كانت له زاوية يقصد فيها ، وله في كل سنة دعوة في شهر المولد ، يحضر فيها عنده الملوك والأمراء والعلماء والوزراء ويحتفل بذلك ، وقد كان الملك نور الدين صاحبه ، وكان يستشير في أموره ، ومن يستمد في مهماته وهو الذي أشار عليه في مدة مقامه في الموصل بجميع مافله من الخيرات ، فلها حصل بقومه لأهل الموصل كل مسرة ، واندفعت عنهم كل مضرة ، وأخرج من بين أظهرهم الظالم الناشئ غفر الدين عبد المسيح ، وسماه عبد الله ، وأخذته معه إلى دمشق فأقطعته إقطاعاً حسناً ، وقد كان عبد المسيح هذا نصرانياً فأظهر الاسلام ، وكان يقال إن له كنيسة في جوف حاربه ، وكان من السيرة خبيث السريرة في حق العلماء والمسلمين خاصة ، ولما دخل نور الدين الموصل كان الذي استأمن له نور الدين الشيخ عمر الملا ، حين دخل نور الدين الموصل خرج إليه ابن أخيه فوقف بين يديه فأحسن إليه وأكرمه ، وألبسه خلمة جاءته من الخليفة فدخل فيها إلى البلد في أبهة عظيمة ، ولم يدخل نور الدين الموصل حتى قوى الشتاء فأقام بها كما ذكرنا ، فلما كن في آخر ليلة من إقامته بها رأى رسول الله ﷺ يقول له : طابت لك بلدك وتركك الجهاد وقتل أعداء الله ! فنهض من فورهِ إلى السفر ، وما أصبح إلا سائراً إلى الشام ، واستعفى الشيخ ابن أبي عمرو ، وكان معه على سنجار ونصيبين والخابور ، فاستناب فيها ابن أبي عمرو نواباً وأصحاباً .

وفيهما عزل صلاح الدين قضاء مصر لأنهم كانوا شعبة ، وولى قضاء القضاة بها لعماد الدين عبد الملك بن دريس المارداني الشافعي ، فاستناب في سائر المعاملات قضاء شافعية ، وبني مدرسة للشافعية ، وأخرى للمالكية ، واشترى ابن أخيه تقي الدين عمر داراً تعرف بمنازل العز ، وجعلها مدرسة للشافعية ووقف عليها الروضة وغيرها . وعمر صلاح الدين أسوار البلد ، وكذلك أسوار اسكندرية ، وأحسن إلى الرطاب إحساناً كثيراً ، وركب فأغار على بلاد الفرنج بنواحي عسقلان وغزة وضرب قلعة كانت لهم على أيلة ، وقتل خلقاً كثيراً من مقاتلتهم ، وتلقى أهله وهم قادمون من الشام ، واجتمع ثملهم بهم بعد فرقة طويلة . وفيها قطع صلاح الدين الأذان يحيى على خير العمل من ديار مصر كلها ، وشرع في تهذيب الخطبة لبني البلس على المنابر .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ طاهر بن محمد بن طاهر ﴾
أوزعة المقدسي الأصل ، الرازي المولد ، الحمداني الدار ، ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة
وأجمعه والده الحافظ محمد بن طاهر الكثير ، وبما كان يرويه مسند الشافعي ، توفي بهمدان يوم الأربعاء
سابع ربيع الآخر ، وقد قارب التسعين .

﴿ يوسف القاضي ﴾

أبو الحجاج بن الخلال صاحب ديوان الانشاء بمصر ، وهو شيخ القاضي الفاضل في هذا الفن ،
اشتغل عليه فيه فبرع حتى قدر أنه صار مكانه حين ضعف عن القيام بأعباء الوظيفة لكبره ، وكان
القاضي الفاضل يقوم به وبأهله حتى مات ، ثم كان بعد موته كثير الاحسان إلى أهله ورحمهم الله .

﴿ يوسف بن الخليفة ﴾

المستنجد بالله بن المتقي بن المستنظر ، تقدم ذكر وفاته وترجمته ، وقد توفي بعده عمه أبو نصر
ابن المستنظر بأشهر ، ولم يبق بعده أحد من ولده المستنظر ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثامن والعشرين
من ذي القعدة منها . ﴿ ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة ﴾

﴿ فيها كانت وفاة العاضد صاحب مصر ﴾

في أول جمعة منها ، فأمر صلاح الدين بإقامة الخطبة لبني العباس بمصر وأعمالها في الجمعة الثانية ،
وكان يوماً مشهوداً ، ولما انتهى الخبر إلى الملك نور الدين أرسل إلى الخليفة يعلم بذلك ، مع ابن أبي
عصرون شهاب الدين أبي المعالي ، فزيّنت بغداد وغلقت الأسواق ، وعملت القباب وفرح المسلمون
فرحاً شديداً ، وكانت قد قطعت الخطبة لبني العباس من ديوار مصر سنة تسع وخمسين وثمانمائة في
خلافة المطيع العباسي ، حين تغلب الفاطميون على مصر أيام المزمز الفاطمي ، بأبي القاهرة ، إلى هذا
الآن ، وذلك مائتاً سنة وثمان سنين . قال ابن الجوزي : وقد ألفت في ذلك كتاباً سمّيته النصر
على مصر . ﴿ موت العاضد آخر خلفاء المبيدين ﴾

والعاضد في اللغة القاطع ، « لا يعضد شجرها » لا يقطع ، وبه قطعت دولتهم ، وأجمعه عبد الله
ويكنى بأبي محمد بن يوسف الحافظ بن المستنصر بن الحاكم بن العزيز بن المزمز بن المنصور القاهرة ،
أبي الفتح بن المهدي أولهم ، كان مولد العاضد في سنة ست وأربعين ، فعاش إحدى وعشرين سنة
وكانت سيرته منمومة ، وكان شجاعاً خبيثاً ، لو أمكنه قتل كل من قنر عليه من أهل السنة ، وافترق
أنه لما استقر أمر الملك صلاح الدين رسم بالخطبة لبني العباس عن مرسوم الملك نور الدين ، وذلك
أن الخليفة بعث إلى نور الدين فتابه في ذلك قبل وفاته ، وكان المستنجد إذ ذاك مدنفًا مريضاً ،
فلما مات تولى بعده ولده ، فكانت الخطبة بمصر له ، ثم إن العاضد مرض فكانت وفاته في يوم

عاشوراء ، فغضر الملك صلاح الدين جنازته وشهد عزاءه ، وبكى عليه وتأسف ، وظهر منه حزن كثير عليه ، وقد كان مطيعاً له فيما يأمره به ، وكان الماضد كريماً جواداً واسعاً الله . ولما مات استحوذ صلاح الدين على القصر بما فيه ، وأخرج منه أهل الماضد إلى دار أفردها لهم ، وأجرى عليهم الأرزاق وانتقلت المهنية ، والميشة الرضية ، عوضاً عما قطعهم من الخلافة ، وكان صلاح يتنم على إقامة الخطبة لبني العباس بمصر قبل وفاة الماضد ، وهلا به برها إلى بعد وفاته ، ولكن كان ذلك قدراً مقدوراً . وما نظم المماذ في ذلك :

توفى الماضد الدعي فا • فتح ذو بدعة بمصر فا
ومصر فرعونها القضي وغدا • يوسفها في الأمور محسنا
قد طفتت جرة العواذ وقد • داح من الشرك كل ما اضطرها
وصار فحل الصلاح ملتفا • بها وعقد السداد منتظما
لما غدا مشراً شمالي ال • عباس حقا والباطل اكتمنا
وبات داحي التوحيد منتظرا • ومن دعاة الاشراك منتقيا
ونظل أهل الضلال في ظلال • داجية من غيابة وهي
وارتكس الجاهلون في ظلم • لما أضاعت منابر السما
وماد بالسفوف متليا • بناء حق بعد ما كان منهما
أعيدت الدولة التي اضطهدت • واتصر الدين بعدما احتفنا
واهتز عصف الاسلام من جلال • وافترق نثر الاسلام وابتنا
واستبشرت أوجه الهدى فرحا • فليقرع الكفر سنه ندما
عاد حريم الاعداء منتها • حمى وفي الطفلة منتقيا
قصود أهل القصور أخرجا • طمر بيت من السكال سا
أزعج بعد السكوت ساكنها • ومات ذلا وأفقه رغا

وما قبل من الشعر ببغداد يبشر الخليفة المستنق بالخطبة له بمصر وأعمالها :

ليهنيك يا مولاي فتح تنابث • إليك به خوض الركائب توجف
أخفت به مصرأ وقد حال دونها • من الشرك يأس في لها الحق ينف
فمادت محمد الله بلمس إيماننا • تنيه على كل البلاد ونشرف
ولا فرو إن ذلت ليوسف مصره • وكانت إلى حليائه تنشوف
فتشابه خلقا وخلقاً وحقه • وكل من الرحمن في الأرض يخلف

كشفت بها عن آل هاشم سبة • وطرأ أبى إلا يسيفك يكشف
وقد ذكر ذلك أبو شامة في الروضتين ، وهى أطول من هذه ، وذكر أن أبا الفضائل الحسين بن
محمد بن بركات الوزير أنشد هال الخليفة عند موته بعد منام رآه ، وأراد بيوسف الثالث المستنجد ، وهكذا
ذكر ابن الجوزى : أنها أُنشدت في حياة المستنجد ، ولم يخطب بها إلا لابنه المستنجد ، فجرى
المقال باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقد أرسل الخليفة إلى الملك نور الدين
معلقة لما بشر بالخطبة له بمصر ، وكذلك للملك صلاح الدين إلى الديار المصرية ومنها أصلام سود
ولواء معقود ، ففرقت على الجوامع بالشام ومصر . قال ابن أبي طى في كتابه : ولما تفرغ صلاح
الدين من توطيد المملكة وإقامة الخطبة والتنزية ، استعرض حواصل القصرين فوجد فيها من
الحواصل والأمتعة والآلات والملابس والمفارش شيئا كثيرا ، وأمرأ هائلا ، من ذلك سبعة مائة
من الجوهر ، وقصيب زمرد طوله أكثر من شهر وممكة نحو الإبهام ، وحبل من ياقوت ، وإبريق
عظيم من الحجر المانع ، وطبل للقولنج إذا ضرب عليه أحد فيه ريح غليظة أو غيرها خرج منه
ذلك الريح من دبره ، وينصرف عنه ما يجده من القولنج ، فاتفق أن يمشى أمراء الأكراد أخشى
يده ولم يدرك ما شأنه ، فضرب عليه فحق - أى شرط - فألقاه من يده على الأرض فكسره فبطل
أمره . وأما القصيب الزمرد كان صلاح الدين كسره ثلاث فلقى قسمه بين نسائه ، وقسم بين الأمراء
شيئا كثيرا من قطع البلخش والياقوت والذهب والفضة والأثاث والأمتعة وغير ذلك ، ثم باع ما
فضل من ذلك وجمع عليه أعيان التجار ، فاستمر البيع فيما بقى هناك من الأثاث والأمتعة نحو ما
عشر سنين ، وأرسل إلى الخليفة ببغداد من ذلك هدايا سنوية نفيسة ، وكذلك إلى الملك نور الدين ،
أرسل إليه من ذلك جانباً كثيراً صالحاً ، ولم يدخر لنفسه شيئا مما حصل له من الأموال ، بل كان
يعطى ذلك من حوله من الأمراء وغيرهم ، فكان مما أرسله إلى نور الدين ثلاث قطع بلخش زنة
الواحدة إحدى وملاون مثقالا ، والأخرى ثمانية عشر مثقالا ، والثالثة عشرة مثقال ، وقيل أكثر
مع لآتى كثيرة ، وستون ألف دينار ، وعطر لم يسمع بمثله ، ومن ذلك حمارة وقيل عظيم جدا ،
فأرسلت الحمارة إلى الخليفة في جلة هدايا . قال ابن أبي طى : ووجد خزافة كتب ليس لها فى مدائن
الاسلام نظير ، تشتعل على أنفى ألف مجلد . قال ومن عجائب ذلك أنه كان بها ألف ومائتان وعشرون
نسخة من تاريخ الطبرى ، وكذا قال المهدي الكاتب : كانت الكتب قريرية من مائة وعشرين ألف
مجلد . وقال ابن الأثير : كان فيها من الكتب بخطوط المنسوبة مائة ألف مجلد ، وقد تسلمها القاضي
الفاضل . فأخذ منها شيئا كثيرا مما اختاره واتخذه ، قال وقسم القصر الشمالى بين الأمراء فسكنوه ،
وأسكن أباه نجم الدين أيوب في قصر عظيم على الخليج ، يقال له الأولوة ، الذى فيه بستان الكافورى

وأسكن أكثر الأمراء في دور من كل يمتد إلى الفاطميين ، ولا يلقى أحد من الأتراك أحداً من أولئك الذين كانوا بها من الأكابر إلا شلحوه ثيابه ونهبوا داره ، حتى تمزق كثير منهم في البلاد ، وتفرقوا شذوفاً وصاروا أيدي سيا .

وقد كانت مدة ملك الفاطميين مائتين وعشرين سنة وكرماً ، فصاروا كأئس القاهب كأن لم يفتنوا فيها ، وكان أول من ملك منهم المهدي ، وكان من سلفية حدادا اسمه عبيد ، وكان يهودياً ، فدخل بلاد المغرب وتسمى ببسيد الله ، وادعى أنه شريف علوي فاطمي ، وقال عن نفسه إنه المهدي كما ذكر ذلك خير واحد من العلماء والأئمة بعد الأربعة كما قد بسطنا ذلك فيما تقدم ، والمقصود أن هذا الدعي الكذاب راجع له ما افتراه في تلك البلاد ، ووازره جماعة من الجهلة ، وصارت له دولة وصوله ، ثم تمكن إلى أن بنى مدينة سماها المهدي نسبة إليه ، وصار ملكاً مطاعاً ، يظهر الرضا وينهاوي على الكفر الخبيث ، ثم كان من بعده ابنه القائم محمد ، ثم ابنه المنصور إسماعيل ، ثم ابنه المنزمد ، وهو أول من دخل ديار مصر منهم ، وبنيت له القاهرة المعزية والقصران ، ثم ابنه العزيز تزار ، ثم ابنه الحاكم منصور ، ثم ابنه الطاهر علي ، ثم ابنه المستنصر محمد ، ثم ابنه المستعلي أحمد ، ثم ابنه الأمر منصور ، ثم ابن عمه الخافض عبد المجيد ، ثم ابنه الظافر إسماعيل ، ثم الفائز عيسى ، ثم ابن عمه العاضد عبد الله وهو آخرهم ، فجمعتهم أربعة عشر ملكاً ، ومدهم مائتان وثلاثون سنة ، وكذلك مدة خلفاء بني أمية أربعة عشر أيضاً ، ولكن كانت مدتهم ثلثاً وعشرين سنة ، وقد نظمت أسماء هؤلاء وهؤلاء بأرجوزة نابعة لأرجوزة بني العباس عند انقضاء دولتهم ببغداد ، في سنة ست وخمسين وسبعمائة ، كما سيأتي . وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالا ، وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأغلبهم ، وأنجس الملوك سيرة وأخبثهم سريرة ، ظهرت في دولتهم البسعة والمنكرات وكثر أهل الفساد وقتل عديم الصالحون من العلماء والعباد ، وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية ، وتقلب الفرنج على سواحل الشام بكثرة ، حتى أخذوا القدس ونايلاس وحمولان والفرز وبلاذ غزة وعسقلان وكرك الشوبك وطبرية ونايلاس وصور وعكا وصيدا وبيروت وصفد وطرابلس وإنطاكية وجميع ما والى ذلك ، إلى بلاد إيلس وسيس ، واستحوذوا على بلاد آمد والرها ورأس العين وبلاد شق غير ذلك ، وقتلوا من المسلمين خلقاً وأعمالاً يحصبهم إلا الله ، وسبوا خرازي المسلمين من النساء والوفدان مما لا يحمد ولا يوصف ، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها وصارت دار إسلام ، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يحمد ولا يوصف ، وكانوا أن يتغلبوا على دمشق ولكن الله سلم ، وحين زالت أيامهم وانتفض إبراهيم أجد الله عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته ، وقد قال الشاعر المعروف بحرقلة :

أصبح الملك بعد آل على * مشرقاً بالملك من آل شادي
وغدا الشرق يحسد النمر * ب لقوم فصر تزعم على بغداد
ما حووها إلا بعزم وحزم * وصليل الفولاذ في الأكباد
لا كثرعون والعزير ومن * كن بها كلطبيب والاستاد

قال أبو شامة : يعني بالأستاذ كأنه نور الاخشيدي ، وقوله آل على يعني الناطميين على زعمهم ولم يكونوا فاطميين ، وإعما كانوا ينسبون إلى عبيد ، وكان اسمه سعيداً ، وكان يهودياً حداداً إسلامية ، ثم ذكر ما ذكرناه من كلام الأئمة فيهم وطنهم في نسبهم . قال وقد استقصيت الكلام في مختصر تاريخ دمشق في ترجمة عبد الرحمن بن إلياس ، ثم ذكر في الروضتين في هذا الموضع أشياء كثيرة في فضول ما سقته من قبلهم ، وما كانوا يجيرون به في بعض الأحيان من الكفریات ، وقد قدم من ذلك شيء كثير في تراجمهم ، قال أبو شامة : وقد أفرحت كتاباً بحميت « كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمكر والكيد » وكذا صنف الملاء في الرد عليهم كتباً كثيرة ، من أجل ما وضع في ذلك كتاب القاضي أبو بكر الباقلاني ، الذي سماه « كشف الأمرار وهتك الأستار » وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في بني أيوب يحسدون على ما فعلوه بدير مصر :

أبدتم من بلى دولة الكفر من * بنى عبيد بمصر إن هذا هو الفضل
زنادقة شيعية باطنية * مجوس ومافى الصالحين لهم أصل
يسرون كفراً يظهرن تشيماً * ليسنوا صابور محم الجبل

وفيها أسقط الملك صلاح الدين عن أهل مصر المكوس والضرائب ، وقرىء المشور بذلك على رؤس الأشرار يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر . وفيها حصلت فقرة بين نور الدين وصلاح الدين ، وذلك أن نور الدين غزا في هذه السنة بلاد الفرنج في السواحل فأحل بهم بأساً شديداً ، وقرر في أنفسهم منه قنعة ووصيداً ، ثم حزم على محاصرة الكرك وكتب إلى صلاح الدين يلتقيه بالمسار المصرية إلى بلاد الكرك ، ليجتمعا هناك ويتفقا على المصالح التي يودعها على المسلمين ، فتوهم من ذلك صلاح الدين وخاف أن يكون لهذا الأمر فائدة يزول بها ما حصل له من التفكن من بلاد مصر ، ولكنه مع ذلك ركب في جيشه من مصر لأجل امتثال الرسوم ، فساراً يائماً ، ثم كثر راجعاً ممثلاً بقلة الظهور ، وانطوف على اختلال الأمور إذا بعد من مصر واشتغل عنها ، وأرسل يستنزل إلى نور الدين . فوقع في نفسه منه ، واشتد غضبه عليه ، وحزم على الدخول إلى مصر وانتزاعها من صلاح الدين وتوليئتها غيره ، ولما بلغ هذا الخبر صلاح الدين ضاق بذلك ذروعه ، وذكر في ذلك بحضرة الأمراء والكبراء ، فبادر ابن أخيه تقي الدين عمر وقال : والله لو قصصنا نور الدين لنقاتلته ، فشتمة الأمير

نجم الدين أبوب والد صلاح الدين وسبه وأسكنه ، ثم قال لابنه : اسمع ما أقول لك ، والله ما هنا أحد أشفق عليك مني ومن خالك هذا - يعني شهاب الدين الحارثي - ولورأينا نور الدين لبادرنا إليه ولقبنا الأرض بين يديه ، وكذلك بقية الأمراء والجنش ، ولو كتب إلى أن أبنتك إليه مع نجاب لتعلمت ، ثم أمر من هناك بالانصراف والذهاب ، فلما خلى بابنه قال له : أمالك عقل ؟ تذكر مثل هذا بمحضرة هؤلاء فيقول هر مثل هذا الكلام فتقره عليه ، فلا يبق عند نور الدين أهم من قصدك وقتالك وخراب ديارنا ، وأعمالنا ، ولو قد رأى الجيش كلهم نور الدين لم يبق ملك واحد منهم ، ولقبوا كلهم إليه ، ولكن أبنت اليه وترقى له وتواضع عنده ، وقل له : وأي حاجة إلى يحيى . مولانا السلطان إلى قتالي ؟ أبنت إلى بنجاب أو جمال حتى أجيء منه إلى بين يديك . فبنت إليه بذلك فلما سمع نور الدين مثل هذا الكلام لان قلبه له ، وانصرف عنه عنه ، واشتغل بغيره ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

وفيها أخذ نور الدين الحمام الموادي ، وذلك لامتداد مملكته واتساعها ، فانه ملك من حد التوبة إلى همدان لا يتخطاها إلا بلاد الفرنج ، وكلهم تحت قهره وهدته ، ولذلك أخذ في كل قلعة وحصن الحمام التي يحمل الرسائل إلى الأكاف في أسرع مدة ، وأيسر عدة ، وما أحسن ما قال فيهن القاضي الفاضل الحمام ملائكة الملوك ، وقد أظنب ذلك الهاد الكاتب ، وأطرب وأعجب وأغرب .

وعن توفي فيها من الأعيان . ﴿ عبد الله بن أحمد ﴾

ابن أحمد بن أحمد أبو محمد بن الغشاش ، قرأ القرآن وسمع الحديث ، واشتغل بالنحو حتى ساد أهل زمانه فيها ، وشرح الجبل لعبد القاهر [الجرجاني] ، وكان رجلاً صالحاً منطوطاً ، وهذا نادر في النحاة ، توفي في شعبان من هذه السنة ودفن قريبا من الامام أحمد ، ورؤى في المنام قيل له ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي وأدخلني الجنة إلا أنه أعرض عني وعن جماعة من العلماء تركوا العمل واشتغلوا بالقول ، قال ابن خلكان : كان مطرحاً للكلفة في مأكله وملبسه ، وكان لا يبالي بمن ترقى أو غرب .

﴿ محمد بن محمد بن محمد ﴾

أبو المظفر الدوي ، تفتحه على محمد بن يحيى تلميذ النزالي ، وناظر ووعظ يشداد ، وكان يظهر منهج الأشعرى ، ويتكلم في المناظرة مات في رمضان منها .

﴿ ناصر بن الجوى الصوفى ﴾

كان يمشى في طلب الحديث حافياً ، توفي يشداد . قال أبو شامة : وفيها توفي .

﴿ نصر الله [بن عبد الله] أبو الفتوح ﴾

الاسكندرى المعروف بابن قلاص الشاعر بميذاب ، توفي عن خمس وأربعين سنة .

والشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبي ، نزيل الموصل المقرئ النحوي ، قال : وفيها ولد العزيز والظاهر ابنا صلاح الدين ، والمنصور محمد بن تقي الدين حر .

(ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسة)

فيها أرسل نور الدين إلى صلاح الدين - وكان الرسول الموفق خالد بن القيسراني - ليقم حساب الديار المصرية ، وذلك لأن نور الدين استقل الهدية التي أرسل بها إليه من خزائن العاضد ، ومقصوده أن يقرر على الديار المصرية خراجاً منها في كل عام . وفيها حاصر صلاح الدين الكرك والشوبك فضيق على أهلها ، وخرب أماكن كثيرة من معاملها ، ولكن لم يظفر بها طمه ذلك . وفيها اجتمعت الفرنج بالشم قصد زرع ^(١) ، فوصلوا إلى محسكين فبرز إليهم نور الدين فبربوا منه إلى النور ، ثم إلى السواد ، ثم إلى الشلالة ، فبعث سرية إلى طبرية فماتوا هناك وسبوا وقتلوا وغنموا وطادوا سالمين ، ورجع الفرنج خائبين . وفيها أرسل السلطان صلاح الدين أخاه فحس الدولة نور شاه إلى بلاد النوبة فافتتحها ، واستحوذ على مقلها وهو حصن يقال له إبريم ، ولما رآها بلدة قليلة الجدوى لا يفي خراجها بكلفتها ، استخاف على الحصن المذكور رجلاً من الأكراد يقال له إبراهيم ، فجعله مقسماً مقرراً بحصن إبريم ، وانضاف إليه جماعة من الأكراد البطالين ، فكثرت أموالهم وحسنت أحوالهم هناك وشنوا الغارات وحصلوا على الغنائم .

وفيها كانت وفاة الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي والد صلاح الدين ، سقط عن فرسه فمات وصنأى على ترجمته في الوفيات . وفيها سار الملك نور الدين إلى بلاد عز الدين قلعج أرسلان بن مسعود ابن قلعج أرسلان بن سليمان السلجوقي ، وأصاح ما وجده فيها من الخلل . ثم سار فافتتح مرعش وبهسنا ، وعمل في كل منهما بالحنى . قال العباد : وفيها وصل الفقيه الإمام الكبير قطب الدين النيسابوري ، وهو فقيه عصره ونسبج وحده ، فسر به نور الدين وأنزله بحلب بمدسة باب العراق ، ثم أتى به إلى دمشق فدرس بزواية جامع الغربية المروقة بالشيخ نصر المقدسي ، ثم نزل بمدسة الحاروق ، ثم شرع نور الدين بإنشاء مدرسة كبيرة للشافعية ، فأدركه الأجل قبل ذلك . قال أبو شامة : وهي المادلية الكبيرة التي عمرها بعد ذلك الملك العادل أبو بكر بن أيوب . وفيها رجع شهاب الدين بن أبي عصرون من بغداد وقد أدى الرسالة بالخطبة العباسية بالديار المصرية ، ومعه توقيع من الخليفة بإقطاع حرب هارون وصر فين نور الدين ، وقد كانتا قديماً لأبيه عماد الدين زنكي ، فأراد نور الدين أن ينشئ ببغداد مدرسة على حافة الدجلة ، ويحمل هذين المكانين وقناعليها ففاه القدر عن ذلك . وفيها وقعت بناحية خوارزم حرب كثيرة بين سلطان شاه وبين أعدائه ، استقصاها ابن الأثير وابن الساعي .

(١) كذا في الاصل . وفي ابن الأثير : قصدوا بلاد حوران من أعمال دمشق .

وفيهما هزم ملك الأرمن ملبح بن ليون عساكر الروم، وقسم منهم شيئا كثيرا، وبث إلى نور الدين بأموال كثيرة، وثمانين رأسا من رؤس كبارهم، فأرسلها نور الدين إلى الخليفة المستنصر. وفيها بث صلاح الدين سرية صحبه قراقرش مملوك تقي الدين عمر ابن شاعنشاه إلى بلاد إفريقية، فلنكروا طائفة كثيرة منها، ومن ذلك مدينة طرابلس القرب وعدة مدن معها.

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ إيلكز التركي الاتاكي ﴾

صاحب أذربيجان وغيرها، كان مملوكا للكمال السميري، وزير السلطان محمود، ثم علا أمره وتمكن وملك بلاد أذربيجان وبلاد الجبل وغيرها، وكان عادلا منصفًا شجاعا عسنا إلى الرعية، توفي ببهبدان ﴿ الأمير نجم الدين أبو الشكر أيوب بن شادي ﴾

ابن مروان، زاد بمضهر بمروان بن يعقوب، وألقى عليه جمهورم أنه لا يعرف بمض شادي أحد في نسبهم، وأقرب بعضهم وزعم أنهم من سلالة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وهذا ليس بصحيح، وألقى نسب إليه ادعاء هنا هو أبو الفداء إسماعيل بن طنتكين بن أيوب بن شادي ويعرف بابن سيف الاسلام، وقد ملك اليمن بمض أبيه فتعاطف في نفسه وادعى الخلافة وتلقب بالامام المهادي بنور الله ولهجوا بذلك وقال هو في ذلك:

وأنا المهادي الخليفة والقي • أدوس رقاب الغلب بالضم الجرد
ولا بد من بشداد أطوى ربوعها • وأنشرها نشر الشمس على البرد
وأنصب أحلامي على شرفاتها • وأحبي بها ما كن أسه جدي
ويخطب لي فيها على كل منبر • وأظهر أمر الله في القور والنجد

وما ادعاء ليس بصحيح، ولا أصل له يمتد عليه، ولا مستند يستند إليه، والمقصود أن الأمير نجم الدين كان أسن من أخيه أسد الدين شيركوه، ولد بأرض الموصل، كان الأمير نجم الدين شجاعا، خدم الملك محمد بن ملكشاه فرأى فيه شهامة وأمانة، فولد قلعة تكريت، فحكم فيها فعدل، وكان من أكرم الناس، ثم أقطعه الملك مسعود لمجاهد الدين نهر وزشحنة العراق، فاستمر فيها، فاجتاز به في بعض الأحيان الملك حماد الدين زنكي منهزما من قراجا الساق فأواه وخدمه خدمة بالغة ثمة، وداوى جراحاته وأقام عنده مدة خمسة عشر يوما، ثم أُرسل إلى بلد الموصل، ثم اتفق أن نجم الدين أيوب علق رجلا نصرانيا قتلته، وقيل إنما قتله أخوه أسد الدين شيركوه، وهذا بخلاف الذي ذكره ابن خلكان، فانه قال: رجعت جارية من بعض انظم فذكرت له أنه تعرض لها اسفسلار الذي يباب القلعة، ففرج إليه أسد الدين فطمه بجمرة فقتله، فحبسه أخوه نجم الدين وكتب إلى مجاهد الدين نهر وزيخره بصورة الحال، فكتب إليه يقول: إن إلما كانت

له على خدمة ، وكان قد استنابه في هذه القلعة قبل ابنه نجم الدين أيوب ، وإني أكره أن أسوء كما ، ولكن انتقلا منها . فأخرجهما نهر وزمن قلعة . وفي ليلة خروجه منها ولد له الملك الناصر صلاح الدين يوسف . قال فتشامت به لفتدى بلدى ووطنى ، فقال له بعض الناس : قد نرى ما أنت فيه من التشاؤم بهذا المولود فما يؤمنك أن يكون هذا المولود ملكا عظيما له صيت ؟ فكان يكافل ، فأتصلا بخدمة الملك عماد الدين زنكي أبي نور الدين ، ثم كاتا عند نور الدين متقلمان عنده ، وارتفعت منزلتهما وعظما ، فاستجاب نور الدين نجم الدين أيوب على بملك ، وكان أسد الدين من أكبر أمرائه ، ولما تسلم بملك أقام مدة طويلة ، وولد له فيها أكثر أولاده ، ثم كان من أمره ما ذكرناه في دخوله الديار المصرية . ثم إنه في ذى الحجة سقط عن فرسه فأت بعد ثمانية أيام في اليوم السابع والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، وكان ابنه صلاح الدين محاصر الكرك غالباً عنه ، فهابلته خبر موته تألم لفتيته من حضوره ، وأرسل يتحرق ويحزن ، وألشد :

وقطفه يد الردى في خيبي • هبني حضرت ، فكنت ماذا أصنع ؟

وقد كان نجم الدين أيوب كثير الصلاة والصدقة والصيام ، كريم النفس جوادا عديدا . قال ابن خلكان : وله خاتمه بالديار المصرية ، ومسجد وقنة خارج باب النصر من القاهرة ، وقفها في سنة ست وستين . قلت : وله بمشقه خاتمه أيضاً ، تعرف بالنجمية ، وقد استنابه ابنه على الديار المصرية حين خرج إلى الكرك ، وحكمه في الخزان ، وكان من أكرم الناس ، وقد امتدحه الشعراء كالعماد وغيره ورثوه بمراث كثيرة ، وقد ذكر ذلك مستقصى الشيخ أبو شامة في الروضتين ، ودفن مع أخيه أسد الدين بدار الامارة ، ثم هلا إلى المدينة النبوية في سنة ثمانين ، فدفنا بقرية الوزر بجال الدين الموصل ، الذي كان مواخياً لأسد الدين شيركوه ، وهو الجلال المتقدم ذكره ، الذي ليس بين تربته ومسجد النبي ﷺ إلا مقدار سبعة عشر ذراعاً ، فدفنا عنده . قال أبو شامة : وفي هذه السنة توفي ملك الرافضة والنحلة .

﴿ الحسن بن ضاف بن بزدر التركي ﴾

كان من أكبر أمراء بنياد المتحكمين في الدولة ، ولكنه كان رافضياً خبيثاً متمصباً لرافض ، وكانوا في خبائره وجاهه ، حتى أراح الله المسلمين منه في هذه السنة في ذى الحجة منها ، ودفن بداره ثم نقل إلى مقابر قریش فله الحد والمئة . وحين مات فرح أهل السنة بموته فرحاً شديداً ، وأظهروا الشكر لله ، فلا نجد أحداً منهم إلا يحمده الله ، فغضب الشيعة من ذلك ، ونشأت بينهم فتنة بسبب ذلك . وذكر ابن السامى في تاريخه أنه كان في صفرة شلاً حسناً مليحاً مشوقاً للأكابر من الناس . قال ولشيخنا أبي الهيثم الكندي فيه ، وقد رمدت عينه :

بكل صباح لى وكل عشية • وقوف على أبوابكم وسلام
وقد قيل لى يشكوسقاما بينه • فيها نحن منها نشكى ونضام
(ثم دخلت سنة تسع وستين وخمائة)

قال ابن الجوزى فى المنتظم : إنه سقط عندهم ببغداد برد كبار كالنارنج ، ومنه ما وزنه سبعة
أرطال ، ثم أعقب ذلك سيل عظيم ، وزيادة عظيمة فى دجلة ، لم يبعد مثلها أصلا ، غرق أشياء
كثيرة من العمران والقرى والمزارع ، حتى القبور ، وخرج الناس إلى الصحراء ، وكثر الضجيج
والإنبهال إلى الله حتى فرج الله عز وجل ، وتناقصت زيادة الماء بحمد الله ومنه ، قال : وأما الموصل فانه
كان بها نحو ما كان ببغداد وانهم بالماء نحو من ألفى دار ، واستشهد بسببه مثل ذلك ، وهلك تحت
الردم خلق كثير ، وكذلك الفرات زادت زيادة عظيمة ، فهلك بسببها شئ كثير من القرى ، وغلت
الأسعار بالمراق فى هذه السنة فى الزروع والثمار ، ووقع الموت فى الغنم ، وأصيب كثير من أهل
منها بالمراق وغيرها . قال ابن السامى : وفى شوال منها توالى الأمطار بدير بكر الموصل أربعين
يوما و ليلة لم يروا الشمس سوى مرتين لحظتين يسيرتين ، ثم تستر بالغيوم ، فهدمت بيوت كثيرة ،
ومساكن على أهلها ، وزادت الهبة بسبب ذلك زيادة عظيمة ، وغرق كثير من مساكن بغداد
والموصل ، ثم تناقص الماء باذن الله . قال ابن الجوزى : وفى رجب وصل ابن الشهرزورى من عند
نور الدين ومعه ثياب مصرية ، وحجارة ملونة جلدها مخطط مثل الثوب العنابي . وفيها عزل ابن الشامى
عن تدريس النظامية ووليا أبو الخير التزوينى . قال : وفى جمادى الآخرة اعتقل الجيهر القتيه
ونسب إلى الزندقة والانهلال وترك الصلاة والصوم ، فغضب له الناس وذكروه وأخرج ، وذكر أنه
وعظ بالحدية فاجتمع عنده قريبا من ثلاثين ألفا . قال ابن السامى : وفيها سقط أحمد بن أمير المؤمنين
المستغنى من قبة شاهقة إلى الأرض فسلم ، ولكن نبت يده اليمنى وساعده اليسرى ، وانسلخ شئ
من أنفه ، وكان معه خادم أسود يقال له نجاح ، فلما رأى سيده قد سقط ألقي هو نفسه أيضا خلفه ،
وقال : لا حاجة لى فى الحياة بعده ، فسلم أيضا ، فلما صارت الخلالة إلى أبى المباس الناصر - وهو
هذا الذى قد سقط - لم ينسها لنجاح هذا ، فحكاه فى الهوة وأحسن إليه ، وقد كان صغيرا لما
سقطا . وفيها سار الملك نور الدين نحو بلاد الروم وفى خدمته الجيش وملك الأرمن وصاحب
مملطية ، وخلق من الملوكة والأمراء ، واقتنع عدة من حصونهم ، وحاصر قلعة الروم فصالحه صاحبها
بخمسين ألف دينار جزية ، ثم عاد إلى حلب وقد وجد النجاح فى كل ما طلب ، ثم أتى دمشق مسرورا
محبورا . وفيها كان فتح بلاد اليمن للملك صلاح الدين ، وكان سبب ذلك أن صلاح الدين بلغه أن
بها رجلا يقال له عبد الله بن مهدي ، وقد قلب عليها ودعا إلى نفسه وتسمى بالأمم ، وزعم أنه

سيمك الأرض كلها ، وقد كان أخوه على بن مهدي قد قلب قلبه عليها ، واشترعها من أيدي أهل زبيد ، ومات سنة ستين فملكها بعده أخوه هذا ، وكل منهما كان محباً للسيرة والسريرة ، فمزج صلاح الدين لكثرة جيشه وموقوته على إرسال سرية إليه ، وكان أخوه الأكبر ثمس الدولة شجاعاً مهيئاً بطلا وكان ممن يجالس عمارة اليمنى الشاعر ، وكان عمارة ينمت له بلاد اليمن وحسنها وكثرة خيرها ، فغداه ذلك على أن يخرج في تلك السرية في رجب من هذه السنة ، فورد مكة فاعتصر بها ثم سار منها إلى زبيد ، فخرج إليه عبد الله فقاتله فهزمه توران شاه ، وأسرهم وأسر زوجته الحرة ، وكانت ذات أموال جزيلة فاستقرها على أشياء جزيلة ، وفخائر جليلة ، ونهب الجيش زبيد ، ثم توجه إلى عدن فقاتله يأسر ملكها فهزمه وأسرهم ، وأخذ البلد ييسر من الحصار ، ومنع الجيش من نهبها ، وقال ما جئنا لتخرب البلاد ، وإنما جئنا لممارتها وملكها ، ثم سار في الناس سيرة حسنة طاعة فأحبوه ، ثم تسلم بقية الحصون والمعاقل والمخالف ، واستنشق له ملك اليمن بمخذافيه وألنى إليه أفلاذ كبده ومطاميره ، وخطب للخليفة العباسي المستنق ، وقتل الدعي المسمى بمعبد النبي ، وصفت اليمن من أكرارها ، وعادت إلى ما سبق من مضارها ، وكتب بذلك إلى أخيه الملك الناصر يخبره بما فتح الله عليه ، وأحسن إليه ، فكتب الملك صلاح الدين بذلك إلى نور الدين ، فأرسل نور الدين بذلك إلى الخليفة يبيشره بفتح اليمن واخطبه بها . وفيها خرج الموفق خالد بن القيسرائي من الديار المصرية ، وقد أقام بها الملك الناصر حسب الديار المصرية وما خرج من الحواصل حسب ما رسم به الملك تور الدين كما تقدم ، وقد كاد صلاح الدين لما جاءت الرسالة بذلك يظهر شق العصا وبراجه بالخالفه والأباه ، لكنه عاد إلى طبعه الحسنة وأظهر الطاعة المستحسنة ، وأمر بكتابة الحساب ونهري الكتاب والجواب ، فبادر إلى ذلك جماعة الدواوين والحساب والكتاب ، وبث مع ابن القيسرائي بهدية سنية ونحف هائلة هنية ، فمن ذلك خمس خنات شريفات مغطات بخطوط مستويات ، ومائة عقمن الجواهر النفيسة ، خارجاً عن قطع البلخش والبراقيت ، والنصوص والسياب الفاخرات ، والأواني والأباريق والصحاف الذهبية والفضيات ، والخيول السموات ، والفلفل والجوارى الحسان والحسنات ، ومن النخب عشرة صناديق مقلات مخنومات ، مما لا يدري كم فيها من مثمن ألوف ومئات ، من الذهب المصري المد للنفقات . فلما فصلت العير من الديار المصرية لم تصل إلى الشام حتى أن تور الدين ملت رحمه الله رب الأرضين والسموات ، فأرسل صلاح الدين من ردها إليه وأعادها عليه ، ويقال إن منها ما عدى عليه وعلم بذلك حين وضعت بين يديه .

(مقتل عمارة بن أبي الحسن)

ابن زيدان الحكيم من قطران ، أبو محمد الملقب بنجم الدين اليمني الفقيه الشاعر الشافعي ،

وسبب قتله أنه اجتمع جماعة من رؤس الدولة الفاطمية الذين كانوا فيها حكماً فاتفقوا بينهم أن يردوا الدولة الفاطمية ، فكتبوا إلى الفرنج يستدعونهم إليهم ، وعينوا خليفة من الفاطميين ، ووزيرا وأمراء وذلك في غيبة السلطان بيلاد الكرك ، ثم اتفق مجيشه فحرض عمارة الجني ثمنس الدولة توران شاه على المسير إلى اليمن ليضف بذلك الجيش عن مقاومة الفرنج ، إذا قدموا لنصرة الفاطميين ، فخرج توران شاه ولم يخرج معه عمارة ، بل أطم بالقاهرة يفض في هذا الحديث ، ويدخل المتكلمين فيه ويصافيه ، وكان من أكبر الدعاة إليه والمحرزين عليه ، وقد أدخلوا معهم فيه بعض من ينسب إلى صلاح الدين ، وذلك من قلة عقولهم وتسجيل دمارهم ، فقاتهم أحوج ما كانوا إليه وهو الشيخ زين الدين علي بن نجا الواعظ ، فانه أخير السلطان بما تمالوا وتمادوا عليه ، فأطلق له السلطان أموالاً جزيلة ، وأفاض عليه حلالاً جميلة ، ثم استدعاهم السلطان واحداً واحداً فقدم فأقر وأبذل ، فاعتقلهم ثم استغنى الفقهاء في أمرهم فأفترقه بقتلهم ، ثم عند ذلك أمر بقتل رؤسهم وأعيانهم ، دون أتباعهم وغلمانهم ، وأمر بنفي من بقي من جيش المبيدين إلى أقصى البلاد ، وأفرد ذرية العاصد وأهل بيته في دار ، فلا يصل إليهم إصلاح ولا إفساد ، وأجرى عليهم ما يليق بهم من الأرزاق والثياب ، وكان عمارة معادياً لقاضي القاضى ، فلما حضر عمارة بين يدي السلطان قام القاضى الفاضل إلى السلطان ليشفع فيه عنده فتوهم عمارة أنه يتكلم فيه ، فقال : يا مولانا السلطان لا تسمع منه ، فغضب القاضى وخرج من القصر ، فقال له السلطان : إنه إنما كان يشفع فيك ، فندم ندماً عظيماً . ولما ذهب به ليصلب مر بدار الفاضل فطلبه فغضب عنه فأشدد :

عبد الرحيم قد احتجب • إن الاخلاص هو المعجب

قال ابن أبي طي : وكان الدين صلبوا الفضل بن الكامل القاضى ، وهو أبو القاسم حبة الله بن عبد الله بن كامل قاضى قضاة الديار المصرية زمن الفاطميين ، ويلقب بغير الأمانة ، فكان أول من صلب فيها قاله العماد ، وقد كان ينسب إلى فضيلة وأدب ، وله شعر رائع ، فن ذلك قوله في غلام وفاء

يارافيا خرق كل ثوب • وما رطابه اعتقادي

عسى بكف الوصال ترفو • ما مرق المجر من فوادي

وابن عبد القوي داعي البعثة ، وكان يعلم ببناء القصر فوق قب ليدل عليها ، فامتنع من ذلك فأتى واندست . والمويريس وهو ناظر الديوان ، وتولى مع ذلك القضاء . وشيخاً وهو كاتب السر . وعبد الصمد الكاتب وهو أحد أمراء المصريين ، ونجاش الحامى ومنجم نصرانى كان قد بشرهم بأن هذا الأمر يتم بلم النجوم .

(وعارة العيني الشاعر)

وكان عماراً شاعراً مطبقاً بليقاً فصيحاً ، لا يلحق شأوه في هذا الشأن ، وله ديوان شعر مشهور وقد ذكرته في طبقات الشافعية لأنه كان يشتغل بمنصب الشافعي ، وله مصنف في الفرائض ، وكتاب الوزراء الفاطميين ، وكتاب جمع سيرة نفيسة التي كان يمتدحها عوام مصر ، وقد كان أديباً فاضلاً قصباً ، غير أنه كان ينسب إلى موالاة الفاطميين ، وله فيهم وفي وزرائهم وأمرائهم مدائح كثيرة جداً وأقل ما كان ينسب إلى الرض ، وقد اتهم بالزندقة والكفر المحض ، وذكر المهاد في الجريدة أنه قال في قصيدته التي يقول في أولها :

العلم مذ كان محتاج إلى العلم • وشغرة السيف تستغنى عن العلم
وهي طويلة جداً ، فيها كفر وزندقة كثيرة . قال وفيها :

قد كان أول هذا الدين من رجل • سعى إلى أن يدعو سيد الأمم
قال المهاد فأفتى أهل العلم من أهل مصر بقتله ، وحرضوا السلطان على المثلة به وبمثله ، قال ويجوز أن يكون هذا البيت معمولاً عليه والله أعلم . وقد أورد ابن الساعي شيئاً من رقيق شعره فن ذلك قوله يمدح بعض الملوك :

إذا قابلت بشرى جبينه • فارقت والبشر فوق جبينى
وإذا لثمت يمينه وخرجت من • بإبه لثم الملوك يمينى
ومن ذلك قوله :

لى في هوى الرشا المنرى إهذار • لم يبق لى مدا قسر التمع إنكار
لى في التمدود وفى لثم الغلوة • دوفى ضم التهود ليات وأوطار
هذا اختياري فوافق إن وضيت به • وإلا فدعنى لما أهوى وأختار
وما أنشده الكندي في عمارة العيني حين صلب :

عمار في الاسلام أبدى جنابة • وبائع فيها بيعة وصليبا
وأسمى شريك الشرك في بعض أحمد • وأصبح في حب الصليب صليبا
سيلقى خذاً ما كان يسمى لنفسه • ويسقى صديداً في لظى وصليبا

قال الشيخ أبو شامة : فالأول صليب النصراني ، والثاني بمعنى مصلوب ، والثالث بمعنى القوى ، والرابع ذلك العظام . ولما صلب الملك الناصر هولا يوم السبت الثاني من شهر رمضان من هذه السنة بين القصرين من القاهرة ، كتب إلى الملك نور الدين يعلم بما وقع منهم وبهم من الغزى والنكال ، قال المهاد : فوصل الكتاب بذلك يوم توفى الملك نور الدين رحمه الله تعالى ،

وكذلك قتل صلاح الدين رجلا من أهل الاسكندرية يقال له قديد القفاجي ، كان قد افتتن به الناس ، وجعلوا له جزءاً من أكسابهم ، حتى النساء من أموالهن ، فأحيط به فأراد القفاجي الخلاص ولات حين مناص ، قتل أسوة فيمن سلف ، وما وجد من شر عماره يرى الماضد ودولته وأيامه .

أسنى على زمان الامام الماضد * أسف المقيم على فراق الواحد
لمنى على حجرات قصره إذ خلت * يا ابن النهر من ازدحام الوافد
وعلى افرادك من حسارك التي * كانوا كأمواج الخضم الراكد
قلبت مؤتمن أمرهم فكبا * وقصر عن صلاح القاسد
ففسى البالي أن ترد إليكم * ما عودتكم من جيل هوائد
وله من جملة قصيدة :

يا حاذلي في هوى ابنه طلمة * لك الملازمة إن قصرت في عذلي
بالله زراحة القصرين وإليك سبي * لا على صفيين [البكا] ولا الجلي
وقل لاهلها والله ما التهمت * فيكم قروحي ولا جرحي بمنزل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة * في نسل ابني أمير المؤمنين على
وقد أورد له الشيخ أبو شامة في الروضتين أشعاراً كثيرة من مدائحه في الفاطميين ، وكذا ابن خلكان .

(ابن قسرو)

صاحب كتاب مطالع الأنوار ، وضعه على كتاب مشارق الأنوار للفاضل عياض ، وكان من علماء بلاده وفضلاتهم المشهورين ، مات فجأة بعد صلاة الجمعة سادس شوال منها عن أربع وستين سنة .
قال ابن خلكان والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل

« في وفاة الملك المادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر التركي السلجوقي
في هذه السنة وذكر شيء من سيرته المادية الكاملة »

هو الملك المادل نور الدين أبو القاسم محمود بن الملك الأتابك قسيم الدولة عماد الدين أبي سعيد زنكي الملقب بالشهيد بن الملك آقسنقر الأتابك الملقب بقسيم الدولة التركي السلجوقي مولاهم ، ولد وقت طلوع الشمس من يوم الأحد السابع عشر من شوال سنة إحدى عشرة وخمسمائة بحلب ، ونشأ في كفاة والده صاحب حلب والموصل وغيرها من البلدان الكثيرة الكبيرة ، وتعلم القرآن

والفرسية والرمي ، وكان شهياً شجاعاً ذا همة عالية ، وقصد صالح وحرمة وافرة وحياة بيئة ، فلما قتل أبوه سنة إحدى وأربعين وهو محاصر جدير كما ذكرنا ، صار الملك يجلب إلى ابنه نور الدين هذا ، وأعطاه أخوه سيف الدين غازي الموصل ، ثم تقدم ، ثم افتتح دمشق في سنة تسع وأربعين فأحسن إلى أهلها وبنى لهم المدارس والمساجد والربط ، ووسع لهم الطرق على المارة ، وبنى عليها الرصافات ووسع الأسواق ، ووضع المكوس بدار النعم والبطيخ والعرص ، وغير ذلك ، وكان حنفي المذهب يحب العلماء والفقهاء ويكرمهم ويحترمهم ، ويحسن إليهم ، وكان يقوم في أحكامه بالمعدلة الحسنة ، واتباع الشرع المطهر ، ويقعد مجالس العدل ويتولاها بنفسه ، ويجمع إليه في ذلك القاضى والفقهاء والمفتيون من سائر المذاهب ، ويجلس في يوم الثلاثاء بالمسجد الملقى ، الذى بالكشك ، ليصل إليه كل واحد من المسلمين وأهل القبة ، حتى يسألهم ، وأحاط السور على حارة اليهود ، وكان خراباً ، وأغلق باب كسان وفتح باب الفرج ، ولم يكن هناك قبله باب بالكلية ، وأظهر بيلاذه السنة وأمان البدعة ، وأمر بالتأذين بحى على الصلاة حتى على الفلاح ، ولم يكن يؤذن بهما في دولتي أبيه وجهه ، وإنما كان يؤذن بحى على خير العمل لأن شمار الرقص كان ظاهراً بها ، وأقام الحدود وفتح الحصون ، وكسر الفرنج مراراً عديدة ، واستنقذ من أيديهم معقل كثيرة من الحصون النامية ، التى كانوا قد استحوذوا عليها من معقل المسلمين ، كما تقدم بسط ذلك في السنين المتقدمة ، وأقطع العرب إقطاعات ثلاثاً بتمرضوا للصبيح ، وبنى بدمشق مارستاناً لم يكن في الشام قبله مثله ولا بعده أيضاً ، ووقف وقفاً على من يعلم الأيتام الخط والقراءة ، وجعل لهم نفقة وكسوة ، وعلى الجوارين بالحرمين وله أوقاف دارة على جميع أبواب الخير ، وعلى الأراذل والمهاجرين ، وكان الجامع دائراً فولى نظره القاضى كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزورى الموصل ، الذى قدم به فؤاد قضاء قضاء دمشق ، فأصلح أموره وفتح المشاهد الأربعة ، وقد كانت حواصل الجامع بها من حين احترقت في سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وأضاف إلى أوقاف الجامع المملوكة الأوقاف التى لا يعرف واقفوها ، ولا يعرف شروطهم فيها ، وجعلها قلاً واحداً يوصى مال المصلح بترتب عليه لقوى الحاجات والفقراء والمساكين والأراذل والأيتام وما أشبه ذلك . وقد كان رحمه الله حسن الخط كثير المطالعة للكتب الدينية ، متبهاً للأخبار النبوية ، محافظاً على الصلوات في الجماعات ، كثير التلاوة محباً لفعل الخيرات ، عفيف البطن والفرج مقتصداً في الاتفاق على نفسه وعياله في المطعم والملبس ، حتى قيل : إنه كان أدنى الفقراء في زمانه أحلا نفقة منه من غير أن كتناز ولا استئثار بالدين ، ولم يسمع منه كلمة غش قط ، في غضب ولا رضى ، صديقاً وفوراً . قال ابن الأثير : لم يكن بعده من عبد العزيز مثل الملك نور الدين ، ولا أكثر تحرياً للعدل والانصاف منه ، وكانت له دكاكين بمحصى قد اشتراها بما ينصفه من الغنائم ،

فكان يقتات منها ، وزاد أمراته من كراها على فقها عليها ، واستفتى العلماء في مقدار ما يحل له من بيت المال فكان يقتاوله ولا يزيد عليه شيئا ، ولومات جوعاً ، وكان يكثر اللعب بالكرة فضاق به رجل من كبار الصالحين في ذلك فقال : إنما الأعمال بالنيات ، وإنا أريد بذلك تمرين أنفيل على الكر والفرو ، وتعليمها ذلك ، ونحن لا نترك الجهاد ، وكان لا يلبس الحرير ، وكان يأكل من كسب يده بسيفه وروحته ، وركب يوماً مع بعض أصحابه والشمس في ظهروها والظل بين أيديهما لا يدركانه ثم رجعا فصار الظل وراءهما ثم ساق نور الدين فرسه سوقاً عتيفا وظله يتبعه ، فقال لصاحبه : أتمدري ما شبهت هذا الذي نحن فيه ؟ شبهته بالدين يهرب من يطالبها ، وتطلب من يهرب منها ، وقد أنشد بعضهم في هذا المعنى :

مثل الرزق الذي تطلبه • مثل الظل يمشى مملك

أنت لا تدركه مستجيلاً • فإذا وليت عنه تبعك

وكان قصبها على مذهب أبي حنيفة ، وجمع الحديث وأسمعه ، وكان كثير الصلاة بالليل من وقت السحر إلى أن يركب :

جمع الشجاعة والخشوع لديه • ما أحسن الشجاعة في الخراب

وكانت كانت زوجته عصمت الدين خاتون بنت الاتبك ممين الدين تكثر القيام في الليل فنامت ذات ليلة عن وردها فأصبحت وهي غصبي ، فسألها نور الدين عن أمرها فذكرت نومها الذي فوت عليها وردها ، فأمر نور الدين عند ذلك يضرب الطبلخانة في القلعة وقت السحر لتوقظ الناس ذلك الوقت لقيام الليل ، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجرًا جزيلًا ، وجراية كثيرة فألبس الله هاتيك النظام وإن • بلين نحت الثرى عفوا وغفرانا سقى نرى أودعوه رحمة ملأت • مثوى قبورهم روحاً وربحانا

وذكر ابن الأمير أن الملك نور الدين بينا هو ذات يوم يلعب بالكرة إذ رأى رجلاً يحدث آخر ويومئ إلى نور الدين ، فبعث الحاجب ليسأله ما شأنه ، فإذا هو رجل معه رسول من جبهة الحاكم ، وهو يزعم أن له على نور الدين حقاً يريد أن يحاكمه عند القاضي ، فلما رجع الحاجب إلى نور الدين وأعلمه بذلك ألقى الجواكن من يده ، وأقبل مع خصمه ماشياً إلى القاضي الشهرزوري ، وأرسل نور الدين إلى القاضي أن لا تعاملني إلا معاملة الخصوم ، فحين وصلا وقف نور الدين مع خصمه بين يدي القاضي ، حتى انفصلت الخصومة والحكومة ، ولم يثبت للرجل على نور الدين حق ، بل ثبت الحق للسلطان على الرجل ، فلما تبين ذلك قال السلطان إنما جئت منه لئلا يتخلف أحد عن الحضور إلى الشرع إذا دعي إليه ، فلما نحن معاشر الحكم أعلانا وأدقنا شجنيكة لرسول الله ﷺ وشرعه

فمن قامون بين يديه طوع مراسيمه ، فما أمر به امتثلناه ، وما نهاها عنه اجتنبناه ، وأنا أعلم أنه لاحق لرجل هندي ، ومع هذا أشهدكم أنني قد ملكته ذلك الذي ادعى به ووهبته له . قال ابن الأثير : وهو أول من ابني داراً للعدل ، وكان يجلس فيها في الأسبوع مرتين ، وقيل أربع مرات ، وقيل خمس . ويحضر القاضي والفقهاء من سائر المذاهب ، ولا يحجبه يومئذ حاجب ولا غيره بل يصل إليه القوى والضعيف ، فكان يكلم الناس ويستفهمهم ويخاطبهم بنفسه ، فيكشف المظالم ، وينصف المظلوم من الظالم ، وكان سبب ذلك أن أسد الدين شيركوه بن شادي كان قد عظم شأنه عند نور الدين ، حتى صار كأنه شريكه في المملكة ، واقتنى الأملاك والأموال والمزارع والقرى ، وكان ربما ظلم نوابه جيرانه في الأراضي والأملاك العدل ، وكان القاضي يكال الدين ينصف كل من استعده على جميع الأمراء إلا أسد الدين هذا فما كان بهجم عليه ، فلما ابقي نور الدين دار العدل تقدم أسد الدين إلى نوابه أن لا يدعوا لأحد عنده غلظة ، وإن كانت عظيمة ، فان زوال ماله عنده أحب إليه من أن يراه نور الدين بعين ظالم ، أو يوقفه مع خصم من العامة ، ففعلوا ذلك ، فلما جلس نور الدين بدار العدل مدة متطاولة ولم ير أحدا يستمدى على أسد الدين ، سأل القاضي عن ذلك فأخذه بصورة الحال ، فسجد نور الدين شكراً لله ، وقال الحمد لله الذي أصحابنا ينصفون من أنفسهم . وأما شجاعته فيقال : إنه لم ير على ظهر فرس قط أشجع ولا أثبت منه ، وكان حسن اللعب بالكرة وكان ربما ضربها ثم يسوق ورامها وبأخنها من الموى بيده ، ثم يرميها إلى آخر الميدان ، ولم ير جوكاته يملو على رأسه ، ولا يرى الجو كان في يده ، لأن الكم سار لها ، ولكنه استهانة بلعب الكرة ، وكان شجاعاً صبوراً في الحرب ، يضرب المثل به في ذلك ، وكان يقول : قد تعرضت للشهادة غير مرة فلم يتفق لي ذلك ، ولو كان في خير ولى عند الله قيمة لرتبتها ، والأعمال بالنية . وقال له يوماً قطب الدين النيسابوري : بالله يا مولانا السلطان لا تخاطر بنفسك فانك لو قتلت قتل جميع من ملك ، وأخفت البلاد ، وفسد حال المسلمين . فقال : له اسكت يا قطب الدين فان قولك إسادة أدب على الله ، ومن هو محمود ؟ من كان يحفظ الدين والبلاد قبل غير الذي لا إله إلا هو ؟ ومن هو محمود ؟ قال فبكى من كان حاضراً رحمه الله .

وقد أمر بنفسه في بعض الفزوات بعض ملوك الافرنج فاستشار الأمراء فيه هل يقتله أو يأخذ ما يبتذله من المال ؟ وكان قد بذل له في فداء نفسه مالا كثيراً ، فاختلفوا عليه ثم حسن في رأيه إطلاقه وأخذ الفداء منه ، فبعث إلى بلده من خلاصته من يأتيه بما اقتدى به نفسه ، فجاء به سريراً فأطلقه نور الدين ، فحين وصل إلى بلاده مات ذلك الملك ببسله ، فأعجب ذلك نور الدين وأصحابه ، وبنى من ذلك المال المدارس التي بدمشق ، وليس له في البلاد نظير ، ومن شرطه أنه على القراء والمساكين

وإذا لم يوجد بعض الأدوية التي يمز وجودها إلا فيه فلا يمنع منه الأغنياء ، ومن جاء إليه فلا يمنع من شرايه ، ولهذا جاء إليه نور الدين وشرب من شرايه رحمه الله .

قلت : ويقول بعض الناس إنه لم تحمد منه النار منذ بنى إلى زماننا هذا والله أعلم . وقد بنى الخانات الكثيرة في الطرقات والأراج ، ورتب الخفراء في الأماكن المحققة ، وجعل فيها الحمام المودى التي تطلعه على الأخبار في أسرع مدة ، وبنى الربط والخانات ، وكان يجمع الفقهاء عنده والمشايع والصوفية ويكرمهم ويعظمهم ، وكان يحب الصالحين ، وقد قال بعض الأمراء مرة عنده من بعض الفقهاء ، وهو قطب الدين النيسابوري ، قال له نور الدين : ويحك إن كان ما تقول حقا فمن الحسنات الكثيرة الماحية لذلك ما ليس عندك مما يكفر عنه سيئات ما ذكرت إن كنت صادقا ، على أنى والله لا أصدقك ، وإن عدت ذكرته أو أحدا غيره عندي بسوء لاؤذنيك ، فكف عنه ولم يذكره بعد ذلك . وقد ابقى بدمشق دارا لاستماع الحديث وإسماعه . قال ابن الأثير : وهو أول من بنى دار حديث ، وقد كان مهيبا وقورا شديدا الهيبة في قلوب الأمراء ، لا يتجاسر أحد أن يجلس بين يديه إلا بإذنه ، ولم يكن أحد من الأمراء يجلس بلا إذن سوى الأمير نجم الدين أيوب ، وأما أسد الدين شيركوه ومجد الدين بن الهابة نائب حلب ، وغيرهما من الأكابرة فكانوا يقفون بين يديه ، ومع هذا كان إذا دخل أحد من الفقهاء أو الفقراء قام له ومشى خطوات وأجلسه معه على سجاده في قعر وسكون ، وإذا أعلی أحدًا منهم شيئا مستكبرا يقول : هؤلاء جند الله ويطعمهم تنصر على الأعداء ، ولهم في بيت المال حق أضاع ما أعطاهم ، فإذا رضى منا ببعض حقهم فلهم المنة علينا . وقد سمع عليه جزء حديث وفيه « فخرج رسول الله ﷺ متقلبا السيف » فجعل يتسحب من تغيير عادات الناس لما ثبت عنه عليه السلام ، وكيف يربط الاجناد والأمراء على أوساطهم ولا يفعلون كما فعل رسول الله ﷺ ، ثم أمر الجنود بأن لا يحملوا السيوف إلا متقلبيها ، ثم خرج هو في اليوم الثاني إلى الموكب وهو متقلد السيف وجميع الجيش كذلك ، يريد بذلك الاقتداء برسول الله ﷺ فرحمه الله . وقص عليه وزيره موفق الدين خالد بن محمد بن نصر القيسرائي الشاعر أنه رأى في منامه كأنه ينسل ثياب الملك نور الدين ، فأمره بأن يكتب منشور بوضع المكوس والضرائب عن البلاد ، وقال له هذا تأويل رؤياك . وكتب إلى الناس ليكون منهم في حل مما كان أخذ منهم ، ويقول لهم إنما صرف ذلك في قتال أعدائكم من الكفرة والذوب من بلادكم ونسائكم وأولادكم . وكتب بذلك إلى سائر ممالكه وبلدان سلطانه ، وأمر الوطاء أن يستعملوا له من التجار ، وكان يقول في سجوده : اللهم ارحم المكاس الشار الظالم محمود الكلب ، وقيل إن برهان الدين البلخي أنكر على الملك نور الدين في استعانته في حروب الكفار بأموال المكوس ، وقال له مرة : كيف تنصرون وفي حسابكم

الخور والطبول والزمور؟ ويقال إن سبب وضعه المكوس عن البلاد أن الواعظ أبا عثمان المنتخب ابن أبي محمد الواسطي - وكان من الصالحين الكبار ، وكان هذا الرجل ليس له شيء ولا يقبل من أحد شيئاً ، إنما كانت له جبة يلبسها إذا خرج إلى مجلس وعظه ، وكان يجتمع في مجلس وعظه الألوف من الناس - أنشد نور الدين أبياتا تتضمن ما هو منبئس به في ملكه ، وفيها تخويف وتحذير شديد له : -

مثل وقوفك أيها المغرور • يوم القيامة والسماء تمور
 إن قيل نور الدين رحمت مسلما • فاحذر بأن تبقى ومالك نور
 أنهيت عن شرب الخور وأنت في • كأس المظالم طائش مخور
 عطلت كأسات المدام تمغفا • وعليك كأسات الحرام تدور
 ماذا تقول إذا قلت إلى البلى • فرداً وجاءك منكرو ونكير؟
 ماذا تقول إذا وقعت بموقف • فرداً ذليلاً والحساب عسير؟
 وتعلقت فيك الخصوم وأنت في • يوم الحساب مسلسل مجرور
 وعزقت عنك الجنود وأنت في • ضيق القبور موسم مقبور
 ووددت أنك ما وليت ولاية • يوماً ولا قال الأتام أمير
 وبقيت بعد الزهرن حفيرة • في عالم الموتى وأنت حقير
 وحشرت حرياتاً حزينا با كيا • قلعا ومالك في الأتام مجير
 أرضيت أن نحيا وقلبك دارس • طاق الخراب وجسمك المصور
 أرضيت أن يحفل سواك بقربه • أبداً وأنت ممذَّب مهجور
 مهد لنفسك حجة تنجو بها • يوم المهاد ويوم تبدوا المور

فلما سمع نور الدين هذه الآيات بكى بكاء شديداً ، وأمر بوضع المكوس والضرائب في سائر البلاد . وكتب إليه الشيخ عمر الملا من الموصل - وكان قد أمر الفلاة والأمرأ بها أن لا يفصلوا بها أمراً حتى يعلموا الملا به ، فما أدرهم به من شيء امتلوه ، وكان من الصالحين الزاهدين ، وكان نور الدين يستقرض منه في كل رمضان ما يفتقر عليه ، وكان يرسل إليه بقتيت ورقاق فيفطر عليه جميع رمضان - فكتب إليه الشيخ عمر بن الملا هذا : إن المفسدين قد كثروا ، ويحتاج إلى سياسة ومثل هذا لا يجيء إلا بقتل وصلب وضرب ، وإذا أخذ إنسان في البرية من يجيء يشهد له ؟ فكتب إليه الملك نور الدين على ظهر كتابه : إن الله خلق الخلق وشرع لهم شريعة وهو أعلم بما يصلحهم ، ولوعلم أن في الشريعة زيادة في المصلحة لشرها لنا فلا حاجة بنا إلى الزيادة على ما شرعه الله تعالى

فمن زاد قد زعم أن الشريعة ناقصة فهو يكملها بزيادته ، وهذا من الجرأة على الله وعلى ما شرعه ،
والقول المظلة لا تهتدى ، والله سبحانه يهدينا وإياك إلى صراط مستقيم . فلما وصل الكتاب إلى
الشيخ عمر الملاجم الناس بالموصل قرأ عليهم الكتاب وجعل يقول : انظروا إلى كتاب الزاهد
إلى الملك ، وكتاب الملك إلى الزاهد ،

وجاء إليه أخو الشيخ أبي البيان يستعديه على رجل أنه سبه ورماه بأنه يرأى وأنه وأنه ، وجعل
يبالغ في الشكاية عليه ، فقال له السلطان : أليس الله تعالى يقول (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)
وقال (وأعرض عن الجاهلين) فسكت الشيخ ولم يبرجوا . وقد كان نور الدين يمتدحه و يمتدح
أخاه أبا البيان ، وأما زائرا مرات ، ووقف عليه وقفا . وقال الفقيه أبو الفتح الأشرى مبيدالانظامية
بيفداد ، وكان قد جمع سيرة مختصرة لنور الدين ، قال : وكان نور الدين محافظا على الصلوات في
أوقاتها في جماعة بنام شروطها والقيام بها بأركانها والعلمانية في ركوعها وسجودها ، وكان كثير الصلاة
بالليل ، كثير الابتهاج في الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل في أموره كلها . قال : وبلغنا عن جماعة
من الصوفية عن يعتمد على قولهم أنهم دخلوا بلاد القدس فزارة أيلم أخذ القدس الفرنج فسمعهم
يقولون : إن التسيم ابن التسيم - يمتون نور الدين - له مع الله سر ، فانه لم يظفر وينصر علينا بكثرة
جنده وجيشه ، وإنما يظفر علينا وينصر بالدعاء وصلاته الليل ، فانه يصلي بالليل ويرفع يده إلى الله
ويدهو فانه يستجيب له ويعطيه سؤله فيظفر علينا . قال : فهذا كلام الكفار في حقه .

وحكى الشيخ أبو شامة أن نور الدين وقف بستان الميدان سوى النضضة التي قلبه نصفه على
تطبيب جامع دمشق ، والنصف الآخر قسم عشرة أجزاء جزآن على تطبيب المدرسة التي أنشأها
للحنفية ، والثمانية أجزاء الأخرى على تطبيب المساجد التسعة ، وهي مسجد الصالحين بجبل قيسون
وجامع القلعة ، ومسجد عطية ، ومسجد ابن لببب بالمسقار ، ومسجد الرماحين الملق ، ومسجد
العباس بالصالحية ، ومسجد دار البطيخ الملق ، والمسجد الذي جنده نور الدين جوار بيمة اليهود ،
لكل من هذه المساجد جزء من إحدى عشر جزء من النصف . ومناقبه وآثره كثيرة جدا . وقد
ذكرنا نبذة من ذلك يستدل بها على ما وراها .

وقد ذكر الشيخ شهاب الدين في أول الروضتين كثيرا من محاسنه ، وذكر ما مدح به من
القصائد ، وذكر أنه لما فتح أسد الدين الديار المصرية ثممات ، ثم تولى صلاح الدين هم بزمه عنها
واستنابة غيره فيها غير مرة ، ولكن يدوقه عن ذلك ويصده قتل الفرنج ، واقترب أجله ، فلما كان
في هذه السنة - وهي سنة تسع وستين وخمسة - وهي آخر مدته ، أضمر على الدخول إلى الديار المصرية
وصمم عليه ، وأرسل إلى عساكر بلاد الموصل وغيرها ليكنوا ببلاد الشام حفظا لها من الفرنج فخيبت

ويركب هو في جمهور الجيش إلى مصر، وقنخاف منه الملك صلاح الدين خوفاً شديداً، فلما كان يوم عيد الفطر من هذه السنة ركب إلى الميدان الأخضر القبلي وصلى فيه صلاة عيد الفطر، وكان ذلك نهار الأحد، ورمى التقي في الميدان الأخضر الشبالي، والقدر يقول له: هذا آخر أعيادك، ومد في ذلك اليوم سحاطاً حافلاً، وأمر باتهابه، وطهر ولده الملك الصالح إسماعيل في هذا اليوم، وزيت له البلد، وضربت البشارة للعيد واختلفان، ثم ركب في يوم الاثنين وأكب على المائدة ثم لعب بالكرة في ذلك اليوم، فحصل له فيض من بعض الأمراء - ولم يكن ذلك من سجيته - فبادر إلى التلمذة وهو كذلك في زاوية النضب، وانزعج ودخل في حيز سوء المزاج، واشتغل بنفسه وأوجاعه، وتكررت عليه جميع حواسه وطباعه، واحتبس أسبوعاً عن الناس، والناس في شغل عنه بما هم فيه من العب والانشراح في الزينة التي نصبوها لأجل ظهور ولده، فهذا يجود بروحه، وهذا يجود بموجوده، سروراً بذلك، فافتمست تلك الافراح بالأتراح، ونسخ الجذلك المزاج، وحصلت للملك خوائيق في حلقه منعت من النطق، وهذا شأن أوجاع الحلق، وكان قد أشير عليه بالفصد فلم يقبل، وبالمبادرة إلى المعالجة فلم يفلح، وكان أمر الله قدراً مقدوراً. فلما كان يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال من هذه السنة قبض إلى رحمة الله تعالى عن ثمان وخسين سنة، مكث منها في الملك ثمان وعشرين سنة رحمه الله، وصلى عليه بجميع التلمذة بدمشق، ثم حول إلى تربته التي أنشأها لحنفية بين باب الخواصين، وباب الخليمين على الدرب، وقبره بها يزار، ويحلق بشباكه، ويطيب ويتبرك به كل مار، فيقول قبر نور الدين الشهيد، لما حصل له في حلقه من الخوائيق، وكذا كان يقال لابنه الشهيد ويلقب بالقسيم، وكانت الفرنج تقول له القسيم ابن القسيم. وقد رثاه الشعراء بمرث كثيرة قد أوردتها أبو شامة، وما أحسن ما قاله العماد:

عجبت من الموت لما أتى * إلى ملك في سجايا ملك
وكيف نوى الظك المستد * يرفى الأرض وسط فلك

وقال حسان الشاعر الملقب بالرقلة في مدرسة نور الدين لما دفن بها رحمه الله تعالى.

ومدرسة ستدرس كل شيء * وتبقى في حى علم ولسك
تضوع ذكرها شرقاً وغرباً * بنور الدين محمود بن زنكي
يقول وقوله حق وصديق * بنير كناية وبنير شك
دمشق في المدائن بيت ملكي * وهن في المدارس بيت ملكي
(صفة نور الدين رحمه الله تعالى)

كان طويل القامة أسمر اللون حلو العينين واسع الجبين، حسن الصورة، تركي الشكل، ليس له لحية إلا في حنكه، مهيبة متواضعة عليه جلالة ونور، يعضم الاسلام وقواعد الدين، ويعظم الشرع

فصل

فلما مات نور الدين في شوال من هذه السنة ببيع من يده بالملك لوفه الصالح إسماعيل ، وكان صغيراً ، وجعل أتاكبه الأمير فمس الدين بن مقدم ، فاختلف الأمراء وحادث الآراء وظهرت الشرور ، وكثرت الحور ، وقد كانت لا توجد في زمنه ولا أحد يجسر أن يتعامل شيئا منها ، ولما من الفواحش ، وانتشرت الفواحش وظهرت حتى أن ابن أخيه سيف الدين غازي بن مودود صاحب الموصل لما تحقق موته - وكان محصوراً منه - نادى مناديه بالسبحة بالساعة بالعرب واليهو والشراب والمسكر والطرب ، ومع المنادى دف وقبح ومزمار الشيطان ، فأتاه وإنا إليه راجعون . وقد كان ابن أخيه هذا وغيره من الملوك والأمراء الذين له حكم عليهم ، لا يستطيع أحد منهم أن يفعل شيئا من المناكر والفواحش ، فلما مات مرجح أمرهم وماتوا في الأرض فسادا وتحقق قول الشاعر :

ألا تسقى خراً وقل لي هي الخمر • ولا تسقى سرا وقد أمكن الجهر

وطمعت الأعداء من كل جانب في المسلمين ، وهزم الفرنج على قصد دمشق واختزاعها من أيدي المسلمين ، فبرز إليهم ابن مقدم الأتابك فواقعهم عند بانياس فضعف عن مقاومتهم ، فهاشهم مدة ، ودفع إليهم أموالاً جزيلة هجلاً لهم ، ولولا أنه خوفهم بقدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لما هادنوه . ولما باع ذلك صلاح الدين كتب إلى الأمراء وخاصة ابن مقدم يلومهم على ما صنعوا من المهادنة ودفع الأموال إلى الفرنج ، وهم أقل وأذل ، وأخبرهم أنه على هزم قصد البلاد الشامية ليحفظها من الفرنج ، فردوا إليه كتاباً فيه غلظة ، وكلام فيه بشاعة ، فلم يلتفت إليهم ، ومن شدة خوفهم منه كتبوا إلى سيف الدين غازي صاحب الموصل ليملكوه عليهم ليدفع عنهم كيد الملك الناصر صلاح الدين صاحب مصر ، فلم يفعل لأنه خاف أن يكون مكيدة منهم له ، وذلك أنه كان قد هرب منه الطواشي سعد الدولة مستكين الذي كان قد جعله الملك نور الدين عيناً عليه ، وحافظاً له من تعامله مالا يليق من الفواحش والخمر والعب واليهو . فلما مات نور الدين ونادى في الموصل تلك الندادة القبيحة خاف منه الطواشي المذكور أن يمسكه فهرب منه سرا ، فلما تحقق غازي موت عمه بحث في إثر هذا الخادم فقاته فاستحوذ على حواصله ، ودخل الطواشي حلب ثم سار إلى دمشق فاتفق مع الأمراء على أن يأخذوا ابن نور الدين الملك الصالح إسماعيل إلى حلب فيريه هناك مكان ربي والده ، وتكون دمشق مسلمة إلى الأتابك فمس الدولة بن مقدم ، والقلمة إلى الطواشي جمال الدين ربحان . فلما سار الملك الصالح من دمشق خرج معه الكبراء والأمراء من دمشق إلى حلب ، وذلك في الثالث والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ، وحين وصلوا حلب جلس الصبي على سرير ملكها

واحتاطوا على بنى الداية فممس الدين بن الداية أخو مجد الدين الذى كان رضيع نور الدين ، وإخوته الثلاثة ، وقد كان فممس الدين على بن الداية يظن أن ابن نور الدين يسل إليه فيريه ، لأنه أحق الناس بذلك ، فغيبوا غلته وسجنوه وإخوته فى الحب ، فكتب الملك صلاح الدين إلى الامراء [يلومهم] على ما فعلوا من قتل الولد من دمشق إلى حلب ، ومن حبسهم بنى الداية وهم من خيار الأمراء ورؤس الكبراء ، ولم لا يسلوا الولد إلى مجد الدين بن الداية الذى هو أحظى عند نور الدين وعند الناس منهم . فكتبوا إليه يسيئون الأدب عليه ، وكل ذلك يزيد حنقا عليهم ، ويحرضه على التقدم إليهم ، ولكنه فى الوقت فى شغل شاغل لما دمه ببلاد مصر من الأمر المائل ، كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى فى أول السنة الآتية وعن توفى فيها من الأعيان والمشاهير .

(الحسن بن الحسن)

ابن أحمد بن محمد العطار ، أبو العلماء الهمدانى الحافظ ، جمع الكثير ورحل إلى بلدان كثيرة ، اجتمع بالمشايخ وقدم بغداد وحصل الكتب الكثيرة ، واشتغل بعلم القراءات والفتنة ، حتى صار أوحده زمانه فى علمى الكتاب والسنة ، وصنف الكتب الكثيرة المفيدة ، وكان على طريقة حسنة متيناً مابدا زاهدا صحيح الاعتقاد حسن السمعة ، له ببلده المكانة والقبول التام ، وكانت وفاته ليلة الخميس الحادى عشر من جماد الآخرة من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين بأربعة أشهر وأيام . قال ابن الجوزى : وقد بلغنى أنه رأى فى المنام أنه فى مدينة جميع جدرانها كتب وحوله كتب لا تعد ولا تحصى ، وهو مشتغل بمطالعتها ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال سألت الله أن يشغلنى بما كنت أشتغل به فى الدنيا فأعطانى . وفيها توفى ﴿ الأهوازى ﴾

خازن كتب مشهد أبى حنيفة ببغداد ، توفى فجأة فى ربيع الأول من هذه السنة .

(محمود بن زكى بن آقسنقر)

السلطان الملك المعادل نور الدين ، صاحب بلاد الشام وغيرها من البلدان الكثيرة الواسعة ، كان مجاهدا فى الفرنج ، أسراً بالمروءة ناهياً عن المنكر ، محباً للعلماء والفقراء والصالحين ، مبغضاً للظلم ، صحيح الاعتقاد مؤثراً لأفعال الخير ، لا يجسر أحد أن يظلم أحداً فى زمانه ، وكان قد وقع المناكر وأهلها ، ورفع العلم والشرع ، وكان مدنياً لقيام الليل يصوم كثيراً ، ويجمع نفسه عن الشهوات ، وكان يحب التيسير على المسلمين ، ويرسل البر إلى العلماء والفقراء والمساكين والأيتام والأرامل ، وليس له الدنيا عنده بشئ رحمه الله وبل نراه بالرحمة والرضوان . قال ابن الجوزى : استرجع نور الدين محمود بن زكى رحمه الله تعالى من أيدي الكفار نيقا وخمسين مدينة ، وقد كان يكتبه وأكاتبه ، قال : ولما

حضرت الوفاة أخذ العهد على الأمراء من بعده لولده - يعنى الصالح إسماعيل - وجسد العهد مع صاحب طرابلس أن لا يغير على الشام في المدة التي كان ماله فيها ، وذلك أنه كان قد أسره في بعض غزواته وأسره جماعة من أهل دولته ، فالتقى نفسه منه بثلاثمائة ألف دينار وخمسمائة حصان وخمسمائة وردية ومثلها برانس ، أى لبوس ، وقنطاريات وخمسمائة أسير من المسلمين ، وعاهده أن لا يغير على بلاد المسلمين لمدة سبعة سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام ، وأخذ منه رهائن على ذلك مائة من أولاده وأولاد أكابر الفرنج وطارقهم ، فان نكث أراق دماهم ، وكان قد عزم على فتح بيت المقدس شرقه الله ، فوافته المنية في شوال من هذه السنة ، والأعمال بالنيابة ، فحصل له أجر ما نوى ، وكانت ولايته ثمان وعشرين سنة وأشهر ، وقد تقدم ذلك . وهذا مقتضى ما ذكره ابن الجوزى ومعناه .

﴿ الخضر بن نصر ﴾

على بن نصر الأربلي التقي النشافي ، أول من درس بأربل في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وكان فاضلاً دينياً ، انتفع به الناس ، وكان قد اشتغل على الكيا المراسى وغيره ببغداد ، وقدم دمشق فأرضه ابن عساكر في هذه السنة ، وترجه ابن خلكان في الوفيات ، وقال قبره بزار ، وقدرته غير مرة ، ورأيت الناس يتنابون قبره ويتبركون به ، وهذا الأقى قاله ابن خلكان بما ينكره أهل العلم عليه وهل أمثاله ممن يعظم القبور . وفيها هلك ملك الفرنج مرى لعنه الله ، وأخلته ملك صقلان ونحوها من البلاد ، وقد كان قارب أن يملك الديار المصرية لولا فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين .

﴿ ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة ﴾

استهلت [هذه السنة] والسلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب قد عزم على المخول إلى بلاد الشام لأجل حفظه من الفرنج ، ولكن دمه أمر شغل عنه ، وذلك أن الفرنج قسموا إلى الساحل المصري إلى أسطول لم يسمع بمثله ، وكثرة مراكب وآلات من الحرب والحصار والمقاتلة ، من جملة ذلك مائتي شيفي في كل منها مائة وخمسون مقاتلاً ، وأربعمائة قطعة أخرى ، وكان قدامهم من صقلية إلى ظاهر اسكندرية قبل رأس السنة بأربعة أيام ، فنصبوا المنجنيقات والهباب حول البلد ، وبرز إليهم أهلها فقاتلهم دونها قتالاً شديداً أياماً ، وقتل من كلا الفريقين خلق كثير ، ثم اتفق أهل البلد على حريق المنجانيق والهباب ففعلوا ذلك ، فأضف ذلك قلوب الفرنج ، ثم كبسهم المسلمون فقتلوا منهم جماعة وغنوا منهم ما أرادوا ، فانهزم الفرنج في كل وجه ، ولم يكن لهم ملجأ إلا البحر أو القتل أو الأسر ، واستحوذ المسلمون على أموالهم وعلى خيولهم وخيماهم ، وبالجمله قتلوا خلقاً من الرجال وركب من بقي منهم إلى أسطول إلى بلادهم خائبين .

وما عوق الملك الناصر عن الشام أيضاً أن رجلاً يعرف بالكثرة مياه بعضهم عباس بن شاذى

وكان من مقدمى الديار المصرية والدولة الفاطمية ، كان قد استند إلى بلاد يقال له أسوان ، وجعل يجمع عليه الناس ، فاجتمع عليه خلق كثير من الرعاع من الحاضرة والغربان والرعيان ، وكان يزعم إليهم أنه سيعيد الدولة الفاطمية ، ويدحض الأتابكة التركية ، فالتف عليه خلق كثير ، ثم قصدوا قوص وأعمالها ، وقتل طائفة من أمرائها ورجالها ، فجرد إليه صلاح الدين طائفة من الجيش وأمر عليهم أخاه الملك العادل أبا بكر الكردى ، فلما التقيا هزمه أبو بكر وأسر أهله وقتله .

فصل

فلما تمهدت البلاد ولم يبق بها رأس من الدولة المبيدة ، برز السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف فى الجيوش التركية فاصدا البلاد الشامية ، وذلك حين مات سلطاتها نور الدين محمود بن زنكى وأخيف سكانها وتضمضت أركانها ، واختلف حكامها ، وفسد قضضا وإبرامها ، وقصد جمع شعبها والاحسان إلى أهلها ، وأمن سهلها وجبلها ، ونصرة الاسلام ودفع الطغاة إظهار القرآن وإخفاء سائر الأديان ، وتكثير الصليبان فى رضى الرحمن ، وإرغام الشيطان . فنزل البركة فى سهل صفر وأقام بها حتى اجتمع عليه العسكر واستناب على مصر أخاه أبا بكر ، ثم سار إلى بلبس فى الثالث عشر من ربيع الأول ، فدخل مدينة دمشق فى يوم الاثنين سلخ ربيع الأول ، ولم يتطلع فيها عتزان ، ولا اختلف عليه سيفان ، وذلك أن نائبها فمس الدين بن مقدم كان قد كتب إليه أولا فأغلظ له فى الكتاب ، فلما رأى أمره متوجها جعل يكتبه ويستحثه على القدوم إلى دمشق ، ويمنه بتسلم البلد ، فلما رأى الجدل لم يمكنه الخالفة ، فسلم البلد إليه بلا مدافعة ، فنزل السلطان أولا فى دار والده دار العقيلي التى بناها الملك الظاهر بيبرس مدرسة ، وجاء أعيان البلد للسلام عليه فأوا منه غاية الاحسان ، وكان نائب القلعة إذ ذاك الطواشى ربحان ، فكتابه وأجرل نواله حتى سلمها إليه ، ثم نزل إليه فأكرمه واحترمه ، ثم أظهر السلطان أنه أحق الناس بقرية ولد نور الدين ، لما لنور الدين عليهم من الاحسان المتين ، وذكر أنه خطب لنور الدين بالديار المصرية ، ثم إن السلطان طامل الناس بالاحسان وأمر بإبطال ما أحدث بمسد نور الدين من المكوس والضرائب ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وفه طاقبة الأمور .

فصل

فلما استقرت له دمشق بمضافيرها نهض إلى حلب مسرعا لما فيها من التخييط والتخليط ، واستناب على دمشق أخاه طنتكين بن أيوب الملقب بسيف الاسلام ، فلما اجتاز حمص أخذ ربهضا

ولم يشتغل بقتلها ، ثم صار إلى حماء قتلها من صاحبها عز الدين بن جيريل ، وسأله أن يكون
 صغيره بينه وبين الحلبيين ، فأجابته إلى ذلك ، فصار إليهم فخرهم بأمر صلاح الدين فلم يلتفتوا إليه ،
 بل أمروا بسجنه واعتقاله ، فأبطأ الجواب على السلطان ، فكتب إليهم كتابا بليغا يلومهم فيه على
 ما هم فيه من الاختلاف ، وعدم الائتلاف ، فردوا عليه أسوأ جواب ، فأرسل إليهم بذكرهم أيامه
 وأيام أبيه وصحه في خدمة نور الدين في المواضع المحمودة التي يشهد لهم بها أهل الدين ، ثم صار إلى
 حلب فقتل على جبل جوشن ، ثم نودي في أهل حلب بالحضور في ميدان باب العراق ، فاجتمعوا
 فأشرف عليهم ابن الملك نور الدين فتودد إليهم وتباكى عليهم وحرضهم على قتال صلاح الدين ،
 وذلك من إشارة الأمراء المتقدمين ، فأجابته أهل البلد بوجوب طاعته على كل أحد ، وشرط عليه
 الروافض منهم أن يعاد الأذان يحيى على خير العمل ، وأن يذكر في الأسواق ، وأن يكون لهم في
 الجامع الجانب الشرقي ، وأن يذكر أسماء الأئمة الاثني عشرين يدي الجنائز ، وأن يكبروا على
 الجنائز خمساً ، وأن تكون عقود أنكحتهم إلى الشريف أبي طاهر بن أبي المسكلم حمزة بن زاهر
 الحسيفي ، فأجيبوا إلى ذلك كله ، فأذن بالجامع وسائر البلد يحيى على خير العمل ، وعجز أهل البلد عن
 مقاومة الناصر ، وأهلوا في كيدته كل خاطر ، فأرسلوا أولاً إلى شيبان صاحب الحسبة فأرسل فقرأ من
 أصحابه إلى الناصر ليقبلوه فلم يظفر منه بشيء ، بل قتلوا بعض الأمراء ، ثم ظهر عليهم فقتلوا عن
 آخرهم ، فأرسلوا حسنة ذلك القوم صاحب طرابلس الفرنجي ، ووعده بأموال جزيلة إن هو
 رحل عنهم الناصر ، وكان هذا القوم قد أسره نور الدين وهو معتقل عنده مدة عشر سنين ، ثم
 اقتدى نفسه بمائة ألف دينار وألف أسير من المسلمين ، وكان لا ينساها نور الدين ، بل قصد لخص
 ليأخذها فركب إليه السلطان الناصر ، وقد أرسل السلطان إلى بلده طرابلس سرية فقتلوا وأمرؤا
 وغنموا ، فلما اقترب الناصر منه تكس على عتيبه راجعاً إلى بلده ، ورأى أنه قد أجابهم إلى ما أرادوا
 منه ، فلما فصل الناصر إلى حصن لم يكن قد أخذ قلعتها فتصدى لأخضا ، فتصب عليها المنجنقات
 فأخذها قسراً وملكها قهراً ، ثم كر راجعاً إلى حلب ، فأثاله الله في هذه الكثرة ما طلب ، فلما نزل بها
 كتب إليهم القاضي الفاضل على لسان السلطان كتاباً بليغاً فصيحاً قائماً راقماً ، على يدي الخطيب
 قميس الدين يقول فيه : « فإذا قضى التسليم حق القتا فاستدعي الاخلاص جهد الدنيا ، فليعد وليعد
 حوادث ما كان حديثاً يفترى ، وحواري أمور إن قال فيها كثيراً فأكثرت ما قد جرى ، ويشرح
 صدر منها لله يشرح منها صدراً ، وليوضح الأحوال المستبشرة فان الله لا يبعد سرا .
 ومن المجائب أن تسير غرائب • في الأرض لم يعلم بها المأمول
 كالمنس أقتل ما يكون لها الصدى • والماء فوق ظهورها محمول

فأما كنا نقتبس النار بأكنافنا ، وغيرنا يستنير ، ونسقي الماء بأيدينا وسوانا يستمير ، ونلتقي السهام بنحورنا وغيرنا يعتمد التصوير ، والآبدان تسترد بضاعتنا يتوقف العدل الذي رد به المغصوب ونظهر طاعتنا فتأخذ بحظ كما أخذ بحظ القلوب ، وكان أول أمرنا أننا كنا في الشام فتفتح الفتوح بمباشرتنا أنفسنا ، ونجاهد الكفار متقدمين بصاكرنا ، نحن والوالدان وحما ، فأى مدينة تفتحت أو أوى معقل للمدو أو عسكر أو مصاف للإسلام منه ضرب ؟ فما يجبل أحد صنعنا ، ولا يجهد عدونا أن يصطلي الحجر وتملك الكرة ، وهدم الجماعة وزعمت المقاتلة ، وندير التعبئة ، إلى أن ظهرت في الشام الأكار التي لنا أجراها ، ولا يضربنا أن يكون لغيرنا ذكرها ، ثم ذكر ما صنعوا بمصر من كسر الكفر وإزالة المنكر وقمع الفرنج وهدم البيع ، وما بسط من العدل ونشر من الفضل ، وما أكله من الخطب العباسية ببلاد مصر والين والثوبة وإفريقية وغير ذلك ، بكلام بسيط حسن .

فلما وصلهم الكتاب أساءوا الجواب ، وقد كانوا كاتبوا صاحب الموصل سيف الدين غازي بن مودود أخى نور الدين محمود بن زكي ، فبث إليهم أخاه عز الدين في صاكره ، وأقبل إليهم في دساكره ، وانضاف إليهم الحلبيون وقصدوا حماه في غيبة الناصر واشتغاله بقلمه حصص وحارثها ، فلما بلغه خبرهم سار إليهم في قل من الجيش ، فأنهى إليهم وهم في جحافل كثيرة ، فواقوه وطمعوا فيه لقلة من معه ، وهما بمنابرتهم فجعل يداريهم ويدعوم إلى المصالحة لعل الجيش يلحقونه ، حتى قال لهم في جملة ما قال : أنا أقنع بدمشق وحدها وأقيم بها الخطبة فملك الصالح إسماعيل ، وأترك ما عداها من أرض الشام ، فامتنع من المصالحة الخادم سعد الدولة كشتكين ، إلا أن يجمل لهم الرحبة التي هي بيد ابن عمه ناصر الدين بن أسد الدين ، فقال ليس لي ذلك ، ولا أقدر عليه ، فأبوا الصلح وأقنعوا على القتال ، فجعل جيشه كردوساً واحداً ، وذلك يوم الأحد التاسع عشر من رمضان عند قزوين حماه ، وصبر صبراً عظيماً ، وجاء في أثناء الحال ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه ومعه أخوه فروخ شاه في طائفة من الجيش ، وقد ترجع دسته عليهم ، وخلص رعبه إليهم ، فولوا هناك هاربين ، وتولوا منهزمين ، فأسر من أسرى من رؤسهم ، وفادى أن لا يتبع مدبر ولا ينصف على جريح ثم أطلق من وقع في أسره وسار على الفور إلى حلب ، وقد انعكس عليهم الحال وآلوا إلى شر مآل فبالأمر كان يطلب منهم المصالحة والمسألة ، وهم اليوم يطلبون منه أن يكف عنهم ويرجع ، على أن المرأة وكفر طلب وما ردين له زيادة على ما بيده من أراضي حماه وحمص ، فقبل ذلك وكف عنهم وحلف على أن لا ينزو بعدها الملك الصالح ، وأن يدعو له على سائر منابر بلاده ، وشفع في بني الداية أخوه مجد الدين ، على أن يخرجوا ، فقبل ذلك ثم رجع مؤبداً منصوراً .

فلما كان بحماه وصلت إليه رسل الخليفة المستغنى بأمر الله بالخلع السلية والتشريفات العباسية

والأعلام السود ، والتوقيع من الديوان بالسلطنة ببلاد مصر والشام ، وأقيمت الخلع على أهله وأقربيه وأصحابه وأعوانه ، وكان يوما مشهودا . واستتاب على حماد ابن خاله وصهره الأمير شهاب الدين محمود ، ثم سار إلى حصص فأطلقها إلى ابن عمه ناصر الدين ، كما كانت من قبله لأبيه شيركوه أسد الدين ، ثم بعليك على البقاع إلى دمشق في ذى القعدة .

وفيها ظهر رجل من قرية مشرا من معاملة دمشق وكان مغربيا فادعى النبوة ، وأظهر شيئا من الخوارق والخيال والشبهة والأبواب النارنجية ، فافتن به طوائف من المذبح والموام ، فطلبه السلطان فهرب إلى معاملة حلب ، فالف عليه كل مقطوع الذنب ، وأضل خلقا من الفلاحين ، وزوج امرأة أحبها ، وكانت من أهل تلك البطائح فعلمها أن ادعت النبوة ، فأشبهها قصة مسيلة وسجاح . وفيها هرب وزير الخليفة ونهبت داره . وفيها درس أبو الفرج ابن الجوزي بمدرسة أنشئت لعنابة لحضر عنده قاضي القضاة أبو الحسن بن الهائماني والفتهاء والكبراء ، وكان يوما مشهودا ، وخلعت عليه خلة سنية . وفيها توفي من الأعيان

﴿ روح بن أحمد ﴾

أبو طالب الحدثي قاضي القضاة ببغداد في بعض الأحيان ، وكان ابنه في أرض الحجاز ، فلما بلغه موت أبيه مرض بعده فوات بعد أيام ، وكان يلين بالرفض .

﴿ شحمة التركمان ﴾

كان قد قلب على بلاد فارس واستحدث قلاعا وتغلب على السلجوقية ، وانتظم له الفست نحواً من عشرين سنة ، ثم حارب به بعض التركمان فقتلوه .

﴿ قباذ بن عبد الله ﴾

قطب الدين المستنجدى ، وزير الخليفة المستنقضي ، وكان مقدما على الساكر كلها ، ثم خرج على الخليفة وقصد أن ينهب دار الخلافة فصعد الخليفة فوق سطح في داره وأمر العامة بنهب دار قباذ ، فهبت ، وكان ذلك بافتاء الفقهاء ، فهرب فهلك هو ومن معه في المهامة والقتار .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وخمسة ﴾

فيها طلب الفرنج من السلطان صلاح الدين وهو مقيم بمرج الصفر أن يهادنهم فأجابهم إلى ذلك ، لأن الشام كان مجبدا ، وأرسل جيشه بحجة القاضي الفاضل إلى أفيار المصرية ليستغلوا الممل ثم قبلوا ، وعزم هو على المقام بالشام ، واعتمد على كاتبه الهاد عوضا عن القاضي ، ولم يكن أحد أعز عليه منه :

وما من رضى كانت سليبي بديلة • ولكن للضرورات أحكام

وكانت إقامة السلطان بالشام وإرسال الجيش صحة القاضي الفاضل غاية الحزم والتدبير ، ليحفظ ما استجد من الممالك خوفاً عليه مما هنالك ، فلما أرسل الجيوش إلى مصر وبقى هو في طائفة يسيرة والله قد تكفل له بالنصر ، كتب صاحب الموصل سيف الدين غازي ابن أخي نور الدين إلى جماعة الخلبيين يلومهم على ما وقع بينهم وبين الناصر من المصالحة ، وقد كان إذ ذاك مشغولاً بمحاربة أخيه ومحاصرته ، وهو عماد الدين زنكي بسنجار ، وليست هذه بفضلة صالحة ، وما كان سبب قتاله لأخيه إلا لكونه أبى طاعة الملك الناصر ، فاصطلم مع أخيه حين عرف قوة الناصر وناصريه ، ثم حرض الخلبيين على قرض المهود ونبذها إليه ، فأرسلوا إليه بالمهود التي عاهدوه عليها ودعوه إليها ، فاستعان عليهم بالله وأرسل إلى الجيوش المصرية ليقسموا عليه ، فأقبل صاحب الموصل بمساكره ودساكره ، واجتمع بابن عمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، وسار في عشرين ألف مقاتل على أنجيلو المضمرة الجرد الأبايل ، وسار نحوهم الناصر وهو كالمزبر الكاسر ، وإثما معه ألف فارس من الحماة ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، ولكن الجيوش المصرية قد خرجوا إليه قاصدين ، وله ناصرين في جحافل كلبجال ، فاجتمع الفريقان وتنادعوا إلى التزال ، وذلك في يوم الخميس العاشر من شوال فاقنتوا قتالاً شديداً ، حتى حمل الملك الناصر بنفسه الكريمة ، وكانت بإذن الله الهزيمة ، فقتلوا خلقاً من الخلبيين والمواصلة ، وأخذوا مضارب الملك سيف الدين غازي وحواصله ، وأسروا جماعة من رؤسهم فأطلقهم الناصر بعد ما أفضى الخلع على أبدانهم ورؤسهم ، وقد كانوا استماتوا بجماعة من الفرنج في حال القتال ، وهذا ليس من أفعال الأبطال ، وقد وجد السلطان في تخيم السلطان غازي سبباً من الألفاف التي فيها الطيور المطربة ، وذلك في مجلس شرا به المسكر ، وكيف من هذا حاله ومسلكه ينتصر ، فأمر السلطان بردها عليه وتسييرها إليه ، وقال لمرسول قل له بعد وصولك إليه وسلامك عليه : اشتغلناك بهذه الطيور أحب إليك مما وقعت فيه من المحذور ، وغنم منهم شيئاً كثيراً ففرقه على أصحابه غنياً وحضوراً ، وأنتم بخيمة سيف الدين غازي على ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بن نجم الدين ، ورد ما كان في وطاعة من الجوارى والمنيات ، وقد كان معه أكثر من مائة مائة غنية ، ورد آلات القهور والسب إلى حلب ، وقال قولوا لهم هذه أحب إليكم من الركوع والسجود ، ووجد عسكر المواصلة كلانة من كثرة الخمر والبرابيط والملاهي ، وهذه سبيل كل فاسق ساء لاهي .

فصل

فلما رجعت الجيوش إلى حلب وقد اقبلوا شر منقلب ، ونعموا على ما تقضوا من الإيمان ، وشقهم المصا على السلطان ، حصنوا البلد ، خوفاً من الأسد ، وأمر ع صاحب الموصل فوصلها ، وما صدق حتى

دخلها ، فلما فرغ الناصر بما ختم أسرع السير إلى حلب وهو في غاية القوة ، فوجدهم قد حصنوها ،
 قتل المصلحة أن نبادر إلى فتح الحصون التي حول البلد ، ثم نود إليهم فلا يمتنع علينا منهم أحد ،
 فشرع يفتحها حصنا حصنا ، ويهزم أركان دولتهم ركننا ركننا ، ففتح مراغة ومنبج ثم صار إلى إمرأز
 فأرسل الحلبيون إلى سنان فأرسل جماعة لقتل السلطان ، فدخل جماعة منهم في جيشه في زى الجند
 قاتلوا أشد القتال ، حتى اختلطوا بهم فوجدوا ذات يوم فرصة والسلطان ظاهر للناس فحمل عليه واحد
 منهم فضر به بسكين على رأسه فاذا هو محترس منهم بالآلة ، فسلمه الله ، غير أن السكين مرت على
 خده فخرخته جرحا هينكا ، ثم أخذ الفداوى رأس السلطان فوضه إلى الأرض لينبسه ، ومن حوله قد
 أخذتهم دهشة ، ثم تاب إليهم عقلهم فبادروا إلى الفداوى قتلوه وقطعوه ، ثم هجم عليه آخر في
 الساعة الرابعة قتل ، ثم هجم آخر على بعض الأمراء قتل أيضا ، ثم هرب الرابع فأدرك قتل ،
 وبطل القتال ذلك اليوم ، ثم صمم السلطان على البلد ففتحها وأقطعها ابن أخيه تقي الدين عمر بن
 شاهنشاه بن أيوب ، وقد اشتد حنقه على أهل حلب . لما أرسلوا إليه من الفداوية وإقدامهم على
 ذلك منه ، فجاء فقتل تجاه البلد على جبل جوشن ، وضربت خيمته على رأس البادوقية ، وذلك في
 خامس عشر ذى الحجة ، وحبى الأموال وأخذ الخراج من القرى ، ومنع أن يدخل البلد شيء أو يخرج
 منه أحد ، واستمر محاصرها لما حتى السلخت السنة .

وفي ذى الحجة من هذه السنة عاد نور الدولة أخو السلطان من بلاد اليمن إلى أخيه شوقا إليه ،
 وقد حصل أموالا جزيلة ، ففرح به السلطان ، فلما اجتمعا قال السلطان البر التقي : أنا يوسف وهذا
 أخي ، وقد استناب على بلاد اليمن من ذوى قرابته ، فلما استقر عند أخيه استنابه على دمشق
 وأحاطها ، وقيل إن قدومه كان قبل وقعة المواصله ، وكان من أكبر أسباب الفتح والنصر ، لشجاعته
 وفروسيته . وفيها أنفذ تقي الدين عمر بن أخى الناصر مملوكه بهاء الدين قراقوش في جيشه إلى بلاد
 المغرب ففتح بلادا كثيرة ، وضم أموالا جزيلة ، ثم عاد إلى مصر . وفيها قسم إلى دمشق أبو الفتح
 الواعظ عبد السلام بن يوسف بن محمد بن مقلد التنوخى الممشقى الأصل ، البغدادي المنشأ ، ذكره
 العماد في الجريدة . قال : وكان صاحبى ، وجلس للوعظ وحضر عنده السلطان صلاح الدين ، وأورد
 له مقطعات أشعار ، فمن ذلك ما كان يقول :

يا مالكا مهجى يا منتهى أملى * يا حاضرأ شاهداً في القلب والفكر
 خلقتنى من تراب أنت خالقہ * حتى إذا صرت تمثالا من الصور
 أجريت في ظالى روحاً منورة * تمر فيه كجى الماء في الشجر
 جعنتى من صفا روح منورة * وهيكلك صفتى من ممدن كبر

إن غبت فيك فياتفرى ويأشرفى • وإن حضرت فيأبغى ويأبصرى
أو احتجبت فسرى فيك فى وله • وإن خطرت قلبى منك فى خطر
تبدو فتسحر رسوى ثم تثبتا • وإن تقيب عنى عشت بالآخر
وفىها توفى من الأعيان الحافظ أبو القاسم ابن عساكر .

﴿ على بن الحسن بن هبة الله ﴾

ابن عساكر أبو القاسم الممشقى ، أحد أكبر حفاظ الحديث ومن عفى به سماعاً وجمعاً وتصنيفاً
واطلاعاً وحفظاً لأسانيد ومتونه ، وإقتاناً لأساليبه وفقونه ، صنف تاريخ الشام فى ثمانين مجلدة ،
ففى باقية بعده مجلدة ، وقد ندر على من تقدمه من المؤرخين ، وأتعب من يأتى بعده من المتأخرين ،
فجاز فيه قصب السبق ، ومن نظر فيه وتأمله رأى ما وصفه فيه وأصله ، وحكم بأنه فريد دهره ، فى
التواريخ ، وأنه اللدرة العليا من الشارح ، هذا مع ماله فى علوم الحديث من الكتب المفيدة ، وما
هو مشتمل عليه من العبادة والطرائق الحميدة ، فله أطراف الكتب الستة ، والشيوخ النبل ، وتبيين
كتب المفترى على أبى الحسن الأشعرى ، وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغار ، والأجزاء
والأسفار ، وقد أكر فى طلب الحديث من الترحال والأسفار ، وجاز المدن والأقاليم والأمصاير ،
وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من الحفاظ نسجاً واستلحاقاً ، ومقابلة وتصحيح الألفاظ ، وكان
من أكبر سرورات الدماشقة ، ورياسته فيهم طالية باسقة ، من ذوى الأقدار والهيئات ، والأموال
الجزيلة ، والصلاة والعبادة ، كانت وفاته فى الحادى عشر من رجب ، وله من العمر ثلثان وسبعون
سنة ، وحضر السلطان صلاح الدين جنازته ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله تعالى . وكان الذى صلى
عليه الشيخ قطب الدين النيسابورى . قال ابن خلكان وله أشعار كثيرة منها :

أيا نفس ويحك جاء المشيب • فإذا التصابى وما ذا النزل ؟

تولى شبابى كأن لم يكن • وجاء المشيب كأن لم يزل

كأنى بنفسى على غرة • وخطب المنون بها قد نزل

فيات شمرى ممن أكون • وما قدر الله لى فى الأزل

قال : وقد التزم فيها بما لم يلزم وهو الزاى مع اللام . قال : وكان أخوه صائغ الدين هبة الله
ابن الحسن محدثاً قتيها ، اشتغل بيقيناد على أسعد الميمنى ، ثم قدم دمشق فدرس بالفرزالية ،
وتوفى بها عن ثلاث وستين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وخمسةائة ﴾

استهلّت هذه السنة والناصر محاصر حلب ، فسالوه وتوصلوا إليه أن يصلحهم فصالحهم على أن

تكون حلب وأعمالها للملك الصالح قطع ، فكتبوا بذلك الكتاب ، فلما كان المساء بعث السلطان الصالح إسماعيل يطلب منه زيادة قلعة اعزاز ، وأرسل بأخت له صغيرة وهي النطاون بنت نور الدين ليكون ذلك أدعى له بقبول السؤال ، وأتبع في حصول النوال ، فحين رآها السلطان قام قائماً ، وقبل الأرض وأجابها إلى سؤالها ، وأطلق لها من الجواهر والتحف شيئاً كثيراً ، ثم ترحل عن حلب قصد الفداوية الذين اعتدوا عليه فحاصر حصنهم مصيبت قتل وسي وحرق وأخذ بقرم وغرب ديارم ، ثم شفع فيهم خاله شهاب الدين محمود بن تثن صاحب حمه ، لأنهم جيرانه ، قبل شفاعته ، وأحضر إليه نائب بعلبك الأمير فمس الدين محمد بن الملك مقدم ، الذي كان نائب دمشق ، جماعة من أسارى الفرنج الذين عاتوا في البقاع فلم يغيبته ، فجسد ذلك له النزوف والفرنج ، فصالح الفداوية الإسماعيلية أصحاب سنان ، ثم كر راجعاً إلى دمشق فتلقاه أخوه فمس القولة . توران شاه ، فلقبه الملك المعظم ، وعزم الناصر على دخول مصر ، وكان القاضي كمال الدين محمد الشهرزوى قد توفى في السادس من المحرم من هذه السنة ، وقد كان من خيار القضاة وأخص الناس بنور الدين الشهيد ، فوض إليه نظر الجامع ودار الضرب وحمارة الأسوار والنظر في المصالح العامة . ولما حضرته الوفاة أوصى بالقضاء لابن أخيه ضياء الدين بن تاج الدين الشهرزوى ، مع أنه كان يجهد عليه ، لما كان بينه وبينه حين كان صلاح الدين سجنه بدمشق ، وكان يما كره ويخافه ، ومع هذا أمضى وصيته لابن أخيه ، تجلس في مجلس القضاء على عادة عمه وقاعدته ، وبقي في نفس السلطان من تولية شرف الدين أبي سعيد عبد الله بن أبي عصرون الحلبي ، وكان قد هاجر إلى السلطان إلى دمشق فوجهه أن يوليه قضاءها ، وأسر بذلك إلى القاضي الفاضل ، فأشار الفاضل على الضياء أن يستعفى من القضاء فاستعفى فأعفى ، وترك له وكالة بيت المال ، وولى السلطان ابن أبي عصرون على أن يستليب القاضي محيي الدين أبي المال محمد بن زكي الدين ، فعمل ذلك ، ثم بعد ذلك استقل بالحكم محيي الدين أبو حامد بن أبي عصرون عوضاً عن أبيه شرف الدين ، بسبب ضعف بصره .

وفي صفر منها وقف السلطان الناصر قرية حزم على الزاوية الفزالية ، ومن يشتغل بها بالعلوم الشرعية ، وما يحتاج إليه الفقيه ، وجعل النظر لقطب الدين النيسابوري مدرسا . وفي هذا الشهر تزوج السلطان الملك الناصر بالت خاتون عصمة الدين بنت معين الدين أتر ، وكانت زوجة نور الدين محمود ، وكانت مقيمة بالقلعة ، وولى تزويجها منه أخوها الأمير سعد الدين بن أتر ، وحضر القاضي ابن عصرون المقد ومن معه من المنول ، وبات الناصر عندها تلك الليلة والتي بعدها ، ثم سافر إلى مصر بعد يومين ، ركب يوم الجمعة قبل الصلاة فقل صرح الصفر ، ثم سافر فمشا قريباً من الصفيين ، ثم صار فدخل مصر يوم السبت سادس عشر ربيع الأول من هذه السنة ، وتلقاه

أخوه وثأبه عليها الملك الداخل سيف الدين أبو بكر إلى عند بحر القازم ، ومعه من الهدايا شيء كثير من المأكول المتنوعة وغيرها ، وكان في محبة السلطان المهاد الكاتب ، ولم يكن ورد الديار المصرية قبل ذلك ، فجل يذكر محاسنها وما اختلفت به من بين البلدان ، وذكر الأهرام وشبهها بأنواع من التشبيهات ، وبالغ في ذلك حسب ما ذكر في الروضتين .

وفي شعبان منها ركب الناصر إلى الاسكندرية فأجمع ولديه للفاضل على والوزير عثمان على الحفاظ السلي ، وتردد بهما إليه ثلاثة أيام الخميس والجمعة والسبت رابع رمضان ، وهزم الناصر على تمام الصيام بها ، وقد كل عمارة السور على البلد ، وأمر بتجديد الاسطول وإصلاح مراكبه وسفنه وشحنه بالمقاتلة وأمرهم بنزو جزائر البحر ، وأقطعهم الاقطاعات الجزيلة على ذلك ، وأرصد للاسطول من بيت المال ما يكفيه لجميع شتونه ، ثم عاد إلى القاهرة في أثناء رمضان فأكل صومه .

وفيها أمر الناصر ببناء مدرسة للشافعية على قبر الشافعي ، وجعل الشيخ نجم الدين الخبوشاني مدرستها وأظهرها . وفيها أمر ببناء المارستان بالقاهرة ووقف عليه وقوف كثيرة . وفيها بنى الأمير مجاهد الدين قباذ نائب قلعة الموصل جامعاً حسناً ورباطاً ومدرسة ومارستاناً متجاورات بظاهر الموصل وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمس وتسعين وخمسة رحمة الله . وله عدة مدارس وخوانقات وجوامع غير ما ذكرناه ، وكان ديناً خيراً فاضلاً حتى المذهب ، يذاكر في الأدب والأشعار والفقه ، كثير الصيام وقيام الليل . وفيها أمر الخليفة بإخراج المجرمين من بغداد لئلا يميزوا من أهل العافية ، نسأل الله العافية . وذكر ابن الجوزي في المنتظم عن امرأة قالت : كنت أشتى في الطريق وكان رجلاً يمازني كلما مررت به ، فقلت له : إنه لا سبيل إلى هذا الذي ترومه مني إلا بكتاب وشهود ، فتزوجني عند انكاحي ، فكثرت معه مدة ثم اعتراه انتفاخ يبطنه فكنا نظن أنه استسقاء فداوى به ذلك ، فلما كان بعد مدة ولد له ولداً كما نلد النساء ، وإذا هو خشن مشكل ، وهذا من أغرب الأشياء .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ علي بن هساكر ﴾

ابن المرحب بن الروام أبو الحسن البطائحي المقرئ القوي ، مع الحديث وأجمعه ، وكان حسن المعرفة بالنحو والفقه ، ووقف كتبه بمسجد ابن جرارة ببغداد ، توفي في شعبان وقد نيف على الثمانين

﴿ محمد بن عبد الله ﴾

ابن التلمس أبو الفضل ، قاضي القضاة بدمشق ، كمال الدين الشهرزوري ، الموصل ، وله بها مدرسة على الشافعية ، وأخرى بتعصيين ، وكان فاضلاً ديناً أميناً فقهياً ، ولي القضاء بدمشق لنور الدين الشهيد محمود بن زنتكي ، واستوزره أيضاً فيها حكاه ابن الساعي . قال وكان يبعثه في الرسائل ، كتب

مرة على قصة إلى الخليفة المقتني : محمد بن عبد الله الرسول ، فكتب الخليفة تحت ذلك : **عليه السلام** . قلت : وقد فوض إليه نور الدين نظر الجامع ودار الضرب والأسوار ، وعمر له المدارس والمدارس وغير ذلك وكانت وفاته في الحرم من هذه السنة بدمشق .

(الخطيب خمس الدين)

ابن الوزير أبو الضياء خطيب الديار المصرية ، وابن وزيرها ، كان أول من خطب بديار مصر للخليفة المستنصر بأمر الله العباسي ، بأمر الملك صلاح الدين ، ثم حظى عنده حتى جعله سفيرا بينه وبين الملوك والخلفاء ، وكان رئيساً مطاعاً كريماً محسناً ، يقرأ عليه الشعراء والأدباء . ثم جعل الناصر مكانه الشهرزوري المتقدم بمرسوم السلطان ، وصارت وظيفه مقررة .

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسة)

فيها أمر الملك الناصر ببناء قلعة الجبل وإحاطة السور على القاهرة ومصر ، فمر قلعة للملك لم يكن في الديار المصرية مثلاً ولا على شكلها ، وولى عارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش مملوك تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب . وفيها كانت وقعة الرملة على المسلمين ، وفي جهادى الأولى منها سار السلطان الناصر صلاح الدين من مصر قاصداً غزو الفرنج ، فأنشئ إلى بلاد الرملة فسي وغنم ، ثم تشغل جيشه بالفتنم وتفرقوا في الترى والحال ، وبقي هو في طائفة من الجيش منفرداً فهجمت عليه الفرنج في جملة من المقاتلة فأسلم إلا بعد جهد جهيد ، ثم تراجع الجيش إليه واجتمعوا عليه بعد أيام ، ووقعت الأراجيف في الناس بسبب ذلك ، وما صدق أهل مصر حتى نظروا إليه وصار الأمر كما قيل • رضيت من التنيمة بالأجاب • ومع هذا دقت البشار في البلدان فرحاً بإسلامة السلطان ، ولم يغير هذه الوقعة إلا بعد عشر سنين ، وذلك يوم حطين ، وقد ثبت السلطان في هذه الوقعة ثباتاً عظيماً ، وأسر للملك المظفر تقي الدين عمر بن أخى السلطان ولده شاهنشاه ، فبقي عندهم سبع سنين ، وقتل ابنه الآخر ، وكان شاباً قد طرّش به ، فحزن على المقتول والمقتود ، وصبر تأسناً بأيوب ، ونجح كائن داود ، وأسر التقيمان الأخوان ضياء الدين عيسى وظهر الدين فافنداهما السلطان بعد سنتين بتسعين ألف دينار .

وفيها نجحت دولة حلب وقبض السلطان الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين على الخادم كشتكين ، وألزمه بتسليم قلعة حارم ، وكانت له ، فأبى من ذلك فلقه منكوساً ودخن تحت أفه حتى مات من ساعته . وفيها جاء ملك كبير من ملوك الفرنج يروم أخذ الشام لنية السلطان واشتغال نوابه ببلدانهم . قال المهملد الكاتب : ومن شرط هدية الفرنج أنه متى جاء ملك كبير من ملوكهم لا يمكنهم دفعه أنهم يقاتلون معه ويؤازرونه وينصرونه ، فإذا انصرف عنهم حلت الهدية كما كانت ، قصد

هذا الملك وجملة الفرنج مدينة حماه وصاحبها شهاب الدين محمود خال السلطان مرغيش ، وثائب دمشق ومن معه من الأمراء مشفقون ببلداتهم ، فكادوا يأخذون البلد ولكن هزمهم الله بعد أربعة أيام ، فانصرفوا إلى حارم فلم يتمكنوا من أخذها وكشفهم عنها الملك الصالح صاحب حلب ، وقد دفع إليهم من الأموال والأسرا ما طلبوه منه . وتوفي صاحب حماه شهاب الدين محمود خال السلطان الناصر ، وتوفي قبله ولده تنش بثلاثة أيام ، ولما سمع الملك الناصر بتزول الفرنج على حارم خرج من مصر قاصدا بلاد الشام ، فدخل دمشق في رابع عشر شوال ، وصحبته الهاد الكاتب ، وتأخر القاضي الفاضل بمصر لأجل الحج .

وفيها جاء كتاب القاضي الفاضل الناصري بنثه بوجود مولود وهو أبو سليمان داود ، وبه كل له اثني عشر ذكرا ، وقد ولد له بعده عدة أولاد ذكر ، فإنه توفي عن سبعة عشر ذكرا وابنة صغيرة اسمها مؤنسة ، التي تزوجها ابن عمها الملك الكامل محمد بن العادل ، كما سيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

وفيها جرت فتنة عظيمة بين اليهود والعمالة ببغداد ، بسبب أن مؤذنا أذن عند كنيسة فنال منه بعض اليهود بكلام أغلظ له فيه ، فشنه المسلم فاقنتلا ، فجاء المؤذن يشتكي منه إلى الديوان ، فتفاقم الحال ، وكثرت الدوام ، وأكثروا الضجيج ، فلما حان وقت الجمعة تمت العمالة لطلبه في بعض الجوامع ، وخرجوا من فورهم قهبا سوق المطارين اتقى فيه اليهود ، وذهبوا إلى كنيسة اليهود قهبا ، ولم يتمكن الشرط من ردحهم ، فأمر الخليفة بصلب بعض العمالة ، فأخرج في الليل جماعة من الشطار الذين كانوا في الحبوس وقد وجب عليهم القتل فصلبوا ، فظن كثير من الناس أن هذا كان بسبب هذه الكائنة ، فسكن الناس . وفيها خرج الوزير الخليفة عضد الدولة ابن رئيس الرؤساء ابن المسلة قاصدا الحج ، وخرج الناس في خدمته ليودعوه ، فتقدم إليه ثلاثة من الباطنية في صورة قراء ومعهم قصص ، فتقدم أحدهم ليناوله قصة فاعتنقه وضربه بالسكين ضربات ، وهمم الثاني وكذلك الثالث عليه فبهروه وجرحوا جماعة حوله ، وقتل الثلاثة من فورهم ، ورجع الوزير إلى منزله محمولا فمات من يومه ، وهذا الوزير هو الذي قتل ولدى الوزير ابن هبيرة وأعدمها ، فسلط الله عليه من قتله ، وكما تدين تدين ، جزاء وفاقا .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ صدقة بن الحسين ﴾

أبو الفرج الحداد ، قرأ القرآن وسمع الحديث ، وتمعن وأفق ، وقال الشعر وقال في الكلام ، وله تاريخ ذيل على شيخه ابن الزاغوني ، وفيه غرائب ومجائب . قال ابن الساعي : كان شيخا طامعا فاضلا وكان قهيرا يأكل من أجرة النسخ ، وكان يأوى إلى مسجد ببغداد عند البدرية يؤم فيه ، وكان يعتب

على الزمان وبقيته ، ورأيت ابن الجوزي في المنتظم ينسب ويرمي بالظلم ، وأورد له من أشعاره ما فيه مشابهة لابن الراوندي في الزندقة والله أعلم . توفي في ربيع الآخر من هذه السنة من خمس وسبعين سنة ، ودفن بباب حرب ، ورؤيت له منامات غير صالحة ، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

﴿ محمد بن أسعد بن محمد ﴾

أبو منصور المطار ، المعروف بمحنة ، مع الكثير وثقه وناظر وأفتى ودرس ، وقدم بغداد فقات بها

﴿ محمود بن تقش شهاب الدين الحارثي ﴾

خال السلطان صلاح الدين ، كان من خيار الأمراء وشجعانهم ، أقطعه ابن أخيه حماد ، وقد حاصره الفرنج وهو مريض فأخذوا حماد وقتلوا بعض أهلها ، ثم تناخى أهلها فردوم خائبين .

﴿ طاطمة بنت نصر المطار ﴾

كانت من سادات النساء ، وهي من سلالة أخت صاحب الخزن ، كانت من العابدات المتورطات الخدرات ، يقال إنها لم تخرج من منزلها سوى ثلاث مرات ، وقد أتى عليها الخليفة وغيره والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسة ﴾

فيها ورد كتاب من القاضي الفاضل من مصر إلى الناصر وهو بالشام ينيب به سلامة أولاده الملوك الاثني عشر ، يقول : ومحمد الله بهجة الحياة وزيلتها ، وريحانة القلوب والأرواح وزهرتها ، إن فؤادا ومع فراقهم لواسع ، وإن قلباً قنع بأخبارهم لقانع ، وإن طرفاً ظم من البمد عنهم لمالجع ، وإن ملكاً ملك صبره عنهم لمحازم ، وإن نعمة الله بهم لنعمة بها العيش ناعم ، أما يشفاق جيد المولى أن تعاقب بدرهم ؟ أما تظلمأ عينه أن تروى بنظرم ؟ أما يحزن قلبه لقصيم ؟ أما يلتقط هذا الطائر بفتيلهم ؟ وللمولى أبقاه الله أن يقول :

وما مثل هذا الشوق يحمل بضه * ولكن قلبي في الهوى يتقلب

وفيها أستط صلاح الدين المكوس والضرائب عن الحجاج بمكة ، وقد كان يؤخذ من حجاج الغرب شيء كثير ، ومن عجز عن أدائه حبس فر بما فاته الوقوف برفة ، وعرض أمير مكة بمال أقطعه إياه بمصر ، وأن يحمل إليه في كل سنة ثمانية آلاف أردب إلى مكة ، ليكون عوناً له ولائباصه ، ورفقاً بالمجاورين ، وقررت للمجاورين أيضاً غلات تحصل إليهم رحمه الله . وفيها عصى الأمير قيس الدين بن مقدم بملكك ، ولم يجهى إلى خدمة السلطان ، وهو نازل على حصص ، وذلك أنه بلغه أن أخا السلطان توران شاه طلب بملكك منه فأطلقها له ، فامتنع ابن المقدم من الخروج منها حتى جاء السلطان بنفسه لحصره فيها من غير قتال ، ثم عرض ابن المقدم عنها بتعويض كثير خير مما كان بيده ، ففرج منها وتسلمها وسلها توران شاه . قال ابن الأثير : وكان في هذه السنة غلاء شديد بسبب

قلة المطر ، عم العراق والشام وديار مصر ، واستمر إلى سنة خمس وسبعين ، فجاء المطر ورخصت الأسرار ثم عقب ذلك وباء شديد ، وعم البلاد مرض آخر وهو السراصم ، فما ارتفع إلا في سنة ست وسبعين ، فأتت بسبب ذلك خلق كثير ، وأمم لا يعلم عددهم إلا الله . وفي رمضان منها وصلت خلعة الخليفة إلى الملك صلاح الدين وهو بنمشق ، وزيد في ألقابه مزارع أمير المؤمنين ، وخلع على أخيه توران شاه ولقب بمصطفى أمير المؤمنين .

وفيها جيز الناصر ابن أخيه فروخ شاه بن شاهنشاه بين يديه لقتال الفرنج الذين طأوا في نواحي دمشق ، فذهبوا ما حولها ، وأمره أن يداريهم حتى يتوسطوا البلاد ولا يقتلهم حتى يقدم عليه ، فلما رأوه طجلوه واقتتل فكسروهم وقتل من ملوكهم صاحب الناصرة المنفري ، وكان من أكابر ملوكهم وشجعائهم ، لا ينهيه القاء ، فكبتة الله في هذه الفزوة ، ثم ركب الناصر في إثر ابن أخيه فواصل إلى الكسوة حتى تلقته الرؤس على الزمخ ، والفنائم والأسارى . وفيها بليت الفرنج قلعة عند بيت الأحرار للداوية فجعلوها مرصد للحرب المسلمين ، وقطع طريقهم ، وهضمت ملوكهم العبود التي كانت بينهم وبين صلاح الدين ، وأغلروا على نواحي البلدان من كل جانب ، ليشغلوا المسلمين عنهم ، وتفرقت جيوشهم فلا تجتمع في بقعة واحدة ، فرتب السلطان ابن أخيه عمر على حماه ومعه ابن مقدم وسيف الدين على بن أحد المشغوب بنواحي البقاع وغيرها ، وبشر حصص ابن عمه ناصر الدين بن أسد الدين شيركوه ، وبعث إلى أخيه الملك أبي بكر المادل قائبه بمصر أن يبعث إليه ألفا وخمسمائة فارس يستعين بهم على قتال الفرنج ، وكتب إلى الفرنج يأمرهم بتخريب هذا الحصن الذي بنوه للداوية فامتنعوا إلا أن يبدل لهم ما غرموه عليه ، فبدل لهم ستين ألف دينار فلم يقبلوا ، ثم أوصلهم إلى مائة ألف دينار ، فقال له ابن أخيه تقي الدين عمر : ابدل هذا إلى أجناد المسلمين وسر إلى هذا الحصن تغريبه ، فأخذ بقوله في ذلك وخربه في السنة الآتية كما سذكركه .

وفيها أمر الخليفة المستغنى بكتابة لوح على قبر الامام أحمد بن حنبل ، فيه آية الكرسي ، وبمدا هذا قبر تاج السنة وحبر الأمة العالي الهمة العالم المابد الفقيه الزاهد ، وذكروا تاريخ وفاته رحمه الله تعالى .

وفيها احتيط ببغداد على شاعر يقشد للروافض أشعاراً في ثلب الصحابة وسبهم ، وتهجين من يحبهم ، ففقد له مجلس بأمر الخليفة ثم استنطق فإذا هو رافض خبيث داعية إليه ، فألقى الفقهاء بقطع لسانه ويديه ، ففعل به ذلك ، ثم اختطفته السامة فزالوا يرمونه بالآجر حتى ألقى نفسه في دجلة فاستخرجوه منها فقتلوه حتى مات ، فأخذوا شريطاً وربطوه في رجله وجروه على وجهه حتى طافوا به البلد جميع الأسواق ، ثم أقروه في بعض الاتونة مع الآجر والكلس ، وهجز الشرط عن تخليصه منهم

وفيها توفى من الأعيان ﴿أسعد بن بركك الجبريلي﴾

مع الحديث وكان شيخاً عريضاً طويلاً المذاكرة جيد المبادرة ، توفى عن مائة سنة وأربع سنين .

﴿الحيص بيص﴾

أسعد بن محمد بن أسعد [الملقب] شهاب الدين ، أبو الفوارس المعروف بحيص بيص ، له ديوان شعر مشهور ، توفى يوم الثلاثاء خامس شهر شعبان من هذه السنة ، وله ثلثان وثمانون سنة ، وصلى عليه بالنظامية ، ودفن بباب التين ، ولم يقب ، ولم يكن له في المراسلات بديل ، كان يتقعر فيها ويتفاحح بها ، فلا تواتيه إلا وهي معجزة ، وكان يزعم أنه من بني تميم ، فقتل أبوه عن ذلك قتالاً ما سمعته إلا منه ، وقال بعض الشعراء بهجوه فيها ادعاءه من ذلك :

كم تبادى وكم تطيل طرطو * رك وما فيك شعرة من تميم
فكل الضب وأقرط الخنظل اليا * يس واشرب ان شئت يول الظليم
فليس ذا وجه من يضيف ولاية * رى ولا يدفع الأذى عن حريم

ومن شعر الحيص بيص الجيد :

سلامة المرء ساعة محب * وكل شيء لحفته سبب
يفر والخادقات تطلبه * يفر منها ونحوها الحرب
وكيف يبقى على قلبه * مسلماً من حياته المطب

ومن شعره أيضاً :

لا تلبس الدهر على غرة * فاما موت الحى من بد
ولا يخادعك طول البقا * فتحسب التطويل من خلد
يقرب ما كان آخرأ * ما أقرب المهد من الهد

ويقرب من هذا ما ذكره صاحب العقد أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي في عقده :

ألا إنما الدنيا غصارة أيلة * إذا اخضر منها جانب جف جانب
وما الدهر والآمال إلا فجائع * عليها وما افئدت إلا مصائب
فلا تكتحل حينئذ منها بعمرة * على ذاهب منها فانك ذاهب

وقد ذكر أبو أسعد السمعاني حيص بيص هذا في ذبلة وأثنى عليه ، وجمع عليه ديوانه ورسائله ، وأثنى على رسائله القاضى ابن خلكان ، وقال : كان فيه تيه وتماظم ، ولا يتكلم إلا مرعياً ، وكان قتيها شافئ المذهب ، واشتغل بطلواف وعلم النظر ، ثم تشاغل عن ذلك كله بالشعر ، وكان من أخير الناس بأشعار العرب ، واختلاف لغاتهم . قال : وإنما قيل له الحيص بيص ، لأنه رأى الناس في حركة

واخضلاط ، قال : ما للناس في حيص بيص ، أي في شروهمج ، فغلب عليه هذه الكلمة ، وكان يزعم أنه من ولد أكرم بن صفي طبيب العرب ، ولم يترك عقباً . كانت له حوالة بالخلعة فنهب بتقاضها فتوفي ببغداد في هذه السنة .

(محمد بن نسيم)

أبو عبد الله الخليل ، عتيق الرئيس أبي الفضل بن عيسون ، سمع الحديث وقارب الثمانين ، سقط من درجة قلت . قال : أنشدني مولى الدين يعني ابن حلام الحكيم بن عيسون .

للقارئ المحزون أجدر بالتقى * من راهب في ديره متقوس
ومراقب الأفلاك كانت نفسه * ببادة الرحمن أخرى الأنفس
والماسح الأرضين وهي فسيحة * أولى بمسح في أكف العس
أولى بمشية ربه من جاهل * بثلاث ومربع وخمس

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمائة)

وفيها كانت وقعة مرج عيون استهلكت هذه السنة والسلطان صلاح الدين الناصر قازل بمجيشه على تل القاضى بانياس ، ثم قصده الفرنج يجمعهم قهض إليهم فاهوا إلا أن التقي الفريقان واصطلم الجندان ، فأنزله الله لصره وأعز جنده ، فقلت ألوية الصليبان ذاهبة وخيل الله لركبهم راكبة ، قتل منهم خلق كثير بوأمر من ملوكهم جماعة بوأابوا إلى السمع والطاعة ، منهم مقدم الداوية ومقدم الإيسبارية وصاحب الرملة وصاحب طبرية وقسطلان يافا وآخرون من ملوكهم ، وخلق من شجعانهم وأبطالهم ، ومن فرسان القدس جماعة كثير ونهرياً من ثلاثمائة أسير من أشرافهم ، فصاروا يهاونون في القيود . قال العماد : فاستعرضهم السلطان في الليل حتى أضاء الفجر ، وصلى يومئذ الصبح بوضوء المشاء ، وكان جالساً ليلته في نحو الشرين والفرنج كثير ، فسلمه الله منهم ، ثم أرسلهم إلى دمشق ليمتقلوا بقلعتها ، فافتدى ابن البارزاني صاحب الرملة نفسه بمائة ألف وخمسين ألف دينار صورية ، وإطلاق ألف أسير من بلاده ، فأجيب إلى ذلك ، وافتدى جماعة منهم أنفسهم بأموال جزيلة ، ومنهم من مات في السجن ، وافق أنه في اليوم الذي ظهر فيه السلطان بالفرنج بمرج عيون ، ظهر أسطول المسلمين على بطشة للفرنج في البحر وأخرى معها فقتلوا منها ألف رأس من السبي ، وطاد إلى الساحل مؤيداً منصوراً ، وقد امتدح الشعراء السلطان في هذه التزوة بمدائح كثيرة ، وكتب بذلك إلى بغداد فدفعت البشائر بها فرحاً وسروراً ، وكان الملك المظفر تقي الدين عمر غائباً عن هذه الوقعة مشتتلاً بما هو أعظم منها ، وذلك أن ملك الروم فرارسلان بمث يطلب حصن رعنان ، وزعم أن نور الدين اغتصبه منه ، وأن والده قد عصى ، فلم يجبه إلى ذلك السلطان ، فبعث صاحب الروم

عشرين ألف مقاتل يحاصرونه ، فأرسل السلطان تقي الدين عمر في ثمانمائة فارس منهم سيف الدين علي بن أحمد المشاوب ، فالتقوا معهم فمزموهم بإذن الله ، واستقرت يد صلاح الدين على حصن رحنان ، وقد كان مما عرض به ابن مقدم عن يمليك ، وكان تقي الدين عمر يشتخر بهذه الوقعة ويرى أنه قد هزم عشرين ألفاً ، وقيل ثلاثين ألفاً بثمانمائة ، وكان السبب في ذلك أنه بينهم وأغار عليهم ، فالبثوا بل فروا منهزمين عن آخرهم ، فأكثر فيهم القتل واستحوذ على جميع ما تركوه في خيامهم ، ويقال إنه كسرهم يوم كسر السلطان الفرنج بمرج عيون والله أعلم .

(ذكر تغريب حصن الاحزان)

وهو قريب من صند . ثم ركب السلطان إلى الحصن الذي كانت الفرنج قد بنوه في العام الماضي وحضروا فيه بئراً وجعلوه لهم حيناً ، وسلحوه إلى الهداوية ، قصده السلطان لحاصره وقببه من جميع جهاته ، وألقى فيه النيران وخر به إلى الأسس ، وغنم جميع ما فيه ، فكان فيه مائة ألف قطعة من السلاح ، ومن المأكل شيء كثير ، وأخذ منه سبعمائة أسير قتل بعضاً وأرسل إلى دمشق الباقي ، ثم عاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً ، غير أنه مات من أمراضه عشرة بسبب ما ظلم من الحر والولاء في مدة الحصار ، وكانت أربعة عشر يوماً ، ثم إن الناس زاروا مشهد يعقوب على عادتهم ، وقد امتدحه الشراء فقال بعضهم :

يجدك أعطاف التنا قد تعطف • وطرف الأمدى دون جحك يطر
شهاب هدى في ظلة الليل ثاقب • وسيف إذا ما هزه الله مرهف
وقفت على حصن المحاض وإنه • لموقف حق لا يوازيه موقف
فلم يبد وجه الأرض بل حال دونه • رجال كآساد الثرى وهى ترجف
وجرد سلوب ودرع مضاعف • وأبيض هندي ولبن مهف
وما رجعت أعلامك البيض ساعة • إلا غلت أكبادها السود ترجف
كنائس أغنياد صليب وبيعة • وشاد به دين حنيف ومصنف
صليب وعباد الصليب ومنزل • لنوال قد غادرته وهو مصنف
أنسكن أوطان النبيين عصبة • تمين لدى أيمانها وهى تحلف
نصحتكم والنصح في الدين واجب • فدروا بيت يعقوب قد جاء يوسف

وقال آخر :

هلاك الفرنج أرى عجلاً • وقد آن تكسير صلباتها
ولم يكن قد دنا حنتها • لما حرت بيت أحزانتها

من كتاب كتبه القاضي الفاضل إلى بغداد في خراب هذا الحصن . وقد قيس عرض حائطه فزاد على عشرة أذرع وقطعت له عظام الحجارة كل فص منها سبعة أذرع ، إلى ما فوقها ومادونها ، وعندها تزيد على عشرين ألف حجر ، لا يستقر الحجر في بنيانه إلا بأربعة دنانير فما فوقها ، وفيها بين الحائطين حشو من الحجارة الضخمة الصم ، أتواها من رؤس الجبال الشم ، وقد جمعت شعبيته بالكلس الذي إذا أحاطت بالحجر مازجه بمثل جسمه ، ولا يستطيع الحديد أن يتعرض إلى حممه . وفيها أقطع صلاح الدين ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بملك . وأغار فيها على صفت وأعمالها ، قتل طائفة كبيرة من مقاتليها ، وكان فروخ شاه من الصناديد الأبطال .

وفيها حج القاضي الفاضل من دمشق وعاد إلى مصر فجلس في الطريق أهوالا ، ولقي ترحاً وتعباً وكلالا ، وكان في العام الماضي قد حج من مصر وعاد إلى الشام ، وكان ذلك العام في حقه أسهل من هذا العام . وفيها كانت زلزلة عظيمة أنهدم بسببها قلاع وقرى ، ومات خلق كثير فيها من الوري ، وسقط من رؤس الجبال صخور كبار ، وصاحمت بين الجبال في البراري والقفار ، مع بعد ما بين الجبال من الأقطار . وفيها أصاب الناس غلاء شديد وفناء شريد وجهد جبيد ، فمات خلق كثير بهذا وهذا ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

(ذكر وفاة المستنصر بأمر الله وشي من ترجمته)

كان ابتداء مرضه أواخر شوال فأرادت زوجته أن تتركه فلم يمكنها ، ووقعت فتنة كبيرة ببغداد ونهبت العوام دوراً كثيرة ، وأموالا جزيلة ، فلما كان يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال خطب لولي العهد أبي المباس أحمد بن المستنصر ، وهو الخليفة الناصر لدين الله ، وكان يوماً مشهوداً نثر الذهب فيه على الأطباء والمؤذنين ، ومن حضر ذلك ، عند ذكر اسمه على المنبر . وكان مرضه بالحى ابتدأها يوم عيد الفطر ، ولم يزل الأمر يتزايد به حتى استكمل في مرضه شهراً ، ومات سلخ شوال ، وله من العمر تسع وثلاثون سنة ، وكانت مدة خلافته تسع سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً ، وغسل وصلى عليه من الغد . وحفن بدار النصر التي بناها ، وذلك من وصيته التي أوصاها ، وترك ولدين أحدهما ولي عهده وهو عمة الدنيا والدين ، أبو المباس أحمد الناصر لدين الله ، والآخر أبو منصور هاشم ، وقد وزر له جماعة من الرؤساء ، وكان من خيار الخلفاء ، أمراً بالمرء فهاجماً عن المنكر ، مزيلاً عن الناس المكوسات والضرائب ، مبطلا للبيع والمعايب ، وكان حلياً وقوراً كريماً ، وجميع بالخلافة من بعده لولده الناصر .

(إبراهيم بن حل)

وفيها توفي من الأعيان . المعروف بابن الفراء الأموى ثم البغدادي ، كان فاضلاً مناضلاً

قصيحاً بليغاً شاعراً ، توفي عن أربع وسبعين سنة ، وصلى عليه أبو الحسن التزويني مندوس النظامية

﴿ إسماعيل بن موهوب ﴾

ابن محمد بن أحمد الخضر أبو محمد الجواليقي ، حجة الاسلام ، أحد أئمة اللغة في زمانه والمشار إليه من بين أقرانه بحسن الدين وقوة اليقين ، وعلم اللغة والنحو ، وصدق الهمجة وخلوص النية ، وحسن السيرة في مراه ومنشأه ومنتهاه ، سمع الحديث وسمع الأثر واتبع سبيله ومرامه ، رحمه الله تعالى .

﴿ المبارك بن علي بن الحسين ﴾

أبو محمد ابن الطليخ البندادي ، نزيل مكة ومجاورها ، وحافظ الحديث بها والمشار إليه بالعلم فيها . كان يوم جنازته يوماً مشهوداً .

﴿ ذكر خلافة الناصر لدين الله أبي المباس أحمد بن المستنقضي بأمر الله ﴾

لما توفي أبوه في صاخر شوال من سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، بإيعاز الأمراء والوزراء والكبراء والخاصة والعامة ، وكان قد خطب له على المنابر في حياة أبيه قبل موته بيسير ، فقبل لأنه إنما عهد له قبل موته بيوم ، وقيل بأسبوع ، ولكن قدر الله أنه لم يختلف عليه اثنا عشر يوماً ، ولقب بالناصر ، ولم يل الخلافة من بني المباس قبله أطول مدة منه ، فإنه مكث خليفة إلى سنة وفاته في ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وكان ذكياً شجاعاً مهيباً كما سيأتي ذكر سيرته عند وفاته . وفي سابع ذي القعدة من هذه السنة عزل صاحب الخزن ظهر الدين أبو بكر بن المطار ، وأعين غاية الإهانة ، هو وأصحابه وقتل خلق منهم ، وشهر في البلد ، وتمكن أمر الخليفة للناصر وعظمت هيئته في البلاد ، وقام قائم الخلافة في جميع الأمور . ولما حضر عيد الأضحى أقيم على ماجرت به العادة والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة ﴾

فيها هادن السلطان صلاح الدين الفرنج ومار إلى بلاد الروم فأصلح بين ملوكها ، من بين أرتق وكر على بلاد الأرمن فأقام عليها وقمع بعض حصونها ، وأخذ منها غنائم كثيرة جداً ، من أواني الفضة والذهب ، لأن ملكها كان قد غدر بقوم من التركمان ، فردد إلى بلاده ثم صالحه على مال يحميه إليه وأسارى يطلقهم من أمره ، وآخرين يستقدم من أيدي الفرنج ، ثم حاد مؤيداً منصوراً فدخل حماه في أول شهر جمادى الآخرة ، وأمنته الشراء على ذلك ، ومات صاحب الموصل سيف الدين غازي بن مودود ، وكان شجاعاً حسن الملبس الشكلى ، قلم القامة ، مدور اللحية ، مكث في الملك عشر سنين ، ومات عن ثلاثين سنة ، وكان حفيظاً في نفسه ، مهيباً وقوراً ، لا يلتفت إذا ركب وإذا جلس ، وكان غيوراً لا يدع أحداً من اعظم الكبار يدخل على النساء ، وكان لا يقدم على سفك الدماء ، وكان ينسب إلى شيء من البخل ساءحه الله ، توفي في ثالث صفر ، وكان قد حزم على أن يحمل

الملك من بعده لولده عز الدين سنجر شاه ، فلم يواقع الأمراء خوفا من صلاح الدين لصفرته ، فاتفقوا
كلهم على أخيه فأجلس مكانه في المملكة ، وكان يقال له عز الدين مسعود ، وجعل مجاهد الدين قائما
نائبه ومدير مملكته . وجاءت رسل الخليفة يلتزمون من صلاح الدين أن يبقى سروج والزها والركة ،
وحران والخابور ونصيبين في يده كما كانت في يد أخيه ، فامتنع السلطان من ذلك ، وقال : هذه
البلاد هي حفظ فنور المسلمين ، وإتمام تركتها في يده ليساعدنا على غزو الفرنج ، فلم يفعل ذلك ، وكتب
إلى الخليفة يعرفه أن المصلحة في ترك ذلك عونا للمسلمين .

وفاة السلطان توران شاه

فيها توفي السلطان الملك المعظم فمضى الدولة توران شاه بن أيوب ، أخى الملك صلاح الدين ،
وهو الذى افتتح بلاد الجبل من أمر أخيه ، فكث فيها حيناً وافتنى منها أموالاً جزيلة ، ثم استناب
فيها وأقبل إلى الشام شوقاً إلى أخيه ، وقد كتب إليه في أثناء الطريق شعراً عمله له بعض الشعراء ،
يقال له ابن المنجم ، وكانوا قد وصلوا إلى حما : -

هل لآخى بل مالكي علم بالذى • إليه وإن طال التردد راجع
ولم يبق إلا دون عشرين ليلة • ويحيى ألقا أبصارنا والسماع
إلى ملك تمنو الملوك إذا بدا • وتخشع إعظامنا له وهو خاشع
كثبت وأشواق إليك ببعضها • تملت النوح الحمام السواجع
وما الملك إلا راحة أنت زندها • تضم على الدنيا ونحن الأصابع

وكان قدومه على أخيه سنة إحدى وسبعين وخمسة ، فشهد معه مواقف مشهودة محمودة ،
واستنابه على دمشق مدة ، ثم صار إلى مصر فاستنابه على الاسكندرية فلم يواقع ، وكانت تعذبه
التوائج فأتى في هذه السنة ، ودفن بقصر الامارة فيها ، ثم قتلته أخته ست الشام بنت أيوب فدفنته
بقرتها التي بالشامية البرانية ، بقبره القبلي ، والوسطاى قبر زوجها وابنهما ناصر الدين محمد بن
أسد الدين شيركوه ، صاحب حماه والرجبة ، والموخر قبرها ، والقرية الحسامية منسوبة إلى ولدها
حسام الدين عمر بن لاشين ، وهى إلى جانب المدرسة من غربها ، وقد كان توران شاه هذا كريماً
شجاعاً عظيم الهيبة كبير النفس ، واسع النقة والمطاء ، قال فيه ابن سعدان الحلبي :

هو الملك إن تسبح بكسرى وقيصر • فأنهما في الجود والبأس عبدا
وما حاتم ممن يقاس بمثله • نخذ ما رأيناه ودع ما روينا
وقد بلاء مستجيراً فإنه • يجيرك من جور الزمان وهودا

ولا تحمل السحاب منه إذا • هطلت جودا سحاب كفاه
 فترسل كفاه بما اشتق منها • فلقين يمناه ولبسر يسراه
 ولما بلغ موته أخاه صلاح الدين بن أيوب وهو مخيم بظاهر حمص ، حزن عليه حزنا شديدا ،
 وجعل ينشد باب المراثي من الحاسة وكانت مخفوفة .

وفي رجب منها قدمت رسل الخليفة الناصر وخلع وهدايا إلى الناصر صلاح الدين ، فلبس خلمة
 الخليفة بدمشق ، وزيت له البلد ، وكان يوما مشهودا . وفي رجب أيضا سار السلطان إلى مصر
 لينظر في أحوالها ويصوم بها رمضان ، ومن عزمه أن يهيج عامه ذلك ، واستناب على الشام ابن أخيه
 عز الدين فروخ شاه ، وكان عزير المثل عزيز الفضل ، فكتب القاضي الفاضل عن الملك المعادل أبي
 بكر إلى أهل اليمن والبقيع ومكة يعلمهم بعزم السلطان الناصر على الحج ، ومعه صدر الدين أبو القاسم
 عبد الرحيم شيخ الشيوخ ببغداد ، الذي قدم من جهة الخليفة في الرسالة ، وجاء بالخلع ليكون في خدمته
 إلى الديار المصرية ، وفي صحبته إلى الحجاز ، فدخل السلطان مصر وتلقاه الجيش ، وأما شيخ
 الشيوخ فاته لم يتم بها إلا قليلا حتى توجه إلى الحجاز في البحر ، فأدرك الصيام في المسجد الحرام .
 وفيها سار قراقوش التتوي إلى المغرب فحاصرها فأس وقلاع كثيرة حولها ، واستحوذ على
 أكثرها ، واتفق له أنه أسر من بعض الحصون غلاما أسود فأراد قتله فقال له أهل الحصن لا تقتله
 وخذ لك دينه عشرة آلاف دينار ، فأبى فأوصله إلى مائة ألف ، فأبى إلا قتله فقتله ، فلما قتله نزل
 صاحب الحصن وهو شيخ كبير ومعه مفااتيح ذلك الحصن ، فقال له خذ هذه فأبى شيخ كبير ،
 وإنما كنت أحفظه من أجل هذا الصبي الذي قتله ، ولئى أولاد دأخ أكره أن يملكوه بعدى ،
 فأقره فيه وأخذ منه أموالا كثيرة .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ الحافظ أبو طاهر السلفي ﴾

أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفه الحافظ الكبير المعمر ، أبو طاهر السلفي الأصمبائي ، وإنما قيل
 له السلفي لجدته إبراهيم سلفه ، لأنه كان مشقوق إحدى الشفتين ، وكان له ثلاث شغاه فسمته الأعاجم
 لذلك . قال ابن خلكان : وكان يلقب بصدر الدين ، وكان شافعي المنهج ، ورد بغداد واشتغل بها
 على الكيا المراسي ، وأخذ الفقه عن الخطيب أبي زكريا . يحيى بن علي التبريزي مع الحديث
 الكثير ورحل في طلبه إلى الآفاق ثم نزل ثمر الاسكندرية في سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وبني
 له المعادل أبو الحسن علي بن السلاو وزير الخليفة الظاهر مدرسة ، وفوضها إليه ، فهي معروفة به إلى
 الآن . قال ابن خلكان : وأما أماليه وكتبه وتعاليقه فكثيرة جدا ، وكان مولاه فيها ذكر المصريون
 سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة ، وقيل الحافظ عبد التقي عنه أنه قال اذكر مقتل نظام الملك في سنة

خمس وثمانين وأربعمائة ببغداد ، وأما ابن عشرينياً ، وهـل أبو القاسم الصفراوى أنه قال : مولى بالتخمين لا باليقين سنة ثمان وسبعين ، فيكون مبلغ عمره ثمانيا وتسعين سنة ، لأنه توفى ليلة الجمعة خامس ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة بـنـفر الاسكندرية والله أعلم ، ودفن بوعلة ، وفيها جماعة من الصالحين . وقد رجح ابن خلكان قول الصفراوى ، قال ولم يبلغنا من ثلاثمائة أن أحدا جاوز المائة إلا القاضى أبا الطيب الطبرى ، وقد ترجمه ابن عساكر فى تاريخه ترجمة حسنة ، وإن كان قد مات قبله بخمس سنين ، فذكر رحلته فى طلب الحديث ودورانه فى الأقاليم ، وأنه كان يتصوف أولا ثم أقام بـنـفر الاسكندرية ونزوح بامرأة ذات يسار ، فحسنت حاله ، وبلت عليه مدرسة هناك ، وذكر طرفا من أشعاره منها قوله :

أَتَأْمَنُ لِلْأَمِّ النِّيَّةَ بَقْتَةً * وَأَمَّنَ الْفَقْرَ جَهْلٌ وَقَدْ خَبِرَ الدَّهْرَ
وَلَيْسَ بِجَانِبِ الدَّهْرِ فِي دَوْرَانِهِ * أَرَأَيْتَ أَهْلِيهِ وَلَا السَّادَةَ الزَّهْرَ
وَكَيْفَ وَقَدْ مَاتَ النَّهْيُ وَصَحْبِهِ * وَأَزْوَاجُهُ طَرَا وَطَلْعَةُ الزَّهْرِ
وَلَهُ أَيْضًا : يَا قَاصِدَا حِلْمِ الْحَدِيثِ لَدِينَهُ * إِذْ ضَلَّ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَايَةِ وَهَمِهِ
إِنْ الْعُلُومَ كَمَا عَلِمْتَ كَثِيرَةً * وَأَجْلَهَا قَهَّ الْحَدِيثُ وَعِلْمُهُ
مَنْ كَانَ طَالِبَهُ وَفِيهِ تَقِيقُ * قَاتِمَ سَهْمٍ فِي الْمَعَالِي سَهْمِهِ
لَوْلَا الْحَدِيثُ وَأَهْلُهُ لَمْ يَسْتَقِم * دِينَ النَّبِيِّ وَشَدَّ عَنَا حَكَمَهُ
وَإِذَا اسْتَرَابَ بِقَوْلِنَا مُتَحَدِّقٍ * مَا كُلُّ فِهْمٍ فِي الْبَسِيطَةِ فِهْمِهِ
﴿ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسَمِائَةٍ ﴾

استهلت وصلاح الدين مقيم بالقاهرة ، واغلب على سماع الحديث ، وجاءه كتاب من نائبه بالشام عز الدين فروخ شاه يخبره فيه بما من الله به على الناس من ولادة النساء بالتوأم جبراً لما كان أصابهم من الوباء بالعالم الماضى والفتاء ، و بأن الشام خصبة بأذن الله لما كان أصابهم من الغلاء . وفى سؤال توجيه الملك صلاح الدين إلى الاسكندرية لينظر ما أمر به من تحصين سورها وصارة أبراجها وقصورها ، وصحح بها موثقاً مائة على الشيخ أبى طاهر بن خوف ، عن الطرطوشى ، وسمع منه الماد الكاتب ، وأرسل القاضى الفاضل رسالة إلى السلطان يهنئه بهذا السماع .

﴿ ذَكَرَ وَفَاةَ الْمَلِكِ الصَّالِحِ بْنِ تَوْرٍ الدِّينِ الشَّهِيدِ ﴾

« صَاحِبِ حَلَبٍ وَمَا جَرَى بَعْدَهُ مِنَ الْأُمُورِ »

كانت وفاته فى الخامس والعشرين من رجب من هذه السنة بقلمة حلب ، ودفن بها ، وكان سبب وفاته فيما قيل أن الأمير علم الدين سليمان بن حيدر سقاها سباً فى عنقود عنب فى الصيد ، وقيل

بل سقاء ياقوت الأسدي في شراب فاعتراه قولنج فزال كذلك حتى مات وهو شاب حسن الصورة ، بهي المنظر ، ولم يبلغ عشرين سنة ، وكان من أعف الملوك ومن أشبه أباه فاطم ، وصف له الأطباء في مرضه شرب الخمر فاستغنى القمها في شربها تداويا فأنقوه بذلك ، فقال : أيزيد شربها في أجلى أو ينقص منه تركها شيئا ؟ قالوا : لا قال : فوالله لا أشربها وألتي الله وقد شربت ما حرمه على . ولما يئس من نفسه استعدا الأمراء خلفهم لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل ، لقوة سلطانه وتمكنه ، ليعتصم من صلاح الدين ، وخشى أن يبالي لابن عمه الآخر حماد الدين زنكي ، صاحب سنجار ، وهو زوج أخته وتربية والده ، فلا يمكنه حفظها من صلاح الدين ، فلما مات استدعى الحلبيون عز الدين مسعود بن قطب الدين ، صاحب الموصل ، فجاء إليهم فدخل حلب في أبهة عظيمة ، وكان يوماً مشهوداً ، وذلك في العشرين من شعبان ، فقتل خزائنها وحواصلها . وما فيها من السلاح ، وكان تقي الدين عمه في مدينة منبج فهرب إلى حماه فوجد أهلها قد نادوا بشعار صاحب الموصل وأطعم الحلبيون مسعوداً بأخذ دمشق لقبية صلاح الدين عنها ، وأعطوه حبة أهل الشام لهذا البيت الابكي نور الدين ، فقال لهم : بيننا وبين صلاح الدين أيمان وعهود ، وأنا لا أخدعه به ، فأقام بحلب شهوراً وتزوج بأرم الملك الصالح في شوال ، ثم سار إلى الرقة فقتلها وجاءه رسل أخيه حماد الدين زنكي يطلب منه أن يقايضه من حلب إلى سنجار ، وألح عليه في ذلك ، وتمنع أخوه ثم فعل على كره منه ، فسلم إليه حلب وتسلم عز الدين سنجار والخابور والرقة ونصيبين وسروج وغير ذلك من البلاد . ولما جمع الملك صلاح الدين بهذه الأمور ركب من الديار المصرية في عساكره فسار حتى أتى الفرات فعبرها ، وخامر إليه بعض أمراء صاحب الموصل ، وتهيأ صاحب الموصل عن لقائه ، واستحوذ صلاح الدين على بلاد الجزيرة بكاملها ، وهم بمحاصرة الموصل فلم يتفق له ذلك ، ثم جاء إلى حلب فقتلها من حماد الدين زنكي لضغنه من مماثلتها ، ولقلة ما ترك فيها عز الدين من الأسلحة ، وذلك في السنة الآتية .

وفيها هزم البرلس صاحب الكرك على قصد تيماء من أرض الحجاز ، لينوصل منها إلى المدينة النبوية ، فجهز له صلاح الدين سرية من دمشق تكون حاجزة بينه وبين الحجاز ، فصدته ذلك من قصده . وفيها ولي السلطان صلاح الدين أخاه سيف الاسلام ظهير الدين طنتكين بن أيوب نيابة اليمن ، وأرسله إليها ، وذلك لاختلاف نوابها واضطراب أصحابها ، بعد وفاة المعظم أخي السلطان ، فسار إليها طنتكين فوصلها في سنة ثمان وسبعين ، فسار فيها أحسن سيرة ، واحتاط على أموال حطان بن منقذ صاحب زيد ، وكانت تقارب ألف ألف دينار أو أكثر ، وأما نائب عدن نغرا الدين عثمان [الزنجيلي] فإنه خرج من اليمن قبل قدوم طنتكين فسكن الشام ، وله أوقاف مشهورة

باليمن ومكة ، وإليه تلمس المدرسة الزنكبيلية ، خارج يلب توما ، تجاه دار المطعم ، وكان قد حصل من اليمن أموالا عظيمة جدا .

وفيها غدرت الفرنج وهضت جهودها ، وقطعوا السبل على المسلمين برا وبحرا وسرا وجهرا ، فأمكن الله من لطيشة عظيمة فيها نحو من ألفين وخمسمائة من مقاتلتهم المدودين ، ألقاها الموج إلى نهر ديباط قبل خروج السلطان من مصر ، فأحيط بها ففرق بعضهم وحصل في الأسر نحو ألف وسبعمائة . وفيها سار قراقوش إلى بلاد إفريقية ففتح بلادا كثيرة ، وقاتل عسكر ابن عبد المؤمن صاحب المغرب ، واستفحل أمره هناك ، وقراقوش مملوك لقي الدين عمر بن أخي السلطان صلاح الدين ، ثم عاد إلى مصر فأمره صلاح الدين أن يتم السور المحيط بالقاهرة ومصر ، وذلك قبل خروجه منها في هذه السنة ، وكان ذلك آخر عهد بها حتى توفاه الله بعد أن آفاه الله بلوغ مناه ، ففتح عليه بيت المقدس وما حوله ، ولما خيم بارزاً ، من مصر وأولاده حوله جمل يشمهم ويقبلهم ويضمهم فأشد بعضهم في ذلك :

تمتع من فعيم عرار نجد * فما بعد المشية من عرار
وكان الأمر كما قال ، لم يعد إلى مصر بعد هذا العام ، بل كان مقامه بالشام . وفيها ولد للسلطان ولدان أحدهما العظيم نوران شاه ، والملك الحسن أحمد ، وكان بين ولادتهما سبعة أيام ، فزيلت البلاد واستمر الفرح أربعة عشر يوماً .

وفيها توفي من الأعيان . ﴿ الشيخ كمال الدين أبو البركات ﴾

عبد الرحمن بن محمد بن أبي السماعات ، عبيد الله بن محمد بن عبيد الله الأنباري النحوي الفقيه المأبد الزاهد ، كان خشن العيش ، ولا يقبل من أحد شيئاً ، ولا من الخليفة ، وكان يحضر نوبة الصوفية بدار الخلافة ، ولا يقبل من جوائز الخليفة ولا فلساً ، وكانت مثابراً على الاشتغال ، وله تصانيف مفيدة ، توفي في شعبان من هذه السنة . قال ابن خلكان : له كتاب أسرار العربية مفيد جدا ، وطبقات النعامة ، مفيد جدا ، وكتاب الميزان في النحو أيضاً ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ﴾

في خامس محررها كان يروز السلطان من مصر فاصلاً دمشق لأجل الفزو والاحسان إلى الرعايا وكان ذلك آخر عهد بمصر ، وأغار بطريقه على بعض نواحي بلاد الفرنج ، وقد جعل أخاه تاج الملوك يوردي بن أيوب على الميمنة ، فالتقوا على الأزرق بعد سبعة أيام ، وقد أغار عز الدين فروخ شاه على بلاد طبرية واقتنع حصونا جيدة ، وأمر منهم خلقاً ، واغتمت عشرين ألف رأس من الأنعام ، ودخل الناصر دمشق سابع صفر ثم خرج منها في الشهر الأول من ربيع الأول ، فاقتتل مع الفرنج

في نواحي طبرية ويسان تحت حصن كوكب ، قتل خلق من الفريقين ، وكانت النصر لل المسلمين على الفرنج ، ثم رجع إلى دمشق مؤيداً منصوراً ، ثم ركب فاصداً حلب وبلاد الشرق ليأخذها وذلك أن المواصلة والحلبين كاتبوا الفرنج على حرب المسلمين ، فقاتل الفرنج على بعض أطراف البلاد ليشغلوا الناصر عنهم بنفسه ، فجاء إلى حلب فحاصرها ثلاثاً ، ثم رأى المدبول عنها إلى غيرها أولى ، فسار حتى بلغ الفرات ، واستحوذ على بلاد الجزيرة والرها والزقة ونصيبين ، وخضعت له الملوكة ، ثم عاد إلى حلب فتسلمها من صاحبها عماد الدين زنكي ، فاستولقت له الممالك شرقاً وغرباً ، وتمكن حينئذ من قتال الفرنج .

فصل

ولما هجز ابرنس الكرك من إيصال الأذى إلى المسلمين في البر ، حل مراكب في بحر القلزم ليقطعوا الطريق على الحجاج والتجار ، فوصلت أذيتهم إلى عيذاب ، وخاف أهل المدينة النسيوية من شرهم ، فأمر الملك العادل الأمير حسام الدين لؤلؤ صاحب الأسطول أن يعمل مراكبه في بحر القلزم ليحارب أصحاب الابرنس ، ففعل ذلك فظفر بهم في كل موطن ، قتلوا منهم وحرقوا وغرقوا وسبوا في مواطن كثيرة ، ومواقف هائلة ، وأمن البر والبحر باذن الله تعالى ، وأرسل الناصر إلى أخيه العادل ليشكر ذلك عن مساعيه ، وأرسل إلى ديوان الخليفة يرفعهم بذلك .

(فصل في وفاة المنصور عز الدين)

فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك وقائب دمشق لعمه الناصر ، وهو والده الأجدد بهرام شاه صاحب بعلبك بعد أبيه ، وإليه تنسب المدرسة الفروخ شاهية بالشرق الشامي بدمشق ، وإلى جانبها القربة الأجددية لولده ، وهما وقف على الخفية والشافعية ، وقد كان فروخ شاه شجاعاً شهماً حاقلاً ذكياً كريماً ممدحاً ، امتدحه لشعراء الفضله وجوده ، وكان من أكبر أصحاب الشيخ تاج الدين أبي اليمن الكندي ، عرفه من مجلس القاضى الفاضل ، فأتى إليه ، وكان يحسن إليه ، وله والهاد الكاتب فيه مدائح ، وكان ابنه الأجدد شاعراً جيداً ، وله عم أبيه صلاح الدين بعلبك بعد أبيه ، واستمر فيها مدة طويلة ، ومن محاسن فروخ شاه محبته لتاج الدين الكندي وله شعر رائع :

أنا في أسر السقام • وهو في هذا القلزم • رشا برشق عينا • • فؤادى بسهام
كلما أرتشقى • • على حر الأوام • • ذقت منه الش • • هد المصطفى للمدام
وقد دخل يوما الحمام فرأى رجلا كان يعرفه من أصحاب الأموال ، وقد نزل به الحال حتى إنه كان يستتر ببعض ثيابه لئلا تبدو عورته ، فرق له وأمر غلامه أن ينقل بقية وبساطا إلى موضع الرجل ،

وأمره فأحضر ألف دينار و بغلة وتويعها له في كل شهر بشرين ألف دينار ، فدخل الرجل الحمام فقيرا
 وخرج منه غنيا ، فرحة الله على الأجواد الجياد

وفيهما توفي من الأعيان . ﴿ الشيخ أبو العباس ﴾

أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد المروف بابن الرافعي ، شيخ الطائفة الأحمدية
 الرافعية البطائحية ، لسكنه أم عبيدة من قرى البطائح ، وهي بين البصرة وواسط ، كان أصله من
 العرب فسكن هذه البلاد ، والتف عليه خلق كثير ، ويقال : إنه حفظ التلبية في الفقه على منذهب
 الشافعي . قال ابن خلكان : ولاتباعه أحوال محيية من أكل الحيات وهي حية ، والدخول في النار
 في التناوير وهي تضطرم ، ويلعبون بها وهي تشتعل ، ويقال إتهم في بلادهم بركبون الأسود .
 وذكر ابن خلكان أنه قال وليس للشيخ أحمد عقب ، وإنما النسل لأخيه وذريته يتوارثون المشيخة
 بتلك البلاد . وقال : ومن شره على ما قيل :

إذا جن ليلى هام قلبي بذكركم * أنوح كما فاح الحمام المطوق
 وفوق سحاب يحمر الهم والأسى * ونحى بحار بالأسى تتدفق
 سلوا أم هرو كيف بات أسيرها * فلك الأسارى دونه وهو موثق
 فلا هو مقتول في القتل راحة * ولا هو ممنون عليه فيطلق
 ومن شره قوله :

أغار عليها من أبيها وأما * ومن كل من يدنو إليها وينظر
 وأحسد للمرأة أيضا بكفها * إذا نظرت مثل القى أنا أنظر

قال : ولم يزل على تلك الحال إلى أن توفي يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى
 من هذه السنة . ﴿ خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال ﴾

أبو القاسم القرطبي الحافظ المحدث المؤرخ ، صاحب التصانيف ، له كتاب الصلاة جمعه ذبلا على
 تاريخ أبي الوليد بن الغرضي ، وله كتاب المستفيثين بالله ، وله مجلد في تبيين الأسماء المبهمة على
 طريق الخطيب ، وله أسماء من روى الموطأ على حروف المعجم ، بلغوا ثلاثة وسبعين رجلا ، مات
 في رمضان من أربع وثمانين سنة .

﴿ العلامة قطب الدين أبو المال ﴾

مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري ، فقه على محمد بن يحيى صاحب النزالي ، قدم دمشق
 ودرس بالنزالية والمجاهدية ، وبجلب بمدرسة نور الدين وأسد الدين ، ثم بهمدان ، ثم رجع إلى دمشق
 ودرس بالنزالية وانتهت إليه رئاسة المنصب ، ومات بها في صليخ رمضان يوم العيد سنة ثمان وسبعين

وخمسة ، من ثلاث وتسعين سنة ، وعنه أخذ الفخر ابن صاكر وغيره ، وهو الذي صلى على الحافظ ابن صاكر والله سبحانه أعلم .

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسة)

في رابع عشر محرمها تسلم السلطان الناصر مدينة آمد صلحا بعد حصار طويل ، من يد صاحبها ابن بيسان ، بعد حمل ما أمكنه من حواصله وأمواله مدة ثلاثة أيام ، ولما تسلم البلد وجد فيه شيئا كثيرا من الحواصل وآلات الحرب ، حتى إنه وجد برجاً مملوءاً بنصول النشاب ، وبرجاً آخر فيه مائة ألف قمعة ، وأشياء يطول شرحها ، ووجد فيها خزانة كتب ألف ألف مجلد ، وأربعين ألف مجلد ، فوجها كلها للقاضي الفاضل ، فانتخب منها حل سبعين حارة . ثم وهب السلطان البلد بما فيه لنور الدين محمد بن قرا أرسلان - وكان قد وعد بها - قيل له : إن الحواصل لم تدخل في الهبة ، فقال : لا يخل بها عليه ، وكان في خزائنها ثلاثة آلاف ألف دينار ، فامتدحه الشراء على هذا الصنيع . ومن أحسن ذلك قول بعضهم :

قل للولك تحوا من ممالككم • قد أتى آخذ الدنيا ومطعها

ثم سار السلطان في بقية الحرم إلى حلب فحاصرها وقتله أهلها قتلا شديداً ، ففرح أخو السلطان تاج الملوكة بوري بن أيوب جرماً بليغاً ، فأتى منه بعد أيام ، وكان أصغر أولاد أيوب ، لم يبلغ عشرين سنة ، وقيل إنه جاوزها بثنتين ، وكان ذكياً فها ، له ديوان شر لطيف ، فحزن عليه أخوه صلاح الدين حزناً شديداً ، ودفعه بحلب ، ثم نقله إلى دمشق ، ثم اتفق الحال بين الناصريين وصاحب حلب حماد الدين زنكي بن آقسنقر على عوض أطلقه له الناصر ، بأن يرد عليه سنجار ويسلمه حلب ، ففرج حماد الدين من القلعة إلى خدمة الناصر وعزاه في أخيه ونزل عنده في الخيم ، ونقل أمثاله إلى سنجار ، وزاده السلطان الخابور والركة ونصيبين وسروج واشترط عليه لإرسال المسكر في الخيمة لأجل الفزاة في الفرنج ، ثم سار وودعه السلطان ومكث السلطان في الخيم يرى حلب أياماً غير مكثرت بحلب ولا وقتت منه موقفاً ، ثم صعد إلى قلعتها يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر ، وعمل له الأمير طهسان ولجعة عظيمة ، فثلا هذه الآية (وهو داخل في بابها) (قل اللهم مالك الملك) الآية . ولما دخل دار الملك تلا قوله تعالى (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم) الآية يوماً دخل مقام إبراهيم صلى فيه ركعتين وأطال السجود به ، والثناء والتضرع إلى الله ، ثم شرع في عمل ولجعة ، وضربت البشائر ، وخلع على الأمراء ، وأحسن إلى الرؤساء والقراء ، ووضعت الحرب أوزارها ، وقد امتدحه الشراء بمدايح حسنة . ثم إن القلعة وقتت منه بموقع عظيم ، ثم قال : ما سررت بفتح قلعة أعظم سروراً من فتح مدينة حلب ، وأسقطت عنها وعن سائر بلاد الجزيرة المكوس

والضرائب ، وكذلك من بلاد الشام ومصر ، وقد عاث الفرنج في غيبتة في الأرض فساداً ، فأرسل إلى عساكره فاجتمعوا إليه ، وكان قد بشر بفتح بيت المقدس حين فتح حلب ، وذلك أن الفقيه مجد الدين بن جيهل الشافعي رأى في تفسير أبي الحكم العربي عند قوله : (آلم غلبت الروم في أدنى الأرض) الآية ، الإشارة بفتح بيت المقدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسةائة ، واستدل على ذلك بأشياء ، فكتب ذلك في ورقة وأعطاها لفقهاء عيسى المسكاري ، ليشر بها السلطان ، فلم يتجاسر على ذلك خوفاً من عدم المطابقة ، فأعلم بذلك القاضي عيسى الدين بن الزكي ، فنظم معناها في قصيدة يقول فيها :

وفتحكم حلب الشهباء في صفر * قضى لكم بافتتاح القدس في رجب ^(١)
وقدما إلى السلطان فتأقت نفسه إلى ذلك ، فلما افتتحها كما سيأتي أمر ابن الزكي فخطب يومئذ وكان يوم الجمعة ، ثم بلغه بعد ذلك أن [ابن] جيهل هو الذي قال ذلك أولاً ، فأمره فدرس على نفس الصخرة درساً عظيماً ، فأجزل له العطاء ، وأحسن عليه الثناء .

فصل

ثم رحل من حلب في أواخر ربيع الآخر واستخلف على حلب ولله الظاهر غازي ، وولى قضاءها لابن الزكي ، فاستناب له فيها نائباً ، وصار مع السلطان ، فدخلوا دمشق في ثالث جمادى الأولى وكان ذلك يوماً مشهوداً ، ثم برز منها خارجاً إلى قتال الفرنج في أول جمادى الآخرة قاصداً نحو بيت المقدس ، فأتى إلى ييسان قتها ، ونزل على عين جالوت ، وأرسل بين يديه سرية هائلة فيها بردويل وطائفة من النورية ، وجاء بمملوك معه أسد الدين فوجدوا جيش الفرنج قاصدين إلى أصحابهم نجدة ، فالتقوا معهم فقتلوا من الفرنج خلقاً وأسروا مائة أسير ، ولم يفقد من المسلمين سوى شخص واحد ، ثم عاد في آخر ذلك اليوم ، وبلغ السلطان أن الفرنج قد اجتمعوا لقتاله ، فقصدهم وتصدى لهم لهم يصافونه ، فالتقى معهم فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وجرح مثلهم فرجعوا ناكسين على أعقابهم خائفين منه غاية الخافة ، ولا زال جيشه خلفهم يقتل ويأسر حتى غزوا في بلادهم فرجعوا عنهم ، وكتب القاضي القاضي الناضل إلى الخليفة يعلمه بما من الله عليه وعلى المسلمين من نصرة الدين ، وكان لا يفضل شيئاً ولا يريد أن يفعله إلا أطلع عليه الخليفة أدباً واحتراماً وطاعة واحتشاماً .

فصل

وفي رجب سار السلطان إلى الكرك لحاصرها وفي محبته تقي الدين عمر بن أخيه ، وقد كتب لأخيه العادل ليحضر عنده ليؤليه حلب وأعمالها وفق ما كان طلب ، واستمر الحصار على الكرك ^(١) وفي النجوم الزاهرة : * وفتح حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتح القدس في رجب .

مدة شهر رجب ، ولم يظهر منها بطلب ، وبلغه أن الفرنج قد اجتمعوا عليهم ليعنوا منه الكرك فكتب راجعاً إلى دمشق - وذلك من أكبر همة - وأرسل ابن أخيه تقي الدين إلى مصر نائباً ، وفي صحبتته القاضي الفاضل ، وبث أخاه على علكة حلب وأعمالها ، واستقدم ولده الظاهر إليه ، وكذلك نوابه ومن ينز عليه ، وإنما أعطى أخاه حلب ليكون قريباً منه ، فإنه كان لا يقطع أمراً دونه ، واقترض السلطان من أخيه المادل مائة ألف دينار ، وتأم الظاهر بن الناصر على مفارقة حلب ، وكانت إقامته بها ستة أشهر ، ولكن لا يقدر أن يظهر مافي نفسه لوالده ، لكن ظهر ذلك على صفحات وجهه ولفظاته لسانه

(ثم دخلت سنة ثمانين وخمسة هجرية)

فيها أرسل الناصر إلى الساكر الحلبية والجزيرة والمصرية والشامية أن يقدموا عليه لقتال الفرنج ، قدم عليه تقي الدين عمر من مصر ومعه الفاضل ، ومن حلب المادل ، وقدمت ملوك الجزيرة وسنجار وغيرها ، فأخذ الجميع وسار نحو الكرك فأحرقوا بها في رابع عشر جمادى الأولى ، وركب عليها المنجنقات ، وكانت تسمة ، وأخذ في حصارها ، وذلك أنه رأى أن فتحها أنفع للمسلمين من غيرها ، فإن أهلها يقطعون الطريق على الحجاج ، فبينما هو كذلك إذ بلغه أن الفرنج قد اجتمعوا له كلهم فارسهم وراجلهم ، ليعنوا منه الكرك ، فأنشر عنها وقصم قنزل على حسان فجاهم ، ثم صار إلى ما حر ، فانهزمت الفرنج فاصدين الكرك ، فأرسل وراهم من قتل منهم مقتلة عظيمة ، وأمر السلطان بالغاثة على السواحل تلوها من المقاتلة ، قهبت نابلس وما حولها من القرى والزواصي ، ثم عاد السلطان إلى دمشق فأذن للعساكر في الانصراف إلى بلادهم ، وأمر ابن أخيه عمر الملك المظفر أن يعود إلى مصر ، وأقام هو بمشق ليؤدى فرض الصيام ، وليجل الخليل ويحمد الحسام ، وقدم على السلطان خلع الخليفة فلبسها ، وألبس أخاه المادل ، وابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ، ثم خلع خلعته على ناصر الدين بن قرا أرسلان ، صاحب حصن كيفا وأمد التي أطلقها له السلطان . وفيها مات صاحب المغرب (يوسف بن عبد المؤمن بن علي) وقام في الملك بعده ولده يعقوب . وفي أواخرها بلغ صلاح الدين أن صاحب الموصل نازل أو بل فيمت صاحبها يستصرخ به ، فركب من فورده إليه ، فسار إلى بعلبك ثم إلى حماه ، فأقام بها أياماً ينتظر وصول المهاد إليه ، وذلك لانه حصل له ضعف فأقام ببعلبك ، وقد أرسل إليه الفاضل من دمشق طبيباً يقال له أسعد بن المطران ، فصالجه مداواة من طلب لمن حب .

(ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وخمسة)

استهلت والسلطان عظيم بظاهر حماه ، ثم سار إلى حلب ، ثم خرج منها في صفر فأصدا الموصل فجاء إلى حران فقبض على صاحبها مظفر الدين ، وهو أخو زين الدين صاحب إربل ، ثم رضى عنه

وأطاعه إلى مملكته حتى يقين خبث طويته ، ثم سار إلى الموصل فلقاه الملوك من كل ناحية ، وجاء إلى خدمته حماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان ، وسار السلطان قزل على الاسماعيليات قريباً من الموصل ، وجاءه صاحب إربل نور الدين الذي خضعت له ملوك تلك الناحية ، ثم أرسل صلاح الدين ضياء الدين الشهر زورى إلى الخليفة يعلمه بما عزم عليه من حصار الموصل ، وإتمام مقصوده ردهم إلى طاعة الخليفة ، ونصرة الاسلام ، فحاصرها مدة ثم رحل عنها ولم يفتحها ، وسار إلى خلاط واستحوذ على بلدان كثيرة ، وأقاليم جهة بيلاد الجزيرة وديار بكر ، وجرت أمور استقصاها ابن الأثير في كتابه ، وصاحب الروميتين ، ثم وقع الصلح بينه وبين الموصل ، على أن يكونوا من جنده إذا نفيهم لقتال الفرنج ، وعلى أن يخطب له وتضرب له السكة ، فمضوا ذلك في تلك البلاد كلها ، واقطعت خلبة السلاجقة والازيكية بذلك البلاد كلها ، ثم اتفق مرض السلطان بعد ذلك مرضاً شديداً ، فكان يتجلى ولا يظهر شيئاً من الألم حتى قرى عليه الأمر ويزيد الحال ، حتى وصل إلى حران نفيم هنالك من شدة آلمه ، وشاع ذلك في البلاد ، وخاف الناس عليه وأرجف الكفرة والمحدون بموته ، وقصده أخوه العادل من حلب بالأطباء والأدوية ، فوجده في غاية الضعف ، وأشار عليه بأن يوصى ، قال : ما أبالي وأنا أترك من يمدى أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً - يعنى أخاه العادل وتقى الدين عمر صاحب حمص وهو إذ ذاك نائب مصر ، وهو بها مقيم ، وابنيه العزيز عثمان والأفضل علياً - ثم نفر لثلاث شغاه الله من مرضه هذا ليصرفن همتها كلها إلى قتال الفرنج ، ولا يقاتل بعد ذلك مسلماً ، وليجعل أكبر همه فتح بيت المقدس ، ولوصرف في سبيل الله جميع ما يملكه من الأموال والذخائر ، وليقتنن البرنس صاحب الكرك بيده ، لأنه نقض العهد وتنقض الرسول ﷺ ، وذلك أنه أخذ قافلة ذاهبة من مصر إلى الشام ، فأخذ أموالهم وضرب رقابهم ، وهو يقول : أين محمدكم ؟ دعوه ينصركم ، وكان هذا النفر كله بإشارة القاضي الفاضل ، وهو أرشده إليه وحسه عليه ، حتى عقده مع الله عز وجل ، فعند ذلك شغاه الله وعاطفه من ذلك المرض الذى كان فيه ، كفارة لذنوبه ، وجاءت البشارات بذلك من كل ناحية ، فهدت البشائر وزيت البلاد ، وكتب القاضي من دمشق وهو مقيم بها إلى المظفر عمر أن العاقبة الناصرية قد استقامت واستفاضت أخبارها ، وطلعت بعد الظلمة أنوارها ، وظهرت بعد الاختفاء آثارها ، وولت الملة لله الحمد والمنة ، وطفئت نارها ، وأنجلى غبارها ، وخذ شرارها ، وما كانت إلا فلتة وقي الله شرها وشارها ، وعظمية كفى الله الاسلام عارها ، وثوبة امتحن الله بها نفوسنا ، فرأى أقل ما عندها صبرنا ، وما كان الله ليضيح الدماء وقد أخلصته القلوب ، ولا تتوقف الاجابة وإن سدت طريقها الذنوب ، ولا ليخلف وعد فرج وقد أيسر الصالح والمصحب :

نمى زاد فيه الدهر ميا • فأصبح بعد بؤسا نعيًا

وما صدق النذير به لاني • رأيت الشمس تطلع والنجوم
وقد استقبل مولانا السلطان الملك الناصر غضة جديدة ، والزمة ماضية جديدة ، والنشاط إلى
الجهاد ، والتوبة لرب العباد ، والجنة ميسولة البساط ، وقد انقضى الحساب وجزأ الصراط ، وعرضنا
نحن على الأحوال التي من خوفها كاد الجبل يلج بسم الغياط . ثم ركب السلطان من حران بعد العافية
فسفل حلب ، ثم ركب فدخل دمشق ، وقد تكملت عافيته ، وقد كان يوماً مشهوداً .
وفيها توفي من الأعيان الفقيه مهذب الدين .

(عبد الله بن أسعد الموصل)

مدرس حمص ، وكان بارعاً في فنون ، ولا سيما في الشعر والأدب ، وقد أثنى عليه العماد ،
والشيخ شهاب الدين أبو شامة .

(الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه)

صاحب حمص والرجبة ، وهو ابن عم صلاح الدين ، وزوج أخته ست الشام بنت أيوب ،
توفي بمصر فنقلته زوجته إلى تربتها بالشامية البرانية ، وقبره الأوسط بينها وبين أخيها المظلم
توران شاه صاحب اليمن ، وقد خلف من الأموال والقتل شيئاً كثيراً ، ينفق على ألف ألف دينار
توفي يوم عرفة فجأة فولى بعده مملكة حمص ولده أسد الدين شيركوه بأمر صلاح الدين .

(المحمدي بن محمد بن علي بن إسماعيل)

ابن عبد الرحيم الشيخ جمال الدين أبو التثناء محمدي بن الصابوني ، كان أحد الأئمة المشهورين ،
وإنما يقال له المحمدي لصحبة جده السلطان محمود بن زنكي ، فأكرمه ثم سار إلى مصر فترها ، وكان
صلاح الدين يكرمه ، وأوقف عليه وعلى ذريته أرضاً ، فهي لهم إلى الآن .

(الأمير الكبير سمند الدين مسعود)

ابن معين الدين ، كان من كبار الأمراء أيام نور الدين وصلاح الدين ، وهو أخو الست خاتون
وحين تزوجها صلاح الدين زوجها بأخته الست ريعة خاتون بنت أيوب ، التي تسلب إليها المدرسة
الصاحبية بسفح قيسون على الحنابلة ، وقد تأخرت مفتها فتوفيت في سنة ثلاث وأربعين وخمسة ،
وكانت آخر من بقي من أولاد أيوب لصلبه ، وكانت وفاته بدمشق في جمادى الآخرة من جرح أصابه
وهو في حصار ميا فارقين .

(الست خاتون عصمت الدين)

بنت معين الدين ، غالب دمشق ، وأتابك عساكرها قبل نور الدين كما تقدم ، وقد كانت
زوجة نور الدين ثم خلف عليها من بعده صلاح الدين في سنة اثنتين وسبعين وخمسة ، وكانت
من أحسن النساء وأعفهن وأكبرهن صدقة ، وهي واقفة الخاتونية الجوانية بمحلة حجر الذهب ،

وخافلات خاتون ظاهر باب النصر في أول الشرف القبلي على بانياس ، ودفتت بارتبتها في سفح
 تايسون قريباً من قباب السركسية ، وإلى جنبها دار الحديث الأشرفية والاثابكية ، ولما أوقف كثيرة
 غير ذلك ، وأما الخاتونية البرانية التي على القنوت بمحلة صنماء الشام ، ويعرف ذلك المكان التي
 هي فيه بتل الثعالب ، فهي من إنشاء الست زمرد خاتون بنت جاولي ، وهي أخت الملك دقاق
 لأمه ، وكانت زوجة زكي والد نور الدين محمود ، صاحب حلب ، وقد ماتت قبل هذا الجين كما
 تقدمت وقاتها **(الحافظ الكبير أبو موسى المديني)**

محمد بن عمر بن محمد الأصمائي الحافظ الموسوي المديني ، أحد حفاظ الدنيا الرحالين الجوالين
 له مصنفات عديدة ، وشرح أحاديث كثيرة رحمه الله .

(السهيلى أبو القاسم)

وأبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن الخطيب أبي عمر أحمد بن أبي الحسن
 أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح - هو المأخوذ إلى الأندلس - اختلف السهيلى ،
 حكى القاضي ابن خلكان أنه أمل عليه نسبة كنفك ، قال والسهيلى نسبة إلى قرية بالقرب من مملكة
 اسمها سهيل ، لأنه لا يرى سهيل النجم في شيء من تلك البلاد إلا منها من رأس جبل شاهق
 عندها ، وهي من قرى المغرب ، ولد السهيلى سنة ثمان وخمسة ، وقرأ القراءات واشتغل وحصل
 حتى برع وساد أهل زمانه بقوة التريجة وجودة الفهم وحسن التصليف ، وذلك من فضل الله تعالى
 ورحمته ، وكان ضرباً مع ذلك ، له الروض الأنف يذكر فيه نكتاً حسنة على السيرة لم يسبق إلى
 شيء منها أو إلى أكثرها ، وله كتاب الاعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الاعلام ، وكتاب
 نتائج الفكر ، ومسألة في الفرائض يديعة ، ومسألة في سركون الجبال أهور ، وأشياء فريدة
 كثيرة بديعة مفيدة ، وله أشعار حسنة ، وكان حفيظاً قديراً ، وقد حصل له مال كثير في آخر عمره
 من صاحب مرا كش ، مات يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان من هذه السنة ، وله قصيدة
 كان يدعو الله بها ويرثيها الاجابة فيها وهي :

يا من يرى مافي الضمير ويسمع • أنت المد لكل ما يتوقع
 يا من يرجو لشدائد كلها • يا من إليه المشتكى والمفرج
 يا من خزائن رزقه في قول كن • آمن فان الخطير عندك أجمع
 مال سوى قهرى إليك وسيلة • فبالافتقار إليك قهرى أدفع
 مال سوى قرعى لبابك حيلة • فلئن رددت فأى باب أفرح ؟
 ومن الذى أرجو وأعتف بامه • إن كل فضلك عن قديرك يمنع ؟

حاشا لجندك أن تقتطط طاصياً • الفضل أبزل والمواهب أوسع
(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة)

في ثلثي ربيع الأول منها كان دخول الناصر دمشق بصد عانيته ، وزار القناصى الفاضل ، واستشاره ، وكان لا يقطع أمراً دونه ، وقرر في نيابة دمشق ولله الأفضل على ، ونزل أبو بكر العادل عن حلب لعهده زوج ابنته الملك الظاهر غازى بن الناصر ، وأرسل السلطان أخاه العادل محبة ولده عماد الدين عثمان الملك العزيز على ملك مصر ، ويكون الملك العادل أتابكه ، وله إقطاع كبيرة جداً ، وعزل عن نيابتها تقي الدين عمر ، فزعم على الدخول إلى إفريقية ، فلم يزل الناصر يتلطف به ويترقى له حتى أقبل بجنوده نحوه ، فأكرمه واحترمه وأقطعه حملا وبلاداً كثيرة معها ، وقد كانت له قبل ذلك ، وزاد له على ذلك مدينة مينا فارقين ، وأمنهعه الهاد بقصيصة ذكرها في الروضتين .

وفيها هادن قومس طرابلس السلطان وصلحه وصافه ، حتى كان يقاتل ملوك الفرنج أشد القتال وسبى منهم النساء والصبيان ، وكاد أن يسلم ولكن صداه السلطان فأتى على الكفر والطغيان ، وكانت مصالحته من أقوى أسباب النصر على الفرنج ، ومن أشد ما دخل حلبهم في دينهم . قال الهاد الكاتب : وأجمع المنجمون على خراب العالم في شعبان ، لأن الكواكب الستة تجمبع فيه في الميزان ، فيكون طوفان الريح في سائر البلدان ، وذكر أن ناساً من الجبهة تأهبوا لذلك بحفر مغارات في الجبال ومدخلات وأسراب في الأرض خوفاً من ذلك ، قال : فلما كانت تلك الليلة التي أشاروا إليها واجتمعوا عليها لم يربلها مثلاً في سكنها وركودها وهدوئها ، وقد ذكر ذلك غير واحد من الناس في سائر أقطار الأرض ، وقد نظم الشعراء في تكذيب المنجمين في هذه الواقعة وغريها أشعاراً كثيرة حسنة

منها : مزيق التقويم والزيج قد بان انحطاطا • إنما التقويم والزيج هباء وهوا

قات للسمعة إبرام ومنع وعطا • ومتى ينزلن في الميزان يستولى الهوا

ويثور الرمل حتى يمتلئ منه الصفا • ويسم الأرض رجب وخراب ويلى

ويصير القلاع كالكف والطلود الدنا • وحكمهم فاني الحاكم إلا ما يشا

ما أبى الشرع ولا جاءت بهذا الأنبياء • فبقيتم ضحكة يضحك منها العلما

حسبك خزياً وطراً ما يقول الشعرا • ما أطمعكم في الحكم إلا الأمرا

ليت إذ لم يحسنوا في الدين ملثاماً أسا • فلى اسطرلاب بطليموس والزيج المعنا

وعليه انخرى ما جادت على الأرض السما

ومن توفي فيها من الأعيان .

﴿ أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش ﴾

برى بن عبد الجبار بن برى الملقبى ثم المصرى ، أحد أئمة الفقه والتحرى زمانه ، وكان عليه

تعرض الرسائل بعد ابن بابشاد ، وكان كثير الاطلاع علما بهذا الشأن ، مطرحا لتكليف في كلامه ، لا يلتفت ولا يرجع على الاحراب فيه إذا خاطب الناس ، وله التصانيف المفيدة ، توفي وقد جاوز الثمانين بثلاث سنين رحمه الله تعالى ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ﴾

فيها كانت وقعة حطين التي كانت أمارة وتقدمة وإشارة لفتح بيت المقدس ، واستغناؤه من أيدي الكفرة . قال ابن الأثير: كان أول يوم منها يوم السبت ، وكان يوم النيروز ، وذلك أول سنة الفرس ، واتفق أن ذلك كان أول سنة الروم ، وهو اليوم الذي نزلت فيه الشمس برج الحمل ، وكذلك كان القمر في برج الحمل أيضاً ، وهذا شيء عيبد وقوع مثله ، وبرز السلطان من دمشق يوم السبت مستهل محرم في جيشه ، فسار إلى رأس الماء فزل ولله الأفضل هناك في طائفة من الجيش وتقدم السلطان ببقية الجيش إلى بصرى نعيم على قصر أبي سلام ، ينتظر قدوم الحجاج ، وفيهم أخته ست الشام وابنها حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين ، ليسلوا من مرة برنس الكرك ، فلما جاز الحبيج سالمين سار السلطان فزل على الكرك وقطع ما حوله من الأشجار ، ورعى الزرع وأكلوا الثمار ، وجاءت المساكر المصرية وتوافت الجيوش المشرقية ، فزلوا عند ابن السلطان على رأس الماء ، وبعث الأفضل مرية نحو بلاد الفرنج قتلت وغنمت وسلمت ورجعت ، فبشر بمقدمات الفتح والنصر ، وجاء السلطان بمحافظه فالتفت عليه جميع المساكر ، فرتب الجيوش وسار فاصداً بلاد الساحل ، وكان جملة من معه من المقاتلة اثني عشر ألفاً غير المتطوعة ، فقامت الفرنج بقدومه فاجتمعوا كلهم وتصلحوا فيما بينهم ، وصالح قوس طرابلس وبرنس الكرك الناجر ، وجاءوا يخدم وحديدهم واستصحبوا معهم صليب الصليبيات يحمله منهم عباد الطاغوت ، وضلال الناسوت ، في خلق لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل ، يقال كانوا خمسين ألفاً وقبل ثلاثا وستين ألفاً ، وقد خوفهم صاحب طرابلس من المسلمين فاعترض عليه البرنس صاحب الكرك فقال له لا أشك أنك تحب المسلمين وتخوفنا كثرتهم ، وصري فب ما أقول لك ، فتقدموا نحو المسلمين وأقبل السلطان ففتح طبرية وتقوى بما فيها من الأطعمة والأمتعة وغير ذلك ، وتمصنت منه القلعة فلم يعبأ بها ، وحاز البحيرة في حوزته ومنع الله الكفرة أن يصلوا منها إلى قطرة ، حتى صاروا في عطش عظيم ، فبرز السلطان إلى سواحل الجبل الغربي من طبرية عند قرية يقال لها حطين ، التي يقال إن فيها قبر شبيب عليه الصلاة والسلام ، وجاء المدو الخذول ، وكان فيهم صاحب عكا وكفرنكا وصاحب الناصرة وصاحب صور وغير ذلك من جميع ملوكهم ، فتواجه الفريقان وتمايل الجيشان ، وأسفر وجه الإيمان واضبر وأقم وأظلم وجه الكفر والظلمانيان ، ودارت دائرة السوء على عبدة الصليبان ، وذلك عشية يوم

الجمعة ، فبات الناس على مصافهم وأصبح صباح يوم السبت اتى كان يوماً سهواً على أهل الأحاد
وذلك لحس بقين من ربيع الآخر ، فطلعت الشمس على وجوه الفرنج واشتد الحر وقوى بهم العطش ،
وكان تحت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشياً ، وكان ذلك عليهم مشقوماً ، فأمر السلطان النفاطة
أن يرموه بالتفط ، فرموا فتأجج ناراً تحت سنايك خيولهم ، فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش
وحر النار وحر السلاح وحر رشق النبال ، وتبارز الشجعان ، ثم أمر السلطان بالتكبير والجملة الصادقة
فحملوا وكان النصر من الله عز وجل ، فنحهم الله أكتافهم قتل منهم ثلاثون ألفاً في ذلك اليوم ،
وأسر ثلاثون ألفاً من شجاعتهم وفرساتهم ، وكان في جملة من أسر جميع ملوكهم سوى قوس طرابلس
فانه انهزم في أول المعركة ، واستلبهم السلطان صليبهم الأعظام ، وهو الذين يزعمون أنه صلب عليه
المصوب ، وقد غلفوه بالذهب واللآلئ والجواهر النفيسة ، ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الاسلام
وأهله ، ودمع الباطل وأهله ، حتى ذكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نيقاً وثلاثين أسيراً من
الفرنج ، قد ريطهم بطنب خيمة ، وباع بعضهم أسيراً بنعل ليليسا في رجله ، وجرت أورد لم يسمع
بمثلها إلا في زمن الصحابة والتابعين ، فله الحمد دائماً كثيراً طيباً مباركاً .

فلما تمت هذه الواقعة وضعت الحرب أوزارها أمر السلطان بضرب عجم عظيم ، وجلس فيه
على سرير المملكة وعن يمينه أسرة وعن يساره مثلها ، وجيء بالأسارى تهادى بقيودها ، فأمر
بضرب أحنق جماعة من مقدمى الداوية - والأسارى بين يديه - صبراً ، ولم يترك أحداً منهم ، من
كان يذكر الناس عنه شراً ، ثم جيء بملوكهم فأجلسوا عن يمينه ويساره على مراتبهم ، فأجلس ملكهم
الكبير عن يمينه ، وأجلس أرباط برنس الكرك وبقينهم عن شماله ، ثم جيء إلى السلطان بشراب
من الجلاب مثولاً ، فشرب ثم قال الملك قشرب ، ثم قال أرباط صاحب الكرك فنضب السلطان
وقال له : إنما ناولتك ولم آذن لك أن تسقيه ، هذا لا عهد له عندي ، ثم تحول السلطان إلى خيمة
داخل تلك الخيمة واستدعى أرباط صاحب الكرك ، فلما أوقف بين يديه قام إليه بالسيف ودعا
إلى الاسلام فامتنع ، فقال له : نعم أنا أنوب عن رسول الله ﷺ في الانتصار لأمتي ، ثم قتله
وأرسل برأسه إلى الملوك وهم في الخيمة ، وقال : إن هذا تعرض لسب رسول الله ﷺ ، ثم قتل
السلطان جميع من كان من الأسارى من الداوية والأستنارية صبراً وأراح المسلمين من هذين
الجنسين الخبيثين ، ولم يسلم من عرض عليه الاسلام إلا القليل ، فيقال إنه بلغت القتلى ثلاثين
ألفاً ، والأسارى كذلك كانوا ثلاثين ألفاً ، وكان جملة جيشهم ثلاثة وستين ألفاً ، وكان من سلم مع
قتهم وهرب أكثرهم جرحى فأتوا بيلادم ، وعن مات كذلك قوس طرابلس ، فانه انهزم جريحاً
فأت بها بسد مرجعه ، ثم أرسل السلطان برقس أعيان الفرنج ومن لم يقتل من رؤسهم ، وبصلب

الصلبوت صحبة القاضي ابن أبي مصرون إلى دمشق ليودعوا في قلعتهما ، فدخل بالصلب منكموساً وكان يوماً مشهوداً .

ثم سار السلطان إلى قلعة طبرية فأخضعها ، وقد كانت طبرية تقسم بلاد حوران والبلقاء وما حولها من الجولان وتلك الأراضي كلها بالنصف ، فأراح الله المسلمين من تلك المقاسمة ، ثم سار السلطان إلى حطين فزار قبر شعيب ، ثم ارتفع منه إلى أقليم الأردن ، فتسلم تلك البلاد كلها ، وهي قرى كثيرة كبار وصغار ، ثم سار إلى حكا فتزل عليها يوم الأربعاء صلح وبيع الآخر ، فافتتحها صلحا يوم الجمعة ، وأخذ ما كان بها من حواصل الملوكة وأموالهم وذخائرهم ومتاجر وغيرها ، واستنقذ من كان بها من أسرى المسلمين ، فوجد فيها أربعة آلاف أسير ، ففرج الله عنهم ، وأمر بإقامة الجمعة بها ، وكانت أول جمعة أقيمت بالساحل بعد أخذه الفرج ، نحواً من سبعين سنة . ثم سار منها إلى صيدا وبيروت وتلك النواحي من السواحل يأخذها بلداً بلداً ، فخلوها من المقاتلة والموك ، ثم رجع سائراً نحو غزة وحسقلان ونابلس وبيسان وأراضي الغور ، فلك ذلك كله ، واستناب على نابلس ابن أخيه حسام الدين عمر بن محمد بن لا شين ، وهو الذي افتتحها ، وكان جملة ما افتتحه السلطان في هذه المدة القرية خمسين بلداً كباراً كل بلد له مقاتلة وقلعة ومنعة ، وغنم الجيش والمسلون من هذه الأماكن شيئاً كثيراً ، وسبوا خلقاً .

ثم إن السلطان أمر جيوشه أن ترتفع في هذه الأماكن مدة شهر ليستريحوا ويصحوا أنفسهم وخيولهم لفتح بيت المقدس ، وطاف في الناس أن السلطان عزم على فتح بيت المقدس ، فقصده العلماء والصالحون تطوعاً ، وجازوا إليه ، ووصل أخوه العادل بعد وقعة حطين وفتح عكا ففتح بنفسه حصوناً كثيرة ، فاجتمع من عباد الله ومن الجيوش شيء كثير جداً ، فعند ذلك قصد السلطان القدس بمن معه كما سيأتي . وقد امتدحه الشراء بسبب وقعة حطين فقالوا وأكثروا ، وكتب إليه القاضي الفاضل من دمشق - وهو مقيم بها لمرض اعتراه - « ليهن المولى أن الله أعلم به الدين ، وكتب المملوك هذه الخطة والرؤس لم ترفع من سجدتها ، والدموع لم تمسح من خدودها ، وكلما ذكر المملوك أن البيع تعود مساجد ، والمكان الذي كان يقال فيه إن الله ثالث ثلاثة يقال فيه اليوم إنه الواحد ، جدد الله شركاً قارة فيض من لسانه ، وقارة فيض من جفنه سروراً بتوحيد الله ، تعالى الملك الحق المبين ، وأن يقال محمد رسول الله الصادق الأمين ، وجزى الله يوسف خيراً عن إخراجه من سجنه ، والماليك ينتظرون المولى وكل من أراد أن يدخل الحمام بدمشق قد عزم على دخول حمام طبرية .

تلك المكارم لاقبانب من لبن * وذلك السيف لا سيف ابن ذي يزن
ثم قال : وللائسنة بعد في هذا الفتح تسبيح طويل وقول جميل جليل .

﴿ ذكر فتح بيت المقدس في هذه السنة ﴾

« واستنقذه من أيدي النصارى بعد أن استحوذوا عليه مدة ثنتين وقسمين سنة »
لما افتتح السلطان تلك الأماكن المذكورة فيها قدم ، أمر العساكر فاجتمعت ثم سار نحو بيت المقدس ، فقتل غربي بيت المقدس في الخامس عشر من رجب من هذه السنة - أعني سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة - فوجد البلد قد حصلت غاية التحصين ، وكانوا ستين ألف مقاتل ، دون بيت المقدس أو يزيدون ، وكان صاحب القدس يومئذ رجلاً يقال له بالبان بن بازران ، ومعه من سلم من وقعة حطين يوم التقي الجمعان ، من الهاربة والاستتارية أتباع الشيطان ، وعبدة الصليبان ، فأقام السلطان بمنزله المذكور خمسة أيام ، وسلم إلى كل طائفة من الجيش ناحية من السور وأبراجه ، ثم تحول السلطان إلى ناحية الشام لأنه رآها أوسع للمجال ، والجلاد والتزال ، وقتل الفرنج دون البلد قتالاً هائلاً ، وبنوا أنفسهم وأموالهم في نصرة دينهم وقتلهم ، واستشهد في الحصار بعض أمراء المسلمين ، فغنى عند ذلك كثير من الأمراء والصالحين ، واجتهدوا في القتال ونصب المناجنيق والعمادات على البلد ، وغنت السيوف والرماح الخيليات ، والعيون تنظر إلى الصليبان منصوبة فوق الجدران ، وفوق قبة الصخرة صليب كبير ، فزاد ذلك أهل الإيمان حقاً وشدة التشنيع ، وكان ذلك يوماً عسيراً على الكافر ين غير يسير ، فبادر السلطان بأصحابه إلى الزاوية الشرقية الشمالية من السور فقبها وعلتها وحشاها وأحرقها ، فسقط ذلك الجانب وخر البرج برمته فاذا هو واجب ، فلما شاهد الفرنج ذلك الحادث العظيم ، وانقلب المؤمن الوجيع ، قصد أكابرهم السلطان وتشفعوا إليه أن يعطيهم الأمان ، فممنع من ذلك وقال : لا أفتحها إلا عنوة ، كما افتتحتموها أتم عنوة ، ولا أترك بها أحداً من النصارى إلا قتلته كما قتلتم أتم من كان بها من المسلمين ، فطلب صاحبها بالبان بن بازران الأمان ليحضر عنده فأمنه ، فلما حضر ترقق السلطان ودخل دلاً عظيماً ، وتشفع إليه بكل ما أمكنه فلم يجبه إلى الأمان لهم ، فقالوا إن لم تمننا الأمان رجسنا قتلنا كل أسير بأيدينا - وكانوا قريباً من أربعة آلاف - وقتلنا فرارينا وأولادنا ونساءنا ، وخربنا الدور والأماكن الحسنة ، وأحرقنا المتاع وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال ، وهدمنا قبة الصخرة وحرقنا ما تدر عليه ، ولا نبقى ممكناً في إتلاف ما تدر عليه ، وبعد ذلك فخرج فقتل قتال الموت ، ولا خير في حياتنا بعد ذلك ، فلا يقتل واحد منا حتى يقتل أعداداً منكم ، فاذا ترجى بعد هذا من الظهور ؟

فلما سمع السلطان ذلك أجاب إلى الصلح وأقبل ، على أن يبذل كل رجل منهم عن نفسه عشرة ذنانير ، وعن المرأة خمسة ذنانير ، وعن كل صغير وصغيرة دينارين ، ومن عجز عن ذلك كان أسيراً للمسلمين ، وأن تكون الغلات والأسلحة والدور للمسلمين ، وأنهم يتحولون منها إلى ما منهم

وهي مدينة صور . فكتب الصباح بذلك ، وأن من لم يبذل ما شرط عليه إلى أربعين يوماً فهو أسير ، فكان جملة من أسر بهذا الشرط ستة عشر ألف أسير من رجال ونساء وولدان ، ودخل السلطان المسلمون البلد يوم الجمعة قبل وقت الصلاة بقليل ، وذلك يوم السابع والعشرين من رجب ، قال العماد يوحى ليلة الأسراء رسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . قال أبو شامة : وهو أحد الأقوال في الأسراء ، ولم يتفق للمسلمين صلاة الجمعة يومئذ خلافاً لمن زعم أنها أقيمت يومئذ ، وأن السلطان خطب بنفسه بالسواد ، والصحيح أن الجمعة لم يتمكنوا من إقامتها يومئذ لضيق الوقت ، وإنما أقيمت في الجمعة المقبلة ، وكان الخطيب عيسى الدين بن محمد بن علي القرشي ابن الزكي كما سيأتي قريباً .

ولكن نلفظوا المسجد الأقصى مما كان فيه من الصليبان والرهبان والخنازير ، وغربت دور القلاوية وكاثوا قد بنوها غربي الحراب الكبير ، واتخذوا الحراب مشناً لنهمهم الله ، فنظف من ذلك كله ، وأعيد إلى ما كان عليه في الأيام الإسلامية ، وغسلت الصخرة بالماء الطاهر ، وأعيد غسلها بماء الورد والمسك الفاخر ، وأبرزت قناظرين ، وقد كانت مستورة مخبوءة عن الزائرين ، ووضع الصليب عن قبتها ، وطالت إلى حرمتها ، وقد كان الفرنج قلعوا منها قطعاً فباعوها من أهل البحور الجوانية بزيئها ذهباً ، فتمرد استعادة ما قطع منها .

ثم قبض من الفرنج ما كاثوا بنحوه عن أنفسهم من الأموال ، وأطلق السلطان خلقاً منهم بنات الملوك بن مهن من النساء والصبيان والرجال ، ووقعت المساحة في كثير منهم ، وشفع في أناس كثير ففنا عنهم ، وفرق السلطان جميع ما قبض منهم من الذهب في العسكر ، ولم يأخذ منه شيئاً مما يقتنى ويمنر ، وكان رحمه الله حليماً كريماً مقداماً شجاعاً رحيماً .

﴿ ذكر أول جمعة أقيمت ببيت المقدس بعد فتحه في الدولة الصلاحية ﴾

لما ظهر بيت المقدس مما كان فيه من الصليبان والنواقيس والرهبان والتساقس ، ودخله أهل الأيمان ، ونودي بالأذان وقرئ التران ، ووجد الرحمن ، كان أول جمعة أقيمت في اليوم الرابع من شعبان ، بعد يوم الفتح بثان ، فنصب المنبر إلى جانب الحراب ، وبسطت البسط وعلقت القناديل وتلى التنزيل ، وجاء الحق وبطلت الأباطيل ، وصفت السجادات وكثرت السجيدات ، وتنوعت العبادات ، وارتفعت الدعوات ، ونزلت البركات ، وانجابت الكربات ، وأقيمت الصلوات ، وأذن المؤذنون ، وخرس التيسيون ، وزال البوس وطابت النفوس ، وأقبلت السعد وأدبرت النحوس ، وعبد الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وكبره الراكع والساجد ، والقائم والقاعد ، وامتلأ الجامع وسالت لركة القلوب المدايح ، ولما أذن المؤذنون للصلاة قبل الزوال كادت

الغروب تطير من الفرع في ذلك الحال ، ولم يكن عين خطيب في زمن السلطان المرسوم الصلاحي وهو في قبة الصخرة أن يكون القاضي محي الدين بن الزكي اليوم خطيباً ، فليس الخلة السوداء وخطب للناس خطبة سلية فصيحة بليغة ، ذكر فيها شرف البيت المقدس ، وما ورد فيه من الفضائل والترغيبات ، وما فيه من الدلائل والأموات . وقد أورد الشيخ أبو شامة الخطبة في الروضتين بطولها وكان أول ما قال (قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) .

ثم أورد تحميدات القرآن كلها ، ثم قال : « الحمد لله من الاسلام بنصره ، ومنزل الشرك بجهده ، ومصرف الأمور بأمره ، ومزيد النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذي قدر الأيام دولاً بعسله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضلته ، وأفاض على العباد من طله وهطله » [ائى] أظهر دينه على الدين كله ، القاهرة فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خلقته فلا ينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فلا يدافع ، أحسن على إظهاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ونصرته أنصاره ، ومظهر بيت المقدس من أقدس الشرك وأوضاره ، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر أجهاره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى به ربه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشكر وداحض الشرك ، ودافض الألفك ، الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى ، وخرج به منه إلى السموات العلى ، إلى سدة المنتهى عندها جنة المأوى ، ما زاغ البصر وما طغى ، وصلى الله على خليفته الصديق السابق إلى الإيمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصليان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذى النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبى طالب مزكّل الشرك ، ومكسر الأصنام ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان . »

ثم ذكر الموعظة وهي مشتملة على تقييد الحاضرين بما يشتره الله على أيديهم من فتح بيت المقدس ، الذي من شأنه كذا وكذا ، فذكر فضائله ومآثره ، وأنه أول القبلتين ، وثاني المسجدين ، وثالث الحرمين ، لا تشد الرحال بمد المسجدين إلا إليه ، ولا تقعد الخناصر بمد الوطنين إلا عليه ، وإليه أسرى رسول الله ﷺ من المسجد الحرام ، وصلى فيه بالأَنْبياء والرسل الكرام ، ومنه كان المراج إلى السموات ، ثم عاد إليه ثم سار منه إلى المسجد الحرام على البراق ، وهو أرض المحشر والمشر يوم التلاق ، وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ، وقد أسس على التقوى من أول يوم .

قلت : ويقال إن أول من أسسه يعقوب عليه السلام بعد أن بنى الخليل المسجد الحرام بأربعين سنة ، كما جاء في الصحيحين ، ثم جسد بنامه سليمان بن داود عليهما السلام ، كما ثبت فيه الحديث

بالمسند والسنة ، وصحيح ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم ، وسأل سليمان عليه السلام الله عند فراغه منه خللاً ثلاثاً ، حكماً يصادف حكمه ، وملكاً لا يلغى لأحد من بعده ، وأنه لا يأتي أحد هذا المسجد لا ينهزه إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

ثم ذكر تمام الخطبتين ، ثم دعا للخليفة الناصر العباسي ، ثم دعا للسلطان الناصر صلاح الدين . وبعد الصلاة جلس الشيخ زين الدين أبو الحسن بن علي نجا المصري على كرسي الوعظ باذن السلطان ، فوعظ الناس ، واستمر القاضي ابن الزكي يخطب بالناس في أيام الجمع أربع جمعات ، ثم قرر السلطان القدس خليفاً مستقراً ، وأرسل إلى حلب فاستحضر المنبر الذي كان الملك المعادل نور الدين الشهيد قد استعمله لبيت المقدس ، وقد كان يؤمل أن يكون فتحه على يديه ، فما كان إلا على يدي بعض أتباعه صلاح الدين بعد وفاته

﴿ نكتة غريبة ﴾

قال أبو شامة في الروضتين : وقد تكلم شيخنا أبو الحسن علي بن محمد السخاوي في تفسيره الأول فقال : وقع في تفسير أبي الحكم الأندلسي - يعني ابن بدران - في أول سورة الروم أخبار عن فتح بيت المقدس ، وأنه ينزع من أيدي النصاري سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . قال السخاوي : ولم أره أخذ ذلك من علم الحروف ، وإنما أخذه فيما زعم من قوله (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين) فبنى الأمر على التواريخ كما يفعل المنجمون ، فذكر أنهم يغلبون في سنة كذا وكذا ، ويغلبون في سنة كذا وكذا ، على ما تقتضيه دوائر التقدير ، ثم قال : وهذه نهاية واقعت إصابة ، إن صح ، قال ذلك قبل وقوعه ، وكان في كتابه قبل حدوثه ، قال : وليس هذا من قبيل علم الحروف ، ولا من باب الكرامات والمكاشفات ، ولا ينال في حساب ، قال : وقد ذكر في تفسير سورة القدر أنه لو علم الوقت الذي نزل فيه القرآن لعم الوقت الذي يرفع فيه .

قلت : ابن بدران ذكر هذا في تفسيره في حدود سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة ، ويقال إن الملك نور الدين أوقف على ذلك فطعم أن يعيش إلى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، لأن مولده في سنة إحدى عشر وخمسمائة ، قهياً لأسباب ذلك حتى إنه أهد منبراً عظيماً لبيت المقدس إذا فتحه والله أعلم . وأما الصخرة العظيمة فإن السلطان أزال ما حولها من المنكرات والصور والصلبان ، وطهرها بعد ما كانت جيفة ، وأظهرها بعد ما كانت خفية مستورة غير مرئية ، وأمر القبط عيسى المكارى أن يعمل حولها شبائيك من حديد ، ورتب لها إماماً واتباء ، وقف عليه رتبا جيداً ، وكذلك إمام الأقصى ، وعمل للشافعية مدرسة يقال لها الصلاحية والناصرية أيضاً ، وكان موضعها كنيسة على قبر حنة أم مريم ، ووقف على الصوفية رباطاً كان للبتريك إلى جنب القمامة ، وأجرى على القمامة والقبراء الجوامك ، وأرصد الختم والرباط في أرجاء المسجد الأقصى والصخرة ، ليقرأ فيها المقيمين والزائرون

وتنافس بنوا أيوب فيما يضلونه بيت المقدس وغيره من الخيرات إلى كل أحد ، وعزم السلطان على هدم القلعة وأن يجعلها دكا لتتحم مادة النصرارى من بيت المقدس ، قيل [له] أنهم لا يتركون الحج إلى هذه البقعة ، ولو كانت قاعا منصفيا ، وقد فتح هذه البلاد قبلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وترك هذه الكنيسة بأيديهم ، ولك في ذلك أسوة . فأعرض عنها وتركها على حالتها تأسيا بمرضى الله عنه ، ولم يترك من النصرارى فيها سوى أربعة يخدمونها ، وحال بين النصرارى وبينها ، وهدم المقابر التي كانت لهم عند باب الرحمة ، وعفا آثارها ، وهدم ما كان هناك من القباب .

وأما أسارى المسلمين الذين كانوا بالقدس فانه أطلقهم جميعهم ، وأحسن إليهم ، وأطلق لهم إعطاءات سنية ، وكساحم وانطلق كل منهم إلى وطنه : وعاد إلى أهله ومسكنه ، فله الحمد على نعمه ومنته

فصل

فلما فرغ السلطان صلاح الدين من القدس الشريف انفصل عنها في الخلس والعشرين من شعبان قاصدا مدينة صور الساحل ، وكان فتحها قد تأخر ، وقد استحوذ عليها بدوومة حطين رجل من تجمار الفرنج يقال له المركيس ، فخصنها وضبط أمرها وحفر حولها خندقا من البحر إلى البحر ، فجاء السلطان فحاصرها مدة ، ودعا بالأسطول من البحار المصرية في البحر ، فأحاط بها برا وبحرا ، فهدت الفرنج في بعض الليالي على خمس شواى من أسطول المسلمين فلكبتها ، فأصبح المسلمون واجين حزنا وتأسفا ، وقد دخل عليهم فصل البرد وقلت الأزواد ، وكثرت الجراحات وكل الأمراء من المحاصرات ، فسألوا السلطان أن ينصرف بهم إلى دمشق حتى يستريحوا ثم يعودوا إليها بدمعنا الحين ، فأجابهم إلى ذلك على تمنع منه ، ثم توجه بهم نحو دمشق واجتاز في طريقه على عكا ، وتفرقت المساكر إلى بلادها . وأما السلطان فانه لما وصل إلى عكا نزل بقلعتها وأسكن ولده الافضل برج الداوية ، وولى نيابتها عن الدين حردبيل ، وقد أشار بعضهم على السلطان بشرب مدينة عكا خوفا من عود الفرنج إليها ، فكاد ولم يفضل وليته فعل ، بل وكل بممارتها وتجهيد محاسنها بهاء الدين قراقوش التقوى ، ووقف دار الاستشارية بصفين على القباء والقراء ، وجعل دار الأستف مارستانا ، ووقف على ذلك كله أوقافا دارة ، وولى نظر ذلك إلى قاضيها جمال الدين ابن الشيخ أبى النجيب . ولما فرغ من هذه الأشياء عاد إلى دمشق مؤيدا منصورا ، وأرسل إليه الملك بالهاتى والتحف والهدايا من سائر الأقطار والأمنار ، وكتب الخليفة إلى السلطان يستب عليه في أشياء ، منها أنه يث إليه في إشارة الفتح بومة حطين شايًا بتناديا كن وضيا عندهم ، لا قدره ولا قيمة ، وأرسل بفتح القدس مع نجاب ، ولقب فسه بالناصر مضاعفة للخليفة . فلتقى ذلك بالبشر والطف والسمع

والطاعة ، وأرسل يستنصرهما وقع . وقال : الحرب كانت شغلته عن التروى في كثير من ذلك ، وأما لقبه بالناصر فهو من أيام الخليفة المستضيء ، ومع هذا فيها لقبى أمير المؤمنين فلا أعدل عنه ، وتأدب مع الخليفة غاية الأدب مع غناه عنه .

وفيهما كانت وقعة عظيمة ببلاد الهند بين الملك شهاب الدين النورى صاحب غزنة ، وبين ملك الهند الكبير ، فأقبلت الهند في عدد كثير من الجنود ، ومهم أربعة عشر فيلاً ، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم ، وقيل للملك أن يج بنفسك ، فزاده ذلك إلا إقداماً ، فحمل على الفيلة فخرج بعضها - وجرح الفيل لا ينمل - فرماه بعض الفيلة بحربة في ساعده فخرجت من الجانب الآخر فصريراً ، فحملت عليه الهند لياخذوه فجاخ عنه أصحابه فاقْتتلوا عنده قتالاً شديداً ، وجرت حرب عظيمة لم يسمع بمثلهما بموقف ، فغلب المسلمون الهند وخلصوا أصحابهم وحلوه على كواهلهم في محفة عشرين فرسناً ، وقد نزهه الدم ، فلما تراجع إليه جيشه أخذ في تأنيب الأمراء ، وحلف لياكلن كل أمير حليق فرسه ، وما أدخلهم غزنة إلا مشاة .

وفيهما ولدت امرأة من سواد بغداد بنتاً لها أسنان . وفيها قتل الخليفة الناصر أستاذ داره أبا الفضل بن الصباح ، وكان قد استحوذ على الأمور ولم يبق للخليفة منه كلة تطاع ، ومع هذا كان حفيظاً عن الأموال ، جيد السيرة ، فأخذ الخليفة منه شيئاً كثيراً من الحواصل والأموال . وفيها استوزر الخليفة أبا المظفر جلال الدين ، ومشى أهل الدولة في ركابه حتى قاضى القضاة ابن الدامغانى وقد كان ابن يونس هذا شاهداً عند القاضي ، وكان يقول وهو مشى في ركابه لمن الله طول العمر ، فأت القاضى في آخر هذه السنة .

وفيهما توفى من الأعيان . ﴿ الشيخ عبد المنيث بن زهير الحارثي ﴾

كان من صلحاء الحنابلة ، وكان يزار ، وله مصنف في فضل يزيد بن معاوية ، أتى فيه بالترائب والمجائب ، وقد رد عليه أبو الفرج ابن الجوزى فأجاد وأصاب ، ومن أحسن ما اتفق لعبد المنيث هذا أن بعض الخلفاء - وأخطه الناصر - جاءه زائراً مستخفياً ، فعرفه الشيخ عبد المنيث ولم يعلمه بأنه قد عرفه ، فسأله الخليفة عن يزيد أبلغن أم لا ؟ قال لا أسوغ لسه لأتى لو فتحت هذا الباب لأفضى الناس إلى لمن خليفتنا . قال الخليفة : ولم ؟ قال : لأنه يفضل أشياء منكثرة كثيرة ، منها كذا وكذا ، ثم شرع يسدد على الخليفة أفصاه القبيحة ، وما يقع منه من المنكر ليتزجر عنها ، ففكره الخليفة وخرج من عنده وقد أترك كلامه فيه ، وانتفع به . مات في الحرم من هذه السنة . وفيها توفى الشيخ ﴿ علي بن خطاب بن خلف ﴾

العابد الناسك ، أحد الزهاد ، وفوى الكرامات ، وكان مقامه بمجرة ابن عمر . قال ابن الأثير

في الكامل : ولم أر مثله في حسن خلقه وسمته وكراماته وعبادته .

﴿ الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن مقدم ﴾

أحد نواب صلاح الدين ، لما افتتح الناصر بيت المقدس أحرم جماعة في زمن الحج منه إلى المسجد الحرام ، وكان ابن مقدم أمير الحاج في تلك السنة ، فلما وقف برفة ضرب الهباب ونشر الألوية ، وأظهر عز السلطان صلاح الدين وعظمته ، فنضب طاشتكين أمير الحاج من جهة الخليفة ، فزجره عن ذلك فلم يسمع ، فاقنتلا فخرج ابن مقدم ومات في اليوم الثاني بمى ، ودفن هناك ، وجرت خطوب كثيرة ، ولم طاشتكين صلى ما فعل ، وخاف مرة ذلك من جهة صلاح الدين والخليفة ، وعزله الخليفة عن منصبه .

﴿ محمد بن عبيد الله ﴾

ابن عبد الله سبط بن التعاويذى الشاعر ، ثم أضر في آخر عمره وجاز الستين توفى في شوال

﴿ نصر بن قتيان بن مطر ﴾

الفتية الحنبلى المعروف بابن المنى ، كان زاهدا عابدا ، موله سنة إحدى وخمسة ، ومن تقدم عليه من المشاهير الشيخ موفق الدين بن قدامة ، والحافظ عبد التقي ، ومحمد بن خلف بن راجح ، والناصر عبد الرحمن بن المنجم بن عبد الوهاب ، وعبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجبلى وغيرهم توفى خامس رمضان . وفيها توفى قاضى القضاة .

﴿ أبو الحسن التامقانى ببغداد ﴾

وقد حكم في أيام المقتنى ثم المستنجد ثم عزل وأعيد في أيام المستغنى ، وحكم لناصر حتى توفى في هذه السنة

﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسة ﴾

في محرمها حاصر السلطان صلاح الدين حصن كوكب فراه متيحا صبغا ، فوكل به الأمير قايماز البجعى في خمسةة فارس يضيقون عليهم المسالك ، وكذلك وكل لصفى [الصدق] وكانت للداوية خمسةة فارس مع طغرى بك الجلمدار يعمون الميرة والتقلوى أن تصل إليهم ، وبعث إلى الكرك الشريك يضيقون على أهلها ويحاصرونهم ، ليفرغ من أمور له لقتال هذه الأماكن ، ولما رجع السلطان من هذه الغزوة إلى دمشق وجد العصى بن الفايض وكيل اغترابة قد بنى له دارا بالقلمة هائلة معلقة على الشرف القبلى ، فنضب عليه وعزله وقال : إنالم تخلق للقيام بهمى ولا يغيرها من البلاد ، وإنما خلقنا لعبادة الله عز وجل والجهاد في سبيله ، وهذا الذى عملته مما يبط النفوس ويقدمها عما خلقت له . وجلس السلطان بدار العدل فحضرت عنده القضاة وأهل الفضل ، وزار القاضى القاضى فى بستانه على الشرف فى جوسق ابن الفراش ، وحكى له ما جرى من الأمور ، واستشاره فيما فعل فى المستقبل من المهمات والغزوات ، ثم خرج من دمشق فسلك على ييوس وقصد البقاع ، وسار إلى حصن وحام

وجاءت الجيوش من الجزيرة وهو على العاصي ، فسار إلى السواحل الشمالية ففتح أنطر طوس وغيرها من الحصون ، وجبله واللاذقية ، وكاتنا من أحصن المدن عمارتو رخاماً وعحالا ، وفتح صهيون وبكس والشفر وهما قلعتان على العاصي حصيقتان ، فتحهما عنوة ، وفتح حصن بدرية وهي قلعة عظيمة على جبل شافع منيع ، فتحها أودية حبيقة يضرب بها المثل في سائر بلاد الفرنج والمسلمين ، فحاصرها أشد حصار وركب عليها المجانيق الكبار ، وفرق الجيش ثلاث فرق ، كل فريق يقاتل ، فإذا كوا وتمبوا خلفهم الفريق الآخر حتى لا يزال القتال مستمرا ليلا ونهارا ، فكان فتحها في نوبة السلطان أخذها عنوة في أيام معدودات ، ونهب جميع ما فيها ، واستولى على حواصلها وأموالها ، وقتل حلتها ورجالها ، واستخدم نساءها وأطفالها ، ثم عدل عنها ففتح حصن در بساك وحصن بفراس ، كل ذلك يفتحه عنوة فيغنم ويسلم ، ثم سمعت به همة المألية إلى فتح أنطاكية ، وذلك لأنه أخذ جميع ما حولها من القرى والمدن ، واستنظر عليها بكثرة الجنود ، فراسله صاحب أنطاكية يطلب منه الهدنة على أن يطلق من عنده من أسرى المسلمين ، فأجابه إلى ذلك لعله بتضجر من معه من الجيش ، فوقعت الهدنة على سبعة أشهر ، ومقصود السلطان أن يستريح من تعبها ، وأرسل السلطان من تسلم منه الأسارى وقد دلت دولة النصارى ، ثم سار فسأله ولده الظاهر أن يجتاز يحملب فأجابه إلى ذلك ، قتل بقلعتها ثلاثة أيام ، ثم استسلمه ابن أخيه تقي الدين إليه إلى حماة فنزل عنده ليلة واحدة ، وأقطع جبلة واللاذقية ، ثم سار قتل بقلعة بعلبك ، ودخل حامها ، ثم عاد إلى دمشق في أوائل رمضان ، وكان يوما مشهودا ، وجاءته البشائر بفتح الكرك وإفحاده من أيدي الفرنج ، وأراح الله منهم تلك الناحية ، وسهل حزنها على السالكين من التجار والفزاة والحجاج (قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) .

﴿ فصل في فتح صفد وحصن كوكب ﴾

لم يبق السلطان بدمشق إلا أياما حتى خرج قاصدا صفد فنازها في العشر الأوسط من رمضان ، وحاصرها بالمجانيق ، وكان البرد شديدا يصبح الماء فيه جليدا ، فما زال حتى فتحها صلحا في ثامن شوال ، ثم سار إلى صور فألقت إليه بقيادها ، وتبرأت من أنصارها وأجنادها وقوادها ، ونجحت لما فتحت صفد أنها مقرونة معها في أصفدها ، ثم سار منها إلى حصن كوكب - وهي معقل ^{البيمارية} ^{الاستثنائية} كما أن صفد كانت معقل الداوية - وكاتوا أبنض أجناس الفرنج إلى السلطان ، لا يكاد يترك منهم أحدا إلا قتله إذا وقع في المأسورين ، فحاصر قلعة كوكب حتى أخذها ، وقتل من بها وأراح المارة من شر ساكنيها ، وتمهدت تلك السواحل واستقر بها منازل طائفتها . هذا والسماه تصب ، والرياح نهب ، والسيول تسب ، والأرجل في الأوسال تنهب ، وهو في كل ذلك صابر مبصر ، وكان القاضي

الفاضل معه في هذه النزوة ، وكتب القاضي الفاضل إلى أخى السلطان صاحب اليمن يستدعيه إلى الشام لنصرة الاسلام ، وأنه قد حزم على حصار أنطاكية ، ويكون قتي الدين عمر محاصرا طرابلس إذا انسحق هذا العام ، ثم حزم القاضي الفاضل على المختول إلى مصر ، فودعه السلطان فدخل القدس فسلم به الجملة وعيد فيه عيد الأضحى ، ثم سار ومعه أخوه السلطان المعادل إلى عسقلان ، ثم أقطع أخاه الكرك عوضاً عن عسقلان ، وأمره بالانصراف ليكون عوناً لابنه العزيز على حوادث مصر ، وعاد السلطان فأقام بمدينة عكا حتى انسلخت هذه السنة .

وفيهما خرجت طائفة مصر من الرافضة ليعيدوا دولة الفاطميين ، واغتمنوا غيبة المعادل عن مصر ، واستغنوا أمر العزيز عثمان بن صلاح الدين ، فبعثوا اثني عشر رجلاً ينادون في القيل يا آل على ، يا آل على ، ببيتهم على أن العامة تجيبهم فلم يجيبهم أحد ، ولا التفت إليهم ، فلما رأوا ذلك انهزموا فأدركوا وأخذوا وقيدوا وحبسوا ، ولما بلغ أمرهم السلطان صلاح الدين ساءه ذلك وأهم له ، وكان القاضي الفاضل عنده بعد لم يبارقه ، فقال له : أيها الملك ينبغي أن تخرج ولا تخزن ، حيث لم يصح إلى هؤلاء الجبهة أحد من رعيته ، ولو أنك بعثت جواسيس من قبلك يخبرون الناس لسرك ما يملك عنهم ، فسرى عنه ما كان يحقد ، ورجع إلى قوله وأرسله إلى مصر ليكون له عينا وعوناً .

وفيهما توفي من الأعيان . (الأمير الكبير سلافة الملوك والصلاحين)

الشيخ زري مؤيد الدولة أبو الحارث وأبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن [مقلد بن نصر بن] منقذ أحد الشعراء المشهورين ، المشكورين ، بلغ من العمر ستاً وتسعين سنة ، وكان عمره تاريخاً مستقلاً وحده ، وكانت داره بدمشق ، مكان العزيزية ، وكانت معقلاً للفضلاء ، ومنزلاً للعلماء وله أشعار رائقة ، وممان طائفة ، ولديه علم غزير ، وعنده جود وفضل كثير ، وكان من أولاد ملوك شيزر ، ثم أقام بمصر مدة في أيام الفاطميين ، ثم عاد إلى الشام فقدم على الملك صلاح الدين في سنة سبعين وأُنشده :
حدث على طول حرى المشيبا • وإن كنت أكثر في الدنيا

لأني حبيت إلى أن لقيت • بعد المدو صديقا حبيبيا

وله في سن قلمها وقد تنفها :

وصاحب لا أمل الفهر صحبته • يشقى لنفى ويسى سعى مجتهد

لم ألقه مذ تصاحبنا لحن بدا • لناظري افترقنا فرقة الأبدي

وله ديوان شعر كبير ، وكان صلاح الدين يفضل على سائر الملوك ، وقد كان مولده في سنة ثمان ومائتين وأربعائة ، وكان في شببته شهماً شجاعاً ، قتل الأسد وحده مواجهة ، ثم عمر إلى أن توفي في هذه السنة ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان ، ودفن شرق جبل قايسون . قال وزرت قبره

وأُنشئت له : لا تستمر جلدا على هجرانهم • فتواك تضعف عن صدور دائم
واعلم بأنك إن رجعت إليهم • طوعا وإلا عدت عودة فادم
وله أيضا • وأعجب لضعف يدي عن حملها قلنا • من بعد حطم التناقى لبنة الأسد
وقل لمن يتنقى طول مدته • هندي عواقب طول العمر والممد
قال ابن الأثير : وفيها توفي شيخه .

(أبو محمد عبد الله بن علي)

ابن عبد الله بن سويد التكريتي ، كان عالما بالحديث وله تصانيف حسنة .

(الحازمي الحافظ)

قال أبو شامة : وفيها توفي الحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي الحمصاني
ببغداد ، صاحب التصانيف ، على صغر سنه ، منها المعجزة في النسب ، والناسخ والمبسوط وغيرها
ومولدها سنة ثمان أو تسع وأربعين وخمسمائة ، وتوفي في الثامن والعشرين من جمادى الأولى من
هذه السنة .

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة)

فيها قدم من جهة الخليفة رسل إلى السلطان يعلمونه بولاية العهد لأبي نصر الملقب بالظاهر بن
الخليفة الناصر ، فأمر السلطان خطيب دمشق أبا القاسم عبد الملك بن زيد القولي أن يذكره على
المنبر ، ثم جيز السلطان مع الرسل تحفا كثيرة ، وهدايا مزية ، وأرسل بأسارى من الفرنج على هبتهم
في حال حربهم ، وأرسل بصليب الصليبيات فدفع تحت عتبة باب النوى ، من دار الخليفة ، فكان
بالأقدام يدام ، بعد ما كان يعلم وييس ، والصحيح أن هذا الصليب كان منصوبا على الصخرة
وكان من نحاس مطليا باللعب ، لحظه الله إلى أسفل المنب .

(قصة عكا وما كان من أمرها)

لما كان شهر رجب اجتمع من كل بصور من الفرنج وساروا إلى مدينة عكا ، فأحاطوا بها بمحاصرها
فتمحصن من فيها من المسلمين ، وأعدوا للحصار ما يحتاجون إليه ، وبلغ السلطان خبرهم فسار إليهم من
دمشق مسرعا ، فوجدهم قد أحاطوا بها إحاطة الخاتم بالنصر ، فلم يزل يدافعهم عنها ويأمنهم منها ،
حتى جعل طريقا إلى باب القلعة يصل إليه كل من أراد ، من جندي وصوق ، وامرأة وصبي ، ثم
أدخل إليها ما أراد من الآلات والأمتعة ودخل هو بنفسه ، فعلا على سورها ونظر إلى الفرنج
وجيشهم وكثرة عددهم وعدم ، والميرة قد إليهم في البحر ، في كل وقت ، وكل ما لهم في ازدياد ،
وفي كل حين تصل إليهم الأمداد ، ثم عاد إلى خيمته والجنود قد إليه ، وتقديم عليه من كل جهة
ومكان ، منهم رجال وفرسان ، فلما كان في العشر الأخير من شعبان برزت الفرنج من مراكبها إلى

مواكبها ، في نحو من ألفي فارس وثلاثين ألف راجل ، فبرز إليهم السلطان فيمن معه من الشجعان
فاقتتلوا بمرج عكا قتالا عظيما ، وهزم جماعة من المسلمين في أول النهار ، ثم كانت الفائرة على الفرنج
فكانت القتلى بينهم أزيد من سبعة آلاف قتيل ، ولما تناهت هذه الوقعة تحول السلطان عن مكانه
الأول إلى موضع بعيد من رائحة القتلى ، خوفا من الأذى ، وليستريح الخيلة والخيول ، ولم يعلم
أن ذلك كان من أكبر مصالح المدو الخنول ، فانهم اغتبنوا هذه الفرصة فغفروا حول تخيمهم خندقا
من البحر عمدا يجيشهم ، وانفذوا من ترابه سوراً شاهقا ، وجعلوا له أبوابا يخرجون منها إذا أرادوا
ويمكنوا في منزلهم ذلك الذي اختاروا وارتادوا ، وفارط الأمر على المسلمين ، وقوى الخطب وصار
الداء عضالا ، وازداد الحال وبالا ، اختياراً من الله وامتناعاً ، وكان رأى السلطان أن يناجزوا
بمد الكرة مريماً ، ولا يتركوا حتى يطيب البحر فتأتيهم الأمداد من كل صوب ، فتمنع عليه الأمر
باملال الجيش والضجر ، وكل منهم لأمر الفرنج قد اختقر ، ولم يدروا ما قد حتم في القدر ، فأرسل
السلطان إلى جميع الملوك يستنصر ويستنصر ، وكتب إلى الخليفة بالحث ، وبث الكتب بالتحضيض
والحث السريع ، فجاءته الأمداد جماعات وآحاداً ، وأرسل إلى مصر يطلب أخاه العادل ويستعجل
الأسطول ، فقدم عليه فوصل إليه خمسون قطعة في البحر مع الأمير حسام الدين لؤلؤ ، وقدم العادل
في عسكر المصريين ، فلما وصل الأسطول حادت مراكب الفرنج عنه بمنة ويسرة ، وخافوا منه ،
والتصّل بالبلد الميرة والمدد والمدد ، وانشرت الصدور بذلك ، وانسلخت هذه السنة والحال ماحل
بل هو على ما هو عليه ولا ملجأ من الله إلا إليه .

وفيهما توفي من الأعيان . ❦ القاضي شرف الدين أبو سعد ❦

عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عسرون أحد أئمة الشافعية ، له كتاب الانتصاف ، وقد ولى
قضاء القضاة بدمشق ، ثم أضر قبل موته بشهر سنين ، فمُت وله نجم الدين مكانه بطبيب قلبه
وقد بلغ من العمر ثلاثاً وتسعين سنة ونصفاً ، ودفن بالمدرسة المصرية ، التي أنشأها عند سوقة
باب البريد ، قبالة داره ، بينهما عرض الطريق ، وكان من الصالحين والعلماء العاملين . وقد ذكره
ابن خلكان فقال : كان أصله من حديثة عانة الموصل ، ورحل في طلب العلم إلى بلدان شتى ، وأخذ
عن أسعد الميمني وأبي علي الفاروق وجاهزة ، وولى قضاء سنجار وحران ، وهاجر في أيام نور الدين
تدريس الفرائد ، ثم انتقل إلى حلب فبنى له نور الدين بحلب مدرسة وبمحمص أخرى ، ثم قدم دمشق
في أيام صلاح الدين ، فولى قضاءها في سنة ثلاث وسبعين وخمسة إلى أن توفي في هذه السنة ، وقد
جمع جزءاً في قضاء الأعشى ، وأنه جليز ، وهو خلاف المنهوب ، وقد حكاه صاحب البيان وجها لبعض
الأصحاب . قال : ولم أره في غيره ، ولكن حبك الشيء يعمى ويعصم ، وقد صنف كتباً كثيرة ،

منها صفوة المنهب في نهاية المطلب ، في سبع مجلدات ، والاتصاف في أربعة ، واخلاف في أربعة ، والذرية [في معرفة الشريعة] والمرشد وغير ذلك ، و [كتابا سماه مأخذ النظر ، ومختصر آ] في الفرائض ، وقد ذكره ابن عساكر في تاريخه والهاد فأنى عليه ، وكذلك القاضي الفاضل . وأورد له الهاد أشعاراً كثيرة وابن خلكان ، منها :

أؤمل أن أحيأ في كل ساعة • تمر بي الموت يهز نعوشها

وهل أنا إلا مثلهم غير أن لي • بقايا ليال في الزمان أعيشها

(أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان)

أبو العباس المعروف بابن أفضل الزمان ، قال ابن الأثير : كان عالماً متبحراً في علوم كثيرة من الفقه ، والأصول والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك ، وقد جاور بمكة وأقام بها إلى أن مات بها ، وكان من أحسن الناس صحبة وخلقاً .

(القتيبة الأمير ضياء الدين عيسى الحكاري)

كان من أصحاب أسد الدين شيركوه ، دخل معه إلى مصر ، وحظي عنده ، ثم كان ملازماً للسلطان صلاح الدين حتى مات في ركابه بمتزلة انطروية قريباً من عكا ، فنقل إلى القدس فدفن به ، كان ممن تفقه على الشيخ أبي القاسم بن البرزى الجزري ، وكان من الفضلاء والأمرء الكبار .

(المبارك بن المبارك الكرخي)

مدرس النظامية ، تفقه بآين الخلل [وحظي] بمكانة عند الخليفة والمأمة ، وكان يضرب بحسن خطه المثل . ذكرته في الطبقات .

(ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسة)

استهلت والسلطان محاصر لحصن عكا ، وأمداد الفرنج تهد إليهم من البحر في كل وقت ، حتى أن نساء الفرنج ليخرجن بنية القتال ، ومنهن من تأتي بنية راحة الفراخ لينكحوها في الثربة ، فيجدون راحة وخدمة وقضاء وطمر ، قدم إليهم حركب فيه ثلاثمائة امرأة من أحسن النساء وأجملين بهنم للنية ، فإذا وجدوا ذلك ثبتوا على الحرب والثربة ، حتى أن كثيراً من فسقة المسلمين تميزوا إليهم من أجل هذه النسوة ، واشتهر الخبر بذلك . وشاع بين المسلمين والفرنج بأن ملك الألسان قد أقبل بثلاثمائة ألف مقاتل ، من ناحية القسطنطينية ، يريد أخذ الشام وقتل أهلها ، انتصاراً لبيت المقدس فمند ذلك حمل السلطان والمسلمون هما عظيماً ، وخافوا غاية الخوف ، مع ما هم فيه من الشغل والحصار المائل ، وتوقيت قلوب الفرنج بذلك ، واشتدوا للحصار والقتال ، ولكن لطف الله وأهلك طامة جنده في الطرقات بالبرد والجوع والضلال في المهالك ، على ما سأقضي بياته . وكان سبب قتال الفرنج وخروجهم

من بلادهم ونفوسهم ما ذكره ابن الأثير في كملته أن جماعة من الرهبان والقسيسين الذين كانوا ببيت المقدس وغيره ، ركبوا من صور في أربعة مراكب ، وخرجوا يطوفون ببلدان النصارى البحرية ، وما هو قاطع البحر من الناحية الأخرى ، يمحضون الفرنج ، ويحثونهم على الانتصار لبيت المقدس ، ويذكرون لهم ما جرى على أهل القدس ، وأهل السواحل من القتل والسبي وخراب الديار ، وقد صوروا صورة المسيح وصورة حربى آخر يضربه ويؤذيه ، فلما سألهم من هذا الذى يضرب المسيح قالوا هذا نبي العرب يضربه وقد جرحه ومات ، فيزججون لكك ويحسون ويبكون ويحزنون فمئذ ذلك خرجوا من بلادهم لنصرة دينهم ونبيهم ، ووضع حجهم على الصعب والذل ، حتى النساء الخدردات والزواني والزانيات الذين هم عند أهلهم من أعز الثقات .

وفي نصف ربيع الأول تسلم السلطان شيعف أربون بالأمان ، وكان صاحبه مأسوراً في القل والهوان ، وكان من أدهى الفرنج وأخبرهم بأيام الناس ، ورعاقرأ في كتب الحديث وتفسير القرآن ، وكان مع هذا غليظ الجلد قاسى القلب ، كافر النفس . ولما انفصل فصل الشتاء وأقبل الربيع جاءت ملوك الاسلام من بلادها بضيولها وشجعائها ، ورجالها وفرسانها ، وأرسل الخليفة إلى الملك صلاح الدين أحلاماً من النفط والرماح ، وضلطة وقبايين ، كل منهم متقن في صنعة غاية الاقنان ، ومرسوما بعشرين ألف دينار ، وانفتح البحر وتواترت مراكب الفرنج من كل جزيرة ، لأجل نصرة أصحابهم ، بمدونهم بالقوة والمهيرة ، وحملت الفرنج ثلاثة أبرجة من خشب وحديد ، عليها جلودمسة بالمثل ، لتلا يعمل فيها النفط ، يسع البرج منها خمسمائة مقاتل ، وهى أعلا من أبرجة البلد ، وهى مركبة على حجل بحيث يدبرونها كيف شاءوا ، وعلى ظهر كل منها منجنيق كبير ، فلما رأى المسلمون ذلك أهمهم أمرها وخافوا على البلد ومن فيه من المسلمين أن يؤخذوا ، وحصل لهم ضيق منها ، فأعمل السلطان فكره بأحرارها ، وأحضر النفاطين وودعهم بالأموال الجزيلة إن هم أحرقوها ، فأتدب لذلك شاب نحاس من دمشق يعرف بمل بن حريف النحاسين ، والزم بأحرارها ، فأخذ النفط الأبيض وخلطه بأدوية يرميها ، وعلى ذلك في ثلاثة قنود من نحاس حتى صار ناراً تأجج ، ورمى كل برج منها بقدر من تلك القنود بالمنجنيق من داخل عكا ، فاحترقت الأبرجة الثلاثة حتى صارت ناراً باذن الله ، ولما ألسنة في الجو متصاعدة ، واحترق من كان فيها ، فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل ، واحترق في كل برج منها سبعون كفوراً ، وكان يوماً على الكافرين عسيراً ، وذلك يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وكان الفرنج قد تمسكوا في حملها سبعة أشهر ، فاحترقت في يوم واحد (وقمنا إلى ما حملوا من حمل فجبلناه هباء منثوراً) ثم أمر السلطان قتل الشاب النحاس بقطعة سنية ، وأموال كثيرة فامتنع أن يقبل شيئاً من ذلك ، وقال : إنما حملت ذلك ابتغاء وجه الله ، ووجه

ما عنده سبحانه ، فلا أريد منكم جزاء ولا شكورا .

وأقبل الأسطول المصري وفيه الميرة الكثيرة لأهل البلد ، فعبي الفرنج أسطولهم ليقاتلوا أسطول المسلمين ، نهض السلاطون بمجيئه ليشغلهم عنهم ، وقتلهم أهل البلد أيضاً واقتتل الأسطولان في البحر ، وكان يوما عسيرا ، وحربا في البر والبحر ، فظفرت الفرنج بشيبي واحد من الأسطول الذي للمسلمين ، وسلم الله الباقي فوصل إلى البلد بما فيه من الميرة ، وكانت حاجتهم قد اشتدت إليها جدا ، بل إلى بعضها .

وأما ملك الألمان المتقدم ذكره فانه أقبل في عدد وعدد كثير جدا ، قريب من ثلاثمائة ألف مقاتل ، من نيته خراب البلد وقتل أهلها من المسلمين ، والاتصار لبيت المقدس ، وأن يأخذ البلاد إقليها بعد إقليم ، حتى مكة والمدينة ، فما زال من ذلك شيئا بدون الله وقوته ، بل أهلهم الله عز وجل في كل مكان وزمان ، فكانوا يتخطفون كما يتخطف الحيوان ، حتى اجتاز ملكهم بنهر شديد الجرية فدعته نفسه أن يسبح فيه ، فلما صار فيه حله الماء إلى شجرة فشجت راسه ، وأخذت أنفاسه بوأراح الله منه العباد والبلاد ، فأقيم ولده الأصغر في الملك ، وقد تحزق فحملهم ، وقتل منهم العدة ، ثم أقبلوا لا يجتازون ببلد إلا قتلوا فيه ، فما وصلوا إلى أصحابهم الذين على عكا إلا في ألف فارس ، فلم يرفوا بهم رأسا ولا لهم قدرا ولا قيمة بينهم ، ولا عند أحد من أهل ملتهم ولا غيرهم ، وهكذا شأن من أراد إطفاء نور الله وإذلال دين الاسلام . وزعم العباد في سياقه أن الألمان وصلوا في خمسة آلاف ، وأن ملوك الافرنج كلهم كرهوا قدومهم عليهم ، لما يخافون من سطوة ملكهم ، وزوال دولتهم بدولته ، ولم يفرح به إلا المراكيس صاحب صور ، القى أنشأ هذه الفتنة وأثار هذه الحنة ، فانه تقوى به وبكيده ، فانه كان خبيرا بالحروب ، وقد قسم بأشياء كثيرة من آلات الحرب لم تخطر لأحد ببال نصب دبابات أمثال الجبال ، تسير بسجل ولها زلوم من حديد ، تنطح السور فتخرقه ، وتثلم جوانبه ، فمن الله العظيم بحارقاتها ، وأراح الله المسلمين منها ، ونهض صاحب الألمان بالسكر الفرنسي فصاحم به جيش المسلمين [فقامت جيوش المسلمين] برمتها إليه ، قتلوا من الكفرة خلقا كثيرا وجا خفيرا ، وهجموا مرة على خيم السلطان بفتنة قهبوا بعض الأمتة ، قهض الملك المادل أبو بكر - وكان رأس الميمنة - فركب ، في أصحابه وأهل الفرنج حتى توغلوا بين الخيام ، ثم حل عليهم بالرماح والحسام ، فهربوا بين يديه فما زال يقتل منهم جماعة بعد جماعة ، وفرقة بعد فرقة ، حتى كسوا وجه الأرض منهم حلالا أزهي من الرياض الباسمة ، وأحب إلى النفوس من الحدود الناعمة ، وأقل ما قيل إنه قتل منهم خمسة آلاف ، وزعم الهاد أنه قتل منهم فيما بين الظهر إلى العصر عشرة آلاف والله أعلم . هذا وطرف الميسرة لم يشر بما جرى ولا جرى ، بل فاقم وقت القاتلة في خيلهم ، وكان

الذين ساقوا وراهم أقل من ألف ، وإثما قتل من المسلمين عشرة أو دونهم ، وهذه نعمة عظيمة ، وقد أوهن هذا جيش الفرنج وأضعفهم ، وكانوا يطلبون الصلح وينصرفون عن البلد ، فاتفق قديم مدب عظيم إليهم من البحر مع ملك يقال له كيد هري ، وسعه أموال كثيرة فاتفق فيهم وغرم عليهم وأمرهم أن يبرزوا معه لقتال المسلمين ، ونصب على عكا منجنيقين ، غرم على كل واحد منهما ألفاً وخمسة دینار ، فأحرهما المسلمون من داخل البلد ، وجاءت كتب صاحب الروم من القسطنطينية يمتدح لصلاح الدين من جهة ملك الألمان ، وأنه لم يتجاوز بلده باختياره ، وأنه تجاوزه لكثرة جنوده ، ولكن ليبشر السلطان بأن الله سبيلكم في كل مكان ، وكذلك وقع ، وأرسل إلى السلطان يخبره بأنه يقيم للمسلمين عنده جمعة وخطباً ، فأرسل السلطان مع رسله خطيباً ومنبراً ، وكان يوم دخولهم إليه يوماً مشهوداً ، ومشهداً محموداً ، فأقيمت الخطبة بالقسطنطينية ، ودعا للخليفة العباسي ، واجتمع فيها من هناك من المسلمين من التجار والمسلمين الأسرى والمسافرين إليها والحمد لله رب العالمين .

فصل

وكتب متولى عكا من جهة السلطان صلاح الدين وهو الأمير بهاء الدين قراقوش ، في العشر الأول من شعبان إلى السلطان : إنه لم يبق عندهم في المدينة من الأقوات إلا ما يبلغهم إلى ليلة النصف من شعبان ، فلما وصل الكتاب إلى السلطان أسرها يوسف في نفسه ولم يبداها لهم ، خوفاً من إشاعة ذلك فيبلغ العدو فيقوموا على المسلمين ، وتضعف القلوب ، وكان قد كتب إلى أمير الأسطول بالمصرية أن يقدم الميرة إلى عكا ، فتأخر سيره ، ثم وصلت ثلاث بطش ليلة النصف ، فيها من الميرة ما يكفي أهل البلد طول الشتاء ، وهي محبة الحاجب لؤلؤ ، فلما أشرفت على البلد نهض إليها أسطول الفرنج ليحول بينها وبين البلد ، وينلف ما فيها ، فاقترنوا في البحر قتالاً شديداً ، والمسلمون في البر يبنهون إلى الله عز وجل في سلامتها ، والفرنج أيضاً تصرخ برأً ويجرأ ، وقد ارفع الضجيج ، فنصر الله المسلمين وسلم مرا كبهم ، وطابت الرياح للبطش فسارت فأحرقت المراكب الفرنجية المحيطة بالميناء ، ودخلت البلد سالمة ، ففرح بها أهل البلد والجيش فرحاً شديداً ، وكان السلطان قد جازى هذه البطش الثلاث بطشة كبيرة من بيروت ، فيها أربعمائة فرارة ، وفيها من الجبن والشحم والقديد والشباب والنقط شيء كثير ، وكانت هذه البطشة من بطش الفرنج المنقومة ، وأمر من فيها من التجار أن يلبسوا زى الفرنج حتى أنهم حلقوا لحام ، وشدوا الزناخير ، واستصحبوا في البطشة معهم شيئاً من الخنازير ، وقدموا بها على مراكب الفرنج فاعتقدوا أنهم منهم وهي سائرة كأنها السهم إذا خرج من كب القوس ، فغدرم الفرنج غائلة الميناء من ناحية البلد ، فاعتنقوا

بأنهم مغلوبون عنها ، ولا يمكنهم حيسها من قوة الريح ، وما زالوا كذلك حتى وجلوا الميناء فأفروا ما كان معهم من الميرة ، والحرب خدعة ، فبغت المنياء فامتلاً الثغريها خيراً ، فكفتمهم إلى أن قدمت عليهم تلك البطش الثلاث المصرية . وكانت البلاد يكتنفها برجان يقال لأحدهما برج الهيان ، فاختفت الفرنج بطشة عظيمة لما خرطوم وفيه محركات إذا أرادوا أن يضعوه على شيء من الأسوار والابرجة قلبوه فوصل إلى ما أرادوا ، فظلم أمر هذه البطشة على المسلمين ، ولم يزالوا في أمرها محالين ، حتى أرسل الله عليها شواظاً من نار فأحرقها وأغرقها ، وذلك أن الفرنج أعدوا فيها فظاً كثيراً وحطباً جزلاً ، وأخرى خلفها فيها حطب محض ، فلما أراد المسلمون المحافظة على الميناء أرسلوا النفط على بطشة الحطب فاحترقت وهي سائرة بين بطش المسلمين ، واحترقت الأخرى ، وكان في بطشة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو قد أحكوه فيها ، فلما أرسلوا النفط على برج الديان انعكس الأمر عليهم بقذرة الله تعالى ، وذلك لشدة الهواء تلك الليلة ، فما تمت النار بطشتهم فاحترقت ، وتعدى الحريق إلى الأخرى ففرقت ، ووصل إلى بطشة المقاتلة فتلفت ، وهلك من فيها ، فاشبهوا من سلف من أهل الكتاب من الكافرين ، في قوله تعالى (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) .

فصل

وفي ثالث رمضان اشتد حصار الفرنج للمدينة حتى نزلوا إلى الخندق ، فبرز إليهم أهل البلد قتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وتمكنوا من حريق الكيس والأسوار ، وسرى حريقه إلى السقوف ، وارتفعت له لجة عظيمة في عنان السماء ، ثم اجتذبه المسلمون إليهم بكلاليب من حديد في سلاسل ، فحصل عندهم وألقوا عليه الماء البارد فبرد بعد أيام ، فكان فيه من الحديد مائة قنطار بالمشقي ، والله الحمد والمنة .

وفي الثامن والعشرين من رمضان توفي الملك زين الدين صاحب أربل في حصار عكا مع السلطان ، فتأسف الناس عليه لشبابه وقرينته وجودته ، وعزى أخاه مظفر الدين فيه ، وقام بالملك من بعده وسأل من صلاح الدين أن يضيف إليه شهر زور وحران والرها ومحيطها وغيرها ، وتوصل مع ذلك خمسين ألف دينار قنطاراً ، فأجيب إلى ذلك ، وكتب له تقليداً ، وعقد له لواء ، وأضيف مآثره إلى الملك المظفر تقي الدين ابن أخي السلطان صلاح الدين .

فصل

وكان القاضي الفاضل بمصر يدبر الممالك بها ، ويميز إلى السلطان ما يحتاج إليه من الأموال ،

وعمل الأسطول والكتب السلطانية ، فنها كتاب يذكر فيه أن سبب هذا التطويل في الحصار كثرة القنوب ، وارتكاب المحارم بين الناس ، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته ، ولا يفرج الشدائد إلا بالرجوع إليه ، وامتنال أمره ، فكيف لا يطول الحصار والمعاصي في كل مكان فاشية ، وقد صعد إلى الله منها ما يتوقع بهمه الاستمادة منه ، وفيه أنه قد بلغه أن بيت المقدس قد ظهر فيه المنكرات والفواحش والظلم في بلاده ما لا يمكن تلافيه إلا بكلفة كثيرة . ومنها كتاب يقول فيه إنما آتينا من قبل أنفسنا ، ولو صدقنا ليجل الله لنا عواقب صدقنا ، ولو أعطاه لما عاقبنا بصدقنا ، ولو فعلنا ما نقدر عليه من أمره لفعل لنا ما لا نقدر عليه إلا به ، فلا يختصم أحد إلا نفسه وعمله ، ولا يرج إلا ربه ولا يفتر بكثرة الساكر والأعوان ، ولا فلان الذي يستمد عليه أن يقاتل ولا فلان ، فكل هذه مشاغل عن الله ليس النصر بها ، وإنما النصر من عند الله ، ولا نأمن أن يكلنا الله إليها ، والنصر به والاعطف منه ، ونستغفر الله تعالى من ذنوبنا ، فلو أنها تسد طريق دعائنا لكان جواب دعائنا قد نزل ، وفيض دموع الغاشمين قد غسل ، ولكن في الطريق عائق ، خار الله مولانا في القضاء السابق واللاحق . ومن كتب آخر يتألم فيه لما عند السلطان من الضعف في جسمه بسبب ما حمل على قلبه مما هو فيه من الشدائد ، أتاه الله بقوله : وما في نفس الملوك شائنة إلا بقية هذا الضعف الذي في جسم مولانا فإنه بقلوبنا ، ونفديه بأسماعنا وأبصارنا ثم قال :

بنا مشر الخدام ما بك من أذى • وإن أشقوا مما أقول في وحدي

وقد أورد الشيخ شهاب الدين صاحب الروضتين هاهنا كتاباً عدة من الفاضل إلى السلطان ، فيها فصاحة وبلاغة ومواعظ وتحضيض على الجهاد ، فرحمه الله من إنسان ما أفصحه ، ومن وزير ما كان أنصحه ، ومن عقل ما كان أرجحه .

فصل

وكتب الفاضل كتاباً على لسان السلطان إلى ملك الغرب أمير المسلمين ، وسلطان جيش الموحدين ، يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، يستنجد به لإرسال مراكب في البحر تكون عوناً للمسلمين على المراكب الفرنجية في عبارة طويلة فصيحة بليغة مليحة ، حكاها أبو شامة بطولها . وبث السلطان صلاح الدين مع الكتاب سنية من التحف والألطف ، بحبة الأمير الكبير فمس الدين أبي الحرم عبدالرحمن بن منقذ ، وسار في البحر في ثامن ذي القعدة ، فدخل على سلطان المغرب في العشرين من ذي الحجة ، فأقام عنده إلى عاشوراء من الحرم من سنة ثمان وثمانين ، ولم يند هذا الإرسال شيئاً ، لأنه تفضيلاً إذ لم يلقب بأمر المؤمنين ، وكانت إشارة الفاضل إلى عدم الإرسال إليه ، ولكن وقع ما وقع بمشيئة الله .

فصل

وفيهما حصل للناصر صلاح الدين سوء مزاج من كثرة ما يكابده من الأمور ، فطعم العدو الخنول في حوزة الاحلام ، فتجرد جماعة منهم للقتال ، وثبت آخرون على الحصار ، فأقبلوا في عدد كثير وعدد ، فرتب السلطان الجيوش بمنه ويسرة ، وقلبا وجناحين ، فلما رأى العدو الجيش الكثيف فروا وقتلوا منهم خلقا كثيرا وجعا غفيرا .

فصل

ولما دخل فصل الشتاء وانشرت مراكب الفرنج عن البلد خوفاً من الهلاك بسبب اغتلام البحر ، سأل من بالبلد من المسلمين من السلطان أن يرخصهم مما هم فيه من الحصر العظيم ، والقتال ليلا ونهاراً ، وأن يرسل إلى البلد بلغم ، فرق لهم السلطان ، وعزم على ذلك ، وكاتوا قريباً من عشرين ألف مسلم ما بين أمير ومأمور ، فجهز جيشاً آخر غيرهم ، ولم يكن ذلك برأى جيد ، ولكن ما قصد السلطان إلا خيراً ، وأزهولاء يدخلون البلد بهم حدة شديدة ، ولم عزم قوى ، وهم في راحة بالنسبة إلى ما أولئك ولكن أولئك الذين كانوا بالبلد وخرجوا منه كانت لهم خبرة بالبلد والقتال وكان لهم صبر ، وجسد وقد تمونوا فيها مؤنة تكفيهم سنة ، فتمحقت بسبب ذلك ، وقدم بطش من مصر فيه ميرة تكفي أهل البلد منة كاملة ، فقدر الله العظيم - وله الأمر من قبل ومن بعد - أنها لما توسطت البحر واقتربت من الميناء هاجت عليها ربح عظيمة فاقبلت تلك البطش وتقلب على عظيمها فاختبعت واضطربت وتصادمت فتكسرت وقرقت ، وفرق ما كان فيها من الميرة والبحارة ، فسئل بسبب ذلك وهن عظيم على المسلمين ، واشتد الأمر جدّاً ، ومرض السلطان وازداد مرضاً إلى مرضه ، فأن الله وإنا إليه راجعون . وكان ذلك هو القعدو الخنول على أخذ البلد ، ولا قوة إلا بالله ، وذلك في ذى الحجة من هذه السنة ، وكان المقدم على الداخلين إلى حكا الأمير سيف الدين على بن أحمد بن المشطوب .

وفي اليوم السابع من ذى الحجة سقطت ثمة عظيمة من سور عكا ، فبادر الفرنج إليها فسبقهم المسلمون إلى سدها بصدورهم ، وقتلوا دونها بنحورهم ، وما زالوا يمانعون منها حتى بنوها أشد مما كانت ، وأقوى وأحسن . ووقع في هذه السنة وباء عظيم في المسلمين والكافرين ، فكان السلطان يقول في ذلك :

أقتلوني * وما لك * واقتلوا مالكا معي

وأخفق موت ابن ملك الألمان لئنه الله في ثأني ذى الحنية ، وجاعة من كبراء الكند هرية ،
وسادات الفرنج لنهم الله ، فغن الفرنج على ابن ملك الألمان وأوقدوا ناراً عظيمة في كل خيمة ،
وصار كل يوم يهلك من الفرنج المائة والمائتان ، واستأن السطان جماعة منهم من شدة ما هم فيه من
الجوع والضيق والحصر ، وأسلم خلق كثير منهم . وفيها قدم القاضي الفاضل من مصر على
السطان ، وكان قد طال شوق كل منهما إلى صاحبه ، فأففى كل منهما إلى صاحبه ما كان يسره
ويكنه من الآراء التي فيها مصالح المسلمين .

وفيها توفي من الأعيان .

(ملك الألمان)

وقد تقدم أنه قدم في ثلاثمائة ألف مقاتل ، فهلكوا في الطرقات ، فلم يصل إلى الفرنج إلا في خمسة
آلاف وقيل في ألفي مقاتل ، وكان قد عزم على دمار الاسلام ، واستغاذ البلاد بكاملها من أيدي
المسلمين ، انتصاراً في زعمه إلى بيت المقدس ، فأهلكه الله بالنزق كما أهلك فرعون ، ثم ملك بعده
ولده الأصغر فأقبل بن يقي منه من الجيش إلى الفرنج ، وهم في حصار عكا ، ثم مات في هذه السنة
فله الحد والمئة .

(محمد بن محمد بن عبد الله)

أبو حامد قاضي القضاة بالموصل ، كمال الدين الشهرزوري الشافعي ، أنفى عليه العباد وأئند
له من شعره قوله :

قامت بائيات الصفات أدلة • قصبت ظهور أئمة التعطيل
وطلائع التنزيه لما أقبلت • هزمت خوى التشبيه والتخيل
فلحق ما صرنا إليه جميعنا • بأدلة الأخبار والتنزيل
من لم يكن بالشرع مقتدياً قد • ألقاه فرط الجبل في التضليل
(ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة)

فيها قدم ملك الفرنسيس وملك انكلترا وغيرهما من ملوك البحر الفرنج ، على أصحابهم
الفرنج إلى عكا ، وتماثلوا على أخذ عكا في هذه السنة كما سيأتي تفصيله ، وقد استهلكت هذه السنة
والحصار الشديد على عكا من الجانبين ، وقد استكمل دخول العدو إلى البلد والملك المادل تخيم إلى
جانب البحر ، لينتكمل دخولهم ودخول مدينتهم ، وفي ليلة منهل ربيع الأول منها خرج المسلمون
من عكا فهجموا على تخيم الفرنج فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وسبوا وغنموا شيئاً كثيراً ، سبوا اثني
عشراً امرأة ، وانكسر مركب عظيم للفرنج فغرق ما فيه منهم وأسرى بعضهم ، وأغار صاحب حص
أسد الدين بن شيركوه على سرح الفرنج بأراضي طرابلس ، فاستاق منهم شيئاً كثيراً من الغنول
والإبقار والأغنام ، ونظر الترك بخلق كثير من الفرنج فقتلهم ، ولم يقتل من المسلمين سوى طواش

صغير عثر به فرسه . وفي ثاني عشر ربيع الأول وصل إلى الفرنج ملك الفرنسيين في قريب من ستين
بطن مملوئة مشحونة ببسطة الصليب ، فحين وصل إليهم وقدم عليهم لم يبق لأحد من ملوكهم معه
كلام ولا حكم ، لمقلته عندهم ، وقدم معه باز عظيم أبيض وهو الأشهب ، هائل ، فطار من يده
فوقع على سور عكا فأخذه أهلها وبشوه إلى السلطان صلاح الدين ، فبذل الفرنجي فيه ألف دينار
فلم يجبه إلى ذلك ، وقدم به كيد فبر وهو من أكابر ملوكهم أيضاً ، ووصلت سفن ملك الانكليز ،
ولم يجبه ملكهم لاشتغاله بجزيرة قبرص وأخذها من يد صاحبها ، وتواصلت ملوك الاسلام أيضاً
من بلداتها في أول فصل الربيع ، لخدمة الملك الناصر . قال العماد : وقد كان للمسلمين لصوص
يدخلون إلى خيام الفرنج فيسرقون ، حتى أنهم كانوا يسرقون الرجال ، فاتفق أن بعضهم أخذ صيداً
رضيخاً من مهد ابن ثلاثة أشهر ، فوجئت عليه أمه وجداً شديداً ، واشتكت إلى ملوكهم فقالوا لها :
إن سلطان المسلمين رحم القلب ، وقد أذن لك أن تنهي إليه فتشكني أمرك إليه ، قال العماد
لجاءت إلى السلطان فأنتت إليه حالها ، فرق لها رقة شديدة حتى دمت عينه . ثم أمر بإحضار
ولدها فإذا هو قد بيع في السوق ، فرسم بدفع ثمنه إلى المشتري ، ولم يزل واقفاً حتى جىء بالثلام
فأخذته أمه وأرضعته ساعة وهي تبكي من شدة فرحها وشوقها إليه ، ثم أمر بحملها إلى خيبتها على فرس
مكرمترجه الله تعالى وضاعته .

فصل

(في كيفية أخذ العدو المختول عكا من يدى السلطان قسراً)

لما كان شهر جمادى الأولى اشتد حصار الفرنج لعينهم الله لمدينة عكا ، وتماثلوا عليها من كل فج
صيق ، وقدم عليهم ملك الانكليز في جم غفير ، وجمع كثير ، في خمسة وعشرين قطعة مشحونة بالمقاتلة
وابتلى أهل النفر منهم بيلاء لا يشبه ما قبله ، فمئذ ذلك حركت الكؤوسات في البلد ، وكانت علامة
ما بينهم وبين السلطان ، فحرك السلطان كؤوساته فاقترب من البلد وقصود إلى قريب منه ، ليشغلهم
عن البلد ، وقد أحاطوا به من كل جانب ، ونصبوا عليه سبعة منجانيق ، وهي تضرب في البلد ليلاً
ونهاراً ، ولا سبيل على برج عين البقر ، حتى أثرت به أثراً بيناً ، وشروعوا في ردم الخندق بما أمكنهم
من دواب ميتة ، ومن قتل منهم ، ومن مات أيضاً ردموا به ، وكان أهل البلد يلقون ما ألقوه فيه إلى
البحر . وتلقى ملك الانكليز ببسطة عظيمة للمسلمين قد أقبلت من بيروت مشحونة بالأمنعة
والأسلحة فأخذها ، وكان واقفاً في البحر في أربعين مركباً لا يترك شيئاً يصل إلى البلد بالكلية ،
وكان بالبسطة سائة من المقاتلين الصناديد الأبطال ، فلهكوا عن آخرهم ورحمهم الله . فانه لما أحيط

بهم وتحققوا إما الفرق أو القتل ، خرقوا جوانبها كلها ففرقت ، ولم يقدر الفرنج على أخذ شيء منها
 لا من الميرة ولا من الأسلحة ، وحزن المسلمون على هذا المصائب حزناً عظيماً ، فأتاه الله وإنا إليه
 راجعون ، ولكن جبر الله سبحانه هذا البلاء بأن أحرق المسلمون في هذا اليوم دبابه كانت
 أربع طبقات ، الأولى من الخشب ، والثانية من رصاص ، والثالثة من حديد ، والرابعة من نحاس ،
 وهي مشرفة على السور والمقاتلة فيها ، وقد قلق أهل البلد منها بحيث حدثتهم أنفسهم من خوفهم
 من شرها بأن يطلبوا الأمان من الفرنج ، ويسلموا البلد ، ففرج الله عن المسلمين وأمكنهم من
 حريقها ، اتفق لهم ذلك في هذا اليوم الذي غرقت فيه البطشة المذكورة ، فأرسل أهل البلد يشكون
 إلى السلطان شدة الحصار وقوته عليهم ، منذ قام ملك الانكليز لعنه الله ، ومع هذا قد مرض هو
 وجرح ملك الافرنسيين أيضاً ولا يزيدم ذلك إلا شدة غلظة ، وهتواً ونبهاً ، وفارقهم المركيس
 وسار إلى بلده صور خوفاً منهم أن يخرجوا ملكها من يده . وبث ملك الانكليز إلى السلطان
 صلاح الدين يذكر له أن عنده جوارح قد جاء بها من البحر ، وهو على نية إرسالها إليه ، ولكنها
 قد ضعفت وهو يطلب حجاباً وطيراً لتقوى به ، فرف أنه إنما يطلب ذلك لنفسه يملطها به ،
 فأرسل إليه شيئاً كثيراً من ذلك كرماء ، ثم أرسل يطلب منه فاكهة وثلجاً فأرسل إليه أيضاً ، فلم يزد
 معه الاحسان ، بل لما عوفى عاد إلى شر مما كان ، واشتد الحصار ليلاً ونهاراً ، فأرسل أهل البلد
 يقولون للسلطان إما أن تسلموا معنا شيئاً غداً وإلا طلبنا من الفرنج الصلح والأمان ، فشق ذلك
 على السلطان ، وذلك لأنه كان قد بث إليها أسلحة الشام والبنار المصرية وسائر السواحل ، وما
 كان غنمه من وقعة حطين ومن القدس ، فهي مشحونة بذلك ، فعند ذلك عزم السلطان على الهجوم
 على العدو ، فلما أصبح ركب في جيشه قرأى الفرنج قد ركبوا من وراء خندقهم ، والرجال منهم قد
 ضربوا سوراً حول الفرسان ، وهم قطعة من حديد صماء لا ينفذ فيهم شيء ، فأحجم منهم لما يعلم من
 نكول جيشه عما يريد ، وتعمدوا عليه شجاعته رحمه الله .

هذا وقد اشتد الحصار على البلد ودخلت الرجالة منهم إلى الخندق وعلقوا بدنة في السور
 وحشوها وأحرقوها ، فسقطت ودخلت الفرنج إلى البلد ، فما نعم المسلمون وقاتلهم أشد القتال ، وقتلوا
 من رؤسهم ستة أئمن ، فاشتد حق الفرنج على المسلمين جدا بسبب ذلك ، وجاء القيل غلال بين
 الفريقين ، فلما أصبح الصباح خرج أمير المسلمين بالبلد أحمد بن المشطوب فاجتمع بمكة الافرنسيين
 وطلب منهم الأمان على أنفسهم ، ويسلمون منه البلد ، فلم يجبههم إلى ذلك ، وقال له : بعد ما سقط
 السور جئت تطلب الأمان ؟ فأغلظ له ابن المشطوب في الكلام ، ورجع إلى البلد في حالة الله بها
 عليهم ، فلما أخبر أهل البلد بما وقع خافوا خوفاً شديداً ، وأرسلوا إلى السلطان يملونه بما وقع ، فأرسل

إلهم أن يسرعوا الخروج من البلد في البحر ولا يتأخروا عن هذه الليلة ، ولا يبق بها مسلم ، فتشاغل كثير من كان بها لجمع الأمتة والأسلحة ، وتأخروا عن الخروج تلك الليلة ، فما أصبح الخبر إلا عند الفرنج من مملوكين صغيرين سمعا بما رسم به السلطان ، فهربا إلى قومهما فأخبروهم بذلك ، فاحتفظوا على البحر احتفاظا عظيما ، فلم يتمكن أحد من أهل البلد أن يتحرك بحركة ، ولا يخرج منها شيء ، بالكلية ، وهذان الماوكان كانا أسيرين قد أسرها السلطان من أولاد الفرنج ، وعزم السلطان على كبس المدوفى هذه الليلة ، فلم يواظف الجيش على ذلك ، وقالوا لا نخاطر بمسك المسلمين ، فلما أصبح يث إلى ملوك الفرنج يطلب منهم الأمان لأهل البلد على أن يطلق عدتهم من الأسرى القدين تحت يده من الفرنج ، ويزيدهم صليب الصليبوت ، فأبوا إلا أن يطلق لهم كل أسير تحت يده ، ويطلق لهم جميع البلاد الساحلية التي أخذت منهم ، وبيت المقدس ، فأبى ذلك ، وترددت المراسلات في ذلك ، والحصار يتزايد على أسوار البلد . وقد تهدمت منه ثلم كثيرة ، وأعاد المسلمون كثيرا منها ، وسدوا ثغر تلك الأماكين بنحورهم رحمهم الله ، وصبروا صبرا عظيما ، وصابروا العدو ، ثم كان آخر الأمر وصولهم إلى درجة الشهادة ، وقد كتبوا إلى السلطان في آخر أمرهم يقولون له : يا مولانا لا تضعضع لمؤلاء الملاحين ، القدين قد أبوا عليك الاجابة إلى ما دعوتهم فينا ، فانا قد بايعنا الله على الجهاد حتى تقتل عن آخرنا ، وبالله المستعان .

فلما كان وقت الظهر في اليوم السابع من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ما شعر الناس إلا وأعلام الكفار قد ارتفعت ، وصلباتهم ونارهم على أسوار البلد ، وصاح الفرنج صيحة واحدة ، فظلمت عند ذلك المصيبة على المسلمين ، واشتد حزن الموحدين ، وانحصر كلام الناس في إنا لله وإنا إليه راجعون ، وغشى الناس بهتة عظيمة ، وحيرة شديدة ، ووقع في عسكر السلطان الصياح والمويل ، ودخل المركيس لئنه الله وقد عاد إليهم من صور يهدايا فأهداها إلى الملوك ، فدخل في هذا اليوم عكا بأربعة أعلام الملوك فنصبها في البلد ، واحدا على المأذنة يوم الجمعة ، وآخر على القلعة ، وآخر على برج الحماوية ، وآخر على برج القتال ، حوضا عن أعلام السلطان ، وتجهيز المسلمون الذين بها إلى ناحية من البلد معتقلين ، محتاط بهم مضيق عليهم ، وقد أسروا النساء والأبناء ، وغنمت أموالهم ، وقيدت الأبطال وأهين الرجال ، والحرب سجال ، والحمد لله على كل حال .

فبعد ذلك أمر السلطان الناس بالتأخر عن هذه المنزلة ، وثبت هو مكانه لينظر ما ذا يصنعون وما عليه يمولون ، والفرنج في البلد مشغولون مهوشون ، ثم سار السلطان إلى العسكر وعنده من الهم ملا يملئه إلا الله ، وجاءت الملوك الاسلامية ، والأمراء وكبراء الدولة يزورونه فيما وقع ، ويسئلونه على ذلك ، ثم راسل ملوك الفرنج في خلاص من بأيديهم من الأسرى فقبلوا منه عدتهم من أسراهم

ومائة ألف دينار ، وصليب الصليبوت إن كان باقياً ، فأرسل فأحضر المال والصليب ، ولم يهبأ له من الأسارى إلا ستائة أسير ، فطلب الفرنج منه أن يرهم الصليب من بعيد ، فلما رفع سجدوا له وألقوا أنفسهم إلى الأرض ، وبعثوا يطلبون منه ما أحضره من المال والأسارى ، فامتنع إلا أن يرسلوا إليه الأسارى أو يبعثوا له برهائن على ذلك ، فقالوا : لا ولكن أرسل لنا ذلك وأرض بأمانتنا ، فعرف أنهم يريدون الغدر والمكر ، فلم يرسل إليهم شيئاً من ذلك ، وأمر برد الأسارى إلى أهلهم بدمشق ، ورد الصليب إلى دمشق مهاتاً ، وأبرزت الفرنج خيامهم إلى ظاهر البلد وأحضروا ثلاثة آلاف من المسلمين فأوقضهم بعد العصر وحلوا عليهم حملة رجل واحد قتلوم عن آخرهم في صعيد واحد ، رحيم الله وأكرم منوهم ، ولم يستبقوا بأيديهم من المسلمين إلا أميراً أو صبياً ، أو من يرويه في عملهم قويا أو امرأة . وجرى القى كان ، وقضى الأمر القى فيه تستفتيان . وكان مدة إقامة صلاح الدين على عكا صابراً مصابراً مرابطاً سبعة وثلاثين شهراً ، وجملة من قتل من الفرنج خمسين ألفاً .

فصل

فيما حدث بعد أخذ الفرنج عكا

ساروا برمتهم فأصدين عسقلان ، والسلطان يحميه يسارهم ويعارضهم منزلة منزلة ، والمسلمون يتخطفونهم ويسلبونهم في كل مكان ، وكل أسير أتى به إلى السلطان يأمر بقتله في مكانه ، وجرى خطوط بين الجليشين ، ووقعت متعددات ، ثم طلب ملك الانكيز أن يجتمع بالملك العادل أخى السلطان يطلب منه الصلح والأمان ، على أن يمد لأهلها بلاد السواحل ، فقال له العادل : إن دون ذلك قتل كل فارس منكم ورجل ، فنضب العين ونهض من عنده غضبان ، ثم اجتمعت الفرنج على حرب السلطان عند غابة أرسوف ، فكانت النصر للمسلمين ، فقتل من الفرنج عند غابة أرسوف ألوف بعد ألوف ، وقتل من المسلمين خلق كثير أيضاً ، وقد كان الجيش فرعن السلطان في أول الوقعة ، ولم يبق معه سوى سبعة عشر مقاتلاً ، وهو ثابت صابر ، والكؤسات لا تفر ، والأعلام منشورة ، ثم تراجع الناس فكانت النصر للمسلمين ، ثم تقدم السلطان بمساركة قتل ظاهر عسقلان ، فأشار ذوو الرأي على السلطان بتخريب عسقلان خشية أن يملكها الكفار ، ويحبسونها وسيلة إلى أخذ بيت المقدس ، أو يجرى عندها من الحرب والقتال نظير ما كان عند عكا ، أو أشد ، فبات السلطان ليلته مفكراً في ذلك ، فلما أصبح وقد أوقع الله في قلبه أن خرابها هو المصلحة ، فذكر ذلك لمن حضره ، وقال لهم والله لموت جميع أولادى أهون على من تخريب حجر واحد منها ،

ولكن إذا كان خرابها فيه مصلحة للمسلمين فلا بأس به ، ثم طلب الولاية وأمرهم بتخريب الببلد سريعاً ، قبل وصول العدو إليها ، فشرع الناس في خرابه ، وأهلها ومن حضره بقيا كون على حسنه وطيب مقيله ، وكثرة زروعه وثماره ، ونضارة أنهاره وأزهاره ، وكثرة رخامه وحسن بنائه . وألقيت النار في سقوفه وأتلف ما فيه من الثلثات التي لا يمكن تحويلها ، ولا قتلها ، ولم يزل الخراب والحريق فيه من جمادى الآخرة إلى سلع شعبان من هذه السنة .

ثم رحل السلطان منها في ثاني رمضان وقد تركها قائما صفةً ليس فيها معلقة لأحد ، ثم اجتاز بالرملة تغرب حصنها وخرب كنيسة قد ، وزار بيت المقدس وعاد إلى الخيم سريعاً ، وبعث ملك الاتكين إلى السلطان إن الأمر قد طال وهلك الفرنج والمسلمون ، وإتما مقصودنا ثلاثة أشياء لا سواها ، رد الصليب وبلاد الساحل وبيت المقدس ، لا ترجع عن هذه الثلاثة ومناعين تطرف ، فأرسل إليه السلطان أشد جواب ، وأسد مقال ، فعزمت الفرنج على قصد بيت المقدس ، فتقدم السلطان بجيشه إلى القدس ، وسكن في دار التساقص قريباً من قامة ، في ذى القعدة ، وشرع في تحصين البلد وتعميق خنادقه ، وعمل فيه بنفسه وأولاده ، وعمل فيه الأمراء والقضاة والعلماء والصلحون ، وكان وقتاً مشهوداً ، واليزك حول البلد من ناحية الفرنج وفي كل وقت يستظرون على الفرنج ويقتلون ويأسرون ويفتنون ، والله الحمد والمنة . واهضت هذه السنة والأمر على ذلك .

وفيها على ما ذكره البلاد تولى القضاء محي الدين محمد بن الزكي بدمشق . وفيها عدى أمير مكة داود بن عيسى بن فليته بن هاشم بن محمد بن أبي هاشم الحسني ، فأخذ أموال الكمية حتى انتزع طوقاً من فضة كان على دائرة الحجر الأسود ، كان قد لم شتمه حين ضربه ذلك الترمطي بالهريس ، فلما بلغ السلطان خبره من الحجيج عزله وولى أخاه بكيرا ، وقضى القلمة التي كان بناها أخوه على أبي قبيس ، وأقام داود بنخله حتى توفي بها سنة سبع وثمانين .

وفيها توفي من الأعيان ✽ الملك المظفر ✽

تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، كان عزيزاً على عمه صلاح الدين ، استنابه بمصر وغيرها من البلاد ، ثم أقطعه حماء ومدناً كثيرة حولها في بلاد الجزيرة ، وكان مع عمه السلطان على عكا ، ثم استأذنه أن ينهب ليشرف على بلاده المجاورة للجزيرة والقرات ، فلما صار إليها اشتغل بها وامتدت عينه إلى أخذ غيرها من أيدي الملوك المجاورين له ، فقاتلهم فاتفق موته وهو كذلك ، والسلطان عمه غضبان عليه بسبب اشتغاله بذلك عنه ، وحملت جنازته حتى دفنت بصهاء ، وله مدرسة هناك هائلة كبيرة ، وكذلك له بدمشق مدرسة مشهورة ، وعليها أوفى كثيرة ، وقد أقام بالملك بدموولده المنصور ناصر الدين محمد ، فأقره صلاح الدين على ذلك بمدجهد جهيد ، ووعده ووعيد ، ولولا

السلطان العادل أخو صلاح الدين تشفع فيه لما أقره في مكان أبيه ، ولكن سلم الله ، توفي يوم الجمعة تاسع عشر رمضان من هذه السنة ، وكان شجاعاً فائداً .

﴿ الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن لا شين ﴾

أمه ست الشام بنت أيوب ، واهنة الشاميتين بدمشق ، توفي ليلة الجمعة تاسع عشر رمضان أيضاً فضجع السلطان بآبن أخيه وابن أخته في ليلة واحدة ، وقد كانا من أكبر أعوانه ، ودفن بالتربة الحسامية ، وهي التي أنشأها أمه بحملة الموينية ، وهي الشامية البرانية .

﴿ الأمير علم الدين سليمان بن حيدر الحلبي ﴾

كان من أكابر الدولة الصلاحية ، وفي خدمة السلطان حيث كان ، وهو الذي أشار على السلطان بتخريب عسقلان ، واعتق مرضه بالقدس فاستأذن في أن يمرض بدمشق ، فأذن له ، فسار منها فلما وصل إلى غياض مات بها في أواخر ذي الحجة . وفي رجب منها توفي الأمير الكبير نائب دمشق .

﴿ الصفي بن الفاضل ﴾

وكان من أكبر أصحاب السلطان قبل الملك ، ثم استنابه على دمشق حتى توفي بها في هذه السنة . وفي ربيع الأول توفي ﴿ الطيب الماهر أسعد بن المطران ﴾ وقد شرف بالإسلام ، وشكره على طبعه الخاص والعام .

﴿ الجيوشاقى الشيخ نجم الدين ﴾

الذي بنى تربة الشافعي بمصر بأمر السلطان صلاح الدين ، ووقف عليها أوقافاً سنية ، وولاه تدريسها ونظرها ، وقد كان السلطان يحترمه ويكرمه ، وقد ذكرته في طبقات الشافعية ، وما صنعه في المذهب من شرح الوسيط وغيره ، ولما توفي الجيوشاقى طلب التدريس جماعة فشجع الملك العادل عند أخيه في شيخ الشيوخ أبي الحسن محمد بن حويه ، فولاه إياه ، ثم عزله عنها بعد موت السلطان ، واستمرت عليه أيدي بني السلطان واحداً بعد واحد ، ثم طردت إليها الفقهاء والمدرسون بعد ذلك .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ﴾

استهلت والسلطان صلاح الدين غم بالقدس ، وقد قسم السور بين أولاده وأسراره ، وهو يعمل فيه بنفسه ، ويحمل الحجر بين القربوسيين وبينه ، والناس يقتنون بهم ، والفقهاء والقراء يعملون ، والفرنج لمنهم الله حول البلد من ناحية عسقلان وما والاها ، لا يتجاسرون أن يقرؤا البلد من الحرس والبزك الذين حول القدس ، إلا أنهم على نية محاصرة القدس مصممون ، ولكيد الاسلام مجمعون ، وهم والحرس قارة يغلبون وقارة يغلبون ، وقارة يذهبون وقارة يذهبون . وفي ربيع الآخر

وصل إلى السلطان الأمير سيف الدين المشطوب من الأمر ، وكان قائماً على عكا حين أخنت ، فاحتدى نفسه منهم بمخسرين ألف دينار ، فأعطاه السلطان شيئاً كثيراً منها ، واستنابه على مدينة نابلس ، فتوفي بها في شوال من هذه السنة . وفي ربيع الآخر قتل الماركيس صاحب صور لعنة الله ، وأرسل إليه ملك الانكليز اثنين من الفداوية يقتلوه : أظهرها التنصر ولزما الكنيسة حتى ظفرا به قتيلا وقتلا أيضاً ، فاستناب ملك الانكليز عليها ابن أخيه بلام الكنصر ، وهو ابن أخت ملك الافرنسيين لأبيه ، فها خلاه ، ولما صار إلى صور بنى بزوجته الماركيس بعد موته بليلة واحدة ، وهي حبلى أيضاً ، وذلك لشدة العداوة التي كانت بين الانكليز وبينه ، وقد كان السلطان صلاح الدين يفضهما ، ولكن الماركيس كان قد صانفه بعض شيء ، فلم يهن عليه قتله .

وفي تاسع جمادى الأولى استولى الفرنج لهنهم الله على قلعة الهاروم نفر بها ، وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها ، وأسروا طائفة من القرية ، فأنقذهم الله ، وإنا لله وإليه راجعون ، ثم أقبلوا جملة نحو القدس فبرز إليهم السلطان في حزب الإيمان ، فلما رأى الجمعان تكسر حزب الشيطان راجعين ، فراراً من القتال والتزال ، وصاد السلطان إلى القدس . (وقد رد الله الذين كفروا بنفيهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً)

ثم إن ملك الانكليز لعنة الله - وهو أكبر ملوك الفرنج ذلك الحين - ظفر ببعض قلوب المسلمين فكبسهم ليلاً قتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسروا منهم خمسة آلاف أسير ، وغنم منهم شيئاً كثيراً من الأموال والجمال ، وأغليل والبغال ، وكان جملة الجبال ثلاثة آلاف بعير ، فتقوى الفرنج بذلك ، وساء ذلك السلطان مساة عقلية جداً ، وخاف من غائلة ذلك ، واستخدم الانكليز الجملة على الجبال ، وأخطر بندية على البغال ، والسياس على أغليل ، وأقبل وقد قويته نفسه جداً ، وصمم على محاصرة القدس ، وأرسل إلى ملوك الفرنج الذين بالساحل ، فاستحضرهم ومن معهم من المقاتلة ، فتمتبا السلطان لهم وتنبأ ، وأكل السور وعمر الخنادق ، ونصب المنجانيق ، وأمر بتقوية حوله القدس من المياه ، وأحضر السلطان أمراء ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة : أبا الهيبة الميسين ، والمشطوب ، والأسدية ، فاستشارهم فيما قد دهمه من هذا الأمر الفظيع ، الموجب المولم ، فأفاضوا في ذلك ، وأشاروا كل برأيه ، وأشار المهاد الكاتب بأن يتحالفوا على الموت عند الصخرة ، كما كان الصحابة يفعلون ، فأجابوا إلى ذلك . هذا كله والسلطان ما كت واجم مفكر ، فسكت القوم فأثابا على رؤسهم العلور ، ثم قال : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله : أعلوا أنكم جند الاسلام اليوم ومنتمى ، وأنتم تعلمون أن دماء المسلمين وأموالهم وذراريهم في ذمكم معلقة ، والله عز وجل سائلكم يوم القيامة عنهم ، وأن هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه عن العباد والبلاد غيركم ،

فان وليتم العياد بالله طوى البلاد وأهلك العباد ، وأخذ الأموال والأطفال والنساء ، وعبد الضليب في المساجد ، وعزل القرآن منها والصلاة ، وكان ذلك كله في ذمكم ، فانكم أنتم الذين تصديتم لهذا كله ، وأكلم بيت مال المسلمين لتدفعوا عنهم عدوهم ، وتصرفوا ضديهم ، فاسلمون في سائر البلاد متعلقون بكم والسلام .

فانتب لجوابه سيف الدين المشغوب وقال : يا مولانا نحن عمالك وعبيدك ، وأنت الذي أعطيتنا وكبرتنا وعظمتنا ، وليس لنا إلا رقابنا ونحن بين يديك ، والله ما يرجع أحد منا عن نصرك حتى يموت . فقال الجماعة مثل ما قال ، فرح السلطان بنفسك وطلب قلبه ، وسد لهم سبيلاً حافلاً ، وانصرفوا من بين يديه على ذلك . ثم بلغه بعد ذلك أن بعض الأمراء قال : إنا نخاف أن يجري علينا في هذا البلد مثل ما جرى على أهل عكا ، ثم يأخذون بلاد الاسلام بلاءً بلاءً ، والمصلحة أن نلتقيهم بظاهر البلد ، فان هزمنام أخذنا بقية بلادهم ، وإن تكن الأخرى سلم السكر ومضى بحاله ، ويأخذون القدس ونحفظ بقية بلاد الاسلام بدون القدس مدة طويلة ، وبنوا إلى السلطان يقولون له : إن كنت تريدنا فقم بالقدس تحت حصار الفرنج ، فكن أنت معنا أو بعض أهلك ، حتى يكون الجيش تحت أمرك ، فان الأكراذ لا تطيع الترك ، والترك لا تطيع الأكراذ . فلما بلغه ذلك شق عليه مشقة عظيمة ، وبات ليلته أجمع مهوماً كثيباً يضر فيه قالوا ، ثم انجلى الأمر وافتح الحال على أن يكون الملك الأنجد صاحب بلبك مقياً عندهم نائباً عنه بالقدس ، وكان ذلك نهار الجمعة ، فلما حضر إلى صلاة الجمعة وأذن المؤذن للظهر قام فصل ركعتين بين الأذنين ، وسجد وأقبل إلى الله تعالى إقبالاً عظيماً ، وتضرع إلى ربه ، وتمسك وسأله فيها بينه وبينه كشف هذه الضائقة العظيمة .

فلما كان يوم السبت من الفد جاءت الكتب من الحرس الذين حول البلد بأن الفرنج قد اختلفوا فيها بينهم ، فقال ملك الافرنسيين إنا إنما جئنا من البلاد البعيدة وأفقنا الأموال المدينة في تخليص بيت المقدس وردة إلينا ، وقد بقي بيننا وبينه مرحلة ، قال الانكليز إن هذا البلد شق علينا حصاره ، لأن المياه حوله قد جفمت ، وإلى أن يأتي الماء من المشقة البعيدة يطل الحصار ، ويكلف الجيش ، ثم اتفق الحال بينهم على أن يحكوا منهم عليهم ثلاثمائة منهم ، فردوا أمرهم إلى اثني عشر منهم ، فردوا أمرهم إلى ثلاثة منهم ، فباتوا ليلتهم ينظرون ثم أصبحوا وقد حكوا عليهم بالرحيل ، فلم يمكنهم مخالفتهم فسحبوا راجعين لنهم الله أجمعين ، فساروا حتى نزلوا على الزملة وقد طالعت عليهم الغربة والزملة ، وذلك في بكرة الحادى والعشرين من جمادى الآخرة ، وبرز السلطان بمجيئه إلى خارج القدس ، وسار نحوهم خوفاً أن يسروا إلى مصر ، لكثرة ما معهم من الظهر والأموال ، وكان الانكليز يلهمج بنفسك كنهم ، فخذلهم الله عن ذلك ، وتحدثت الرسل من الانكليز إلى السلطان

في طلب الأمان ووضع الحرب بينه وبينهم ثلاث سنين ، وعلى أن يعيد لهم عسقلان ويهب له كنيسة بيت المقدس وهي القلعة ، وأن يمكن النصارى من زيارتها وحجها بلا شيء ، فامتنع السلطان من إعادة عسقلان وأطلق لهم قلعة ، وفرض على الزوار مالا يؤخذ من كل منهم ، فامتنع الانكليز إلا أن تعاد لهم عسقلان ، ويمر سورها كما كانت ، فصمم السلطان على عدم الإجابة . ثم ركب السلطان حتى وافى يافا فحاصرها حصاراً شديداً ، فافتتحها وأخذوا الأمان لكبيرها وصغيرها ، فبينما هم كذلك إذ أشرفت عليهم "مراكب الانكليز على وجه البحر ، قويت رؤسهم واستنصت نفوسهم ، فهجم القمين فاستعاد البلد وقتل من تأخر بها من المسلمين صبراً بين يديه ، وقهر السلطان عن منزلة الحصار إلى ما وراءها خوفاً على الجيش من معرة الفرنج ، فجلس ملك الانكليز يتعجب من شدة سطوة السلطان ، وكيف فتح مثل هذا البلد العظيم في يومين ، وفوره لا يمكنه فتحه في طعين ، ولكن ماغلنت أنه مع شهامته وصرامته يتأخر من منزلته بمجرد قبو ، وأنا ومن معي لم نخرج من البحر إلا بجرائد بلا سلاح ، ثم ألح في طلب الصلح وأن تكون عسقلان داخلة في صلحهم ، فامتنع السلطان ، ثم إن السلطان كبس في تلك الليالي الانكليز وهو في سبعة عشر مقاتلاً ، وحوله قليل من الرجالة فأكب يبيشه حوله وحصره حصراً لم يبق معه نجاة ، لو صمم معه الجيش ، ولكنهم نكلوا كلهم عن الحلة ، فلا قوة إلا بالله ، وجعل السلطان يحرضهم غاية التحريض ، فكلمهم مجتمع كما مجتمع المرضى من شرب الدواء .

هذا وملك الانكليز قد ركب في أصحابه وأخذ عدة قتاله ، وأهية زناحه ، واستعرض المينة إلى آخر الميسرة ، يعنى مينة المسلمين وميسرتهم ، فلم يتقدم إليه أحد من الفرسان ، ولا نهره بطل من الشجعان ، فعند ذلك كر السلطان راجعاً ، وقد أحزنه أنه لم ير من الجيش مطيعاً ، فأناله وإنا إليه راجعون . ولو أن له بهم قوة لما ترك أحداً منهم يتناول من بيت المال قلداً . ثم حصل ملك الانكليز بعد ذلك مرض شديد ، فبعث إلى السلطان يطلب فأكهة وثلجاً فأئذ به بنك من باب الكرم ، ثم هو في لئنه الله وتكررت الرسل منه يطلب من السلطان المصالحة لكثرة شوقه إلى أولاده وبلاده ، وطاوع السلطان على ما يقول وترك طلب عسقلان ، ورضى بما رسم به السلطان ، وكتب كتاب الصلح بينهما في سابع عشر شعبان ، وأكثت اليهود والمواثق من كل ملك من ملوكهم ، وحلف الأمراء من المسلمين وكتبوا خطوطهم ، واكتفى من السلطان بالقول المجرد كما جرت به عادة السلاطين ، وفرح كل من الفريقين فرحاً شديداً ، وأظهروا سروراً كثيراً ، ووقعت الهدنة على وضع الحرب ثلاثين سنة وستة أشهر ، وعلى أن يقرم على ما بأيديهم من البلاد الساحلية ، وللمسلمين ما يقابلها من البلاد الجبلية ، وما بينهما من الممالات تقسم على المناصفة ، وأرسل السلطان مائة قنصل محبة

أمير لتخريب سور عسقلان وإخراج من بها من الفرنج .

وعاد السلطان إلى القدس فرتب أحواله ووطعها ، وسدد أموره وأكدها ، وزاد وقف المدرسة سوفا بدكا كينها وأرضا يبساتينها ، وزاد وقف الصوفية ، وعزم على الحج طه ذلك ، فكتب إلى الحجاز والعين ومصر والشام ليعلموا بذلك ، ويتأهبوا له ، فكتب إليه القاضي الفاضل فيها عن ذلك خوفا على البلاد من استيلاء الفرنج عليها ، ومن كثرة المظالم بها ، وفساد الناس والمسكر وقلة نصيبهم وأن النظر في أحوال المسلمين خير لك طمك هذا ، والمدوخيم بمد الشام ، وأنت تعلم أنهم يهادنون ليتقوا ويكثروا ، ثم يهكروا ، ويفتروا ، فسمع السلطان منه وشكر نصحه وترك ما عزم عليه وكتب به إلى سائر الممالك ، واستمر مقيا بالقدس جميع شهر رمضان في صيام وصلاة وقرآن ، وكلما وفد أحد من رؤساء الفرنج لزيارة فعل معه غاية الأكرام ، تأليفا لقلوبهم ، ولم يبق أحد من ملوكهم إلا جاء لزيارة القمامة متسكرا ، ويحضر سباط السلطان فيمن حضر من جمهورهم ، بحيث لا يرى . والسلطان لا يعلم ذلك جملة ولا تفصيلا ، ولهذا كان ياملهم بالأكرام ، ويربهم صفعا جديلا ، وبرأ جزيلا .

فلما كان في خامس شوال ركب السلطان في الصاكر فبرز من القدس قادما دمشق ، واستناب على القدس عز الدين جورديك ، وعلى قضاها بهاء الدين بن يوسف بن رافع بن نجم الشافعي ، فاجتاز على وادى الجيب وبات على بركة الداوية ، ثم أصبح في نابلس فظفر في أحوالها ، ثم ترحل عنها ، لجعل يمر بالقلاع والحصون والبلدان فيظفر في أحوالها ويكشف المظالم عنها ، وفي أثناء الطريق جاء إلى خدمته بيسنده صاحب إنفاكية فأكرمه وأحسن إليه ، وأطلق له أموالا جزيلة وعلماء ، وكان العباد الكاتب في صحبته ، فأخبر عن منزله منزلة منزلة إلى أن قال : وعبر يوم الاثنين عين الحر إلى مرج بيوس ، وقد زال البوس ، وهناك وفد عليه أعيان دمشق وأماثلها ، ونزل يوم الثلاثاء على المراة ، وجاءه هناك التتف والمثقفون على العادة ، وأصبحنا يوم الأربعاء سادس عشر شوال بكرة بمحنة دمشق داخلين ، بسلام آمدين ، وكانت غيبة السلطان عنها أربع سنين ، فأخرجت دمشق أمثلا ، وأبرزت نساءها وأطفالها ورجلها ، وكان يوم الزينة ، وخرج أكثر أهل المدينة ، واجتمع أولاده الكبار والصغار ، وقدم عليه رسل الملوك من سائر الأمصار ، وأقام بقية طعه في اقتناص الصيد وحضور دار العدل ، والعمل بالاحسان والفضل . ولما كان عيد الأضحي امتدحه بعض الشراء بقصيدة يقول فيها :

وأبها لولا تفزل عينها • لما قلت في التفزل شعرا
ولكانت مدائح الملك لنا • صرولما فيه أعمل فكرا
ملك طبق المالك بالمد • ل مثلما أوسع البرية برا

فيحمل الأعياد صوماً وفطراً • ويلقي المنى برآً وبحراً
يأسر بالطاعات لله إن • أنجي ملكك على المنهى مصر
نلت ماتسى من الدين والدنيا • فيها على الملوك وغرا
قد جمعت الجبين أسلا وفرما • وملكت الفارين دنيا وأخرى

وبما وقع في هذه السنة من الحوادث غزوة عظيمة بين صاحب غزنة شهاب الدين ملكها
السبكتكيني وبين ملك الهند وأصحابه الذين كانوا قد كسروه في سنة ثلاث وثمانين ، فأظفروا الله بهم
هذه السنة ، فكسروهم وقتل خلقاً منهم وأسر خلقاً ، وكان من جملة من أسره ملكهم الأعظم ، وثمانية
عشر فيلاً ، من جملة الذي كان جرحه ، ثم أحضر الملك بين يديه فأهانته ولم يكرمه ، واستحوذ
على حصنه وأخبر بما فيه من كل جليل وحثير ، ثم قتله بعد ذلك ، وحاد إلى غزنة مؤيداً منصوراً ،
مسروراً مجبوراً .

وفيها اتهم أمير الحج بينداد وهو طاشتكين ، وقد كان على إمرة الحج من مدة عشرين سنة ،
وكان في غاية حسن السيرة ، واتهم بأنه يكتب صلاح الدين بن أيوب في أخذ بينداد ، فانه ليس
بينه وبينها أحد يمانه عنها ، وقد كان مكذوباً عليه ، ومع هذا أدين وحبس وصودر .

فصل

ومن توفى فيها من الأعيان القاضي شمس الدين .

﴿ محمد بن محمد بن موسى ﴾

المعروف بابن الفراش ، كان قاضي المسامر بعمشق ، وبرسله السلطان إلى ملوك الآفاق ،
وملت بعلطية .

﴿ سيف الدين علي بن أحمد المشطوب ﴾

كان من أصحاب أسد الدين شيركوه ، حضر معه الوقعات الثلاث بمصر ، ثم صار من كبار أمراء
صلاح الدين ، وهو الذي كان نائباً على حكا لما أخذوها الفرنج ، فأسروه في جملة من أسروا فاقنطى
نفسه بمقتدين ألف دينار ، وجاء إلى السلطان وهو بالقدس فأعطاه أكثرها ، وولاه نابلس . توفى
يوم الأحد ثالث وعشرين شوال بالقدس ، ودفن في داره .

﴿ صاحب بلاد الروم عز الدين قليج أرسلان بن مسعود ﴾

ابن قليج أرسلان ، وكان قد قسم جميع بلاده بين أولاده ، طمعا في طاعتهم له ، فغافروا
وتجبروا وعنتوا عليه ، وخضعوا قدره وارفضوا ، ولم يزل كذلك حتى توفى في طامه هذا . وفي ربيع
الآخر توفى الشاعر أبو المرحف .

﴿ نصر بن منصور النخري ﴾

سمع الحديث واشتغل بالأحباب ، أصابه جدي وهو ابن أربعة عشرة سنة فنقص بصره جداً ، وكان لا يبصر الأشياء البعيدة ، ويرى القريب منه ، ولكن كان لا يحتاج إلى قائد ، فارتحل إلى العراق لمداواة عينيه فأبسته الأطباء من ذلك ، فاشتغل بحفظ القرآن ومصاحبة الصالحين فأفصح ، وله ديوان شعر كبير حسن ، وقد سئل مرة عن منبهه واعتقاده فأثأ يقول :

أحب عليا والبتول وولدها • ولا أجد الشيعين فضل التقدم
وأبرأ ممن نال عثان بالأذى • كما أنيرا من ولاء ابن ملجم
ويمعبنى أهل الحديث لصنهم • فليست إلى قوم سوام بمنى
توفى ببغداد ودفن ببقار الشهداء بباب حرب رحمه الله تعالى .

بحمد الله تعالى قد تم طبع الجزء الثاني عشر من البداية والنهاية للعلامة ابن كثير
ويليه الجزء الثالث عشر وأوله سنة تسع وثمانين وخمسمائة هجرية
على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية



فهرس الجزء الثاني عشر من البداية والنهاية

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
سنة سبع وعشرين وأربعمائة	٣٩	سنة ست وأربعمائة وفيها كانت وفاة أبي حامد	٢
» » ثمان »	٤٠	الاسفرايين	
» » تسع »	٤٣	سنة سبع وأربعمائة . وفيها كانت وفاة الوزير	٤
» » ثلاثين »	٤٤	نغر الملك	
وفاة الحافظ أبي نعيم	٤٥	سنة ثمان وأربعمائة	٦
سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة	٤٧	» » تسع »	٧
» » ثنتين »	٤٨	» » عشر »	٨
» » ثلاث »	٤٩	» » إحدى عشر وأربعمائة وفيها كان قتل الحاكم	٩
» » أربع »	٥٠	ابن المزمز القاطن بمصر	
» » خمس »	٥١	صفحة مقتله لعنه الله	١٠
ذكر وفاة جلال الدولة وملك أخيه	٥٠	سنة اثني عشر وأربعمائة	١١
بنداد بعده		سنة ثلاث عشرة »	١٣
سنة ست وثلاثين وأربعمائة	٥٢	» » أربع »	١٦
وفاة الشريف المرتضى	٥٣	» » خمس »	١٧
سنة سبع وثلاثين وأربعمائة	٥٤	» » ست »	١٨
» » ثمان »	٥٥	» » سبع »	٢٠
وفيها كانت وفاة الجويني الشافعي		» » ثمان »	٢٢
سنة تسع وثلاثين وأربعمائة	٥٦	» » تسع »	٢٤
» » أربعين »	٥٧	» » عشرين »	٢٦
» » إحدى وأربعين »	٥٩	سنة إحدى وعشرين »	٢٧
» » ثنتين »	٦١	وفاة الملك الكبير العادل محمود بن سبكتكين	٢٩
» » ثلاث »	٦٢	سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة	٣١
» » أربع »	٦٣	خلافة القائم بالله	٣٠
» » خمس »	٦٤	سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة	٣٣
» » ست »	٦٥	» » أربع »	٣٥
» » سبع »	٦٦	» » خمس »	٣٠
وفيها ملك طغر بك السلجوقي ببغداد		» » ست »	٣٧

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٠٦	وفاة السلطان ألب أرسلان	٦٧	وهو أول ملوك الدولة السلجوقية
١٠٧	» أبي القاسم القشيري	» ثمان وأربعين وأربعمائة	
١٠٨	سنة ست وستين وأربعمائة	» » »	
١٠٩	» سبع »	٧٢	وفاة أبي العلاء المعري الشاعر الزنيدني
١١٠	سنة مائة وخمسة	٧٦	سنة خمسين وأربعمائة وفيها كانت فتنة
١١١	خليفة المقتدي بأمر الله		الساساني الخليفة
١١٢	سنة ثمان وستين وأربعمائة	٦٩	وفاة أبي الطيب الطبري
١١٤	» تسع »	٨٠	سنة إحدى وخمسين وأربعمائة
١١٧	» سبعين »	٨٣	سنة مائة وخمسين وأربعمائة
١١٩	» إحدى وسبعين »	٨٤	سنة مائة وخمسين وأربعمائة
١٢٠	» ثلثين »	٨٥	سنة مائة وخمسين وأربعمائة
١٢١	» ثلاث »	٨٦	» ثلاث »
١٢٢	» أربع »	٨٧	» أربع »
١٢٣	» خمس »	٨٨	سنة خمس وخمسين وأربعمائة
١٢٤	وفاة ابن ماكولا الوزير		ذكر دخول الملك طغر بك على بلد
١٢٥	سنة ست وسبعين وأربعمائة		الخليفة ووفاته في هذه السنة
١٢٦	وفاة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي	٩٠	سنة ست وخمسين وأربعمائة
١٢٧	سنة سبع وسبعين وأربعمائة	٩١	وفاة ابن حزم الظاهري
١٢٨	» ثمان »	٩٢	سنة سبع وخمسين وأربعمائة
١٢٩	وفاة إمام الحرمين	٩٣	» ثمان »
١٣٠	سنة تسع وسبعين وأربعمائة	٩٤	وفاة الحافظ البيهقي والقاضي أبي يعلى
١٣١	» ثمانين »		الحنبلي
١٣٢	وفاة محمد بن الخليفة المقتدي	٩٥	سنة تسع وخمسين وأربعمائة
١٣٣	سنة إحدى وثمانين وأربعمائة	٩٦	» ستين »
١٣٤	سنة مائة وخمسة	٩٧	» إحدى وستين »
١٣٥	سنة ثلثين »	٩٨	وفاة الفوري صاحب الابهة
١٣٦	» ثلاث »	٩٩	سنة ثلثين وستين وأربعمائة
١٣٧	» أربع »	١٠٠	» أربع »
١٣٨	» خمس »	١٠١	» خمس »
١٣٩	وفاة نظام الملك الوزير		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٤٢	وفاة السلطان ملكشاه	١٧١	سنة ثلاث وخمسمائة
١٤٤	سنة ست وثمانين وأربعمائة	١٧٢	» » أربع »
١٤٦	» سبع » » وفيها كانت وفاة الخليفة المقتدى	١٧٣	» خمس » »
٠٠٠	وخلافة ولده المستنصر بأمر الله	١٧٤	وفيها توفي أبو حامد الفزائلي الامام المشهور
١٤٧	وفاة آقسنقر الاتابك وأسير الجيوش بدر الجمالي بصر	١٧٥	سنة ست وخمسمائة
١٤٨	وفاة الخليفة المستنصر الفاطمي	١٧٥	» سبع » »
١٤٨	سنة ثمان وثمانين وأربعمائة	١٧٧	وفاة أبي بكر الشافعي الشافعي
١٥٠	وفاة أبي شعاع الوزير	١٧٨	سنة ثمان وخمسمائة
١٥١	وفاة القاضي أبي بكر الشافعي	٠٠٠	» ثمان » »
١٥٢	سنة ثمان وثمانين وأربعمائة	١٧٩	» عشر » »
١٥٤	» تسعين » »	١٨٠	» إحدى عشر وخمسمائة
١٥٥	» إحدى وتسعين » »	١٨١	وفاة القاضي المرتضى الشهرزوري .
١٥٦	» ثنتين » »	١٨٢	سنة اثنتي عشرة وخمسمائة
١٥٨	» ثلاث » »	٠٠٠	وفاة الخليفة المستنصر بالله
١٥٩	وفاة الوزير حميد الدولة ابن جبير	٠٠٠	خلافة المسترشد أمير المؤمنين
٠٠٠	سنة أربع وتسعين وأربعمائة	١٨٤	سنة ثلاث عشرة وخمسمائة
١٦٢	» خمس » »	٠٠٠	وفاة ابن عقيل شيخ الخنابلة ببغداد
٠٠٠	وفاة أبي القاسم صاحب مصر الملقب بالمستمل	١٨٥	وفاة أبي الحسن الدامغانى قاضى القضاة
٠٠٠	سنة ست وتسعين وأربعمائة	٠٠٠	سنة أربع عشرة وخمسمائة
١٦٣	» سبع » »	١٨٦	ابتداء ملك محمد بن تومرت ببلاد المغرب
١٦٤	» ثمان » »	١٨٨	سنة خمس عشرة وخمسمائة
٠٠٠	وفاة السلطان بركياروق بن ملكشاه	١٩٠	وفاة الطنتراني صاحب لامية المعجم
١٦٥	سنة ثمان وتسعين وأربعمائة	٠٠٠	سنة ست عشرة وخمسمائة
١٦٦	سنة خمسماية من الهجرة النبوية	١٩١	وفاة الحري صاحب القمامات
١٦٧	قتل غفر الملك أبي المظفر	١٩٣	سنة سبع عشرة وخمسمائة
١٦٩	سنة إحدى وخمسمائة من الهجرة	٠٠٠	وفاة ابن الخياط الشاعر
١٧٠	» ثنتين » »	١٩٤	سنة ثمان عشرة وخمسمائة
		٠٠٠	» ثمان » »
		١٩٥	وفاة آقسنقر البرشقي

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٩٥	سنة عشرين وخمسمائة	٢١٨	سنة ست وثلاثين وخمسمائة
١٩٦	وفاة أبي الفتح العلوي وابن برهان	٢٢٠	سنة سبع وثلاثين وخمسمائة
١٩٧	سنة إحدى وعشرين وخمسمائة وفيها كانت حرب بين الخليفة المباسي والسلطان محمود بن زنكي	٢٢١	سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة
١٩٨	سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة	٢١٩	وفاة الزنجشري صاحب الكشاف
١٩٩	سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وفيها تصالح السلطان محمود والخليفة المباسي	٢٢٠	سنة تسع وثلاثين وخمسمائة
٢٠٠	سنة أربع وعشرين وخمسمائة وفيها كان قتل الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله بمصر	٢٢١	سنة أربعين وخمسمائة
٢٠٢	سنة خمس وعشرين وخمسمائة	٢٢٢	سنة إحدى وأربعين وخمسمائة
٢٠٣	سنة ست وعشرين وخمسمائة	٢٢٣	سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وفيها ملك الفرنج عدة حصون من جزيرة الاندلس
٢٠٤	سنة سبع وعشرين وخمسمائة	٢٢٤	سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة
٢٠٥	وفاة ابن الزاهرني الامام المشهور	٢٢٥	سنة أربع وأربعين وخمسمائة وفيها كانت وفاة القاضي عياض وغيره من الشراء والاهيان
٢٠٦	سنة ثمان وعشرين وخمسمائة	٢٢٦	سنة خمس وأربعين وخمسمائة
٢٠٧	سنة تسع وعشرين وخمسمائة وفيها كانت وفاة الخليفة المسترشد وولاية الراشد	٢٢٧	وفاة أبي بكر بن العربي
٢٠٩	خلافة الراشد	٢٢٨	سنة ست وأربعين وخمسمائة
٢١٠	سنة ثلاثين وخمسمائة . وفيها كان خلع الخليفة الراشد وخلافة المقتني لأمر الله .	٢٢٩	سنة سبع وأربعين وخمسمائة
٢١١	سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة	٢٣٠	سنة ثمان وأربعين وخمسمائة
٢١٢	سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة	٢٣١	وفاة الشاعر بن الفرزدق وجري
٢١٣	وفاة الخليفة الراشد	٢٣٢	سنة تسع وأربعين وخمسمائة
٢١٤	وفاة القاضي	٢٣٣	ملك السلطان نور الدين الشهيد بدمشق
٢١٥	سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وفيها كانت وفاة يحيى بن يحيى بن أفلح الكاتب	٢٣٤	سنة خمسين وخمسمائة
٢١٦	سنة أربع وثلاثين وخمسمائة	٢٣٥	فتح بلبلك بيد نور الدين الشهيد
٢١٧	سنة خمس وثلاثين وخمسمائة	٢٣٦	سنة إحدى وخمسين وخمسمائة
		٢٣٧	ذكر حصار بندا
		٢٣٨	سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٣٧	وفاة السلطان سنجر	٢٣٧	وفاة الخليفة المستنجد بالله
٥٠٠	سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة	٥٠٠	خلافة المستنقى
٢٤٠	سنة أربع وخمسين وخمسمائة	٢٣٣	هزل صلاح الدين قضية مصر لأنهم شيعة
٥٠٠	وفاة السلطان محمد بن محمد بن ملكشاه	٢٦٤	سنة سبع وستين وخمسمائة
٢٤١	سنة خمس وخمسين وخمسمائة	٥٠٠	موت الماضد آخر خلفاء المبيديين بمصر
٥٠٠	وفاة الخليفة المقتنى بأمر الله	٢٦٧	مدة ملك الفاطميين بمصر
٥٠٠	خلافة المستنجد بالله	٢٧٠	سنة ثمان وستين وخمسمائة
٢٤٢	وفاة الفارز خليفة مصر الفاطمي	٢٧١	وفاة نجم الدين أيوب والد صلاح الدين الأيوبي
٢٤٣	سنة ست وخمسين وخمسمائة	٢٧٣	سنة تسع وستين وخمسمائة
٥٠٠	قتل السلطان سليمان شاه	٢٧٦	وفاة عمارة النجاشي الشاعر
٢٤٥	سنة سبع وخمسين وخمسمائة	٢٧٧	فصل في وفاة الملك المادل نور الدين محمود بن زنكي
٢٤٦	ثمان * * * وفاة عبد المؤمن ابن علي تغلبيذ ابن التومرت	٢٨٤	صفة نور الدين رحمه الله
٢٤٧	سنة تسع وخمسين وخمسمائة	٢٨٥	فصل فيما جرى بعد وفاته
٢٤٨	وقعة حارم	٢٨٧	سنة سبعين وخمسمائة
٢٤٩	سنة ستين وخمسمائة	٢٨٨	فصل في ذكر عدة حوادث
٢٥٠	وفاة الوزير ابن هبيرة	٥٠٠	فصل في ذكر عدة حوادث
٢٥١	سنة إحدى وستين وخمسمائة	٢٩١	سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وفيها
٢٥٢	وفاة الشيخ عبد القادر الجيل	وقعت الهدنة بين الفرنج وصلاح الدين	
٥٠٠	سنة اثنتين وستين وخمسمائة	٢٩٢	فصل في ذكر عدة حوادث
٥٠٠	فتح الاسكندرية على يدى أسد الدين	٢٩٤	سنة ثلاثين وسبعين وخمسمائة وما وقع
٢٥٤	سنة ثلاث وستين وخمسمائة	فيها من الحروب والحصار لبلاد الفرنج	
٢٥٥	سنة أربع وستين وخمسمائة	وجملة حوادث أخرى	
٥٠٠	فتح مصر على يدى أسد الدين شيركوه	٢٩٧	سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة
٢٥٧	صفة الخليفة التي لبسها صلاح الدين	بناء القلعة وإحاطة السور على القاهرة	
٢٥٨	وقعة السودان	ومصر	
٢٦٠	سنة خمس وستين وخمسمائة	٢٩٩	سنة أربع وسبعين وخمسمائة وما فيها من
٥٠٠	حصار الفرنج مدينة دمياط	الحروب والحوادث	
٢٦٢	سنة ست وستين وخمسمائة		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٣٠١	وفاة الحمص ييىص الشاعر	٣٢٣	ذكر فتح بيت المقدس
٣٠٢	سنة خمس وسبعين وخمسمائة	٣٢٤	أول جمعة أقبت ببيت المقدس
٣٠٣	وفاة مروج العيون بين صلاح الدين والفرنجة	٣٢٧	فصل في قصد صلاح الدين مدينة صور
٣٠٤	وفاة الخليفة المستضىء بأمر الله وبعض ترجمته	٣٢٩	سنة أربع وثمانين وخمسمائة
٣٠٥	خلافة الناصر لدين الله	٣٣٠	وفيها حاصر السلطان صلاح الدين حصن كوكب
٣٠٦	سنة ست وسبعين وخمسمائة	٣٣١	فصل في فتح صند وحسن كوكب
٣٠٨	وفاة السلطان توران شاه	٣٣٢	سنة خمس وثمانين وخمسمائة
٣٠٩	سنة سبع وسبعين وخمسمائة	٣٣٣	سنة ستة وثمانين وخمسمائة
٣١٠	ذكر وفاة الملك الصالح ابن نور الدين الشهيد	٣٣٤	وفاة القاضي شرف الدين ابن أبي عمرو
٣١١	سنة ثمان وسبعين وخمسمائة	٣٣٥	فصل في شئون شقي
٣١٢	فصل في حوادث متنوعة	٣٣٦	فصل في اشتداد حصار الفرنج للمدينة
٣١٣	فصل في وفاة المنصور عز الدين صاحب بلبك	٣٣٧	فصل ذكر في مهمة القاضي الفاضل بمصر
٣١٤	سنة تسع وسبعين وخمسمائة	٣٣٨	فصل فيما كتبه القاضي الفاضل إلى ملك الغرب
٣١٥	ما جرى فيها من الحروب والمصالحات والحوادث المختلفة	٣٣٩	فصلان في أمور شقي
٣١٦	سنة ثمانين وخمسمائة	٣٤٠	سنة سبع وثمانين وخمسمائة
٣١٧	سنة إحدى وثمانين وخمسمائة	٣٤١	فصل في كيفية أخذ البلد ومدينة عكا
٣١٨	من توفي فيها من الأعيان	٣٤٢	فصل في ما حدث بعد أخذ الفرنج عكا
٣١٩	الديني وأبو القاسم القشيري	٣٤٣	وفاة الملك المنصور عمر بن شاهنشاه
٣٢٠	سنة ثنتين وثمانين وخمسمائة	٣٤٤	الجيوشاقى إلى تربة الامام الشافعي
٣٢١	مات ثلاث	٣٤٥	رضي الله عنه
٣٢٢	وفاة حطين	٣٤٦	سنة ثمان وثمانين وخمسمائة
		٣٤٧	قتل الرئيس صاحب صور لسنه الله
		٣٤٨	وجرح الفرنج من محاصرة بيت المقدس
		٣٤٩	فصل فيمن توفي فيها من الأعيان

